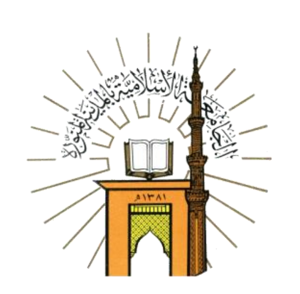
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

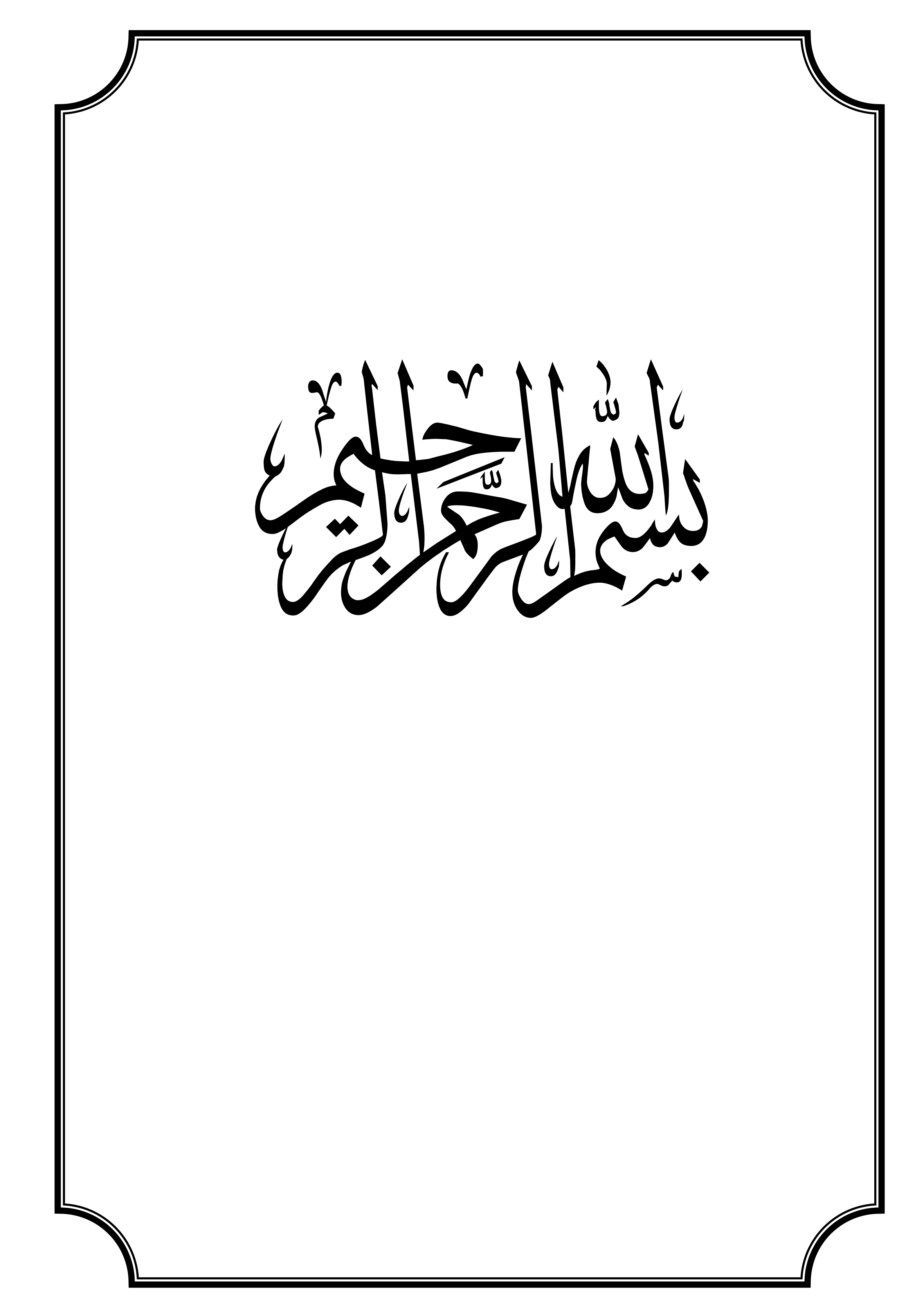


حماية الخلفاء الراشدين جناب توحيد رب العالمين وأثر ذلك على الأمة

مشروع رسالة علمية مقدم لنيل درجة العالمية «الماجستير»

إعداد الطالب:
مولود بن عبد الرحمن العمري
إشراف:
فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد بن عبد الوهاب العقيل

العام الجامعي: ١٤٣٥-١٤٣٦هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١](١).

أما بعد:

"فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة"(٢)، و"كل ضلالة في النار"(٣).

إن تاريخ الخلفاء الراشدين ﭫ يُعدّ من أهم العصور في تاريخ المسلمين وهو مليء بالعبر والدروس، ولا شكّ أن من تتبّع أحوال الخلفاء الراشدين ﭫ وتأمّلها سيجد فيها فوائد جليلة وعظات بليغة، ينتفع بها المسلم في دينه، كما أن فيها تذكيراً للناس بما كان عليه الصحابة الكرام ﭫ من الاستقامة في الدين.

وقد تميّز عصر الخلفاء الراشدين ﭫ بهذا التميّز عن بقية العصور بعده بطبيعة الحال إذ أن هؤلاء الصحابة الأبرار تخرّجوا في مدرسة النبوّة، فقد صاحبوا النبيّ ﷺ وشاهدوا المشاهد،

---

(١) من خطبة الحاجة التي أخرجها الترمذي في سننه في كتاب النكاح باب ما جاء في خطبة النكاح ص ٢٦١ برقم ١١٠٥. وصحح الحديث الشيخ الألباني.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة ٥٩٢/٢ برقم ٨٦٧.

(٣) هذه الزيادة أخرجها النسائي في سننه في كتاب صلاة العيدين باب كيف الخطبة ص ٢٦٠ برقم ١٥٧٨. وصححه الشيخ الألباني.

فتربّوا على يديه ﷺ وتلقّوا عنه العلم النافع والعمل الصالح، فهم أفضل الناس بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

والرسول ﷺ أثنى عليهم خيراً بقوله: "لا تسبّوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد(١) أحدهم ولا نصيفه(٢)"(٣). فلا يمكن لأحد أن يصل إلى منزلتهم ومكانتهم.

ويؤكّد هذا ما قاله عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "من كان مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا والله أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلّها تكلّفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيّه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسّكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"(٤).

وبعد وفاة الرسول ﷺ قام الصحابة بأحكام الإسلام وشعائره بكل صدق وإخلاص، بل كانوا أحرص الناس على تعليم الدين ونشره، لهذا كان لهم جهود عظيمة في تبليغ الدين وتثبيته ونصره.

وأفضل ما علّموه الناس وأعظم ما بلّغوه الأمة الإسلامية هو التوحيد الذي جاء به الرسول ﷺ، بل من أجله أُرسل إلى العالمين، بعثه الله ليخرج الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، وقد أخبر الله عباده في كتابه أنه خلق الجن والإنس لأجل تحقيق العبادة له وحده لا شريك له فقال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].
فالتوحيد هو أوجب الواجبات وأفرض الفرائض، فحياة المسلم كلّها مبنية على هذا الأساس العظيم فهو عصمة أمره.

---

(١) أي: ربع الصاع. انظر النهاية لابن الأثير ٦٤٢/٢

(٢) أي: نصفه. انظر فتح الباري لابن حجر ١٩٥/١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب (دون عنوان) ٨/٥ برقم ٣٦٧٣.

(٤) أخرجه البغوي في شرح السنة ٢١٤/١.

ولما كانت منزلة التوحيد في الدين بهذه المنزلة العالية والمكانة السامية، والخلفاء الراشدون ﷺ من أشدّ الناس اتّباعاً وتأسياً بالنبيّ ﷺ، لابدّ أن يكون لهم أعمالٌ جسيمة وجهود عظيمة في حماية التوحيد كما حماه المصطفى ﷺ طول حياته.

لهذا أحببت أن يكون موضوع بحثي لنيل درجة العالمية (الماجستير) في دراسة ما نُقل عنهم فيما يتعلّق بحماية التوحيد، فكان عنوان الرسالة:

(حماية الخلفاء الراشدين جناب توحيد ربّ العالمين وأثر ذلك على الأمة).

موضوع البحث:

موضوع البحث هو تتبّع وجمع الأعمال التي قام بها الخلفاء الراشدون ﷺ لتحقيق حماية التوحيد نظراً لأهمية هذا الأصل العظيم ومكانته الرفيعة في دين الإسلام.

أبرزت جهود الخلفاء الراشدين ﷺ في حماية التوحيد والمحافظة عليه، وذكرت هذه الجهود في هذا الجانب ثم أقوم بتحليلها بعد ترتيبها سواء حُقِقت هذه الحماية عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أم بسد الذرائع وقطع الأسباب المؤدية إلى الشرك أم ما جاء على سبيل التعليم وغير ذلك من الأمور التي حقق بها الخلفاء الراشدون ﷺ حماية التوحيد من جهة الاعتقادات أو الأقوال أو الأفعال.

.

أهمية الموضوع:

تتلخص أهمية الموضوع فيما يلي:

أولاً: أن التوحيد هو أصل الدين وأساسه وأوّله وآخره، به أرسل الله الرسل وأنزل الكتب فهو الحكمة من خلق الخلق.

فلا يصح عمل ولا تُقبل عبادة إلا بتحقيق التوحيد، فهو منطلق دعوة الرسل، فما من رسول إلا وقد بدأ دعوته بالتوحيد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل: ٣٦].

فالتوحيد هو حق الله على العبيد، وأوّل ما يجب على المكلّف. ومن هنا تتبيّن أهمية العناية به ودراسته في حق المسلم فضلاً عن طالب العلم.

ثانياً: أن هذه الأمة المباركة مأمورة باتباع الصحابة والاقتداء بهم وأن تسلك سبيلهم بل أمرها الرسول الكريم ﷺ أن تتمسّك بسنة الخلفاء الراشدين ﭫ، ففي الحديث الصحيح عن العرباض بن سارية(١) قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت(٢) منها القلب وذرفت(٣) منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنّتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسّكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ(٤)"(٥).

---

(١) هو: العرباض بن سارية السلمي، من أعيان أهل الصفة، صحابي جليل، سكن حمص، توفي عام ٧٥هـ. انظر السير للذهبي ٤٢٠/٣.

(٢) الوجل هو الفزع. انظر النهاية لابن الأثير ٨٢٧/٢.

(٣) أي: إذا جرى دمعها. المصدر نفسه ٦٠٣/١.

(٤) تطلق النواجذ على الأنياب والأضراس، فالمراد هنا: تمسكوا بها كما يتمسك العاضّ بجميع أضراسه. انظر النهاية لابن الأثير ٧١٣/٢ وفتح الباري لابن حجر ٣٧٤/١١.

(٥) رواه أبو داود في كتاب السنة باب لزوم السنة ص ٨٣٢ برقم ٤٦٠٧.

فيتعين لمن أراد أن يكون على ما كان عليه الصحابة خصوصاً الخلفاء الأربعة، أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين وعلي أبو السبطين رضي الله عنهم أن يدرس سيرتهم حتى يطّلع على أحوالهم ويتعرف على حياتهم وكيف كانت علاقتهم بالله.

.

أسباب اختيار الموضوع

دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عدة أسباب، أهمها ما يلي:

أولاً: تبصير المسلمين بمفهوم التوحيد ومعناه وبيان مقتضاه، وبالتالي لفت الأنظار إلى وجوب الاهتمام والعناية به وتحذيرهم من أنواع الشرك وما ينقضه أو ينقصه، ويدخل في هذا كشف بعض الشبهات في مسائل التوحيد ومعرفة ما يطرأ عليه من أفكار هدّامة خاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه المفاهيم الخاطئة.

ثانياً: لم يُبحث هذا الموضوع -حسب علمي- في كتب مفردة أو دراسات علمية على شكل رسائل جامعية وإن كانت بعض مسائله متناثرة في بطون الكتب، فرأيت من المهم والمفيد أن أجمع مسائل الموضوع في موضع واحد لتعمّ فائدتها وتُسدّ الحاجة لمثل هذا الموضوع ويسهل على طلبة العلم دراسته.

ثالثاً: بيان جهودهم في حماية التوحيد والمحافظة عليه وحرصهم على مقاومة المنحرفين فيه وبالتالي إظهار بهتان وكذب من استدل بهم على الشرك ومن ينسب إليهم ما يخالف عقيدة التوحيد، ففيه إبراء الخلفاء الراشدين من الشرك وأهله.

رابعاً: الرغبة الشخصية لنصرة الدين وخدمة له، والازدياد من معرفة ودراسة مسائل الاعتقاد نظراً لأهميته وما يترتب على ذلك من ثمرات.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في الرسائل الجامعية والاتصال بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، لم أجد رسالة علمية بعنوان بحثي المقّدم، كما أنّني لم أجد بحثاً تعرض لموضوع بحثي ولكن أذكر رسالة جامعية لها نوع الصلة ما ببحثي وهي: "جهود الصحابة رضي الله عنهم في تقرير العقيدة والدفاع عنها". رسالة علمية مقدمة لنيل الدرجة العالمية العالية الدكتوراه (عام ١٤٢١هـ) في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض من الباحثة: لؤلؤة بنت محمد المطرودي.

الفروق بين هذه الرسالة والبحث المقدم:

ذكرت الباحثة في رسالتها عدداً كبيراً من المسائل العقدية على سبيل التقرير وليس على سبيل الدفاع عنها أو في مقام الحماية، ثم هذه المسائل المقرَّرة تمثِّل أكثر المادة العلمية من الرسالة وهي ما يلي: التوحيد، أصول الإيمان (الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر)، الصحابة، الإمامة، مسائل الإيمان (كتعريف الإيمان وزيادة الإيمان ونقصانه والحكم على مرتكب الكبيرة. . .). وهذه المسائل قُرِّرتْ بالنظر إلى جميع الصحابة لا الخلفاء الراشدين فقط، علماً بأن الآثار التي استدلت بها الباحثة على تقرير التوحيد أكثرها ليست من الخلفاء الراشدين. وأما ما أوردته الباحثة من مسائل في حماية التوحيد فأوردتها على سبيل الإجمال والاختصار كما سأبيّنه في الوجه السادس الآتي:

أما بحثي يختلف عما كتبته الباحثة وذلك من وجوه:

الوجه الأول: فهو من جهة الموضوع بذاته إذ بحثي يتركز في حماية التوحيد وما هي الأعمال التي قدّمها الخلفاء الراشدون ﷺ لتحقيقها بينما الرسالة المذكورة فهي بحث متعلّق بأهم أصول العقيدة عند أهل السنة والجماعة. فصاحبة الرسالة بحثت في العقيدة عموماً أما بحثي أخص من ذلك إذ هو في حماية التوحيد.

الوجه الثاني: أن هذه الرسالة أوردت المسائل المتعلّقة بحماية التوحيد على سبيل الإجمال والاختصار (علماً بأن هذه المسائل قليلة كما سأبيّنه) بينما بحثي يشتمل على حماية التوحيد بتفصيل وتوسع.

الوجه الثالث: أن صاحبة الرسالة بحثتْ في أقوال وأفعال جميع الصحابة بينما بحثي يقتصر على الخلفاء الراشدين فقط، وليس جميع الصحابة.

الوجه الرابع: أن الرسالة المذكورة غلب فيها جانب تقرير العقيدة على جانب الدفاع عنها، فالرسالة ركّزت على جانب تقرير العقيدة أكثر من جانب الدفاع عنها، فهي قرّرت عموم أصول عقيدة أهل السنة والجماعة من غير أن تجعل مبحثاً أو مطلباً متعلقاً بالدفاع عن هذه الأصول وحمايتها بينما بحثي متعلق بحماية التوحيد لا العقيدة كلّها، ويهدف إلى إبراز جهود الخلفاء الراشدين في تحقيق الحماية وليس بحثي في تقرير التوحيد فضلاً عن أصول العقيدة كما هو موجود في الرسالة المذكورة.

الوجه الخامس: لم تجعل الباحثة مبحثاً أو مطلباً يختص بعمل أحد الخلفاء الراشدين وإنما ذكرتْ بعض الآثار عنهم على سبيل الإجمال والاختصار مطابقة لمبحث أو مطلب.

الوجه السادس: رغم كون عنوان هذه الرسالة ينصّ على الدفاع عن العقيدة إلا أنها لم تتطرق لموضوع حماية التوحيد في بابي الربوبيّة والأسماء والصفات نهائياً.

أما في باب الربوبيّة فقد اكتفتْ الباحثة بتقرير الربوبيّة وأوردتْ في هذا التقرير أربعة آثار ليست عن أحد من الخلفاء الراشدين، ثم لم تذكر في هذا الباب مبحثاً أو مطلباً في حماية التوحيد بينما بحثي يشتمل على خمسة مباحث وقد تزيد المباحث على هذا العدد نظراً لكثرة الآثار الموقوفة عن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

أما في باب توحيد الأسماء والصفات اكتفت كذلك الباحثة بجانب التقرير في هذا الباب ولم تُخصِّص مبحثاً أو مطلباً في حماية التوحيد بينما بحثي فهو على عكس ذلك تماماً إذ جعلتُ فيما يتعلّق بحماية التوحيد في باب الأسماء والصفات فصلاً كاملاً يتكوَّن من ستة مباحث إلى حد الآن، وقد تضاف مباحث أخرى فيما بعد.

أما في باب الألوهية بعد تقريره فلم تورد الباحثة فيه إلا مبحثاً في محاربة الشرك بأنواعه مشتملاً على ستة مطالب في الحلف بغير الله، السحر، الرقية والتمائم والتولة، الطيرة، التوسّل، الكهانة والعرافة والتنجيم، وألحقت به محاربة وسائل الشرك في مطلبين أحدهما متعلق بالتبرّك والآخر متعلق بالتصوير، علماً بأن هذه المطالب كلّها (أي: الثمانية) هي بالنظر إلى جميع الصحابة لا الخلفاء الراشدين فقط، بل بعض من هذه المسائل لم يُذكر فيها آثار عن

.

الخلفاء الراشدين قط كالتولة والتمائم والعرافة والتنجيم والطيرة[١] فلم تذكر الباحثة في هذه المسائل آثاراً عنهم البتة، فقد فاتها عدد من الآثار عنهم في كثير من المسائل، كما أن الباحثة لم تتوسع فيما ذكرت من حماية التوحيد، وهذا من جهتين، أما الأولى فهي من جهة باب الألوهية، فالرسالة لم تستوعب جميع المسائل في باب الألوهية فيما يتعلّق بالحماية بل عدد المسائل قليلة كما أشرت إلى ذلك، أما الجهة الثانية فهي من جهة مسائل حماية التوحيد بذاتها إذ لم تفصّل الباحثة فيها بينما بحثي يشتمل على حماية التوحيد في جميع أقسام التوحيد، في الربوبيّة والألوهية والأسماء والصفات بتوسع وتفصيل في الجهتين، في جهة الباب وجهة مسائله بذاتها.

وسيأتي تفصيل بحثي فيما يتعلّق بحماية التوحيد في باب الألوهية في خطة البحث الآتية، ومن خلال ذلك تتبيّن المسائل الزائدة على ما ذُكر سابقاً. فتبيّن بعد هذا، الفرق الواضح بين الرسالتين.

---

(١) سيأتي تعريف هذه الكلمات.

خطة البحث:

الرسالة تشتمل على مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على افتتاحية وموضوع البحث وأهميته، وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهج البحث.

التمهيد: التعريف بمفردات العنوان وفيه خمسة مباحث.

المبحث الأول: تعريف الحماية وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: تعريف الحماية لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: حماية النبيّ ﷺ لجناب التوحيد.

المطلب الثالث: الأمور التي تتحقق بها حماية التوحيد.

المطلب الرابع: الجهات التي تتحقق فيها حماية التوحيد.

المبحث الثاني: تعريف التوحيد وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: التوحيد لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية التوحيد وفضائله.

المطلب الثالث: بيان أقسام التوحيد.

المطلب الرابع: الانحراف في مفهوم التوحيد.

المبحث الثالث: التعريف بالخلفاء الراشدين وفيه مطلبان.

المطلب الأول: تعريف الخلفاء الراشدين.

المطلب الثاني: تحديد الخلفاء الراشدين وبيان خلافة النبوّة.

المبحث الرابع: ترجمة موجزة للخلفاء الراشدين وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: ترجمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

المطلب الثاني: ترجمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

المطلب الثالث: ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

المطلب الرابع: ترجمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

المبحث الخامس: أصول ومباحث عقدية متعلقة بالخلفاء وفيه أربعة مطالب.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في تفرد الله بالنفع والضر.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المبحث الرابع: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في تفرد الله بالنصر وهو صانع ذلك. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التعريف بالنصر وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في تفرد الله بالنصر وهو صانع ذلك.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المبحث الخامس: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب القضاء والقدر. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التعريف بالقضاء والقدر وما يتعلّق بهما.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب القضاء والقدر.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

الفصل الثاني: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب الأسماء والصفات. وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في النهي عن التسمّي بالأسماء المختصّة بالله. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التعريف بالاسم وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في النهي عن التسمّي بالأسماء المختصّة بالله.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المبحث الثاني: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في النهي عن تسمية المخلوق بما يتضمن نقصاً لله. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالصفة والنقص وما يتعلّق بهما.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في النهي عن تسمية المخلوق بما يتضمن نقصاً لله.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المبحث الثالث: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في إنكار مضاهاة الله وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التعريف بالمضاهاة وما يتعلّق بها.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في إنكار مضاهاة الله.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المبحث الرابع: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في إنكار الخوض في كيفية صفات الله وما يؤدّي إلى جحد بها. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التعريف بالكيفية وما يتعلّق بها.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في إنكار الخوض في كيفية صفات الله وما يؤدّي إلى جحد بها.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المبحث الخامس: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب كلام الله. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التعريف بكلام الله وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب كلام الله.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المبحث السادس: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب المشيئة. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التعريف بالمشيئة وما يتعلّق بها.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب المشيئة.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

الباب الثاني

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في التوحيد العملي. وفيه فصلان:

الفصل الأول: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد فيما يتعلّق بالأعمال المشروعة. وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب الدعاء. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التعريف بالدعاء وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب الدعاء.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المبحث الثاني: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب الحلف. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التعريف بالحلف وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب الحلف.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المبحث الثالث: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب التوسّل. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التعريف بالتوسّل وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب التوسّل.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المبحث الرابع: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب الرقية. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التعريف بالرقية وما يتعلّق بها.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب الرقية.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المبحث الخامس: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب الإخلاص بالتحذير من الرياء. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التعريف بالإخلاص وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب الإخلاص والتحذير من الرياء.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المبحث السادس: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب التوكّل. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التعريف بالتوكّل وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب التوكّل.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المبحث السابع: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب الخوف والرجاء والمحبة. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التعريف بالخوف والرجاء والمحبة وما يتعلّق بذلك.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب الخوف والرجاء والمحبة.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المبحث الثامن: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب الذبح. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التعريف بالذبح وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب الذبح.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المبحث التاسع: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب طاعة الله ورسوله والتحاكم إليهما. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالحكم وما يتعلّق به.

المبحث الخامس: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في النهي عن الغلو. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التعريف بالغلو وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في النهي عن الغلو.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المبحث السادس: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في التحذير من الصور والتماثيل وما يتعلّق بها. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التعريف بالصورة والتمثال وما يتعلّق بهما.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في التحذير من الصور والتماثيل وما يتعلّق بها.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المبحث السابع: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في التحذير من عبادة القبور وما يتعلّق بها. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التعريف بالقبر وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في التحذير من عبادة القبور وما يتعلق بها.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المبحث الثامن: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في النهي عن تتبّع آثار الأنبياء وتعظيم الأماكن من غير دليل. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التعريف بالآثار وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في النهي عن تتبع آثار الأنبياء وتعظيم الأماكن من غير دليل.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المبحث التاسع: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في التحذير من الردّة ومحاربة المرتدين. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التعريف بالردّة وما يتعلّق بها.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في التحذير من الردّة ومحاربة المرتدين.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المبحث العاشر: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في محاربة المتنبئين. وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: التعريف بالنبيّ وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في محاربة المتنبئين.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المبحث الحادي عشر: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في التحذير من التشبه بالمشركين ومشاركتهم في عاداتهم وعباداتهم وغير ذلك. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالتشبّه وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في التحذير من التشبه بالمشركين ومشاركتهم في عاداتهم وعباداتهم وغير ذلك.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المبحث الثاني عشر: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في إجلاء المشركين من الجزيرة العربية ومنعهم من إظهار شعائر دينهم. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالإجلاء وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في إجلاء المشركين من الجزيرة العربية ومنعهم من إظهار شعائر دينهم.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

الخاتمة: تتضمن أهم نتائج البحث. الفهارس العلمية وذلك على النحو الآتي:

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث.

فهرس الآثار.

منهج البحث:

سرت في هذا البحث على النهج الآتي:

١) عزو الآيات القرآنية بذكر سورها وأرقامها مع كتابتها بالرسم العثماني.

٢) عزو الأحاديث النبوية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما أو أحدهما وما لم يكن فيهما عزوته إلى مظانه من كتب السنة مع ذكر كلام أهل العلم في بيان درجته.

٣) تخريج الآثار تخريجاً مختصراً مع الحكم عليها من خلال كلام أهل الحديث.

٤) توثيق النصوص والنقول من مصادرها الأصيلة.

٥) ترجمة الأعلام غير المشهورين ترجمة موجزة.

٦) شرح الألفاظ الغريبة والمصطلحات العلمية الواردة في البحث.

٧) التعريف بالأماكن والبلدان والقبائل والطوائف وكل ما يحتاج إلى تعريف.

٨) الالتزام بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

٩) تذييل البحث بفهارس فنية على نحو المبين في الخطة.

١٠) أسلك المنهج الاستقرائي والتحليلي.

وفي الختام أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل أعمالنا كلّها خالصة لوجهه الكريم وأن يجعلها موافقة لسنة رسوله ﷺ وأن يوفّق الجميع لما يحبه ويرضاه، إنه وليّ ذلك والقادر عليه وصلى الله على نبيّنا محمد وسلّم تسليماً كثيراً.

تقدير وشكر

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم إلى يوم الدين. وبعد:

فأولاً إني أشكر الله تعالى على نعمه الكثيرة التي لا تعدّ ولا تحصى، ومن هذه النعم أن وفّقني لطلب العلم الشرعي، وأمدّني بعونه وتوفيقه على إتمام هذه الرسالة، فله الحمد وله الشكر لا أحصي ثناء عليه، وأسأله سبحانه وتعالى المزيد، وقد وعد عباده بذلك لمن شكره قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾إبراهيم: ٧.

ثم عملاً بقول النبي ﷺ: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"(١)، فإني أشكر والديَّ الكريمين الذين بذلا جهداً عظيماً في تربيتي ورعايتي في الصِّغر، وقد كان لوقوفهما معي الأثر البالغ في مواصلة مسيرتي العلمية، فأسأل الله الكريم الرزاق المنّان أن يمنّ عليهما بما أنفقا عليّ بالعافية والسلامة في الدنيا والآخرة، ويبارك لهما في أولادهما ومالهما وعمرهما وصحتهما، ويحسن خاتمتهما على التوحيد وسنة الرسول ﷺ، ويدخلهما فسيح جناته.

ثم يطيب لي أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير لحكومة هذه البلاد وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز على ما تقدمه لخدمة الإسلام وأهله، ومن ذلك هذه الجامعة الإسلامية التي تستقبل أبناء المسلمين من أرجاء المعمورة.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل للجامعة الإسلامية المباركة، على ما أتاحت لي من فرصة للدراسة في هذه الجامعة العريقة وللنيل من علومها على أيدي المشايخ الكرماء والعلماء الفضلاء.

---

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب في شكر المعروف ص ٧٨٢ برقم ٤٨١١. وصحح الحديث الشيخ الألباني.

كما أتقدّم بشكري وتقديري إلى القائمين على كلية الدعوة وأصول الدين، والقائمين على قسم العقيدة فيها، على ما أبدوه من عناية بالعلم وطلّابهم، سائلاً الله الكريم القدير أن يُثيبهم أحسن الإثابة.

كما يطيب لي أن أشكر فضيلة شيخي الوالد الأستاذ الدكتور/ محمد بن عبد الوهاب العقيل الذي تفضّل بالإشراف على هذه الرسالة، فكان نعم المشرف في كل شيء علماً وخلقاً وتعاوناً وتواضعاً، فجزاه الله أحسن الجزاء، ومنّ عليه بالصحة والعافية، وبارك له في علمه وذريته.

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى الشيخين الكريمين الدكتور عارف السحيمي والدكتور عبد الكريم الرحيلي الذين تفضلا لقراءة هذا الرسالة لتقويمها وتسديدها.

كما أشكر كل من قدّم لي عوناً أياً كان من الشيوخ والأساتذة والزملاء، ولكل من ساهم في إخراج هذا البحث.

وفي الختام: أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يكتب لي التوفيق وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه وأن ينفع به المسلمين ويتقبلَه مني.

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيّنا محمد وسلّم تسليماً كثيراً.

التمهيد :

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الحماية .

المبحث الثاني: تعريف التوحيد .

المبحث الثالث: التعريف بالخلفاء الراشدين.

المبحث الرابع: ترجمة موجزة للخلفاء الراشدين.

المبحث الخامس: أصول ومباحث عقدية متعلقة بالخلفاء .

المبحث الأول:

تعريف الحماية.

وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: تعريف الحماية لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: حماية النبيّ ﷺ لجناب التوحيد.

المطلب الثالث: الأمور التي تتحقق بها حماية التوحيد.

المطلب الرابع: الجهات التي تتحقق فيها حماية التوحيد.

المطلب الأول: تعريف الحماية لغة واصطلاحاً.

الحماية **لغة:** أصل الكلمة في اللغة مأخوذ من حمى، وهو فعل ثلاثي متعد، حميتُ، أحمي، احْمِ، مصدر حمْي، حِمْية، حماية. "حمى الشر منه": منعه ودفعه عنه(١).

معانيها:

١- المنع: يقال: حمى الشيء يحميه حماية بالكسر: أي: منعه، وحمى المريض ما يضره: منعه إياه، وتحمّى: امتنع، والحمِيّ: المريض الممنوع من الطعام والشراب، ويقال: حميت المكان: منعته أن يُقرب(٢).

٢- النصرة والدفاع والذّب: يقال: حميت القوم حماية أي: نصرتهم وذببت عنهم(٣).

ومن ذلك ما رُوي عن النبيّ ﷺ أنه قال: "من حمى مؤمناً من منافق" أُرَاهُ قال "بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم"(٤).

وبوّب الإمام أبو داود هذا الحديث في سننه بقوله: "باب الرجل يذب عن عرض أخيه".

وقال الشيخ محمد شمس الحق العظيم آبادي(٥): "معنى يذبّ يدفع، (من حمى) من الحماية أي: حرس وحفظ"(٦). فكلّ شيءٍ دفعت عنه فقد حميته.

أنشد أبو طالب عمّ النبيّ ﷺ: أذب وأحمي رسول المليك حماية حان عليه شفيق(٧).

---

(١) انظر الصحاح للجوهري ٢٣١٩/٦، وأساس البلاغة للزمخشري ٢١٦/١.

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور ٢٣٩/٤، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٢٧٦.

(٣) انظر كتاب الأفعال لابن القطاع ٢٦٠/١.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه في أول كتاب الأدب باب الرجل يذب عن عرض أخيه ص ٨٨٣ برقم ٤٨٨٣ وحسنه الشيخ الألباني.

(٥) محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، من أهل (عظيم آباد) في الهند علامة بالحديث، قرأ الحديث في دلهي، له مؤلفات منها التعليق المغني على سنن الدارقطني، توفي عام ١٣٢٩هـ. انظر الأعلام للزركلي ٣٩/٦.

(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود ١٧٢/٧.

(٧) ديوان أبي طالب بن عبد المطلب تحقيق محمد حسن آل ياسين ص ١١٢.

٣- الاتقاء: يقال: احتمى الرجل من كذا أي: اتقاه[١].

٤- الحمى شيء يدافع عنه ويحظر الاقتراب منه، وعند الفقهاء هو الموضع فيه كلأ يحمى من الناس أن يرعى لمصلحة المسلمين، فالحمى بمعنى المحمي، مصدر يراد به اسم المفعول[٢].

ومن ذلك حديث النعمان بن بشير[٣] ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول - وأهوى النعمان بإصبعيه إلى أذنيه-: "إن الحلال بيّن، والحرام بيّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمهنّ كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ[٤] لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[٥].

قال النووي[٦]: "معناه أن الملوك من العرب وغيرهم يكون لكل ملك منهم حمى يحميه عن الناس ويمنعهم دخوله، فمن دخله أوقع به العقوبة ومن احتاط لنفسه لا يقارب ذلك

---

(١) انظر أساس البلاغة للزمخشري ٢١٦/١.

(٢) انظر تهذيب اللغة للأزهري ١٧٧/٥وشرح صحيح البخاري لابن بطال ٥٠٥/٦.

(٣) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري، الأمير، العالم، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، كان من أمراء معاوية؛ ولاه الكوفة مدة، ثم ولي قضاء دمشق بعد فضالة، ثم ولي إمرة حمص. قيل توفي ٦٤هـ. انظر السير للذهبي ٤١٢/٣.

(٤) أي: حصل له البراءة لدينه من الذم الشرعي وصان عرضه عن كلام الناس فيه. انظر شرح صحيح مسلم للنووي: ٣٠/١١.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات ١٢١٩/٣ برقم ١٥٩٩.

(٦) يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا،: علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوى (من قرى حوران، بسورية) واليها نسبته، تعلم في دمشق، وأقام بها زمنا طويلا، كان يحيى رحمه الله سيدا وحصورا وليثا على النفس هصورا وزاهدا لم يبال بخراب الدنيا إذا صير دينه ربعا معمورا له الزهد والقناعة ومتابعة السالفين من أهل السنة والجماعة توفي ٦٧٦هـ. انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٩٥/٨.

الحمى خوفاً من الوقوع فيه، ولله تعالى أيضاً حمى وهي محارمه أي: المعاصي التي حرمها الله... وفي هذا الحديث التأكيد على السعي في صلاح القلب وحمايته"(١).

فمن خلال العرض السابق لأصل كلمة حماية وما يُشتقّ منها، يتبيّن لنا أن معاني كلمة الحماية تدور حول: المنع والحفاظ والدفاع والنصرة والصيانة والحراسة، ومعاني هذه الألفاظ كلّها متقاربة من حيث مدلولها اللغوي.

الحماية اصطلاحاً:

من خلال الاطلاع على كلام أهل العلم(٢) في استعمال كلمة الحماية في الشرع لم يتبيّن لي فرق كبير بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، فتدور معانيها الواردة في الشرع حول المعاني اللغوية إلا أنه يختلف نوع الحماية حسب ما يُضاف إليه، وبناءً على هذا يمكن أن يقال: إن المقصود من الحماية في هذا البحث هو: **صيانة التوحيد ودفاعه عن ما ينقضه أو ينقصه ومنع ما دنا منه من قوادح مع سد الطرق الموصلة إلى الشرك**.

يلاحظ أن هذا التعريف يشتمل على ثلاث خصال:

الأولى: حماية التوحيد نفسه.

الثانية: حماية ما حول التوحيد.

الثالثة: سد الذرائع المفضية إلى الشرك(٣).

فيتبيّن من التعريف السابق وما تضمنه من خصال أن المقصود من حماية التوحيد أشمل مما قد يظنه بعض الناس، فالنبيّ ﷺ ثم الخلفاء الراشدون ﷺ حموا جناب التوحيد، والجناب هو الجانب، أي: بعض الشيء، فهم قاموا بالحماية للتوحيد نفسه، كما أنهم حموا حمى التوحيد، والحمى هو ما حول الشيء كالفناء والناحية، أي: صانوا ما حول التوحيد.

---

(١) شرح صحيح مسلم ١١/٣٠.

(٢) انظر معالم السنن للخطابي ٣/٤٩ والجواب الكافي لابن القيم ص ١٦٢ وعون المعبود شرح سنن أبي داود لمحمد شمس الحق العظيم آبادي ٧/١٧٢.

(٣) سد الذرائع قاعدة في الإسلام، وسيأتي تفصيل ذلك في المطلب الثالث من هذا المبحث إن شاء الله.

ولهذا لم يقتصر النبيّ ﷺ والخلفاء الراشدون ﵃ في حماية التوحيد على حماية الأصل، بل حموا الأصل وحموا ما قارب التوحيد وما دنا منه فضلاً عن حماية التوحيد نفسه، كل ذلك من باب العناية الكاملة التامة بهذا الأمر الذي هو حق الله على العباد، وهذا مما يدل على أهمية التوحيد وعظمة شأنه في الإسلام(١).

وقد عقد العلامة محمد بن عبد الوهاب(٢) إمام الدعوة رحمه الله في كتابه "كتاب التوحيد" بابين ينصّان على الخصال الثلاث المشار إليها في التعريف الاصطلاحي السابق فقال: "باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك"(٣). و"باب ما جاء في حماية النبيّ ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك"(٤).

قال سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز(٥) رحمه الله: "جناب التوحيد أي: جانبه، فجناب الشيء: جانبه، وحماية التوحيد بأن يحمي حماه، وحماه: ما كان وراءه وخارجاً منه، وجنابه جزء منه، وقد حمى التوحيد نفسَه وحمى حماه أيضاً، لأن التوحيد هو أهم الواجبات وأعظمها، والشرك أعظم الذنوب وأشدّها خطراً، فلا جرم أن جاءت الرسالة بحماية جناب التوحيد، وحماية حماه من الشرك بأنواعه"(٦).

---

(١) انظر كتاب إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ الدكتور صالح الفوزان ٣٠٨/٢.

(٢) المجدد محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي، ولد ١١١٥هـ في العيينة، هو الإمام العلامة الشهير، وهو صاحب النهضة الدينية والدعوة السلفية، موقظ الجزيرة العربية من سبات الأوهام ومحررها رحمه الله من عقل البدع وعبادة الأصنام، توفي عام ١٢٠٦هـ. انظر مشاهير علماء نجد لعبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ ص ١٦.

(٣) كتاب التوحيد (مجموع مؤلفاته) ٦٦/١.

(٤) المصدر نفسه ١٤٦/١.

(٥) العلامة المحدث الفقيه، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد آل باز، ولد في مدينة الرياض سنة ١٣٣٠هـ، له أعمال كثيرة منها: القضاء، التدريس، الفتوى وغير ذلك من الأعمال الجسيمة، توفي عام ١٤٢٠هـ رحمه الله. انظر كتاب الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله نموذج من الرعيل الأول للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد ص ٤.

(٦) الفوائد العلمية من الدروس البازية ١٢٠/١.

وعنوان البحث يشمل هذه الخصال الثلاثة إذ أن من أراد حماية التوحيد حمايةً تامة حمى التوحيد نفسه وحمى ما حوله وسدّ الطرق المفضية إلى الشرك وما ينقص من التوحيد، ولا شكّ أن الخلفاء الراشدين ﷺ تنطبق عليهم هذه الأوصاف بل هم أولى الناس بعد الأنبياء بالاتصاف بهذه الخصال الحميدة.

.

المطلب الثاني: حماية النبيّ ﷺ لجناب التوحيد.

معلوم أن قبل بعثة النبيّ ﷺ أطبق على العالم جهل عميق، كان الناس يعيشون في ضلال وظلمات الشرك والكفر بجميع أنواعهما، لم يكد أن يبقى شيء من الأديان السماوية إلا وهو منحرف، تحوّلت عقيدتهم، فاستبدلوا التوحيد الذي جاء به أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام بعبادة الأوثان، ولم تسلم العرب من هذه الأوضاع الشنيعة، بل كانت حالتهم من أسوأ ما يكون سواء أكانت دينية أو اجتماعية أو اقتصادية أو غير ذلك من جوانب الحياة، ويشهد لذلك قول المقداد بن الأسود[(١)] رضي الله عنه: "والله لقد بعث الله النبيّ ﷺ أشدّ حال بعث عليها فيه نبي من الأنبياء في فترة وجاهلية ما يرون أن ديناً أفضل من عبادة الأوثان"[(٢)].

فالحاصل أنهم كانوا في تخلف وضلال كبير، فمنّ الله عليهم ببعثة النبيّ ﷺ محمد خير خلق الله لإخراج الناس من الظلمات إلى النور قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فأرسل الله رسوله ﷺ بالهدى ودين الحق كافة للناس بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، فأتم الله به الرسالة وفتح برسالته أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألفت به القلوب بعد شتاتها، فأقام الحجة وأبان المحجة وأوضح السبيل، فأدّى الأمانة، وبلّغ الرسالة، ونصح الأمة، وبيّن للناس ما نُزّل إليهم وعلّمهم كل ما يحتاجون إليه، ما ترك شيئاً مما يقربهم إلى الله إلا بيّنه إيّاهم وما

---

(١) المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك الكندي صاحب رسول الله ﷺ وأحد السابقين الأوّلين. ويقال له: المقداد بن الأسود؛ لأنه ربي في حجر الأسود بن عبد يغوث الزهري، فتبناه، وقيل: بل كان عبدا له، أسود اللون، فتبناه. مات في سنة ٣٣هـ، وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه. انظر السير للذهبي ٣٨٧/١.

(٢) رواه أحمد في مسنده ٢٣٠/٣٩. قال محقق الكتاب الشيخ الأرنؤوط: "إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير يعمر بن بشر وهو ثقة".

ترك شيئاً يُبعدهم عن الله إلا حذّرهم منه، فعلّم ﷺ أصحابه كل شيء قال أبو ذر(١) رضي الله عنه: "تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكرنا منه علمًا"(٢).

ومما لا شكّ فيه أن التوحيد هو أوّل ما بيّنه النبيّ ﷺ وأعظم ما علّمه لأمته، وعلى رأسها الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، لأن التوحيد هو أعظم المقاصد وأجل الغايات وأسمى الأهداف، وأكبر المطالب(٣).

فكان التوحيد هو منطلق دعوة الرسول ﷺ، فبيّن هذا الأمر لأمته بياناً كاملاً وما يجب من اعتقاده في الربوبيّة والألوهية والأسماء والصفات. بل مكث في مكة ثلاث عشرة سنة يعلّم الناس التوحيد وينهاهم عن الشرك قبل أن يعلّمهم سائر الفرائض كالصوم والزكاة والحجّ وغير ذلك من أحكام الشريعة، وهذا مما يدل دلالة واضحة على وجوب عناية التوحيد.

ولما كان التوحيد هو المقصد الأسنى، وكانت منزلته رفيعة لم يكتف النبيّ ﷺ بتعليم التوحيد والدعوة إليه، بل حمى التوحيد أعظم الحماية ونافحه أشدّ المنافحة وسدّ جميع الطرق المفضية إلى الشرك. فالناظر في سيرة النبيّ ﷺ وسنته يرى أن أحاديث رسول الله قد تكاثرت وتواترت في بيان حماية المصطفى جناب التوحيد وصيانته من مظاهر الشرك، وقد أبلغ النهي عنها.

فقد اعتنى النبيّ ﷺ بحماية التوحيد عناية فائقة، فجاهد وبالغ ﷺ وحذّر وأنذر، وأبدأ وأعاد، وخص وعم في صيانة الحنفية السمحة التي بعثه الله بها لأن الإسلام أشدّ الشرائع في التوحيد وأبعدها عن الشرك(٤).

والأمثلة على حمايته ﷺ للتوحيد أكثر من أن تُحصى، ولعلي أذكر بعضاً من هذه الشواهد والمواقف التي فيها دلالة على ما نحن في صدده:

حماية فعلية:

---

(١) أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، أحد السابقين الأولين، من نجباء أصحاب محمد ﷺ، وكان يفتي في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان. قيل توفي عام ٣١هـ وقيل ٣٢هـ. انظر السير للذهبي ٢/٤٦.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢/١٥٥. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/٤١٦.

(٣) سيأتي بيان ذلك في المبحث الثاني إن شاء الله.

(٤) انظر تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ٢٣٠.

١/ حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد في التحذير من اتخاذ قبره عيداً:

إن اتخاذ القبور عيداً فيه مفسدة عظيمة لأن ذلك ذريعة تفضي إلى الشرك وفي نفس الوقت هو معصية للرسول ﷺ، ويؤيد ذلك ما رواه أبو هريرة(١) عن النبيّ ﷺ أنه قال: "لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيدًا وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم"(٢).

والعيد اسم للوقت والمكان الذي يعتاد الاجتماع فيه(٣)، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان، والعيد مأخوذ من المعاودة والاعتياد، فإن كان اسماً للمكان فهو المكان الذي يقصد فيه الاجتماع وانتيابه للعبادة أو لغيرها، كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر، جعلها الله عيداً للحنفاء ومثابة، كما جعل أيام العيد فيها عيداً وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية، فلما جاء الله بالاسلام أبطلها وعوّض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى، كما عوضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر. فاتخاذ القبور عيداً هو من أعياد المشركين التي كانوا عليها قبل الإسلام"(٤).

ومن خلال كلام الإمام ابن القيم رحمه الله، يتبيّن لنا أن كلمة العيد لها إطلاقان، الأول للمكان والثاني للزمان وهو المشهور عند أكثر الناس، فمن تردد على القبور وجعلها محلاً للعبادة فقد وقع في النهي، أي: جعلها عيداً، ولا فرق بين قبر النبيّ ﷺ وسائر القبور في الحكم لأن قبر النبيّ ﷺ أفضل القبور على وجه الأرض ومع ذلك نهى ﷺ عن اتخاذه عيداً، فكيف ببقية القبور، فقبر غيره أولى بالنهي كائناً من كان(٥).

---

(١) أبو هريرة الدوسي عبد الرحمن بن صخر، الإمام، الفقيه، المجتهد، الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ، حمل عن النبيّ ﷺ علما كثيرا طيبا مباركا فيه، معروف بكتابة الأحاديث، بل هو من أكثر الناس رواية عن النبيّ ﷺ، توفي في المدينة عام ٥٧هـ. انظر السير للذهبي ٢/٥٧٨.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب المناسك باب زيارة القبور ص ٣٥٣ برقم ٢٠٤٢ قال ابن القيم في إغاثة اللهفان: "هذا إسناد حسن، رواته كلهم ثقات مشاهير" ١/٣٤٦.

(٣) انظر مقاييس اللغة لابن فارس ٤/١٨٣.

(٤) إغاثة اللهفان ١/٣٤٤.

(٥) انظر اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٤٣٥.

فالحاصل أن الرسول ﷺ نهى عن اتخاذ القبور عيداً صيانةً لتوحيد رب العالمين ولما يترتب على ذلك من المفاسد العظيمة كالصلاة إلى القبور والطواف بها وتقبيلها واستلامها وعبادة أصحابها والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات وغير ذلك من أنواع الشرك(١).

٢/ حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد في التحذير من أن يُذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله:

عن ثابت بن الضحاك(٢) قال: "نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلاً ببُوانة(٣) فأتى النبيّ ﷺ فقال إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة فقال النبيّ ﷺ: "هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ " قالوا: لا، قال: "فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ " قالوا: لا، قال النبيّ ﷺ: "أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم"(٤).

ففي هذا الحديث دلالة على أن النبي ﷺ كان ينهى عن الذبح لله في الأماكن التي يُذبح فيها لغير الله حماية للتوحيد، ما أكثرها اليوم كالقبور التي اتُّخذتْ آلهةً من دون الله، فلا يحلّ للمسلم أن يذبح في تلك الأماكن ولو كانت نيّته خالصةً لله، يقصد التقرب إلى الله لأن الذبح في هذا الحال وبهذه الصورة وسيلة إلى الشرك.

٣/ حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد في النهي عن الصلاة في أوقات معيّنة:

---

(١) انظر إغاثة اللهفان لابن القيم ١/٣٥٠.

(٢) ثابت بن الضحاك بن زيد الخزرجي، صحابي جليل، ولد سنة ٣هـ، يكنى أبا يزيد، سكن الشام وانتقل إلى البصرة ومات سنة ٤٥هـ، وقد قيل إنه مات في فتنة ابن الزبير، روى عنه من أهل البصرة أبو قلابة وعبد الله بن معقل. انظر الاستيعاب لابن عبد البر ١/٢٠٥.

(٣) بوانة هضبة وراء ينبع قريبة من ساحل البحر. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ١/٥٠٥.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأيمان والنذور باب ما يؤمر به من وفاء النذر ص ٥٩٤ برقم ٣٣. ٥. قال ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم: "أصل هذا الحديث في الصحيحين وهذا الإسناد على شرط الصحيحين وإسناده كلهم ثقات مشاهير وهو متصل بلا عنعنة" ص٢٩٤.

.

جاءت جملة من الأحاديث التي فيها أن النبيّ ﷺ نهى أمته عن الصلاة في بعض الأوقات كالصلاة عند وقت طلوع الشمس وغروبها، ومن تلك الأحاديث قوله ﷺ لعمرو بن عبسة(١): "صل صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان(٢)، وحينئذ يسجد لها الكفّار، ثم صل، فإن الصلاة مشهودة محصورة، حتى يستقل الظل بالرمح ثم أقصر عن الصلاة، فإن حينئذ تسجر جهنم فإذا أقبل الفيء(٣) فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتى تصلي العصر ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفّار"(٤).

وعن عبد الله بن عمر(٥) أن رسول الله ﷺ قال: "لا يتحرّى أحدكم فيصلي عند طلوع الشمس ولا عند غروبها"(٦).

وعن أبي سعيد الخدري(١) أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا صلاة بعد الصبح حتى ترتفع الشمس ولا صلاة بعد العصر حتى تغيب الشمس"(٢).

---

(١) عمرو بن عبسة بن خالد بن حذيفة السلمي، الإمام، الأمير، أبو نجيح السلمي، البجلي، أحد السابقين، ومن كان يقال: هو ربع الإسلام لعله مات بعد سنة ستين – فالله أعلم –، انظر السير للذهبي ٤٥٨/٢.

(٢) قال النووي: "قيل المراد بقرني الشيطان حزبه وأتباعه وقيل قوته وغلبته وانتشار فساده وقيل القرنان ناحيتا الرأس وأنه على ظاهره وهذا هو الأقوى". انظر شرح صحيح مسلم ١١٢/٦.

(٣) قال النووي: "معنى أقبل الفيء ظهر إلى جهة المشرق والفيء مختص بما بعد الزوال". انظر شرح صحيح مسلم ١١٧/٦.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب إسلام عمرو بن عبسة ٥٦٩/١ برقم ٨٣٢.

(٥) عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي، أسلم وهو صغير، ثم هاجر مع أبيه لم يحتلم، واستصغر يوم أحد، فأول غزواته الخندق، وهو ممن بايع تحت الشجرة، وهو من المكثرين عن النبيّ ﷺ، روى علما كثيرا نافعا، توفي عام ٧٣هـ وقيل ٧٤هـ. انظر الإصابة لابن حجر ٢٩٠/٦.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب مواقيت الصلاة باب لا يتحرّى الصلاة قبل غروب الشمس ١٢١/١ برقم ٥٨٥.

فهذه الأحاديث فيها دلالة واضحة على أن النبيّ ﷺ نهى أمته عن الصلاة في وقت طلوع الشمس وغروبها، والسر في النهي أن في هذا الوقت يسجد المشركون للشمس، فنهاهم ﷺ عن ذلك حتى لا تقع المشابهة بين المشركين والمسلمين فيفضي الأمر إلى الشرك، فيتبيّن أن منعه ﷺ للصلاة في هذه الأوقات من باب سد الذرائع ولحماية التوحيد، فلا يسع للمصلي أن يصلي عند طلوع الشمس وغروبها ولو كان يقصد بصلاته التعبد لله(٣).

٤/ حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد في النهي عن لُبس الحلقة لرفع البلاء:

كان من عادات الجاهلية أن الناس يعلّقون حلقة أو نحوها على أنفسهم أو على دابتهم أو على بيوتهم أو غير ذلك باعتقاد أن هذه الأشياء تجلب الخير وتدفع الشر.

ولا شك أن ذلك مناف للتوحيد لأن الله هو الحافظ، الذي يحفظ عباده من جميع ما يكرهون ويدفع عنهم المضار قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

فجميع الأمور ترجع إلى الله، وإذا تقرر هذا عند العبد عرف أنه لا ملجأ إلا إلى الله، فلا يُدعى إلا هو ولا يُستعان إلا به ولا يطلب إلا منه، فمن توكّل على الله كفاه، ولهذا أنكر النبيّ ﷺ على رجل لبس خاتم لرفع المرض فعن عمران بن حصين(٤) رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ رأى

---

(١) أبو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان، الصحابي الجليل، الإمام، المجاهد، مفتي المدينة، شهد أبو سعيد الخندق، وبيعة الرضوان، مات عام ٦٣هـ، وقيل ٦٤هـ. انظر السير للذهبي ١٦٨/٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب مواقيت الصلاة باب لا يتحرّى الصلاة قبل غروب الشمس ١٢١/١ برقم ٥٨٦.

(٣) انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ١٣٦.

(٤) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، القدوة، الإمام، صحابي جليل، أسلم هو وأبوه وأبو هريرة في وقت سنة سبع، وولي قضاء البصرة، وكان عمر بعثه إلى أهل البصرة ليفقههم، توفي عام ٥٢هـ. انظر السير للذهبي ٥٠٨/٢.

رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: "ما هذه"؟ قال: من الواهنة، فقال ﷺ: "انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا"(١).

فهذا الحديث فيه دلالة واضحة على عناية الرسول ﷺ واهتمامه بتحقيق التوحيد وحمايته، إذ بادر النبيّ ﷺ إلى إزالة هذا المظهر الشركي وبيّن أن الحلقة لا تملك نفعاً ولا ضراً، بل هي سبب لدخول النار ولهذا قال له ﷺ: "فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا". فهذا التوجيه النبوي من كمال حماية النبيّ ﷺ للتوحيد وبيانه للحق وتمام نصحه لأمته، ولهذا قال الله تعالى في وصف نبيّه ﷺ: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨]. أي: "هو ﷺ في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم، يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم، فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه"(٢).

حماية قولية:

١/ حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد في النهي عن المبالغة في المدح:

معلوم أن كثيراً من الأمم السابقة انحرفوا انحرافاً شديداً فيما يتعلّق بحق أنبيائهم ورسلهم، وهذا الانحراف الشنيع يدور ما بين الإفراط والتفريط، فموقف الأمم السابقة تجاه المصطفين من الأنبياء والرسل عليهم السلام ما بين الغلو فيهم والجفاء، واليهود على سبيل المثال هم الذين ظهر فيهم الجفاء في هذا الباب علماً بأنهم من أكثر الأمم أنبياء ورسلاً. فقد فرّطوا في أنبيائهم أشدّ التفريط وغلب عليهم التقصير، فخذلوا أنبياءهم ولم ينصروهم، كما أنهم فرّقوا بينهم، فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا بالبعض، ومن خبث اليهود أنهم تنقّصوا بعض الأنبياء عليهم السلام فوصفوهم بصفات رذيلة ونسبوا إليهم القبائح، ولم يكتفوا بالطعن فيهم، بل وصل الأمر إلى قتلهم، وقد أخبرنا الله ﷻ عن بعض هذه المواقف السيئة قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ

(١) رواه أحمد في مسنده ٢٠٤/٣٣. صححه الحاكم ووافقه الذهبي انظر المستدرك ٢٤٠/٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ السعدي ص ٣٥٦.

بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٥٠]. وقال ربّنا تعالى: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٠].

أم أهل الإفراط في هذا الباب هم النصارى، خاصةً في عيسى بن مريم عليه السلام، فقد غلتْ النصارى في حق هذا النبيّ الذي أُرسل إليهم، فرفعوه فوق مكانته وأنزلوه فوق المنزلة التي أنزله الله إيّاها، ومدحوه حتى وقعوا في الشرك الأكبر، فاتُّخِذ إلهاً من دون الله ووصفوه بأنه الله وتارة بأنه ابن الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، قال الله في كتابه: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[المائدة: ٧٢].

وقال الله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٧٧].

قال الإمام ابن جرير(١) رحمه الله في تفسيره: "لا تفرطوا في القول فيما تدينون به من أمر المسيح فتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل فتقولوا فيه هو الله أو هو ابنه ولكن قولوا هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه"(٢).

ولما كان نبيّنا محمد ﷺ أنصح الناس للخلق حذّر أمته من هذا الصنيع القبيح ونهاهم عن هذه الصفة الذميمة لأن الزيادة في المدح والمبالغة فيه أمر يؤدّي إلى الشرك، ولهذا قال الرسول الكريم ﷺ: "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله"(٣). والإطراء هو مجاوزة الحد في المدح والكذب(١).

---

(١) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الامام. ولد سنة ٢٢٤هـ صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان، وطلب العلم بعد الأربعين ومئتين، وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علما، وذكاء، وكثرة تصانيف. قل أن ترى العيون مثله. وعرض عليه القضاء فامتنع، توفي سنة ٣١٠هـ. انظر السير للذهبي ١٤/٢٦٧.

(٢) جامع البيان ١٠/٤٨٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء، باب ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ﴾ [مريم: ١٦] ٤/١٦٧ برقم ٣٤٤٥.

فالحديث فيه نهي النبيّ ﷺ أمته عن التشبه بالنصارى في مجاوزة الحد في الثناء والمدح في حقه ﷺ حمايةً لمقام التوحيد، كما أنه يدخل في هذا النهي المبالغة في مدح الصالحين لأنه إذا كان لا يجوز التعدّي في مدح خير خلق الله ﷺ فالتعدي في مدح الصالحين وسائر الأشخاص من باب أولى علماً بأن سبب وقوع البشرية في الشرك هو الغلو في الصالحين وقد حدث ذلك في قوم نوح عليه السلام(٢).

وكذلك مما جاء في التحذير من المبالغة في المدح حديث أنس بن مالك(٣) رضي الله عنه الذي رواه النسائي أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ يا خيرنا وابن خيرنا ويا سيدنا وابن سيدنا فقال ﷺ: "ياأيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهوينّكم الشيطان، إني لا أريد أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلنيها الله تعالى، أنا محمد بن عبد الله عبده ورسوله"(٤).

٢/ حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد في النهي عن التلفظ بالألفاظ التي فيها التسوية بين الله وبين خلقه:

من كمال نصح النبيّ ﷺ لأمته ومن تمام حمايته ﷺ لجناب التوحيد مما ينقضه أو ينقصه أنه ﷺ لم يكتف بقطع الوسائل الفعلية المؤدّية إلى الشرك، بل زاد على ذلك بقطع الوسائل القولية كالألفاظ التي توهم التسوية بين الله وبين غيره من المخلوقات وما يجري على الألسنة من كلمات التي تتضمن بعض المعاني الشركية حتى لو لم يقصد قائلها منافاة التوحيد والقدح فيه. والأحاديث التي فيها بيان صيانة المصطفى ﷺ للتوحيد في هذا الباب كثيرة منها

---

(١) انظر النهاية لابن الأثير ١١٠/٢ وعمدة القارئ شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني الحنفي ٥٢/١٦ وسيأتي في الباب الثاني الكلام على الإطراء والغلو إن شاء الله.

(٢) سيأتي في الباب الثاني بيان ذلك إن شاء الله.

(٣) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري، الإمام، المفتي، المقرئ، المحدث، راوية الإسلام، خادم رسول الله ﷺ، فصحب أنس النبيّ ﷺ أتم الصحبة، ولازمه أكمل الملازمة منذ هاجر إلى أن مات، وغزا معه غير مرة، وبايع تحت الشجرة.توفي عام ٩٣هـ بالبصرة. انظر السير للذهبي ٣٩٥/٣.

(٤) عمل اليوم والليلة ص ٢٤٩ وصححه ابن عبد الهادي في الصارم المنكي ص ٢٤٦.

.

حديث حذيفة(١) أن النبيّ ﷺ قال: "لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان"(٢).

فنهى النبيّ ﷺ أن يتلفظ بتلك الألفاظ إذ فيها تشريك في المشيئة، والله منزّه عن ذلك، فالواو في اللغة حرف يقتضي الجمع والتشريك فأرشدنا ﷺ إلى استعمال "ثم" لأنه حرف يفيد التراخي، فوجّهنا إلى ذلك تأدباً برب العالمين وتعظيماً لحقه(٣).

فالواجب على المسلم أن يحترز من الشرك الأصغر كالشرك في الألفاظ، وذلك بالتسوية بين الله وبين خلقه كقول القائل: "لولا الله وفلان"، "وهذا بالله وبك"، أو بإضافة النعمة ونسبتها إلى غير المنعِم كقول الرجل: "هذا مالي ورثته عن أبي" أو إضافة الأشياء ووقوعها لغير الله كقول القائل: "لو لا الحارس لأتانا اللصوص"، أو الحلف بغير الله وغير ذلك مما يقدح في التوحيد.

٣/ حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد في النهي عن سب الدهر أو الريح:

إن الدهر كالسنين والأشهر والأيام والليالي وما يحدث فيها من نزول مطر وزلزلة وريح وغير ذلك من أعظم آيات الله وبراهينه العقلية على وحدانية الربّ وتفرده بالخلق والملك والتدبير، كل هذه الآيات مسخَّرة، مصرفة مدبرة بتدبير الله، فهي مخلوقة مفعولة لا تملك شيئاً قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٧] وقال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦

---

(١) حذيفة بن اليمان بن جابر العبسي، من نجباء أصحاب محمد ﷺ وهو صاحب السر، من أعيان المهاجرين. وكان والده حسل قد أصاب دما في قومه، فهرب إلى المدينة، وحالف بني عبد الأشهل، فسماه قومه اليمان؛ لحلفه لليمانية، وهم الأنصار. شهد هو وابنه حذيفة أحدا، فاستشهد يومئذ. ولي حذيفة إمرة المدائن لعمر، فبقي عليها إلى بعد مقتل عثمان، وتوفي بعد عثمان بأربعين ليلة انظر السير للذهبي ٣٦١/٢.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب ٨٥ (بدون عنوان) ص ٩٠٠ برقم ٤٩٨٠. وصححه النووي في الأذكار ص ٥٦٦.

(٣) انظر معالم السنن للخطابي ١٣١/٤.

سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٦ - ٧].

فسبّ الدهر وحوادثه يرجع في الحقيقة إلى سب الله لأنه هو مصرف الأوقات على اختلاف فصولها ومدبر حوادثها، لهذا رُوي عن الرسول ﷺ النهي عن سب الدهر حماية للتوحيد كما جاء في الصحيح في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: "قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار"(١). وفي رواية قال الرسول ﷺ: "لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر"(٢).

فكانت العرب تسب الدهر عند النوازل والحوادث والمصائب النازلة بها من موت أو هرم أو تلف مال أو غير ذلك، فنهى النبيّ الصحابة عن ذلك، فقوله ﷺ: "لا تسبوا الدهر" أي: لا تسبوا فاعل النوازل فإنكم إذا سببتم فاعلها وقع السب على الله(٣).

وعن أبي بن كعب(٤) رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "لا تسبوا الريح"(٥).

قال الشافعي رحمه الله: "لا ينبغي شتم الريح فإنها خلق الله مطيع، وجند من أجناده، يجعلها رحمة ونقمة إذا شاء"(٦).

فمسبة الدهر أو الريح دليل على حمق الساب وضعف عقله وجهله بصفات الربّ وأفعاله، لأن الريح، مخلوقة من مخلوقات الله، هو الذي أوجدها وأمرها فيجريها كيف يشاء.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [الجاثية: ٢٤] ١٣٣/٦ برقم ٤٨٢٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها باب النهي عن سب الدهر ١٧٦٢/٤ برقم ٢٢٤٦.

(٣) انظر شرح صحيح مسلم للنووي ١٥/٦.

(٤) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري، سيد القراء، ويكنى أيضاً: أبا الطفيل. شهد العقبة، وبدرا، وجمع القرآن في حياة النبيّ ﷺ وحفظ عنه علما مباركا، وكان رأسا في العلم والعمل رضي الله عنه، مات عام ٣٢هـ. انظر السير للذهبي ٣٨٩/١.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في النهي عن سب الرياح ص ٥١٠ رقم ٢٢٥٢ قال: "حديث حسن صحيح". وقال الألباني: "صحيح".

(٦) الأم للشافعي ٢٥٣/١.

٤/ حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد في النهي عن أن يقال السلام على الله:

نهى رسول الله ﷺ أن يقول الرجل السلام على الله، فعن ابن مسعود[(١)] رضي الله عنه قال: كنا إذا كنا مع النبيّ ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبيّ ﷺ: "لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام"[(٢)].

والعلّة في هذا النهي أن الله له الأسماء الحسنى والصفات العلى، صفاته كلّها كمال، لا نقص فيها بوجه من الوجوه، فالله له الكمال المطلق، فهو منزّه عن كل عيب وآفة، ليس له مثيل فلا يليق بالله أن يُدعى له بالسلامة إذ لا حاجة لله إلى ذلك، فهو الغني عن خلقه، بل العبد هو المحتاج إلى سلامه وحفظه، فمثل هذا الدعاء يقتضي نقصاً في تحقيق التوحيد، لهذا أنكر الرسول ﷺ على أصحابه هذا الدعاء حمايةً للتوحيد، فإن كل سلامة ورحمة له ومنه، وهو مالكها ومعطيها سبحانه وتعالى[(٣)].

٥/ حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد في النهي عن الاستشفاع بالله ﷻ على خلقه:

عن جبير بن مطعم[(٤)] رضي الله عنه قال: "جاء أعرابي إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك، وبك على الله. فقال النبيّ ﷺ: "سبحان الله، سبحان الله! " فما زال يسبّح حتى عرف ذلك في

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، الإمام الحبر، فقيه الأمة، أبو عبد الرحمن، المكي، المهاجري، البدري، كان من السابقين الأوّلين، ومن النجباء العالمين، كان معدودا في أذكياء العلماء، توفي عام ٣٢هـ وقيل ٣٣هـ. انظر السير للذهبي ٤٦١/١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد ١٦٧/١ برقم ٨٣٥.

(٣) انظر عمدة القارئ لأحمد العيني ١٥٨/٦.

(٤) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل النوفلي، من الطلقاء الذين حسن إسلامهم، وقد قدم المدينة في فداء الأسارى من قومه. وكان موصوفا بالحلم، مات عام ٥٩هـ. انظر السير للذهبي ٩٥/٣.

وجوه أصحابه. ثم قال: "ويحك! أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه"(١).

فهذا الأعرابي أراد أن يجعل الله العظيم واسطة يتوسط به، فأراد أن يكون الله الكبير شفيعاً له عند الرسول ﷺ، فغضب النبيّ أشدّ الغضب لأن ذلك من سوء الأدب مع الله وتنقصٌ في حقه وإخلال بالتوحيد، فهذه الكلمة المنكرة تقتضي أن يكون المخلوق أعظم من الخالق لأن في الغالب يكون الشافع أقل درجة من المشفوع، فكيف يُجعل الله هو الشافع وهو الكبير الذي له الكبرياء نعتاً، والعظمة وصفاً، العظيم ذو الجبروت والملكوت، الذي يجب الخضوع والذل له، سبحانه الذي يستحق الإجلال والتمجيد، فشأن الله أعظم من أن يتوسل به عند المخلوق، فمن فعل ذلك لم يعرف ربّه حقّ معرفته ولم يقدّره حق قدره، بل أساء الظن به، ولهذا لما سمع النبيّ مقالته سبّح تنزيهاً لله عن كل وصف فيه نقص أو عيب، مما لا يليق بالله، أنكر الرسول ﷺ على ما تلفظ به الأعرابي صيانةً لمقام التوحيد، وتعظيماً لله سبحانه وتعالى.

٦/ حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد في التحذير من نسبة إنزال المطر إلى النجوم:

كل مؤمن يعلم أن نعم الله كثيرة فلا يمكن إحصاؤها قال الله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ [النحل: ١٨]. ومن أكبر هذه النعم وأنفعها إنزال المطر، فينشر الله رحمته ويحيي به الأرض بعد موتها، فيسقيها ويخرج به من الثمرات رزقاً للعباد، بل خلق كل شيء من ماء وغير ذلك من المصالح والمنافع قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ﴾ [السجدة: ٢٧]، وقال الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٨ – ٦٩]. فالله هو منزِّل الماء متى يشاء وكيف يشاء، ذلك تقدير العزيز الحكيم.

ولما كان الاعتراف بنعمة الله ونسبتها إليه من محققات التوحيد كنسبة إنزال المطر إلى الله، حمى النبيّ ﷺ هذا الجانب وحذّر أمته من أن يضيفوا نعمة الغيث إلى غير الله، فعن زيد

(١) أخرجه أبو دواد في سننه كتاب السنة باب في الجهمية ص ٨٥٤ برقم ٤٧٢٦. وضعفه الألباني.

بن خالد الجهني(١) أنه قال صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية(٢) على إثر سماء كانت من الليلة فلما انصرف أقبل على الناس فقال: "هل تدرون ماذا قال ربكم" قالوا: الله ورسوله أعلم قال: "أصبح من عبادي مؤمن وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب"(٣).

فكانت من عادات الجاهلية الاستسقاء بالأنواء، فكانوا يعتقدون أن مجيء المطر بسبب النجوم، وقد يعتقد البعض أن النجوم هي التي تنزل المطر، وهذا مما ينافي مقام التوحيد أشدّ المنافاة، لأن إنزال المطر من مفردات ربوبية الله كما تقرّر ذلك فيما سبق، ويتأكد هذا النهي بقول رسول الله ﷺ: "أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهنّ: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة"(٤).

فهذه بعض الصور في حماية المصطفى ﷺ لجناب التوحيد وإلا فالأمثلة في هذا الباب كثيرة جداً، فهكذا حارب النبيّ ﷺ طول حياته مظاهر الشرك وسدّ كل ما يفضي إليه من الأقوال والأفعال ولم يسكت أبداً عن ما يضاد التوحيد، بل كان النبيّ ﷺ حريصاً أشدّ الحرص على تعليم أصحابه هذا الأمر العظيم وإيضاح أصوله، كلما وقف على أمر شركي بادر إلى إزالته، وإذا رأى شخصاً يصدر منه ما يقدح في التوحيد أنكر عليه، فقد بيّن النبيّ ﷺ هذا الأمر الذي اتفقت عليه الرسل أكمل البيان ودقّق في إيضاحه بحيث لا يكون فيه غموض ولا خفاء، فاهتمّ الرسول ﷺ بأمر التوحيد حتى في آخر اللحظات من حياته على

---

(١) زيد بن خالد الجهني اختلف في كنيته كثيراً فقيل يكنى أبا عبد الرحمن. وقيل: أبا طلحة. وقيل أبا زرعة كان صاحب لواء جهينة يوم الفتح، وكان من المهاجرين الأوّلين أسلم قبل عمر وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين معن بن عدي العجلاني حين آخى بين المهاجرين والأنصار، توفي عام ٦٨هـ و وقيل مات قبل ذلك في خلافة معاوية بالمدينة. انظر الاستيعاب لابن عبد البر ٥٤٩/٢.

(٢) الحديبية على ٢٢ كيلا غرب مكة على طريق جدة القديم. انظر معجم المعالم الجغرافية لعاتق البلادي الحربي ص ٨٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذن باب يستقبل الإمام الناس إذا سّلم ١٦٩/١ برقم ٨٤٦.

(٤) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز باب التشديد في النياحة ٦٤٤/٢ برقم ٩٣٤.

الرغم من ثقل المرض وشدّة الألم، تكاد روحه الشريفة تخرج من جسمه وهو يحذّر أمته من الشرك فعن عائشة[(١)] رضي الله عنها قالت: "لما اشتكى النبيّ ﷺ ذكرت بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشة[(٢)] يقال لها: مارية، وكانت أم سلمة[(٣)] وأم حبيبة[(٤)] رضي الله عنهما أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها، فرفع رأسه فقال: "أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوّروا فيه تلك الصورة، أولئك شرار الخلق عند الله"[(٥)]. وعنها رضي الله عنها وعن ابن عباس[(٦)] رضي الله عنهما قالا: "لما نزل برسول الله

---

(١) عائشة بنت الإمام الصديق الأكبر، خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن القرشية، التيمية، المكية، النبوية، أم المؤمنين، زوجة النبيّ ﷺ أفقه نساء الأمة على الإطلاق، وتزوجها نبي الله قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهرا، وقيل: بعامين. ودخل بها في شوال سنة اثنتين، منصرفه ﷺ من غزوة بدر، وهي ابنة تسع. فروت عنه: علماً كثيراً، طيباً، مباركاً فيه. توفيت عام ٥٨هـ. انظر السير للذهبي ١٣٥/٢.

(٢) الحبشة: يتكرر في السيرة اسم الحبشة وملك الحبشة والأحباش. والحبشة: اسم للأمة أطلق على أرضهم، وتسمى دولتهم أثيوبيا، وهي تضم أراضي إسلامية إلى جانب أرضهم. وأرض الحبشة: هضبة مرتفعة غرب اليمن بينهما البحر، وعاصمتها أديس أبابا، ولهم صلات قديمة مع العرب، ولملكهم موقف يذكر ويشكر مع المسلمين الأوائل الذين هاجروا إليه فوجدوا في كنفه ملجأ وحسن جوار. معجم المعالم الجغرافية للبلادي ص ٨٠.

(٣) أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة المخزومية، من المهاجرات الأول، كانت قبل النبيّ ﷺ عند أخيه من الرضاعة، أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، الرجل الصالح. دخل بها النبيّ ﷺ في سنة أربع من الهجرة. وكانت من أجمل النساء وأشرفهن نسباً، وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين. انظر السير للذهبي ٢٠١/٢.

(٤) أم حبيبة أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وهي من بنات عم الرسول ﷺ ليس في أزواجه من هي أقرب نسبا إليه منها توفيت عام ٤٤هـ وقيل ٤٢هـ. انظر السير للذهبي ٢١٨/٢.

(٥) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز باب بناء المسجد على قبر ٩٠/٢ برقم ١٣٤١.

(٦) حبر الأمة، وفقيه العصر، وإمام التفسير، أبو العباس عبد الله، ابن عم رسول الله ﷺ العباس بن عبد المطلب شيبة بن هاشم، القرشي، الهاشمي، المكي، صحب النبيّ ﷺ نحوا من ثلاثين شهرا، انتقل ابن عباس مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح، وقد أسلم قبل ذلك، فإنه صح عنه أنه قال: كنت أنا

.

ﷺ (يعني الموت) طفق يطرح خميصة(١) له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر مثل ما صنعوا"(٢).

فالنبيّ ﷺ يعاني من سكرات الموت وهو يؤكّد على أعظم الأمر الذي من أجله أُرسل إلى العالمين، ينهى أصحابه عن الشرك والوسائل التي تفضي إليه، فيكرر الوصايا ويعيدها شفقةً عليهم وحرصاً منه ألّا تقع أمته فيما وقعت الأمم السابقة، ومع هذه العناية البليغة والحرص الشديد في تحقيق التوحيد وحمايته وُجد في الأمة الإسلامية من يخالف أمر الرسول ﷺ، بل لا تكاد تجد أمراً إلا وقد خولف فيه، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضاداً للآخر، مناقضاً له بحيث لا يجتمعان أبداً، فنهى رسول الله ﷺ عن الصلاة إلى القبور وهؤلاء يصلون عندها، ونهى عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله تعالى، ونهى عن إيقاد السرج عليها وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها، ونهى أن تتخذ عيداً وهؤلاء يتخذونها أعياداً ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر، وأمر بتسويتها كما روى مسلم في صحيحه(٣) عن أبي الهياج الأسدي(٤) قال: "قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته". وفي صحيحه(٥) أيضاً عن ثمامة بن شفي(٦) قال: كنا مع فضالة بن عبيد(١) فتوفي

وأمي من المستضعفين؛ أنا من الولدان، وأمي من النساء، توفي عام ٦٨هـ وقيل ٦٧هـ. انظر السير للذهبي ٣/٣٣١.

(١) هي كساء من صوف أسود. انظر فتح الباري لابن حجر ١٠/٢٧٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة باب ٥٥ (بدون عنوان) ١/٩٥ برقم ٤٣٥.

(٣) كتاب الجنائز باب الأمر بتسوية القبر ٢/٦٦٦ برقم ٩٦٩.

(٤) أبي الهياج الأسدي هو حيان بن حصين الكوفي، هو تابعي، كان كاتب عمار بن ياسر رضي الله عنه. انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ٣/٦٧.

(٥) كتاب الجنائز باب الأمر بتسوية القبر ٢/٦٦٦ برقم ٩٦٨.

(٦) ثمامة بن شفى أبو على الهمداني ويقال الأصبحي. انظر التاريخ الكبير للبخاري ٢/١٧٧.

صاحب لنا، فأمر فضالة بقبره فسُوي ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها. وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين ويرفعونها عن الأرض كالبيت ويعقدون عليها القباب.

ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه كما روى مسلم في صحيحه(٢) عن جابر(٣) قال: "نهى رسول الله عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه. ونهى عن الكتابة عليها" كما روى الترمذي سننه(٤) عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ نهى أن تُجصّص القبور وأن يكتب عليها، قال الترمذي: "حديث حسن صحيح"، وهؤلاء يتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن وغيره، ونهى ﷺ أن يزاد عليها غير ترابها كما روى أبو داود(٥)، وهؤلاء يزيدون عليه سوى التراب الآجُرّ والأحجار والجص، والمقصود أن هؤلاء المعظمين للقبور، المتخذينها أعياداً، الموقدين عليها السرج الذين يبنون عليها المساجد والقباب، مناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ، محادون لما جاء به، وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجاً، ووضعوا له مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتاباً، وسماه مناسك حج المشاهد مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في دين عباد الأصنام. فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله

---

(١) فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس بن الأوس الأنصاري الأوسي، أسلم قديما ولم يشهد بدرا وشهد أحدا فما بعدها وشهد فتح مصر والشام قبلها ثم سكن الشام، توفي عام ٥٣هـ. انظر الإصابة لابن حجر ٥٤٨/٨.

(٢) كتاب الجنائز باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه ٦٦٧/٢ برقم ٩٧٠.

(٣) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي الأنصاري، الإمام الكبير، المجتهد، الحافظ صاحب رسول الله ﷺ، روى علما كثيرا عن النبيّ ﷺ، من أهل بيعة الرضوان، وكان آخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتا. وكان والده من النقباء البدريين، استشهد يوم أحد، توفي جابر سنة ٧٨هـ. انظر السير للذهبي ١٨٩/٣.

(٤) كتاب الجنائز باب ما جاء في كراهية تجصيص القبور والكتابة عليها ص ٢٤٩ برقم ١٠٥٢. وصححه الألباني.

(٥) كتاب الجنائز باب في البناء على القبر ص ٥٨٠ برقم ٣٢٢٦. وصححه الألباني.

ﷺ وقصده من النهي عما تقدم ذكره في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه، ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره"[١].

وبهذا يتبيّن بكل وضوح أن رسول الله ﷺ حسم مادة الشرك، وقطع الطرق المؤدية إليه، فحمى التوحيد الذي هو أعظم مسائل الدين، فنصوص السنة قد تواترت في الأمر بتحقيق العبودية لله وحده، مع كثرة النواهي عما يتنافى مع التوحيد أو ينقصه، ترك النبيّ ﷺ أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها بحيث لا تبقى بعده شائبة من شوائب الشرك تشوب توحيد العبد وهو لا يشعر.

(١) إغاثة اللهفان ٣٥٣/١ باختصار.

المطلب الثالث: الأمور التي تتحقق بها حماية التوحيد.

تقدم في المطلب السابق أن النبيّ ﷺ قد اعتنى بحماية التوحيد عناية فائقة، فصان الحنيفية السمحة التي بعثه الله بها، فبالغ وجاهد في تحقيق التوحيد ونافح في الدفاع عنه أشدّ المنافحة، فبيّن ﷺ لأمته أمر التوحيد بأكمل البيان وحذّرهم من جميع أنواع الشرك، كبيره وصغيره، ومن كل ما يُبعد عن تحقيق العبودية لله وحده لا شريك له، ومن تأمل في نصوص الكتاب والسنة يجد أن الأساليب والوسائل قد تنوّعت في تحقيق حماية التوحيد، وهذه الطرق المستعمَلة لصيانة التوحيد تختلف حسب الزمن والمكان والأشخاص وما تقتضيه الحاجة، فمن يدعو إلى التوحيد ويدافع عنه يسلك مسالك عديدة، ويختار الوسائل والأساليب المناسبة المشروعة لحال المدعو، وهذا من فقه الدعوة المستفاد من أخلاق الأنبياء عليهم السلام في دعوة قومهم، وكل من يسلك منهج الأنبياء في حفظ أصل الدين بحمل الناس على العقيدة الصحيحة الصافية فهو في أمس الحاجة إلى معرفة هذه الوسائل التي استعان بها نبيّنا محمد ﷺ في الدفاع عن ذلك الأمر المهم الأساسي، فالخير كله في التأسي بالرسول ﷺ فلا يجوز العدول عن هذا المنهج القويم، خصوصاً في الدعوة إلى التوحيد وصيانته، قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبيّ ﷺ أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله"(١).

ومن أقواله وأفعاله وأحواله ﷺ، الدعوة إلى توحيد الله وحمايته وما تضمنت من أساليب ووسائل، فمنهج النبيّ ﷺ في الدعوة مع وسائله هو منهج الحق الذي يجب على دعاة التوحيد اتباعه.

وقبل ذكر بعض هذه الوسائل والأساليب يجدر التعريف بالوسيلة وذكر الفرق بينها وبين الأسلوب حتى يتجلى موضوع هذا المطلب، ويُفهم مقصده لدى القارئ.

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/٦٢١.

فالوسيلة في اللغة: قال الجوهري(١): "ما يتقرّب به إلى الغير"(٢). وقال ابن الأثير(٣): "ما يتوصّل به إلى الشيء ويتقرب به"(٤).

والمراد بالوسيلة في **اصطلاح** الدعاة: قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين(٥) رحمه الله: "هي الطرق التي يتوصل بها الداعي إلى تبليغ الدعوة"(٦).

وقد حصل خلاف بين أهل العلم في الفرق بين الوسيلة والأسلوب، فذهب البعض إلى عدم التفريق بين الوسيلة والأسلوب وقالوا هما بمعنى واحد، وهناك من فرّق بينهما(٧)، فقال: الوسيلة هي الأمور المادية التي يتوصل بها الداعية في تبليغ الدعوة، ويدخل في ذلك كل ما استحدث من وسائل وآلات نتيجة لما طرأ على حياة الناس من أمور عديدة، وما ساعدت العلوم والتقنية على إنتاجه وتيسيره للناس كوسائل الاتصال وطباعة الكتب ومكبرات الصوت وغير ذلك مما يُستعمل في الدعوة(٨). وبناء على ذلك فإن الوسائل ليست توقيفية ولكن لها

---

(١) هو: إسماعيل بن حماد أبو نصر الفارابي الجوهري كان الجوهري هذا من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما، وأصله من بلاد الترك من فاراب، وهو إمام في علم اللغة والأدب، وخطّه يضرب به المثل في الجودة، توفي عام ٣٩٣هـ. انظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ١/٤٤٦.

(٢) الصحاح ٥/١٣٧.

(٣) هو: المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ولد سنة ٥٤٤هـ في جزيزة ابن عمر، سمع الحديث وقرأ الفقه والحديث والأدب، والنحو، ثم اتصل بخدمة السلطان، وتوفي عام ٦٠٦هـ. انظر إنباه الرواة لجمال الدين القفطي ٣/ ٢٥٧.

(٤) النهاية ٢/٨٤٩.

(٥) هو: العلامة الفقيه أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي ولد في رمضان عام ١٣٤٧هـ في غنيزة، درس على العالم عبد الرحمن السعدي، وكان من عضو هيئة كبار العلماء، ومدرس بالحرام المكي، ولفضيلة الشيخ رحمه الله جهود كبيرة في الدعوة إلى الله، توفي عام ١٤٢١هـ. انظر ابن العثيمين الإمام الزاهد للشيخ ناصر الزهراني ص ٢٧. وانظر مجموع فتاوى العثيمين ١/١٠.

(٦) رسالة في الدعوة إلى الله ص ١٣.

(٧) انظر: أسس منهج السلف في الدعوة لفواز السحيمي ص ١٢٢.

(٨) انظر: وسائل الدعوة لعبد الرحيم بن محمد المغذوي ص ١٧.

أحكام المقاصد، فإن قُصد واجب كانت الوسيلة واجبة، وهكذا في المحرم والمستحب والمباح والمكروه(١).

وأما الأساليب فهي مجموعة الطرق القولية والفعلية يُقصد بها دعوة الناس وبيان أحكام الدين، ويُعبر عنها عند البعض بمناهج الدعوة كالحكمة والموعظة الحسنة والجدل والخطابة وغير ذلك، والأساليب لا تخرج عن كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، وعلى هذا فهي توقيفية.

قال الشيخ الدكتور صالح الفوزان حفظه الله: "مناهج الدعوة توقيفية، بيَّنها الكتاب والسنة وسيرة الرسول ﷺ. لا نحدث فيها شيئاً من عند أنفسنا، وهي موجودة في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ، وإذا أحدثنا ضِعنا وضَيَّعنا، قال الرسول ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ"(٢). نعم، جَدَّت وسائل تُستخدم للدعوة اليوم، لم تكن موجودة من قبل، مثل: مكبرات الصوت، والإذاعات، والصحف، والمجلات، ووسائل الاتصال السريع، والبث الفضائي؛ فهذه تُسمى: وسائل، يُستفاد منها في الدعوة، ولا تُسمّى مناهج"(٣).

وقد يُطلق لفظ الوسيلة على الجميع، من باب أن جميعها قد استعان بها الداعية لتبليغ دعوته، فيصبح لفظ الوسيلة أعم من لفظ الأسلوب، وقد درجت كثير من الكتب المؤلفة في مسائل الدعوة على هذا، وعلى سبيل المثال كتاب الشيخ الدكتور عبد السلام بن برجس المسمى الحجج القوية على أن وسائل الدعوة توقيفية، فالأمر أشبه ما يكون بالخلاف اللفظي الذي لا أثر له(٤).

ومهما يكن يجب على الداعي أن يلتزم بالمنهج القويم النبوي في الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك، فيسير على ما سار عليه النبيّ ﷺ إذ يعتقد أن طريق الرسول ﷺ في الدعوة هو الطريق الأقوم، فلا يتجاوز شرع الله، ومن هنا يظهر أهمية معرفة هذا المنهج الصحيح والأمور التي تتحقق بها حماية التوحيد حتى يكون الداعي إلى التوحيد والحامي له على بصيرة،

(١) انظر: الفروق للقرافي ٦٣/٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ١٣٤٣/٣ برقم ١٧١٨.

(٣) انظر: الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة ص ٤٤.

(٤) انظر: أسس منهج السلف في الدعوة لفواز السحيمي ص ١٢٢.

وألا يقع في محظورات في تصرفه أو مخالفات قد يأثم بها، ولهذا سأذكر أهم الأساليب التي تُستخدم ويُستعان بها في تحقيق صيانة التوحيد ومحاربة الشرك بأنواعه وهي كالتالي:

١/ الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

٢/ الخطابة.

٣/ الحسبة.

٤/ سد الذرائع.

٥/ الجهاد في سبيل الله.

أولا: الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن:

قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

ففي هذه الآية أمر الله رسوله محمدًا ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة أي: ما أنزله عليه من الكتاب والسنة ﴿ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ أي: بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس ذكرهم بها، ليحذروا بأس الله تعالى. وقوله: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، كما قال: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت: ٤٦] فأمره تعالى بلين الجانب، كما أمر موسى وهارون، عليهما السلام، حين بعثهما إلى فرعون فقال: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤][(١)].

فقد دعا النبيّ ﷺ إلى التوحيد وحماه على الوجه الأكمل، فاستعمل هذه الأساليب أي: الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن لأداء وظيفته، ولا شكّ أن تلك الأساليب والوسائل لها أهمية عظيمة وآثار بليغة في مجال الدعوة خصوصاً فيما يتعلّق بحماية التوحيد، فهي من أكبر أسباب نجاح الدعاة إلى عبادة الله، لا يستغني عنها من كان على بصيرة من هذا الأمر لأنه يعلم يقيناً أن من سلك سبيل الأنبياء عليهم السلام وقام بوظيفتهم من

---

(١) انظر تفسير القرآن الكريم لابن كثير ٢/٧٧٠.

إيصال الدعوة وحماية للتوحيد سيجد عقبات وعوائق وسيتعرض لأذى الناس على مختلف أصنافهم، وسيصاب بعدة ابتلاءات ويقع في أحوال ومواقف ما يتطلب كل هذا حكمة لحل المشكلات، وموعظة حسنة وجدالاً لدفع المعارضين وإقناعهم إن أمكن.

ولما كانت تلك الأساليب بهذه المكانة العالية في الدعوة وكان لها دور عظيم في تحقيق حماية التوحيد يحسن التعريف بها وذكر مفهومها مع بعض الأمثلة:

١/ تعريف الحكمة:

الحكمة **لغة**: إن كلمة الحكمة لها عدة معاني في اللغة منها:

- ما يدل على إتقان الشيء قال ابن منظور[١] رحمه الله: "الحكمة: العدل وأحكم الأمر: أتقنه، والحكيم: المتقن للأمور"[٢]، وقال الفيروزآبادي[٣] رحمه الله: "وأحكم الأمر: أتقنه فاستحكم ومنعه عن الفساد"[٤].

---

(١) هو: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي ولد في محرم سنة ٦٣٠ هـ، نشأ في أسرة علمية، وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة ثم ولي القضاء في طرابلس، فاضلاً في الأدب، مليح الإنشاء، وكان عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ والكتابة، توفي عام ٧١١هـ. انظر بغية الوعاة للسيوطي ٢٤٨/١ والأعلام للزركلي ١٠٨/٧.

(٢) لسان العرب ١٨٧/٤.

(٣) هو: الإمام اللغوي الشهير أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي، إمام عصره في اللغة كان يرفع نسبه إلى الشيخ أبي إسحاق صاحب التنبيه، ولد بكارزين بلدة فارس عام ٧٢٩هـ، طلب الحديث وسمع من الشيوخ ومهر في اللغة وهو شاب والده كان من العلماء فأقرأه اللغة والأدب، وكان له رحلة علمية، توفي ٨١٧هـ. انظر طبقات الشافعية لأبي بكر شهبة ٦٣/٤.

(٤) القاموس المحيط ص١٠٩٠.

- المنع: قال ابن فارس[(١)] رحمه الله: "الحاء والكاف والميم أصل واحد وهو المنع: وسميت حكمة الدابة، لأنها تمنعها"[(٢)].

الحكمة في الاصطلاح: فقد ذكر العلماء تعاريف كثيرة منها:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي"[(٣)].

وقال الإمام السعدي رحمه الله: "وجميع الأمور لا تصلح إلا بالحكمة، التي هي وضع الأشياء مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام والإحجام في موضع الإحجام"[(٤)].

ومن نظر في سير الأنبياء عليهم السلام يجد مواقف كثيرة تشهد بأنهم استعملوا الحكمة في دعوتهم إلى التوحيد وحمايته -والأمثلة أكثر من أن تحصى-، ومن ذلك: قصة يوسف عليه السلام لما دخل السجن قال الله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب أبو الحسين الرازيّ، كان واسع الأدب، متبحراً في اللغة العربية، فقيهاً شافعياً، وكان يناظر في الفقه، وكان ينصر مذهب مالك بن أنس. وطريقته في النحو طريقة الكوفيين، انظر إنباه الرواة لجمال الدين القفطي ١/١٢٧.

(٢) مقاييس اللغة ٢/٩١.

(٣) مدارج السالكين ٢/٣٥٤.

(٤) مجموعة مؤلفات الشيخ السعدي ١/٣٣٢.

إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٣٦ – ٤٠].

ففي هذه الآية دلالة على حسن الخطاب وما فيه من الحكمة، فقد تلطف يوسف أولاً مع هذين الفتيين وتعامل معهما بخلق عظيم حتى أعجبهما، فلما وجد فرصة لدعوتهما بدأ بالأهم والأساس الذي هو توحيد الله ببيان عجز الآلهة وضعفها، وأنها لا تنفع ولا تضر، بل الله هو الذي له صفات الكمال وهو الذي يستحق العبادة، فلم يستجب يوسف عليه السلام لطلبهما إلا بعد إرشادهما إلى ما هو أنفع لهما، واستخدم أسلوب التساؤل ليكون ذلك أوقع في القلب وأقرب إلى القبول، فهذا التصرف والتعامل الحسن يدل على كمال حكمة يوسف عليه السلام في محاربة الشرك، فهذا النبيّ الكريم عليه السلام الذي سُجن ظلماً، يصبر ويصطبر ويحوِّل محنته إلى منحة ونعمة بتصغير أمر الأوثان وتحقيرها، فتلك الحال أي: حال الشدّة لا تشغله عن دعوتهم إلى التوحيد فأبطل الشرك بتصوير قبحه بالعقل والنقل.

وبهذا تظهر جلية حكمة يوسف عليه السلام في هذه القصة العظيمة التي ملئت بالدروس والعبر والآيات للسائلين(١).

ومن خلال هذه القصة يظهر لنا أن الحكمة لم تقتصر على قول واحد ولا تنحصر على فعل معيّن، بل لها صور كثيرة ومتنوعة، تختلف حسب المقام والزمان وما تقتضيه حاجة الداعي والمدعو، فليس الناس على درجة واحدة في الفهم وقبول الحق، وليسوا هم سواءاً في الشخصية والطبع، فالمدعوون يختلفون من دين إلى دين، ومن بلد إلى بلد، ومن مدينة إلى مدينة، ومن قبيلة إلى قبيلة، من فرد إلى فرد، وعلى هذا فتقتضي الحكمة استعمال الأساليب والوسائل في الوقت والمكان المناسب وإعطاء كل ذي حق حقّه، ومراعاة أحوال الناس وظروفهم. فمن تأمل في المواقف التي وقف فيها الأنبياء عليهم السلام علم أن الحكمة صفة ملازمة للداعي في جميع أموره، وأدرك أن شأنها عظيم وأن لها دوراً كبيراً في تحقيق النجاح.

(١) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ص ٣٢٧.

٢/ تعريف الموعظة الحسنة:

الموعظة لغة:

قال الفيروزآبادي: "وعظه يعظه وعظا وموعظة ذكره ما يُليّن قلبه من الثواب والعقاب"(١).

وقال ابن منظور: "النصح والتذكير بالعواقب، وتذكير الإنسان بما يُليّن قلبه من ثواب وعقاب"(٢).

التعريف الاصطلاحي: له علاقة قوية بالتعريف اللغوي:

قال الإمام ابن القيم: "الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب"(٣).

وقال الجرجاني(٤): "الوعظ هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب والموعظة هي التي تلين القلوب القاسية وتدمع العيون الجامدة وتصلح الأعمال الفاسدة"(٥).

فالموعظة الحسنة تكون بذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تتضمن أسلوب الترغيب والترهيب، أي: ما ذكر الله من النعيم والثواب للمتقين، وما وعده من العقوبات للعصاة، وكذلك الأوامر المشتملة على مصالح الناس الدنيوية والأخروية والنواهي وما فيها من فساد وضرر في حياة المسلم، فينتفع السامع بما يسمعه من الهدى والرشد والنصائح التي جاءت على يد الرسل وما أوحي إليهم.

فالموعظة الحسنة لها أهمية عظيمة ومكانة عالية في مجال الدعوة، ويشتد الأمر عند إرادة تحقيق حماية التوحيد، فالموعظة من الضروريات التي لابد أن يتملكها الداعي سواء أن كانت على سبيل التذكير أو النصح أو الترغيب والترهيب أو غير ذلك من الطرق، ولابد أن تكون

---

(١) القاموس المحيط ص ٦٩٩.

(٢) لسان العرب ص ٢٤٣/١٥.

(٣) مدارج السالكين ٣٣١/١.

(٤) هو: علي بن محمد بن علي الحنفي الشريف الجرجاني، ولد في تاكو (قرب استراباد)، عالم بلاد الشرق، من كبار العلماء بالعربية، توفي عام ٨١٦هـ. انظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ١٩٦/٢.

(٥) التعريفات ٣٢٧/١.

الموعظة حسنة، فيحرص أن يتقن العمل بحسن الإلقاء وكيفية طريقة العرض والإصابة في اختيار الموضوع، كما أن الواعظ يبتعد عن الشدّة في غير محلها ويركز على مخاطبة القلوب والعقول والعواطف حتى تكون الموعظة أقرب إلى القبول، فبتوفر هذه الشروط يكون التأثير بالغاً في نفوس السامع المعترفة بالحق.

وينبغي للداعي ألا يكثر من الموعظة، بل يتعهد بها ويستغل الفرص المناسبة، لا يفعلها في كل وقت مخافة السآمة بناء على ما رُوي عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: "كان النبيّ ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا"(١).

ومن تأمل قصص الأنبياء عليهم السلام يجد أنهم استعملوا هذا الأسلوب لدعوة قومهم إلى التوحيد وصيانته، فالموعظة الحسنة من منهج الأنبياء في محاربة الشرك، ومن ذلك موعظة إمام الموحدين إبراهيم عليه السلام لأبيه قال الله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِى ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِى عَنكَ شَيۡـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدۡ جَآءَنِى مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِىٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤١ – ٤٥].

فهذه الموعظة العظيمة قائمة على العلم والمنطق والعقل والحكمة، فهذا النبيّ، خليل الرحمن يعظ أباه باللين والكلام الطيب، يخاطب مشاعره وفؤاده لتكون دعوته أقرب إلى التأثير، رجاءً أن يترك عبادة الأوثان.

فأسلوب الموعظة له تأثير بليغ على المدعو مع العلم بأن أكثر الناس لهم قبول لها واستعداد لسماعها، فالنفوس ترغب إلى الإنصات إليها، ولهذا استخدم الأنبياء عليهم السلام هذه الوسيلة لإيصال الحق. وقد أمر الله نبيّه محمد ﷺ أن يعظ قومه قال الله تعالى في كتابه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِىٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغًا ﴾ [النساء: ٦٣].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب الموعظة ساعة بعد ساعة ٨٧/٨ برقم ٦٤١١.

٣/ تعريف الجدال:

الجدال **لغة:** قال ابن منظور: "اللدد في الخصومة والقدرة عليها، مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة"(١).

أما اصطلاحاً: قال الراغب الأصفهاني(٢): "المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة"(٣).

من تتبع النصوص من خلال الكتاب الكريم والسنة المطهرة وما أثر عن السلف الصالح سيتبيّن له أن الجدال نوعان، جدال ممدوح وجدال مذموم منهي عنه.

فأما الجدال الممدوح، فهو الجدال المحمود الذي أمر الله به رسوله ﷺ، المؤدّي إلى مصلحة شرعية، يُقصد به إظهار الحق فيُتخذ وسيلة لنصرة الدين وإزهاق الباطل كتحقيق التوحيد ومحاربة الشرك، وما أعظم المقصد وما أجله، وهذا النوع من الجدال له شروط وسمات لابد أن يتصف بها، فمن أهم خصائص الجدال الممدوح أن يكون بالتي هي أحسن قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ففي هذه الآية "ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب، إذا كانت من غير بصيرة من المجادل، أو بغير قاعدة مرضية، وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى الحق وتحسينه، ورد عن الباطل وتهجينه، بأقرب طريق موصل لذلك، وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو، بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق"(٤).

أما النوع الثاني أي: الجدال المذموم، هو الذي يقابل الأول، فلا يكون حسناً، إنما القصد منه المشاغبة والمغالبة، لا يراد به الحق، فهذا لا فائدة فيه، لأن المقصود منه ضائع(٥).

---

(١) لسان العرب ٣/٩٩.

(٢) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني المعروف بالراغب، العلامة الماهر، المحقق الباهر سكن بغداد توفي عام ٥٠٢هـ. انظر السير الذهبي ١٨/١٢٠.

(٣) المفردات ص ١٣٠.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ السعدي ص٦٣٢.

(٥) انظر المصدر نفسه.

وأمثلة المجادلات في القرآن الكريم كثيرة كالتي دارت بين إبراهيم عليه السلام والملك الطاغية قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فهذا الملك ادّعى لنفسه الربوبيّة فزعم أنه يحيي ويميت، يقصد بهذا الكلام قتل من يشاء ممن هو تحت ملكه واستبقاء من يشاء، ولا شكّ أن جواب هذا المعاند المتكبر خارج عن مقام المناظرة، ولهذا لجأ إبراهيم إلى حجة قوية مفحمة وألزمه إلزاماً بحيث لا يستطيع أن يعارضه مرة أخرى، فطلب إبراهيم عليه السلام منه أن يأتي بالشمس من المغرب لأن من هو قادر أن يحي من يشاء وأن يميت من يشاء قادر على فعل ما يشاء، فالله هو الواحد القهار، خضعت له كل مخلوقات، كل شيء مربوب له، فعجز الملك عن الجواب بل بهت وبطل ما كان يزعم فانقطعت المناظرة(١).

وبهذا العرض تبرز أهمية الحكمة والموعظة والجدال في مجال الدعوة، فهذه الأساليب من أعظم الأمور التي يتوصل بها الداعي إلى تحقيق التوحيد وحمايته، تعتبر هذه الطرق من الضروريات في حياة من يريد أن يذبّ عن الحنفية السمحة، فلا يشكّ عاقل أن هذه الوسائل فيها خير ونفع كبير وإعزاز لأهل التوحيد، فهي سبب من أسباب النصرة والنجاح، يلجأ إليها الموحّد لإفحام المبطلين وكسر حجج المشركين الذين يصدّون عن سبيل الله، ولهذا أمر الله نبيّه محمد ﷺ أن يدعو بهذه الأساليب قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥] فالله أعلم بخلقه وبما يناسبهم في هذا المقام، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعليقاً على هذه الوسائل الثلاثة: "جعل سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق فالمتسجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه يدعى بطريق الحكمة، والقابل الذي

(١) انظر قصص الأنبياء للحافظ ابن كثير ص ١٨٧ ومنهاج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل للشيخ ربيع بن هادي المدخلي ص ٥٧.

عنده نوع غفلة وتأخر يدعى بالموعظة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرهبة، والمعاند الجاحد يجادل بالتي هي أحسن"(١).

ثانياً: الخطابة:لغة: من فعل خطب، وهي الكلام المنثور المسجَّع ونحوه(٢).

اصطلاحاً: "هي فنُّ مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته"(٣).

هدي النبي ﷺ في الخطابة: كان من هدي النبيّ ﷺ خطابة الناس في كل يوم الجمعة وفي المناسبات الأخرى إذا دعت الحاجة إليه واقتضت المصلحة، وقد ذكر الله في كتابه صورة من ذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ١١] أي: تركوك خاطباً يوم الجمعة في الناس(٤).

فالشاهد أن الخطابة كانت من سنة رسول الله ﷺ، ثم سار على هذا المنهج من جاء من بعده كالخلفاء الراشدين ﵃ ومن تبعهم بإحسان، ولا يزال المسلمون إلى يومنا هذا يمارسون هذه السنة الشريفة لما فيها من أثر بليغ في إعزاز الأمة ورفعها.

ومقام الخطبة مقام عظيم، يُتخذ وسيلة للدعوة، وتتنوع الأساليب التي تجري من خلاله، فالخاطب يعظ الناس، ويرغّبهم في الخير ويخوّفهم بعذاب الله، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويذكّرهم بالآخرة وغير ذلك مما يُهدف من وراء الخطبة، فهي ذات أهمية عظيمة ومكانة سامية في نشر الدعوة وتعليم الناس عقيدتهم، وشرح أحكام الشريعة، ولا شكّ أن أفضل الخطب التي عُرفت خطب نبيّنا محمد ﷺ حيث اجتمعت على جوامع الكلم، واشتملت على أتم البيان وأكمل النصح وأحسن العبارات، ليس فيها تكلّف، بل هي من أسهلها في الفهم وأكثرها علماً ونفعاً، كلمات قليلة فصيحة، كثيرة المعاني.

فاتخذ النبيّ ﷺ الخطبة وسيلة لتبليغ الرسالة، وأهم ما قرره النبيّ ﷺ هو عبادة الله وحده لا شريك له، فقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب الخطابة لحماية جناب التوحيد، وتذكير الناس بما أوجب الله عليهم، فخُطب النبيّ ﷺ مدارها على هذه الأسس.

---

(١) مفتاح دار السعادة ٤٧٤/١.

(٢) انظر القاموس المحيط لمحمد الفيروزآبادي ص ٨١.

(٣) فن الخطابة لأحمد محمد الحوفي ص ٥.

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٧٠/٤.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعليقاً على مضامين خطب النبيّ ﷺ: "كانت خطبه ﷺ إنما هي تقرير لأصول الإيمان من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب من خطبته إيماناً وتوحيداً، ومعرفة بالله وأيامه، ومن تأمل خطب النبيّ ﷺ وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد"(١).

والخطب التي ألقاها الرسول ﷺ أثناء حجة الوداع تمثل قيمة النصح والشفقة على أمته في جانب التوحيد والأخلاق، فمما رُوي عنه ﷺ في هذا الموسم العظيم، المشهد الكبير حديث سلمة بن قيس الأشجعي(٢) قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: "ألا إنما هنّ أربع: أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تزنوا ولا تسرقوا"(٣).

وكذلك مما روي في هذا الحج المبارك حديث جابر أنه أخبر أن الرسول ﷺ قال في خطبة يوم عرفة: "إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدميَّ موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وإن أوّل دم أضعُ من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث(٤) رضي الله عنه كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب(٥) رضي الله عنه، فإنه

---

(١) زاد المعاد ٤٠٩/١.

(٢) هو: سلمة بن قيس الأشجعي الغطفاني له صحبة يقال نزل الكوفة وله رواية عن النبيّ ﷺ، عمر استعمله على بعض مغازي فارس. انظر الإصابة لابن حجر ٣٧/٥.

(٣) رواه أحمد في مسنده ٣٢٤/٣١. وصححه الألباني في السلسة الصحيحة ٣٥٤/٤.

(٤) هو: ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف يكنى أبا أروى، وذلك أنه قتل لربيعة بن الحارث ابن في الجاهلية يسمى آدم وقيل تمام وقيل اسمه إياس، توفي عام ٢٣هـ. انظر الاستيعاب لابن عبد البر ٤٩٠/٢.

(٥) هو: عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عم رسول الله ﷺ، صحابي جليل، يكنى أبا الفضل بابنه الفضل بن العباس، وكان العباس أسن من رسول الله ﷺ بسنتين. وكان العباس في الجاهلية رئيساً في قريش، وإليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية في الجاهلية، توفي عام ٣٢هـ. انظر الاستيعاب لابن عبد البر ٨١٠/٢.

موضوع كلُّه، فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه. فإن فعلن ذلك فاضربوهنّ ضرباً غير مبرِّح، ولهنّ عليكم رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله. وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون". قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس "اللّهم اشهد اللهم اشهد" ثلاث مرات(١).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "فخطب الناس وهو على راحلته خطبة عظيمة قرر فيها قواعد الإسلام، وهدم فيها قواعد الشرك والجاهلية"(٢).

فهذا النبيّ الكريم ﷺ في آخر حياته، خلال أداء أوّل حجه وتعليم الناس مناسكهم، مع كثرة الأفراد الذين يتزاحمون ويتردّدون عليه ويلتفّون حوله، مع هذا كلّه يعلّم التوحيد ويحارب الشرك أثناء تنقله من مكان مقدَّس إلى آخر ومن مشعر إلى غيره، تارة على شكل الموعظة وتارة على سبيل الخطبة، لم يستصغر أمر التوحيد ولم يهمل به، بل حرص على منافحته أشدّ الحرص مما يدل على كمال حمايته ﷺ لجناب التوحيد.

فهكذا ينبغي للداعية أن يكون في دعوته، فيسلك هذا المسلك ويستعين بأسلوب الخطبة لبيان فساد عبادة الطواغيت وتنقيح التوحيد وتصفيته من شوائب الشرك والبدع، فيجعل خبطته باباً لإفهام الناس وترسيخ العقيدة الصحيحة، يلقي كلمات طيبة موجزة التي ينتفع بها الجمهور، فهذه الوسيلة من أيسر الطرق وأسرعها في توجيه الناس على اختلاف طبقاتهم ومستواهم، لاسيما العامة الذين لهم استعداد في إنصات لكلام الخطباء.

ثالثاً: الحسبة:

لغة: كلمة الحسبة تُطلق على الأجر، والاحتساب وهو طلب الأجر، وتطلق أيضاً على التدبير، يقال حسن الحسبة أي: حسن التدبير.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الحج باب حجة النبيّ ٢/٨٨٦ برقم ١٢١٨.

(٢) زاد المعاد ٢/٢١٥.

وهناك إطلاق ثالث وهو الذي يتعلّق بالموضوع: يراد به الإنكار(١).

اصطلاحاً: قال الماوردي(٢): "هي أمرٌ بالمعروف إذا ظهر تركه ونهيٌ عن المنكر إذا ظهر فعله"(٣).

أهمية الحسبة: إن الله سبحانه وتعالى فضّل هذه الأمة المباركة على سائر الأمم، فأكرم المسلمين بخصائص عظيمة تميّزوا بها عن بقية الأديان السماوية، فمنّ الله عليهم بفضائل كثيرة ليست لغيرها، ومن أخص هذه الصفات التي اصطفى الله أمة محمد ﷺ بها القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ما يُعرف بالحسبة، فكانت هذه الخصلة الحميدة من أبرز وجوه خيرية المسلمين قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال الإمام السعدي رحمه الله: "يمدح تعالى هذه الأمة ويخبر أنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتكميلهم لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله وجهادهم على ذلك وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغيهم وعصيانهم، فبهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس"(٤).

فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهما منزلة عالية في الإسلام ومكانة رفيعة، شأنهما عظيم، فهما أصل من أصول هذا الدين، وجميع مصالح العباد الدنيوية والأخروية متوقفة على الحسبة، فإن حُققت كانت سبباً لمصلحة الأمة واستقامة المسلمين على دينهم وانتشار الخير بينهم، كما أن في تحقيقها صيانة للعقيدة الصحيحة عن الشرك والشبهات

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ١١٤/٤ والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص٧٤، المصباح المنير للفيومي ص١١٩.

(٢) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، المعروف بالماوردي، الفقيه الشافعي، وكان حافظاً للمذهب وله فيه كتاب "الحاوي" الذي لم يطالعه أحد إلا وشهد له بالتبحّر والمعرفة التامة بالمذهب، توفي عام ٤٥٠هـ. انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ٢٨٢/٣.

(٣) الأحكام السلطانية ص ٣٩١.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٤٣.

ومحافظة الناس على الأخلاق الفاضلة، ولكن في المقابل إن أهمل المسلمون تطبيق الحسبة والأخذ على أيدي الناس عند الانحراف كان ذلك سبباً لانتشار الشرك والمعاصي وبروز الفساد في المجتمعات الإسلامية، وظهور الرذائل بينهم، واختفاء الفضائل، فيترتب على هذا الشر مصائب عظيمة، فيجرّئ أهل الشرك على أهل التوحيد، وأهل الفسق على أهل الصلاح، فيتطاولون عليهم كما هو واقع في كل مجتمعات لا يؤمر فيها بالمعروف ولا ينهى فيها عن المنكر.

فالحسبة هي طريقة من طرق إرشاد الخلق إلى أمور دينهم، وأسلوب من أساليب الدعوة إلى التوحيد والدفاع عنه، به يُحارب الشرك وتُزال البدع فيضعف أهل الفساد ويتقوّى أهل الإيمان ويزدادون تمكيناً، ولهذا أخبر الله في كتابه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أكبر الأسباب التي ينتصر بها المؤمنون على أعدائهم ويُكتب لهم التمكين في الأرض قال الله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[الحج: ٤٠ – ٤١].

فالحسبة من ضروريات التي يجب على المسلمين أن يقوموا بها، فيها صلاح للأمة وبها يكثر الخير وتختفي الرذائل، ولاشكّ أنها من أفضل الوسائل التي يُحمى بها جناب التوحيد ويقطع الذرائع الموصلة إلى الشرك.

والأنبياء عليهم السلام قاموا بالحسبة على أكمل الوجه، والأمثلة من خلال القرآن والسنة كثيرة، ومن ذلك قصة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام التي تكررت في القرآن، فكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من منهج دعوة إبراهيم عليه السلام، فأنكر على قومه عبادة الأوثان من دون الله وأبطل حججهم بالبراهين القاطعة قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَـٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَـٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّـٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥١ – ٥٦].

فلما أصرّوا على ما هم عليه من الشرك ولم يقبلوا النصيحة بل استكبروا لجأ نبيّ الله عليه السلام إلى تغيير المنكر باليد: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٧ – ٥٨].

فنفذ إبراهيم عليه السلام خطته فكسر أصنام القوم فجعلها حطاماً وقطعاً إلا واحداً ليقيم عليهم الحجة وليبيّن فساد الشرك، ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٢ – ٦٥].

فألزمهم الحق بالبراهين العقلية، كيف تعبدون ما لا يسمع ولا ينطق بل لا ينفع ولا يضر، أليس الذي يستحق العبادة هو الذي يتصف بصفات الكمال، منزه عن العيوب والنواقص؟ ، فأقروا بأنفسهم بفساد الشرك وما هم عليه من الضلال(١).

وبهذا تبرز أهمية وسيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الدعوة وأن هذا الأسلوب من أنفع الأساليب التي يُحقق بها حماية التوحيد ويُحارب بها الشرك، فينبغي للدعاة إلى التوحيد والدافعين عنه العناية بهذه الوسيلة العظيمة وأن يكونوا على بصيرة بأصولها وقواعدها.

رابعاً: سد الذرائع.

سد الذرائع في اللغة:

السّد في اللغة: الإغلاق قال ابن منظور: "السد: إغلاق الخلل وردم الثلم"(٢).

وقال الفيومي(٣): "الحاجز بين الشيئين"(٤) قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾ [يس: ٩] أي: "وجعلنا من بين أيدي هؤلاء المشركين سدّاً، وهو الحاجز بين الشيئين"(٥).

---

(١) انظر قصص الأنبياء لابن كثير ص ١٧٨-١٨١.

(٢) لسان العرب ١٤٩/٧.

(٣) هو: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس: اشتغل ومهر وتميز في العربية عند أبي حيان ثم قطن حماة، وخطب بجامع الدهشة، وكان فاضلا عارفا بالفقه واللغة. اشتهر بكتابه (المصباح المنير) ولد ونشأ بالفيوم (بمصر) ورحل إلى حماة (بسورية) فقطنها. عاش إلى بعد ٧٧٠ هـ. انظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ٣٨٩/١.

(٤) المصباح المنير ص٢٢٣.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٤٩٤/٢٠.

أما الذرائع **في اللغة:** الذرائع جمع ذريعة وهي الوسيلة، والسبب إلى الشيء(١).

الذريعة في الاصطلاح: لها معنى عام وخاص، فأما العام فهو قريب من معناه اللغوي: "الوسيلة للشيء"(٢). وقد صرح الإمام القرافي(٣) في كتابه الفروق أنه قد يُعبّر عن الوسائل بالذرائع فقال: "الفروق الثامن والخمسون بين قاعدة المقاصد وقاعدة الوسائل: وربّما عُبِّر عن الوسائل بالذرائع، وهو اصطلاح أصحابنا، وهذا اللفظ المشهور في مذهبنا"(٤). وقال ابن القيّم: "الذريعة: ما كان وسيلة وطريقاً إلى الشيء"(٥).

أما المعنى الخاص فقد ذكر العلماء عدة تعريفات منها ما يلي:

قال الشاطبي(٦): "التوسّل بما هو مصلحة إلى مفسدة"(٧).

وقال القرطبي(٨): "عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع"(٩).

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور ٢٨/٦ والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٧١٧.

(٢) انظر شرح تنقيح الفصول للقرافي ص ٣٥٣.

(٣) هو: أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله القرافي المصري: الإمام العلامة، أحد الأعلام المشهورين، انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب مالك رحمه الله تعالى، وجد في طلب العلوم فبلغ الغاية القصوى فهو الإمام الحافظ توفي عام ٦٨٤هـ. انظر الديباج لابن فرحون ٢٣٦/١.

(٤) ٦١/٢.

(٥) إعلام الموقّعين ٥٥٣/٤.

(٦) هو: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، وهو صاحب الموافقات في أصول الفقة، والمجلى شرح كتاب البيوع من صحيح البخاري. توفي سنة ٧٩٠هـ. انظر شجرة النور الزكية ٢٣١/١ والأعلام للزركلي ٤٧٨/١.

(٧) الموافقات للشاطبي ١٨٣/٥.

(٨) هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي. وُلد في مدينة قرطبة عام ٦٠٠هـ، من كبار المفسرين، من أهل قرطبة. كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بين توجّه وعبادة وتصنيف، توفي ٦٧١هـ. طبقات المفسرين للداوودي ٦٩/٢.

(٩) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٤/٢.

.

ويظهر أن شيخ الإسلام ابن تيمية جمع بين معنيي اللغة والاصطلاح في قوله: "أن الله سبحانه ورسوله سد الذرائع المفضية إلى المحارم بأن حرمها ونهى عنها. والذريعة ما كان وسيلة وطريقاً إلى الشيء، لكن صارت في عرف الفقهاء عبارة عما أفضت إلى فعل محرم، ولو تجردت عن ذلك الإفضاء لم يكن فيها مفسدة"(١).

تعريف سد الذريعة في الاصطلاح (بعد تركيب الكلمتين): تنوعّتْ تعريفات الفقهاء والأصوليين، ومن أشهرها:

قال المازري(٢): "منع ما يجوز لئلا يُتطرّق به إلى ما لا يجوز"(٣).

وقال القرافي: "سد الذرائع، ومعناه حسم مادة وسائل الفساد دفعاً لها" ثم قال: "فمتى كان الفعل السالم عن المفسدة وسيلة للمفسدة منع مالك من ذلك الفعل"(٤).

وقال الشاطبي: "منع الجائز لئلا يتوصل به إلى الممنوع"(٥).

فكل هذه التعريفات تتفق في أن الوسيلة إذا أفضت إلى مفسدة يجب حسمها ومنعها، فالوسيلة إن قُصد بها الحرام فحكمها حرام لأن الوسائل لها حكم المقاصد، فإن لم يُقصد بالوسيلة حرام ولكن عُرف أو يغلب على الظن أنها ستفضي إلى حرام فكذلك يجب منعها وسدها في هذا الحال. فالمتوسَّل إليه هو زبدة الموضوع، فالمسألة كلّها تدور حوله، هو الذي عبّرتْ عنه التعريفات السابقة بالكلمات: "الفساد" أو "ما لا يجوز" أو "المفسدة" أو

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/٣٠.

(٢) هو: محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، كان من علماء المالكية في عصره، بلغ درجات الاجتهاد، له مؤلفات منها شرح كتاب مسلم، وكان رحمه الله تعالى حسن الخلق مليح المجلس أنيسه كثير الحكايات وإنشاد قطع الشعر وكان قلمه في العلم أبلغ من لسانه. توفي سنة ٥٣٦هـ. انظر الديباج لابن فرحون ٢/٢٥٠.

(٣) شرح التلقين ٧/٤٣١.

(٤) الفروق ٢/٦٠.

(٥) الموافقات ٣/٥٦٤.

"الممنوع" فالمتوسَّل إليه هو الذي يحدد حكم الوسيلة، وبه تتحول إلى المنع تبعاً له. وقد يُعبَّر عن المتوسَّل إليه كذلك بكلمة المآل، والمقصود به: ما تنتهي الأفعال إليه.

فالحاصل أن سد الذرائع يرجع إلى اعتبار المآل، فهو فصل الخطاب في معرفة حكم الوسيلة، وقد أشار الشاطبي إلى هذا في الموافقات بقوله: "النظر في مآلات الأفعال معتبرٌ مقصودٌ شرعًا كانت الأفعال موافقة أو مخالفة(١)، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل"(٢).

ومن خلال ما سبق من بيان، يمكن أن نقول أن الذرائع أربعة أقسام باعتبار المآل، وهي كما يلي(٣):

القسم الأول: ذريعة تُفضي إلى مفسدة قطعاً، لا شكّ في ذلك، فهذه أجمعت الأمة على سدّها ومنعها وحسمها كحفر الآبار في طرق المسلمين، فإنه وسيلة إلى إهلاكهم، وكذلك إلقاء السمِّ في أطعمتهم.

القسم الثاني: ذريعة تُفضي إلى مفسدة غالباً أو ظنّياً كبيع العنب للخمّار، فهذه كذلك تُمنع فتُلحَق بالقسم الأول لوجوه:

١/ أن الشريعة الإسلامية أجرت الظن مجرى العلم في كثير من المسائل. كقول الله تعالى: ﴿ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ ﴾ [الممتحنة: ١٠] ومعلوم أنا لا نحيط علماً بما في ضمائرهنّ وسرائرهنّ، وقد سمّى الله تعالى ما ظهر لنا من أمرهنّ علماً(٤).

٢/ أن المنصوص عليه من سد الذرائع داخل في هذا القسم كقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

٣/ أن جواز هذا النوع من الذرائع داخل في التعاون على الإثم والعدوان المنهي عنه.

---

(١) قال الشيخ مشهور آل سلمان: "مأذوناً فيها أو منهياً عنها" انظر تعليقه على الكتاب ١٧٧/٥.

(٢) ١٧٧/٥.

(٣) انظر الفروق للقرافي ٦٢/٢، وإعلام الموقعين لابن القيم ٥٥٤/٤ والموافقات للشاطبي ٥٤/٣-٨٤.

(٤) انظر الفصول في الأصول للرازي ٩٠/٣.

القسم الثالث: ذريعة تُفضي إلى مفسدة نادراً، فهذه أجمعت الأمة على عدم منعها، فهي ذريعة لا تُسد، ووسيلة لا تُحسم كالمنع من زراعة العنب خشية الخمر، فإنه لم يقل به أحد.

القسم الرابع: هناك ذرائع اختلف العلماء فيها، هل تُسد أم لا؟ كبيوع الآجال.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "لما كانت المقاصد لا يُتوصَّل إليها إلا بأسباب وطُرق تُفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها، ووسائل الطاعات والقُربات في محبتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غاياتها، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود، وكلاهما مقصود، لكنه مقصود قصدَ الغايات، وهي مقصودة قصد الوسائل، فإذا حرّم الربّ تعالى شيئاً وله طرق ووسائل تُفضي إليه فإنه يحرمها ويمنع منها، تحقيقاً لتحريمه، وتثبيتاً له ومنعاً أن يُقرَب حِماه، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضاً للتحريم، وإغراءً للنفوس به، وحكمته تعالى وعلمه تأبى ذلك كل الإباء، بل سياسة ملوك الدنيا تأبى ذلك، فإن أحدهم إذا منع جندَه أو رعيته أو أهل بيته من شيء، ثم أباح له الطرق والأسباب والذرائع الموصِّلة إليه لعدَّ متناقضاً، ولحصل من رعيته وجنده ضد مقصوده، وكذلك الأطباء إذا أرادوا حَسْم الداء منعوا صاحبه من الطرق والذرائع الموصِّلة إليه، وإلا فسد عليهم ما يرومون إصلاحه، فما الظن بهذه الشريعة الكاملة التي هي في أعلى درجات الحكمة والمصلحة والكمال؟ ومن تأمّل مصادرها ومواردها علم أن الله تعالى ورسوله سدّ الذرائع المفضية إلى المحارم بأن حرّمها ونهى عنها والذريعة ما كان وسيلة وطريقاً إلى الشيء"(١).

فسدّ الذرائع من أعظم أصول الإسلام وأهم قواعد الشريعة، بل إن علماء الأصول يعدّون هذا الأساس المتين مقصداً من مقاصد الدين التي فيها جلب المصالح ودرء المفاسد، ولا شكّ أن أسمى المقاصد وأنفع المصالح للعباد هو تحقيق التوحيد وحمايته، وأن أقبح المفاسد وأكثرها ضرراً عليهم هو الشرك بالله سبحانه وتعالى.

وقد دلت النصوص في الكتاب والسنة على اعتبار قاعدة سدّ الذرائع ومراعاتها، فأما الأدلة من القرآن الكريم المثبتة لحجية هذه القاعدة فهي كثيرة ومن ذلك:

---

(١) إعلام الموقعين ٤/٥٥٣.

١/ قول الله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٣٥].

قال القرطبي رحمه الله: "إن الله تعالى لما أراد النهي عن أكل الشجرة نهى عنه بلفظ يقتضي الأكل وما يدعو إليه وهو القرب وهذا مثال بيّنٌ في سد الذرائع"(١). فالله سبحانه وتعالى نهى آدم عن قرب الشجرة مبالغةً في تحريم أكل الشجرة، فالنهي عن قرب الشجرة ليس ممنوعاً لذاته، وإنما سدّاً للذرائع والوسائل المفضية إلى مفسدة أكل الشجرة، ولهذا أمر الله آدم أن يجتنب عن الشجرة وألا يقربها لأن القربان عنها من مقدمات التناول، وهذا نظير قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾الإسراء: ٣٢، فنهي الله عباده عن قربان الزنى أبلغ عن مجرد النهي عن الزنى لأن ذلك يتضمن جميع مقدمات الزنى ودواعيه وأسبابه، أي: نهى عن ذلك سدّاً للذرائع الموصلة إلى الفاحشة.

٢/ قول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[البقرة: ١٠٤].

قال القرطبي رحمه الله: "قال ابن عباس: كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ: راعنا، على جهة الطلب والرغبة – من المراعاة– أي: التفِتْ إلينا، وكان هذا بلسان اليهود سبّاً، أي: اسمع لا سمِعتَ، فاغتنموها وقالوا: كنا نسُبّه سرّاً فالآن نسبّه جهراً، فكانوا يخاطبون بها النبيّ ﷺ ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ(٢) وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: عليكم لعنة الله! لئن سمعتُها من رجل منكم يقولها للنبي ﷺ لأضربنّ عنقه، فقالوا: أوَلستم تقولونها؟ فنزلت الآية، ونُهوا عنها لئلا تقتدي بها اليهود في اللفظ وتقصد المعنى الفاسد فيه" إلى أن قال: "فيه التمسّك بسد الذرائع وحمايتها وهو مذهب مالك وأصحابه وأحمد ابن حنبل في رواية عنه، وقد دل على هذا الأصل الكتاب والسنة. والذريعة عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع. أما الكتاب فهذه الآية، ووجه التمسّك بها أن اليهود كانوا يقولون

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٥٣/١.

(٢) هو: أبو عمرو الأنصاري، الأشهلي، البدري، الذي اهتزّ العرش لموته، رُمي يوم الخندق، فعاش شهرا، ثم انتقض جرحه فمات. انظر السير للذهبي ٢٧٩/١.

.

ذلك وهي سبٌّ بلغتهم، فلما علم الله ذلك منهم منع من إطلاق ذلك اللفظ، لأنه ذريعةٌ للسبّ"(١).

فهذه الآية واضحةٌ في الدلالة على مشروعية هذه القاعدة (سد الذرائع)، لأن كلمة "راعنا" مباحة في الأصل، ولكن لما عُرف أنها وسيلة إلى الوقوع في محظور منع الله المؤمنين من إطلاقها.

٣/ قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

قال ابن العربي(٢): "فمنع الله تعالى في كتابه أحداً أن يفعل فعلاً جائزاً يؤدّي إلى محظور، ولأجل هذا تعلق علماؤنا بهذه الآية في سد الذرائع، وهو كل عقد جائز في الظاهر يؤول أو يمكن أن يتوصل به إلى محظور"(٣).

وقال القرطبي: "فمنع من سبّ آلهتهم مخافةَ مقابلتهم بمثل ذلك، فهذه الآية دليل على وجوب الحكم بسدّ الذرائع"(٤).

أما الأدلة من السنة المطهَّرة على سدّ الذرائع فكذلك هي كثيرة ومنها ما يلي:

١/ عن عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا للنبي ﷺ فقال: "إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً، وصوّروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة"(٥).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢/٢٩٣ بتصرف يسير.

(٢) هو: الإمام، العلامة، الحافظ، القاضي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، ابن العربي الأندلسي، الإشبيلي، المالكي، صاحب التصانيف، ولد ٤٦٨هـ، بلغ رتبة الاجتهاد، صحب ابن حزم، توفي ٥٤٣هـ. انظر السير للذهبي ٢٠/١٩٧.

(٣) أحكام القرآن ٢/٢٦٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢/٢٩٤، ٨/٤٩٢.

(٥) تقدم تخريجه ص ٤٥.

إنما حذر النبيّ ﷺ أمته من بناء المساجد على القبور لأن ذلك ذريعة إلى عبادة الأموات من دون الله، فنهى أمته أن يتشبهوا بأهل الكتاب في هذا الصنيع سدّاً للذريعة المفضية إلى الشرك(١).

٢/ عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "لا يقولنّ أحدكم عبدي وأمتي، كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل: غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي"(٢).

وفي رواية: "لا يقل أحدكم اسق ربّك، أطعم ربّك، وضئ ربّك. ولا يقل أحدكم: ربي، وليقل سيدي مولاي ولا يقل أحدكم عبدي أمتي، وليقل: فتاي فتاتي غلامي"(٣).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "نهى الرسول ﷺ الرجل أن يقول لغلامه وجاريته: عبدي وأمتي ولكن يقول: فتاي وفتاتي، ونهى أن يقول لغلامه وَضِّىء ربك، أطعم ربك سدّاً لذريعة الشرك في اللفظ والمعنى، وإن كان الربّ ههنا هو المالك كرب الدار، ورب الإبل، فعدل عن لفظ العبد والأمة إلى لفظ الفتى والفتاة، ومنع من إطلاق لفظ الربّ على السيد، حمايةً لجانب التوحيد، وسدّاً لذريعة الشرك"(٤).

فوجه الاستدلال بهذا الحديث على حجية القاعدة (سد الذرائع) ظاهر، حيث نهى الرسول ﷺ عن تلك الألفاظ لأنها وسيلة إلى مفسدة.

٣/ عن عبد الله بن عمرو(٥) أن رسول الله ﷺ قال: "من الكبائر أن يلعن الرجل والديه"، قيل: يا رسول الله، كيف يلعن الرجل والديه؟ قال: "نعم، يسبّ أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه"(٦).

---

(١) انظر المفهم شرح صحيح مسلم لأحمد بن عمر القرطبي ١٢٧/٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الألفاظ من الأدب باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد ١٧٦٤/٤ برقم ٢٢٤٩.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) إعلام الموقعين ٤٤/٥.

(٥) هو: عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي، السهمي، أسلم قبل أبيه، وكان حافظا وعالما، توفي ٦٣هـ. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٩٥٧/٣.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب باب لا يسب الرجل والديه ٣/٨ برقم ٥٩٧٣.

قال ابن بطال(١): "هذا الحديث أصل في قطع الذرائع، وأن من آل فعله إلى محرم وإن لم يقصده فهو كمن قصده وتعمده في الإثم، ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام نهى أن يلعن الرجل والديه؟ فكان ظاهر هذا أن يتولى الابن لعنهما بنفسه، فلما أخبر النبيّ عليه السلام أنه إذا سبّ أبا الرجل، وسب الرجل أباه وأمه، كان كمن تولى ذلك بنفسه، وكان ما آل إليه فعل ابنه كلعنه في المعنى، لأنه كان سببه، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨] وهذه من إحدى آيات قطع الذرائع في كتاب الله"(٢).

ففي هذا الحديث نهى الرسول ﷺ عن سبّ الرجل والد غيره بغض النظر عن قصد الساب، وهذا يدل أن العلّة المعتبَرة قبل كل شيء في سد الذرائع هي النظر إلى مآل الفعل، فلا يشترط القصد، فإن كان الفعل يفضي إلى مفسدة فيجب منعه وإن لم يقصدها الفاعل، كما أنه لا يلزم أن نكون على يقين بوقوع المفسدة، بل إن يغلب على الظن أن الوسيلة تؤول إلى محظور فكذلك يجب قطعها، لأن من سب والد غيره قد لا يتحقق رد الفعل بالسب ولكن يُمنع من ذلك ابتداءً لأن الغالب في هذا الحال وقوع المفسدة، فيُجرى الغالب والظن مجرى المحقَّق والعلم فيُمنع.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله في تقرير هذه القاعدة الجليلة: "والشريعة مبنية على الاحتياط والأخذ بالحزم، والتحرز مما عسى أن يكون طريقاً إلى مفسدة، فإذا كان هذا معلومًا على الجملة والتفصيل، فليس العمل عليه ببدع في الشريعة، بل هو أصل من أصولها، راجع إلى ما هو مكمّل، إما لضروري، أو حاجي، أو تحسيني. إلى أن قال: "فسد الذرائع مطلوب مشروع، وهو أصل من الأصول القطعية في الشرع"(٣).

---

(١) هو: علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، أبو الحسن: من أهل قرطبة، كان من أهل العلم والمعرفة والفهم عني بالحديث العناية التامة وأتقن ما قيد منه، توفي ٤٤٩هـ. انظر الديباج لابن فرحون ١٠٦/٢.

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال ١٩٢/٩.

(٣) الموافقات ٨٥/٣-٢٦٣.

وقال القرافي رحمه الله: "اعلم أن الذريعة كما يجب سدُّها يجب فتحُها، وتُكره وتُندب وتُباح، فإن الذريعة هي الوسيلة، فكما أن وسيلة المحرَّم محرَّمة، فوسيلة الواجب واجبةٌ كالسعي للجمعة والحج. وموارد الأحكام على قسمين: مقاصد وهي المتضمِّنة للمصالح والمفاسد في أنفسها، ووسائل وهي الطرق المفضِية إليها، وحكمُها حكم ما أفضَتْ إليه من تحريم وتحليل، غير أنها أخْفَض رتبةً من المقاصد في حكمها، والوسيلة إلى أفضل المقاصد أفضل الوسائل، وإلى أقبح المقاصد أقبح الوسائل، وإلى ما يُتوسَّط مُتوسّطة"(١).

وقد توسع الإمام ابن القيم رحمه الله في ذكر الأمثلة على سد الذرائع في الشرع في كتابه إعلام المَوَقِّعين(٢)، فذكر تسعة وتسعين دليلاً، ولا يتسع المقام أن أذكرها كلّها، فقال عقب ذكر هذه الأدلة: "باب سد الذرائع أحد أرباع التكليف، فإنه أمر ونهي والأمر نوعان، أحدهما: مقصود لنفسه والثاني وسيلة إلى المقصود، والنهي نوعان: أحدهما: ما يكون المنهي عنه مفسدة في نفسه، والثاني ما يكون وسيلة الى المفسدة، فصار سد الذرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدين"(٣).

فهذه بعض النصوص الملتمسة من كتاب الله وسنة الرسول ﷺ وأقوال العلماء في الاستدلال على قاعدة سد الذرائع في الشرع وصحة حجيتها. فهذه القاعدة لها قيمة عظيمة في الدين وهي بذاتها وسيلة من وسائل الدعوة بل هي من أنفعها وأهمها التي يُستعان بها في حماية التوحيد، فالداعي يتخذ قاعدة سد الذرائع أسلوباً في منهجه في صيانة أصل الدين وحسم مادة الشرك.

خامساً: الجهاد.

الجهاد لغة: من الجهد قال ابن فارس: "الجيم والهاء والدال أصله المشقّة، ثم يُحمل عليه ما يقاربه. يقال جهدت نفسي وأجهدت والجهد الطاقة"(٤).

---

(١) الفروق ٦٣/٢.

(٢) ٥/٥.

(٣) المصدر نفسه ٦٦/٥.

(٤) مقاييس اللغة ٤٨٦/١.

والجهاد شرعاً: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "بذل الوسع في حصول محبوب الحق ودفع ما يكرهه"(١).

إن الجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الدين قال الرسول ﷺ: "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله"(٢). فالجهاد في سبيل الله له مكانة عالية ومنزلة سامية في الإسلام، فهو من أعظم شعائر الدين ومن أفضل شعاب الإيمان، فقتال المشركين لتكون كلمة الله هي العليا عبادة جليلة، من أحسن ما يتقرب به المسلم إلى الله، كما أنه مطلب من مطالب الدين الذي يجب على المؤمن أن يحدث نفسه به وإلا كان ذلك تشبّه بالمتخلفين عن الجهاد، وعلامة من علامات النفاق، فعن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ أنه قال: "من مات ولم يغز، ولم يحدِّث به نفسه، مات على شعبة من نفاق"(٣).

ومعنى الجهاد لا يقتصر على قتال الكفّار ورفع السيوف كما يعتقده كثير من الناس، بل مراده أوسع وأشمل من هذه الصورة، إذ الجهاد ينقسم إلى أنواع ومراتب، فمن هذه المراتب ما هي متعلقة باللسان والقلب والجوارح أو بالمال، وأخرى متعلقة بأصناف بعض الناس حسب الكلام فيها.

وقد حرّر الإمام ابن القيم مفهوم الجهاد وبيّن مراتبه بالتفصيل في كتابه زاد المعاد(٤)، وخلاصة كلامه أن الجهاد أربعة مراتب:

١/ جهاد النفس.

٢/ جهاد الشيطان.

٣/ جهاد الكفّار والمنافقين.

٤/ جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩٢/١٠.

(٢) رواه أحمد في مسنده ٢٣١/٥. قال محقق الكتاب أحمد شاكر: "صحيح بطرقه وشواهده".

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب ذم من مات، ولم يغز، ولم يحدث نفسه بالغزو ١٥١٧/٣ برقم ١٩١٠.

(٤) ٥/٣.

وقد تظافرت النصوص في كتاب الله وسنة الرسول ﷺ في فضل الجهاد والأمر به والحثّ عليه، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

ومن السنة عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ سئل أي العمل أفضل؟ فقال: "إيمان بالله ورسوله". قيل ثم ماذا؟ قال: "الجهاد في سبيل الله". قيل ثم ماذا؟ قال: "حج مبرور"(١).

وعن عبادة بن الصامت(٢) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "جاهدوا في سبيل الله، فإن الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى بابٌ من أبواب الجنة، يُنجي الله تبارك وتعالى به من الهمّ والغمّ"(٣).

والجهاد في سبيل الله لم يشرع إلا لأجل غاية جليلة وهي أن تكون كلمة الله هي العليا، فالمقصود منه هو إزالة الشرك والكفر والظلم وكل عوائق الدعوة، ونشر التوحيد والإيمان والعدل

قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري في قول الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم حتى لا تكون فتنة، يعني: حتى لا يكون شركٌ بالله، وحتى لا يُعبد دونه أحد، وتضمحلّ عبادة الأوثان والآلهة والأنداد، وتكون العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان"(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان باب من قال إن الإيمان هو العمل ١٤/١ برقم ٢٦.

(٢) هو: عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الأنصاري، الإمام، القدوة، أبو الوليد الأنصاري، أحد النقباء ليلة العقبة، ومن أعيان البدريين، سكن بيت المقدس، توفي سنة ٣٤هـ. انظر السير للذهبي ٢/٦.

(٣) رواه أحمد في مسنده ٣٥٥/٣٧. قال محقق المسند الشيخ شعيب الأرنؤوط: "حسن بمجموع طرقه". طرقه".

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن ٥٧٠/٣.

.

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: "ثم ذكر تعالى المقصود من القتال في سبيله، وأنه ليس المقصود به، سفك دماء الكفّار، وأخذ أموالهم، ولكن المقصود به أن يكون الدّين للّه تعالى، فيظهر دين الله تعالى، على سائر الأديان، ويدفع كل ما يعارضه، من الشرك وغيره، وهو المراد بالفتنة، فإذا حصل هذا المقصود، فلا قتل ولا قتال"(١).

فالجهاد لا يُقصد لذاته وإنما هو وسيلة لإقامة الدين، ولهذا كان الجهاد من أقوى الأساليب وأنفعها لتحقيق التوحيد وحمايته وإصلاح العقيدة، وأسرعها لإزالة مظاهر الشرك وقطع الطرق الموصلة إليه، به يُقضى على المعتدين الذين صدّوا الناس عن سبيل الله وحالوا بين المدعوين ودعاة التوحيد، فيدفع الله بالمجاهدين شرك المشركين وشرهم، فتُزال العوائق والحواجز المانعة لتبليغ الدعوة وكلمة الحق.

فالمتأمل يدرك أن الجهاد عامل مهم في تحقيق العبادة لله وحده لا شريك له، وحماية جناب التوحيد بمقاومة الطواغيت، فلا تعلو شعائر الشرك ولا تبقى ذرائع مؤدية إليه ولا يتسلط مشركون على بلاد المسلمين الموحِّدين.

فهذه بعض الوسائل التي تتحقق بها حماية التوحيد(٢)، فيجب على من تصدّر للدعوة وصيانة التوحيد والدفاع عنه أن يعتني كل العناية بهذه المسالك وألا يعدل عنها لأن تلك الوسائل وما تتضمنه من أحكام وقواعد هو المنهج القويم الذي يُحارب به الشرك على اختلاف أنواعه، فهذه الأساليب من منهج الأنبياء عليهم السلام في منافحة أصل الدين، هي أسس عظيمة ودعائم مشروعة لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد، وليست الغاية تبرّر الوسيلة كما يدّعيه البعض، بل الداعية يمشي على القواعد والأصول التي رسمها النبيّ ﷺ لأتباعه خصوصاً في حماية التوحيد ويبتعد عن الوسائل المحرَّمة.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٨٩.

(٢) وقد اقتصرت في ذكرها على هذه الطرق الخمسة؛ لأنها تُعتبر من أهمها وأنفعها، ومن جهة أخرى فهي أكثرها وروداً في هذه الرسالة العلمية أي: جهود الخلفاء الراشدين ﷺ في حماية التوحيد.

المطلب الرابع: الجهات التي تتحقق فيها حماية التوحيد.

من المقرر عند أهل السنة والجماعة أن تعريف الإيمان هو: قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

قال الإمام ابن بطة[١]: "معناه التصديق بما قاله، وأمرَ به، وافترضه، ونهى عنه، من كل ما جاءتْ به الرّسل من عنده، ونزلتْ فيه الكتب، وبذلك أرسل المرسلين فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] والتصديق بذلك قولٌ باللسان، وتصديقٌ بالجنان، وعملٌ بالأركان، يزيده: كثرة العمل والقول بالإحسان، ويُنقصه: العصيان"[٢].

وقال الإمام الآجري[٣]: "باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح لا يكون مؤمناً، إلا بأن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث، اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزئ معرفة بالقلب، ونطق باللسان، حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كَمُلت فيه هذه الخصال الثلاث: كان مؤمناً دل على ذلك القرآن، والسنة، وقول علماء المسلمين"[٤].

---

(١) هو: عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري المعروف بابن بطة، نشأ في بيت علم وسنة، كان أبوه من أهل الحديث، كان أحد الفقهاء على مذهب أحمد بن حنبل، توفي سنة ٣٨٧هـ. انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٣٧٠/١٠ وطبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١٤٤/٢.

(٢) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص ١١٨.

(٣) هو: محمد بن الحسين بن عبد الله أبو بكر الآجري الفقيه المحدث صاحب المصنفات،وكان مقيما بمكة شرفها الله وبها توفي بالمحرم وتوفي فيها سنة ٣٦٠هـ. انظر طبقات الشافعية للسبكي ١٤٩/٢.

(٤) كتاب الشريعة ٦٦١/١.

وقال الإمام ابن منده(١): " ذكر خبر يدل على أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان يزيد وينقص"(٢).

فهذا هو حقيقة الإيمان الذي اتفق عليه السلف الصالح ومن سار على نهجهم، فالإيمان كما يظهر من خلال التعريفات مركَّبٌ من قول واعتقاد وعمل، فهو يتألف من هذه الأجزاء الثلاث، ولابدّ من اجتماعها قال الإمام الشافعي: "وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أن الإيمان قول وعمل ونية، ولا يجزي واحد من الثلاثة إلا بالآخر"(٣).

وعن هذه الخصال الثلاث تتفرع جميع شعب الإيمان، "فالعبودية منقسمة على القلب واللسان والجوارح، وعلى كل منها عبودية تخصه"(٤):

-**فالخصلة الأولى** (اللسان): هذه تشمل النطق بكلمة التوحيد التي يدخل بها العبدُ الإسلام، وسائر المعروف من الأقوال، كذكر الله تعالى ودعائه وقراءة القرآن والدعوة إلى الله وغير ذلك.

وإليك بعض النصوص الدالة على أن الإيمان يكون باللسان:

قول الله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وفي السنة عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. . . "(٥).

---

(١) هو: الإمام الكبير، أبو عبد الله، محمد بن يحيى بن مندة، نشأ بأصبهان في أسرة علمية، ورحل لتحصيل العلم إلى نيسابور والعراق، توفي عام ٣٩٥هـ، انظر السير للذهبي ١٨٨/١٤.

(٢) كتاب الإيمان ٣٤١/١.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٩٥٧/٥.

(٤) مدارج السالكين لابن القيم ٨٤/١.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولو: لا إله إلا الله ٥٣/١ برقم ٢٢.

-**الخصلة الثانية** (القلب): هي تشمل قول القلب وعمل القلب، أما قول القلب فهو التصديق بكل ما أخبر الله به ورسولُه ﷺ كالإيمان بأسماء الله وصفاته، والملائكة، والكتب والرسل، واليوم الآخر، وأما عمل القلب فهو كل ما يصدر من القلب من عمل كالمحبة، والخوف والرجاء والتوكّل والإخلاص وتعظيم الله ورسوله ﷺ.

والأدلة على هذه الخصلة كثيرة منها: قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾ [المائدة: ٤١] وقول الله: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ [الحجرات: ١٤].

ومن السنة في حديث جبريل عليه السلام: قال: أخبرني عن الإيمان؟ قال ﷺ: "أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. . . "(١).

-**الخصلة الثالثة** (الجوارح): هي تشمل جميع أفعال البدن كالصلاة، والصيام والزكاة والحجّ والجهاد وغير ذلك من الأعمال.

ومن النصوص الدالة على أن الإيمان يكون بالجوارح ما يلي:

قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [الأنفال: ٢ – ٤] فدلالة الآية على الأعمال داخلة في مسمى الإيمان واضحة إذ جعل الله إقامة الصلاة من صفات المؤمنين حقاً.

ومن الأدلة في السنة قول النبيّ ﷺ لوفد عبد القيس(٢): "هل تدرون ما الإيمان باللّه وحده؟ "، قالوا: اللّه ورسوله أعلم. قال ﷺ: "شهادة أن لا إله إلا اللّه، وأن محمداً رسول اللّه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وتعطوا الخُمسَ من المغنَم"(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ٣٦/١ برقم ٨.

(٢) بنو عبد القيس: قبيلة تنتسب إلى عبد القيس بن أفضى بن دعمي بن جديلة بن أسد، سكنوا في البحرين، قدم وفدهم على الرسول ﷺ وأسلموا. انظر نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب للقلقشندي ص ٣٣٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب العلم، باب تحريض النبيّ ﷺ وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان ٢٩/١ برقم ٨٧.

وقال النبيّ ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبةً، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"(١).

هذا الحديث تضمن الخصال الثلاث اللسان، والقلب والجوارح، قال الإمام ابن مندة رحمه الله: "فجعل الإيمان شعباً، بعضها باللسان والشفتين، وبعضها بالقلب، وبعضها بسائر الجوارح. فشهادة أن لا إله إلا الله فعل اللسان، تقول شهدت أشهد شهادة، والشهادة فعله بالقلب واللسان لا اختلاف بين المسلمين في ذلك، والحياء في القلب، وإماطة الأذى عن الطريق فعل سائر الجوارح"(٢).

ولما كان التوحيد من الإيمان، والإيمان قول واعتقاد وعمل، كان التوحيد لا يتحقق إلا في هذه الجهات الثلاثة، فالعبادة التي هي عين التوحيد منقسمة على اللسان والقلب والجوارح، وهذا هو حقيقة التوحيد، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وبنى إياك نعبد على أربع قواعد التحقق بما يحبه الله ورسوله ويرضاه من قول اللسان والقلب وعمل القلب والجوارح، فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الأربع فأصحاب إياك نعبد حقاً هم أصحابها"(٣).

فوقوع التوحيد الذي جاءت به جميع الرسل ودعتْ إليه لابدّ أن يكون على هذا الوجه، فيُوحَّد الله في العبادة في هذه الجهات الثلاث: اللسان، والقلب، والجوارح.

قال الإمام محمد عبد الوهاب رحمه الله: "لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً. فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما. فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه أو لا يعتقده بقلبه فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص"(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب شعب الإيمان ٦٣/١ برقم ٣٥.

(٢) كتاب الإيمان ٣٣٢/١.

(٣) مدارج السالكين ٧٨/١.

(٤) كتاب كشف الشبهات ص ١٠٩.

وقال سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ(١) رحمه الله: "بل إجماع بين أهل العلم أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب، واللسان، والعمل، فلابد من الثلاثة؛ لابد أن يكون هو المعتقَد في قلبه، ولابد أن يكون هو الذي ينطق به لسانه، ولابد أن يكون هو الذي تعمل به جوارحه، فإن اختلّ شيء من هذا، لو وحّد بلسانه دون قلبه ما نفعه توحيده، ولو وحّد بقلبه وأركانه دون لسانه ما نفعه ذلك، ولو وحّد بأركانه دون الباقي لم يكن الرجل مسلماً، هذا إجماع أن الإنسان لابد أن يكون موحِّداً باعتقاده ولسانه وعمله، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند، إذا اعتقد ولا نطق ولا عمل بالحق بأركانه فهذا كافر عند جميع الأمة"(٢).

وقال الشيخ السعدي تعليقاً على قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣] فآمنوا بقلوبهم، والتزموا بقلوبهم، انقادو بجوارحهم، وسألوا الله أن يكتبهم مع الشاهدين له بالتوحيد، وأن يحقق لهم القيام به: قولاً وعملاً واعتقاداً"(٣).

وبهذا يبرز مفهوم تحقيق التوحيد وتطبيقه، وتتّضح علاقته الوثيقة بالإيمان، وقد جاء في بعض النصوص إطلاق الإيمان يراد به التوحيد كما في قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥] أي: ومن يكفر بالتوحيد(٤).

وكما يكون التوحيد باللسان والقلب والجوارح، كذا يكون الشرك في هذه الجهات الثلاثة، لأن ما يصدر منها إما يُصرف لله أو لغير الله، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "ويتبع هذا الشرك الشرك به سبحانه في الأفعال، والأقوال، والإرادات، والنيات، فالشرك في الأفعال كالسجود لغيره، والطواف بغير بيته، ومن الشرك به سبحانه الشرك به في اللفظ، كالحلف

---

(١) هو: محمد بن إبراهيم بن الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسن بن إمام الدعوة محي السنة محمد عبد الوهاب، عُين في الفتيا، له أعمال كثيرة كالقضاء والتدريس والفتوى، توفي عام ١٣٨٦هـ. انظر مشاهير علماء نجد لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ص ١٣٥.

(٢) شرح كتاب كشف الشبهات ص ١٥٧.

(٣) مجموعة مؤلفات الشيخ السعدي ٣/٩٢.

(٤) انظر جامع البيان للطبري ٦/١٠٩ والانتصار للعمراني ٣/٧٤٠.

بغيره، ومن ذلك قول القائل للمخلوق: ما شاء الله وشئت، وأما الشرك في الإرادات والنيات، فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقلّ من ينجو منه، من أراد بعمله غير وجه الله، ونوى شيئاً غير التقرب إليه، وطلب الجزاء منه، فقد أشرك في نيته وإرادته"(١).

وقال العلّامة السعدي رحمه الله: "فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع، فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر، فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذي لا يشذ عنه شيء، كما أن حد الشرك الأصغر هو كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة، فعليك بهذين الضابطين للشرك الأكبر والأصغر"(٢).

فكمال حماية التوحيد يتحقق بقطع الوسائل المفضية إلى الشرك، كبيره وصغيره، ظاهره وباطنه، فسد هذه الذرائع القادحة لأصل الدين يكون في جهة القول والاعتقاد والأفعال، فلا تتم صيانة الحنيفية السمحة ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده إلا بمنع الناس وتحذيرهم أن يجعلوا لله نداً في هذه الجهات الثلاثة، هكذا يُحمى جناب التوحيد غاية الحماية، وتُحسم مادة الشرك على اختلاف أنواعه، بهذا يكون إبعاد الأمة أشدّ البعد عن الوقوع في الذنب الأعظم عبادة غير الله.

قال الإمام بن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين عند ذكر أمثلة على قاعدة سد الذرائع: "فحسم ﷺ مادة الشرك وسدّ الذريعة إليه في اللفظ كما سدّها في الفعل والقصد، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أكمل صلاة وأزكاها وأتمها وأعمها"(٣).

وقال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله: "فحماية النبيّ ﷺ حمى التوحيد، وسدّه طرق الشرك، كان في جهة الاعتقادات ومن جهة الأقوال والأفعال، فإذا تأملت سنته وما جاء في هذا الكتاب -كتاب التوحيد- وجدت أنه ﷺ سدّ الباب في الاعتقادات الباطلة، وسدّ الباب في الأفعال الباطلة، كقوله: "اشتد غضب الله على قوم

(١) الجواب الكافي ص ١٩٦ باختصار.
(٢) مجموعة مؤلفات الشيخ السعدي ٢١/٣.
(٣) ٣١/٥.

اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"(١)، وسدّ الباب أيضاً في الأقوال التي توصل إلى الغلو المذموم، فقال ﷺ: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله"(٢)"(٣).

وبهذا يتضح لنا الجهات التي تتحقق فيها حماية التوحيد، ولا شكّ أن معرفة هذه الجهات لها من الأهمية ما لا يخفى على من أراد أن يحقق الأمر الذي خُلق له من عبودية الله، فالقائم بحماية التوحيد لا يستغني عن مثل هذه الضوابط والمعالم، فيكون على بصيرة في إزالة مظاهر الشرك والإنكار على أهله، فلا يدع وسيلة من الوسائل المؤدية إلى الشرك إلا وقد سدّها وقطعها. "والحاصل أن تمام التوحيد بالقيام بشروطه وأركانه ومكمّلاته ومحقّقاته، وباجتناب نواقضه ومنقصاته ظاهراً وباطناً، قولاً وفعلاً وإرادة واعتقاداً"(٤)، كاجتناب الحلف بغير الله أو التبرك بالقبور أو التوكّل على الأموات.

نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا من الذين يحققون التوحيد حقاً وأن يميتنا على ذلك، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

---

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ ١٧٢/١

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٥.

(٣) التمهيد ص ٥٨١.

(٤) القول السديد للشيخ السعدي ص ١٦٢.

المبحث الثاني

تعريف التوحيد

وفيه أربعة مطالب .

المطلب الأول: التوحيد لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني: أهمية التوحيد وفضائله .

المطلب الثالث: بيان أقسام التوحيد .

المطلب الرابع: الانحراف في مفهوم التوحيد .

المطلب الأول: التوحيد لغة واصطلاحاً.

التوحيد لغة: قال ابن فارس: "الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد، من ذلك الوَحْدة"(١). فالتوحيد مصدر وحَّد يوحّد توحيداً، إذا أفرده وجعله واحداً(٢).

التوحيد اصطلاحاً: التوحيد هو إفراد الله تعالى بالعبادة مع علم العبد واعترافه واعتقاده وإيمانه بوحدة الربّ تبارك وتعالى ذاتاً وصفات وأفعالاً، فلا مثيل له، واعتقاد أنه هو وحده الخالق المدبّر المتصرّف في هذا الكون، وله الكمال المطلق، وأنه ذو الألوهية على خلقه أجمعين، فهو المستحق للعبادة دون سواه(٣).

لم يرد في القرآن كلمة التوحيد بهذا اللفظ، ولكن جاءت آيات كثيرة تتضمن مادة كلمة التوحيد وما يتفرع عنها من ألفاظ دالة عليه، فمن هذه الآيات ما تشتمل على إثبات الربوبيّة لله وحده، ووصف الربّ بالوحدانية بصفة الكمال وأنه لا مثيل له، ومنها ما تأمر بإفراد الله بالعبادة والحثّ عليه، كل ذلك تقريراً لهذا التوحيد العظيم قال الله: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد: ١٦].

وقال الله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وقال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٣].

---

(١) مقاييس اللغة ٦/٩٠.

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور ١٥/١٦٤.

(٣) انظر لوامع الأنوار للسفاريني ص ٥٧ ومجموعة مؤلفات الشيخ السعدي ٣/٦١.

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠] وغير ذلك من الآيات البينات.

وفي الحقيقة إن القرآن كله توحيد وشاهد به، فآياته كلّها تدعو إلى هذا الأمر العظيم، لأن القرآن "إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكمّلاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحلّ بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كلّه في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم"(١).

أما ورود كلمة التوحيد ومشتقاتها في السنة فقد ثبت في هذا أحاديث كثيرة منها:

عن عمرو بن شعيب(٢)، عن أبيه، عن جده، أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مئة بدنة، وأن هشام بن العاص(٣) نحر حصَّته خمسين بدنة، وأن عمراً سأل النبيّ ﷺ ذلك؟ فقال: "أما أبوك، فلو كان أقرّ بالتوحيد، فصمتَ، وتصدقتَ عنه، نفعه ذلك"(٤).

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٣/٣٣٢.

(٢) هو: عمرو بن شعيب ابن محمد بن صاحب رسول الله ﷺ عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل، الإمام المحدث أبو إبراهيم وأبو عبد الله القرشي السهمي الحجازي فقيه أهل الطائف، ومحدثهم، وكان يتردد كثيرا إلى مكة، وينشر العلم، توفي عام ١١٨هـ. انظر السير للذهبي ٥/١٦٥.

(٣) هو: هشام بن العاص السهمي الرجل الصالح، المجاهد؛ ابن أخت أبي جهل، وهي أم حرملة المخزومية. قال ابن سعد: كان هشام قديم الإسلام بمكة، وهاجر إلى الحبشة، ثم رد إلى مكة إذ بلغه أن النبيّ ﷺ قد هاجر ليلحق به، فحبسه قومه بمكة. ثم قدم بعد الخندق مهاجرا، وشهد ما بعدها. قيل قتل يوم اليرموك. انظر السير للذهبي ٣/٧٧.

(٤) مسند أحمد ١١/٣٠٧ قال محقق المسند الشيخ شعيب الأرنؤوط: "إسناده حسن".

وعن جابر رضي الله عنه أنه ﷺ قال: "يعذّب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا حُمَماً فيها، ثم تدركهم الرحمة، فيُخرَجون فيلقون على باب الجنة، فيرشُّ عليهم أهل الجنة الماء، فينبتون كما ينبت الغثاء في حِمالَة السيل[١] ثم يدخلون الجنة"[٢].

وعن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ أنه قال: "كان رجل ممن كان قبلكم لم يعمل خيراً قط إلا التوحيد، فلما احتُضر قال لأهله: انظروا إذا أنا متُّ أن يحرقوه حتى يدَعوه حُمَماً[٣]، ثم اطحَنوه، ثم أذْروه في يوم ريح. فلمّا مات فعلوا ذلك به، فإذا هو في قبضة الله، فقال الله عز وجل: يا ابن آدم، ما حملك على ما فعلت؟ قال: أي ربّ من مخافتك، قال: فغفر له بها، ولم يعمل خيراً قط إلا التوحيد"[٤].

ومما ورد من مشتقّات كلمة التوحيد قول الرسول ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: "إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أوّل ما تدعوهم إلى أن يوحّدوا الله تعالى"[٥].

وهذا اللفظ (التوحيد) بالتالي كان معروفاً عند الصحابة فعن جابر رضي الله عنه في وصفه لصفة حجّ النبيّ ﷺ قال: "فأهَلَّ بالتوحيد، لبيك اللّهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك"[٦].

وقال ابن عباس رضي الله عنه:" كل عبادة في القرآن فهو التوحيد"[٧]، وقال :" القدر نظام التوحيد"[١]. وغير ذلك من الشواهد لهذه اللفظة.

---

(١) ما احتمله السيل من البزُورات فإنها إذا استقرت على شط مجرى السيل تنبت في يوم وليلة، فشبه بها سُرعة عود أبدانهم وأجسادهم إليهم بعد إحراق النَّار لها. انظر النهاية لابن الأثير ٢٨٩/٢ و شرح صحيح مسلم للنووي ٣٧/٣.

(٢) مسند أحمد ٣٧٤/٢٣ قال محقق المسند الشيخ شعيب الأرنؤوط: "حديث صحيح وهذا إسناد قوي على شرط مسلم".

(٣) أي: مسودّاً كالفحمة. انظر النهاية لابن الأثير ٤٣٦/١.

(٤) مسند أحمد ٤٠٨/١٣. قال محقق المسند الشيخ شعيب الأرنؤوط: "إسناد متصل صحيح".

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبيّ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ١١٤/٩ برقم ٧٣٧٢.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحج باب حجة النبيّ ﷺ ٨٨٦/٢ برقم ١٢١٨.

(٧) رواه الطبري في جامع البيان ٩١/٢١.

المطلب الثاني: أهمية التوحيد وفضائله.

إن التوحيد هو أصل دين الإسلام الذى لا يقبل الله من الأوّلين والآخرين دينًا غيره، وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، فهو أوّل الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وكل الأوامر والنواهي والعبادات والطاعات كلّها مبنية على هذا الأساس العظيم الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلاَّ الله أي: لا معبود بحق إلا الله، عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يُعبد من دونه، فبالتوحيد يُقبل عمل الإنسان، وتصح عبادته، وينجو من النار ويدخل الجنة، فهو أوّل الواجبات وأفرض الفرائض، ومعلوم أن الإنسان مفطور على عبادة الله فلا تطمئن نفسه إلا بتحقيق التوحيد، فحياة المسلم كلّها تابعة له، في حركاته وسكونه، عليه تتوقف سعادته في الدارين. فحاجته لهذا الأمر أعظم من حاجته إلى الأكل والشرب، فلا يمكن أن يستغني عن ما جعله الله غذاء للنفوس، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "ومعلوم أن حاجتهم إلى معرفة ربهم وفاطرهم ومعبودهم جلّ جلاله فوق مراتب هذه الحاجات كلّها، فإنه لا سعادة لهم ولا فلاح، ولا صلاح، ولا نعيم، إلا بأن يعرفوه ويعبدوه ويكون هو وحده غاية مطلوبهم ونهاية مرادهم وذكره والتقرب إليه، قرة عيونهم، وحياة قلوبهم، فمتى فقدوا ذلك كانوا أسوأ حالاً من الأنعام بكثير، وكانت الأنعام أطيب عيشاً منهم في العاجل، وأسلم عاقبة في الآجل، وإذا علم أن ضرورة العبد إلى معرفة ربه ومحبته وعبادته والتقرب إليه فوق كل ضرورة كانت الطرق المعرفة لهم ذلك أيسر طرق العلم على الإطلاق، وأسهلها، وأهداها، وأقربها، وبيان الربّ تعالى لها فوق كل بيان"(٢).

فالحاصل أن شأن التوحيد عظيم ومنزلته عالية، فلا يبلغ مكانته السامية أي أمر من الأمور، وهناك أسباب كثيرة، بها تبرز أهمية التوحيد وفضائله، تحثّ العبد المسلم على تعلّمه والعمل به، تدفعه إلى العناية به، ومن أعظمها ما يلي:

---

(١) رواه عبد الله في كتاب السنة ٢/٤٢٢.

(٢) الصواعق المرسلة ١/٣٦٦.

١/ التوحيد هو الغاية من خلق الجن والإنس:

إن الغاية من خلق الله الجن والإنس هي العبادة، فلم يخلق الله عباده عبثاً، من غير سبب، بل حكمته سبحانه اقتضت أنه جعلنا في هذه الدنيا لنوحّده بالعبادة قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال ابن عباس رضي الله عنه: "إلا ليقرّوا بعبادتي طوعاً أو كرهاً"(١)، وقال ابن كثير: "إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم. "(٢)

فالله أمر عباده بعبادته على سبيل الابتلاء ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢] وقوله: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾ [الإنسان: ٢].

فسبب وجودنا في هذه الدنيا ليس للهو ولا للعب أو للتنافس والتكاثر في الأموال والأولاد وغير ذلك، قال الله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، بل وجودنا لنوحّد الله ربّنا الذي خلقنا ورزقنا وربانا بنعمه.

فتحقيق التوحيد أمر ضروري عند الإنسان، فلا تستقيم حياته إلا به، إذ من أجله خُلق، فقلبه يطمئن بتأله الربّ، والذي خلق العباد أعلم منهم بما يصلحهم وما ينفعهم قال الله تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤] ولا شكّ أن لا صلاح لهم في الدنيا والآخرة إلا بتطبيق هذا الأمر.

٢/ التوحيد هو أساس وأول دعوة الرسل.

كما سبق، إن الله خلق الجن والإنسن لعبادته، ومن رحمته على عباده أنه لم يتركهم هملاً، من غير أن يدلهم على الحق، بل أرسل إليهم رسلاً ليذكّروهم بأمر التوحيد بعد ما أخذ منهم الميثاق، فأشهدهم عليه، فهؤلاء المصطفون من الأنبياء علّموا الناس التوحيد وحذّروهم من الشرك صغيره وكبيره، وبيّنوا لهم الصراط المستقيم لتحقيقه، فالتوحيد هو منطلق الرسل ووظيفتهم، فهو زبدة رسالتهم لأنه هو الأساس الذي يُبنى عليه جميع الدين، فما من رسول

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٣٠٢.

(٢) المصدر نفسه ٤/٣٠٢.

.

من الرسل إلا أُرسل لدعوة الناس إلى التوحيد قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦].

ففي هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالى أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولاً، وكلّهم متفقون على دعوة واحدة ودين واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك، منذ حدث الشرك في الأرض من عهد نوح إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ الذي طبقت دعوته الإنس والجن في المشارق والمغارب(١).

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

قال الإمام الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحي إليه أنه لا معبود في السماوات والأرض، تصلح العبادة له سواي فاعبدون يقول: فأخلصوا لي العبادة، وأفردوا لي الألوهية"(٢).

والآيات التي سبقت مجملة في الخبر، وقد جاء في القرآن آيات أخرى تفصّل دعوة الرسل وتؤكد على أن رسالتهم واحدة، الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك قال الله تعالى عن نوح: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ [هود: ٢٥ – ٢٦] وقال الله عن إبراهيم: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٦ – ٦٧] وقال الله تعالى عن صالح: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٧٣] وقال عن موسى: ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٨ – ١٤٠] وقال عن يوسف: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٧٤١ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ٤٤٠.

(٢) جامع البيان ١٨/٤٢٧.

ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٣٧ - ٤٠] وقال عن خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [الكهف: ١١٠]. وغير ذلك من الآيات المفصلة في هذا الموضوع.

وكذلك جاء في السنة ما يدل على اتفاق الأنبياء في الدعوة إلى التوحيد، وأن ملتهم ودينهم واحد وإن تنوعتْ شرائعهم، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلاّت أمهاتهم شتى ودينهم واحد"(١).

"والمعنى أن شرائعهم وإن اختلفت في الفروع ونسخ بعضها بعضاً حتى انتهى الجميع إلى ما شرع الله لمحمد ﷺ وعليهم أجمعين إلا أن كل نبي بعثه الله فإنما دينه الإسلام وهو التوحيد أن يعبد الله وحده لا شريك له، فأولاد العلاّت أن يكون الأب واحداً والأمهات متفرقات، فالأب بمنزلة الدين وهو التوحيد والأمهات بمنزلة الشرائع في اختلاف أحكامها"(٢).

فجميع الرسل افتتحوا دعوتهم بالتوحيد، وقد كان نبيّنا محمد ﷺ على هذا المنهج، فمكث رسول الله ﷺ في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى توحيد الله وحده لا شريك له، اهتمّ بإصلاح العقيدة أولاً، ثم علّم أمته سائر أركان الإسلام بعد ما ترسخت عقيدة التوحيد في قلوبهم، وكان نبيّنا ﷺ إذا أرسل أحداً للدعوة وصّاه بأن يبدأ بالتوحيد كما أمر ﷺ صاحبه الجليل معاذ رضي الله عنه لما أرسله إلى اليمن لدعوة أهل الكتاب، فقال له: "فليكن أوّل ما تدعوهم إلى أن يوحّدوا الله. "(٣)

فهذه النصوص كلّها فيها دلالة على أهمية التوحيد، وأنه ينبغي العناية به تعلّماً وتعليماً وعملاً، والبدء بأمر التوحيد هو المنهج الذي يجب أن يسير عليه الداعي في دعوته اقتداء

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء باب ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ ﴾ [مريم: ١٦] ١٦٧/٤ برقم ٣٤٤٣.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٨٤/٢.

(٣) تقدم تخريجه ص ٨٨.

بالأنبياء وعلى رؤوسهم رسولنا محمد ﷺ، خصوصاً في هذا الزمان الذي كثرت فيه مظاهر الشرك كاتخاذ القبور مساجد، ودعاء الأموات والاستغاثة بهم، وسؤالهم قضاء الحاجات، والذهاب إلى من يدّعي علم الغيب وغير ذلك مما يتنافى بالتوحيد.

٣/ التوحيد هو أوّل أمر أمر الله به في القرآن، والشرك هو أول نهي نهى الله عنه:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢].

أي: وحِّدوا ربّكم الذي خلقكم وأفردُوا الطاعة والعبادة له دون سائر خلقه قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: "كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد"(١).

وقال ابن كثير في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾: "لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا ربّ لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول ﷺ من التوحيد هو الحق الذي لا شكّ فيه، والأنداد هو الشرك"(٢). فهذه الآيات جمعت بين الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة غيره، فأوّل الأمر الوارد في القرآن هو التوحيد، وأوّل النهي هو الشرك، وهذا بعد التقرير بأن الله هو المتفرد بالربوبيّة مما يدل على أن توحيد الربوبيّة يستلزم توحيد الألوهية (٣).

٤/ التوحيد هو حق الله على العباد:

إن التوحيد هو حق الله على عباده، من أوّلهم إلى آخرهم، فهو أعظم الحقوق وآكدها على الإطلاق، فعبادة الله وحده لا شريك له أمر متحتّم على العبد، لا خيار له، من أجل هذا الحق خُلق الإنسان، وقد دلّ على ذلك حديث معاذ رضي الله عنه أنه قال: كنت ردف النبيّ ﷺ على حمار يقال له عفير، فقال: "يا معاذ هل تدري حق الله على عباده وما حق العباد على

(١) انظر جامع البيان للطبري ١/١٦٠ ومعالم التنزيل للبغوي ١/٢٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/٨١.

(٣) انظر أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي ٣/١٩.

الله؟ " قلت: الله ورسوله أعلم قال: "فإن حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذّب من لا يشرك به شيئاً"، فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس قال: "لا تبشّرهم فيتّكلوا"(١).

فالله هو الذي يستحق وحده العبادة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ ﴾ [لقمان: ٣٠]، والتوحيد هو حق الله من وجهين:

الأول: أن الله هو الربّ الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى الدالة على كماله وجلاله، فهو الإله المتصف بنعوت العظمة والجمال، لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالاً ولا تقديراً، ولهذا هو الذي يستحق أن يُعبد وحده.

الثاني: أن الله تعالى تفرد بالربوبيّة، وهو خالق العباد ورازقهم ومالكهم، هو الذي أنعم عليهم بنعمه الكثيرة التي لا تعدّ ولا تحصى.

٥/ التوحيد هو شرط من شروط قبول الأعمال:

إن الله لا يتقبّل من العبد عملاً إلا إذا توفّر فيه شرطان أساسيان، الإخلاص والمتابعة، فلا تكون عبادة مقبولة عند الله حتى تكون مبنية على هذين الشرطين، وقد ذُكرا في آيات كثيرة من القرآن منها قول الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [الكهف: ١١٠].

فهذه الآية البينة تضمت الشرطين لقبول العمل من الواجب أو المستحب، ففي قوله: ﴿ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا ﴾ تنصيص على المتابعة لأن العمل الصالح هو الموافق، المطابق لسنة الرسول ﷺ، الخالي من البدع والمحدثات، أما في قوله: ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ فيه ذكر الشرط الثاني وهو التوحيد، الإخلاص، أن يبتغي بعمله وجه الله لا رياء فيه ولا سمعة. فلو اختلّ شرط من هذين الشرطين أو كلاهما، وهذا أشدّ، لم يكن العمل صالحاً، بل هو مردود على صاحبه، وهذا يدل على أهمية التوحيد في العبادة(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد باب اسم الفرس والحمار ٤/٢٩ برقم ٢٨٥٦.

(٢) انظر العبودية لابن تيمية ص ١٤٥.

٦/ التوحيد هو وصية الأنبياء قبل الموت:

قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢–١٣٣].

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: "يقول تعالى محتجًّا على المشركين من العرب أبناء إسماعيل، وعلى الكفّار من بني إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام بأن يعقوب لما حضرته الوفاة، وصّى بنيه بعبادة الله وحده لا شريك له، وقوله: ﴿ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ أي: نُوَحِّدُه بالألوهية، ولا نشرك به شيئاً غيره"(١).

وقد وصّى نبينا محمد ﷺ أمته بالتوحيد بتحذيرهم من الشرك فقال: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"(٢). فحِرص النبيّ ﷺ بهذه الوصية العظيمة في آخر حياته، في لحظات صعبة يعاني بالموت، دليل على أهمية التوحيد ووجوب العناية به.

٧/ التوحيد له فضائل كثيرة:

لما كان التوحيد هو أساس الدين، وغاية المطالب، وأجلّ المقاصد، وأحبّ العمل إلى الله، لا يفوته غيره، اقتضى ذلك أن يكون للتوحيد فضائل كثيرة وثواب عظيم، والجزاء من جنس العمل، فلا يجازي الله عبده على أفضل الطاعات إلا بأفضل الحسنات، و﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] فالناطق بلا إله إلا الله والعامل بها ينال من الفضائل ويُكفّر له من السيئات، ويُغفر له من الزلاّت ما لا يعلمه إلا الله، يرفع الله قدره في الدنيا والآخرة، فالتوحيد مكانته رفيعة، وفضله عظيم، أعظم ما قد يتصوّره الموحِّد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وفضائل هذه الكلمة وحقائقها، وموقعها من الدين، فوق ما يصفه الواصفون، ويعرفه العارفون، وهي حقيقة الأمر كله"(٣).

---

(١) تفسير القرآن الكريم ص ٢٤٥ باختصار.

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٢/٢٥٦.

وقد تواترت النصوص من الكتاب والسنة في بيان فضائل التوحيد وما يحصل العبد الموحِّد به من ثواب جزيل مما يرغّب الإنسان إلى تحقيق التوحيد، ولا يسع المقام أن يذكر جميع ما ورد في هذا الباب والتفصيل في ذلك، ولكن أسرد أهم هذه النصوص على سبيل الاختصار بما يحصل به المطلوب إن شاء الله:

أ- تحقيق التوحيد يوجب دخول الجنة بلا حساب ولا عذاب:

جاء في حديث ابن عباس أن النبيّ ﷺأخبر أصحابه أن سبعين ألفاً من أمّته يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهم كما قال ﷺ: "الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون"(١).

ب- التوحيد سبب دخول الجنة:

عن عبادة بن الصامت ﷺ، عن النبيّ ﷺ قال: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل"(٢).

وعن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به دخل النار"(٣).

ج- التوحيد سبب تحريم النار على أهل التوحيد:

عن عتبان بن مالك(٤) قال: قال رسول الله ﷺ: "فإن الله قد حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله"(١).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ٩٩/١ برقم ٢٢٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء باب قوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٦٤] ١٦٥/٤ برقم ٣٤٣٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئاً ٩٤/١ برقم ٩٣.

(٤) هو: عتبان بن مالك بن عمرو عوف بن الخزرج الأنصاري الخزرجي السالمي بدري عند الجمهور وكان إمام قومه بني سالم ذكر بن سعد أن النبيّ ﷺ آخى بينه وبين عمر، مات في خلافة معاوية. انظر الإصابة لابن حجر ٤٣٢/٤.

د- التوحيد سبب في تكفير الذنوب:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "قال الله: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيك بقرابها مغفرة"(٢).

هـ- التوحيد سبب لحصول الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢]. الظلم أي: الشرك(٣).

و- بالتوحيد تحرُمُ الأموال والدماء:

قال رسول الله ﷺ: "من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجلّ"(٤).

ز- التوحيد سبب لحصول شفاعة الرسول ﷺ يوم القيامة:

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: "أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه، أو نفسه"(٥).

ح- التوحيد سبب التمكين والعز في الأرض:

قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة باب المساجد في البيوت ٩٢/١ برقم ٤٢٥.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الدعوات باب في فضل التوبة ص ٨٠٤ برقم ٣٥٤٠. وصححه الشيخ الألباني.

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٠٧/٢.

(٤) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله ٥٣/١ برقم ٢٣.

(٥) رواه البخاري في كتاب العلم باب الحرص على الحديث ٣١/١ برقم ٩٩.

٧/ التوحيد أوّل ما يُسأل عنه العبد في قبره:

في حديث البراء بن عازب[١] الطويل، أنه قال: "قال رسول الله ﷺ: "فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له ما علمك؟ فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة..."[٢].

وبهذا العرض يظهر جلياً أهمية التوحيد وفضله، وأنه غاية المطالب وأجلّ المقاصد ونهاية المرادات، فالناس إلى أشدّ الحاجة إلى معرفته والعمل به، بل هو أعظم الضروريات إذ هو حياة القلوب، به يحيي الإنسان الحياة الحقيقية، فلا يسع الجهل به والإعراض عنه، دونه لا يمكن أن يحقق سعادة ولا فلاحاً، وأن يرجو مغفرة ونجاة، فهو المقصود من وجوده ولهذا كان أهم المهمات وأوجب الواجبات، فهو الأساس للوصول إلى الله ورضوانه[٣].

---

(١) هو: البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري الحارثي، الفقيه الكبير، من أعيان الصحابة. روى حديثا كثيرا، وشهد غزوات كثيرة مع النبيّ ﷺ واستصغر يوم بدر، توفي عام ٧١هـ وقيل ٧٢هـ. انظر السير للذهبي ١٩٦/٣.

(٢) رواه أحمد في مسنده ٤٩٩/٣٠. قال ابن تيمية: "فهذا حديث معروف جيد الإسناد" مجموع الفتاوى ٢٧١/٤.

(٣) ستأتي زيادة في إبراز أهمية التوحيد عند الكلام على خطورة الشرك إن شاء الله.

المطلب الثالث: بيان أقسام التوحيد.

ذكر العلماء أن توحيد الله الذي جاءت به الرسل ودعت إليه ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وكل هذه الأقسام متلازمة بعضها بعضاً، فلا ينفك قسم عن الآخر، ومن حقق قسماً دون الآخر لم يحقق التوحيد على الوجه الكمال، بل قد لا يكفي قدره المحقَّق للدخول في الإسلام والنجاة من النار، فتحقيق التوحيد المطلوب شرعاً لابد أن يتضمن أنواع التوحيد الثلاثة وهي كما يلي:

١/ توحيد الربوبيّة: هو الإقرار بأن الله هو ربّ كل شيء، المتفرد بالخلق والملك والتدبير، والمتصرف في الكون وحده، الأمر كله له، بيده الخير كله، هو النافع والضار، القادر على ما يشاء، ليس له شريك ولا معين ولا منازع في شيء من معاني الربوبيّة ومقتضيات أسمائه وصفاته(١).

وقد كان المشركون مقّرين بهذا القسم في الجملة، يعرفون الله ويعترفون بربوبيته قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١]. وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

قال الطبري رحمه الله: "وما يُقِرُّ أكثر هؤلاء بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء إلا وهم مشركون في عبادتهم الأوثان والأصنام"(٢).

فلم ينفعهم إقرارهم لتوحيد الربوبيّة للدخول في الإسلام والنجاة من النار في الآخرة، بل كان الواجب عليهم أن يأتوا بما يستلزم هذا الإقرار وهو إفراد الله بالعبادة وترك معبوداتهم.

٢/ توحيد الأسماء والصفات: "هو اعتقاد انفراد الربّ جل جلاله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة، والجلالة والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات،

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ١٨، أعلام السنة المنشورة للشيخ الحكمي السؤال ٤٩ ص ٥٥.

(٢) جامع البيان ٢٨٦/١٦.

ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، من غير نفي لشيء منها ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ولا تكييف، ونفي ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص، وعن كل ما ينافي كماله"[١].

والأدلة من القرآن على هذا النوع كثيرة منها: قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال الله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وقال الله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقال الله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وليعلم الإنسان أن الاعتراف بهذا القسم من التوحيد لا يكفي في حصول الإسلام، بل يجب أن يأتي ببقية الأقسام حتى يكون مسلماً.

٣/ توحيد الألوهية: "هو إفراد الله عز وجل بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة قولاً واعتقاداً وعملاً، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تعالى كائناً من كان"[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فحقيقة التوحيد أن نعبد الله وحده فلا يدعى إلا هو، ولا يخشى إلا هو، ولا يتقى إلا هو، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يكون الدين إلا له، لا لأحد من الخلق، وأن لا نتخذ الملائكة والنبيّين أرباباً، فكيف بالأئمة والشيوخ والعلماء والملوك؟ "[٣].

فالعبد مأمور أن يجعل عباداته كلّها لله، من المحبة والخوف والرجاء والصلاة والصيام والزكاة والطواف والذبح وغير ذلك من العبادات التي شُرعتْ، فيقصد بها التقرب إلى الله ورجاء ثوابه، لا يريد بها رياءً ولا سمعة، بل يبتغي بذلك وجه الله، يخلص جميع الدين له، فلا يصرف شيئاً من هذه العبادات لمخلوف كائناً من كان، لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، ولا لميت من الأموات، ولا لولي من الأولياء، بل قلبه متوجه إلى الإله الحق.

---

(١) القول السديد للشيخ السعدي ص ١٢ بتصرف يسير.

(٢) أعلام السنة المنشورة للحافظ الحكمي ص ٥١ بتصرف يسير.

(٣) مجموع الفتاوى ١/١٩٥.

فتوحيد الألوهية هو المعنى الخاص للتوحيد، ومعنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، فالمقصود من الشهادة هو عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، فهو أوّل الدين وآخره، وأوّل واجب على المكلّف، من أجله خلق الله العباد وأرسل الرسل، حول هذا النوع من التوحيد دارت الخصومة بين الأنبياء والمشركين، لأنهم كانوا يعترفون بربوبية الله ولكن يعبدون مع الله غيره كآلهتهم المزعومة كما سبق، فمن حقق توحيد الألوهية فقد حقق توحيد الربوبيّة وتوحيد الأسماء والصفات، لأن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبيّة وتوحيد الأسماء والصفات، وهما يستلزمان توحيد الألوهية.

والقرآن الكريم مملوء بالآيات التي تأمر الناس بعبادة الله وحده لاشريك له، منها:

قال الله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥] وقال الله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: ٣٦] وقال الله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقال تعالى: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه: ١٤]وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣] وقال: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥]

وهناك تقسيمات أخرى للتوحيد غير هذا التقسيم الثلاثي، فقد قسّم بعض العلماء التوحيد إلى قسمين:

- فمنهم من قال: الأول: التوحيد القولي والثاني: التوحيد العملي(١).
- ومنهم من قال: الأول: توحيد الإثبات والمعرفة، والثاني: توحيد القصد والطلب(٢).
- ومنهم من قال: الأول: التوحيد العلمي الخبري، والثاني: التوحيد الإرادي الطلبي(٣).

فهذا التقسيم الثنائي المقصود منه أن القسم الأول (أي: التوحيد القولي، وتوحيد الإثبات والمعرفة، والتوحيد العلمي الخبري) بمعنى توحيد الربوبيّة وتوحيد الأسماء والصفات لأنه

(١) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٢٣/١، معارج القبول لحافظ الحكمي ١١٩/١.
(٢) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٣٣٢/٣ وتسير العزيز الحميد للشيخ سليمان آل الشيخ ص ١٨
(٣) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٠٨/١٧.

متعلق بعلم ذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو عبارة عن العلم بالله، ولهذا يقال له التوحيد العلمي.

والقسم الثاني (أي: التوحيد العملي، وتوحيد القصد والطلب والتوحيد الإرادي الطلبي) بمعنى توحيد الألوهية لأنه متعلق بعبادة الله، المراد منه إفراد الله بالعبادة، فهو عبارة عن العمل، ولهذا يقال له التوحيد العملي(١).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "إن الله عز وجل أرسل رسله، وأنزل كتبه، وخلق السماوات والأرض ليُعرف ويعبد ويوحَّد ويكون الدين كله لله، والطاعة كلّها له، والدعوة له، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الحجر: ٨٥] وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق: ١٢] وقال تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩٧]. فأخبر سبحانه أن القصد بالخلق والأمر أن يُعرف بأسمائه وصفاته، ويُعبد وحده لا يشرك به"(٢). ففي هذا النقل تنصيص على التوحيد العلمي والتوحيد العملي.

ومن تأمّل في هذه الأنواع من التقسيمات الثلاثية والثنائية في التوحيد، علم أنه لا تعارض بينها، لأن كل عالم قسّم التوحيد حسب التعلّق والاعتبار الذي ذهب إليه، ومع ذلك مهما يكن التعلّق والاعتبار الذي بُني عليه تقسيم التوحيد، كل هذه التقسيمات مآلها واحد، فلا تخرج عن أنواع التوحيد الثلاثة.

---

(١) **ملاحظة:** قسمت بحثي هذا بناء على هذا التقسيم، فالباب الأول متعلق بحماية التوحيد في التوحيد العلمي، ويتفرع عنه فصلان أحدهما متعلق بتوحيد الربّوبية والثاني متعلق بتوحيد الأسماء والصفات. ثم يليه الباب الثاني من البحث، فهو متعلق بحماية التوحيد في التوحيد العملي، والمراد به توحيد الألوهية كما سبق بيانه، وبهذا يشتمل بحثي على أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربّوبية، وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

(٢) الجواب الكافي ص ١٥٥.

وليعلم المسلم أن هذه التقسيمات للتوحيد من باب التسهيل وتقريب الفهم وإلا صورة وقوع التوحيد المطلوبة شرعاً تكون مشتملة على هذه الأنواع الثلاثة، وإلا كان هناك نقص في تحقيقه، إما من جهة الربوبية أو الأولوهية أو الأسماء والصفات. فهذه الأنواع الثلاثة متلازمة، فلا يمكن الاكتفاء بتحقيق إحداها دون الأخرى، فلا ينفع توحيد الربّوبية والأسماء والصقات دون توحيد الألوهية، ولا يُتصور توحيد الألوهية دون توحيد الربوبيّة والأسماء والصفات، وإلا كان ذلك دليلاً على الخلل أو التناقض في فهم التوحيد وتطبيقه.

الأدلة على تقسيم التوحيد:

إن تقسيم التوحيد يُعتبر من الحقائق المعلومة لدى الراسخين في العلم، فهذا التقسيم ليس أمراً محدثاً جاء العلماء به من أنفسهم، لم يقرّروه بمجرد الرأي، كلا، بل هذا التقسيم من العلوم الثابتة في الدين، المستند إلى أدلة وبراهين شرعية، وذلك بالتتبع الكامل والاستقراء التام من خلال نصوص الكتاب والسنة، فالعلماء نظروا فيها واستنبطوا أن التوحيد لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاثة: ، توحيد الربوبيّة، توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الألوهية.

قال العلّامة الشيخ ابن باز رحمه الله: "هذا مأخوذ من الاستقراء، لأن العلماء لما استقرءوا ما جاءت به النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ظهر لهم هذا، وزاد بعضهم نوعاً رابعاً توحيد المتابعة، وهذا كله بالاستقراء. فلا شكّ أن من تدبّر القرآن الكريم وجد فيه آيات تأمر بإخلاص العبادة لله وحده، وهذا هو توحيد الألوهية، ووجد آيات تدل على أن الله هو الخلّاق وأنه الرزاق وأنه مدبر الأمور، وهذا هو توحيد الربوبيّة الذي أقر به المشركون ولم يُدخلهم في الإسلام، كما يجد آيات أخرى تدل على أن له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأنه لا شبيه له ولا كفوا له، وهذا هو توحيد الأسماء والصفات الذي أنكره المبتدعة

.

من الجهمية(١) والمعتزلة(٢) والمشبهة(٣)، ومن سلك سبيلهم"(٤).

وقد ذكرتْ جملة من الأدلة على صحة كل قسم من أقسام التوحيد عند التعريف بها، فمثل هذه البراهين القطعية رد قوي على من أنكر تقسيم التوحيد وزعم أنه أمر مخترع اصطلاحي. ولا شكّ أن السلف قرّروا وبيّنوا تقسيم التوحيد في كتبهم ومن ذلك الإمام ابن بطة العكبري رحمه الله في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة فقال: "وذلك أنَّ أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه. إذ قد علمنا أنَّ كثيراً ممن يقر به ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته فيكون إلحاده في صفاته قادحاً في توحيده. ولأنَّا نجد الله تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والإيمان بها. فأمَّا دعاؤه إياهم إلى الإقرار بربانيته ووحدانيته فلسنا نذكر هذا هاهنا لطوله وسعة الكلام فيه، ولأنَّ الجهمي يدّعي لنفسه الإقرار بهما وإن كان جحده للصفات قد أبطل دعواه

---

(١) اتباع الجهم بن صفوان يكنى بأبي محرز، قال بالإجبار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، امتنع من وصف الله بالصفات، هلك في زمان صغار التابعين، بدّعه وكفّره العلماء. انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٠٩.

(٢) اتباع واصل بن عطاء الغزال، رأس المعتزلة وداعيهم إلى بدعتهم بعد معبد الجهني وغيلان الدمشقي، طُرد من مجلس الحسن البصري بعد ما زعم أن مرتكب الكبيرة الفاسق في منزلة بين منزلتي الإيمان والكفر فاعتُزل. وتنكر المعتزلة صفات الله وتقول بخلق القرآن. انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٢٢.

(٣) الذين شبهوا الخالق بالمخلوق أو المخلوق بالخالق، كأتباع عبد الله بن سبأ، رأس الفتنة. انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٥.

(٤) مجموع الفتاوى لابن باز ٦/٢١٥.

لهما"[١]. فهذا النص رد صريح لمن ادّعى أن تقسيم التوحيد أمر لم يعرف قبل القرن الثامن وإنما هو من البدع التي أحدثها بعض العلماء مثل شيخ الإسلام ابن تيمية، فلا شكّ أن من ادّعى مثل هذه الادعايات الكاذبة فهو دليل على جهله وقلة خبرته ومعرفته بكتب السلف الصالح[٢].

تعريف الشرك[٣]:

الشرك في اللغة: اسم للشيء الذي يكون بين اثنين فأكثر بحيث لا ينفرد به أحدهم.

ويراد به المشاركة ومخالطة الشريكين: يقال اشتركنا بمعنى تشاركنا، اشترك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما الآخر، وقول الله: ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴾ [طه: ٣٢] أي: اجعله شريكي فيه. ويقال في المصاهرة: رغبنا في شرككم أي: مشاركتكم في النسب.

ويطلق على الحصة النصيب كما جاء في الحديث: "من أعتق شِرْكاً له في عبد"[٤][٥].

كذلك يراد به التسوية: يقال طريق مشترك أي: يستوي فيه الناس.

الشرك في الاصطلاح:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فمن عدل بالله غيره في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى فهو مشرك"[٦].

وقال العلامة الشيخ السعدي رحمه الله: "حقيقة الشرك بالله: أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبيّة والإلهية"[٧].

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجبة ١٧٢/٢.

(٢) انظر: كتاب القول السديد على من أنكر تقسيم التوحيد لشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص ٣١.

(٣) بيان التوحيد يكون بمعرفة التوحيد نفسه وشرح معانيه، ويكون أيضاً ببيان ضده الذي هو الشرك حتى يتضح الأمر جلياً، فبضدها تتميز الأشياء.

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب العتق باب إذا أعتق عبدا بين اثنين ١٤٤/٣ برقم ٢٥٢١.

(٥) مقاييس اللغة لابن فارس ٢٦٥/٣ ولسان العرب لابن منظور ٦٧/٨.

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٩/١٣.

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٢٧٩.

فالشرك هو مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، فمن صرف شيئاً من العبادة لغير الله كالخوف والسجود، أو صرف بعض من خصائص الربوبيّة لمخلوق كنسبة نزول المطر لغير الله أو شبّهه بصفات الله كقول قائل: يد الله كيد عبد فقد وقع في الشرك وخرج من ملة الإسلام. فجَعْل الإنسان نداً لله أو شريكاً في الربوبيّة أو الألوهية أو الأسماء والصفات هو عين الشرك الذي نهى الله عنه في كتابه فقال الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

فالأنداد جمع الند، وهو المثل والعدل والشريك والشبيه(١)، فالنهي يكون في جميع صور اتخاذ الند، فيشمل جميع المعاني الداخلة في خصائص الله.

وآيات القرآن التي تنهى عن الشرك أكثر من أن تحصى، منها:

قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] وقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس: ١٠٤ – ١٠٥] وقال الله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢].

أنواع الشرك باعتبار تعلّقه بأنواع التوحيد الثلاثة:

١/ الشرك في الربوبيّة: هو صرف خصائص الربوبيّة كلّها، أو بعضها لغير الله ﷻ، أو تعطيله ﷻ عنها بالكلية.

وخصائص الربوبيّة هي: التفرد بالخلق، والرزق، الإحياء والإماتة، الإعطاء، المنع، الضر والنفع وغير ذلك(٢).

٢/ الشرك في الألوهية: هو جعل شيء من العبادة لغير الله(٣).

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ١/١٢٦.

(٢) انظر الجواب الكافي لابن القيم ص ١٥٧ والدرر السنية ١١/١٢١ والمفيد في مهمات التوحيد ص ١٥٧.

(٣) انظر الجواب الكافي لابن القيم ص ١٥٩.

فمن صرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله فقد وقع في شرك العبادة كدعاء الأموات والذبح لهم والاستغاثة بهم وطلب منهم الشفاعة أو الطواف حول القبور أو السجود لمخلوق وغير ذلك مما يُتقرب به إلى الله، فالله هو المعبود المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

٣/ الشرك في الأسماء والصفات: هو التسوية بين الله والمخلوق في شيء من خصائص أسماء الله وصفاته، بأن يجعل لله سبحانه وتعالى مثيلاً في أسمائه وصفاته، فيُسمّيه بأسماء الله أو يصفه بصفاته(١).

أنواع الشرك باعتبار الحكم عليه:

الشرك الأكبر: هو كل مناف للتوحيد منافاة مطلقة، فهو مخرج من الملة كصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله مثل الدعاء والسجود والذبح أو كمن يزعم أن هناك خالق آخر.

الشرك الأصغر: هو كل ما وُصف في النصوص بأنه شرك ولكن لا يُخرِج من الملة، أو كان وسيلة وذريعة إلى الشرك الأكبر من الأقوال والإرادات والأفعال(٢).

أنواع الشرك باعتبار جهة وقوعه:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في وصف الشرك: "وكل شرك بالله وإن دقّ في قول أو عمل أو إرادة بأن يُجعل لله عدلاً بغيره في اللفظ أو القصد أو الاعتقاد"(٣). وعلى هذا فيكون الشرك في ثلاثة جهات:

١/ الشرك في الأقوال: ما هو صادر من اللسان مثل: الحلف بغير الله، أو قول القائل: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وفلان، أو إضافة الأشياء ووقوعها لغير الله: ولو لا حذق فلان في المكسب الفلاني لما حصل.

---

(١) انظر فتاوى اللجنة الدائمة ٥١٦/١.

(٢) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٢٥٨/١ والقول السديد للشيخ السعدي ٢١/٣ ومجموع الفتاوى للعثيمين ١١٥/٧.

(٣) إعلام الموقعين ٩٤/٣.

٢/ الشرك في القلب: ما هو صادر من القلب مثل التطيّر، أو التوكّل على الأموات أو الأحياء، أو الخوف من شخص أن يصيبه ما لا يقدر عليه إلا الله كعبّاد القبور، أو محبة المخلوق كحب الله أو أشدّ حبّاً.

٣/ الشرك في الأفعال: ما هو صادر من الجوارح مثل التبرّك، لبس الحلقة لدفع الشر أو جلب النفع، أو تعليق التمائم، أو اتخاذ سبب ما ليس بسبب.

قال الإمام السعدي رحمه الله في وصف تحقيق التوحيد: "فلا يتم توحيد العبد حتى لا يجعل لله نداً في قلبه وقوله وفعله"(١).

فقوادح التوحيد وما ينافي أصله من الشرك يكون إما قولاً أو اعتقاداً أو فعلاً(٢).

خطورة الشرك:

إن في بيان خطورة الشرك زيادة في إبراز مكانة التوحيد وأهميته ووجوب العناية به -إضافة إلى ما تقدّم من النصوص في أهمية التوحيد-.

إن الشرك الذي هو ضد التوحيد خطير على الإنسان أشدّ الخطورات لما يترتب على هذا الذنب من آثار سيئة ومفاسد عظيمة وعقوبات شديدة في حياته الدنيوية والأخروية، فالشرك بالله هو أعظم ما يجب أن يخاف منه العبد، وأن يحذر منه، فيحرص على معرفته لتوقيه، ويبذل كل الجهد للبُعد عنه، لأن هذا الذنب يعدّ سبّاً لله وتنقصاً له، كيف يكون مع الله من يستحق العبادة؟ ، وكيف يُثبت لمخلوق شيء من خصائص الله في الربوبيّة أو الأسماء والصفات كإثبات شريك له في تدبير الكون والله هو ربّ العالمين، لا ندّ له ولا مثيل؟ لهذا حذّر النبيّ ﷺ أمّته من الشرك وسدّ الوسائل المفضية إليه إلى أن فرقت روحه جسمه الشريف. فليس هناك أكبر من جريمة الشرك قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "إن الشرك لما كان أظلم الظلم، وأقبح القبائح، وأنكر المنكرات، كان أبغض الأشياء إلى الله تعالى، وأكرهَها له، وأشدّها مقتاً لديه، ورتّب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه، وأخبر أنه لا يغفره، وأن أهله نجس ومنعهم من قربان حرمه، وحرم ذبائحهم

---

(١) القول السديد ص ١١٧.

(٢) وقد سبق الكلام عن هذه المسألة انظر ص ٨٣.

ومناكحهم وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين، وجعلهم أعداء له سبحانه ولملائكته ورسله وللمؤمنين، وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم وأبناءهم، وأن يتخذوهم عبيداً، وهذا لأن الشرك هضْم لحق الربوبيّة، وتنقيص لعظمة الإلهية، وسوء ظن برب العالمين كما قال تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح: ٦].

فلم يجمع على أحد من الوعيد والعقوبة ما جمع على أهل الشرك، فإنهم ظنوا به ظن السوء حتى أشركوا به، ولو أحسنوا به الظن لوحّدوه حق توحيده، ولهذا أخبر سبحانه عن المشركين أنهم ما قدروه حقّ قدره"(١).

فالشرك ذنب شنيع، وتتلخص الأسباب التي جعلتْه أخطر الذنوب على العبد فيما يلي:

١- الشرك يحلّ مال الإنسان ودمه:

لما كانت الأموال والدماء تحرُم بالتوحيد ففي المقابل الشرك يحلها، ثبت في الصحيح أن النبيّ ﷺ قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله"(٢).

٢- إن الله لا يغفر الشرك إذا مات صاحبه عليه قبل التوبة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨].

قال ابن القيم رحمه الله: "فالشرك ملزوم لتنقص الربّ سبحانه والتنقص لازم له ضرورةً، شاء المشرك أم أبى، ولهذا اقتضى حمده سبحانه وكمال ربوبيته أن لا يغفره وأن يُخلِّد صاحبه

---

(١) إغاثة اللهفان ١٠١/١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ﴾ [التوبة: ٥] ١٤/١ برقم ٢٥.

في العذاب الأليم ويجعله أشقى البرية فلا تجد مشركاً قط إلا وهو متنقص لله سبحانه وإن زعم أنه يعظمه بذلك"(١).

٣- الشرك يخلد صاحبه في النار:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٦].

وبالتالي لا يدخل المشرك الجنة فتحرم عليه قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢].

٤- الشرك يحبط جميع الأعمال:

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر: ٦٥].

٥- الشرك هو أعظم الظلم وأكبر الذنوب:

عن أبي بكرة(٢) رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثا قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "الإشراك بالله وعقوق الوالدين" وجلس وكان متكئاً فقال: "ألا وقول الزور". قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت"(٣).

وعن عبد الله بن مسعود قال: "سألت النبيّ ﷺ أي الذنب أعظم عند الله قال: "أن تجعل لله نداً وهو خلقك"(٤).

---

(١) إغاثة اللهفان ١/١٠٤.

(٢) هو: أبو بكرة الثقفي الطائفي نفيع بن الحارث، مولى النبيّ ﷺ، سكن البصرة، وكان من فقهاء الصحابة، ووفد على معاوية، مات عام ٥١هـ وقيل ٥٢هـ. انظر السير للذهبي ٣/٦.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات باب ما قيل في شهادة الزور ٣/١٧٢ برقم ٢٦٥٤.

(٤) المصدر نفسه في كتاب التفسير باب قوله: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة: ٢٢] ١/٩٧ برقم ٤٤٧.

المطلب الرابع: الانحراف في مفهوم التوحيد.

ذُكر سابقاً[(١)] أن الرسول ﷺ بيّن التوحيد لأمته، بل هو أعظم ما علّمه لأصحابه، فوضّح هذا الأمر الذي هو أساس الدين بحيث لا يبقى بعده غموض، ورغم تبليغ النبيّ ﷺ التام للرسالة، وحرصه ﷺ على إيضاح التوحيد، وُجد بعده من لم يفهم معنى التوحيد وفسّره بتفسير خاطئ ناقص، بل وصل الأمر عند البعض إلى أنهم فهموا التوحيد على خلاف ما جاء به الرسول ﷺ، إذ هم أعرضوا عن تعاليمه، وجعلو العقل والرأي مصدر التلقي، فأشربت قلوبهم بالأهواء وقويتْ الشبهات في نفوسهم، فاستبدلوا التفسير النبوي للتوحيد بأفكار الفلاسفة، فضلوا ضلالاً بعيداً.

وهؤلاء الذين انحرفوا في مفهوم التوحيد على أصناف مختلفة، ليسوا على درجة واحدة، وكل واحد منهم له تفسيره ومفهومه للتوحيد فمنهم:

الفلاسفة[(٢)]: هم الذين ضلوا في باب توحيد الأسماء والصفات، فالتوحيد عندهم يقتضي تجريد الله من كل صفات الكمال اللازمة له، وليس له فعل يقوم به، فوصفوا الله بالصفات السلبية، فعلى سبيل المثال يقولون إن الله لا يسمع ولا يتكلم ولا يبصر أو لا هو داخل ولا خارج، أو لا هو بحي ولا بميت، فهذا نفي محض لا يتضمن كمال، فهم لا

---

(١) انظر ص ٣٢.

(٢) الفلاسفة: اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها، وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصا بمن خرج عن ديانات الأنبياء ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه وأخص من ذلك أنه في عرف المتأخرين اسم لاتباع إرسطو وهم المشاءون خاصة، وهم الذين هذب ابن سينا طريقتهم وبسطها وقررها وهي التي يعرفها بل لا يعرف سواها المتأخرون من المتكلمين. وهم على درجات:
الدرجة الأولى: درجة المكذبة النفاة: وهي التي عليها طائفة من الفلاسفة كابن سينا وأمثاله.فهم يصفون الله بالصفات السلبية على وجه التفصيل.

الدرجة الثانية: المتجاهلة الواقفة: الذين يقولون: لا نثبت ولا ننفي، وهذه الدرجة تنسب لغلاة المعطلة من القرامطة الباطنية المتفلسفة.

الدرجة الثالثة: المتجاهلة اللاأدرية: الذين يقولون: نحن لا نقول ليس بموجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت فلا ننفي النقيضين، بل نسكت عن هذا وهذا. انظر إغاثة اللهفان لابن القيم ١٠١٩/٢ ومواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات لمحمد بن خليفة التميمي ص ٧٤.

يصفون الله بصفة معينة، ونتيجة قولهم أنهم أثبتوا وجوداً مطلقاً لا حقيقة له في الخارج، وهو المعنى العام الكلي الذي لا يكون إلا في الذهن، فعطلّو صفات الكمال عن الربّ، بل يلزم قولهم عدم إثبات ذات الربّ في الخارج، وهذا غاية التعطيل وغاية التمثيل.

فهم يعتقدون أنهم لو أثبتوا اسماً أو صفة لله يستلزم ذلك تشبيه الخالق بالمخلوق فيكفرون، فهم في الحقيقة أرادوا أن يفرّوا من مفسدة فوقعوا في أقبح من ذلك، فأرادوا أن يفرّوا من التشبيه بالموجودات فوقعوا في التشبيه بالمعدومات أو الممتنعات(١).

قال ابن القيم رحمه الله: "فأتباع أرسطو(٢) وابن سينا(٣) والنصير الطوسي(٤) عندهم التوحيد إثبات وجود مجرد عن الماهية والصفة، بل هو وجود مطلق لا يعرض لشيء من الماهيات ولا يقوم به وصف ولا يتخصص بنعت، بل صفاته كلّها سلوب وإضافات، فتوحيد هؤلاء هو غاية الإلحاد والجحد والكفر، وفروع هذا التوحيد إنكار ذات الربّ"(٥).

فالتوحيد عند مثل هؤلاء هو الكفر، المبالغة في إنكار الصفات، كلما كان أنكر للصفات كان أكثر توحيداً.

(١) انظر التدمرية لابن تيمية ص ١٥.

(٢) أرسطو طاليس بن الحكيم الفيثاغوري، فيلسوف يوناني قديم، وكان تلميذ أفلاطون الحكيم، وكان أفلاطون يقدمه على غيره من تلاميذه، وبه ختمت حكمه اليونانيين. انظر بغية الطلب في تاريخ الحلب لابن العديم ١/٤٧٠.

(٣) الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك، الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب، والمنطق والطبيعيات والإلهيات. كان أبوه كاتبا من دعاة الإسماعيلية، تكلم ابن سينا في أشياء من الإلهيات، والنبوات، والمعاد، والشرائع، لم يتكلم بها السلف، توفي عام ٤٢٨هـ. انظر السير للذهبي ١٧/٥٣١ والأعلام للزركلي ٢/٢٤١.

(٤) محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر، نصير الدين الطوسي: فيلسوف. الفيلسوف صاحب علم الرياضي؛ كان رأساً في علم الأوائل، لاسيما في الأرصاد والمجسطي فإنه فاق الكبار، قرأ على المعين سالم بن بدران المعتزلي الرافضي وغيره، كان رأسا في العلوم العقلية، توفي عام ٦٧٢هـ. انظر فوات الوفيات لصلاح الدين ٣/٢٤٦ والأعلام للزركلي ٧/٣٠.

(٥) مدارج السالكين ٣/٣٣٠.

أهل الكلام(١) الذين يفسّرون الألوهية بالربوبيّة:

فسّر أهل الكلام الشهادة بالربوبيّة فقط، فظنّوا أن معنى لا إله إلا الله هو: لا خالق إلا الله، أو لا قادر على الاختراع إلا الله أو لا ربّ إلا الله، فاقتصروا معنى كلمة لا إله إلا الله على هذا التفسير، فاعتقدوا أن من وحّد الله بالربوبيّة وأفرده بالخلق والملك والتدبير فقد أتى بالتوحيد المطلوب، فجعلوا توحيد الألوهية مرادفاً لتوحيد الربوبيّة، وبناءً على هذا التفسير الخاطئ للشهادة، اعتبروا أن من صرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله ليس بشرك، فالذي يدعو الأموات ويستغيث بهم ويسجد لمخلوق على سبيل المثال ليس بمشرك عندهم، بل هو موحّد ما دام يقرّ أن الله هو الربّ الخالق وحده لا شريك له.

ولا شكّ أن هذا المفهوم غير صحيح إذ معنى الإله غير معنى الربّ، فالإله: هو المعبود وهو الله سبحانه وتعالى، وهو على وزن فعال بمعنى مفعول مثل كتاب بمعنى مكتوب وبساط بمعنى مبسوط(٢)، قال ابن عباس ﷺ في معنى الإله: "هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق"(٣).

وقال الإمام الطبري رحمه الله في قول الله: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [الحشر: ٢٣]: "الذي لا تنبغي العبادة والألوهية إلا له، هو المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له"(٤).

أما كلمة الربّ معانيها تدور حول المالك والخالق والمدبّر والسيد والمربّي وغير ذلك من معاني الربوبية(١).

---

(١) أهل الكلام: هم الذين شاركوا الفلاسفة في بعض أصولهم، وأخذوا عنهم القواعد المنطقية والمناهج الكلامية وتأثروا بها، وأشهرهم المعتزلة والكلابية والأشاعرة والماتريدية، ومن أكبر الأصول عندهم تقديم العقل على النقل، وتعطيل النصوص عن مدلولاتها. انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢/٧-٨ والفرق المعاصرة لغالب عواجي٣/١٢٤٣، وموقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات لمحمد بن خليفة التميمي ص ٨٥.

(٢) انظر مقاييس اللغة لابن فارس ١/١٢٧ وجامع البيان للطبري ١/١٢٢ وتيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص٤٨.

(٣) رواه الطبري في جامع البيان ١/١٢٢.

(٤) المصدر نفسه ٢٣/٣٠٢.

وبهذا يبرز تباين الكلمتين وتغايرهما، فالإله ليس مرادفاً للرب، لا في اللغة ولا في الشرع، فمن الخطر أن يُجعل هاتان الكلمتان على حدّ السوى في المعنى، فلا يُفهم حقيقة دعوة الرسل عليهم السلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والإله هو بمعنى المألوه المعبود الذي يستحق العبادة، ليس هو الإله بمعنى القادر على الخلق، فإذا فسّر المفسر الإله بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أن هذا أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا التوحيد هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من المتكلمة الصفاتية، وهو الذي ينقلونه عن أبي الحسن(٢) وأتباعه لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله، فإن مشركي العرب كانوا مقرّين بأن الله وحده خالق كل شيء وكانوا مع هذا مشركين، قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦] فليس كل من أقرّ أن الله تعالى ربّ كل شيء وخالقه يكون عابداً له دون ما سواه داعياً له دون سواه راجياً له، خائفاً منه دون ما سواه، يوالي فيه ويعادي فيه، ويطيع رسله ويأمر بما أمر به وينهى عما نهي عنه، ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها كما يدعو الله تعالى ويصوم لها وينسك لها ويتقرّب إليها ثم يقول: إن هذا ليس بشرك: وإنما الشرك إذا اعتقدت أنها هي المدبرة لي، فإذا جعلتها سبباً وواسطة لم أكن مشركاً"(٣).

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ١٤٢/١ والنهاية لابن الأثير ٦٢١/١ وبدائع الفوائد لابن القيم ٣٤٠/٢.

(٢) هو: علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصحابة أبي أبي موسى الأشعري: العلامة، إمام المتكلمين، ولد في البصرة. وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم، ولما برع في معرفة الاعتزال، كرهه وتبرأ منه، وصعد للناس، فتاب إلى الله تعالى منه، ثم أخذ يرد على المعتزلة، ويهتك عوارهم. وتوفي ببغداد عام ٣٢٤هـ. قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمئة كتاب، منها "إمامة الصديق" و"الرد على المجسمة" و"مقالات الإسلاميين"، و"الإبانة عن أصول الديانة". انظر السير للذهبي ٨٥/١٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٩٧/٣ باختصار.

الحلولية والاتحادية [(١)]:

دلت النصوص من الكتاب والسنة وصريح العقل على أن الله تعالى بائن عن خلقه، خارج عنه، وأنه ليس في كل مكان كما يدّعيه بعض أهل البدع، بل هو فوق السماء، فهو واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شبيه له ولا مثيل، كان الله ولم يكن شيء معه، وهذا أمر مقرّر عند أهل السنة، يجب الإيمان به.

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى في رده على الزنادقة[(٢)] والجهمية: "إذا أردت أن تعلم أن الجهميّ كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، فقل له: أليس الله كان ولا شيء؟ فسيقول: نعم. فقل له: حين خلق الله الشيء خلقه في نفسه أو خارجاً من نفسه؟ فإنه يصير إلى ثلاثة أقاويل لابد له من واحد منها: إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه فقد كفر، حين زعم أنه خلق الجن والإنس والشياطين في نفسه. وإن قال: خلقهم خارجاً من نفسه ثم دخل فيهم كان هذا أيضاً كفرٌ، حين زعم أنه دخل في مكان وحُشٍّ قذِرٍ رَدِيءٍ. وإن قال: خلقهم خارجاً من نفسه ثم لم يدخل فيهم، رجع عن قوله كلّه أجمع، وهو قول أهل السنة"[(٣)].

وقال أيضاً في ردّه رحمه الله: "ويقال للجهمي: إذا قال إن الله معنا بعظمة نفسه. فقل له: هل يغفر الله لكم فيما بينه وبين خلقه؟ فإن قال: نعم فقد زعم أن الله بائن من خلقه، وأن خلقه دونه. وإن قال: لا، كفر؟ "[(٤)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعليقاً على قول الإمام أحمد: "وذلك أن من أثبت أن شيئاً بين الله وبين خلقه فقد جعله مبايناً، فإن المباينة والبين من اشتقاق واحد، وإذا

---

(١) الحلولية: قوم يزعمون أن الله في كل مكان أو أنه جائز عليه الحلول في الأجسام، والاتحادية هم القائلون باتحاد الخالق بالمخلوق، أقوالهم متقاربة. انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١١١/٢-٤٨٠ ومدارج السالكين لابن القيم ٣٣١/٣.

(٢) الزنديق هو: الذي يُظهر الإسلام ويخفي الكفر، وهو المنافق الذي كان في عهد النبوّة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية، أي: الذي لا دين له. انظر القاموس المحيط للفيروزابادي ص ٨٩١.

(٣) ص ٣٠٠.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٩٨.

كان شيء بين شيئَيْن فالثلاثة مباينة بعضها عن بعض، وهذا الوسط من هذا وهو ما بينه وبين هذا هو مباينته، ومباين المباينَيْن أولى أن يكون مبايناً. وقد ذكر في كتابه أنه يحجب بعض خلقه عنه فقال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] واختصاص بعض خلقه بالحجاب يمنع أن يكون الجميع محجوبين، وإذا كان البعض محجوباً والبعض ليس محجوباً امتنع أن يكون فيهم كلهم، لأن نسبتهم إليه حينئذ تكون نسبة واحدة ووجب أن يكون بينه وبين بعضهم حجاباً، وذلك يقتضي المباينة كما تقدم. ومثل هذا قوله: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ [الأنعام: ٦٢] وقوله: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ ﴾ [الأنعام: ٣٠] وقوله: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ ﴾ [الكهف: ٤٨] وقوله: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ [السجدة: ١٢] فلفظ "إليه"و"عنده" و"عليه" بحيث يكون بعض الخلق مردوداً إليه، وبعضهم موقوفاً عليه، ومعروضاً عليه، وبعضهم ناكسو رؤوسهم عنده، يقتضي أن الخلق ليسوا كلهم كذلك وأنهم قبل ذلك لم يكونوا كذلك، وأنهم مباينون له، منفصلون عنه، وأنه بحيث يكون شيء عنده ويرد شيء إليه ويعرض، ولو كانت ذاته مختلطة بذواتهم لامتنع ذلك، وهذا يقتضي مباينته وامتيازه واختصاصه بجهة وحدٍّ، وبطلان قول من يقول أن ذاته مختلطة بذواتهم"(١).

ورغم وضوح دلالة النصوص على مباينة الله من خلقه، ادّعى أهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود عكس ذلك، واعتقدوا أن توحيد الله هو الإيمان بأن الله في كل مكان أو أنه حلّ في جميع المخلوقات أو بعضها، لا انفصال بين الخالق والمخلوق، الله هو الخلق، والخلق هو الله، وقال البعض كل ما يشاهده الإنسان في الوجود هو الربّ، وزعموا أنه من فرّق بين الله وخلقه فقد وقع في الشرك تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

ومن تلك المقالات الكفرية قول الغزالي(٢): "العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق. لكن منهم من كان له هذه الحال عرفاناً

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ٢/ ٥٤٨.

(٢) هو: محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، كنيته أبو حامد، فيلسوف، متصوف، تفقه ببلده أولا، ثم تحول إلى نيسابور في مرافقة جماعة من الطلبة. من مصنفاته الكثيرة: إحياء

.

علمياً، ومنهم من صار له ذلك حالاً ذوقياً. وانتفت عنهم الكثرة. . . فلم يكن عندهم إلا الله، فسكروا سكراً دُفع دونه سلطان عقولهم، فقال أحدهم: "أنا الحق" وقال الآخر: "سبحاني ما أعظم شاني! "وقال آخر: "ما في الجبة إلا الله". وكلام العشاق في حال السكر يُطوَى ولا يحكى"(١). وإن كانت أقوالهم تختلف من طائفة إلى أخرى، يبقى أن ما ذهبوا إليه من الاعتقاد مآله واحد، وهو أن الله مختلط بخلقه، وهذا هو التوحيد عندهم(٢).

وبهذا المفهوم الخاطئ للتوحيد، وصل الأمر عند البعض إلى أنهم عبدوا غير الله كالأصنام والقبور إذ كل ما في الوجود هو عين الله على حد زعمهم، فبهذه العقيدة الفاسدة فتحوا باباً كبيراً إلى الشرك، وكما قيل: إن البدعة تجرّ بعضها إلى بعض.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "أما الاتحاديه فالتوحيد عندهم أن الحق المنزه هو عين الخلق المشبه، وأنه سبحانه هو عين وجود كل موجود وحقيقته وماهيته، وأنه آية كل شيء وله فيه آية تدل على أنه عينه، وهذا عند محققيهم من خطإ التعبير، بل هو نفس الآية ونفس الدليل ونفس المستدل ونفس المستدل عليه، فالتعدد بوجود اعتبارات وهمية لا بالحقيقة والوجود، فهو عندهم عين الناكح وعين المنكوح وعين الذابح وعين المذبوح وعين الآكل وعين المأكول"(٣). وقال رحمه الله: "أن الوجود عندهم واحد ليس عندهم وجودان قديم وحادث وخالق ومخلوق وواجب وممكن، بل الوجود عندهم واحد بالعين والذي يقال له الخلق المشبه هو الحق المنزه والكل من عين واحدة بل هو العين الواحدة"(٤).

علوم الدين، الاقتصاد في الاعتقاد، قيل أنه رجع إلى طريقة أهل الحديث في آخر حياته كما ذكر ذلك ابن تيمية (في مجموع الفتاوى ٧٢/٤)، توفي عام ٥٠٥هـ. انظر السير للذهبي ٣٢٣/١٩.

(١) مشكاة الأنوار ص ٥٧.

(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٧١/٢، وفرق معاصرة لغالب عواجي ٩٨٧/٣، الربّوبية للشيخ أ. د. محمد بن عبد الرحمن الجهني ص ١١٣.

(٣) مدارج السالكين ٣٣١/٣.

(٤) الصواعق المرسلة ٩٣١/٣.

فلا يشكّ عاقل أن هذه المذاهب على ضلال مبين، وأنهم ابتعدوا عن مفهوم التوحيد كل البعد مما ترتب على ذلك انحراف عظيم، جرّهم إلى الشرك والكفر والإلحاد، "فتصور مذهب هؤلاء كاف في بيان فساده، لا يحتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر، وإنما تقع الشبهة لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم لما فيه من الألفاظ المجملة"(١).

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٣٨/٢.

المبحث الثالث:

التعريف بالخلفاء الراشدين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الخلفاء الراشدين.

المطلب الثاني: تحديد الخلفاء الراشدين وبيان خلافة النبوّة.

المطلب الأول: تعريف الخلفاء الراشدين.

الخلفاء لغة: جمع خليفة، وهي كلمة مشتقة من الفعل خلف يخلُف[(١)]، قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: "والخليفة الفعيلة من قولك: خلف فلان فلانًا في هذا الأمر، إذا قام مقامه فيه بعده. كما قال الله: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ١٤]. يعني بذلك أنه أبدلكم في الأرض منهم، فجعلكم خلفاء بعدهم، ومن ذلك قيل للسلطان الأعظم: خليفة، لأنه خلف الذي كان قبله، فقام بالأمر مقامه، فكان منه خلَفًا"[(٢)].

وفي قول الله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠].

قال القرطبي رحمه الله: وخليفة يكون بمعنى فاعل، أي: يخلُفُ من كان قبله من الملائكة في الأرض، أو من كان قبله من غير الملائكة على ما رُوي. ويجوز أن يكون "خَلِيفَةً" بمعنى مفعول أي: يُخلَفُ، كما يقال: ذبيحة بمعنى مفعولة"[(٣)].

وقال ابن الأثير: "الخلَف كل من يجيء بعد من مضى، الخليفة من يقوم مقام الذاهب، ويسدّ مسدّه"[(٤)].

الخليفة شرعاً:

قال ابن خلدون[(٥)] رحمه الله: "حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلّها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به"[(٦)].

---

(١) انظر مقاييس اللغة لابن فارس ٢/٢١٠.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن ١/٤٤٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١/٣٩٤.

(٤) النهاية ١/٥٢١.

(٥) هو: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد، ولد بمدينة تونس ببلاد المغرب، ونشأ بها، وطلب العلم، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، توفي عام ٨٠٨هـ. انظر المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ليوسف بن تغري الظاهري الحنفي ٧/٢٠٧. والأعلام للزركلي ٣/٣٣٠.

(٦) مقدمة ابن خلدون ص ١٩٠.

والخلافة والإمارة والإمامة كلّها كلمات مترادفة، فيُطلق كل إحدى من هذه الكلمات الثلاثة على الأخرى.

قال ابن خلدون رحمه الله: "وإذ قد بينا حقيقة هذا المنصب، وأنه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين، وسياسة الدنيا به، تسمى خلافة وإمامة، والقائم به خليفة وإماماً"(١).

وقال الإمام البغوي(٢) رحمه الله: "لا بأس أن يسمى القائم بأمر المسلمين: أمير المؤمنين، والخليفة، وإن كان مخالفاً لسيرة أئمة العدل، لقيامه بأمر المؤمنين وسمع المؤمنين له"(٣).

وقال القاضي أبو يعلى(٤)رحمه الله: "ويجوز أن يسمى "خليفة" لمن عقد له الأمر، ويسمى خليفة رسول الله ﷺ لأنه خلف رسول الله ﷺ في أمته"(٥).

رشد لغة:

قال ابن فارس: "الراء والشين والدال أصل واحد يدل على استقامة الطريق. فالمراشد: مقاصد الطرق. والرُشد والرَشد: خلاف الغي"(٦).

رشد شرعاً:

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٩٠.

(٢) هو: الشيخ، الإمام، العلامة، القدوة، الحافظ، شيخ الإسلام، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، الشافعي، المفسر، صاحب التصانيف، كشرح السنة ومعالم التنزيل والمصابيح وغير ذلك من المصنفات النافعة، كان إماما فاضلا ظريفا لطيفا رقيق الطبع كثير المحفوظ، توفي سنة ٥١٦هـ. انظر السير للذهبي ١٩/٤٤٠.

(٣) شرح السنة للبغوي ١٤/٧٥.

(٤) هو: الإمام، العلامة، شيخ الحنابلة القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين البغدادي الحنبلي، أفتى ودرس، وانتهت إليه الإمامة في الفقه، وكان عالم العراق في زمانه، مع معرفة بعلوم القرآن وتفسيره، والنظر والأصول، توفي سنة ٤٨٥هـ. انظر السير للذهبي ١٨/٨٩.

(٥) الأحكام السلطانية ص ٢٨.

(٦) مقاييس اللغة ٢/٣٩٨.

قال الإمام ابن القيم: "العلم بما ينفع والعمل به، والرشد والهُدى إذا أُفرِد كل منهما تضمن الآخر، وإذا قُرن أحدهما بالآخر فالهدى هو العلم بالحق والرشد هو العمل به، وضدهما الغيّ واتباع الهوى"(١). فالراشدون جمع راشد، وهي كلمة مشتقة من الرشد.

قال ابن رجب(٢) رحمه الله: "إنما وصف الخلفاء بالراشدين، لأنهم عرفوا الحق وقضوا به، فالراشد ضد الغاوي، والغاوي من عرف الحق، وعمل بخلافه، وفي رواية(٣) "المهديين"، يعني: أن الله يهديهم للحق، ولا يُضلهم عنه، فالأقسام ثلاثة: راشد وغاوٍ وضالٌ، فالراشد عرف الحق واتبعه، والغاوي: عرفه ولم يتبعه، والضال: لم يعرفه بالكلية، فكل راشد، فهو مهتد، وكل مهتد هداية تامة، فهو راشد، لأن الهداية إنما تتم بمعرفة الحق والعمل به أيضاً"(٤).

وقال العلامة السعدي رحمه الله: "الراشدون: الذين صلحت علومهم وأعمالهم، واستقاموا على الدين القويم، والصراط المستقيم وضدهم الغاوون"(٥).

وقال العلامة محمد العثيمين رحمه الله: "والخلفاء الراشدون هم الذين خلفوا النبيّ ﷺ في العلم النافع، والعمل الصالح، وأحق الناس بهذا الوصف هم الصحابة ﷺ، فإن الله اختارهم لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، ولم يكن الله تعالى ليختار وهو العليم الحكيم لصحبة نبيه إلا من هم أكمل الناس إيماناً، وأرجحهم عقولاً، وأقومهم عملاً، وأمضاهم عزماً، وأهداهم طريقاً، فكانوا أحق الناس أن يُتّبَعوا بعد نبيهم ﷺ ومن بعدهم أئمة الدين الذين عُرفوا بالهدى والصلاح"(٦).

---

(١) إغاثة اللهفان ٢/٩٠٥.

(٢) هو: الإمام الحافظ المحدث الفقيه الواعظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن بن محمد بن مسعود السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، كان بارعا في التفسير يحفظ المتون ويعرف أسماء الرجال، مشهور بقوة الحفظ وعدم النسيان والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، معروف بالتصنيف، توفي عام ٧٩٥هـ. انظر ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٢٤٣.

(٣) يقصد حديث العرباض بن سارية، وقد تقدم ذكره في المقدمة انظر ص ٦.

(٤) جامع العلوم الحكم ص٥٦٥.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٨٠٠.

(٦) مجموع الفتاوى للعثيمين ٤/١٤.

وليعلم كل مسلم أن نصب الإمام واجب في الإسلام، وأن ذلك نعمة من نعم الله على عباده، إذ الأمير -الخليفة- هو الذي يقيم الحدود، وبه تُؤدى الحقوق وتقام كثير من العبادات كالجمعة والأعياد والحج والجهاد وغيرها. فحاجة الناس إلى إمام بمثابة حاجة الجسد إلى الرأس أو حاجة الرعية إلى الراعي وإلا لأتت السباع على الماشية.

قال ابن جماعة(١): "ويجب نصب إمام يقوم بحراسة الدين، وسياسة أمور المسلمين، وكفّ أيدي المعتدين، وإنصاف المظلومين من الظالمين، ويأخذ الحقوق من مواقعها، ويضعها جمعاً وصرفاً في مواضعها، فإن بذلك صلاح البلاد وأمن العباد، وقطع مواد الفساد؛ لأن الخلق لا تصلح أحوالهم إلا بسلطان يقوم بسياستهم، ويتجرد لحراستهم"(٢) .

---

(١) هو: إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن جماعة الكناني: ولد ببيت المقدس، ونشأ فحفظ القرآن والعمدة والشاطبية والمنهاج الفرعي، كان من فقهاء الشافعية، له شرح الألفية في الحديث، للزين العراقي، وشرح تصريف العزى وشرح ألفاظ الشفاء وكان خطيباً فصيحاً زاهدا، توفي عام ٨٦١هـ. انظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ٢٨٤/١٤.

(٢) تحرير الأحكام ص ٢٤٦.

المطلب الثاني: تحديد الخلفاء الراشدين وبيان خلافة النبوّة.

كما هو معلوم عند جميع المسلمين، عامتهم وعلمائهم المحبين للسنة أن الخلفاء الراشدين أربعة: أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين، وأبو تراب علي ﷺ. فأجمع أهل السنة على أحقية الخلافة لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ، ومن أكبر الأدلة على أحقية هؤلاء الأربعة بالخلافة حديث سفينة[١] فقال الرسول: ﷺ "خلافة النبوّة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك أو ملكه من يشاء"[٢]. وقد استغرقت مدة خلافة الأربعة أبي بكر، عمر وعثمان وعلي ثلاثين سنة، وهذا مطابق لما جاء في الحديث، فخلافة النبوّة لا يمكن أن تنطبق إلا عليهم، فهم أحق الناس بهذا الوصف، قال الإمام أحمد رحمه الله: "أما الخلافة فنذهب إلى حديث سفينة فنقول أبو بكر وعمر وعثمان وعلي في الخلفاء"[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهو حديث مشهور، واعتمد عليه الإمام أحمد وغيره في تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة، وثبته أحمد واستدل به على من توقف في خلافة علي من أجل افتراق الناس عليه حتى قال أحمد من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله ونهى عن مناكحته"[٤].

وقال الإمام ابن أبي العز[٥]: "ونثبت الخلافة بعد عثمان لعلي رضي الله عنهما. لما قُتل عثمان وبايع الناس عليّاً صار إماماً حقاً واجب الطاعة، وهو الخليفة في زمانه خلافةَ نبوة،

---

(١) هو: سفينة مولى رسول الله ﷺ، كان عبداً لأم سلمة، فأعتقته، وشرطت عليه خدمة رسول الله ﷺ ما عاش، وسفينة: لقب له، واسمه: مهران وقيل: رومان، توفي بعد سنة سبعين. انظر السير للذهبي ١٧٤/٣.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في كاتب السنة، باب في الخلفاء برقم ٤٦٤٦.

(٣) السنة لعبد الله ٥٩٠/١.

(٤) مجموع الفتاوى ٣٥/١٩.

(٥) هو: سليمان بن أبي العز بن وهيب المفتي الكبير الشيخ صدر الدين قاضي القضاة أبو الفضل، الأذرعي ثم الدمشقي الحنفي إمام عالم متبحر عارف بدقائق الفقه وغوامضه انتهت إليه الرياسة على الحنفية بمصر والشام وتفقه على الشيخ جمال الدين الحصيري وغيره وقرأ الفقه بدمشق مدة ثم سكن مصر وحكم بها، توفي عام ٦٧٧هـ. انظر الوافي بالوفيات للصفدي ٢٤٧/١٥.

كما دل عليه حديث سفينة المتقدم ذكره، وكانت خلافة أبي بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشر سنين ونصفاً، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر"(١).

وهناك نصوص أخرى في إثبات أحقية الخلافة لأبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي ﷺ -إضافة إلى ما تقدم من حديث سفينة-، فمن هذه النصوص ما تشمل الخلفاء الأربعة جميعاً، ومنها ما تقتصر على واحد منهم، أما الشاملة فكقول الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

قال الحافظ ابن كثير: "هذه الآية منطبقة على خلافة الصديق ﷺ وعلى الخلافة الثلاثة بعده، فلما وجدت هذه الصفة من الاستخلاف والتمكين في أمر أبي بكر وعمر وعثمان وعلي دلّ ذلك على أن خلافتهم حق، قال بعض السلف: خلافة أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما، حق في كتاب الله، ثم تلا هذه الآية"(٢).

وقول الله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح: ١٦] قال الحافظ أحمد الإسماعيلي(٣) رحمه الله: "والذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ أحياء خوطبوا بذلك لما تخلّفوا عنه، وبقي منهم في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ، فأوجب لهم بطاعتهم إياهم الأجرَ، وبترك طاعتهم العذابَ الأليم، إيذانا من الله بخلافتهم، لا جعل الله في قلوبنا غلّا لأحد منهم، فإذا ثبت خلافةُ واحد منهم انتظم منها خلافة الأربعة"(٤).

(١) شرح الطحاوية ٢/٧٣٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/٣٩٩.

(٣) هو: الإمام، الحافظ، الحجة، الفقيه، شيخ الإسلام، أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني الإسماعيلي الشافعي، صنف تصانيف تشهد له بالإمامة في الفقه والحديث، توفي عام ٣٧١هـ. انظر السير للذهبي ١٦/٢٩٢.

(٤) إعتقاد أهل السنة ص ٥٤.

وقال ابن حزم[١] رحمه الله: "وما دعا أولئك الأعراب أحد بعد رسول الله ﷺ إلى قوم يقاتلونهم أو يسلمون إلا أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فإن أبا بكر رضي الله عنه دعاهم إلى قتال مرتدي العرب بني حنيفة[٢] وأصحاب الأسود[٣] وسجاح[٤] وطليحة[٥] والروم والفرس وغيرهم، ودعاهم عمر إلى قتال الروم والفرس، وعثمان دعاهم إلى قتال الروم والفرس والترك، فوجب طاعة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بنص القرآن الذي لا يحتمل تأويلاً، وإذ قد وجبت طاعتهم فرضاً فقد صحت إمامتهم وخلافتهم ﷺ"[٦].

وقال الإمام الصابوني[٧]: "ويثبت أصحاب الحديث خلافة أبي بكر ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ باختيار الصحابة واتفاقهم عليه، ثم خلافة عمر بن الخطاب ﷺ وأرضاه باستخلاف أبي بكر ﷺ إياه واتفاق الصحابة عليه بعده، وإنجاز الله سبحانه بمكانه في إعلاء الإسلام وإعظام شأنه وعده، ثم خلافة عثمان ﷺ بإجماع أهل الشورى، وإجماع الأصحاب كافة ورضاهم به حتى جُعل الأمر إليه، ثم خلافة علي ﷺ ببيعة الصحابة إياه،

---

(١) هو: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي، الظاهري، شاعر وكاتب وفيلسوف وفقيه. ولد في مدينة قرطبة وكان يلقب القرطبي إشارة إلى مولده ونشأته، توفي ٤٥٦هـ. انظر السير للذهبي ١٨/١٨٤.

(٢) حي من بكر بن وائل من العدنانية، وهم بنو حنيفة ابن لحيم بن صعب بنعلي بن بكر بن وائل، وكانت منازل بني حنيفة اليمامة. انظر نهاية الأرب للقلقشندي ص ٢٣٨.

(٣) هو: الأسواد العنسي هو عبهلة بن كعب، هو متنبئ، ستأتي ترجمته في الباب الثاني في المبحث المتعلق بالمتبئين إن شاء الله.

(٤) هو: سجاح بنت الحارث بن سويد التغلبية، ادّعت النبوّة، ستأتي ترجمتها في الباب الثاني إن شاء الله.

(٥) هو: طليحة بن خويلد بن نوفل الأسدي، البطل الكرار، ادّعى النبوّة ثم تاب، كذلك ستأتي ترجمته في الباب الثاني إن شاء الله.

(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/٨٩.

(٧) هو: الصابوني إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الإمام، العلامة، القدوة، المفسر، المذكر، المحدث، شيخ الإسلام، وكان حافظا، كثير السماع والتصانيف، حريصا على العلم، سمع بنيسابور وهراة وسرخس والحجاز والشام والجبال قال أبو بكر البيهقي: "حدثنا إمام المسلمين حقا، وشيخ الإسلام صدقا أبو عثمان الصابوني"، توفي ٤٤٩هـ. انظر السير للذهبي ١٨/٤١.

.

عرفه ورآه كل منهم أحق الخلق وأولاهم في ذلك الوقت بالخلافة، ولم يستجيزوا عصيانه وخلافه. فكان هؤلاء الأربعة الخلفاء الراشدون الذين نصر الله بهم الدين، وقهر وقسر بمكانهم الملحدين، وقوّى بمكانهم الإسلام ورفع في أيامهم للحق الأعلام ونوّر بضيائهم ونورهم وبهائهم الظلام"(١).

أما الأدلة على وجه الخصوص لكل واحد من الخلفاء على أحقيتهم بالخلافة فهي كما يلي:

الأدلة على أحقية أبي بكر:

قول الله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦ – ٧].

قال الرازي(٢): "يدل على إمامة أبي بكر رضي الله عنه لأنا ذكرنا أن تقدير الآية اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم، والله تعالى قد بيّن في آية أخرى أن الذين أنعم الله عليهم من هم؟ فقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء: ٦٩] ولا شكّ أن رأس الصديقين ورئيسهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فكان معنى الآية، أن الله أمرنا أن نطلب الهداية التي كان عليها أبو بكر الصديق وسائر الصديقين ولو كان أبو بكر ضالاً لما جاز الاقتداء به، فثبت بما ذكرناه دلالة هذه الآية على إمامة أبي بكر رضي الله عنه"(٣).

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص ٢٩١.

(٢) هو: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: هو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، إمام المتكلمين ذو الباع الواسع في تعليق العلوم والاجتماع بالشاسع من حقائق المنطوق والمفهوم، توفي ٦٠٦هـ. انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨١/٨.

(٣) مفاتيح الغيب ٢٠٩/١.

وعن جبير بن مطعم ﷺ قال: أتت امرأة النبيّ ﷺ فأمرها أن ترجع إليه قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك -كأنها تقول الموت- قال: "إن لم تجديني فأتي أبا بكر"(١).

قال ابن حجر(٢): "وفي الحديث أن مواعيد النبيّ ﷺ كانت على من يتولى الخلافة بعده تنجيزها، وفيه رد على الشيعة في زعمهم أنه نص على استخلاف علي والعباس"(٣).

الأدلة على أحقية عمر ﷺ بالخلافة:

عن حذيفة ﷺ قال: كنا عند النبيّ ﷺ جلوساً فقال: "إني لا أدري ما بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي" وأشار إلى أبي بكر وعمر(٤).

أي: اقتدوا بالخليفتين اللذين يقومان من بعدي: أبو بكر وعمر، أمره بمطاوعتهما يتضمن الثناء عليهما ليكونهما أهلاً لأن يطاعا فيما يأمران به وينهيان عنه، المؤذن بحسن سيرتهما وصدق سريرتهما وإيماء لكونهما الخليفتين بعده، وسبب الحثّ على الاقتداء بالسابقين الأوّلين ما فطروا عليه من الأخلاق المرضية والطبيعة القابلة للخيور السنية، فلذلك كانوا أفضل الناس بعد الأنبياء وصار أفضل الخلق بعدهم من اتبعهم بإحسان إلى يوم الصراط والميزان(٥).

وقد استخلف أبو بكر عمر فقال ﷺ: "إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاستمعوا له وأطيعوا، وإني آلُ الله ورسوله ودينه ونفسي، وإياكم خيراً، فإن عَدَلَ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ باب (بدون عنوان) ٥/٥ برقم ٣٦٥٩.

(٢) هو: أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد العسقلاني المصري ثم القاهري الشافعي ويعرف بابن حجر، وهو لقب لبعض آبائه. علامة محدث فقيه، رحل ولازم شيخه الحافظ أبا الفضل العراقي، توفي ٨٥٢هـ. انظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ٣٦/٢.

(٣) فتح الباري ٢٤/٧.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب المناقب باب مناقب أبي بكر وعمر ص ٨٣٤ برقم ٣٦٧٢. وصححه الشيخ الألباني.

(٥) انظر فيض القدير للمناوي ٧٦/٢ وتحفة الأحوذي للمباركفوري ١٤١/١٠.

فذلك ظني به وعلمي فيه، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب، والخير أردت ولا أعلم الغيب ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]"(١).

قال السفاريني(٢) رحمه الله: "اعلم أن خلافة سيدنا عمر أمير المؤمنين ﷺ مرتبة ولازمة لأحقية خلافة الصديق الأعظم أبي بكر ﷺ، وقد قام الإجماع وإشارات الكتاب والسنة على أحقية خلافته، فما ثبت للأصل الذي هو الصديق من أحقية الخلافة يثبت لفرعه الذي هو عمر بن الخطاب فيها، فلا مطمع لأحد من فرق الضلال في الطعن والنزاع في أحقية الخلافة، وقد علم أهل العلم علماً باتاً ضرورياً أن الصحابة الكرام أجمعوا على تولية الصديق الخلافة ومن شذ لا يقدح في ذلك من غير مرية"(٣).

الأدلة على أحقية عثمان ﷺ بالخلافة:

فقد انعقد الإجماع عند الصحابة ومن جاء من بعدهم على أحقية عثمان بالخلافة، فلا يشكّ في هذا الأمر ولا يعارضه إلا من انحرف عن الصراط المستقيم، وقد تواترت النصوص الكثيرة في إثبات أحقيته ﷺ بالخلافة منها: ما رُوي عن أبي هريرة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنها ستكون فتنة واختلاف وفتنة" قال: قلنا: يا رسول الله فما تأمرنا، قال: "عليكم بالأمير وأصحابه" وأشار إلى عثمان"(٤).

"هذا الحديث فيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ الدالة على صدق نبوته حيث أخبر بالفتنة التي حصلت أيام خلافة عثمان ﷺ، وكانت كما أخبر، وتضمن الحديث التنبيه على أحقية خلافة عثمان إذ أنه ﷺ أرشد الناس إلى أن يلزموه، وأخبر بأنه حين وقوع الفتنة والاختلاف

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ص ١١٦/٣.

(٢) هو: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق. ولد في سفارين (من قرى نابلس) ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها. وعاد إلى نابلس فدرس وأفتى، وتوفي فيها عام ١١٨٨هـ. انظر الأعلام للزركلي ١٤/٦.

(٣) لوامع الأنوار البهية ٣٢٦/٢.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ١٠٥/٣ قال: "هذا حديث صحيح الإسناد" ووافقه الذهبي. ورواه أحمد في فضائل الصحابة للإمام أحمد ٥٥٠/١ بغير هذا اللفظ، قال محقق الكتاب الشيخ وصي الله حفظه الله: "إسناده حسن".

مع أمير المؤمنين ومقدمهم وأمرهم بالالتفاف حوله وملازمته لكونه على الحق، والخارجون عليه على الباطل أهل زيغ وهوى، وقد شهد له الرسول ﷺ بأنه سيكون مستمراً على الهدى لا ينفك عنه"(١).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبيّ ﷺ قال: "يا عثمان، إن الله ﷻ عسى أن يُلبسك قميصاً، فإن أرادك المنافقون على خلعه، فلا تخلعه حتى تلقاني"(٢).

وعن أبي سهلة(٣) قال: قال عثمان يوم الدار: "إن رسول الله ﷺ قد عهد إليّ عهداً فأنا صابر عليه"(٤). أي: أوصاني أن ألا أخلع(٥).

ففي حديث عائشة الإشارة إلى الخلافة إذ القميص استعارة لها، وقد جاءت رواية عن ابن ماجه تؤكد على ذلك: فقال رسول الله ﷺ: "يا عثمان إن ولاّك الله هذا الأمر يوماً، فإن أرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمّصك الله فلا تخلعه"(٦). أي: سيجعلك الله خليفة، فإن قصد الناس عزلك، فلا تعزل نفسك عنها لأجلهم لكونك على الحق وكونهم على الباطل(٧).

وقد رُوي عن النبيّ ﷺ أنه لمح بخلافة عثمان بإخبار أنه سيُقتل فقال ﷺ: "من نجا من ثلاث فقد نجا ثلاث مرات قالوا: ماذا يا رسول الله قال: "موتي والدجال وقتل خليفة مصطبر بالحق يعطيه"(٨).

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة لناصر حسن الشيخ ٦٦٤/٢.

(٢) فضائل الصحابة للإمام أحمد ٦١٣/١ قال محقق الكتاب الشيخ وصي الله عباس حفظه الله: "إسناد صحيح".

(٣) أبو سهلة مولى عثمان بن عفان ويقال أبو شهلة بالمعجمة. انظر الإصابة لابن حجر ٣٤٠/١٢.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب المناقب باب مناقب عثمان ص ٨٤١ برقم ٣٧١١. وصححه الشيخ الألباني.

(٥) انظر تحفة الأحوذي للمباركفوري ١٩٦/١٠.

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه في أول الكتاب باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ص ٣٥ برقم ١١٢.

(٧) انظر تحفة الأحوذي للمباركفوري ١٨٩/١٠.

(٨) السنة لابن أبي عاصم ص ٥١٦. وصححه الشيخ الألباني.

فعثمان هو الخليفة الذي قُتل ظلماً وعدواناً، وكان صابراً كما عهده للنبي ﷺ، وقد أخبر النبي ﷺ أن عثمان سيدخل الجنة على بلوى تصيبه(١)، ولا شكّ أن عثمان كان يؤمئذ على الحق في تلك الفتنة التي حصلت في خلافته إذ أوصى به النبيّ ﷺ.

فعثمان كان أولى الناس بالخلافة بعد عمر رضي الله عنه، وهذا كان أمراً مسلَّماً عند الناس في حياة عمر رضي الله عنه فعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: "سألني عمر رضي الله عنه من ترى قومك مؤمرين بعدي، قلت: رأيت الناس قد أسندوا أمرهم إلى عثمان رضي الله عنه"(٢).

الأدلة على أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة:

إن علياً هو رابع الخلفاء الراشدين، تولّى أمر المسلمين بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه، وقد ورد بعض النصوص فيها دلالة على أحقيته بالخلافة منها:

حديث عن عكرمة: قال لي ابنُ عباس ولابنِه علي: انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه. فانطلقنا فإذا هو في حائط يُصلحُه، فأخذ رداءه فاحتَبى، ثم أنشأ يحدِّثنا، حتى أتى ذكرُ بناء المسجد فقال: كنا نحمل لبنةً لبنة وعمّار(٣) لبنتَيْن لبنتين، فرآه النبيّ ﷺ فينفض التراب عنه ويقول: "ويح عمار تقتله الفئة الباغيةُ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار". قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن"(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وهذا يدل على صحة إمامة علي ووجوب طاعته وأن الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة، والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار، هو الإمام الواجب الطاعة"(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ باب مناقب عثمان ١٣/٥ برقم ٣٦٩٥.

(٢) رواه ابن شبة في أخبار المدينة برقم ٨٦/٢.

(٣) هو: عمار بن ياسر بن عامر بن مالك العنسي، وأمه: هي سمية، مولاة بني مخزوم، من كبار الصحابيات، لم يكن في المهاجرين من أبواه مسلمان غير عمار بن ياسر، توفي عام ٣٧هـ. انظر السير للذهبي ٤٠٧/١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة باب التعاون في بناء المسجد ٩٧/١ برقم ٤٤٧.

(٥) مجموع الفتاوى ٤٣٧/٤ باختصار.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق"(١).

ففي هذا الحديث إشارة إلى صحة الخلافة إذ لا يحق لأحد أن يقوم بهذا العمل إلا الإمام، وعلي هو الذي تولى هذا الأمر، قال الإمام ابن بطة رحمه الله: "فسمّى النبيّ ﷺ القوم الذين قتلهم علي "مارقة" وسماهم "خوارج" وقال ﷺ: "يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"(٢)، وإنما مرقوا من الدين، وصاروا خوارج، وحلت دماؤهم، وعظمت المثوبة لمن قتلهم، كل ذلك لخروجهم على الإمام العادل، الخليفة الصادق، وقد أجمعت العلماء، لا خلاف بينهم أنه ليس لأحد أن يحكم في أحد بالسيف إلا الإمام العادل، وكان علي ﷺ هو الإمام الهادي، والخليفة العادل"(٣).

وبهذا يظهر المقصود من خلافة النبوّة، ويتبيّن تحديدها، فالخلفاء الراشدون أربعة، وهم أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين، وأبو السبطين علي رضي الله عنهم، فهذا الترتيب المبارك هو الذي أجمع عليه علماء أهل السنة.

قال الإمام ابن بطة رحمه الله: "فهذا مذهبنا في التفضيل والخلافة بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ، ومذهب سلفنا وأئمتنا، وهو طريق أهل العلم، ومن سلمه الله من اتباع الهوى، ولزم المحجة الواضحة، والطريق السابلة، القاصدة، وعليه أدركنا من لقيناه من شيوخنا، وعلمائنا رحمة الله عليهم"(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكات باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٧٤٥/٢ برقم ١٠٦٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن باب إثم من رأى بقراءة القرآن ١٩٧/٦ برقم ٥٠٥٨.

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ١/ ٢٥٠.

(٤) المصدر نفسه ١/ ٣٢١.

المبحث الرابع:

ترجمة موجزة للخلفاء الراشدين

وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: ترجمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

المطلب الثاني: ترجمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

المطلب الثالث: ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

المطلب الرابع: ترجمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

المطلب الأول: ترجمة أبي بكر الصديق ﷺ.

اسمه ونسبه: هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التميمي(١)، فهو يلتقي في نسبه مع الرسول ﷺ في مرة بن كعب الجد السادس له ﷺ(٢)، ويكنى بأبي بكر ﷺ، ولُقب بألقاب عديدة، أشهرها: الصديق لكثرة تصديقه للنبي ﷺ(٣)، العتيق(٤)، الصاحب(٥).

مولده ونشأته: ولد أبو بكر ﷺ في السنة الثانية أو الثالثة من عام الفيل، فهو أصغر من النبيّ ﷺ، نشأ في مكة، اشتغل بالتجارة، فكانت أكثر تجارته في الثياب، وكان عالماً في الأنساب(٦)، وقد شب ﷺ على مكارم الأخلاق(٧).

صفته الخَلقية: قالت عائشة ﷺ في وصفها لأبي بكر ﷺ: أنه رجل أبيض، تخالطه صُفرة، حسن القامة، نحيف، خفيف العارضين، أجنأ(٨)، لا يستمسك إزاره يسترخي عن حَقْوَيْه، معروق الوجه، غائر العينين(٩)، عاري الأشاجع(١٠).

إسلامه: دعاه النبيّ ﷺ فأسلم الصديق ﷺ ولم يتردد، وعاهد رسول الله ﷺ على نصرته فقام بما تعهد ولهذا قال رسول الله ﷺ في حقه: "إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت،

---

(١) الإصابة لابن حجر ٦/٢٧١.

(٢) انظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٩.

(٣) انظر: قصة الإسراء في المستدرك للحاكم ٣/٦٥.

(٤) انظر: سنن الترمذي كتاب المناقب عن رسول الله باب ١٧(بدون عنوان) ص ٨٣٥ برقم ٣٦٧٩.

(٥) كما لُقب في القرآن قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة: ٤٠].

(٦) انظر: صحيح المسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضل حسان بن ثابت ٤/١٩٣٥ برقم ٢٤٩٠ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٩.

(٧) انظر المصدر السابق ص ٢٩.

(٨) الجنأ: ميل في الظهر وقيل في العنق. انظر النهاية لابن الأثير ١/٢٩٥.

(٩) غائر العينين: دخلت في الرأس. انظر لسان العرب ٥/١٧٧.

(١٠) عاري الأشاجع: مفاصل الأصابع أي كان اللحم عليها قليلا. انظر النهاية لابن الأثير ١/٨٤٥.

وقال أبو بكر صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ مرتين"[(١)]. وبذلك كان الصديق أوّل من أسلم من الرجال الأحرار.

فضائل أبي بكر ﷺ ومناقبه:

إن أبا بكر الصديق ﷺ هو أفضل هذه الأمة، بل هو أفضل الناس على وجه الأرض بعد الأنبياء عليهم السلام، فضائله جسيمة ومناقبه عظيمة، كان أحبّ الرجال إلى النبيّ[(٢)].

وقال النبيّ ﷺ فيه: "إن أَمَنَّ الناس عليّ في ماله وصحبته أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام"[(٣)].

وعن عبد الله بن حنطب[(٤)]: أن النبيّ ﷺ رأى أبا بكر وعمر فقال: "هذان السمع والبصر"[(٥)].

وهو سيد الصديقين وخير الصالحين، السابق في الخيرات، العبّاد الذي لا ينافسه أحد من الصحابة، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "من أصبح منكم اليوم صائماً؟ ". قال أبو بكر: أنا. قال ﷺ: "فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ ". قال أبو بكر: أنا. قال ﷺ: "فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟ ". قال أبو بكر: أنا. قال ﷺ: "فمن عاد منكم اليوم مريضا؟ ". قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله ﷺ: "ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة"[(٦)].

فكان أبو بكر من أحرص الناس على فعل الخيرات، فوصل هذا الخليفة الراشد إلى درجة عالية من الإيمان ولهذا قال عمر ﷺ: "لو وُزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ ٥/٥ برقم ٣٦٦١.

(٢) سيأتي تخريجه إن شاء الله.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبي بكر برقم ٢٣٨١.

(٤) عبد الله بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمرو بن مخزوم القرشي والد المطلب قال بن أبي حاتم له صحبة، انظر الإصابة لابن حجر ١٠٧/٦.

(٥) أخرجه الترمذي في سنن في كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ باب في مناقب أبي بكر وعمر ص ٨٣٤ برقم ٣٦٧١. وصححه الألباني.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبي بكر ١٨٥٤/٤ برقم ٢٣٧٤.

بهم"(١). وقد وصف الله أبا بكر رضي الله عنه بالتقوى في القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل: ١٧ – ١٨](٢).

وكان أبو بكر رضي الله عنه صاحب علم، بل من أعلم الصحابة بالقرآن والسنة، ومما يدل على مستواه العلمي أنه كان يتصدر للفتوى في حياة الرسول ﷺ، كما عرف عنه تعبير الرؤيا حتى قال عنه ابن سيرين(٣): "كان أبو بكر أعبر هذه الأمة بعد النبيّ ﷺ"(٤).

ومن عرف علو منزلة هذا الصحابي الجليل لا يستغرب أن النبيّ بشّره بالجنة والعتق من النار، فقال النبيّ ﷺ له: "أنت عتيق الله من النار"(٥). وقال ﷺ: "أبو بكر وعمر سيدا كهول(٦) الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيّين والمرسلين"(٧).

---

(١) فضائل الصحابة للإمام أحمد ٥١١/١ قال محقق الكتاب الشيخ وصي الله: "صحيح".

(٢) انظر تفسير القرآن الكريم لابن كثير ٦٧٣/٤.

(٣) هو: محمد بن سيرين أبو بكر الأنصاري، الإمام، شيخ الإسلام، الأنسي، البصري، مولى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، وكان أبوه من سبي جرجرايا، تملكه أنس، توفي عام ١١٠هـ. انظر السير للذهبي ٦٠٧/٤.

(٤) تاريخ الخلفاء الراشدين للسيوطي ص ٤٤ و٥٢.

(٥) أخرجه الترمذي في سنن في كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ باب: ١٧ (بدون عنوان) ص ٨٣٥ برقم ٣٦٧٩. وصححه الألباني.

(٦)الكهل من الرجال: من زاد على ثلاثين سنة إلى الأربعين. انظر النهاية لابن الأثير ٥٧٢/٢.

(٧) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب اتباع سنة رسول الله ﷺ باب في فضائل أصحاب الرسول ﷺ ص ٣٣ برقم ١٠٠. وصححه الألباني.

.

المطلب الثاني: ترجمة عمر بن الخطاب ﷺ.

اسمه ونسبه: هو عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العُزَّى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزَاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب، وأمه حَنْتَمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم. وبذلك يلتقي نسبه مع الرسول ﷺ في الجد السابع وهو كعب بن لؤي، ويكنى أبا حفص، ولُقب بالفاروق لأن الله فرّق به بين الكفر والإيمان(١).

مولده ونشأته: ولد بعد عام الفيل بثلاث عشر سنة، وقيل قبل البعثة النبوية بثلاثين سنة، أي: بعد الفيل بعشر السنين(٢)، فهو أصغر من النبيّ ﷺ بعشر إلى ثلاث عشرة سنة. حمل المسؤولية منذ صغاره فكان يراعي إبل والده،(٣). وكان عمر ﷺ سفيراً وقاضياً لقبيلته، وشديداً على المسلمين(٤).

صفته الخَلقية: كان طويلاً جسيماً، أصْلَعَ شديد الصلع، أبيض، شديد حمرة العينين، في عارضه خفة، سَبَلَتُه(٥) كثيرة الشعر في أطرافها صهوبة(٦) (٧).

وكان ذا هيبة، فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف(٨) فقال: "يا أمير المؤمنين، لِنْ للناس، فإنه يقدم القادم فتمنعه هيبتك أن يكلمك في حاجته حتى يرجع ولم يكلمك"(٩).

---

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٢٦٥.

(٢) انظر الإصابة لابن حجر ٧/٣١٢.

(٣) انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٤٤/٣١٦.

(٤) انظر السيرة لابن هشام ٢/١٦١ومناقب عمر لابن الجوزي ص١١.

(٥) ما على الشارب من الشعر. القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٠١٢.

(٦) الصَّهَب: حمرة أو شقرة في الشعر. انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ص١٠٦.

(٧) انظر الإصابة لابن حجر ٧/٣١٢.

(٨) هو: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث، أبو محمد، أحد العشرة، وأحد الستة أهل الشورى، وأحد السابقين البدريين، القرشي، الزهري. وهو أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام، توفي عام ٣٢. انظر السير للذهبي ١/٦٩.

(٩) الطبقات لابن سعد ٣/٢٨٧.

إسلامه: أسلم عمر ﷺ، وكانت دعوة الرسول ﷺ له من أكبر الأسباب لإسلامه، صح عن النبيّ ﷺ أنه دعا ربّه فقال ﷺ: "اللّهم أعزّ الإسلام بأحبّ هذين الرجلين إليك بأبي جهل، أو بعمر بن الخطاب"، فكان أحبهما إليه عمر بن الخطاب(١).

ولقد كان إسلام عمر ﷺ نصراً للإسلام والمسلمين في مكة، قال ابن مسعود ﷺ: "ما زلنا أعزة منذ أن أسلم عمر"(٢).

فضائل عمر ﷺ ومناقبه:

إن عمر بن الخطاب ﷺ هو أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام وأبي بكر ﷺ، وهو ثاني الخلفاء الراشدين، وقد وردت الأحاديث الكثيرة الدالة على فضله منها:

حديث عمرو بن العاص(٣): لما سئل النبيّ ﷺ: أي الناس أحب إليك؟ قال: "عائشة". قلت: من الرجال؟ قال: "أبوها". قلت: ثم من؟ قال: "عمر"(٤).

ومما جاء عن النبيّ ﷺ أنه أمر بالاقتداء به(٥)، فمكانة عمر عند النبيّ ﷺ عظيمة، ومنزلته بين الصحابة سامية، لو ما رُوي إلا هذا لكفى لبيان فضله.

فكان عمر من أعظم الناس إيماناً ويشهد بهذا حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قُمُص منها ما يبلغ الثّدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، ومرّ عليّ عمر بن الخطاب، وعليه قميص يجره". قالوا: ما أوّلت يا رسول الله؟ قال: "الدين"(٦).

---

(١) رواه أحمد في فضائل الصحابة ١/ ٣٠٦-٣٠٧. قال محقق الكتاب الشيخ وصي الله حفظه الله: "إسناده حسن".

(٢) المصدر نفسه ١/٣٤٠. قال محقق الكتاب الشيخ وصي الله حفظه الله: "إسناده صحيح".

(٣) هو: عمرو بن العاص بن وائل السهمي، الإمام، داهية قريش، العالم، ومن يضرب به المثل في الفطنة، والدهاء، والحزم. هاجر إلى رسول الله ﷺ مسلما في أوائل سنة ثمان، مرافقا لخالد بن الوليد، توفي عام ٤٣هـ. انظر السير للذهبي ٣/٥٦.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي باب غزوة ذات السلاسل ٥/١٦٦ برقم ٤٣٥٨.

(٥) سبق تخريجه ص ١٢٨.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ باب مناقب عمر ٥/١٠ برقم ٣٦٨٠.

وقد رزق الله لهذا الخليفة علماً غزيراً، تميّز به عن بقية الصحابة فعن ابن عمر ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "بينما أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى إني لأرى الري يخرج في أظفاري ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب قالوا: فما أوّلته يا رسول الله قال: العلم"[(١)]. وقال النبيّ ﷺ: "لقد كان فيمن كان قبلَكم من بني إسرائيل رجال، يكلّمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر"[(٢)].

وقد وافق عمر ﷺ القرآن عدة مرات، ومن ذلك: اتخذت مقام إبراهيم مصلى، وأمر أمهات المؤمنين بالحجاب[(٣)]. وهذه الموافقات مصدق لقول رسول الله ﷺ: "إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه"[(٤)].

وبهذا الثبات على الدين وهذه البصيرة أصبح عمر لا يخاف من لومة لائم، بل كان الشيطان يخاف منه، فقال رسول الله ﷺ: "إيهاً يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجّاً[(٥)] قط إلا سلك فجّاً غير فجّك"[(٦)].

---

(١) المصدر نفسه في كتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ باب مناقب عمر ١٠/٥ برقم ٣٦٨١.

(٢) المصدر نفسه في كتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ باب مناقب عمر ١٢/٥ برقم ٣٦٨٩.

(٣) انظر صحيح البخاري في كتاب التفسير باب: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥] ٢٠/٦ برقم ٤٤٨٣.

(٤) رواه الترمذي في سننه في كتاب المناقب باب: ١٨ (بدون عنوان) ص ٨٣٦برقم ٣٦٨٢. وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٥) أي: الطريق الواسع. انظر النهاية لابن الأثير ٣٤٣/٢.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ باب مناقب عمر ﷺ ١١/٥ برقم ٣٦٨٣.

المطلب الثالث: ترجمة عثمان ﷺ.

اسمه ونسبه: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد ناف بن قصي بن كلاب القرشي الأموي، يلتقي نسبه مع الرسول ﷺ من جهة أبيه في الجد الثالث لرسول الله وهو عبد مناف، ومن جهة أم عثمان فهو يلتقي مع الرسول ﷺ في الجد الأول، حيث أن أم عثمان هي أروى وأمّها البيضاء بنت عبد المطلب عمة النبيّ ﷺ [(١)]. وكان يُلقب بذي النورين، لأنه تزوج بنتي النبيّ ﷺ، أولاً برقية ثم بعد وفاتها رضي الله عنها بأم كلثوم[(٢)].

مولد ونشأته: ولد في مكة بعد عام الفيل بست سنين على الصحيح، وقيل ولد في طائف، فهو أصغر من رسول الله ﷺ بنحو خمس سنين[(٣)]. وعاش عثمان في مكة، وانشغل بالتجارة بعد ما ورث من أبيه مالاً، وقد نشأ على أخلاق كريمة، وكان من الذين ابتعدوا عن كثير مما يمارسونه رجال قومه من أمور الجاهلية، كالزنا وشرب الخمر[(٤)].

صفته الخلقية: كان رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير، حسن الوجه، رقيق البشرة، بوجهه أثر جدري، كبير اللحية عظيمها، أسمر اللون، أصلع، عظيم الكراديس[(٥)]، عظيم ما بين المنكبين، يصفر لحيته، أروح الرجلين[(٦)].

إسلامه: يُعدّ عثمان بن عفان ﷺ من السابقين في الإسلام، فهو من أوائل الرجال الذين أسلموا عند ظهور هذا الدين، دعاه أبو بكر ﷺ إلى الإسلام فأسلم، وكان يقول: إني لرابع أربعة في الإسلام[(٧)].

---

(١) انظر: الطبقات لابن سعد ٥٣/٣ الإصابة لابن حجر ١٠٢/٧.

(٢) انظر: الطبقات لابن سعد ٥٣/٣.

(٣) انظر: الإصابة لابن حجر ١٠٢/٧.

(٤) انظر: سنن النسائي في كتاب تحريم الدم باب ذكر ما يحل به دم المسلم ص ٦٢١ برقم ٤٠١٩ والسنة لابن أبي عاصم في السنة ص ٥٣٥ وتاريخ الخلفاء الراشدين لمحمد أبا الخيل ص ٢٤٦.

(٥) كراديس جمع كردوس، كل عظمين التقايا في مفصل. القموس المحيط للفيروزآبادي ص ٥٧٠.

(٦) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٧٤/٣.

(٧) انظر أسد الغابة لابن الأثير ٥٧٨/٣.

فضائل عثمان ومناقبه:

من أجلّ مناقبه استحياء الملائكة منه، فعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي، كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر ﵁ فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر ﵁ فأذن له وهو كذلك، فتحدث ثم استأذن عثمان ﵁، فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه،... فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش[١] له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك، فقال ﷺ: "ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة"[٢].

وكذلك من فضائله قول الرسول ﷺ: "ما ضرّ ابن عفان ما عمل بعد اليوم، يردد ذلك مراراً"[٣]. قاله ﷺ حين جاء عثمان ﵁ بألف دينار لتجهيز جيش العسرة[٤]، وهذا فيه دلالة على مغفرة الله لذنوبه.

وهو من العشر الذين بشّرهم الرسول ﷺ بالجنة كما جاء في حديث عبد الرحمن بن عوف: قال رسول الله: "أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة..."[٥].

وأوصى النبيّ ﷺ بعثمان عند ظهور فتنة واختلاف بعده[٦].

وقد صحّ عن النبيّ ﷺ ما يدل على أن عثمان سيموت شهيداً، فعن أنس ﵁ أنه قال: صعد النبيّ ﷺ أُحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف وقال: "اسكن أحد –أظنه ضربه برجله– فليس عليك إلا نبيّ وصدّيق وشهيدان"[١].

---

(١) أي: طلاقة الوجه وحسن اللقاء. انظر شرح صحيح مسلم للنووي ١٥/١٦٨.

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عثمان ٤/١٨٦٦ برقم ٢٤٠١.

(٣) رواه أحمد في فضائل الصحابة ١/٥٥٩، قال محقق الكتاب الشيخ وصي الله حفظه الله: "إسناده حسن".

(٤) وجيش العسرة بالضم: جيش تبوك لأنهم ندبوا إليها في حمّارة القيظ فعُسر عليهم. انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٤٣٩.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب المناقب باب مناقب عبد الرحمن بن عوف ص ٨٤٨ برقم ٣٧٤٧. وصححه الألباني.

(٦) تقدم تخريجه ص ١٢٩.

وإن يكن أحد من أمة محمد ﷺ من أهل القرآن فعثمان من أولى الناس بهذا الوصف، فقد تعلّق عثمان بكتاب الله تعلّقاً شديداً، ورُوي عنه أنه قال: "لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله"(٢).

فمن الفضائل المتعلّقة بهذا الموضوع أن عثمان جمع الأمة على مصحف واحد(٣)، وهو الذي روى حديث النبيّ ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلّمه"(٤)، ومن حبه للقرآن أنه رضي الله عنه كان يتلوه بالليل والناس نيام، وقد رُوي عن عبد الله بن عمر أنه قال في قول الله: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾[الزمر: ٩] قال ابن عمر: عثمان(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ، باب مناقب عثمان ١٤/٥ برقم ٣٦٩٧.

(٢) رواه ابن كثير في البداية والنهاية ٢٢٥/٧.

(٣) سيأتي في الباب الأول الكلام عن هذا الموضوع إن شاء الله.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ١٩٢/٦ برقم ٥٠٢٧.

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٢/٤.

المطلب الرابع: ترجمة علي بن أبي طالب ﷺ:

اسمه ونسبه: علي بن أبي طالب (عبد مناف)[١] بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن بن مرة بن كعب بن لؤي[٢]. فهو ابن عم النبيّ ﷺ ويلتقي معه في جده الأوّل عبد المطلب بن هاشم.

وكنيته: أبو الحسن نسبة إلى ابنه الأكبر الحسن، وهو من ولد فاطمة بنت النبيّ ﷺ، ويكنى أيضاً بأبي تراب، فكناه بذلك لأن النبيّ ﷺ وجد علياً ذات يوم مضطجعاً، وقد أصابه تراب، فقال له النبيّ ﷺ: "قم يا أبا تراب"[٣].

مولده ونشأته: اختلف أهل العلم في تحديد سنة ولادته، قيل ولد قبل البعثة بخمس عشرة سنة، وقيل بعشر سنين وقد رجح ذلك الحافظ ابن حجر[٤]. ويقال أنه أوّل من ولد من بني هاشم في جوف الكعبة[٥].

وقد أراد الله خيراً كبيراً لعلي بن أبي طالب ﷺ إذ جعل نشأته في حجر النبيّ ﷺ، فترعرع علي ﷺ في بيت النبيّ ﷺ، والسبب في ذلك أن أزمنة شديدة أصابت قريشاً، وكان أبو طالب كثير العيال، فأخذ النبيّ ﷺ علياً، وضمه إليه ليعين عمّه، ويخفّف عنه[٦].

صفته الخلقية:

كان رجلاً آدم شديد الأدمة، أشكل العينين عظيمهما، ذو بطن، أصلع، وهو إلى القصر أقرب، وكان عظيم اللحية، قد ملأت صدره ومنكبيه، أبيضها، وكان كثير شعر الصدر والكتفين، حسن الوجه، خفيف المشي على الأرض[٧].

---

(١) أبو طالب اسمه عبد مناف.

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٢٥٠/٧ والإصابة لابن حجر ٢٧٥/٧.

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل علي ١٨٧٤/٤ برقم ٢٤٠٩.

(٤) انظر الإصابة لابن حجر ٢٧٥/٧.

(٥) انظر أخبار مكة للفاكهي ٢٢٦/٣.

(٦) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٨٥/٢.

(٧) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٢٥٠/٧.

إسلامه: إن علي بن أبي طالب ﵁ جاء إلى النبيّ ﷺ بعد إسلام خديجة[١] فوجدهما يصليان، فقال: علي يا محمد ما هذا؟ قال: "دين الله الذي اصطفى لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وإلى عبادته، وأن تكفر باللات والعزى". فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمراً حتى أحدث به أبا طالب. فكره رسول الله ﷺ أن يفشي عليه سرّه قبل أن يستعلن أمره. فقال له ﷺ: "يا علي إذا لم تسلم فاكتم. " فمكث علي تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلب علي الإسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال: ماذا عرضت علي يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ: "تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد". ففعل علي وأسلم، ومكث يأتيه على خوف من أبي طالب وكتم علي إسلامه ولم يظهره[٢].

وذهب المحققون إلى أن علياً ﵁كان في العشرة من عمره حين أسلم، قال الحافظ بن حجر: "فإن الأصح في سن علي ﵁ حين المبعث كان عشر سنين"[٣].

فضائل علي ومناقبه ﵁:

من فضائله أن النبيّ ﷺ قال لعلي ﵁: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى"[٤]. وقال ﷺ له: "أنت مني وأنا منك"[٥].

ومما يدل على مكانته العالية عند الله ورسوله ﷺ ما نُقل إلينا من أحداث يوم خيبر[٦]، أن الرسول ﷺ قال: "لأعطينّ الراية غداً رجلاً يفتح على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله

---

(١) وسيدة نساء العالمين في زمانها، أم القاسم، ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشية، الأسدية. أم أولاد رسول الله ﷺ، توفيت عام ١٠ من البعثة. انظر السير للذهبي ١١١/٢.

(٢) رواه ابن كثير في البداية والنهاية ٣٤/٣.

(٣) فتح الباري لابن حجر ١٧٤/٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ باب مناقب علي ١٩/٥ برقم ٣٧٠٦.

(٥) المصدر نفسه في كتاب الصلح باب كيف يكتب هذا: ما صالح فلان بن فلان، وفلان بن فلان، وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه ١٨٤/٣ برقم ٢٦٩٩.

(٦) خيبر بلد كثير الماء والزرع والأهل، وكان يسمى ريف الحجاز، وأكثر محصولاته التمر لكثرة نخله، يبعد عن المدينة (١٦٥) كيلا شمالا على طريق الشام. انظر معجم المعالم الجغرافية للبلادي ص ٢٧٠.

.

ورسوله"، فبات الناس ليلتهم أيّهم يعطى، فغدوا كلهم يرجوه، فقال ﷺ: "أين علي"، فقيل يشتكي عينيه، فبصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه"(١). كما صحّ عن النبيّ ﷺ أنه قال حين مرجعه من حجة الوداع: "من كنت مولاه فعلي مولاه"(٢).

وقد جعل الله علياً رضي الله عنه معياراً من المعايير في معرفة المؤمن من المنافق، فقال علي رضي الله عنه: "عهد إليّ النبيّ ﷺ أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق"(٣).

ومن أفضل مناقبه أنه نُزل فيه بعض الآيات من القرآن الكريم تتلى إلى يوم القيامة، منها قول تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج: ١٩] قال قيس بن عباد(٤): "هم الذين تبارزوا يوم بدر"، وذكر منهم علي رضي الله عنه(٥).

ومن تلك الآيات قول الله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١] فلما نزلت الآية دعا رسول الله ﷺ عليا، فاطمة وحسناً وحسيناً رضي الله عنهم فقال: "اللهم هؤلاء أهلي"(٦).

وكان علي من أفقه الناس، سريع الفهم، منّ الله عليه بالعقل والذكاء، ومما يشهد له على تميزه في العلم موافقة القرآن له في كون الجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: "كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج. وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ، باب مناقب علي ١٨/٥ برقم ٣٧٠١.

(٢) فضائل الصحابة للإمام أحمد ٧٠٣/٢. قال محقق الكتاب الشيخ وصي الله عباس حفظه الله: "إسناد صحيح".

(٣) فضائل الصحابة للإمام أحمد ٦٩٦/٢. قال محقق الكتاب الشيخ وصي الله عباس: "إسناد صحيح".

(٤) قيس بن عبادة بن دهيم بن عطية بن أوس الأنصاري الأوسي، قال بن منده: "لا تصح له صحبة" وتبعه أبو نعيم انظر الإصابة لابن حجر ١٣٠/٩.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي باب قتل أبي جهل ٧٥/٥ برقم ٣٩٦٥.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل علي ١٨٧١/٤ برقم ٢٤٠٤.

إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال علي[1]: الجهاد فى سبيل الله أفضل مما قلتم. فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه. فأنزل الله ﷻ ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٩][2].

فهذا شيء من فضائل الخلفاء الراشدين ومناقبهم ﷺ وإلا فالأحاديث والآثار في هذا الباب كثيرة جداً.

---

(١) في الأصل: "قال آخر" بدلا من علي، وقد عُيّن بأنه علي بن أبي طالب انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ١١/٢٨، ١١/١٩٨، ٢٦/٢٧٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة باب فضل الشهادة في سبيل الله ٣/١٤٩٩ برقم ١٨٧٩.

المبحث الخامس:

أصول ومباحث عقدية متعلقة بالخلفاء . وفيه أربعة مطالب .

المطلب الأول: عقيدة أهل السنة في الصحابة وبيان منزلتهم .

المطلب الثاني: منزلة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

المطلب الثالث: أهمية الاتباع والاقتداء بسنة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

المطلب الرابع: انحراف بعض الأمة في اعتقادهم بالصحابة والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

المطلب الأول: عقيدة أهل السنة في الصحابة وبيان منزلتهم.

قبل الحديث عن عقيدة أهل السنة في الصحابة وبيان منزلتهم يحسن التعريف بالصحابة، ماذا يُقصد بهذه الكلمة؟

تعريف الصحابة:

لقد تعددت التعريفات في الصحابي عند أهل العلم، ولكن أفضل ما قيل فيه ما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله في مقدمة كتابه الإصابة في تمييز الصحابة فقال: "الصحابي مَن لقي الرسول ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام"(١).

ثم قال الحافظ: "وهذا التعريف مبنِيٌّ على الأصحِّ المختار عند المحققين كالبخاري وشيخه أحمد بن حنبل ومَن تبعهما". فهو أصح ما وقف عليه من التعريفات إذ هو تعريف جامع مانع.

وقد شرح الحافظ هذا التعريف بقوله: "فيدخل في (مَن لقيَه) مَن طالت مجالستُه له أو قصُرت، ومَن رَوى عنه أو لَمْ يَرو، ومَن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومَن لَمْ يره لعارض كالعمى، ويخرج بقيد (الإيمان) من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرَّة أخرى. وقولنا (به) يخرج من لقيه مؤمناً بغيره، كمَن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة، وهل يدخل من لقيه منهم وآمن بأنَّه سيُبعث أو لا يدخل؟ محلُّ احتمال، ومن هؤلاء بَحيرا الراهب ونظراؤه. ويدخل في قولنا: (مؤمناً به) كلُّ مكلَّف من الجنِّ والإنس. وخرج بقولنا (ومات على الإسلام) من لقيه مؤمناً به، ثمَّ ارتدَّ ومات على ردَّته والعياذ بالله، ويدخل فيه مَن ارتدَّ وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت، سواء اجتمع به صلى الله عليه وآله وسلم مرَّة أخرى أم لا، وهذا هو الصحيح المعتمَد"(٢).

أما عقيدة أهل السنة في الصحابة وبيان منزلتهم فهي كما تلي:

من المقرر والمجمع عليه عند أهل السنة والجماعة، لا مجال للشكّ فيه أن أصحاب رسول الله ﷺ هم أفضل الناس في أمة الإسلام، بل هم أفضل العباد في هذه الدنيا بعد الأنبياء والرسل، فمنزلة الصحابة عند الله ورسوله ﷺ والمؤمنين منزلة عالية ومكانة الرفيعة، لا

---

(١) ١/١٥.

(٢) المصد نفسه ١/١٦ باختصار.

يمكن أن يبلغها أي عبد جاء من بعدهم، ولو عمل الدهر كله لما سوى عمله فضل صحبة الرسول الكريم ولو كانت لحظة، ولهذا قال ابن عمر ﷺ: "لا تسبّوا أصحاب محمد ﷺ، فلمقام أحدهم ساعة، خير من عمل أحدكم عُمرَه"(١).

وقال الإمام أحمد رحمه الله: "فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه ولو لقوا الله بجميع الأعمال"(٢)، ففضيلة الصحبة لا يعدلها عمل مهما كان. فشأن الصحابة عظيم، وكيف لا؟ وقد رافقوا الرسول ﷺ، اختارهم الله لصحبته، فشاهدوا المشاهد كلّها، والوحي ينزل عليهم، فوقّروا وعزّروا هذا الرسول الكريم ﷺ بالإيمان به وتصديقه وطاعته، فتربّوا على يديه ﷺ وتلقّوا منه العلم النافع والعمل به، وجاهدوا معه بأموالهم وأنفسهم فنصروه على الأعداء.

فأصحاب الرسول أقام الله بهم دينه وأظهر حقه ثم بعد موت الرسول ﷺ بلّغوا ما حفظوه عنه ﷺ من تعاليم وأحكام، فانتشر دين الإسلام على أيديهم، فهم حملة الرسالة، وبالتالي جعلهم الله لمن جاء من بعدهم قدوة. قال عبد الله بن مسعود ﷺ: "من كان مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا والله أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلّها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسّكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"(٣).

فمنزلة الصحابة من أهم المسائل الدينية التي ينبغي للمسلم أن يتعلّمها، هي من أكبر أصول عقيدة أهل السنة، لا يكاد يخلو كتاب من الكتب المشتملة على عقيدة الإسلام إلا وهو يذكر مبحثاً في إبراز مكانة الصحابة في الإسلام.

وقد تكاثرت النصوص من الكتاب والسنة في بيان منزلة الصحابة وفضائلهم وحقوقهم، ويتلخص ذلك فيما يلي:

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه في أول الكتاب باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ص ٤٤ برقم ١٦٢. وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١/ ١٨٠.

(٣) تقدم تخريجه ص ٤.

۞ الصحابة خير الخلق بعد الأنبياء:

إن الصحابة ﭫ هم خير العباد بعد الأنبياء وقد شهد القرآن الكريم بذلك فقال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[آل عمران: ١١٠] "يمدح تعالى هذه الأمة ويخبر أنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتكميلهم لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله وجهادهم على ذلك وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغيهم وعصيانهم، فبهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس"(١).

ولاشكّ أن أحق الناس بهذا الوصف هم أصحاب رسول الله ﷺ إذ أصل الخطاب فيهم، وقد رُوي عن ابن عباس ﭬ أنه قال: "هم الذين هاجروا مع رسول الله من مكة إلى المدينة"(٢) ولكن لا يمنع أن هذه الآية عامة في جميع الأمة.

وقد جاء في السنة ما يؤكّد على أن الصحابة خير الخلق في هذه الأمة بعد نبيهم ﷺ فعن عبد الله ﭬ عن النبيّ ﷺ قال: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبِق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته"(٣).

وقوله: "خير الناس قرني أي: السابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار ومن سلك مسلكهم، فهؤلاء أفضل الأمة وهم المرادون بالحديث"(٤).

قال ابن تيمية رحمه الله: "ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما منّ الله عليهم من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله"(٥).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ السعدي ص ١٤٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٠٩/١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات باب لا يشهد على شهادة جور إذ أُشهد ١٧١/٣ برقم ٢٦٥٠.

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ١٣٢/٣ و٣٠١/١٦.

(٥) مجموع الفتاوى ١٥٦/٣.

۞ **الصحابة كلهم عدول:**

من تأمل نصوص كتاب الله والسنة يجد أنها مليئة بالثناء على الصحابة والمدح لهم، آيات وأحاديث كثيرة تصفهم بصفات جليلة وأخلاق عظيمة، فيها الإخبار عن طهارتهم وما سينالون من الأجر الوفير والثواب الجزيل بما كانوا عليه من الإيمان وما قدّموه من الأعمال، فكل هذا الثناء والمدح يقتضي أمراً يجب اعتقاده والجزم به، وهو أن الصحابة كلهم عدول.

قال القرطبي رحمه الله: "فالصحابة كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله. هذا مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة. وقد ذهبت شِرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم"(١).

ومما جاء في القرآن على سبيل الثناء والمدح لهم، التصريح برضوان الله عنهم قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠] وقال الله: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

قال ابن حزم رحمه الله: "فمن أخبرنا الله عز وجل أنه علم ما في قلوبهم ورضي عنهم، وأنزل السكينة عليهم، فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم ولا الشكّ فيهم البتة"(٢).

وكذلك في الثناء عليهم، وعد الله لهم بالحسنى قال سبحانه: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ١٠] رُوي عن مجاهد أنه فسرّ الحسنى بالجنة(٣).

فوعدهم الله بالجنة، وهذا دليل واضح على منزلة صحابة رسول الله ﷺ.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٩/٣٥٠.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/١٤٨.

(٣) انظر جامع البيان لابن جرير الطبري ٢٣/١٧٧.

ومن المدح والفضل عليهم أن الله وصفهم في كتابه بصفات عظيمة وأخلاق حميدة، كما أنهم ذُكروا في التوراة والإنجيل قبل أن يعرفوا الإسلام، بل قبل أن يُخلقوا، قال الله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩]. وغير ذلك من الآيات الدالة على ذلك عدلهم.

فالصحابة ليسوا بحاجة إلى تعديل أحد ولا توثيقه لتزكية الله لهم والثناء عليهم ولحسن الظن بهم، فعدالتهم أمر معلوم ومسلَّم عند أهل السنة، حتى أن علماء الحديث قرّروا أنه لا يُنظر في أحوال الصحابي في قبول الرواية والخبر الذي رفعه إلى النبيّ ﷺ، فلا تضر جهالتهم.

قال ابن عبد البر في التمهيد: "ولا فرق بين أن يُسمِّي التابعُ الصاحبَ الذي حدَّثه أو لا يُسميه في وجوب العمل بحديثه، لأن الصحابة كلهم عدول مرضيّون ثقاتٌ أثباتٌ وهذا أمر مجتمع عليه عند أهل العلم بالحديث"(١).

۞ الأمر باتباع الصحابة:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] توعّد الله في هذه الآيات الذين يتّبعون غير طريق الصحابة ويسلكون منهاجاً غير منهاجهم بالدخول في النار، فدلّ على أن اتباع هذا الجيل المبارك واجب على كل من جاء من بعدهم، ومخالفتهم ضلال مبين، فجعل الله اتباع الصحابة ملازماً لاتباع الرسول، فلا فرق بين المنهاجين. ومما يؤكد على هذا حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) ٢٢/٤٧.

"إن بني إسرائيل تفرّقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة". قالوا: ومن هي يا رسول الله قال ﷺ: "ما أنا عليه وأصحابي"(١).

فهذا الحديث يقرّر أن ما كان عليه الصحابة من الاعتقاد والدين هو مثل ما كان عليه الرسول ﷺ، لا فرق بينهم، فسبيل الرسول ﷺ والصحابة سبيل النجاة والعصمة من الاختلاف والضلال، وهذا يدل على أهمية اتباع الصحابة والرجوع إليهم في فهم نصوص الكتاب والسنة، فهم أعلم الناس بها.

قال الإمام الأوزاعي(٢) رحمه الله: "فاصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل فيما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم"(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له، وطاعة رسوله يدور على ذلك ويتبعه أين وجده ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة، فلا ينتصر لشخص انتصاراً مطلقاً عاماً إلا لرسول الله ﷺ ولا لطائفة انتصاراً مطلقاً عاماً إلا للصحابة رضي الله عنهم أجمعين، فإن الهدى يدور مع الرسول حيث دار، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا، فإذا أجمعوا لم يجمعوا على خطأ قط"(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ص ٥٩٥ برقم ٢٦٤١. وحسنه الشيخ الألباني. انظر تخريج هذا الحديث بالتفصيل في كتاب المباحث العقدية في حديث افتراق الأمة ص ١٥٩ لأحمد سردار محمد.

(٢) هو: الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، وكان مولده في حياة الصحابة، كان يسكن بظاهر باب الفراديس بمحلة الأوزاع، ثم تحول إلى بيروت، فرابط إلى أن مات بها. توفي عام ١٥٧هـ. انظر السير للذهبي ١٠٨/٧.

(٣) الشريعة للآجري ٦٧٤/٢.

(٤) منهاج السنة النبوية ١٨٢/٥.

وقال تلميذه الإمام ابن القيم رحمهما الله: "وهذا الصراط المستقيم الذي وصانا باتباعه هو الصراط الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وهو قَصْد السبيل، وما خرج عنه فهو من السبل الجائرة"(١).

۞ وجوب تولّي الصحابة ومحبتهم والدعاء لهم:

لما كان الصحابة من أحب الناس إلى الله، وهم الذين آمنوا برسوله وأطاعوه ونصروه ﷺ، لزم ذلك أن نحبهم ونولّيهم ونثني عليهم بالجميل اللائق بهم، فلا نذكر إلا محاسنهم، كما ينبغي أيضاً الدعاء لهم بالمغفرة والرحمة، فتكون قلوبنا مملوءة بحبهم والتقدير، سالمة من الغل والحسد والحقد وما أشبه ذلك من الصفات المذمومة قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ٨ – ١٠].

قال الإمام أحمد في عقيدة أهل السنة والجماعة: "ومن السنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين، والكف عن الذي جرى بينهم، فمن سبّ أصحاب رسول الله ﷺ أو واحداً منهم فهو مبتدع رافضي، حبهم سنة والدعاء لهم قربة والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة"(٢).

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله: "ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونُبغض من يُبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبُهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ"(٣).

۞ النهي عن سب الصحابة أو تنقصهم:

إن النهي عن سب الصحابة أو تنقصهم من جملة الحقوق التي منّ الله على هؤلاء النبلاء ﷺ، فيجب على المؤمنين أن تكون ألسنتهم سالمة من الشتم واللعن، والتفسيق

(١) إغاثة اللهفان ١/٢٢٧.

(٢) كتاب السنة ص ٧٨.

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٢/٧٠٤.

والتكفير وغير ذلك كما هو الحال عند أهل البدع بالأسف الشديد(١)، فلا يُسب الصحابة على العموم ولا واحد منهم على الخصوص، قال النبيّ ﷺ: "من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"(٢).

قال الإمام أحمد رحمه الله: "لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم، فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ثم يستتيبه، فإن تاب قبل منه، وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلّده في الحبس حتى يتوب ويراجع"(٣).

وقال الإمام أبو زرعة الرازي(٤) رحمه الله: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدّى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرّحوا شهودَنا ليُبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة"(٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠] وطاعة للنبي ﷺ في قوله: "لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"(٦).

(١) سيأتي الكلام على هذا الانحراف في المطلب التالي.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة ص ٤٣٩. قال الشيخ الألباني في تخريج الكتاب: "صحيح".

(٣) كتاب السنة ص ٧٨.

(٤) أبو زرعة الرازي عبيد الله بن عبد الكريم، الإمام، سيد الحفاظ، من بلاد الري، ارتحل إلى الحجاز والشام ومصر والعراق والجزيرة وخراسان، توفي عام ٢٦٤هـ. انظر السير للذهبي ٦٦/١٣.

(٥) الكفاية للبغدادي ص٤٩.

(٦) تقدم تخريجه ص ٤.

ويتبرءون من طريقة الروافض[١] الذين يبغضون الصحابة ويسبّونهم، وطريقة النواصب[٢] الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل"[٣].

۞ عدم الخوض فيما شجر بينهم:

إن من كمال توقير أصحاب الرسول ﷺ عدم الخوض فيما شجر بينهم، فيتعيّن على المسلم أن يمسك عما جرى بينهم وأن يلتمس لهم العذر، ويحمل ما صدر منهم على أحسن المحامل، فيحسن الظن بهم، فالدافع لكل ما حصل بينهم من اختلاف ومنازعة هو انتصار الحق وإبطال الباطل، ما دخلوا فيه إلا عن تأويل، علماً بأن كثيراً مما يُنقل إلينا من روايات غير صحيح، أما ما صح منه فهو قليل مغمور في جانب حسناتهم وفضائلهم.

قال الشيخ ابن حمدان[٤] رحمه الله في نهاية المبتدئين: "يجب حب كل الصحابة والكف عما جرى بينهم كتابة وقراءة وإقراءً وسماعاً وتسميعاً، ويجب ذكر محاسنهم والترضي عنهم والمحبة لهم وترك التحامل عليهم واعتقاد العذر لهم وأنهم إنما فعلوا ما فعلوا باجتهاد سائغ لا يوجب كفراً ولا فسقاً بل ربما يثابون عليه؛ لأنه اجتهاد سائغ"[٥].

---

(١) الرافضة: من الأسماء التي تطلق على الشيعة، وهم اسم لكل من فضل عليا على الخلفاء الراشدين قبله رضي الله عنهم، ورأى أن أهل البيت أحق بالخلافة، وأن خلافة غيرهم باطلة. وسموا رافضة لرفضهم إمامة زيد بن علي وقيل لرفض أكثر الصحابة. انظر الملل والنحل للشهرستاني ص ١٦٧، وفرق معاصرة للشيخ د. غالب عواجي ٣٠٨/١ و٣٤٤/١.

(٢) الذين يبغضون علي ﷺ ويؤذون أهل البيت بقول أو عمل. انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٥٤/٣.

(٣) عقيدة الواسطية ص ١٢٥.

(٤) هو: أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان الحراني الحنبلي، نجم الدين، أبو عبد الله، الفقيه الأصولي الأديب، نزيل القاهرة، وصاحب التصانيف النافعة، من كتبه "نهاية المبتدئين" في أصول الدين و"المقنع" في أصول الفقه، توفي ٦٩٥هـ. انظر ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢/ ٣٣١.

(٥) ص ٦٦.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ويمسكون عما جرى بين الصحابة، ويقولون إن هذه الآثار المروية في مساوئهم منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون"[(١)].

(١) العقيدة الواسطية ص ١٢٩.

.

المطلب الثاني: منزلة الخلفاء الراشدين.

كما سبق إن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن خير الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام هم الصحابة ﷺ، فهم أفضل الناس في أمة محمد ﷺ، ثم إضافة إلى هذا، يرؤون المفاضلة فيما بينهم، فالصحابة ليسوا على مرتبة واحدة، بل يتفاضلون بعضهم على بعض، والخلفاء الراشدون هم أفضل الصحابة وسادتهم، وترتيب هؤلاء الخلفاء الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة(١)، فيكون أبو بكر الصديق هو الأفضل منهم ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي أبو السبطين ﷺ. ولما كان الخلفاء الراشدون هم أفضل الناس في أفضل الأمة كانت مكانتهم سامية ومنزلتهم رفيعة عند الله ورسوله ﷺ، وقد ذُكر فيما مضى عند ترجمتهم شيء من فضائلهم ومناقبهم الدالة على عظم شأنهم، وكان هذا الأمر لا يخفى على بقية الصحابة، بل كل واحد منهم يعرف قدر الخلفاء الأربعة ومنزلتهم العالية، وقد جاء في صحيح البخاري ما يدل على ذلك، فعن ابن عمر قال: "كنّا نخيِّر بين الناس في زمن النبيّ ﷺ، فنُخيّر أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم"(٢). وفي زيادة عند غيره: "فيبلغ ذلك النبيّ ﷺ فلا ينكره"(٣).

بل رابع الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ يشهد بفضل أبي بكر وعمر فعن محمد بن الحنفية، قال: "قلت لأبي أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟. قال: أبو بكر قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت! قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين"(٤).

بل هدّد هذا الخليفة رعيته وحذّرهم من أن يُفضَّل على الشيخين فقال: "لا يُفضلني على أبي بكر وعمر أو لا أجد أحداً يُفضِّلني على أبي بكر وعمر إلا وجلدته جلد حد

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٧٣٧/٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ باب فضل أبي بكر ٤/٥ برقم ٣٦٥٥.

(٣) كتاب السنة لابن أبي عاصم ص ٥٢٢. قال الشيخ الألباني في تخريج كتاب السنة: "إسناد صحيح".

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل أصحاب النبيّ ﷺ باب فضل أبي بكر ٧/٥ برقم ٣٦٧١.

المفتري"[١]. وهذا التهديد يُروى عن عمر في من يُفضّله على خليفة رسول الله أبي بكر الصديق ﷺ فقال: "أبو بكر كان خير الناس بعد رسول الله ﷺ في كذا وكذا، من قال غير هذا أقمنا عليه ما نُقيم على المفتري"[٢].

وكذلك مما يدل على معرفة الصحابة بمكانة الخلفاء الراشدين قصة مرض رسول الله ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه: "وددت أن عندي بعض أصحابي"، قلنا: يا رسول الله، ألا ندعو لك أبا بكر؟ فسكت، قلنا: ألا ندعو لك عمر؟ فسكت، قلنا: ألا ندعو لك عثمان؟ قال: "نعم"، فجاء عثمان، فخلا به، فجعل النبيّ ﷺ يكلمه..."[٣].

ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أن الصحابة أدركوا منزلة الخلفاء الراشدين وترتيبهم في الفضل، لأن الرسول لما أراد أن يكون بجواره أصحابه، لم تذهب أذهان الصحابة إلا إلى من هم أفضل الناس وأحبهم إلى النبيّ ﷺ.

بل حتى مشركو القريش لم يجهلوا مكانة الخلفاء الراشدين ﷺ وترتيبهم في الفضل– خلاف الرافضة–، يعلمون أن أبا بكر أعظم القوم بعد الرسول ﷺ ثم يليه عمر رضي الله عنهما كما يوضّح ذلك ما حدث في غزوة أحد ثانية المعارك الكبرى[٤] التي خاضها رسول الله ﷺ، عند ما نادى أبو سفيان[٥] في نهاية المعركة وقال: أفي القوم محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: لا تجيبوه. فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة، فقال: لا تجيبوه. فقال أفي القوم ابن الخطّاب؟ فقال: إن هؤلاء القوم قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا. فلم يملك عمر ﷺ نفسه

(١) كتاب السنة لابن أبي عاصم ص ٥٣١.

(٢) فضائل الصحابة للإمام أحمد ٣٦٧/١. قال محقق الكتاب الشيخ وصي الله حفظه الله: "إسناد صحيح".

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب اتباع رسول الله ﷺ باب في فضائل أصحاب رسول الله ص ٣٥ برقم ١١٣. وصححه الشيخ الألباني.

(٤) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٥/٤.

(٥) هو: أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي، رأس قريش، وقائدهم يوم أحد، ويوم الخندق، ثم أسلم يوم الفتح توفي عام ٣١هـ انظر السير للذهبي ١٠٧/٢.

فقال: كذبت يا عدو الله، أبقى الله عليك ما يخزيك. قال أبو سفيان: أُعْلُ هُبَل[١]، فقال النبيّ ﷺ أجيبوه. قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجل. قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم. فقال النبيّ ﷺ: أجيبوه. قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم..."[٢].

فأبو سفيان لم يسأل إلا عن النبيّ ﷺ وأبي بكر، وعمر لعلمه وعلم الخاص والعام أن هؤلاء الثلاثة هم رءوس هذا الأمر وأعمدته، وأن قيامه بهم، ودل ذلك على أنه كان ظاهراً عند الكفّار أن أبا بكر وعمر وزيراه، وبهما تمام أمره، وأنهما أخص الناس به، وأن لهما من السعي في إظهار الإسلام ما ليس لغيرهما. ففي موتهم يعتقد المشركون أنه لا يقوم الإسلام بعدهم، فأبو سفيان يعلم يقيناً أن أبا بكر هو الأفضل في المسلمين بعد الرسول ﷺ ثم عمر، ولهذا نادى الأسماء بهذا الترتيب. وكان السكوت عن إجابة أبي سفيان أولاً تصغيراً له حتى إذا انتشى وملأه الكبر أخبروه بحقيقة الأمر وردوا عليه بشجاعة[٣].

فالحاصل أن الخلفاء الراشدين ﷺ هم أفضل الصحابة وأحسنهم، ليس هناك في القوم أجل منهم وأعلمهم، بل يُعدّ أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين وعلي أبو السبطين خير الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام، فهؤلاء الأصفياء اختارهم الله لصحبة خير نبيّه ﷺ، فعزروه ونصروه وجاهدوا معه، وبعد وفاة الرسول ﷺ تولّوا أمر المسلمين وحكموا بالعدل، فكانوا من أكبر الأسباب في تثبيت أركان هذا الدين ونصره ونشره، هم الذين وقفوا وقفة حاسمة في وجه حركة المرتدين، أسقطوا الدولتين العظمتين الروم والفرس، بهم حفظ الله كتابه من الضياع والتحريف وغير ذلك من الجهود المشهودة في نصرة الإسلام، فمن لا يعرف فضل الخلفاء الراشدين فقد جهل السنة.

---

(١) هُبَل: هو اسم الصنم الأكبر الذي كانوا يعبدونه وكانوا قد وضعوه على الكعبة، فقوله أعل هبل أي: هبل صِرْ عالياً. انظر كتاب الأصنام للكلبي ص ٢٧ وفتح الباري لابن حجر ٢٠٠/١.

(٢) رواه أحمد في مسنده ٥٥٦/٣٠. قال محقق الكتاب الشيخ شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

(٣) انظر منهاج السنة لابن تيمية ٣٩٠/٧ والسيرة النبوية الصحيحة للعمري ٣٩٢/٢.

المطلب الثالث: أهمية الاتباع والاقتداء بسنة الخلفاء الراشدين.

قُرّر سابقاً أنه يجب علينا اتباع سبيل المؤمنين الذين هم الصحابة لقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥] فتطبيق الكتاب والسنة على فهم الصحابة هو المسلك الصحيح لإقامة الدين، فالتأسي بهم يوصل إلى رضوان الله، وأولى الناس بهذه الآية هم الخلفاء الراشدون إذ هم أفضل الصحابة عند رسول الله وأعمقهم علماً وأكثرهم عملاً، ولذلك كان طريقة الخلفاء الراشدين طريقة النجاة والفلاح، وبالتالي لا يُستغرب أن رسول الله أمرنا باتباع هؤلاء الخلفاء وخصهم بذكر، فعن العرباض ﷺ أنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسّكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور فإن كلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة"(١).

فهذا الحديث العظيم دليل قطعي على وجوب اتباع الخلفاء الراشدين ﷺ، يبيّن بكل وضوح أهمية التأسي بهم، والأخذ بما سنّوه لنا، فلا يبقى بعد هذه الوصية العظيمة، المؤثرة على القلوب غموض في أن طريق السلامة والنجاة هو التمسّك بسنة الرسول الكريم ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين ﷺ.

قال ابن رجب: "والسنة: هي الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التمسّك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كلّه"(٢).

ويلاحظ في الحديث أن النبيّ ﷺ لم يُفرّق بين سنته وسنة الخلفاء الراشدين، بل جعل هاتين السنتين سنة واحدة لقوله ﷺ: "وعضوا عليها"، فلو كانت سنن مختلفة لقال: "وعضوا

---

(١) تقدم تخريجه ص ٦.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن حجر ص٥٦١.

عليهما"، فدلّ عدم التفريق بين السنتين على أن ما كان عليه الخلفاء الراشدون هو مثل ما كان عليه الرسول ﷺ، فلا فرق بين سبيله ﷺ وسبيل أصحابه الأربعاء.

قال الشوكاني[(١)] رحمه الله: "فالسنة هي الطريقة، فكأنه قال الزموا طريقتي وطريقة الخلفاء الراشدين ﷺ، وقد كانت طريقتهم هي نفس طريقته، فإنهم أشدّ الناس حرصاً عليها وعملاً بها في كل شيء. وعلى كل حال كانوا يتوقون مخالفتَه في أصغر الأمور فضلاً عن أكبرها، وكانوا إذا أعوزهم الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عملوا بما يظهر لهم من الرأي بعد الفحص والبحث والتشاور والتدبر، وهذا الرأي عند عدم الدليل هو أيضاً من سنته لما دل عليه حديث معاذ[(٢)] لما قال له رسول الله ﷺ: بما تقضي؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد قال: فبسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد قال: أجتهد رأيي، قال: الحمد لله الذي وفق رسول رسوله أو كما قال. وهذا الحديث وإن تكلم فيه بعض أهل العلم بما هو معروف، فالحق أنه من قسم الحسن لغيره وهو معمول به، فإن قلت: إذا كان ما عملوا فيه بالرأي هو من سنته لم يبق لقوله وسنة الخلفاء الراشدين ثمرة، قلت: ثمرته أن من الناس من لم يدرك زمنه ﷺ وأدرك زمن الخلفاء الراشدين أو أدرك زمنه وزمن الخلفاء ولكنه حدث أمر لم يحدث في زمنه، ففعله الخلفاء، فأشار بهذا الإرشاد إلى سنة الخلفاء إلى دفع ما عساه يتردد في بعض النفوس من الشكّ ويختلج فيها من الظنون. فأقل فوائد الحديث أن ما يصدر عنهم من الرأي وإن كان من سنته كما تقدم ولكنه أولى من رأي غيرهم عند عدم الدليل"[(٣)].

---

(١) هو: محمد بن علي بن محمد الشوكاني فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن وصاحب كتاب نيل الأوطار، ولد ببلدة شوكان باليمن ونشأ في صنعاء، وتلقى العلم على شيوخها، اشتغل بالقضاء والإفتاء وكان داعية إلى الإصلاح والتجديد، وترك التقليد، توفي ١٢٥٠هـ. انظر الأعلام للزركلي ١٧/٥.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الأحكام عن رسول الله باب ما جاء في القاضي كيف يقضي ص ٣١٣ برقم ١٣٢٧. وضعّفه الألباني.

(٣) الفتح الربّاني ٢٣١/١.

وقال العلامة الشيخ العثيمين رحمه الله: "للخلفاء سنة متبعة بقول النبيّ ﷺ، وعلى هذا فما سنّه الخلفاء الراشدون أُعتبر سنة للرسول ﷺ بإقراره إيّاهم، ووجه كونه أقرّه أنه أوصى باتباع سنة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم"(١).

وفي حديث العرباض أمر رسول الله ﷺ أصحابه في حال الاختلاف بالتمسّك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وأوصى كذلك النبيّ ﷺ بعثمان رضي الله عنه عند ظهور اختلاف وفتنة بعده فقال: "عليكم بالأمير وأصحابه"(٢)، كما أنه ﷺ أمر بما كان عليه هو وأصحابه في حال الافتراق(٣)، فكل هذه الأحاديث متقاربة في المعنى، تصدق بعضها بعضاً، مقصودها واحد، وهو اتباع ما كان عليه الصحابة وشدّة التمسّك به، خصوصاً ما سنّه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم.

كذلك مما يدل على أهمية اتباع الخلفاء الراشدين قوله ﷺ: "إن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا"(٤) وقوله ﷺ: "اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر"(٥).

وهذا الأمر باتباع الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم قد فهمه الصحابة ومن جاء من بعدهم، فاتخذوه قاعدة من قواعد الدين، واعتبروه أصلاً من أصول الشريعة، وهناك شواهد كثيرة مروية عند الصحابة والتابعين ومن بعدهم، تبيّن كيف استوعبت هذه القرون المفضَّلة وصايا نبيّهم وأوامره ﷺ في لزوم سنة الخلفاء الراشدين والسير على طريقتهم، كيف طبّقوا كل ذلك في حياتهم، ومن هذه الآثار ما يلي:

عن حُضَيْن بن المنذر أبو ساسان(٦) قال: شهدت عثمان بن عفان وأُتِيَ بالوليد(١) قد صلى الصبح ركعتين ثم قال: أَزيدُكم، فشهد عليه رجلان أحدهما حُمران أنه شرب الخمر

---

(١) شرح الأربعين النووية ص ٢٨١.

(٢) تقدم تخريجه ص ١٢٩.

(٣) تقدم تخريجه ص ١٥٣.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد باب قضاء الصلاة الفائتة ٤٧٢/١ برقم ٦٨١.

(٥) تقدم تخريجه ص ١٢٨.

(٦) هو: حضين بن المنذر أبو ساسان الرقاشي ويقال حضين بن الحارث بن وعلّة، انظر التاريخ الكبير للبخاري ١٢٩/٣.

وشهد آخر أنه رآه يتقيأ، فقال عثمان إنه لم يتقيأ حتى شربها، فقال: يا علي قم فاجلده. فقال علي: قم يا حسن(٢) فاجلده. فقال الحسن: ولِّ حارها من تولى قارها(٣) -فكأنه وجد عليه- فقال: يا عبد الله بن جعفر(٤) قم فاجلده. فجلده وعلي يعُدُّ حتى بلغ أربعين، فقال أمسك. ثم قال: جلد النبيّ ﷺ أربعين وجلد أبو بكر أربعين وعمر ثمانين وكلٌّ سنة وهذا أحب إليّ"(٥).

فأطلق عثمان كلمة السنة على فعل أبي بكر وعمر، وهذا يتفق تماماً مع ما قُرّر سابقاً: أن ما سنّه الخلفاء الراشدون ﷺ يُعتبر من سنة الرسول ﷺ، فكله سنة.

وعن عيسى بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، حدثني أبي، قال: "كنا مع ابن عمر في سفر، فصلى بنا، ثم انصرفنا معه وانصرف، قال: فالتفت، فرأى أناساً يصلّون، فقال: ما يصنع هؤلاء؟ قلت: يسبّحون، قال: لو كنت مسبّحاً لأتممت صلاتي، يا ابن أخي، إني صحبت رسول الله ﷺ، فلم يزد على ركعتين في السفر حتى قبضه الله، ثم صحبت أبا بكر، فلم يزد على ركعتين، ثم صحبت عمر، فلم يزد على ركعتين، ثم صحبت عثمان،

---

(١) هو: الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو الأموي ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، الأمير، أبو وهب الأموي. له: صحبة قليلة، ورواية يسيرة. وهو أخو أمير المؤمنين عثمان لأمه، انظر السير للذهبي ٤١٤/٣.

(٢) حسن بن علي بن أبي طالب.

(٣) قوله: ولّ حارها من تولى قارها، الحار الشديد المكروه والقار البارد الهنيء الطيب، وهذا مثل من أمثال العرب، فمعناه: ول شدتها وأوساخها من تولى هنيئها ولذاتها والضمير عائد إلى الخلافة والولاية، أي: كما أن عثمان وأقاربه يتولون هنيء الخلافة ويختصون به يتولون نكدها وقاذوراتها، ومعناه ليتول هذا الجلد عثمان بنفسه أو بعض خاصة أقاربه الأدنين". انظر شرح صحيح مسلم للنووي ٢١٧/١٢.

(٤) هو: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي يكنى أبا جعفر. ولدته أمه أسماء بنت عميس بأرض الحبشة وهو أوّل مولود ولد في الإسلام بأرض الحبشة وقدم مع أبيه المدينة وحفظ عن رسول الله ﷺ وروى عنه. توفي بالمدينة سنة ٨٠هـ. انظر الاستيعاب لابن عبد البر ٢٦٥/١.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحدود باب حد الخمر ١٣١/٣ برقم ١٧٠٧.

فلم يزد على ركعتين، حتى قبضهم الله، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]"(١).

وعن أنس قال: صليت خلف النبيّ ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فلم يجهروا ببسم الله الرحمن الرحيم"(٢).

وعن عبد الله بن أبي يزيد(٣) قال: "كان بن عباس إذا سئل عن الأمر فكان في القرآن أخبر به، وإن لم يكن في القرآن وكان عن رسول الله ﷺ أخبر به، فإن لم يكن فعن أبي بكر وعمر فإن لم يكن قال فيه برأيه"(٤).

وعن مجاهد قال: "إذا اختلف الناس في شيء، فانظروا ما صنع عمر فخذوا به"(٥).

وعن عن أبي سهيل(٦) قال: "كان على امرأتي اعتكاف ثلاثة أيام في المسجد الحرام، فسألت عمر بن عبد العزيز وعنده ابن شهاب(٧) قال: قلت عليها صيام، قال ابن شهاب: لا يكون اعتكاف إلا بصيام، فقال له عمر بن عبد العزيز: عن النبيّ ﷺ قال: لا، قال: فعن أبي بكر قال: لا، قال: فعن عمر، قال: لا، قال: فعن عثمان، قال: لا، قال: عمر ما أرى

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب إقامة الصلاة باب التطوع في السفر ص ١٩٢ برقم ١٠٧١. وصححه الشيخ الألباني.

(٢) صحيح ابن خزيمة ٢٤٩/١. قال الألباني: "إسناده صحيح".

(٣) هو: عَبد الله بن أَبي يزيد وقيل: ابن يزيد، أبو عبد الرحمن المازني القارئ البصريّ. تهذيب الكمال ٣٢٦/١٦.

(٤) سنن الدارمي ٧١/١.

(٥) فضائل الصحابة للإمام أحمد ٣٢٦/١. قال محقق الكتاب الشيخ وصي الله: "إسناده صحيح إلى مجاهد".

(٦) هو: أبو سهيل بن مالك عم مالك بن انس، اسمه نافع بن مالك، انظر الثقات لابن حبان ٤٧١/٥.

(٧) هو: محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، من بني زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر: الإمام، العلم، حافظ زمانه، نزيل الشام. أوّل من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء. تابعي توفي عام ١٢٨هـ. انظر السير للذهبي ٣٢٦/٥.

عليها صياماً. فخرجت فوجدت طاوساً[(١)] وعطاء بن أبي رباح فسألتهما، فقال طاوس: كان ابن عباس لا يرى عليها صياماً إلا أن تجعله على نفسها قال: وقال عطاء[(٢)] ذلك رأي..."[(٣)].

فمن خلال هذا العرض يتضّح لنا أن السلف الذين هم خير الأمة كانوا يقتدون بأقوال وأفعال الخلفاء الراشدين ﷺ ويهتمّون بها أشدّ الاهتمام، فكيف بمن جاء من بعدهم، وأين القائلون بقولهم هؤلاء رجال ونحن رجال من هذه العناية والتمسّك بما كان عليه الخلفاء الراشدون من الأقوال والاعتقاد والأفعال، فالصراط المستقيم هو صراط أصحاب رسول الله ﷺ الذين تربّوا عليه وتلقّوا عنه العلم النافع والعمل الصالح، ولهذا كان الخلفاء الراشدون ثم بقية الصحابة ﷺ أعلم الناس بالكتاب والسنة، أكثرهم فهماً بالدين ومقاصده، فلا سبيل إلى تطبيق الإسلام على الوجه الذي يُرضي الله إلا بالرجوع إلى هؤلاء الأبرار والاقتداء بهم، فرضي الله عنهم .

---

(١) هو: طاوس بن كيسان أبو عبد الرحمن من أبناء الفرس الهمداني اليماني الخولاني، من أكابر التابعين، من فقهاء أهل اليمن وعبادهم وخيار التابعين وزهادهم، توفي عام ١٠٦هـ. انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/٥٣٧.

(٢) هو: عطاء بن يسار المدني، تابعي، مولى أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوج رسول الله محمد ﷺ، كنيته أبو محمد، حدث عن: أبي أيوب، وزيد، وعائشة، وأبي هريرة، وأسامة بن زيد، وعدة، توفي سنة ١٠٣هـ. انظر السير للذهبي ٤/٤٤٨.

(٣) سنن الدارمي ١/٧٠.

المطلب الرابع: انحراف بعض الأمة في اعتقادهم بالصحابة والخلفاء الراشدين.

رغم كثرة النصوص الدالة على علو منزلة الصحابة ووجوب توقيرهم وُجد في أمة الإسلام أو من ينتسب إليها من انحرف عن هذا الأصل وضلّوا ضلالاً بعيداً في هذا الباب، فلم يمتثلوا بأمر الله ورسوله ﷺ في تقدير الصحابة وأداء حقوقهم ﭫ، بل نزّلوهم غير منازلهم، فمنهم من غلا في تعظيم الصحابة فرفعوهم فوق مكانتهم حتى عبدوهم من دون الله، ومنهم من قصّر في حقوق الصحابة وفرّط في هذا أشدّ التفريط حتى أبغضوهم، وتوسط أهل السنة والجماعة بين الطرفين قال الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وعلى هذا فينقسم الناس في اعتقاد الصحابة إلى ثلاثة أقسام، الأول أهل الوسطية وهم أهل السنة، والثاني أهل الغلو، والقسم الآخر أهل التفريط.

أما عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة فقد سبق تفصيلها بالأدلة من الكتاب والسنة.

وأما أهل الغلو فهم الذين تجاوزوا الحد المشروع في محبة بعض الصحابة وتعظيمهم كما هو الحال عند الشيعة الرافضة، فأقل غلوهم في علي بن أبي طالب ﭬ بتقديمه على الشيخين أبي بكر وعمر، فجعلوا الإمامة بعد الرسول ﷺ في علي وذريته دون بقية الخلفاء الراشدين كما دل ذلك ما رواه الكليني(١) في الكافي(٢) عن ذريح أنه قال: "سألت أبا عبد الله عن

(١) هو: محمد بن يعقوب بن إسحاق، أبو جعفر الكليني، إمامي، من أهل كلين (بالرى) كان شيخ الشيعة ببغداد، من كتبه "الكافي في علم الدين"، توفي عام ٣٢٩هـ. انظر لسان الميزان لابن حجر ٧/٥٩٤.

(٢) يُعتبر هذا الكتاب عند الرافضة مرجعا من المراجع، فهو كتاب أساسي عندهم.

الأئمة بعد النبيّ ﷺ فقال: كان أمير المؤمنين إماماً ثم كان الحسن[(١)] إماماً ثم كان الحسين[(٢)] إماماً ثم كان علي بن الحسين[(٣)] إماماً ثم كان محمد بن علي[(٤)] إماماً، من أنكر ذلك كان كمن أنكر معرفة الله تعالى ومعرفة الرسول ﷺ"[(٥)].

بل رفعوا أئمتهم -ومن أعظمهم علي بن أبي طالب وابناه الحسن والحسين- إلى مقام النبوّة، فيعتقدون أنه يوحي إليهم ملك كالنبيّ، يروي الكليني في كتابه الكافي: "أن الحسن بن العباس المعروفي كتب إلى الرضا يقول له: "جعلت فداك، أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبيّ والإمام؟ قال: فكتب أو قال: الفرق بين الرسول والنبيّ والإمام، أن الرسول هو الذي ينزل عليه جبريل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي، وربما رأى منامه نحو رؤيا إبراهيم،

---

(١) هو: الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، الإمام السيد، ريحانة رسول الله ﷺ وسبطه، وسيد شباب أهل الجنة، أبو محمد القرشي الهاشمي المدني قد كان هذا الإمام سيدا، وسيما، جميلا، عاقلا، رزينا، جوادا، ممدحا، خيرا، دينا، ورعا، محتشما، كبير الشأن، فخلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الأمر لمعاوية في بيت المقدس سنة ٤١ هـ وسمي هذا العام (عام الجماعة). توفي عام ٥٠. انظر السير للذهبي ٢٤٥/٣.

(٢) هو: الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي أبو عبد الله سبط رسول الله ﷺ وريحانته، ولد بعد الحسن، وكان الحسين فاضلا دينا كثير الصيام والصلاة والحج قتل ﷺ يوم الجمعة لعشر خلت من المحرم يوم عاشوراء سنة ٦١هـ بموضع يقال له كربلاء من أرض العراق بناحية الكوفة ويعرف الموضع أيضاً بالطف قتله سنان بن أنس النخعي. انظر الاستيعاب لابن عبد البر ٣٩٣/١.

(٣) هو: علي بن الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، السيد الإمام، زين العابدين، الهاشمي العلوي، المدني. يكنى أبا الحسين ويقال: أبو الحسن، وحدث عن أبيه الحسين الشهيد، وكان معه يوم كائنة كربلاء وله ٢٣ سنة، وكان يومئذ موعوكا فلم يقاتل، كان علي ثقة، مأمونا، كثير الحديث عاليا، رفيعا، ورعا، توفي عام ٩٢هـ. انظر السير للذهبي ٤٠١/٤.

(٤) هو: محمد بن علي زين العابدين بن الحسين الطالبي الهاشمي القرشي، أبو جعفر الباقر، وكان أحد من جمع بين العلم والعمل، والسؤدد والشرف، والثقة والرزانة، وكان أهلا للخلافة، وهو أحد الأئمة الاثني عشر الذين تبجلهم الشيعة الإمامية، وتقول بعصمتهم وبمعرفتهم بجميع الدين، ولقد كان أبو جعفر إماما مجتهدا، تاليا لكتاب الله، كبير الشأن، توفي ١١٤هـ. انظر السير للذهبي ٤٠١/٤.

(٥) ١٠٦/١.

والنبيّ ربما سمع الكلام، وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص"[١].

وذكر أبو الحسن الأشعري في كتابه المقالات[٢] أن بعضهم يفضّلون أئمتهم على الأنبياء والملائكة، وقد وُجد في هذا العصر ما يصدّق هذا كقول الخميني[٣]: "ومن ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه مَلَكٌ مقرَّب، ولا نبي مرسَل"[٤].

بل زادوا على ذلك، فغلاتهم لم يتوقفوا عند هذا الحد، فوصفوا أئمتهم بصفات تختص بالله، فلا تليق إلا به، وعلى سبيل المثال ادّعوا أن أئمتهم يعلمون الغيب وتخضع لهم مخلوقات، قال الكليني في كتابه الكافي: "باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء"[٥] ثم ساق تحت ذلك روايات. وقال الخميني في بيان منزلة الأئمة: "فإن للإمام مقامًا محمودًا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرَّات هذا الكون"[٦].

ومن أشنع مظاهر الغلو في الصحابة ما حدث في خلافة علي بن أبي طالب، فقد اتخذ بعض الغلاة أميرَ المؤمنين إلهاً من دون الله، بل زعموا هؤلاء الزنادقة أن علياً هو الله فسجدوا له، فأحرقهم علي[٧].

وبهذا نعلم أن أهل البدع غلوا في بعض الصحابة غلواً فاحشاً، فتجاوزوا الحد في مدحهم، تعدّوا ما أمر الله به، فتدرج الشيطان بهم شيئاً فشيئاً بدءاً بتفضيل علي على

---

(١) ١/١٠٢.

(٢) ص ٥٥.

(٣) روح الله بن مصطفى بن أحمد الموسوي الخميني، الرافضي قائد الثورة الإسلامية في إيران، من كبار علماء الشيعة الرافضة، توفي ١٤٠٩هـ. انظر تكملة مُعجم المؤلفين لمحمد خير يوسف ص ١٨٧.

(٤) الحكومة الإسلامية ص ٥٢.

(٥) ١/١٥٥.

(٦) الحكومة الإسلامية ص ٥٢.

(٧) سيأتي ذكر القصة بكاملها في الباب الثاني في المبحث المتعلق بالغلو.

الشيخين، ثم رفعوا إلى مقام النبوّة ثم أوقعهم الشيطان في الشرك بالله بتأليه علي أمير المؤمنين، فعبدوه من دون الله.

وأما أهل التفريط فهم الذين قصّروا في حقوق الصحابة أشدّ التقصير وأضاعوا واجباتهم نحو أصحاب رسول الله ﷺ كالخوارج(١) والمعتزلة والرافضة، فرّطوا في الأمر بتوقير الصحابة وتعظيمهم ﷺ، بل الرافضة ناقضوا هذا الواجب بالشتم واللعن صباحاً ومساءً، فأهل البدع يتقربون إلى الله بسبّ الخلفاء الراشدين وبقية الصحابة، قالت عائشة رضي الله عنها: "أُمروا أن يستغفروا لأصحاب النبيّ ﷺ فسبّوهم"(٢).

حتى عائشة نفسها، زوجة النبيّ ﷺ لم تسلم من هذا الأذى، فبالغوا في عداوة الصحابة وبغضهم مبالغة عظيمة حتى اتهموهم في دينهم وعرضهم، بل وصل الأمر إلى تفسيقهم وتكفيرهم.

أما الخوارج فاتفقوا على التراضي على أبي بكر وعمر وتوقيرهما ولكن هلكوا في الخليفتَيْن الراشدين الآخرين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، فذمّوهما وطعنوا فيهما وتبرّؤوا منهما، أما عثمان ﷺ فادّعوا أنه حكم بغير ما أنزل الله، وأنكروا إمامته، أما علي فزعموا أنه كفر بتحكيمه الحكمين بينه وبين معاوية(٣)، فاستحلّوا الخروج عليه وقتاله، وكذلك كفّروا صحابة آخرين مثل عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري(٤) (٥).

---

(١) كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان، ويكفرون أصحاب الكبائر. انظر الملل والنحل للشهرستاني ص١٣٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب التفسير (بدون باب) ٢٣١٧/٤ برقم ٣٠٢٢.

(٣) هو: معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، صحابي جليل، أمير المؤمنين ولد قبل البعثة بخمس سنين، كان حليما وقورا فصيحا، توفي عام ٦٠هـ. انظر السير للذهبي ١٢٠/٣.

(٤) هو: عبد الله بن قيس، الإمام الكبير، صاحب رسول الله ﷺ أبو موسى الأشعري، التميمي، الفقيه، المقرئ، وهو معدود فيمن قرأ على النبيّ ﷺ أقرأ أهل البصرة، وفقههم في الدين، توفي ٤٢هـ. انظر السير للذهبي ٣٨٢/٢.

(٥) انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص ١٠٨، وفرق معاصرة للشيخ د. غالب عواجي ٢٦١/١، ووسطية أهل السنة بين الفرق للشيخ د. محمد باكريم ٤٥٠.

قال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله في كتابه مقالات الإسلاميين: "أجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب ﷺ أن حكَّم، وهم مختلفون: هل كفره شرْك أم لا؟"(١).

وقال الرازي رحمه الله: "متفقون -أي: الخوارج- على أن العبد يصير كافراً بالذنب، وهم يكفّرون عثمان وعلي وطلحة والزبير(٢) وعائشة ويعظّمون أبا بكر وعمر"(٣).

كذلك المعتزلة عُرفوا بالوقوع في الصحابة والنيل منهم، ذلك بتفسيق البعض وردّ شهادتهم وشتمهم، والتبرّؤ منهم ﷺ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكان قدماء المعتزلة وأئمتهم كعمرو بن عبيد(٤) وواصل بن عطاء وغيرهم متوقفين في عدالة علي فيقولون أو من يقول منهم: قد فَسَقتْ إحدى الطائفتين(٥)، إما علي وإما طلحة والزبير لا يعينها فإن شهد هذا وهذا لم تقبل شهادتهما لفسق أحدهما لا يعينه"(٦).

وفي رد الشهادة الصحابة قال عمرو بن عبيد: "لو أن علياً وعثمان وطلحة والزبير شهدوا عندي على شراك نعل ما اجزته"(٧). وقد قال ابن حبان رحمه الله في عمرو: "وكان يشتم الصحابة"(٨).

أما الشيعة الرافضة فهم من أشدّ الناس عداوة للصحابة(١)، وقفوا منهم موقف الحقد والبغضاء، فهلكوا فيهم، اعتقدوا كفرهم وردتهم إلا عدداً قليلاً منهم، روى الكليني عن أبي

---

(١) ص ٨٤.

(٢) هو: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، حواري رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، توفي ٣٦هـ. انظر السير للذهبي ١٤٢/١.

(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٤٦.

(٤) هو: عمرو بن عبيد أبو عثمان البصري، القدري، من كبار المعتزلة، أبو عثمان البصري. توفي عام ١٤٣هـ. انظر السير للذهبي ١٠٥/٦.

(٥) أصحاب معركتي الجمل (عام ٣٦هـ) وصفين (عام ٣٧هـ) بين جيش علي ومخالفيه. انظر البداية والنهاية لابن كثير ٢٨١/٧.

(٦) منهاج السنة ٣١/١.

(٧) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٧٨/١٢.

(٨) انظر ميزان الاعتدال للذهبي ٢٧٤/٣.

.

جعفر أنه قال: "كان الناس أهل ردة بعد النبيّ ﷺ إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي[٢] رحمة الله وبركاته عليهم، ثم عرف أناس بعد يسير، وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحى، وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين مكرها فبايع"[٣]؛ كما أنهم جعلوا سب أصحاب النبيّ ﷺ ولعنهم من أكبر أصول دينهم، فكثير من كتبهم تتضمن شتمهم والطعن فيهم مثل كتاب حق اليقين في معرفة أصول الدين لعبد الله شُبّر[٤]، فقال: "فصل: المطاعن التي ذكرها العامة في الخلفاء الثلاثة" ثم شرع في السب والطعن فيهم[٥].

قال ابن أبي العز رحمه الله: "فمن أضل ممن يكون في قلبه غلّ على خيار المؤمنين وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيّين، بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخصلة، قيل لليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب عيسى، وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد، ولم يستثنوا منهم إلا القليل، وفيمن سبوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة"[٦].

ومن أعجب العجاب أن كتبهم مليئة بسب خيار الناس والنيل منهم، وتخلو من الطعن والشتم في أئمة الكفر مثل إبليس، وفرعون وأبي جهل، وهذا دليل واضح على فساد عقولهم وبطلان دعوتهم، وأنهم ضلوا ضلالاً بعيداً. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم، ولاسيما سيد الصحابة بعد الرسول ﷺ وخيرهم وأفضلهم أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه، فإن

---

(١) جمعت الرافضة بين التفريط والإفراط في الصحابة.

(٢) هو: سلمان ابن الإسلام، أبو عبد الله الفارسي، سابق الفرس إلى الإسلام. صحب النبيّ ﷺ وخدمه، توفي عام ٣٦هـ بالمدائن. انظر السير للذهبي ١/٥٠٤.

(٣) الروضة في الكافي ٨/١٣٣.

(٤) هو: عبد الله بن محمد رضا شبر الحسيني الكاظمي، من علماء الإمامية. كان ينعت بالمجلسي الثاني، عاش بالكاظمية والحلة وتوفي بالكرخ عام ١٢٤٢هـ. انظر الأعلام للزركلي ٤/١٣١.

(٥) حق اليقين ١/٢٣١.

(٦) شرح الطحاوية ٢/٧١١.

الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة، ويبغضونهم ويسبّونهم عياذاً بالله من ذلك، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضي الله عنهم، وأما أهل السنة فإنهم يترضَّوْن عمن رضي الله عنه ويسبون من سبّه اللهُ ورسولُه، ويوالون من يوالي الله ويعادون من يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدعون، ولهذا هم حزب الله المفلحون، وعباده المؤمنون"(١).

ونلاحظ أن الرافضة جمعوا بين الإفراط والتفريط في الصحابة، كما أن كل واحد من فرقتي أهل الغلو وأهل تفريط قد تشبّهت بأهل الكتاب، فأهل الغلو الذين عبدوا علي بن أبي طالب ﷺ تشبّهوا بالنصارى الذين غلوا في عيسى عليه السلام حتى اتخذوه إلهاً من دون الله، وأهل التفريط الذين خارجوا على علي ﷺ وكفّروه تشبّهوا باليهود الذين لم يوقروا عيسى، فحطّوه من منزلته النبوية حتى اعتبروه ولد بغيّ. فأين هؤلاء من ثناء الله ورسوله ﷺ على الصحابة، فقد اتبعوا أهواءهم فغابت عقولهم وعميت أبصارهم، وامتلأت قلوبهم بالحسد والحقد والبغضاء عليهم، وأما أهل السنة توسّطوا بين هؤلاء وهؤلاء، فعظّموا الصحابة ووقّروهم وأحبوهم، فنزّلوهم منزلتهم التي ينبغي بلا غلو ولا جفاء.

ويُختم هذا الموضوع بأثر عظيم عن عبد الله بن مسعود ﷺ فقال: "إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه ﷺ خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه ﷺ يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوا سيّئاً فهو عند الله سيئ"(٢). فالخلفاء الراشدون وسائر صحابة ﷺ خير الخلق بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام، ولما كان الخلفاء الراشدون ﷺ أفضل الناس وأشدّهم اتّباعاً وتأسياً بالنبيّ ﷺ لابدّ أن يكون لهم أعمالٌ جسيمة وجهود عظيمة في الدين، ومن أعظمها حماية التوحيد كما حماه المصطفى ﷺ طول حياته، وهذا هو ما سيتبيّن إن شاء الله

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/٥٠٣.

(٢) رواه أحمد في مسنده ٦/٨٤ قال محقق المسند الشيخ شعيب الأرنؤوط: "إسناده حسن"

.

الباب الأول

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد

في التوحيد العلمي

وفيه فصلان

الفصل الأول

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد

في باب الربوبيّة وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في إبطال المعتقد الفاسد في تدبير الخلق.

المبحث الثاني: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في بيان قدرة الله على محاسبة الناس وكشف الشبهة في ذلك.

المبحث الثالث: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في تفرد الله بالنفع والضر.

المبحث الرابع: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في تفرد الله بالنصر وهو صانع.

المبحث الخامس: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب القضاء والقدر.

المبحث الأول:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في إبطال المعتقد الفاسد في تدبير الخلق . وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالتدبير وما يتعلّق به .

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في إبطال المعتقد الفاسد في تدبير الخلق .

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة .

المطلب الأول: التعريف بالتدبير وما يتعلّق به.

التدبير لغة:

مصدر دبّر يُدبِّر، يُقال دبّر فلان أمره أي: نظر في عاقبته ونظّمه، قال العسكري(١): "التدبير هو تقويم الأمر على ما يكون فيه صلاح عاقبته، وأصله من الدُبر، وأدبار الأمور عواقبها، وآخر كل شيء دُبُره، وفلان يتدبر أمره أي: ينظر في أعقابه ليصلحه على ما يصلحها"(٢).

والمقصود بالتدبير هو: تدبير الله الخلق، فمعلوم أن التدبير ركن من أركان توحيد الربوبيّة، فلا يستقر ولا يستقيم الإقرار بتوحيد الربوبيّة إلا بالإيمان بأن الله هو ربّ كل شيء، المتفرد بالخلق والملك والتدبير، والمتصرف في الكون وحده، الأمر كلّه له، بيده الخير كلّه، هو النافع والضار، القادر على ما يشاء، ليس له شريك ولا معين ولا منازع في شيء من معاني الربوبيّة ومقتضيات أسمائه وصفاته.

فتدبير الله إذاً من مفردات الربوبيّة، فالله هو مدبّر العالم العلوي والسفلي من الإماتة والإحياء، وتعاقب الليل والنهار، ونزول الأمطار وإجراء الأنهار، وكشف الضر عن المضرورين، وإجابة سؤال السائلين، فأنواع التدابير نازلة منه وصاعدة إليه، فهو تدبير شامل لا يحول دونه شيء ولا يعارضه شيء، فجميع الخلق مذعنون لعزّه خاضعون لعظمته وسلطانه(٣)، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١] وقال الله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: ٥].

---

(١) هو: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري، أبو هلال،. نسبته إلى عسكر مكرم، كان الغالب عليه الأدب والشعر ويعرف الفقه أيضاً، توفي عام ٣٩٥هـ. انظر الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي ١٢/٥٠.

(٢) الفروق اللغوية ص ٢١٦.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ٣٥٧.

قال الإمام السعدي رحمه الله: "يدبّر الأمر القدري والأمر الشرعي، الجميع هو المتفرد بتدبيره، نازلة تلك التدابير من عند المليك القدير من السّماء إلى الأرض، فيُسعد بها ويشقي، ويغني ويفقر، ويعزّ، ويذلّ، ويكرم، ويهين، ويرفع أقواماً، ويضع آخرين، وينزل الأرزاق"(١).

وليعلم المسلم أن التدبير يجتمع في ثلاثة أصول:

الأول: تسيير نظام الكون، من خلق السماوات والأرض وسكانهما، ونزول الأمطار وإجراء الأنهار، وخلق الموت والحياة ونحو ذلك، قال الله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾ [الزمر: ٥]. وقال الله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٧].

الثاني: القدر من قسمة الأرزاق والأعمال والهيئات ونحو ذلك، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩] وقال الله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢]. وقوله: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨].

الثالث: البعث والنشور والحساب والجزاء، قال الله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: ٧] وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾ [الغاشية: ٢٥ – ٢٦](٢).

فمن جعل لغير الله تعالى نصيباً من الملك أو الخلق أو التدبير فقد أشرك بالله في الربوبيّة، فالله هو ربّ العالمين، المتفرد بالتدبير، ليس له شريك ولا معين في ذلك.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٥٤.

(٢) انظر الربوبية للشيخ محمد أبو سيف الجهني ص ١١.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في إبطال المعتقد الفاسد في تدبير الخلق.

١- عن قيس بن الحجَّاج[(١)] عن من حدّثه: "لما فتحت مصر أتى أهلها إلى عمرو بن العاص حين دخل بؤنة[(٢)] من شهر الأشهر العجم، فقالوا: أيها الأمير! إن لنيلنا هذا سُنَّة لا يجري إلا بها، قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كان اثنتي عشرة ليلة خلون من هذا الشهر عَمَدْنا إلى جارية بِكر من أبويها، فأرْضَينا أبويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل، فقال لهم عمرو: إن هذا مما لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يهدم ما قبله، فأقاموا بؤنة وأبِيبَ ومِسْرى[(٣)] والنيل لا يجري قليلاً ولا كثيراً، حتى همّوا بالجلاء، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب، فكتب عمر: إنك قد أصبت بالذي فعلت، وإن الإسلام يهدم ما قبله، وإني قد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي هذا، فألقِها في النيل. فلمّا قدم كتاب عمر إلى عمرو أخذ البطاقة ففتحها، فإذا فيها: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد: فإن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يُجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك. قال: فألقى البطاقة في النيل، فلمّا ألقى البطاقة أصبحوا يوم السبت وقد أجراه الله ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة، وقطع الله تعالى تلك السنّة عن أهل مصر إلى اليوم"[(٤)].

---

(١) هو: قيس بن الحجاج بن خلي بن معدي كرب الحميري الكلاعي. انظر تهذيب الكمال ٢٤/١٩.

(٢)بؤنة: هو الشهر العاشر من السنة القبطية، ودخوله من الخامس والعشرين من أيّار من شهور السُّريان، وآخره الثالث والعشرين من حزيران. انظر صبح الأعشى للقلقشندي ٢/٤١٥.

(٣) وأبيب: هو الشهر الحادي عشر من أشهر السنة القبطية، دخوله في الرابع والعشرين من حزيران، وآخره الثالث والعشرون من تمّوز (يوليو).

ومسرى: هو الشهر الثاني عشر من أشهر السنة القبطية، دخوله في الرابع والعشرين من تموز من شهور السُّريان، وآخره السابع والعشرون من آب (أغسطس). المصدر نفسه ٢/٤١٥.

(٤) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة ٤/ ١٤٢٤ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٩/١٢٦ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/٣٣٧ والطيوري في الطيوريات ١٣/٢٨ والقرطبي

.

فهذه القصة العظيمة إن صحت فقد وقعت في خلافة عمر الفاروق ﷺ بعد فتح مصر، وكان لسكانها عادة، وهي إلقاء جارية بكر في النيل حتى يفيض الماء بقوّة، وكانوا يُلبسون تلك البنت بأفضل الزينة وأحسن الحلي بعد ما أعطوا لوالديها من المال ما يُرضيهما. وكانت هذه السنة في أشهر بؤنة وأبيبَ ومِسْرى، فلما رأى عمرو بن العاص هذه العادة السيّئة أنكر على القوم وأخبر أمير المؤمنين بذلك، فأجابه عمر ﷺ بإرسال تلك البطاقة.

فوضّح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لأهل مصر بهذه البطاقة أن النيل إنما يجري بمشيئة الله وقدرته، لا بإلقاء جارية بكر فيه، فأبطل هذا المعتقد الفاسد الذي تغلغل في نفوس الناس حماية للتوحيد، وأراحهم من هذه البدعة القبيحة التي كانت تُصنع كل سنة من زمن فرعون إلى خلافة عمر ﷺ، فكشف عنهم سوء هذا العمل المنافي لتوحيد الربوبيّة، فقال عمر ﷺ في البطاقة: "فإن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يُجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك" أي: فإن كنت أنت النهر تجري بمشيئتك مشيئة

في الجامع لأحكام القرآن ٢٧/١٦ وابن كثير في البداية والنهاية ١١٤/٧ وفي تفسير القرآن العظيم ٦٠٨/٣. قال اللالكائي: "حدثنا محمد بن أبي بكر قال ثنا محمد بن مخلد قال ثنا محمد بن إسحاق قال ثنا عبد الله بن صالح حدثني ابن لهيعة عن قيس بن حجاج عمن حدثه. . . الأثر". سنده ضعيف، لم يذكر قيس اسم الذي حدثه، وهو لم يدرك عمر ﷺ. انظر تحقيق كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأحمد بن سعد الغامدي.

تنبيه: إني في هذا البحث لم استدل بأثر ضعيف على مسألة عقدية إلا وكان لها أصل في الكتاب والسنة، فإني أورد بعض الآثار الضعيفة من باب الاعتضاد والاستئناس بها، فلا أعتمد عليها وحدها كما درج على ذلك العلماء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية تعليقاً على الاستدلال بحديث النبيّ ﷺ: "إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله" (رواه الطبراني في المعجم الكبير كما في مجمع الزوائد للهيثمي ٢٦/١١، وهو ضعيف): "هذا الخبر لم يذكر للاعتماد عليه، بل ذكر في ضمن غيره ليتبيّن أن معناه موافق للمعاني المعلومة بالكتاب والسنة، كما أنه إذا ذكر حكم بدليل معلوم ذكر ما يوافقه من الآثار والمراسيل وأقوال العلماء وغير ذلك لما في ذلك من الإعتضاد والمعاونة، لا لأن الواحد من ذلك يعتمد عليه في حكم شرعي، ولهذا كان العلماء متفقين على جواز الإعتضاد والترجيح بما لا يصلح أن يكون هو العمدة من الأخبار التي تكلّم في بعض رواتها لسوء حفظ أو نحو ذلك وبآثار الصحابة والتابعين، بل بأقوال المشايخ والإسرائيليات والمنامات مما يصلح للإعتضاد". الاستغاثة في الرد على البكري ص ١١٨.

مستقلّة عن مشيئة الله، فلا حاجة لنا إليك، وإن كنت تجري بمشيئة الله وتدبيره فنسأل الله المتصرّف في الكون أن يُجريك. هكذا أبطل عمر بن الخطاب رضي الله عنه المعتقد الفاسد في تدبير الخلق منافحة للتوحيد.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

لقد كان لموقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ آثار عظيمة على الأمة، أجلّها ما يلي:

١/ تعليم الأمة وجوب إفراد الله بالربوبيّة، فكان لموقف عمر بن الخطاب ﷺ أثر بليغ في توضيح عقيدة التوحيد، فبيّن عمر ﷺ للأمة أن الملك كلّه لله العلوي والسفلي، وما فيهما من الملائكة والإنس والجنّ، كلّهم مفتقرون وصامدون إلى الله، فما من عبد إلا وهو تحت تدبير الله القدري والشرعي، فجميع المخلوقات خاضعة لله، تحت مشيئته، ومن ذلك الأنهار، فالله هو المدبِّر الخالق الذي أنزل الماء من السماء وسخّر هذه الأنهار لينتفع بها العباد والبلاد كما قال سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح: ١١ – ١٢] أي: ينزل عليكم الأمطار المتواصلة ويُنبت لكم من الأرض بساتين ذات نخيل وأعناب ويجعل الأنهار الجارية، تسقون منها جناتكم ومزارعكم، فلا خالق ولا مالك ولا مدبّر إلا الله سبحانه وتعالى(١).

وقد أورد القرطبي رحمه الله قصة عمر هذه في تفسيره(٢) عند قول تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الشعراء: ٥٧] وكذلك أوردها الحافظ ابن كثير في تفسيره لبيان أن إرسال الماء كالمطر أو النهر من تدبير الله عند قول الله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ [السجدة: ٢٧].

فقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يبيّن تعالى لطفه بخلقه، وإحسانه إليهم في إرساله الماء إما من السماء أو من السيح، وهو ما تحمله الأنهار ويتحدر من الجبال إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته؛ ولهذا قال: ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴾ وهي الأرض التي لا نبات فيها، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ [الكهف: ٨] أي: يبساً لا تنبت شيئاً وليس المراد من قوله: ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴾ أرض مصر فقط، بل هي بعض المقصود، وإن مثل بها كثير

(١) انظر جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٦٣٣/٢٣ وتفسير القرآن الكريم لابن كثير ٥٤٥/٤.
(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم ٢٧/١٦.

من المفسرين فليست هي المقصودة وحدها، ولكنها مرادة قطعاً من هذه الآية، فإنها في نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من الماء ما لو نزل عليها مطراً لتهدمت أبنيتها، فيسوق الله إليها النيل بما يتحمله من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة، وفيه طين أحمر، فيغشى أرض مصر، وهي أرض سبخة مرملة محتاجة إلى ذلك الماء، وذلك الطين أيضاً لينبُت الزرع فيه، فيستغلون كل سنة على ماء جديد ممطور في غير بلادهم، وطين جديد من غير أرضهم، فسبحان الحكيم الكريم المنّان المحمود أبداً"(١).

فإن إرسال الماء من الأمطار والأنهار نعمة عظيمة، فيه إحياء البلاد والعباد، كل ذلك بتدابير الله الخاصة لا شريك له ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾.

٢/ إثبات كرامات الله على أولياء الله، ففي موقف عمر ﷺ بيان للمؤمنين أن الله يُكرم على عباده المؤمنين بكرامات، وهي أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد وليّ من أوليائه تأييداً له أو إعانة أو تثبيتاً أو نصراً للدين. والولي هو المؤمن التقي قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٣]. فذكر الله وصفهم أي: الّذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وصدقوا إيمانهم، واتقوا الله بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، فكل من آمن بالله واتقاه فهو من أولياء الله(٢).

فالكرامة تحصل للإنسان بسبب الإيمان والتقوى ومتابعة النبيّ ﷺ. وبهذا عُرف الفرق بين الكرامة والأحوال الشيطانية، فالكرامة سببها الإيمان والتقوى، وأما الأحوال الشيطانية(٣) فسببها الكفر ومعصية الله(٤). فالحاصل أنه يجب التصديق بالكرامات، فهي ثابتة

(١) تفسير القرآن الكريم ٣/٦٠٧.

(٢) انظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص ٨-١٣ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للإمام السعدي ص ٣٦٨.

(٣) الأحوال الشيطانية هي ما قد يظهر من خوارق العادات على أيدي بعض الناس معروفين بالفسق والعصيان والفجور كمن يطير في الهواء ويمشي على الماء. انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١١/٢٨٤.

(٤) انظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص ٢٥٩.

بالكتاب[١] والسنة[٢] والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين[٣] وغيرهم، فهي بقية في الأمة إلى يوم القيامة.

وقد استدل الإمام اللالكائي[٤] رحمه الله بقصة عمر ﷺ على إثبات كرامات الله على أوليائه في كتابه كرامات أولياء الله وإظهار آيات أصفيائه من الصحابة والتابعين[٥].

٣/ كشف عن الأمة بطلان دعوات أهل البدع والضلال من المعتزلة والرافضة وأهل الإلحاد، ففي موقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ بيان للأمة فساد عقيدتهم وردّ عليهم:

- **أما المعتزلة** لأنهم أنكروا الكرامات، فقالوا: إن كان هناك خوارق للعادة يجوز أن تقع لغيرهم من الأولياء أو من السحرة والمشعوذين فإن النبوّة تكون مشتبهة لم يكن لها دليل واضح[٦]، وهذه الدعوة مردودة لما ثبت من الأدلة من الكتاب والسنة والآثار، ثم يقال: "لا يمكن الالتباس، لأن الكرامة على يد ولي، والولي لا يمكن أن يدّعي النبوّة، ولو ادّعاها، لم يكن وليّاً. آية النبيّ تكون على يد نبيّ، والشعوذة والسحر على يد عدو بعيد من ولاية الله،

(١) كقصة أصحاب الكهف الذين بقوا فيه أكثر من ثلاثمائة سنين وهم نائمون (انظر سورة الكهف، الآيات ٩-٢٦)، وقصة مريم لما أجاءها المخاض إلى جذع النخلة، وأمرها الله أن تهز بجذعها لتتساقط عليها رطبا جنيّا (انظر سورة مريم الآيات ١٦-٤٠).

(٢) كقصة النفر الثلاثة الذين أووا إلى غار. سيأتي ذكرها.

(٣) كقصة عمر ﷺ لما كان يخطب الناس يوم الجمعة على المنبر، فكشف له عن سارية بن زنيم وهو أحد قواده في العراق (سارية بن زنيم بن عبد الله بن جابر بن كنانة الدئلي، قال بن عساكر له صحبة. انظر الإصابة لابن حجر ٤/٣)، وأنه محصور من عدوه، فوجهه إلى الجبل. انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١٢٨/٩. وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١١١٠.

(٤) هو الإمام، الحافظ، المجود، المفتي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، الرازي، الشافعي، اللالكائي، مفيد بغداد في وقته. حافظ للحديث، من فقهاء الشافعية، تفقه على الشيخ أبي حامد الإسفراييني ببغداد، وسمع بها من: أبي القاسم الوزير، وأبي طاهر المخلص، مات عام ٤١٨هـ. انظر السير للذهبي ٤١٩/١٧.

(٥) ٧٠/٩.

(٦) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٧٥٨/٢.

وتكون بفعله باستعانته بالشياطين، فينالها بكسبه، بخلاف الكرامة، فهي من الله تعالى، لا يطلبها الولي بكسبه"(١)، قال العلامة ابن أبي العز رحمه الله في الرد على شبهة المعتزلة: "وهذه الدعوى إنما تصح إذا كان الولي يأتي بالخارق ويدّعي النبوّة وهذا لا يقع ولو ادّعى النبوّة لم يكن ولياً بل كان متنبّئاً كذّاباً"(٢).

- **أما الرافضة،** فكرامات عمر ﷺ -وما أكثرها- دليل واضح وبرهان قطعي على بطلان دعوتهم أن عمر كفر بالله وغير ذلك من الصفات الذميمة(٣)، لأنه لو كان عمر ﷺ من أعداء الله وعلى ما يصفونه ظلماً لما أكرمه الله بتلك الكرامات، بل هي دليل على إيمان عمر وتقواه وأنه على الصراط المستقيم.

قال العلامة محمد العثيمين رحمه الله: "قال العلماء: كل كرامة لولي، فهي آية للنبي ﷺ الذي اتبعه، لأن الكرامة شهادة من الله ﷻ أن طريق هذا الولي طريق صحيح، وعلى هذا ما جرى من الكرامات للأولياء من هذه الأمة فإنها آيات لرسول الله ﷺ"(٤). وقد رد أحمد بن حجر الهيتمي(٥) على الرافضة في كتابه(٦) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة بإيراد أثر قيس بن حجاج لإثبات كرامات عمر ﷺ.

- **أما أهل الإلحاد** يقال لهم: إن المعجزات والكرامات آية من آيات الله على ربوبيته، لأنها خوارق للسنن الجارية في الكون، فهي تأتي على خلاف ما أجرى الخالق العادة به وعهد الخلق عليها، ولا يُخلف سنة الجارية فيُجريها على خلاف المعتاد إلا الذي أنشأها،

(١) شرح العقيدة الواسطية للشيخ العثيمين ٢/٣٠٠.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٧٥٩.

(٣) سبق بيان عقيدة الرافضة الفاسدة في الصحابة الكرام ﷺ ص ١٦٨.

(٤) شرح العقيدة الواسطية للشيخ العثيمين ٢/٣٠٠.

(٥) هو: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري أبو العباس: كان أشعريا صوفيا، مات بمكة توفي عام ٩٧٤هـ. انظر النور السافر عن أخبار القرن العاشر للعيدروس ٢٥٨هـ.

(٦) ١/٢٩٥.

وهو الله، فمعجزات الرسل وكرامات الأولياء لا يستطيعها إلا الربّ الذي خلق تلك الآيات العظيمة(١)، فهي دليل على كمال علم الله وقدرته وغناه.

قال العلامة ابن أبي العز: "فالمعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة وكذلك الكرامة في عرف أئمة أهل العلم المتقدمين ولكن كثير من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما فيجعلون المعجزة للنبيّ والكرامة للولي وجماعها: الأمر الخارق للعادة، فصفات الكمال ترجع إلى ثلاثة: العلم والقدرة والغنى، وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال إلا لله وحده، فإنه الذي أحاط بكل شيء علماً، وهو على كل شيء قدير، وهو غني عن العالمين، ولهذا أمر النبيّ ﷺ أن يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ [الأنعام: ٥٠] وكذلك قال نوح عليه السلام، فهذا أوّل أولي العزم وأوّل رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، وهذا خاتم الرسل وخاتم أولي العزم وكلاهما تبرّأ من ذلك وهذا لأنهم يطالبونهم تارة بعلم الغيب كقوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴾ [النازعات: ٤٢] وتارة بالتأثير كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴾ [الإسراء: ٩٠] وتارة يعيبون عليهم الحاجة البشرية كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾ [الفرقان: ٧] فأُمر الرسول أن يخبرهم بأنه لا يملك ذلك، وإنما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله فيعلم ما علّمه الله إياه ويقدِر على ما أقدر عليه ويستغني عما أغناه عنه من الأمور المخالفة للعادة المطَّرِدة أو لعادة أغلب الناس، فجميع المعجزات والكرامات ما تخرج عن هذه الأنواع"(٢).

وقال العلامة محمد العثيمين رحمه الله في دلالات الكرامات: "فيها بيان كمال قدرة الله ﷻ، حيث حصل هذا الخارق للعادة بأمر الله، وتكذيب القائلين بأن الطبيعة هي التي تفعل، لأنه لو كانت الطبيعة هي التي تفعل، لكانت الطبيعة على نسق واحد لا يتغير، فإذا تغيرت العادات والطبيعة، دلّ على أن للكون مدبّراً وخالقاً"(٣).

---

(١) انظر الربّوبية للشيخ أ. د. محمد بن عبد الرحمن الجهني ص٥٢.

(٢) شرح الطحاوية ٧٥٣/٢.

(٣) شرح العقيدة الواسطية ٣٠٣/٢.

وبهذا العرض يتبيّن أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ أثبت للأمة كمال ربوبية الله في الخلق، وأن الأمر كله بيده ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأبطل الدعوات الشركية حماية للتوحيد.

.

المبحث الثاني:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في بيان قدرة الله على محاسبة الناس وكشف الشبهة في ذلك. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بيوم الحساب وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في بيان قدرة الله على محاسبة الناس وكشف الشبهة في ذلك.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المطلب الأول: التعريف بيوم الحساب وما يتعلّق به.

إن الإيمان باليوم الآخر من أعظم الأصول في العقيدة الإسلامية، ومما يدل على أهميته أنه أحد أركان الإيمان كما جاء في حديث عمر رضي الله عنه لما سأل جبريل النبيّ عن الإيمان فقال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"(١).

وقد ذكر الله هذا اليوم العظيم في كتابه في مواضع عدة منها قول الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]. ودلّ القرآن أن جحد هذا اليوم كفرٌ وضلال مبين وخروج عن الطريق الموصل إلى السعادة الدنيوية والأخروية قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].

فيجب على المسلم أن يصدق بكل ما سيقع في هذا اليوم العظيم وكل ما أخبر النبيّ من أحداث من بعد الموت: من سؤال الملكين الميّت في قبره(٢) وما يترتب عليه من نعيم أو عذاب، ثم البعث وهو إحياء الموتى ليقوموا لرب العالمين فيُحشرون في موقف واحد(٣)، ونشر الصحائف ونصب الموازن(٤)، والورود على الحوض الذي ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك(٥)، والمرور على الصراط، وهو جسر ممدود على متن جهنم وهو أدق من الشعر وأحد من السيف(٦)، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، والشفاعة بأنواعها(٧)، ثم دخول الناس الجنة أو النار. فالإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بكل ما أخبر به النبيّ ﷺ مما يكون بعد

---

(١) تقدم تخريجه ص ٨٠.

(٢) انظر مسند الإمام أحمد ٢٩٥/٤.

(٣) انظر صحيح البخاري في كتاب الأنبياء باب قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ... ﴾ [نوح: ١] ١٧٣/٤ برقم ٣٣٤٠.

(٤) انظر سنن الترمذي في كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ص ٥٩٥ برقم ٢٦٣٩.

(٥) انظر صحيح البخاري في كتاب الرقاق باب في الحوض ١١٩/٨ برقم ٦٥٧٩.

(٦) انظر صحيح مسلم في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية برقم ١٨٣.

(٧) المصدر نفسه.

الموت.

قال السفاريني رحمه الله: "واعلم أن ليوم الوقوف أهوالاً عظيمة، وشدائد جسيمة، تذيب الأكباد وتذهل المراضع، وتشيب الأولاد، وهو حق ثابت، ورد به الكتاب والسنة، وانعقد عليه الإجماع، وهو يوم القيامة"(١).

وكذلك من أهم الأمور التي ستحدث في هذا اليوم الشديد: الحساب، لهذا كان من أسماء اليوم الآخر يوم الحساب.

والحساب مصدر كالمحاسبة، وقد يسمى المحسوب حِساباً. والحساب العُدّ(٢).

ويراد بيوم الحساب: تعريف الله سبحانه الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم بما قد نسوه(٣).

فهو إطلاع الله تعالى عباده على أعمالهم خيراً كانت أو شراً قال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ**﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦].

فسيوقف الحسيب المحيط تبارك وتعالى عباده بين يديه، ويعرّفهم بجميع ما صدر منهم من أقوال واعتقاد وأعمال، وإيمان وكفر، وطاعة وعصيان، لا ظلم هذا اليوم، فلا تؤخذ نفس بذنب غيرها، بل وقوع الجزاء يمثل قمة العدل، فلا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله. فيوم الحساب موقف من مواقف يوم القيامة، فهو أصل من أصول أهل السنة والجماعة، وهناك نصوص من الكتاب والسنة صرحت بالحساب، أما من القرآن فكقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا﴾ [النبأ: ٢٧ – ٢٨]. وقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ –٨] وقوله الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥ – ٢٦].

---

(١) لوامع الأنوار البهية ١٦٨/٢.

(٢) انظر مقاييس اللغة لابن فارس ٦٠/٢.

(٣) انظر الجامع لأحكام الفرآن للقرطبي بتصرف ٣٦٠/٣.

ومن السنة ما جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها أن النبيّ ﷺ كان يقول في بعض صلاته: "اللّهم حاسبني حساباً يسيراً"(١).

ورُوي في السنة ما يدل على صفة الحساب ومن ذلك حديث ابن عمر فقال الرسول ﷺ: "إن الله يُدني المؤمن فيضع عليه كنَفَه ويستره فيقول: أتعرف ذنبَ كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول نعم أي ربِّ. حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفِرها لك اليوم، فيُعطى كتاب حسناته. وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]"(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ويحاسب الله الخلائق ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة وأما الكفّار: فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته؛ فإنه لا حسنات لهم ولكن تعد أعمالهم وتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها"(٣).

والحساب يتفاوت من شخص إلى شخص حسب أعماله، فمنهم من يكون حسابه عسيراً ومنهم من يكون يسيراً، وأوّل ما يحاسب عليه العبد من الأعمال الصلاة، وأوّل ما يقضي فيه بين الناس الدماء قال الرسول ﷺ: "أول ما يحاسب به العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس في الدماء"(٤). لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية، والدماء أعظم ما يعتدى به في حقوق الآدميين، فيُجري الله القصاص بين العباد، فيقتص للمظلوم من الظالم.

(١) ٦/٤٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المظالم باب قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] ٣/١٢٨ برقم ٢٤٤١.

(٣) مجموع الفتاوى ٣/١٤٦.

(٤) أخرجه النسائي في سننه في كتاب تحريم الدم باب تعظيم الدم ص ٦١٧ برقم ٣٩٩١. وصححه الشيخ الألباني.

وأوّل الأمم محاسبة، هي أمة محمد ﷺ لما رواه ابن ماجه في سننه أن النبيّ ﷺ قال: "نحن آخر الأمم، وأول من يحاسب، يقال: أين الأمة الأمية، ونبيها؟ فنحن الآخرون الأولون"(١).

(١) رواه ابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب صفة أمة محمد ص ٧١٠ برقم ٤٢٩٠. قال البوصيري في مصباح الزجاجة: "هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات" ٤/٢٥٦.

.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في بيان قدرة الله على محاسبة الناس وكشف الشبهة في ذلك.

٢- قيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟ فقال: كما يرزقهم على كثرة عددهم"(١).

فجاء رجل يسأل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن كيفية محاسبة الناس يوم القيامة، فاستشكل هذا الإنسان قدرة الله في إحصاء عدد العباد الكبير ومجازاتهم في هذا اليوم في حالة واحدة، فتعجب كيف سيحاسب الله هذا الجمع على كثرة عددهم وألوانهم وأعمالهم خيراً كانت أو شرّاً، كيف سيذكّرهم بما نسوه؟ فأجابه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بكلام فيه الحكمة، بجواب كاف سديد بحيث يُذهب عنه ما يحسّه في صدره من وساوس أو شكّ فيطمئن قلبه.

فجواب علي بن أبي طالب رضي الله عنه لهذا السائل من أنفع الكلام الذي يقال في مثل هذا المقام، فأزال علي رضي الله عنه عنه تلك الشبهة ونسف ما يجده في نفسه من حيرة حتى تيقّن بوقوع هذا اليوم، فبيّن له علي رضي الله عنه كمال قدرة الله على محاسبة الناس وأنه لا يعجزه شيء، بل سيجزي الخلق على كثرة عددهم كما رزقهم على كثرة عددهم، فوضّح علي رضي الله عنه أنه لا يتعذر على الله أن يوقف عباده المؤمنين والكافرين من أوّلهم إلى آخرهم جنهم وإنسهم بين يديه ليعرّفهم بأعمالهم ويقيم عليهم الحجج والبراهين، فمن وجد خيراً فليحمد ربّه، ومن وجد شرّاً فلا يلومنّ إلا نفسه.

وقد أنزل الله آية ردّاً على المشركين لما أنكروا يوم الحساب، فاستشكلوه كما ذلك الرجل في أثر علي رضي الله عنه، فتساءلوا عن كيفية وقوع هذا اليوم مع كثرة عدد العباد حتى جحدوه، فقالوا: كيف يخلقنا الله خلقاً جديداً في يوم واحد ليحاسبنا ويجزينا، ونحن خلقنا

---

(١) أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين ص٤٩ وابن عبد البر في بهجة المجالس ١/١٣٩ وابن عطية في المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/٢٧١ والقرطبي في الجامع الأحكام القرآن ٣/٣٦٠.

أطواراً وفي قرون عديدة[(١)] فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان: ٢٨].

قال العلامة السعدي رحمه الله: "وهذا شيء يحير العقول، إن خلق جميع الخلق على كثرتهم وبعثهم بعد موتهم، بعد تفرقهم في لمحة واحدة كخلقه نفساً واحدة، فلا وجه لاستبعاد البعث والنشور، والحساب والجزاء على الأعمال، إلا الجهل بعظمة اللّه وقوة قدرته"[(٢)]. فالله ﴿ سَمِيعٌ ﴾ لما يقولون، ﴿ بَصِيرٌ ﴾ بما يفعلون.

ورُوي عن الرسول ﷺ أنه قال: "ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربّه كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر فقال أبو رزين[(٣)]: يا رسول الله كيف؟ ونحن جميع وهو واحد فقال: سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله[(٤)]: هذا القمر كلّكم يراه مخلياً به، فالله أكبر"[(٥)]. كما أنه قال ﷺ: "إنكم سترون ربّكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته"[(٦)].

وبهذا تظهر خبرة علي رضي الله عنه بالنصوص الشرعية، فعرف من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية كيف يرشد هذا السائل إلى الصواب، ويوجّهه إلى ترك التكلّف حماية للتوحيد، فأثبت له أن الله سيحاسب الخلق كما يرزقهم، وأنه سبحانه وتعالى يحفظ جميع أعمالهم ويميّز الصالح منها من الفاسد ويعلم ما يستحقون من الثواب والعقاب ولو كثر عددهم. فهذا الموقف من أعظم مواقف الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم في منافحة التوحيد .

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٩١/١٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٦٥١ بتصرف يسير.

(٣) هو: لقيط بن عامر بن المنتفق بن عامر العامري أبو رزين العقيلي، صحابي جليل. انظر الإصابة لابن حجر ٣٩١/٩.

(٤) أي: في خلق الله ونعمه. انظر دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد البكري الصديقي ٢٧/١.

(٥) رواه أحمد في مسنده ١٣/٤ وذكره الهيتمي في مجمع الزوائد وقال: "وأحد طريقي عبد الله إسنادها متصل ورجالها ثقات" ٢٧٧/١١ وذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٤٧٩/٥. وضعفه الأرنؤوط في تحقيق شرح الطحاوية لابن أبي العز ٤٣٢/٢.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢] ١٢٧/٩ برقم ٧٤٣٤.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

إن موقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان له أثر بليغ على الأمة الإسلامية، فبيّن رضي الله عنه لها وجوب الإيمان بيوم الحساب، ذلك اليوم الذي تنشر فيه دواوين الأعمال الحاوية لحسنات العباد وسيّئاتهم وكلٌّ يعطى كتابه، فيكون عنوان أهل السعادة أن يعطوا كتبهم بأيمانهم، فيكون ذلك أوّل البشرى بما تحتوي عليه كتبهم من الخيرات، ويعطى أهل الشقاء كتبهم بشمائلهم، ومن وراء ظهورهم[١] بشارة لهم بالشقاوة وفضيحة لهم بين الخلائق[٢].

فأثبت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه للأمة قدرة الله العظيمة على إحصاء أعمال العباد ومحاسبتهم على كثرة عددهم، فبهذا الموقف علّم علي بن أبي طالب الأمة أن الله له الأسماء الحسنى والصفات العلى، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، في الدنيا والآخرة، فالربّ لا يشغله سمع عن سمع، بل يسمع كلام العباد كله مع اختلاف لغاتهم وتفنن حاجاتهم، لا تغلطه المسائل، سيكلم العباد يوم القيامة ويحاسبهم لا يشغله هذا عن هذا مهما كان عددهم، وهذا يدل على سعة علم الله تعالى وكمال ربوبيته، فجواب علي رضي الله عنه لهذا السائل فيه دفع التوهّم والشكّ عن الناس وإرشادهم إلى تمام الإيمان بالله ورسله وكتبه.

وقد رُوي عن ابن عباس كلام قريب مما قاله علي رضي الله عنه، فقال رجل لابن عباس رضي الله عنه: "كيف يحاسب الله العباد في ساعة واحدة؟ قال: كما يرزقهم في ساعة واحدة"[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والله سبحانه يحاسب الخلق في ساعة واحدة، ولا يشغله حساب هذا عن حساب هذا. وكذلك إذا ناجوه أو دعوه أجابهم، كما في الصحيح عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: " قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال الله: تعالى حمدني عبدي وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي. وإذا قال:

---

(١) قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ – ١٢].

(٢) انظر فتح الرحيم الملك العلام للإمام السعدي ص ٧٧.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥/٤٧٩.

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ قال: مجدني عبدي -وقال مرة: فوض إليّ عبدي- فإذا قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل"(١). فقد أخبر النبيّ ﷺ أن الله يقول هذا لكل مصل والناس يصلون في ساعة واحدة والله تعالى يقول لكل منهم هذا"(٢). وقد استدل علماء التفسير مثل ابن عطية(٣) والقرطبي والثعالبي(٤) بأثر علي رضي الله عنه على سرعة حساب الله يوم القيامة قال الله: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٢] وقال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [البقرة: ٢٠٢]. وقال الله: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [غافر: ١٧].

قال ابن عطية رحمه الله: "أي: فاصله بين خلقه بالإحاطة التي له بدقيق أمرهم وجليلها، لا إله غيره"(٥). وقال القرطبي رحمه الله: "أي: لا يحتاج إلى تفكّر وعَقْد يدٍ كما يفعله الحُسَّاب، لأنه العالم الذي لا يعزب عن علمه شيء، فلا يؤخّر جزاءَ أحد للاشتغال بغيره، وكما يرزقهم في ساعة واحدة يحاسبهم كذلك في ساعة واحدة"(٦).

وبهذا يتبيّن أن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه علّم الأمة وجوب الإيمان بيوم الحساب وكمال قدرة الله على ذلك ولو كثر عدد العباد.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة ٢٩٦/١ برقم ٣٩٥.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٣٤١/٢.

(٣) هو: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من أهل غرناطة. فقيه حافظ محدث مشهور أديب نحوي شاعر بليغ كاتب، ولي قضاء المرية، توفي ٥٤٢هـ. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس للضبي ص ٣٨٩.

(٤) هو: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، كان إماما علامة مصنفا اختصر تفسير ابن عطية في جزءين وشرح ابن الحاجب الفرعي في جزءين وعمل في الوعظ والرقائق. توفي ٨٧٥هـ. انظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ١٥٢/٤.

(٥) المحرر الوجيز ٢٧١/١.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٣٤١/١٨ و٣٦٠/٣.

المبحث الثالث:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في تفرد الله بالنفع والضر. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالنفع والضر وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في تفرد الله بالنفع والضر.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المطلب الأول: التعريف بالنفع والضر وما يتعلّق بهما.

النفع في اللغة: هو الخير، وعكسه الضر[(١)].

والضر في اللغة هو الشر[(٢)]، وله مشتقّات منها:

- الضر بالضم: الهزال وسوء الحال فكل ما كان من سوء الحال والفقر أو شدّة في بدن فهو ضر[(٣)]، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ ﴾ [يونس: ١٢] أي: إذا مسّه شدّة القلق أو مرض أو مصيبة[(٤)].

وقال الله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[الأنبياء: ٨٣]. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يذكر تعالى عن أيوب عليه السلام ما كان أصابه من البلاء، في ماله وولده وجسده"[(٥)].

- الضرر والضِرار: كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبيّ ﷺ قال: "لا ضرر ولا ضرار"[(٦)]. قال ابن رجب رحمه الله: "وقيل: الضرر: أن يُدخل على غيره ضرراً بما ينتفع هو به، والضرار: أن يُدخل على غيره ضرراً بما لا منفعة له به، كمن منع ما لا يضره ويتضرر به الممنوع، وقيل: الضرر: أن يضر بمن لا يضره، والضرار: أن يضر بمن قد أضر به على وجه غير جائز. وبكل حال فالنبيّ ﷺ إنما نفى الضرر والضرار بغير حق"[(٧)].

---

(١) انظر مقاييس اللغة لابن فارس ٤٦٣/٥.

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور ٣٢/٩.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) انظر جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٣٦/١٥.

(٥) تفسير القرآن الكريم ٢٥١/٣.

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الأحكام باب من بنى في حقه ما يضر بجاره ص ٤٠٠ برقم ٢٣٤١. قال الألباني: "صحيح".

(٧) جامع العلوم والحكم باختصار ص ٦٣٤.

- الضراء: وهذه الكلمة ترادف معنى الضر، أي: النقص في الأموال والأنفس[1]، قال الله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

- الضرير: المريض المهزول أو ذاهب البصر، وفي حديث البراء ﷺ جاء ابن أم مكتوم[2] ﷺ يشكو ضرارته فقال: يا رسول الله، أنا ضرير (أي: عمي) فأنزل الله: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ...﴾[النساء: ٩٥][3].

قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره: "وأما أهل الضرر كالمريض والأعمى والأعرج والذي لا يجد ما يتجهز به، فإنهم ليسوا بمنزلة القاعدين من غير عذر"[4].

ومن خلال هذا العرض يظهر أن لكلمة الضر ومشتقاتها معاني متقاربة تدور حول: الشر، السوء، الأذى والضيق، والشدّة، البأس والعذاب، والنقص في المال والجسم والأولاد.

والله هو النافع والضار، هو الذي يُوصِّل النفع إلى من يشاء من خلقه ويضر من يشاء حيث هو خالق النفع والضر والخير والشر، فهو سبحانه وتعالى ربّ كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله.

ولهذا قرر الله في كتابه الكريم وجوب عبادته وحده لا شريك له لكونه النافع، الضار، المعطي، المانع؛ فمن اتصف بهذه الصفات فهو المعبود بحق ولا معبود بحق سواه.

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٣٢/٩.

(٢) مختلف في اسمه: فأهل المدينة يقولون: عبد الله بن قيس بن زائدة بن الأصم بن رواحة القرشي، العامري. وأما أهل العراق: فسموه عمرا. وأمه أم مكتوم: هي عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم بن يقظة المخزومية، من السابقين المهاجرين. وكان ضريرا، مؤذنا لرسول الله ﷺ مع بلال. انظر السير للذهبي ٣٦١/١.

(٣) انظر صحيح البخاري في كتاب الجهاد باب قول الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ﴾ [النساء: ٩٥] برقم ٢٨٣١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص١٩٥.

فأظهر عيوب آلهة المشركين وعجزهم عن كشف الضر لدعوة المشركين إلى التوحيد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾[الإسراء: ٥٦] قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره: "﴿ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم ﴾ آلهة من دون الله فانظروا هل ينفعونكم أو يدفعون عنكم الضر، فإنهم لا ﴿ يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ ﴾ من مرض أو فقر أو شدّة ونحو ذلك فلا يدفعونه بالكلية، ﴿ وَلَا ﴾ يملكون أيضاً تحويله من شخص إلى آخر، من شدّة إلى ما دونها. فإذا كانوا بهذه الصفة فلأي شيء تدعونهم من دون الله؟ فإنهم لا كمال لهم ولا فعال نافعة، فاتخاذهم آلهة نقص في الدين والعقل وسفه في الرأي"(١).

وقال الله لأهل الكتاب النصارى: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [المائدة: ٧٦]، قال القرطبي رحمه الله في تفسيره: "زيادة في البيان وإقامة حجة عليهم، أي: أنتم مقرون أن عيسى كان جَنِيناً في بطن أمه، لا يملك لأحد ضراً ولا نفعاً، وإذ أقررتم أن عيسى كان في حال من الأحوال لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم ولا ينفع ولا يضر، فكيف اتخذتموه إلهاً؟. ﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ أي: لم يزل سميعاً عليماً يملك الضر والنفع. ومن كانت هذه صفته فهو الإله على الحقيقة"(٢).

وينبغي أن يُتنبه لمسالة مهمة في هذا الباب وهي: إن كان الله هو النافع الضار، خالق الخير والشر فلا يُضاف إليه الشر فعلاً ولا وصفاً، وإنما يدخل في مفعولاته، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "إن أسماءه كلّها حسنى ليس فيها اسم غير ذلك أصلاً، وهذا يدل على أن أفعاله كلّها خيرات محض لا شر فيها، لأنه لو فعل الشر لاشتُق له منه اسم ولم تكن أسماؤه كلّها حسنى، وهذا باطل فالشر ليس إليه، فكما لا يدخل في صفاته ولا يلحق ذاته لا يدخل في أفعاله، فالشر ليس إليه لا يضاف إليه فعلاً ولا وصفاً، وإنما يدخل في مفعولاته وفرق بين الفعل والمفعول، فالشر قائم بمفعوله المباين له لا بفعله الذي هو فعله"(٣).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٦٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠٢/٨.

(٣) بدائع الفوائد ١/ ٢٤٨ باختصار.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في تفرد الله بالنفع والضر.

٣- عن عابس بن ربيعة[(١)] عن عمر ﷺ أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبَّله فقال: "إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت النبيّ ﷺ يُقبِّلك ما قبّلتك"[(٢)].

فإن قول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ كان له آثار بليغة في النفوس، خصوصاً الذين هم حديثو عهد بالشرك، الذين ألفوا عبادة الأحجار وتعظيمها ورجاء نفعها، فبيّن لهم عمر ﷺ أن تقبيله للحجر الأسواد هو مجرد تأس بالنبيّ ﷺ، لا لمعنى فيه أو لاعتقاد أن الحجر ينفع أو يضر، بل ليس له مزية في ذاته، فهو كسائر الأحجار إلا أنه سبب شرّعه الله لجلب الحسنات، فصرح عمر ﷺ أنه لا يعبد الحجر لأنه خاف ﷺ أن يراه بعضهم يقبّل الحجر فيفتتن به ويشتبه الأمر عليه، فدفع أي وهم قد يتوهّمه الضعيف بإخباره أن تقبيله للحجر من باب الاتباع لا من باب التعظيم له.

قال الإمام الطبري رحمه الله: "إنما قال ذلك لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام، فخشي عمر ﷺ أن يظن الجهّال بأن استلام الحجر هو مثل ما كانت العرب تفعله، فأراد عمر ﷺ أن يعلّم أن استلامه لا يقصد به إلا تعظيم الله ﷻ، والوقوف عند أمر نبيه ﷺ، وأن ذلك من شعائر الحج التي أمر الله بتعظيمها، وأن استلامه مخالف لفعل الجاهلية في عبادتهم الأصنام لأنهم كانوا يعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى، فنبّه عمر على مخالفة هذا الاعتقاد وأنه لا ينبغي أن يعبد إلا من يملك الضرر والنفع وهو الله جلّ جلاله"[(٣)].

ومن حكمة عمر ﷺ أنه نطق بهذا القول أمام هذا الجمع الغفير من الحجاج ليشتهر، فاستغل عمر ﷺ فرصة موسم الحج ليحفظ عنه أهله -من مختلف البلدان- تلك المقالة

---

(١) هو: عابس بن ربيعة النخعي كوفي، مخضرم، حجة. حدث عن: علي، وعمر، وعائشة. انظر السير للذهبي ٤/١٧٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الحج باب ما ذُكر في الحجر الأسود ٢/١٤٩ برقم ١٥٩٧.

(٣) نقله ابن حجر في فتح الباري ٣/٤٦٢.

لتكون أعم في التبليغ وأوقع في القلوب وأشدّ في التحذير. ففي هذا الموقف العظيم إعلان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ براءته من الشرك بالله كعبادة الأحجار والأوثان.

فحقّق عمر ﵁ حماية التوحيد وحرص على تصحيح عقيدة الرعية وإبطال الاعتقادات الشركية صيانة للنفوس الضعيفة.

.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

إن موقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ عظيم الدلالة وكثير الفوائد، وقد كان له آثار جليلة على الأمة، أنبلها ما يلي:

١/ بيان وجوب إثبات الربوبيّة لله وحده لا شريك له، فوضّح عمر بن الخطاب ﷺ للمؤمنين أن الأمور كلّها بيد الله، فهو ربّ العالمين، المعبود بحق، النافع الذي يوصل النفع إلى من يشاء من عباده، الضار الذي يضر من يشاء من خلقه قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨]. أي: "قل لهم بعد ما تبيّن الدليل القاطع على أنه وحده المعبود، وأنه الخالق للمخلوقات، النافع الضار وحده، وأن غيره عاجز من كل وجه عن الخلق والنفع والضر، مستجلباً كفايته، مستدفعاً مكرهم وكيدهم: ﴿ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ أي: عليه يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم ودفع مضارهم"(١).

وبهذا بيّن عمر بن الخطاب ﷺ أن الله هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له والتعظيم والخضوع والخشية لا المخلوقات من الجمادت والأحجار والأشجار والقبور وغير ذلك مما يعبد من دون الله.

٢/ حثّ الأمة الإسلامية على اتباع السنة وحملها على ترك البدع، ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: "ولولا أني رأيت النبيّ ﷺ يقبّلك ما قبّلتك"، فالدافع إلى تقبيل عمر الحجر الأسود لم يكن إلا للتأسي بالرسول ﷺ، لم يفعله رأياً منه أو ابتداعاً، بل تلقى ذلك من المشرّع ﷺ، فالخير كلّه في اتباع السّنة، فقول عمر بن الخطاب درس بليغ وموعظة عظيمة للأمة في وجوب التّأسي بالرّسول الكريم في العبادات والمعاملات، فكان الخلفاء الراشدون وسائر الصّحابة من أشدّ الناس تمسّكاً بهدي النبيّ ﷺ وقد نُقل إلينا آثار كثيرة تفيد اهتمامهم بالسير على ما كان عليه الرسول ﷺ منها:

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للإمام السعدي ص ٧٢٥.

- قول عبد الله بن مسعود ﷺ: "مَن سرّه أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهنّ، فإنّ الله شرع لنبيِّكم سنن الهدى، وإنّهنّ من سنن الهدى، ولو أنكم صلّيتم في بيوتكم كما يصلّي هذا المتخلّف في بيته لتركتم سنة نبيّكم، ولو تركتم سنة نبيّكم لضللتم..."(١).

- وعن عثمان بن حاضر(٢): "دخلتُ على ابن عباس، فقلت: أوصني، فقال: نعم! عليك بتقوى الله والاستقامة، اتَّبع ولا تبتدع"(٣).

- وعن يعلى بن أمية(٤) قال: "طفتُ مع عمر بن الخطاب، فلمّا كنت عند الركن الذي يلي الباب مما يلي الحجر، أخذت بيده ليستلم، فقال: أما طفتَ مع رسول الله؟ قلت: بلى، قال: فهل رأيته يستلمه؟ قلت: لا، قال: فانفذ عنك فإن لك في رسول الله أسوة حسنة"(٥).

فهذا أثر آخر عن عمر ﷺ في الحج، يدل على الحرص بالسير على نهج النبيّ ﷺ واقتفاء آثاره، ولا شكّ أن اتباع أقوال الرسول ﷺ وأفعاله، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه من أهم أسس الشريعة، إذ يُعدّ ذلك أصلاً متيناً من أصول الإسلام، فهو معنى شهادة أن محمداً رسول الله، هو أوّل علامات محبته ﷺ قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد باب صلاة الجماعة من سنن الهدى ٤٥٣/١ برقم ٦٥٤.

(٢) هو: عثمان بن حاضر الحميري ويقال الأزدي، روى عن ابن عباس وابن الزبير وابن عمر وجابر وأنس، قال أبو زرعة: "يماني حميري ثقة". انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ١٠١/٧.

(٣) رواه الدارمي في سننه ١٦١/١.

(٤) هو: يعلى بن أمية بن أبي عبيدة التميمي المكي وهو يعلى بن منية بنت غزوان؛ أخت عتبة بن غزوان. أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه. وشهد: الطائف، وتبوك، بقي إلى قريب الستين. انظر السير للذهبي ١٠٢/٣.

(٥) رواه أحمد في مسنده ٣٦٥/١. قال الشيخ عبد المحسن العبّاد حفظه الله: "إسناد صحيح على شرط مسلم"، انظر تبصير الناسك في أحكام المناسك ص ١٠٣.

قال الحافظ ابن كثير: " هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادّعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمّدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله"(١).

فبهذا الموقف العظيم أرشد عمر بن الخطاب ﷺ إلى التمسّك بما كان عليه النبيّ ﷺ والسير على منهجه القويم والبعد عن كل ما يخالف سنّته ﷺ.

وعمر ﷺ قد علّم الأمة الإسلامية اتباع الرسول ﷺ من غير أن يُشترط فيه إدراك الحكمة في ذلك، بل يجب علينا الانقياد لأمره ﷺ باعتقاد أنه فيه حكمة إلهية ومصلحة للبشرية سواء أن عرفنا الفائدة من التشريع أو جهلناها، وهذا مقتضى العبودية، ثم إن عقول البشر قاصرة وعاجزة عن إدراك حكمة الله ﷻ في كل ما شرع من أحكامه، فلو توقف الانقياد على معرفة الحكمة إذن لتعطّلت أحكام كثيرة، فالواجب المبادرة إلى الامتثال لأمر الرسول ﷺ والتأسي به وإن خفيت علينا الحكمة من ذلك.

قال ابن حجر رحمه الله: "وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين وحسن الأتباع فيما لم يكشف عن معانيها وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبيّ فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه"(٢).

ولهذا استمر عمر بعد موت النبيّ ﷺ في تطبيق سنّة الرمل(٣) الذي أمرهم الرسول به في عمرة القضاء ليُري المشركين قوتهم(٤) فقال عمر ﷺ: "شيء صنعه النبيّ فلا نحب أن نتركه"(٥) وفي رواية: "ما ندع شيئاً، كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ"(٦).

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤٦٧/١.

(٢) فتح الباري ٤٦٣/٣.

(٣) الرمل: هو الإسراع مع مقاربة الخطى، انظر شرح الزركشي على مختصر الخرقي ١٩٢/٣.

(٤) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٢٦٤/٤.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الحج باب الرمل في الحج والعمرة برقم ١٦٠٥.

(٦) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب المناسك باب الرمل حول البيت ص ٥٠٠ برقم ٢٩٥٢.

قال الخطابي[(١)]: "قلت فيه (أي: أثر عمر) من العلم أن متابعة السنن واجبة وإن لم يوقف لها على علل معلومة وأسباب معقولة وأن أعيانها حجة على من بلغته وإن لم يفقه معانيها"[(٢)].

وقد ذكر بعض أهل العلم مثل النووي الحكمة في التقبيل والاستلام فقال النووي: "واعلم أن للبيت أربعة أركان: الركن الأسود والركن اليماني ويقال لهما اليمانيان، وأما الركنان الآخران فيقال لهما الشاميان، فالركن الأسود فيه فضيلتان أحداهما كونه على قواعد إبراهيم ﷺ والثانية كونه فيه الحجر الأسود، وأما اليماني ففيه فضيلة واحدة، وهي كونه على قواعد إبراهيم، وأما الركنان الآخران فليس فيهما شيء من هاتين الفضيلتين، فلهذا خص الحجر الأسود بشيئين الاستلام والتقبيل للفضيلتين، وأما اليماني فيستلمه ولا يقبله لأن فيه فضيلة واحدة، وأما الركنان الآخران فلا يقبلان ولا يستلمان والله أعلم"[(٣)].

٣/ تعليم الأمة أن الأصل في العبادات التوقيف وأن مبناها على الإخلاص والمتابعة فعمر رضي الله عنه لم يقبّل الحجر الأسود إلا لفعل النبيّ ﷺ، فبهذا الموقف وضّح عمر بن الخطاب للأمة أنه لا يشرع من العبادات إلا ما شرعه الله على لسان نبيّه ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "قال الفقهاء: العبادات مبناها على التوقيف كما في الصحيحين عن عمر بن الخطاب أنه قبل الحجر الأسود وقال: "والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك ما قبّلتك"[(٤)]، والله سبحانه أمرنا باتباع الرسول وطاعته، وموالاته ومحبته ﷺ، وأن يكون الله ورسوله أحب إلينا مما سواهما وضمن لنا بطاعته ومحبته محبة الله وكرامته، فلا ينبغي لأحد أن يخرج في هذا عما مضت به السنة وجاءت به الشريعة ودل عليه الكتاب والسنة وكان عليه سلف الأمة، وما علمه قال به

---

(١) هو: الإمام، العلامة، الحافظ، اللغوي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي، الخطابي، صاحب التصانيف من أهل بست (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب أخي عمر بن الخطاب توفي ٣٨٨هـ. انظر السير للذهبي ٢٣/١٧.

(٢) معالم السنن ١٩١/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٧/٩.

(٤) تقدم تخريجه ص ٢٠٠.

وما لم يعلمه أمسك عنه، ولا يقفو ما ليس له به علم ولا يقول على الله ما لم يعلم، فإن الله تعالى قد حرّم ذلك كلّه"(١).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "لا دين إلا ما شرعه الله، فالأصل في العبادات البطلان حتى يقوم دليل على الأمر، والأصل في العقود والمعاملات الصحة حتى يقوم دليل على البطلان والتحريم، والفرق بينهما أن الله سبحانه لا يُعبد إلا بما شرعه على ألسنة رسله، فإنّ العبادة حقُّه على عباده، وحقُّه الذي أحقَّه هو ورضي به وشرعه، وأما العقود والشروط والمعاملات فهي عفو حتى يحرمها، ولهذا نعى الله سبحانه على المشركين مخالفة هذين الأصلين وهو تحريم ما لم يحرمه والتقرب إليه بما لم يشرعه"(٢).

وعلى هذا علّم عمر ﵁ الأمة شرطي قبول الأعمال، وهما الإخلاص والمتابعة، ففي قوله ﵁: "إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع" شرط الإخلاص، لأن النافع والضار هو الله الذي له الكمال في صفاته فاستحق وحده أن يُخلص النية له، وفي قوله ﵁: "ولولا أني رأيت النبيّ ﷺ يقبّلك ما قبّلتك" شرط متابعة الرسول ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "بيَّن عمر ﵁ أنّ العبادات مبناها على متابعة الرسول ﵁، إذ كان دين الإسلام مبنيّاً على أصلين أحدهما: أن لا يعبد إلا الله، لا يشرك به شيئاً، والثاني: أن يعبده بما شرع من الدين، لا يعبده بشرع من شرع من الدين ما لم يأذن به الله، كالذين قال فيهم: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١] فأخبر عمر أنا لم نقبّلك نرجو منفعتك ونخاف مضرّتك، كما كان المشركون يفعلون بأوثانهم، بل نعلم أنك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولو لا أن الرسول قبّلك –وقد أمرنا الله باتباعه، فصار ذلك عبادةً مشروعةً– لما قبّلتك، لسنا كالنصارى والمشركين وأهل البدع الذين يعبدون غير الله بغير إذن الله، بل لا نعبد إلاّ الله بإذن الله، كما قال لنبيّه: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥ – ٤٦].

---

(١) مجموع الفتاوى ١/٣٣٥.

(٢) إعلام الموقعين ٣/١٠٧.

فبيَّن أن رسوله يدعو إليه بما أذن فيه من الشَّرع، لا بما لم يأذن به، كالذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله. "[١]

٤/ توضيح للأمة أن تقبيل الحجر ليس للتبرّك به وإنما لاتباع الرسول ﷺ وتحقيق التعبّد لله، ومن هنا أخطأ من مسح الركنين وقبّل الحجر بقصد التبرّك به، لا لاتباع الرسول ﷺ قال العلامة العثيمين رحمه الله في شرح كتاب التوحيد باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما[٢]: "وحجر: اسم جنس يشمل أي حجر كان حتى الصخرة التي في بيت المقدس، فلا يتبرك بها، وكذا الحجر الأسود لا يتبرك به، وإنما يتعبد لله بمسحه وتقبيله، اتباعاً للرسول ﷺ وبذلك تحصل بركة الثواب، ولهذا قال عمر ﷺ: "إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك، ما قبلتك"[٣]. فتقبيله عبادة محضة خلافاً للعامة، يظنّون أن به بركة حسية، ولذلك إذا استلمه بعض هؤلاء مسح على جميع بدنه تبركاً بذلك"[٤].

وقال أيضاً رحمه الله في باب ما جاء في الرقى والتمائم[٥]: "ومع الأسف، إن بعض الناس اتخذوا من العبادات نوعاً من التبرّك فقط، مثل ما يشاهد من أن بعض الناس يمسح الركن اليماني، ويمسح به وجه الطفل وصدره، وهذا معناه أنهم جعلوا مسح الركن اليماني من باب التبرّك لا التعبّد، وهذا جهل، وقد قال عمر..."[٦]. الأثر.

٥/ تحذير الأمة من التبرّك أو تقبيل أو مسح سائر الأماكن الأخرى التي لم يأذن بها الله كالقبور والأشجار وجدران المسجد النبوي وآثار الأولياء وغير ذلك مما لم يشرع التبرّك به وتقبيله قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "واتفق العلماء على أن من زار قبر النبيّ ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين -الصحابة وأهل البيت وغيرهم- أنه لا يتمسح به ولا يقبله، بل ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقبيلها إلا الحجر الأسود وقد ثبت أن عمر ﷺ

---

(١) جامع المسائل ١٠١/٥.

(٢) كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب (مجموع مؤلفاته) ٣٢/١.

(٣) تقدم تخريجه ص ٢٠٠.

(٤) القول المفيد ١٩٦/١.

(٥) كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب (مجموع مؤلفاته) ٢٩/١.

(٦) القول المفيد ١٨١/١.

قال... الأثر، ولهذا لا يسنّ باتفاق الأئمة أن يقبّل الرجل أو يستلم ركني البيت اللذين يليان الحجر، ولا جدران البيت ولا مقام إبراهيم ولا صخرة بيت المقدس، ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين"[١].

وقد ردّ الصنعاني[٢] رحمه الله في كتابه الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف على أحد الغلاة في الصالحين الذي ادّعى جواز تقبيل توابيت الأولياء وأعتابهم فقال الشيخ: "أقول: التقبيل للجمادات لم يثبت إلا في تقبيل الحجر الأسود، كما أخرجه النسائي من حديث عمر عن ابن عباس قال: "رأيت عمر قبّل الحجر ثلاثاً ثم قال: إنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك"[٣]، فهذا الذي ورد في تقبيل الجماد ولا يقاس على الحجر الأسود غيرها[٤]، لأن تقبيلها لحكمة تختص بها، إذ من شرط القياس الاشتراك في العلّة اتفاقاً، وبهذا يعلم بطلان ما نقله الحافظ ابن حجر في فتح الباري من أنه استنبط بعضهم من تقبيل الحجر الأسود تقبيل كل من يستحق التعظيم[٥]، فإنه استنباطٌ باطلٌ، ولو سلّمنا صحته فقد عارضه مفسدةٌ عظيمةٌ وهي أن تقبيل القبور والأخشاب التي تنحت عليها ويقال لها التوابيت هو بعينه التي كانت تفعله عبّاد الأوثان لأوثانهم وهي من جملة عبادتها، إذ كل تعظيم فهو من العبادة، وتعظيم جماد لا يضر ولا ينفع منهي عنه؛ لأن التعظيم من خاصية المعبود بحق، فلا تعظيم إلا له تعالى

---

(١) مجموع الفتاوى ٧٩/٢٧.

(٢) هو: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير: مجتهد، أصيب بمحن كثيرة من الجهلاء والعوام. له نحو مئة مؤلف، وتوفي بصنعاء ١١٨٢هـ. انظر الأعلام للزركلي ٣٨/٦.

(٣) انظر سنن النسائي في كتاب مناسك الحج باب كيف يُقبل؟ ص ٤٥٤ برقم ٢٩٣٨. قال الألباني: "ضعيف الإسناد"، ولكن قول عمر ثابت في صحيح البخاري كما تقدم.

(٤) قال محقق الكتاب شيخنا أ. د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر: "تكرر عند المصنف هنا وفيما سيأتي إعادة الضمير على الحجر الأسود بضمير التأنيث وهو خطأ". ص ١١١.

(٥) ٤٧٥/٣.

بالعبادة بكل جارحة من الجوارح، ومن أذن لنا بأن نعظّمه من الأحياء من الأنبياء والمرسلين والعلماء العاملين ونحو ذلك"(١).

ومن هذا الباب أورد أثر عمر العلامة حافظ الحكمي(٢) رحمه الله في كتابه معارج القبول تحت الفصل: "من الشرك فعلُ من يتبرك بشجرة أو حجر أو بقعة أو قبر أو نحوها"، فاستدل الشيخ بأثر عمر على بطلان التبرّك بالجمادات وذكر أن هذا نوع من الشرك لا يليق إلا بالعقول السخيفة والأفئدة الضعيفة والقلوب المطبوع عليها والأبصار المغْشيّ عليها، فبيّن أن التبرّك بمثل هذه الأماكن مما يخلّ بالتوحيد(٣).

٦/ في مقالة عمر ﷺ ردّ على الكفّار الذين يوردون شبهة وهي: يقولون: الإسلام ينهى عن عبادة الأوثان والأصنام والأحجار وغير ذلك من الجمادات ثم يأمر بتقبيل الحجر الأسود، بهذا يريدون تشكّيك المسلمين في دينهم وتشويه الإسلام وتنفير الناس منه، ولا شكّ أن قولهم باطل، لأن عمر ﷺ قد بيّن سبب تقبيل المسلمين الحجر وهو التأسي بالرسول ﷺ، لم يكن ذلك لتعظيم الحجر وعبادته، بل كل موحّد يعلم يقيناً أنه لا يضر ولا ينفع، ليس له من خصائص الإله من شيء، فالمسلمون يقبّلونه طاعة واتباعاً لرسولهم ﷺ. ولو كان في استلام الحجر وتقبيله مظاهرة الوثنيين لما شُرع ذلك. فبهذا الموقف كشف عمر عن الأمة بطلان هذه الشبهة، وبيّن لهم سبب تقبيل الحجر.

٧/ بيان للأمة بطلان القول بأن الحجر يمين الله في الأرض، وقد نقل ابن بطال تعليق المهلب(٤) على أثر عمر ﷺ لبيان فساد قول من زعم أن الحجر هو نفس يمين الله فقال المهلب: "حديث عمر هذا يرد قول من قال: إن الحجر يمين الله في الأرض، يصافح بها

---

(١) الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف ص ١١٠-١١١ باختصار.

(٢) هو: العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي أحد علماء المملكة العربية السعودية وهو علم من أعلام منطقة الجنوب وهو من تلاميذ عبد الله القرعاوي، توفي عام ١٣٧٧هـ. انظر الأعلام للزركلي ١٥٩/٢.

(٣) ٦٤٣/٢.

(٤) هو: المهلب بن أحمد بن أبي صفرة أسيد بن عبد الله الأسدي الأندلسي، المريي، مصنف(شرح صحيح البخاري). وكان أحد الأئمة الفصحاء، الموصوفين بالذكاء، توفي عام ٤٣٠هـ. انظر السير للذهبي ٥٧٩/١٧.

عباده، ومعاذ الله أن يكون لله جارحة مجسمة بائنة عن ذاته، وإنما شرع النبيّ ﷺ تقبيله على ما كانت شريعة إبراهيم عليه مع أن معناه التذلّل لله والخضوع، والائتمار لما أمر به على لسان نبيّ من أنبيائه، وليعلم عيانًا ومشاهدة طاعة من أطاع أمره، وعصيان من أبى من امتثاله، وهي شبيهة بقصة إبليس فيما أمر به من السجود لآدم اختباراً له"(١).

يشير المهلب إلى من أخذ بظاهر الحديث الذي رُوي عن النبيّ ﷺ: "الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه وقبّله فكأنما صافح الله وقبل يمينه"(٢). قال ابن الجوزي(٣) رحمه الله: "حديث لا يصح"(٤). وقال الألباني رحمه الله: "منكر"(٥).

وعلى تقدير صحته يُقال كما أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن تدبّر اللفظ المنقول تبيّن له أنه لا إشكال فيه إلا على من لم يتدبّره فإنه قال: "يمين الله في الأرض" فقيّده بقوله "في الأرض" ولم يطلق، فيقول يمين الله وحكم اللفظ المقيّد يخالف حكم اللفظ المطلق. ثم قال: "فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه" ومعلوم أن المشبه غير المشبه به، وهذا صريح في أن المصافح لم يصافح يمين الله أصلاً ولكن شبه بمن يصافح الله، فأوّل الحديث وآخره يبيّن أن الحجر ليس من صفات الله كما هو معلوم عند كل عاقل، ولكن يبيّن أن الله تعالى كما جعل للناس بيتاً يطوفون به، جعل لهم ما يستلمونه، ليكون ذلك بمنزلة تقبيل يد العظماء، فإن ذلك تقريب للمقبل وتكريم له كما جرت العادة والله ورسوله لا يتكلمون بما فيه إضلال الناس، بل لابد من أن يبيّن لهم ما يتقون، فقد بيّن لهم في الحديث ما ينفي من التمثيل"(٦).

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣٢٤/٧.

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل ٣٤٢/١.

(٣) هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف، سمع من أبي الفتح ابن البطي، ويحيى بن ثابت، وأبي زرعة، توفي عام ٥٠٨هـ. انظر السير للذهبي ٣٥٢/٢٢.

(٤) العلل المتناهية ٥٧٥/٢.

(٥) السلسلة الضعيفة ٣٩٠/١.

(٦) مجموع الفتاوى ٣٩٨/٦.

وبهذا حقّق الخليفة الراشد عمر بن الخطاب حماية جناب التوحيد في تفرد الله بالنفع والضر، ووضّح للأمة العقيدة الصحيحة وأرشدهم إلى التأسي بالنبيّ ﷺ.

.

المبحث الرابع:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في تفرد الله بالنصر وهو صانع ذلك. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالنصر وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في تفرد الله بالنصر وهو صانع ذلك.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المطلب الأول: التعريف بالنصر وما يتعلّق به.

النصر في اللغة:

قال ابن فارس: "النون والصاد والراء أصل صحيح يدلّ على إتيان خير وإيتائه. ونصر الله المسلمين: آتاهم الظّفر على عدوّهم، ينصرهم نصراً. وانتصر: انتقم، وهو منه. وأمّا الإتيان فالعرب تقول: نصرت بلد كذا، إذا أتيته.

قال الشاعر(١):

إذا دخل الشهر الحرام فودِّعي بلاد تميم وانصري أرض عامرِ

ولذلك يسمّى المطر نصراً. ونُصرت الأرض، فهي منصورة. والنصر: العطاء"(٢)"(٣).

وقال الفيومي: "نصر: نصرته على عدوّه، ونصرته منه نصراً: أعنته وقوّيته والفاعل ناصر ونصير، وجمعه الأنصار، وانتصرت من زيد: انتقمت منه"(٤).

وقال الفيروزآبادي: "نصره: نجّاه وخلّصه"(٥).

وفي الحديث: "انصر أخاك ظالماً، أو مظلوماً"(٦). وتفسيره أن يمنعه من الظلم إن وجده ظالماً، وإن كان مظلوماً أعانه على ظالمه(٧).

وعلى هذا يكون مراد نصرة الله المسلمين: آتى الله المسلمين الظفر على أعدائهم، وأعانهم وقوّاهم ونجّاهم، وخلّصهم من الإعتداء والظلم.

---

(١) عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميري، أبو جندل شاعر من فحول المحدثين. كان من جلة قومه ومن كبار الشعراء، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل. ومن أهل باديه البصرة، توفي عام ٩٠هـ. انظر السير للذهبي ٥٩٧/٤.

(٢) انظر ديوان الراعي ص ١٣٣.

(٣) مقاييس اللغة ٤٣٥/٥.

(٤) المصباح المنير ص ٤٩٧.

(٥) القاموس المحيط ص ٤٨٣.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المظالم باب أعن أخاك ظالما أو مظلوما ١٢٨/٣ برقم ٢٤٤٣.

(٧) انظر لسان العرب لابن منظور ٢٦٩/١٤.

وقد جاءت في القرآن آيات كثيرة تقرّر أن النصر من الله وحده لا من غيره، هو الله الذي يمنّ على عباد المؤمنين بالظفر على أعدائهم ويتولّى نصرهم ويمكّنهم في الأرض، فهو وحده الذي يتكفّل بتأييد أوليائه والدفاع عنهم قال الله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٠٧] وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٦] وقال: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

قال العلامة السعدي رحمه الله: "إن يمددكم الله بنصره ومعونته ﴿ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ فلو اجتمع عليكم من في أقطارها وما عندهم من العدد والعُدد، لأن الله لا مغالب له، وقد قهر العباد وأخذ بنواصيهم، فلا تتحرك دابة إلا بإذنه، ولا تسكن إلا بإذنه، ﴿ وَإِن يَخْذُلْكُمْ ﴾ ويكلكم إلى أنفسكم ﴿ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ فلابد أن تنخذلوا ولو أعانكم جميع الخلق. وفي ضمن ذلك الأمر بالاستنصار بالله والاعتماد عليه، والبراءة من الحول والقوة، ولهذا قال: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ بتقديم المعمول يؤذن بالحصر، أي: على الله توكلوا لا على غيره، لأنه قد علم أنه هو الناصر وحده، فالاعتماد عليه توحيد محصل للمقصود، والاعتماد على غيره شرك غير نافع لصاحبه، بل ضار"(١).

وينبغي للمسلم أن يعلم أن الله جعل الإيمان والطاعة شرطاً يترتب عليه النصر، وعد الله تأييده لمن قام بحقوقه واتبع رسوله الكريم ﷺ، فمن نصر الله بتحقيق التوحيد وأطاع النبيّ ﷺ بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه كان من المنصورين قال الله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧] وقال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: "هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبّت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٥٤.

ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره"(١).

وفي المقابل من كان على معصية الله والرسول ﷺ خذله الله وربما سلّط عليه عدوّه، فالذنوب سبب من أسباب الهزيمة قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "فإذا ضعف الإيمان صار لعدوهم عليهم من السبيل بحسب ما نقص من إيمانهم، فهم جعلوا لهم عليهم السبيل بما تركوه من طاعة الله تعالى، فالمؤمن عزيز عال مؤيد منصور مكْفِيٌّ مدفوع عنه بالذات أين كان ولو اجتمع عليه من بأقطارها إذا قام بحقيقة الإيمان وواجباته ظاهراً وباطناً وقد قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٥] فهذا الضمان إنما هو بإيمانهم وأعمالهم التي هي جند من جنود الله يحفظهم بها، ولا يفردها عنهم ويقتطعها عنهم، فيبطلها عليهم كما يَتِر الكافرين والمنافقين أعمالهم إذ كانت لغيره ولم تكن موافقة لأمره"(٢).

فمن حقق التوحيد محبةً وخوفاً ورجاءً وتوكلاً وخشوعاً وإنابةً مع تجريد المتابعة للرسول ﷺ تولاه الله بالنصر على الأعداء وتكفل بحفظه من كيدهم، فلا ناصر إلا الله ولا يطلب النصر إلا منه.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٧٨٥.

(٢) إغاثة اللهفان ٢/٩٢٧.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في تفرد الله بالنصر وهو صانع ذلك.

٤- عن الحسن[١] قال: قال عمر رضي الله عنه لما بلغه قول خالد بن الوليد: "لأنزعنَّ خالداً، ولأنزعنّ المثنَّى حتى يعلما أن الله ينصر دينه، ليس إياهما"[٢].

٥- عن ابن سيرين قال: لما وُلّي عمر قال: "والله لأنزعنّ خالداً حتى يعلم أن الله ينصر دينه"[٣].

٦- عن عدي بن سهل[٤] قال: "كتب عمر في الأمصار إني لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة، ولكن الناس فتنوا به فخشيت أن يوكلوا إليه ويبتلوا، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع وأن لا يكونوا بعرض فتنة"[٥].

٧- عن زيد بن أسلم[١] عن أبيه قال: "لما أتى أبو عبيدة[٢] الشام حصر هو وأصحابه وأصابهم جهد شديد، قال: فكتب إلى عمر رضي الله عنه، فكتب إليه عمر: سلام عليك، أما بعد، فإنه لم تكن شدّة إلا جعل الله بعدها مخرجا، ولن يغلب عسر يسرين، وكتب إليه:

(١) هو: العلامة الإمام الحسن البصري: ابن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، تابعي، عظمت هيبته في القلوب، فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة، توفي عام ١١٠. انظر السير للذهبي ٥٦٣/٤.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات ٢٨٤/٣ وابن أبي شيبة في مصنفه ٣٩/١٣ والبلاذري أنساب الأشراف ص ٢٠٠ وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٢٧/٢ قال ابن سعد: "أخبرنا عفان بن مسلم قال: أخبرنا حماد بن زيد قال: أخبرنا أيوب عن محمد بن سيرين عن عمر. . . الاثر". قال الشيخ د. عبد السلام بن محسن آل عيسى: "حسن لغيره". انظر دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب ٧٣٢/٢.

(٣) رواه ابن عبد البر في الاستيعاب ٧٩٤/٢ والذهبي في السير ٣٧٨/١.

(٤) سهل بن عدي بن مالك بن حرام بن خديج بن معاوية الخزرجي. انظر الإصابة لابن حجر ٢٠٣/٣.

(٥) رواه الطبري في تاريخه ٤٩٢/٢ وابن كثير في البداية والنهاية ٩٣/٧.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] قال: فكتب إليه أبو عبيدة: سلام، أما بعد، فإن الله تبارك قال: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ ﴾[الحديد: ٢٠] إلى آخر الآية، قال: فخرج عمر ﵁ بكتاب أبي عبيدة فقرأه على الناس، فقال: يا أهل المدينة، إنما كتب أبو عبيدة يعرض بكم ويحثّكم على الجهاد، قال زيد: فقال أبي: وإني لقائم في السوق إذ أقبل قوم مبيضين قد اطلعوا من الثنية(٣) فيهم حذيفة بن اليمان يبشرون الناس، قال: فخرجت أشتد حتى دخلت على عمر فقلت: يا أمير المؤمنين، أبشر بنصر الله والفتح، فقال عمر: الله أكبر ربّ قائل: لو كان خالد بن الوليد"(٤).

فإن عزل عمر خالداً لم يكن لعداوة أو حقد بينهما، كلا، وإنما عزم عمر ﵁ على هذا القرار لتحقيق مصلحة عظيمة عامة وهي: حماية جناب التوحيد، لأن عمر ﵁ أمير المؤمنين أحسّ من بعض الأفراد أنهم قد علّقوا النصر بشخصية خالد ﵁، فخشي عمر افتتان الناس به بحيث يعتقدون أن النصر على الأعداء مقترن بخالد ﵁، فيضعف توكّلهم على الله أو ربما

---

(١) هو: زيد بن أسلم الإمام الحجة القدوة أبو عبد الله العدوي العمري المدني الفقيه. حدث عن والده أسلم مولى عمر، وعن عبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وكان له حلقة للعلم في مسجد رسول الله ﷺ، توفي عام ١٣٦هـ. انظر السير للذهبي ٣١٦/٥.

(٢) هو: أبو عبيدة بن الجراح عامر بن عبد الله بن الجراح بن القرشي الفهري المكي. أحد السابقين الأوّلين، ومن عزم الصديق على توليته الخلافة، وأشار به يوم السقيفة، لكمال أهليته عند أبي بكر، أحد من المبشرين بالجنة، توفي عام ١٧هـ. انظر السير للذهبي ٥/١.

(٣) الثنية: هي المسلك بين جبلين: جاءت في خبر انهزام مالك بن عوف يوم حنين، هي ثنية تسلك من رأس حنين، وهي إحدى الثنايا المتقدمة، وتسمى الثنية بلا إضافة، ولا زال هذا اسمها اليوم. انظر المعالم الجغرافية الواردة في السّيرة النبوية للبلادي ص٦٥.

(٤) رواه ابن أبي شيبة ٣٣٥/٥ قال: "حدثنا وكيع، حدثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه...أثر". رجال إسناده ثقات سوى هشام بن سعد صدوق له أوهام، يروي عن زيد بن أسلم، وهو من أثبت الناس فيه، فالأثر صحيح. انظر دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب للشيخ د. عبد السلام آل عيسى ١٠٩١/٢ وجامع الآثار القولية والفعلية الصحيحة لأمير المؤمنين عمر لعاطف بن حماد ص٢٥٠.

يصل الأمر إلى الشرك بالله، فأراد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أن يسدّ الذرائع بتعليم الناس أن النصر من الله، يجريه على يد من يشاء من عباده، وأنه يجب الاعتماد على الربّ لأنه هو الصانع لذلك، فأوجب عمر ﷺ خالداً أن يُسلّم قيادة الجيش لأبي عبيدة ﷺ ليُري الناس خلاف ما وقر في صدورهم، وهذا يدل على شدّة حرصه على منافحة التوحيد.

وهذا يتفق تماماً بما عُرف عن عمر بن الخطاب ﷺ من تربية الرعية على العقيدة الصحيحة، وحثّهم على التعلّق بالله والاعتماد عليه والإخلاص واحتساب الأجر وأخذ الأسباب لتحقيق النصر، ومن ذلك ما كتبه عمر ﷺ إلى سعد فقال له: "أما بعد فتعاهد قلبك وحادث جندك بالموعظة والنية والحسبة، ومن غفل فليحدثهما والصبر الصبر، فإن المعونة تأتي من الله على قدر النية، والأجر قدر الحسبة، والحذر الحذر على ما أنت عليه وما أنت بسبيله، واسألوا الله العافية، وأكثروا من قول لا حول ولا قوّة إلا بالله، واكتب إليَّ أين بلغ جمعكم، ومن رأسهم الذي يلي مصادمتكم؟ فإنه قد منعني من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمي بما هجمتم عليه، والذي استقرّ عليه أمر عدوّكم، فصف لنا منازل المسلمين، والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأنّي أنظر إليها، واجعلني من أمركم على الجيلة وخف الله وارجه، ولا تُدِل بشيء، واعلم أن الله قد وعدكم، وتوكل لهذا الأمر بما لا تُخلف له، فاحذر أن تصرفه عنك، ويستبدل بكم غيركم"(١). فهذه تذكرة عظيمة من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ببعض مقامات التوحيد وأسباب النصر المعنوية.

فالحاصل أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ عزل خالداً(٢) ليعلّم الناس أن الله هو الناصر الصانع.

---

(١) رواه الطبري في تاريخ الأمم الملوك ٣٨٧/٢.

(٢) لم يُرو عن خالد ﷺ أنه خرج عن طاعة الأمير عمر ﷺ امتثالا لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء: ٥٩] بل عمل تحت إمارة أبي عبيدة ولم يختلف عليه مرة واحدة، رواه ابن أبي شيبة (في مصنفه ٣٩/١٣) عن عزرة بن قيس البجلي: "أن عمر بن الخطاب لما عزل خالد بن الوليد واستعمل أبا عبيدة على الشام، قام خالد، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن أمير المؤمنين استعملني على الشام، حتى إذا كانت بَثَنِية (حنطة منسوبة إلى بلد بالشام، معجم البلدان لياقوت الحموي ٣٣٨/١) وعسلا عزلني وآثر بها غيري، قال: فقام رجل من الناس من

.

٨- عن عياض الأشعري[١] أن عمر قال: "إذا كان قتال فعليكم أبو عبيدة، قال: فكتبنا إليه إنه قد جاش إلينا الموت، واستمددناه، فكتب إلينا: إنه قد جاءني كتابكم تستمِدّوني، وإني أدلكم على من هو أعز نصراً وأحضر جُنداً: الله ﷻ فاستنصروه، فإن محمداً ﷺ قد نصر يوم بدر في أقل من عدتكم، فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم، ولا تراجعوني، قال: فقاتلناهم فهزمناهم وقتلناهم أربع فراسخ، قال: وأصبنا أموالاً..."[٢].

ففي هذا الأثر دلالة على أن عمر لما رأى ﷺ جيش أبي عبيدة متوفراً فيه الشروط للقتال وأن عددهم كاف رفض أن يستمده وأرشده إلى أن يستنصر بمن نصر محمداً ﷺ يوم بدر في أقل من عدتهم، فأراد عمر بذلك أن يربيهم على التوحيد وأن يقوّي توكلهم على الله حتى يتيقنوا أن النصر من الله.

٩- عن طارق بن شهاب[٣]، قال: لما قدم عمر الشام أتته الجنود وعليه إزار وخفان وعمامة، وهو آخذ برأس بعيره يخوض الماء، فقالوا له: يا أمير المؤمنين، تلقاك الجنود

تحته، فقال: اصبر أيها الأمير فإنها الفتنة، قال: فقال خالد: أما وابن الخطاب حي فلا، ولكن إذا كان الناس بذي بِليّ وذى بِليّ (بذي بلي: معناه تفرق الناس وأن يكونوا طوائف. انظر لسان العرب ١٥٣/٢.)، وحتى يأتي الرجل الأرض يلتمس فيها ما ليس في أرضه، فلا يجده". فخالد سيف الله ﷺ، هذا القائد العظيم بقي في طاعة إمامه رغم عزله، فلم يغضب، بل تقبل القرر بصدر رحب وآثر مصلحة الأمة على مصلحته الخاصة.

(١) هو: عياض بن عمرو عياض بن غنم بن زهير القرشي الفهري أسلم قبل الحديبية وشهدها فيما ذكر الواقدي. انظر الاستيعاب لابن عبد البر ١٢٣٤/٣.

(٢) رواه أحمد في مسنده ٤٢٢/١ قال: "حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك قال: سمعت عياضا الأشعري...الأثر". قال محقق الكتاب شعيب الأرنؤوط: "إسناده حسن" وقال الهيثمي: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح" انظر مجمع الزوائد ٦ /٢٢٣، وقال ابن كثير: "هذا إسناد صحيح". انظر في تفسيره ٥٢٢/١.

(٣) هو: طارق بن شهاب بن عبد شمس بن سلمة الأحمسي البجلي الكوفي. رأى النبيّ ﷺ وغزا في خلافة أبي بكر غير مرة. كان معدوداً من العلماء توفي ٨٢هـ. انظر السير للذهبي ٤٨٦/٣.

وبطارقة[١] الشام، وأنت على هذا الحال، قال: فقال عمر: إنا قوم أعزّنا الله بالإسلام، فلن نلتمس العز بغيره"[٢].

فقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ تلك المقالة العظيمة ذلك عند ذهابه إلى بيت المقدس ليفتحه، فأصحاب عمر ﷺ أرادوا أن يغيروا عليه زيه عند إقباله على بيت المقدس، فزجرهم[٣]، فأجابهم أن النصر لا يُنال بالأمور الظاهرة كالتزيين في اللباس والثياب، والتشبّه بأعداء الدين وإرضائهم باتباع سننهم وموالاتهم وغير ذلك مما ينافي التوحيد، وإنما النصر بأخذ الأسباب الحقيقية كالتمسّك بالإسلام والإيمان والتقوى، فهذا عمر ﷺ يتذكّر أوضاع العرب الشنيعة وما كانوا يعيشونه من الذلّ والاحتقار، ليس لهم قيمة ولا وزن عند الأمم، بل هم تبع لغيرهم، فلمّا استسلموا لله بالتوحيد وأطاعوا الرسول الكريم ﷺ تغيّر حالهم، فكانوا رعاة الغنام فأصبحوا قادة الشعوب وساسة الأمم.

١٠- عن قيس قال: "لما قدم عمر الشام استقبله الناس وهو على بعيره، فقالوا: يا أمير المؤمنين، لو ركبت برذونا[٤]، يلقاك عظماء الناس ووجوههم، فقال عمر: لا أراكم هاهنا، إنما الأمر من هاهنا، وأشار بيده إلى السماء"[٥].

ففي هذا الاثر العظيم بيان عمر بن الخطاب ﷺ للرعية أن النصر يأتي من الذي في السماء سبحانه وتعالى، ففي قوله ﷺ إرشاد الناس إلى التعلّق بالله تحقيقاً لحماية التوحيد.

---

(١) بطارقة جمع بطريق، وهو القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل. انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٨٦٨.

(٢) رواه ابن أبي شيبة ٤١/١٣ والحاكم في المستدرك ٦٢/١. قال ابن أبي شيبة: "حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب. . . الأثر". قال الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين" ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٨٠/١.

(٣) انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ١٣٢/٦.

(٤) البِرذون: من الخيل ما كان من غير نتاج العرب. لسان العرب لابن منظور ٥٨/٢.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤٠/١٣ قال: "حدثنا وكيع عن إسماعيل عن قيس. . . الأثر. قال الذهبي: "إسناده كالشمس" انظر العلو للعلي الغفار ص ٧٧ وقال الألباني: "إسناد صحيح على شرط الشيخين" انظر تحقيق مختصر العلو ص ١٠٣.

١١- عن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ﵁ أنه كان يقول لأصحابه: "لستم تنصرون بكثرة وإنما تنصرون من السماء"(١).

فهذه تذكرة عظيمة من عمر بن الخطاب ﵁ للمسلمين بأن النصر من الله العزيز، فلا ينخدع جنود المسلمين بكثرة عددهم إن قُدّر ذلك، بل الواجب تمام ثقة بالله وتفويض الأمر إليه والتوكّل عليه لأن الله وهو الناصر فلا ينصر عباده غيرُه، فكثرة العدد لا يغني عن المسلمين شيئاً إن لم يكتب الله لهم النصر وخذلهم ولهذا قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "يذكر تعالى للمؤمنين فضله عليهم وإحسانه لديهم في نصره إيّاهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله، وأن ذلك من عنده تعالى، وبتأييده وتقديره، لا بعَددهم ولا بعُددهم، ونبّههم على أن النصر من عنده، سواء قلّ الجمع أو كثر، فإن يوم حنين أعجبتهم كثرتهم، ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئاً فولّوا مدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله ﷺ. ثم أنزل الله نصره وتأييده على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين الذين معه، ليعلّمهم أن النصر من عنده تعالى وحده وبإمداده وإن قلّ الجمع، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين"(٢).

ففي كل هذه الآثار دلالة واضحة على أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حرص أشدّ الحرص على أن يعلّم الرعية أن النصر من الله لا من غيره، وأن يعتمدوا عليه لا على الأسباب صيانة لمقام التوحيد .

---

(١) ذكره الإمام ابن القيم في الجواب الكافي ص ٢٤.

(٢) تفسير القرآن الكريم ٢/ ٤٥١.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

لقد كان لهذه الجهود المباركة آثار عظيمة على الأمة، يمكن تلخيصها فيما يلي:

١/ تربية الأمة الإسلامية على توحيد الله والعقيدة الصحيحة وذلك من وجهين:

- **الأوّل**: حثّ الأمة على التعلّق بالله وتفويض الأمر إليه والاعتماد بالقلب عليه وحده لا شريك له، لا على الأسباب الظاهرة المشروعة، ففي هذه الجهود المباركة إرشاد الأمة إلى التوكّل على الله والثقة به مع تمام الإيمان أن جميع الأمور بيد الله، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فهو المدبّر المتصرّف في الكون، فالملك كلّه لله العلوي والسفلي وما فيهما، فلا حول ولا قوّة بالله، ولهذا يجب على العباد إفراد الله وحده بالعبادة وإخلاص الدين له ومن ذلك الاستعانة والاستغاثة والاستنصار به والتوكّل عليه وسائر العبادات القولية والقلبية والفعلية.

- **الثاني**: بيان للأمة أن النصر من الله وإرشادها إلى أسباب التمكين، فبهذه الجهود المباركة وضّح عمر بن الخطاب ﷺ للأمة أن النصر من الله النصير، يجريه على يد من يشاء من عباده، فالمنصور من نصر الله والمخذول من خذله الله، فلا فتح ولا منجى ولا ملجأ إلا إلى الله، ولا فرج ولا مخرج من المصائب والبلايا إلا بالرجوع إليه، فمواقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ تكشف للأمة وجوب الاستنصار بالذي نصر رسولنا محمداً ﷺ يوم بدر كما أرشد عمر بن الخطاب أبا عبيدة إلى ذلك، وهذا من سنن الأنبياء والرسل فكانوا كلّهم يستنصرون بالله لأنهم أكمل الناس توحيداً وأعظمهم توكّلاً على الله قال نوح ﷺ: ﴿ **قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ** ﴾ [المؤمنون: ٢٦] وقال لوط ﷺ: ﴿ **قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٣٠] وفي دعاء خاتم الأنبياء ﷺ: ﴿ **أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقد أورد الحافظ ابن كثير قصة عمر مع أبي عبيدة رضي الله عنهما في تفسيره عند قول الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

فقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يوم بدر وكان في جمعة وافق السابع عشر من شهر رمضان، من سنة اثنتين من الهجرة، وهو يوم الفرقان الذي أعزّ الله فيه الإسلام وأهله، ودمغَ

فيه الشرك وخرَّب محِله وحزبه، هذا مع قلة عدد المسلمين يومئذ، فإنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً فيهم فرسان وسبعُون بعِيراً، والباقون مُشاة، ليس معهم من العَدَد جميع ما يحتاجون إليه، وكان العدوّ يومئذ ما بين التسعمائة إلى الألف في سوابغ الحديد والبَيض، والعدة الكاملة والخيول المسومة والحلي الزائد، فأعزّ الله رسوله، وأظهر وحيه وتنزيله، وبيّض وجه النبيّ ﷺ وقبيله، وأخزى الشيطان وجيله، ولهذا قال تعالى مُمتناً على عباده المؤمنين وحزبه المتقين: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ أي: قليل عددكم ليعلموا أن النصر إنما هو من عند الله، لا بكثرة العَدَد والعُدَد"[١].

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله: "إنا قوم أعزّنا الله بالإسلام، فلن نلتمس العز بغيره"[٢] علّم وأرشد الأمة إلى أسباب النصر الحقيقية وتأييده على الأعداء وهي: التوحيد والإيمان والتمسّك بالدين، فوضّح للمسلمين أنه متى نصروا الله بالقيام بدينه وفعل الأوامر وترك النواهي ثبّت الله أقدامهم وربط على قلوبهم ونصرهم على أعدائهم نصراً مؤزّراً، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥] ففي هذه الآية العظيمة وعد الله عباده الصالحين إن وحّدوا ربهم بالعبادة وابتعدوا عن الشرك على اختلاف أنواعه أن يستخلفهم في الأرض، يكونوا هم الخلفاء فيها والحاكمين في العباد، وأنه يمكّن لهم دينهم الإسلام الذي ارتضى لهم، فيُظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون.

ولما كان تحقيق التوحيد شرطاً أساسياً للتمكين في الأرض والنصر على الأعداء في الجهاد في سبيل الله أنكر الرسول ﷺ وهو في المسير إلى قتال المشركين في غزوة حنين[٣] على بعض الرجال مرافقين له كانوا حديثي عهد بالكفر، فهولاء رأوا المشركين يعلّقون أسلحتهم

---

(١) تفسير القرآن الكريم ٥٢١/١.

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٢٠.

(٣) حنين تصغير حن، وهو واد من أودية مكة، يقع شرقها بقرابة ثلاثين كيلا. انظر المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية للبلادي ص ٢٦٧.

على شجرة يُقال لها ذات أنواط[(١)]، طلباً للبركة، فظنّوا أن هذا العمل سائغ فقالوا: "يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال النبيّ ﷺ: "سبحان الله هذا كما قال قوم موسى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ [الأعراف: ١٣٨] والذي نفسي بيده لتركبنّ سنة من كان قبلكم"[(٢)].

فليُتأمّل عظم شأن هذا الحديث، فإنه لم يمنع رسولَ الله ﷺ جدةُ إسلام هؤلاء الصحابة الكرام ﵃ من أن ينكر عليهم كلمةً قد تفضي إلى شرك مع أنهم ما قصدوا ذلك قط، ولم يمنع النبيّ ﷺ كونه خارجاً بهذه العصبة الطيّبة لمجاهدة الكفّار الخُلّص أن يسكت عن هذا الخطأ العقديّ، لأنه لو سكت عنه لتعثّر الجهاد، وأحاط به الخذلان من كل جانب، لأنّ الحفيظ النصير لا يرضى أن يزاحم في حقه الذي هو أن يُعبد وحده لا شريك له، فهذا الحديث يدلّ على أهمية شرط التوحيد للنصر على الأعداء[(٣)].

فيجب على الأمة أن تعلم أنه لا يُنال النصر والرفعة إلا بالتمسّك بالدين، لا بالتشبّه بالكفّار وتقليدهم في عاداتهم ولباسهم، فالله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى أجسادنا وصورنا ولا إلى زينا ولكن إلى قلوبنا وأعمالنا[(٤)]، هل حققنا التوحيد وأطعنا الرسول ﷺ؟ فلا عبرة بحسن الظاهر، فالمسلمون ليسوا في حاجة إلى شيء من تقاليد المشركين وسننهم أو إرضائهم، ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٣٩] بل عليهم أن يلتمسوا العزَّة والمنعة والنصرة من عند الله الذي له العزّة، الذي يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

---

(١) أنواط جمع نوط من المنوط، فهي شجرة يناط بها السلاح فسميت ذات أنواط. انظر تيسير العزيز الحميد للعلامة سليمان بن عبد الله ص ١١٨.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الفتن باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم ص ٤٩٣ برقم ٢١٨٠. صححه الشيخ الألباني.

(٣) انظر السبيل إلى العز والتمكين لعبد المالك رمضاني ص ٤٥.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب القناعة ص ٦٨٩ برقم ٤١٤٣.

ولهذا لما قدم عمر ﷺ الشام على بعير والناس يستقبلونه وقيل له: يا أمير المؤمنين، لو ركبت برذونا، يلقاك عظماء الناس ووجوههم، أجابهم: "لا أراكم هاهنا، إنما الأمر من هاهنا، وأشار بيده إلى السماء"(١). فعلّم عمر رضي الله عنه الأمة أن النصر يأتي من الذي في السماء سبحانه وتعالى لا من غيره ولو كثر عدد الجنود وعدتهم.

فتلك الكلمات من عمر درس بليغ وموعظة عظيمة للمسلمين، فإذا كان الله لا ينصر عباده إلا الذين حققوا التوحيد واستقاموا على دينه فلا يُستغرب من حال الأمة اليوم وما تعيشه من الذلّ والصغار، وما أصابتها من محن وضعف، كيف ينصر الله المسلمين وقد انتشر فيهم الشرك والبدع؟! ، فمنهم من يستغيث بصاحب قبر ويسجد له! ومنهم من تعلّق قلبه بحجر أو شجرة! ومنهم من يقسم بالنبيّ ﷺ ويدعوه باعتقاد أن النصر منه! ومنهم من يزور السحرة والكهّان، ومنهم من تعلّق بتمائم وغير ذلك مما يضاد التوحيد وينافيه، فهل هذا هو الإسلام الذي أعز الله به عمر وبقية الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ومن بعدهم؟، والله ليس بظلام للعبيد.

فالمسلمون اليوم حُرموا التمكين والنصر بما قدّمت أيديهم وما هم واقعون فيه من الشرك والبدع ومعصية الرسول ﷺ، إنّ تسلّط الكفّار على المسلمين ليس راجعاً إلى الإسلام، وإنما راجع لضعف إيمان المسلمين وعدم تطبيقهم الشريعة، فالواجب على الأمة الإسلامية العودة إلى الدين، بأن يتمسّكوا بالكتاب والسنة، وأن يعتقدوا أن النصر من الله، يوالوا في الله ويعادوا فيه، ولا يعجبوا بأهل الكفر ولا يقلّدوهم، فمتى حقّقوا التوحيد واقتدوا بنبيّهم ﷺ كتب الله لهم النصر على الأعداء والرفعة والتمكين في الأرض، فالرابطة الحقيقية بين المسلمين هي رابطة العقيدة، وكما قال الإمام مالك رحمه الله: "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أوّلها"(٢)، فإذا ابتغى المسلمون العزّة والنصر بما ابتغاهما سلفهم الصالح وسلكوا طريقتهم كشف الله عنهم ضرّهم إن شاء الله. أسأل الله العزيز النصير أن يعزّ الإسلام والمسلمين وأن يمكّنهم في الأرض وأسأله أن يذلّ الشرك والمشركين.

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٢٠.

(٢) ذكره القاضي عياض في الشفا ٢/ ٨٨ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الثابت المنقول عنه بأسانيد الثقات في كتب أصحابه". انظر مجموع الفتاوى ١/ ٣٥٣.

.

٣/ تعليم الأمة صفة العلو لله تعالى، فيستفاد من قول عمر بن الخطاب ﷺ: "لا أراكم هاهنا، إنما الأمر من هاهنا، وأشار بيده إلى السماء"(١) وقوله ﷺ: "إنما تنصرون من السماء"(٢) أن الله في السماء، فهو عليٌّ بذاته قد استوى على عرشه وعلا على جميع الخلق والكائنات، وهذا ثابت بالكتاب والسنة وقد تنوّعت دلالتهما على ذلك(٣):

– فتارة بالإخبار والتصريح بأن الله في السماء وفوق الخلق ومستوي على عرشه كقول الله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ [الملك: ١٦] وقوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾ [النحل: ٥٠] وقول الله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]. وقال الرسول ﷺ: "ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء"(٤).

– وتارة بإخبار صعود الأشياء إلى الله وعروجها ورفعها إليه كقول الله تعالى: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠] وقول الله تعالى: ﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ ﴾ [المعارج: ٤] وقول الله تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ ﴾ [النساء: ١٥٨]. وقال الرسول ﷺ: "يرفع إليه عمل الليل بالنهار وعمل النهار بالليل"(٥).

– وتارة بإخبار نزول الأشياء من الله كقول الله تعالى: ﴿ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الواقعة: ٨٠]. وقال الرسول ﷺ: "ينزل ربّنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر"(٦). وغير ذلك من الأدلة على إثبات صفة العلو لله ﷻ.

فالحاصل أن الربّ المعبود فوق السماوات ليس في كل مكان كما يدّعيه أهل البدع من الصوفية وغيرهم، ففي جهود عمر بن الخطاب ﷺ ردّ عليهم وإبطال القول بوحدة الوجود.

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٢٠.

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٢١.

(٣) انظر مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم ٥٢/١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي باب بعث علي بن أبي طالب ١٦٣/٥ برقم ٤٣٥١.

(٥) رواه أحمد في مسنده ٣٩٥/٤.

(٦) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل ٥٢/٢ برقم ١١٤٥.

وقد استدل العلماء بقول عمر ﷺ: "لا أراكم هاهنا، إنما الأمر من هاهنا، وأشار بيده إلى السماء"(١) على وجوب الاعتقاد أن الله في السماء وليس في كل مكان ومن ذلك:

- إيراد ابن قدامة(٢) رحمه الله هذا الأثر في كتابه إثبات صفة العلو(٣).

- وكذلك أورد ابن القيم هذا الأثر في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة(٤) والجهمية للرد على نفاة صفة العلو لله(٥).

- وذكره حافظ الحكمي في كتابه معارج القبول لإثبات صفة العلو(٦).

وبهذا العرض يتبيّن أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ حقق حماية جناب التوحيد في تفرد الله بالنصر، فعلّم الأمة أنه لا نصر ولا تأييد إلا من الله سبحانه تعالى، فيجب اعتماد القلب عليه والتفويض الأمر إليه، فلا منجى ولا ملجأ إلا إليه.

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢٢٠.

(٢) هو: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، ثم الدمشقي، شيخ الإسلام، ولد بجماعيل، وهي قرية بجبل نابلس بفلسطين، توفي عام ٦٢٠هـ. ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢٨١/٣.

(٣) إثبات صفة العلو لابن قدامة ص ١٤٩.

(٤) المعطلة النافية الذين ينكرون صفات الله عز وجل التي وصف بها نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، ويكذبون بالأخبار الصحاح التي جاءت عن رسول الله ﷺ في الصفات ويتأولونها بآرائهم المنكوسة على موافقة ما اعتقدوا من الضلالة وينسبون رواتها إلى التشبيه. انظر الحجة في بيان المحجة للتيمي ٢٠٢/١.

(٥) ص ١٦٤.

(٦) ٢٢٢/١.

المبحث الخامس:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب القضاء والقدر .

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالقضاء والقدر وما يتعلّق بهما .

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب القضاء والقدر .

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المطلب الأول: التعريف بالقضاء والقدر وما يتعلّق بهما.

القدر لغة: قال ابن فارس: "قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها"(١). وقال ابن منظور: "وقدر الشيء بالشيء يقدره قدراً"(٢).

القضاء لغة:

قال ابن فارس: "القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدلّ على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته، قال الله: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت: ١٢]. "(٣)

وقال ابن منظور: "قضى يقضي قضاء فهو قاضٍ إذا حكم وفصل. وقضى الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه"(٤).

القدر في الشرع:

قال النووي رحمه الله: "إن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى"(٥). فالقدر هو تقدير الله الأشياء في الأزل أن يكون في خلقه.

والقضاء في الشرع:

قال الشيخ العثيمين رحمه الله: "فهو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير، وعلى هذا يكون التقدير سابقاً"(٦).

وعلى هذا يقال أن القدر سابق للقضاء، وقد ضرب الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله مثالاً يوضّح ذلك فقال: "القضاء والقدر بمنزلة الثوب الذي يقدّره الخياط، فهو قبل أن

---

(١) مقاييس اللغة ٦٢/٥.

(٢) لسان العرب ٣٧/١٢.

(٣) مقاييس اللغة ٩٩/٥.

(٤) لسان العرب ١٣١/١٢.

(٥) شرح صحيح مسلم ١٠٩/٢.

(٦) شرح العقيدة الواسطية ١٨٨/٢.

يفصّله يقدّره، ويزيد ويوسّع ويضيّق، وإذا فصّله فقد قضاه ولا يمكنه أن يزيد أو ينقص، وذلك مثل القضاء والقدر"(١).

وبين القضاء والقدر تلازم "فلا ينفك أحدُهما عن الآخر لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدْم البناء ونقضه"(٢).

وقد يطلق القضاء على القدر والعكس فيشمل أحدهما معنى الآخر، فكلمتا القضاء والقدر إن اجتمعتا افترقتا، وإن افترقتا اجتمعتا، فإذا قيل: هذا قدر الله، فهو شامل للقضاء، أما إذا ذكرا جميعاً، فلكل واحد منهما معنى.

حكم القدر ومنزلته من الدين:

إن الإيمان بالقدر له منزلة عالية ومكانة سامية في الدين إذ هو أصل من أصوله، وركن من أركان الإيمان الستة التي ذُكرت في حديث جبريل المشهور فقال الرسول ﷺ: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"(٣).

فلا يصح إيمان العبد إلا بتحقيقه، فلو عظمت طاعات الإنسان وكثرت أعماله الصالحات مخلصاً لله ما قُبل منه صرفاً ولا عدلاً حتى يؤمن بهذا الركن، ولهذا لما قيل لابن عمر رضي الله عنه: "أبا عبد الرحمن! إنّه قد ظهر قِبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفَّرون العلم، -وذكر من شأنهم-، وأنّهم يزعمون أن لا قدر وأنّ الأمر أنف(٤)، قال ابن عمر رضي الله عنه: "فإذا لقيت أولئك فأخبرْهم أنّي بريء منهم، وأنّهم بُرآء منّي، والذي يحلف به عبد الله بن عمر! لو أنّ لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر"(٥) ثم ساق حديث عمر رضي الله عنه المشهور بحديث جبريل ليستدل به على الإيمان بالقدر.

---

(١) أضواء على طريق الدعوة ص١٧.

(٢) النهاية لابن الأثير ٢/٤٦٧.

(٣) تقدم تخريجه ص ٨٠.

(٤) أنف: مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه. انظر شرح صحيح مسلم للنووي ٢/١١١.

(٥) المصدر نفسه.

وقد تظافرت نصوص الكتاب والسنة وإجماع السلف على إثبات القدر ووجوب الإيمان به فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨].

قال الإمام البغوي رحمه الله: "قضاءً مقضياً كائناً ماضياً"(١).

وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: "يستدل بهذه الآية الكريمة أئمةُ السنة على إثبات قَدَر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها"(٢).

ومن السنة قوله ﷺ: "قدّر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة"(٣). أي: "أمر الله القلم أن يُثبت في اللوح ما سيوجد من الخلائق ذاتاً وصفة وفعلاً وخيراً وشراً على ما تعلقت به إرادته"(٤).

وعن طاوس أنه قال: أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر، قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: "كل شيء بقدر حتى العجز والكَيْس(٥) أو الكيس والعجز"(٦).

قال النووي: "وقد تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى، وقد أكثر العلماء من التصنيف فيه"(٧).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "ومذهب السلف قاطبة أن الأمور كلّها بتقدير الله تعالى"(١).

---

(١) معالم التنزيل للبغوي ٣٥٨/٦.

(٢) تفسير القرآن ٣٣٩/٤.

(٣) رواه الترمذي في سننه في كتاب القدر باب ١٨ (بدون عنوان) ص ٤٨٧برقم ٢١٥٦. صححه الألباني.

(٤) تحفة الأحوذي للمباركفوري ٣٧٠/٦.

(٥) ضد العجز وهو النشاط والحذق بالأمور. انظر شرح صحيح مسلم للنووي ٤٢١/١٦.

(٦) رواه مسلم في صحيحه في كتاب القدر باب كل شيء بقدر ٢٠٤٥/٤ برقم ٢٦٥٥.

(٧) شرح صحيح مسلم ١١٠/١.

مراتب القدر:

إن الإيمان بالقدر يتضمن تصديق أربعة أمور وهي مراتب القدر، فلا يُعدّ الإنسان مؤمناً حتى يؤمن بها، فمن كفر بإحداها كفر بالقدر:

المرتبة الأولى: العلم السابق، فيجب الإيمان بأن الله تعالى علم كل شيء قبل كونه جملة وتفصيلاً، ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون(٢).

ومن الأدلة على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] وقول الله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

المرتبة الثانية: الكتابة، فيجب الإيمان بأن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل الأشياء قبل كونها، فما من شيء يُحدث في الكون إلا قد كتبه الله قبل حدوثه(٣).

ومن الأدلة آية سورة الأنعام المذكورة سابقا وقول الرسول ﷺ: "أوّل ما خلق الله تبارك وتعالى القلم ثم قال له: اكتب قال: وما أكتب قال: فاكتب ما يكون وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة"(٤).

المرتبة الثالثة: المشيئة، فما من شيء في الكون إلا وهو كائن بإرادة الله ومشيئته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكون(٥).

---

(١) فتح الباري ٤٨٧/١١.

(٢) انظر شفاء العليل لابن القيم ٣٢٥/١.

(٣) المصدر نفسه ٣٢٥/١.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ٣٨١/٣٧. قال محقق الكتاب الشيخ شعيب الأرنؤوط: "حديث صحيح".

(٥) انظر شفاء العليل لابن القيم ٣٩٩/١.

وقد دل على هذه المرتبة قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] وقول الله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨ – ٢٩].

المرتبة الرابعة: الخلق، فيجب الإيمان بأن الله خالق كل شيء، فهو سبحانه تعالى مالكه ومدبّره قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[الزمر: ٦٢]، حتى فعل المخلوق مخلوق لله، لأن فعل المخلوق من صفاته، وهو وصفاته مخلوقان[١].

وبهذا يتبيّن أن الإيمان بالقدر ومراتبه من تمام الإيمان بتوحيد الربوبيّة لأن القدر من أفعال الله، فلا يمكن للعبد أن يحقق التوحيد بعدم تصديق هذا الأصل ولهذا قال ابن عباس: "الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن وحّد وكذّب بالقدر فقد نقض التوحيد"[٢].

وقد لخّص شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عقيدة أهل السنة والجماعة في القدر فقال: "أصل هذه المسألة أن يعلم الإنسان أن مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان: وهو أن الله خالق كل شيء وربّه ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد، وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه، بل هو قادر على كل شيء، ولا يشاء شيئاً إلا وهو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في هذا أفعال العباد وغيرها، وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم: قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم، وكتب ذلك وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء وقدرته على كل شيء ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون"[٣].

---

(١) انظر شفاء العليل لابن القيم ٢/٤٤٩.

(٢) تقدم تخريجه ص٨٨.

(٣) مجموع الفتاوى ٨/٤٤٩.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب القضاء والقدر.

١٢- عن ابن أبزي[(١)] قال: أتي عمر فقيل له: إن ناساً يتكلّمون في القدر فقام خطيباً فقال: "يا أيها الناس إنما هلك من كان قبلكم في القدر، والذي نفس عمر بيده لا أسمع برجلين تكلّما فيه إلا ضربت أعناقهما. قال: فاحجم الناس فما تكلّم فيه أحد حتى ظهرت نابغة الشام"[(٢)].

ففي هذا الاثر تحذير شديد من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ من الخوض في القدر والتنازع فيه وكثرة السؤال عنه مع إخبار الرعية أن هذا المسلك سبب من أسباب ضلال الأمم السابقة وسبيل من سبل الهلاك، فنهاهم عمر ﷺ عن البحث عن تفاصيل القدر لما فيه من المنافاة للإيمان به ولما قد يؤدّي هذا الأمر إلى تكذيبه، فلذلك هدّد عمر الرعية وزجرهم ومنعهم من هذا المسلك صيانة لعقيدة التوحيد.

وقد رُوي عن النبيّ ﷺ النهي عن التنازع في القدر فعن أبي هريرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى أحمر وجهه حتى كأنما فُقِئ في وجنتيه[(٣)] الرمان، فقال: "أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا

(١) هو: عبد الرحمن بن أبزي الخزاعي، له صحبة سكن الكوفة، واستعمله علي على خراسان. انظر الإصابة لابن حجر ٤/٢٨٢.

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٢/٣١٠ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤/٧٣٦ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ١/٣٥١ قال: "أخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن بن علي الماردي، أنا أبو حسن محمد بن علي بن أحمد السيرافي، نا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يعقوب المتوثي، نا أبو داود سليمان بن الأشعث، نا أحمد بن يونس، نا يعقوب يعني القمي عن جعفر قال ابن أبزي. . . الأثر".

(٣) أي: شق، أو عصر (في وجنتيه) أي: خديه (حب الرمان) : فهو كناية عن مزيد حمرة وجهه المنبئة عن مزيد غضبه، وإنما غضب. انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للهروي ١/١٧٥.

الأمر، عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه"(١). فبيّن النبيّ ﷺ أن سبب هلاك الناس قبلنا هو الاختلاف في القدر.

وكذلك قال النبيّ ﷺ: "إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا"(٢).

١٣- عن عبد الملك بن هارون بن عنترة(٣) عن أبيه عن جده قال: "أتى رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: أخبرني عن القدر؟ فقال: طريق مظلم فلا تسلكه، قال: أخبرني عن القدر، قال: بحر عميق فلا تلجه، قال: أخبرني عن القدر، قال: سر الله فلا تكلفه..."(٤).

فكذلك في هذا الأثر العظيم دلالة على نهي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الرعية عن الخوض في القدر، فوضّح علي رضي الله عنه لهذا السائل أنه لا يجوز البحث عنه بطريق العقل، بل يكفيه أن يؤمن بالقدر كما أخبر الله سبحانه وتعالى وكما أخبر النبيّ ﷺ دون التكلّف بالخوض فيه والدخول في التفاصيل، لأن قدر الله سر من أسرار الله، فلا قدرة للعبد على فهمه، لذلك لم يطلع الله عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً، لا يدرك بجدال ولا يشفي منه مقال(٥)، وأن من سلك هذا المسلك المنافي للتوحيد فتح على نفسه باب الهلاك والشكّوك والأوهام، ففي هذا الموقف حماية للتوحيد.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب القدر باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر ص ٤٨١ برقم ٢١٣٣. وحسنه الشيخ الألباني.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١١٦/٢. وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ٧٥/١.

(٣) انظر تخريج الأثر.

(٤) رواه الآجري في الشريعة ٨٤٤/٢ وابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ١٤٠/٢ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٦٩٥/٤ وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٨٢/٥١ قال الآجري: "حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: نا أيوب شيخ لنا قال: نا إسماعيل بن عمرو البجلي قال: نا عبد الملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن جده. . . الأثر". إسماعيل بن عمر البلخي الكوفي ضعفه أبو حاتم في الجرح والتعديل ١٩٠/٢.

(٥) انظر التمهيد لابن عبد البر ١٣/٦.

١٤- عن عبد الله بن عبد الرحمن[١] عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: "ذكر عنده القدر يوماً فأدخل أصبعيه السبابة والوسطى في فيه فرقم بهما باطن يديه فقال: أشهد أن هاتين الرقمتين كانتا في أم الكتاب"[٢].

ففي هذا الأثر العظيم تعليم الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ مرتبة الكتابة، وهي إحدى مراتب القدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقدر، فبيّن علي بن أبي طالب ﷺ أنه يجب الإيمان بأن الله كتب في اللوح المحفوظ جميع مقادير الخلق، من أوّلهم إلى آخرهم، فعلم الله كل شيء وكتبه قبل إيجاده. فبهذا الموقف أرشد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ الرعية إلى الاعتقاد الصحيح صيانة للتوحيد.

١٥- عن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: "القدر قدرة الله ﷻ، فمن كذب بالقدر فقد جحد قدرة الله ﷻ"[٣].

ففي هذا الأثر بيان عظيم من الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ للرعية في وحوب تصديق القدر وما يلزم من الإيمان بصفات الله كالقدرة، فالله هو المقدّر لكل ما هو كائن، فعلم كل شيء وكتبه وخلقه بمشيئته، فمن آمن بقدرة الله، وأن الله على كل شيء قدير، فقد صدّق بالقدر، والعكس بالعكس، فمن كذّب بقدرة الله فقد كذّب بالقدر. فقول عمر بن الخطاب ﷺ عظيم الدلالة، فيه تعليم عقيدة التوحيد وتحقيق لحمايته.

(١) هو: عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك الأنصاري من أهل المدينة. انظر الثقات لابن حبان ٣/٧.

(٢) رواه عبد الله في السنة ٤٣٢/٢ والآجري في الشريعة ٨٤٤/٢ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٧٣٧/٤. قال عبد الله: "حدثني أبي نا هاشم بن القاسم نا عبد العزيز يعني ابن أبي سلمة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن علي. . . الأثر".

(٣) رواه ابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ١٣١/٢ قال: "حدثني أبو يوسف يعقوب بن يوسف قال: حدثنا أبو بكر محمد ابن سعيد المروزي قال: حدثنا محمد بن عبد الله قال: حدثنا يحيى بن حبيب قال: حدثنا المعتمر بن سليمان قال: حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير عن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب. . . الأثر".

.

وقد رُوي عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال: "القدر قدرة الله"(١). قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "استحسن ابن عقيل(٢) هذا الكلام جداً وقال: هذا يدل على دقة علم أحمد وتبحره في معرفة أصول الدين. وهو كما قال أبو الوفاء(٣): فإن إنكار القدر إنكار لقدرة الربّ على خلق أعمال العباد وكتابها وتقديرها "(٤).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "واستحسن ابن عقيل هذا الكلام من أحمد غاية الاستحسان وقال إنه شفى بهذه الكلمة وأفصح بها عن حقيقة القدر"(٥).

١٦- عن عبد الله بن الحارث بن نوفل(٦) قال: "خطب عمر بن الخطاب ﷺ بالجابية(٧) فتشهد ثم قال: من يُضلل الله فلا هادي له وكان الجاثليق(٨) بين يديه ثم قال: لا إن الله لا يُضلّ أحداً فقال عمر ﷺ: ما يقول؟ فكرهوا أن يخبروه ثم عاد فقال: من يضلل الله فلا هادي له، فنفض الجاثليق ثوبه ينكر ما يقول عمر قال: إن الله لا يضلّ أحداً مرتين أو ثلاثاً، فقال عمر ﷺ: ما يقول؟ قالوا: يا أمير المؤمنين يزعم أن الله لا يضلّ أحداً، فقال عمر ﷺ: كذبت يا عدو الله، بل الله خلقك والله يضلك ثم يميتك فيدخلك النار إن شاء الله، أما والله لولا وَلْث(٩) عهد لك لضربت عنقك، إن الله خلق الخلق وقال حين خلق آدم

---

(١) رواه الخلال في السنة ٥٤٤/٣ وذكره الإمام ابن القيم في شفاء العليل ٣١٨/١.

(٢) هو: علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي الظفري، كنيته أبو الوفاء، الحنبلي المتكلم، شيخ الحنابلة، صاحب التصانيف، كان يسكن الظفرية، وافق المعتزلة في عدة بدع، توفي عام ٥١٣هـ. انظر السير للذهبي ٤٤٧/١٩.

(٣) أي: ابن عقيل.

(٤) شفاء العليل ٣١٨/١.

(٥) طريق الهجرتين ص ٨٣.

(٦) هو: عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب القرشي الهاشمي وأمه هند بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ولد على عهد رسول الله ﷺ فأتى به رسول الله ﷺ فحنكه. انظر الاستيعاب لابن عبد البر ٨٨٥/٣.

(٧) قرية من قرى دمشق، بها تل يسمى تل الجابية. انظر آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني ٦٩/١.

(٨) رئيس للنصارى في بلاد الإسلام ويكون تحت يد بطريق أنطاكية. انظر القاموس المحيط ص ٨٧١.

(٩) عقد العهد بين القوم أو عقد ليس بمحكم ولا مؤكد. انظر لسان العرب لابن منظور ٢٧٤/١٦.

ونثر ذريته في يده وكتب أهل الجنة وما هم عاملون وكتب أهل النار وما هم عاملون ثم قال: "هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه" فتفرق الناس وما يختلف في القدر اثنان، ولقد كان من الناس من قبل ذلك من ينطق فيه". (١)

ففي هذا الأثر إنكار شديد من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الجاثليق تكذيب إضلال الله من يشاء من عباده سبحانه وتعالى، فبهذا الموقف بيّن عمر بن الخطاب رضي الله عنه للرعية فساد قوله، وأثبت لهم أن الهدى والإضلال من أفعاله وقدره حماية لجناب التوحيد وإبطالاً لما ادّعاه الجاثليق.

وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على أن الهداية والإضلال من الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٨] وقال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [المدثر: ٣١].

وفي حديث القدسي عن أبي ذر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً، فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم. . . "(٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يقول: "اللّهمّ إني أسألك الهدى والتُقى والعفاف والغنى"(٣).

وقال الطحاوي رحمه الله: "يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلاً. ويضل من يشاء، ويخذل ويبتلي عدلاً"(٤).

---

(١) رواه عبد الله في السنة ٤٢٣/٢ والآجري في الشريعة ٨٣٩/٢ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٧٢٩/٤ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٢٩٠/١١ وأبو القاسم التيمي في الحجة في بيان الحجة ٦١/٢ قال عبد الله: "حدثني أبي نا إسماعيل أنا خالد الحذاء عن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر القرشي عن عبد الله بن الحارث الهاشمي قال خطب عمر. . . الأثر".

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والأدب باب تحريم الظلم ١٩٩٤/٤ برقم ٢٥٧٧.

(٣) المصدر نفسه في كتاب الذكر باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٢٠٨٧/٤ برقم ٢٧٢١.

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٢٢٤/١.

١٧- عن هشام بن عروة[١] عن أبيه أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب ﷺ: "أعطاك من لا يمنّ ولا يحرم. قال ﷺ: كذبت بل الله يمنّ عليك بالإيمان ويحرم الكافر الجنة"[٢].

فكذلك في هذا الأثر إنكار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ على الرجل التكذيب بأن الله يمنّ على من يشاء بما يشاء ويحرم على من يشاء ما يشاء، فبيّن عمر بن الخطاب ﷺ أن كل شيء بتدبير الله ومشيئته سبحانه وتعالى، حتى إيمان العبد وعدم دخوله الجنة لا يخرج عن إرادة الله وقدرته، ففي هذا الموقف بيان عمر ﷺ العقيدة الصحيحة في القدر تحقيقاً لحماية التوحيد.

١٨- عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج إلى الشام حتى إذا كان بسَرْغ[٣] لقيه أُمراءُ الأجناد أبو عبيدة بن الجرّاح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام، قال ابن عباس: فقال عمر ادع لي المهاجرين الأوّلين فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا فقال بعضهم: قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ، ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادعوا لي الأنصار فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان فقالوا: نرى أن ترجع بالناس، ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس إني مُصبِّح على ظهر[٤] فأصبِحوا عليه، فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم

(١) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد أبو المنذر المديني، توفي عام ١٤٥هـ. انظر الجرح والتعديل لأبي حاتم ٦٣/٩. قال ابن حبان في الثقات: "وكان حافظا متقنا ورعا فاضلا" ٥٠٢/٥.

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ١٣١/٢ قال: "حدثنا أبو علي محمد بن يوسف قال: حدثنا عبد الرحمن بن خلف الضبي قال: حدثنا حجاج بن منهال قال: حدثنا حماد عن هشام بن عروة عن أبيه. . . الأثر".

(٣) سرغ بفتح أوله وسكون ثانيه ثم غين معجمة سروغ الكرم قضبانه الرطبة الواحد سرغ بالغين والعين لغة فيه، وهو أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك من منازل حاج الشام. انظر معجم البلدان لياقوت ٢١٢/٣.

(٤) مصبح على ظهر أي: على رحيل، راجع إلى وطني. انظر فتح الباري لابن حجر ١٥٢/١.

نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطتْ وادياً له عُدوتان، إحداهما خَصِبة والأخرى جَدْبة، أليس إن رعيتَ الخصبة رعيتَها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال فجاء: عبد الرحمن بن عوف، وكان متغيباً في بعض حاجته فقال: إن عندي في هذا علماً سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه"، قال: فحمد الله عمر رضي الله عنه ثم انصرف"(١).

ففي هذا الأثر العظيم بيان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه مفهوم القدر وإيضاح كيفية الإيمان به كالأخذ بالأسباب وعدم الاتكال على أقدار الله، ولهذا لما قيل لعمر أمير المؤمنين رضي الله عنه أنّهم سيقدمون على الوباء عزم بالرجوع وقال: "نفر من القدر إلى القدر" أي: إن سفرنا وما وقع في الشام بقدر الله، ورجوعنا بقدر الله، ثم ضرب عمر رضي الله عنه مثالاً فقال رضي الله عنه: "أرأيت لو كان لك إبل هبطتْ وادياً له عُدوتان، إحداهما خَصِبة والأخرى جَدْبة، أليس إن رعيتَ الخصبة رعيتَها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ ". أي: أرأيت لو كان لك إبل فهبطت وادياً له شعبتان إحداهما (خصبة) ذات نبات وأعشاب والأخرى (جدبة) مقحطة ليس فيها شيء، أليس إن رعيت الخصبة فبقدر الله، وإن رعيت الجدبة فبقدر الله(٢).

قال الحافظ ابن حجر: "والمراد أن هجوم المرء على ما يهلكه منهي عنه، ولو فعل لكان من قدر الله، وتجنبه ما يؤذيه مشروع وقد يقدر الله وقوعه فيما فر منه، فلو فعله أو تركه لكان من قدر الله، فهما مقامان مقام التوكّل ومقام التمسّك بالأسباب، ومحصل قول عمر رضي الله عنه نفر من قدر الله إلى قدر الله أنه أراد أنه لم يفر من قدر الله حقيقة وذلك أن الذي فر منه أمر خاف على نفسه منه فلم يهجم عليه، والذي فر إليه أمر لا يخاف على نفسه إلا الأمر الذي لابّد من وقوعه سواء كان ظاعناً أو مقيماً، فالحاصل أن عمر أراد بالرجوع ترك الإلقاء إلى التهلكة، فهو كمن أراد الدخول إلى دار فرأى بها مثلاً حريقاً تعذر طفؤه فعدل عن دخولها لئلا يصيبه، فعدل عمر لذلك، ففي هذا الحديث جواز رجوع من أراد دخول

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون ١٣٠/٧ برقم ٥٧٢٩.

(٢) انظر النهاية لابن الأثير ٢٣٨/١ وشرح رياض الصالحين للعثيمين ٤٤٤/٤.

بلدة فعلم أن بها الطاعون، وأن ذلك ليس من الطيرة، وإنما هي من منع الإلقاء إلى التهلكة أو سد الذريعة"(١).

فعمر رضي الله عنه أخذ بالأسباب الواقية، فامتنع أن يقدم على أرض الوباء تحرزاً من الضرر على الأنفس الذي قد يترتب على ذلك، وقد وفّق عمر رضي الله عنه إلى الصواب، فكان اجتهاده مطابقاً للسنة قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: "إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه"(٢)، فاجتهاد عمر يُعتبر من موافقاته للحق، ولهذا حمد الله على التوفيق إلى الصواب، فعمل عمر رضي الله عنه وأصحابه بمقتضى هذا الحديث.

فالحاصل أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وضّح لأصحابه بعض الحقائق والمعاني المتعلّقة بالإيمان بالقدر ومقتضاه، وأثبت لهم أن العمل والأخذ بالأسباب لا ينافي التصديق بالقدر، بل هو منه، ففي هذا الأثر تحقيق لحماية جناب التوحيد ببيان مفهوم القدر.

١٩- عن ابن عمر رضي الله عنه قال: "جاء رجل إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال: أرأيت الزنا بقدر؟ قال: نعم قال: فإن الله قدره عليّ ثم يعذبني؟ قال: نعم يا ابن اللخنا(٣)، أما والله لو كان عندي إنسان أمرت أن يجأ أنفك"(٤).

٢٠- عن الحسن: "أن عمر بن الخطاب أتي بسارق فقطع يده فقال رضي الله عنه: ما حملك على هذا؟ قال: القدر. فضربه أربعين سوطاً ثم قال: قطعت يدك لسرقتك وضربتك لفريتك على الله"(٥).

ففي هذين الأثرين دلالة على إنكار الخليفتين الراشدين الاحتجاج بالقدر على المعاصي. فبيّن الخليفتان الراشدان بطلان هذا الاستدلال، وأن هذا الأمر ليس بسائغ في

---

(١) فتح الباري ١٠/١٨٥-١٨٧ باختصار.

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٤٠.

(٣) اللَّخَنُ: نتن الريح عامة. انظر لسان العرب لابن منظور ١٣/١٨٧.

(٤) اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤/٧٣٤ برقم ١٢٠٥.

(٥) رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي ٤/٢٣٩ قال: "أنا محمد بن أبي القاسم الأزرق، أنا عثمان بن أحمد الدقاق، نا سهل بن أحمد الواسطي، قال: قال أبو حفص عمرو بن علي سمعت عمرا الأنماطي يقول: أتيت حمادا المالكي فسمعته يقول: نا الحسن. . . الأثر".

الدين ولا يتّفق بمفهوم القدر وحقائقه، بل الإنسان سيُحاسَب على ذنوبه ويُسأل عن أعماله. فهذان الموقفان يدلان على تمام حمايتهم للتوحيد في باب القدر.

والاحتجاج بالقدر على الذنوب والمعاصي شبهة من قديم الزمان، فقد احتجّ المشركون في عهد الرسول ﷺ بالقدر على شركهم فقالوا: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله في شرح الطحاوية: "أنكر عليهم معارضة شرعه وأمره الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه بقضائه وقدره، فجعلوا المشيئة العامة دافعة للأمر، فلم يذكروا المشيئة على جهة التوحيد، وإنما ذكروها معارضين بها لأمره، دافعين بها لشرعه، كفعل الزنادقة، والجهّال إذا أمروا أو نهوا احتجّوا بالقدر. وقد احتجّ سارق على عمر رضي الله عنه بالقدر، فقال: وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره. يشهد لذلك قوله تعالى في الآية: ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [الأنعام: ١٤٨] فعلم أن مرادهم التكذيب، فهو من قبل الفعل، من أين له أن الله لم يقدره؟ أطّلع الغيب؟! "(١).

٢١- عن إسحاق بن الحارث من بني هاشم وذكر عنده القدرية(٢) فقال الهاشمي: أعظك بما وعظ به علي بن أبي طالب رضي الله عنه صاحباً له، فقال: إنه قد بلغني أنك تقول بقول

(١) شرح الطحاوية ٢٢٢/١.

(٢) القدرية: هم الذين يقولون أن الأمر أنف لم يسبق قدر ولا علم، فنفوا علم الله السابق للأشياء، وأوّل ما قال بهذا سوسن (سوسن وقيل سنسويه: يونس الأسواري أوّل من تكلم بالقدر وكان بالبصرة فأخذ عنه معبد الجهني ذكره الكعبي في طبقات المعتزلة وذكر أنه كان يلقب سيبويه. انظر لسان الميزان لابن حجر ٥٧٩/٨) قال الإمام الأوزاعي رحمه الله: "أوّل من نطق في القدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانيا فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني (معبد الجهني البصري كان أوّل من تكلم بالبصرة في القدر، انظر التاريخ الكبير للبخاري ٣٩٩/٧) وأخذ غيلان (غيلان بن أبي غيلان القدري الدمشقي المقتول في القدر ضال مسكين حدث عنه يعقوب بن عتبة وهو غيلان بن مسلم كان من بلغاء الكتاب. انظر لسان الميزان ٣١٤/٦) عن معبد" رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة

.

أهل القدر، قال: إنما أقول: إني أقدر على أن أصلي وأصوم وأحج وأعتمر، قال علي: أرأيت الذي تقدر عليه أشيء تملكه مع الله أم شيء تملكه من دونه؟ قال: فارتج الرجل، فقال علي ﷺ: ما لك لا تتكلم أما لئن زعمت أن ذلك شيء تملكه مع الله عز وجل، فقد جعلت مع الله مالكاً وشريكاً، ولئن كان شيئاً تملكه من دون الله، لقد جعلت من دون الله مالكاً، قال الرجل: قد كان هذا من رأيي وأنا أتوب إلى الله عز وجل منه توبة نصوحاً لا أرجع إليه أبداً"(١).

ففي هذا الأثر بيان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ لذلك الرجل أن جميع أفعال العباد مخلوقة لله، فكلّها واقعة بمشيئة الله وقدرته سبحانه وتعالى، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وقد دلّت النصوص على أن للعباد إرادة ومشيئة وقدرة، فهم فاعلون ولكن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله، فالله سبحانه وتعالى خالق كل مخلوق وصفاته وأفعاله قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦] وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩]. وقال النبيّ: ﷺ"إن الله خالق كل صانع وصنعته"(٢).

قال الإمام ابن القيم رمه الله: "فحركاتهم واعتقاداتهم أفعال لهم حقيقة وهي مفعولة لله سبحانه مخلوقة له حقيقة، والذي قام بالربّ ﷻ علمه وقدرته ومشيئته وتكوينه، والذي قام بهم هو فعلهم وكسبهم وحركاتهم وسكناتهم، فهم المسلمون المصلون القائمون القاعدون حقيقة، وهو سبحانه هو المقِدر لهم على ذلك، القادر عليه، الذي شاءه منهم وخلقه لهم ومشيئتهم وفعلهم بعد مشيئته، فما يشاؤون إلا أن يشاء الله وما يفعلون إلا أن يشاء الله"(٣).

والجماعة ٨٢٧/٤. والمعتزلة قدرية لقولهم أن العبد هو الذي يخلق أفعاله استقلالاً. انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١١٩.

(١) رواه ابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ١٤٠/٢ قال: "حدثنا أبو القاسم علي بن يعقوب بن شاكر بن أبي العقب الدمشقي بدمشق قال حدثنا محمد بن حزيم قال حدثنا هشام بن عمار قال: حدثنا أنس يعني ابن عياض قال حدثنا عمر بن سلام عن إسحاق ابن الحار. . . الأثر".

(٢) أخرجه الحاكم ٨٥/١ وقال: "صحيح على شرط مسلم" ووافقه الذهبي.

(٣) شفاء العليل ٤٦٣/٢.

فالحاصل أن علي بن أبي طالب ﷺ بيّن أصلاً كبيراً من الإيمان بالقدر تحقيقاً صيانة التوحيد.

٢٢- عن سلامة الكندي[١] قال: قال شيخ لعلي بن أبي طالب ﷺ عند منصرفه من الشام: أخبرنا يا أمير المؤمنين عن مسيرنا إلى الشام أبقضاء من الله وقدر أم غيرهما؟ قال علي ﷺ: والذي خلق الحبة وبرأ النسمة ما علوتم تلة[٢] ولا هبطتم وادياً إلا بقضاء من الله وقدره، قال الشيخ: عند الله أحتسب عنائي وإليه أشكّو خيبة رجائي ما أجد لي من الأجر شيئاً، قال: بلى قد أعظم الله لكم الأجر على مسيركم وأنتم سائرون وعلى مقامكم وأنتم مقيمون وما وضعتم قدماً ولا رفعتم أخرى إلا وقد كتب الله لكم أجراً عظيماً، قال الشيخ: كيف يا أمير المؤمنين والقضاء والقدر ساقانا وعنهما وردنا وصدرنا؟ فقال علي ﷺ: أيها الشيخ لعلك ظننته قضاء جبراً وقدراً قسراً، لو كان ذلك كذلك لبطل الأمر والنهي والوعد والوعيد وبطل الثواب والعقاب ولم يكن المحسن أولى بمثوبة الإحسان من المسيء ولا المسيء أولى بعقوبة الإسائة من المحسن. قال الشيخ فما قضاء والقدر؟ قال علي ﷺ: العلم السابق في اللوح المحفوظ والرق المنثور بكل ما كان وبما هو كائن، وبتوفيق الله ومعونته لمن اجتباه بولايته وطاعته وبخذلان الله وتخليته لمن أراد له وأحب شقاه بمعصيته ومخالفته، فلا تحسبن غير ذلك فتوافق مقالة الشيطان وعبدة الأوثان وقدرية هذه الأمة ومجوسها ثم إن الله عز وجل أمر تحذيراً ونهى تخبيراً ولم يطع غالباً ولم يعص مغلوباً ولم يك في الخلق شيء حدث في علمه، فمن أحسن فتوفيق الله ورحمته ومن أساء فبخذلان الله وأساءته هلك، لا الذي أحسن استغنى عن توفيق الله ولا الذي أساء عليه ولا استبد بشيء يخرج به عن قدرته ثم لم يرسل

---

(١) هو: سلامة الكندي شيخ يروى عن على بن أبي طالب روى عنه نوح بن قيس الطاحى. انظر الثقات لابن حبان ٣٤٣/٤.

(٢) وفي رواية عن ابن عساكر تلعة، وهي مسايل الماء من علو إلى أسفل وقيل هو من الأضداد يقع على ما انحدر من الأرض وأشرف منها. انظر النهاية لابن الأثير ١٩٣/١.

الرسل باطلاً ولم يُر الآيات والعزائم عبثاً، ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [ص: ٢٧] [(١)].

ففي هذا الأثر بيان الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ للشيخ أن العبد ليس بمجبور على أفعاله وحركاته، بل العبد فاعل حقيقة، له مشيئة واختيار على أفعاله بعد مشيئة الله قال الله تعالى في كتابه: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ففي هذه الآية إثبات الله تعالى للعبد فعلاً وكسباً، والكسب هو الذي يعود على فاعله منه نفعٌ وضررٌ[(٢)].

وقال الله تعالى: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨] ففي هذه الآية أسند الله عمل الخير والشر إلى العبد، فدلّ على أنه من كسبه، وأنه سبحانه سيجازيه به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما جمهور أهل السنة المتبعون للسلف والأئمة فيقولون إن فعل العبد فعل له حقيقة ولكنه مخلوق لله ومفعول لله لا يقولون هو نفس فعل الله ويفرقون بين الخلق والمخلوق والفعل والمفعول"[(٣)].

فالحاصل أن علي بن أبي طالب وضّح للشيخ أصلاً من أصول الإيمان بالقدر تحقيقاً لحماية التوحيد.

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ١٤١/٢ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥١١/٤٢ قال ابن بطة: "حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار النحوي قال: حدثنا أبي قال: حدثنا القاسم بن يزيد الهمداني حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا نوح بن قيس قال: حدثنا سلامة الكندي قال: قال شيخ لعلي. . . الأثر".

(٢) انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز ٦٧٣/٢.

(٣) منهاج السنة ١٧٧/٢.

.

٢٣- عن عمرو بن ميمون(١) قال: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول حين طعن: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨](٢).

ففي هذا الأثر يظهر أن عمر ﷺ تلا هذه الآية الكريمة ليعلّم من حوله وجوب الإيمان بالقدر، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، يعلّم الناس الصبر على أقدار الله وعدم الجزع عند المصائب وغير ذلك مما يُعدّ من منافيات التوحيد ومنقّصاته.

٢٤- عن ميسرة(٣) عن علي ﷺ قال: "إن أحدكم لن يخلص الإيمان إلى قلبه حتى يستقر يقيناً غير ظن أنه ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه ويقر بالقدر كلّه"(٤).

ففي هذا الاثر بيان علي بن أبي طالب ﷺ للرعية أن الإيمان لا يتم للعبد حتى يعلم يقيناً أن ما وقع عليه بقدر الله فلا يمكن دفعه، وما لم يحصل له بقدر الله فلا يمكن جلبه، فالأمر كلّه بيد الله، فلا شيء في الوجود إلا بمشيئة الله وقدرته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. ففي هذه الموعظة العظيمة إرشاد الرعية إلى الإيمان بالقدر ومقتضاه تحقيقاً للتوحيد وصيانته.

---

(١) هو: عمرو بن ميمون الأودي المذحجي الكوفي، الإمام الحجة، أبو عبد الله، أدرك الجاهلية، وأسلم في الأيام النبوية وقدم الشام مع معاذ بن جبل، ثم سكن الكوفة، توفي ٧٥هـ. انظر السير للذهبي ١٥٨/٤.

(٢) رواه عبد الله في السنة ٤٠٩/٢ وابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ١٣٢/٢ قال عبد الله: "حدثني أبي نا يحيى بن حماد أنا أبو عوانة عن رقبة عن أبي صخرة عن عمرو بن ميمون. . . الأثر". قال محقق كتاب السنة الشيخ د. محمد بن سعيد القحطاني: "رجاله ثقات".

(٣) ميسرة بن عبد ربه الفارسي، ثم البصري، الأكول. انظر السير للذهبي ١٦٤/٨.

(٤) رواه ابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٥٨/٢ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٧٣٨/٤ وجاء عن النبيّ ﷺ حديث قريب من هذا المعنى فعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه". رواه الترمذي في سننه في كتاب القدر باب ما جاء في الإيمان بالقدر ص ٤٨٤ برقم ٢١٤٤. قال الألباني: "صحيح".

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

إن جهود الخلفاء الراشدين في باب القضاء والقدر من أجلّ أعمالهم وأعظمها في حماية جناب التوحيد، وصيانة العقيدة الصحيحة، ولا شكّ أن لهذه الجهود المباركة أهمية عظيمة في العديد من المسائل وآثاراً نبيلة على الأمة الإسلامية، يمكن تلخيصها فيما يلي:

١/ إيضاح مفهوم الإيمان بالقدر وبيان منزلته السامية من الإسلام وأهمية العمل بمقتضاه، فقد علّم الخلفاء الراشدون ﷺ الأمة وجوب التصديق بالقدر ووضّحوا لهم الكثير من الحقائق والمعاني التي لابدّ من معرفتها لتحقيق هذا الركن الإيماني، ومن ذلك الإيمان بأن جميع الأمور واقعة بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة في الدنيا والآخرة، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فهو خالق كل شيء، حتى أفعال العباد داخلة في صنعه سبحانه وتعالى، فلا يكون في ملكه إلا ما يريد، فالله على كل شيء قدير، فالقدر قدرة الله ﷻ، فبهذه الجهود المبارك بيّن الخلفاء الراشدون ﷺ للأمة أن من كذّب بالقدر فقد جحد قدرة الله ﷻ ويلزم من ذلك نفي الربوبيّة لأن من لم يكن قادراً على كل شيء لا يستحق أن يكون ربّاً، فأثبتوا للمؤمنين أن القدر من أفعال الله، وهو أصل عظيم من أصول العقيدة، فمن جحد هذا الركن جحد التوحيد.

٢/ كشف عن الأمة بطلان عقيدة أهل البدع من المعتزلة والجبرية الذين انحرفوا انحرافاً شديداً في باب القدر، ففي جهود الخلفاء الراشدين ﷺ إبطال لما هم عليه من العقيدة الفاسدة وردٌّ على كلتا الطائفتين:

– **أما الجبرية الجهمية**، فهؤلاء أثبتوا القدر ولكن غلوا فيه حيث نفوا أن يكون هناك للعبد اختيار وقدرة في أفعاله وتصرفه، فزعموا أن العبد مجبور ليس له مشيئة ولا إرادة، لا يقدر على شيء، فهو كالريش في مهب الريح، فأسندوا فعل العبد إلى الله ونفوا الفعل حقيقة عن العبد، وأوّل من ادّعى ذلك جهم بن صفوان، ذكر الإمام أبو الحسن الأشعري أن جهم بن صفوان هذا قال: "لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده وأنه هو الفاعل، وأن الناس إنما تُنسب إليهم أفعالهم على المجاز كما يقال: تحركت الشجرة ودار الفلك وزالت الشمس، وإنما

فعل ذلك بالشجرة والفلك والشمس الله"(١). فهذه الطائفة ترى أن أفعال العبد وتركه كالأكل والشرب والنوم واليقظة والطاعة والمعصية كلّها من غير اختيار العبد(٢).

- **أما القدرية المعتزلة** فقالوا إن للعبد اختياراً ومشيئة في عمله، وغلوا في ذلك حتى نفوا أن يكون لله تعالى في عمل العبد مشيئة أو خلق، فأفعال العباد عندهم غير مخلوقة لله وإنما هم المحدثون لها من دونه، فحركات العبد وأعماله خيراً كانت أو شراً كلّها واقعة باختياره التام وقدرته التامة، وليس لله تعالى في ذلك مشيئة ولا خلق(٣).

قال القاضي عبد الجبار(٤) -وهو من أئمة القدرية-: "اتفق كل أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم، وقيامهم وقعودهم، حادثة من جهتهم، وأن الله ﷻ أقدرهم على ذلك، ولا فاعل لها، ولا محدث سواهم، وأن من قال: إن الله سبحانه خالقها ومحدثها، فقد عظم خطؤه"(٥).

وقد توسّط أهل السنة والجماعة بين هذين المذهبين الضالَين، فيثبتون القدر ويعتقدون أن فعل العبد مخلوق ويُنسب إليه وله مشيئة ولكنها ليست مستقلّة، بل هي مخلوقة لله وتابع لمشيئة الله.

وقد أورد العلماء جهود الخلفاء الراشدين ﵃ في باب القدر في كتبهم لإثبات القدر والرد على أهل البدع ومن ذلك:

---

(١) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص ٢١٩.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٠٩ وشرح عقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٦٦٢/٢ ومجموع الفتاوى للشيخ العثيمين ٩٨٥/١٠.

(٣) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١١٩.

(٤) هو: القاضي عبد الجبار بن أحمد أبو الحسن الهمداني، قاضي الري، وكان ينتحل مذهب الشافعي في الفروع، ومذاهب المعتزلة في الأصول، وله في ذلك مصنفات، وولي قضاء القضاة بالري، وورد بغداد حاجا وحدث بها، توفي عام ٤١٥هـ. انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١١٤/١١.

(٥) المغني في أبواب العدل والتوحيد ٣/٨.

– الإمام الآجري في الشريعة تحت "باب: ذكر ما تأدى إلينا عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من ردهما على القدرية وإنكارهما عليهم"(١).

– ومنهم اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لبيان إثبات القدر(٢).

– وابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية تحت "باب ما رُوي في ذلك عن الصحابة ومذهبهم في القدر"(٣).

٣/ بيان للأمة الإسلامية أن الهداية والإضلال من قدر الله، فموقف الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ مع الجاثليق كان له أثر بليغ في توضيح مفهوم القدر وبيان وجوب الاعتقاد أن الهداية والإضلال من الله، فهو يهدي من يشاء من عباده بتوفيقه وإعانته، ويضل من يشاء منهم بحكمته وعدله لا بظلم. ومما يدلّ على أن الله هو الهادي والمضلّ وحده لا شريك له إسناد الله فعل الهداية والإضلال إلى نفسه، فلا يمكن أن يضاف الفعل إليه ثم يكون الفاعل غيره قال الله تعالى: ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣] وقال الله تعالى: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٨٨].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وقد اتفقت رسل الله من أوّلهم إلى آخرهم وكتبه المنزلة عليهم على أنه سبحانه يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء وأنه من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال بيده لا بيد العبد وأن العبد هو الضال أو المهتدي، فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه"(٤).

---

(١) (لم يقتصر المصنف على ما رُوي عنهما بل ذكر آثار عن بقية الصحابة) ٨٣٧/٢.

(٢) ٧٣٣/٤.

(٣) ١٢٥/٢.

(٤) شفاء العليل ٥١٧/٢.

وعلى هذا موقف عمر رضي الله عنه مع الجاثليق فيه ردّ على أهل البدع من المعتزلة الذين أنكروا هداية الله وزعموا أن الله لم يضل المضلين من عباده، وهذا مبني على أصلهم الفاسد وهو: أن أفعال العباد مخلوقة لهم(١).

قال القرطبي رحمه الله في قول الله تعالى ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]: "في هذه الآية ردّ على القدرية والمعتزلة والإمامية(٢)، لأنهم يعتقدون أن إرادة الإنسان كافية في صدور أفعاله منه، طاعة كانت أو معصية، لأن الإنسان عندهم خالق لأفعاله، فهو غير محتاج في صدورها عنه إلى ربّه، وقد أكذبهم الله تعالى في هذه الآية إذ سألوه الهداية إلى الصراط المستقيم، فلو كان الأمر إليهم والاختيار بيدهم دون ربهم لما سألوه الهداية، ولا كرروا السؤال في كل صلاة، وكذلك تضرعهم إليه في دفع المكروه، وهو ما يناقض الهداية حيث قالوا: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧]. فكما سألوه أن يهديهم، سألوه ألا يضلّهم، وكذلك يدعون فيقولون: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا ﴾ [آل عمران: ٨]"(٣).

٤/ إرشاد الأمة الإسلامية إلى مدافعة القدر بالقدر، ويلزم من ذلك الأخذ بالأسباب وعدم الاتكال على أقدار الله، فوضّح الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم للأمة أصولاً عظيمة ومقتضيات مهمّة يستلزم العمل بها لتحقيق الإيمان بالقدر، فبيّن الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم للمسلمين أنه يجب على العبد أن يدافع القدر بالقدر حسب ما أمكن وألّا يستسلم لقدر الله بحيث يتخذ الأسباب المشروعة مع كمال توكّله على الله، فكما يدفع الجوع بالأكل والمرض بالتداوي فيدفع مصيبة أو عارضاً أو مكروهاً بما سخّر الله له من الوسائل والأسباب، فالمقدور ثم مدافعته بأخذ الأسباب، كلا الأمران يُعتبران من قدر الله، فلو قدِّر لعبد مرض أو ضر أو

(١) انظر شفاء العليل لابن القيم ٢/٥٨٥ وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ١/٢٢٤.

(٢) الإمامية هو اسم من الأسماء التي تطلق على الرافضة، وسموا بذلك لأنهم قالوا بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبيّ عليه الصلاة والسلام نصا ظاهرا وتعيينا صادقا من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين. انظر الملل والنحل للشهرستاني ص ١٨١ وفرق معاصرة لغالب عواجي ١/٣٤٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١/٢٣٠.

مصيبة أو غير ذلك مما يُكره فلا يستسلم للقدر ولا يلقي نفسه في الهلاك، بل يجتهد ويبحث عن العلاج أو المخرج متوكّلاً على الله، ولهذا لما قيل لعمر أمير المؤمنين رضي الله عنه أنهم سيقدمون على الوباء عزم بالرجوع وقايةً من الشر، ففرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من القدر إلى القدر.

ففي هذه الجهود المباركة إيضاح للأمة مفهوم القدر ومقتضاه، وإثبات أن العمل والأخذ بالأسباب لا يضادّ التصديق بالقدر، بل هو منه، لا ينافي أحد الأمرين الآخر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مدافعة القدر بالقدر: "على الخلق أن يعبدوه فيطيعوا أمرَه، ويستعينوا به على ذلك، كما قال في فاتحة الكتاب: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥] ومن عبادته وطاعته: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بحسب الإمكان، والجهاد في سبيله لأهل الكفر والنفاق، فيجتهدون في إقامة دينه، مستعينين به، دافعين مُزِيلين بذلك ما قُدِّر من السيئات، دافعين بذلك ما قد يُخاف من ذلك، كما يُزيل الإنسان الجوع الحاضر بالأكل، ويدفع به الجوع المستقبل، وكذلك إذا آن أوان البَرد دفعه باللباس، وكذلك كل مطلوب يُدفع به مكروه كما قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله، أرأيت أدوية نتداوى بها، ورقى نسترقي بها، وتقاة نتّقي بها، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ فقال ﷺ: "هي من قدر الله"(١)"(٢).

فالحاصل أن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أرشدوا الأمة إلى مدافعة القدر بالقدر والأخذ بالأسباب، وبيّنوا لهم أن ذلك ليس مناقضاً للقدر، فالإيمان بالقدر لا يستلزم ترك العمل، بل يوجب الجد والاجتهاد لتحصيل المنافع والمصالح في الدنيا والآخرة، ولهذا لما قال الصحابة

(١) رواه الترمذي في سننه في كتاب القدر باب ما جاء لا ترد الرقى ولا الدواء من قدر الله شيئاً ص ٤٨٥ برقم ٢١٤٨. وضعّفه الشيخ الألباني.

(٢) العبودية ص ٤٣.

لرسول الله ﷺ: أفلا نتكل (أي: على القدر)؟ قال ﷺ: "اعملوا فكل ميسر ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴾ إلى قول الله تعالى ﴿ لِلْعُسْرَىٰ ﴾"(١).

وبناء على هذا التقرير، فجهود الخلفاء الراشدين ﷺ فيها ردٌّ على الصوفية الذين يتّكلون على القدر ويتركون الأعمال، وهذا خلاف ما دلّت عليه النصوص الشرعية من أخذ الأسباب والسعي في طلب الرزق وجهاد النفس والعدة لقتال الأعداء وغير ذلك مما يتطلب تحقيق الأعمال من فعل الواجبات وترك المنكرات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "من يقر بتقدم علم الله وكتابه ولكن يزعم أن ذلك يغني عن الأمر والنهي والعمل، وأنه لا يحتاج إلى العمل، بل من قُضي له بالسعادة دخل الجنة، بلا عمل أصلاً، ومن قضي عليه بالشقاوة شقي بلا عمل، فهؤلاء أكفر من أولئك (المكذّبين بالقدر) وأضلّ سبيلاً، ومضمون قول هؤلاء تعطيل الأمر والنهي، والحلال والحرام، والوعد والوعيد، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى بكثير"(٢).

٥/ تحذير الأمة الإسلامية من الاحتجاج بالقدر على المعاصي، فبيّن الخلفاء الراشدون ﷺ للأمة أنه لا يجوز الإقدام على الذنوب والفعل المخالف للشرع بحجة أن جميع الخلق صائرون إلى القدر وأنه لا يخرج شيء عنه، وإن كانت المعاصي داخلة في القدر فليس لأحد أن يجعل القدر برهاناً ومشيئة الله الشاملة حجة لدفع اللوم عنه كما فعله المشركون فقالوا: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ﴾ [النحل: ٣٥] فلو كان الاحتجاج بالقدر على المعاصي صحيحاً لدفع عن المشركين العقاب، ولما أحلّ الله بهم العذاب، فعلم أن ذلك حجة فاسدة، وشبهة كاسدة.

ففي جهود الخلفاء الراشدين ﷺ بيان للأمة بطلان الاحتجاج بالقدر على المعاصي، فالله تعالى أعطى كل مخلوق قدرة، وإرادة، يتمكّن بها من فعل ما كُلِّف به، فلا أوجب الله على أحد ما لا يقدر على فعله، ولا حرّم على أحد ما لا يتمكّن من تركه، كما أن الله تعالى

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير باب: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴾ [الليل: ٥] ١٧٠/٦ برقم ٤٩٤٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨٨/٨.

لم يجبر العبد على أفعاله، بل جعل أفعاله تبعاً لاختياره، فإن شاء فعل، وإن شاء لم يفعل. وبهذا لم يبق عذر لأحد على المعاصي، فمن سلك هذا المسلك فقد هلك(١).

٦/ تعليم الأمة وجوب الإمساك عن الخوض بالباطل في القدر، فبيّن الخلفاء الراشدون للأمة النهي عن التنقير في القدر وخطورة البحث عنه بالدخول في تفاصيله والسؤال عن كيفيته، بل يجب عليهم التوقف عن الخوض فيه، لأن القدر سرّ من أسرار الله، فلا سبيل للعبد ولا مجال له لمعرفته عن طريق العقل والتفكّر والقياس، فالناظر فيه كالناظر في عين الشمس، كلما ازداد فيه نظراً ازداد فيه تحيّراً، وكثرة السؤال عن هذا يؤدّي إلى الشكوك والأوهام بل إلى الهلاك، فالواجب علينا الإيمان والتسليم لقدره، والتصديق به والإقرار بجميعه، أن نعلم أن الخير والشر من الله، وأن الطاعة والمعصية بقضاء الله وقدره، وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا(٢).

فالحاصل أن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وضّحوا للأمة خطورة الخوض في القدر، وأنه ينبغي أن يُكتفى بالإيمان به دون الدخول في التفاصيل حتى لا يفتح الإنسان على نفسه باب الشرّ، فالقدر سرّ الله، لا يعلمه إلا هو، ثم إضافة إلى هذا يقال: إن القدر قدرة الله كما قاله عمر رضي الله عنه، فالقدر من صفات الله، ومن المعلوم أن من أصول أهل السنة قطع الطمع عن إدراك كيفية صفات الله(٣)، فلا يمكن الاطلاع على الربّ وصفاته، وعلى هذا فلا يمكن الوصول إلى تفاصيل القدر إذ هو من صفات الله، فلا يريد المرء من الله ما أبى عليه، وقد كان لهذه الجهود المباركة أثر بليغ في الاستدلال ودفع علماء الأمة إلى تقرير النهي عن الخوض في القدر والتنقير عنه، ومن ذلك:

– قول ابن بطة رحمه الله في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: "باب ما أمر النَّاس من ترك البحث والتنقير عن القدر والخوض فيه"(٤) ثم أورد بعض الآثار ومن ذلك أثر عمر في النهي عن الخوض في القدر.

---

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ٢٧٨.

(٢) انظر الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة ١/٢٤٦-٢٤٧.

(٣) انظر منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص ٢٨.

(٤) ص٣٠٧.

– وقال ابن عبد البرّ رحمه الله: "والقدر سرّ الله، لا يدرك بجدال ولا يشفي منه مقال، والحجاج فيه مرتجة لا يفتح شيء منها إلا بكسر شيء وغلقه، وقد تظاهرت الآثار، وتواترت الأخبار فيه عن السلف الأخيار الطيبين الأبرار بالاستسلام والانقياد والإقرار بأن علم الله سابق ولا يكون في ملكه إلا ما يريد: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦]"(١).

– وقال الإمام البغوي: "والقدر سرّ من أسرار الله تعالى لم يطلع عليه ملكاً مقرّباً ولا نبياً مرسلاً، لا يجوز الخوض فيه والبحث عنه بطريق العقل، بل يعتقد أن الله تعالى خلق الخلق فجعلهم فريقين أهل يمين خلقهم للنعيم فضلاً وأهل شمال خلقهم للجحيم عدلاً قال الله: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ [الأعراف: ١٧٩]"(٢).

– وقال الإمام الطحاوي رحمه الله: "وأصل القدر سرّ الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبيّ مرسل، والتعمّق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسُلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣] فمن سأل: لم فعل؟ فقد ردَّ حكم الكتاب، ومن ردّ حكم الكتاب، كان من الكافرين". ثم شرح الإمام ابن أبي العز كلام الطحاوي فقال: "أصل القدر سر الله في خلقه، وهو كونه أوجد وأفنى، وأفقر وأغنى، وأمات وأحيا، وأضلّ وهدى. قال علي رضي الله عنه: "القدر سر الله فلا نكشفه"(٣). والنزاع بين الناس في مسألة القدر مشهور، والذي عليه أهل السنة والجماعة: أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن الله تعالى خالق أفعال العباد. قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩] وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢] وأن الله تعالى يريد الكفر من الكافر ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يحبه، فيشاؤه كوناً ولا يرضاه ديناً، واعلم أن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع، ولهذا كان سلف هذه الأمة التي هي أكمل

(١) التمهيد ١٣/٦.

(٢) شرح السنة ١٤٤/١.

(٣) تقدم تخريجه ص ٢٣٥.

الأمم عقولاً ومعارف وعلوماً لا تسأل نبيّها: لم أمر الله بكذا؟ ولم نهى عن كذا؟ ولم قدر كذا؟ ولم فعل كذا؟ لعلمهم أن ذلك مضاد للإيمان والاستسلام وأن قدم الإسلام لا تثبت إلا على درجة التسليم"(١).

- ونقل الشيخ سليمان بن عبد الله(٢) رحمه الله في كتابه تيسير العزيز الحميد عند شرح باب ما جاء في منكري القدر(٣) كلام البغوي السابق ثم ذكر الشيخ سليمان أثر علي رضي الله عنه: "سأل رجل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر قال: طريق مظلم فلا تسلكه، فأعاد السؤال فقال: بحر عميق لا تلجه. . . "(٤).

٧/ إرشاد الأمة إلى الرجوع إلى النص من الكتاب والسنة عند الاختلاف والاعتصام بهما، وتعليمها أهمية استفسار العلماء للتوضيح والبيان والفتاوى لما لهم من العلم والمعرفة بالقرآن وسنة الرسول ﷺ ما ليس عند غيرهم، وهذا واضح في قصة الوباء مع عمر، فقد استشار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه المهاجرين ثم الأنصار ثم بقية الصحابة في الرجوع أو الإقدام على الوباء، قال ابن حجر رحمه الله: "وفي قصة عمر رضي الله عنه من الفوائد مشروعية المناظرة والاستشارة في النوازل وفي الأحكام، وأن الاختلاف لا يوجب حكماً، وأن الاتفاق هو الذي يوجبه، وأن الرجوع عند الاختلاف إلى النص وأن النص يسمى علماً"(٥).

٨/ بيان للأمة جواز الاستدلال بالقياس في الدين، ففي المثال الذي ضربه عمر رضي الله عنه لأبي عبيدة بن جراح رضي الله عنه إثبات للقياس في الشريعة قال النووي رحمه الله: "ذكر له عمر رضي الله عنه دليلاً واضحاً من القياس الجلي الذي لا شكّ في صحته، وليس ذلك اعتقاداً منه أن الرجوع

---

(١) شرح عقيدة الطحاوية ١/٣٨٢-٤٠١ باختصار.

(٢) هو: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، فقيه سلفي ولد بالدرعية عام ١٢٠٠ هـ. كان بارعا في التفسير والحديث والفقه، توفي عام ١٢٣٣ هـ. انظر مشاهير علماء نجد وغيرهم لعبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ ص ٢٩.

(٣) انظر كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب (ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب) ١/١٠٦.

(٤) ص ٤٦٢.

(٥) فتح الباري ١٠/١٩٠.

يرد المقدور، وإنما معناه أن الله تعالى أمر بالاحتياط والحزم ومجانبة أسباب الهلاك كما أمر سبحانه وتعالى بالتحصن من سلاح العدوّ، وتجنب المهالك، وإن كان كل واقع فبقضاء الله وقدره السابق في علمه، وقاس عمر رضي الله عنه على رعي العدوتين لكونه واضحاً لا ينازع فيه أحد مع مساواته لمسألة النزاع"(١).

وبعد هذا العرض يظهر جلياً أن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم حققوا حماية جناب التوحيد في باب القدر لأنه من أعظم متعلّقات توحيد الربوبيّة، فبيّنوا للأمة مفهوم القدر ومقتضاه وأهميته في الدين، فهو قدرة الله، فمن كذّب بهذا الركن الإيماني جحد قدرة الله ونقض توحيده.

(١) شرح صحيح مسلم ١٤/٤٣١.

الفصل الثاني

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب الأسماء والصفات

المبحث الأول: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في النهي عن التسمي بالأسماء المختصة بالله.

المبحث الثاني: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في النهي عن تسمية المخلوق بما يتضمن نقصاً لله.

المبحث الثالث: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في إنكار مضاهاة الله.

المبحث الرابع: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في إنكار الخوض في كيفية صفات الله وما يؤدي إلى الجحد بها

المبحث الخامس: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب كلام الله.

المبحث السادس: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب المشيئة.

المبحث الأول:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في النهي عن التسمي بالأسماء المختصة بالله. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالاسم وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في النهي عن التسمي بالأسماء المختصة بالله.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

تمهيد:

ذُكر في مقدمة البحث أن المراد بتوحيد الأسماء والصفات هو: "اعتقاد انفراد الربّ جل جلاله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة، والجلالة والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، من غير نفي لشيء منها ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ولا تكييف، ونفي ما نفاه عن نفسه، أونفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص، وعن كل ما ينافي كماله"(١).

فأهل السنة يثبتون أسماء الله وصفاته على ظاهرها كما جاءت في الكتاب والسنة، مع اعتقاد ما دلّت عليه من المعاني وما تقتضيه من الأحكام، فلا يعطّلون شيئاً من مدلولها، ولا يقال أنه يلزم من إثباتها التشبيه والتمثيل بين الخالق والمخلوق، بل لله له أسماء وصفات تخصه وتليق به، وكذلك المخلوق له أسماء وصفات تخصه وتليق به.

وعلم أسماء الله وصفاته من أشرف العلوم بل هو أشرفها وأعظمها وأفضلها على الإطلاق، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، قال أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله: "قال بعض العلماء: أوّل فرض فرضه الله تعالى على خلقه معرفته، فإذا عرفه الناس عبدوه قال الله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]. فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها فيعظموا الله حق عظمته. ولو أراد رجل أن يتزوج إلى رجل أو يزوجه أو يعامله طلب أن يعرف اسمه وكنيته، واسم أبيه وجده، وسأل عن صغير أمره وكبيره، فالله الذي خلقنا ورزقنا، ونحن نرجو رحمته ونخاف من سخطه، أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها"(٢).

وهذا يبيّن علو منزلة علم توحيد الأسماء والصفات وضرورة معرفته وأهمية العناية به، فمن اشتغل بهذا العلم الشريف اشتغل بما خُلق له، فالعبد بأشدّ الحاجة إليه، فينبغي للمرء بذل الجهود في تفقه معاني أسماء الله وصفاته، لأن إحصائها والعلم بها أجلّ المقاصد وأصل كل علم.

---

(١) القول السديد للشيخ السعدي ص ١٢.

(٢) الحجة في بيان المحجة ١٣٣/١.

المطلب الأول: التعريف بالاسم وما يتعلّق به.

الاسم في اللغة:

الاسم مشتق من السمو وهو الارتفاع، فالمسمّى يرتفع باسمه ويتبيّن ويظهر. وقيل: مشتق من السمة وهي العلامة، أي: علامة على مسماه(١).

والمراد بالأسماء في هذا المبحث: أسماء الله الحسنى، أي: الأسماء التي تسمى بها الله نفسه، فهي دالة على ذات الله وما قام بها من الصفات. والفرق بين أسماء الله وصفاته أن "أسماء الله كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به، مثل: القادر، العليم، الحكيم، السميع، البصير، فإن هذه الأسماء دلَّت على ذات الله، وعلى ما قام بها من العلم والحكمة والسمع والبصر، أما الصفات فهي نعوت الكمال القائمة بالذات، كالعلم والحكمة والسمع والبصر، فالاسم دل على أمرين، والصفة دلت على أمر واحد"(٢). وعلى هذا كل اسم متضمن صفة وليس كل صفة متضمنة اسماً، فأسماء الله مثل الرحمن والعزيز والقدير متضمنة صفات الرحمة والعزة والقدرة، ولكن لا يُشتق من صفات المجيء والمكر والإرادة اسم الجائي والماكر والمريد، ولذلك كان باب الصفات أوسع من باب الأسماء(٣).

وقد ذكر علماء أهل السنة والجماعة قواعد وضوابط في باب أسماء الله يجب مراعاتها والسير عليها في دراسة هذا الموضوع الجليل، وأهمها ما يلي:

القاعدة الأولى: أسماء الله كلّها حسنى:

أسماء الله كلّها حسنى قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فلا نقص فيها بوجه من الوجوه، بل هي دالة على صفات الكمال، تقتضي المدح لله وثنائه وحمده وتمجيده، فهي ليست أسماء مجردة دون معاني ولكن أسماء تتضمن نعوت العظمة والجلالة، فهي بالغة في الحسن غايته(٤) قال الإمام

---

(١) انظر مقاييس اللغة لابن فارس ٩٩/٣ والقول المفيد للشيخ العثيمين ١٨٤/٢.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة ٧٣٤/١.

(٣) انظر بدائع الفوائد لابن القيم ٢٤٤/١.

(٤) انظر بدائع الفوائد لابن القيم ٢٤٨/١ والقواعد المثلى للعثيمين ص٧.

السعدي في قول الله تعالى: ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه: ٨]: "أي: له الأسماء الكثيرة الكاملة الحسنى. من حسنها أنها كلّها أسماء دالة على المدح فليس فيها اسم لا يدل على المدح والحمد، ومن حسنها أنها ليست أعلاماً محضة وإنما هي أسماء وأوصاف، ومن حسنها أنها دالة على الصفات الكاملة وأن له من كل صفة أكملها وأعمها وأجلها، ومن حسنها أنه أمر العباد أن يدعوه بها لأنها وسيلة مقربة إليه، يحبها ويحب من يحبها ويحب من يحفظها ويحب من يبحث عن معانيها ويتعبد له بها قال الله: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠]"(١).

القاعدة الثانية: أسماء الله توقيفية:

أسماء الله توقيفية أي: ثبوتها يتوقّف على النص، لا نثبت لله اسماً إلا ما أثبته الله لنفسه في كتابه الكريم أو أثبته الرسول ﷺ في سنته المطهّرة(٢)، فلا يُعتمد على الآراء والعقول في هذا الباب لأنها قاصرة في إدراك هذا الأمر، كذلك في النفي، فلا ننفي عن الله إلا ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه الرسول ﷺ، فلا يسوغ للمسلم مجاوزة الكتاب والسنة، وتسمية الله بما لم يسم به نفسه قول على الله بلا علم وافتراء عليه الكذب، وقد حذّر الله عباده من هذا الصنيع قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

القاعدة الثالثة: أسماء الله أعلام وأوصاف:

إن أسماء الله الحسنى أعلام وأوصاف، ليست أعلاماً محضة بحيث لا تدل على صفات ومعاني، بل أسماء الله دالة صفات كمال(٣).

القاعدة الرابعة: معرفة الإلحاد في أسمائه:

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "الإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها، وهو مأخوذ من الميل، والإلحاد في أسمائه تعالى أنواع:

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٠٢.

(٢) انظر بدائع الفوائد لابن القيم ١/ ٢٤٦.

(٣) انظر المصدر نفسه ٢٤٦/١.

أحدها: أن يسمى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلهية والعزى من العزيز وتسميتهم الصنم إلهاً، وهذا إلحاد حقيقة، فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة. فيجب على المسلم احترام أسماء الله الحسنى من أن يسمي بها غيره من المخلوقين، فلا يجوز التسمي بأسماء الله المختصة به أو بما يوهم عدم الاحترام بها.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أباً، وتسمية الفلاسفة له موجباً بذاته أو علّة فاعلة بالطبع ونحو ذلك.

وثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدّس من النقائص كقول أخبث اليهود: إنه فقير(١)، وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[المائدة: ٦٤] وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم إنها ألفاظ مجرَّدة، لا تتضمن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد، ويقولون لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً وشرعاً ولغة وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه، ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد، فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب، وكل من جحد شيئاً عما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك، فليستقل أو ليستكثر.

وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون علواً كبيراً، فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه"(٢).

فهذه من أهم القواعد في باب أسماء الله، فهي أسس متينة يُبنى عليها الإيمان بالله، وضوابط عظيمة بها تثبت مقامات الدين، فمن تمسك بها عُصم بإذن الله من ضلال المعطلة وزيغهم وانحراف المشبهة.

---

(١) قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[آل عمران: ١٨١].

(٢) بدائع الفوائد باختصار وتصرف ١/٢٥٥.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في النهي عن التسمي بالأسماء المختصة بالله.

٢٥- عن ليث بن أبي سليم(١) أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: "لا تسمّوا الحكم ولا أبا الحكم، فإن الله هو الحكم"(٢).

ففي هذا الأثر تحذير أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ الرعية من التسمي بهذا الاسم أي: الحكم، وسبب ذلك أن الحكم اسم من أسماء الله الحسنى المختصة به(٣)، وهو اسم دال على أن الحكم لله وحده لا شريك له، إليه الحكم، الكوني والشرعي قال الله ﷻ: ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [يوسف: ٨٠]، وقال ﷻ: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام: ١١٤].

فالله هو الذي "يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة بعدله وقسطه، فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يحمِّل أحداً وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ويؤدّي الحقوق إلى أهلها، فلا يدع صاحب حق إلا أوصل إليه حقه، وهو العدل في تدبيره وتقديره"(٤).

فعمر ﷺ نهى رعيته بالتسمّي والتكني باسم الحكم تحقيقاً لحماية التوحيد وسدّاً لما يؤدّي إلى امتهان هذا الاسم وعدم إجلاله.

ونهي عمر ﷺ عن التسمي بالحكم له أصل في السنة المطهّرة فعن أبي هانئ(١) أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم فدعاه رسول الله ﷺ فقال: "إن

---

(١) ليث بن أبي سليم بن زنيم الأموي محدث الكوفة، وأحد علمائها الأعيان توفي ١٣٨هـ عام. انظر السير للذهبي ١٧٩/٦.

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٤٢/١١ والبغوي في شرح السنة ٣٤٤/١٢ قال عبد الرزاق: "عن معمر عن ليث بن أبي سليم. . . الأثر".

(٣) هذا قول من أقوال أهل العلم مثل العلامة سليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد ص ٤١٣ والشيخ صالح الفوزان في إعانة المستفيد ١٨٤/٢. وهناك من يرى جواز التسمية باسم الحكم إن كان لمجرّد العلمية لا لمعنى الصفة كالشيخ محمد العثيمين في القول المفيد ٢٦٣/٢. وعلى هذا فيحمل الأثر على أن عمر كان يرى أن اسم الحكم من الأسماء المختصة بالله.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ السعدي ص ٩٤٨.

الله هو الحكم وإليه الحكم، فلم تُكنى أبا الحكم؟ "، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين. فقال رسول الله ﷺ: "ما أحسن هذا، فما لك من الولد؟ "، قال: لي شريح ومسلم وعبد الله، قال ﷺ: "فمن أكبرهم؟ " قلت: شريح، قال ﷺ: "فأنت أبو شريح"(٢).

ففي هذا الحديث غيّر النبيّ ﷺ الاسم احتراماً لأسماء الله الحسنى، فالله هو الحاكم الذي إذا حكم لا يرد حكمه، وهذه الصفة لا تليق بغير الله(٣).

---

(١) هانئ بن عمرو أبو شريح الخزاعي، أسلم قبل فتح مكة، وكان يحمل أحد ألوية بني كعب بْن خزاعة يوم فتح مكة، توفي عام ٦٨. انظر الإصابة لابن حجر ٥٢١/٦.

(٢) رواه أبو داود في سننه في كتاب السنة باب في تغيير الاسم القبيح ص ٨٩٦ برقم ٤٩٥٥. وصححه الشيخ الألباني.

(٣) انظر شرح السنة للبغوي ٣٤٣/١٢.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

لقد كان لموقف أمير المؤمنين آثار عظيمة على الأمة أهمها ما يلي:

١/ إرشاد الأمة إلى احترام أسماء الله وإجلالها والتأدّب مع الربّ بعدم التسمي بأسمائه المختصة به تحقيقاً للتوحيد.

ففي موقف عمر ﷺ تعليم المسلمين تعظيم أسماء الله بأن يُجعل ما لا يصلح إلا لله منها لله وحده وألا يُسمّى به البشر(١)، وعلى هذا يجب على العبد اختيار الأسماء المناسبة اللائقة به.

٢/ تعليم الأمة وجوب تغيير الاسم إذ كان خاصاً لله أو تضمن معنى يوهم عدم احترام الأسماء الحسنى كما نهى عمر ﷺ رعيته بالتسمي والتكني باسم الحكم.

وقد استدل الإمام البغوي رحمه الله بموقف عمر بن الخطاب على وجوب تغيير الأسماء فقال في شرح السنة: "باب تغيير الأسماء"(٢) ثم أورد بعض الأحادث والآثار منها حديث هانئ وأثر عمر ﷺ.

٣/ بيان للأمة بطلان القول بأن أسماء الله أعلام محضة كما ادّعى ذلك أهل البدع من المعتزلة، ففي هذا الموقف كشف عن الأمة فساد الاعتقاد أن أسماء الله أعلام محضة وألفاظ مجردة، لا تتضمن معاني ولا تدل على صفات قائمة بالربّ، وهذا خلاف ما فهمه الصحابة ومن بعدهم بدليل أن عمر ﷺ نهى عن التسمي باسم الحكم والتكني به، فلو كان هذا الاسم علماً محضاً، ليس له معنى لما نهى عمر عن التسمي به أو التكني به.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "إن أسماء الربّ تبارك وتعالى دالة على صفات كماله، فهي مشتقة من الصفات، فهي أسماء وهي أوصاف، وبذلك كانت حسنى إذ لو كانت ألفاظاً لا معاني فيها لم تكن حسنى ولا كانت دالة على مدح ولا كمال، ولساغ وقوع أسماء الانتقام والغضب في مقام الرحمة والإحسان وبالعكس فيقال: اللّهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت المنتقم، واللهم أعطني فإنك أنت الضار المانع ونحو ذلك. ونفي معاني أسمائه

---

(١) انظر التمهيد للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ص ٤٧٦.

(٢) ١٢/٣٤٤.

الحسنى من أعظم الإلحاد فيها قال تعالى: ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ولأنها لو لم تدل على معان وأوصاف لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها ويوصف بها، لكن الله أخبر عن نفسه بمصادرها وأثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨] فعلم أن "القوي" من أسمائه ومعناه الموصوف بالقوة. وكذلك قوله: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾[فاطر: ١٠] فالعزيز من له العزة فلو لا ثبوت القوة والعزة له لم يسم قويا ولا عزيزا. وكذلك قوله: ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ ﴾[النساء: ١٦٦] ﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ ﴾ [هود: ١٤] ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وأيضاً فلو لم تكن أسماؤه ذوات معان وأوصاف لكانت جامدة كالأعلام المحضة التي لم توضع لمسماها باعتبار معنى قام به فكانت كلّها سواء ولم يكن فرق بين مدلولاتها، وهذا مكابرة صريحة وبهْت بيّن. فإن من جعل معنى اسم القدير هو معنى اسم السميع البصير، ومعنى اسم التوّاب هو معنى اسم المنتقم، ومعنى اسم المعطي هو معنى اسم المانع فقد كابر العقل واللغة والفطرة، فنفي معاني أسمائه من أعظم الإلحاد فيها"(١).

وبهذا تتبيّن حماية الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم لجناب التوحيد في النهي عن التسمي بالأسماء المختصة بالله تعالى وأثر ذلك على الأمة.

(١) مدارج السالكين ١/٢٦ باختصار.

المبحث الثاني:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في النهي عن تسمية المخلوق بما يتضمن نقصاً لله. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالصفة والنقص وما يتعلّق بهما .

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في النهي عن تسمية المخلوق بما يتضمن نقصاً لله .

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة .

المطلب الأول: التعريف بالصفة والنقص وما يتعلّق بهما.

الصفة لغة:

هي كلمة مشتقة من الفعل وصف، الواو والصاد والفاء: أصل واحد، هو تحلية الشّيء. ووصفته أصفه وصفاً. والصّفة: الأمارة اللازمة للشّيء، وجمعها الصفات[١].

الصفة اصطلاحاً:

"ما قام بالذات من المعاني والنعوت، وهي في حق الله تعالى نعوت الجلال والجمال والعظمة والكمال، كالقدرة والإرادة والعلم والحكمة. والصفة غير الذات وزائدة عليها من حيث مفهومها وتصورها، بيد أنها لا تنفك عن الذات، إذ لا نتصور في الخارج ذاتاً مجردة عن الصفات"[٢].

النقص في اللغة:

قال ابن فارس: "النون والقاف والصاد كلمة واحدة، هي النّقص: خلاف الزيادة. ونقص الشيءُ، ونقصته أنا، وهو منقوص. والنّقيصة: العيب"[٣].

وقال الفيروزآبادي: "النقيصة: الوقيعة في الناس، الخصلة الدنيئة أو الضعيفة"[٤].

النقص شرعاً في باب الصفات:

كل ما تنزّهه الله عن نفسه وما لا يليق بجلاله وعظمته وكماله من النقائص والعيوب من كل وجه سواء أكانت متصلة أو منفصلة:

أما المتصلة، فهي العيوب والنقائص التي تحمل معنى يُتصور قيامه بذات الربّ ولهذا سُميت متصلة كالجهل، والنسيان والإعياء، والضعف، والغفلة، والتعب، والعبث، مثال ذلك قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾[البقرة: ٢٥٥].

فنفى الله عن نفسه السِّنة والنوم لكمال قيوميته.

---

(١) انظر مقاييس اللغة لابن فارس ٦/١١٥.

(٢) الصفات الإلهية للشيخ محمد الجامي ص ٨٤.

(٣) مقاييس اللغة ٥/٤٧٠.

(٤) القاموس المحيط ص ٦٣٣.

أما المنفصلة، فهي العيوب والنقائص التي تحمل معنى لا يتصور قيامه بذات الربّ، ولهذا سميت منفصلة كاتخاذ الولد، واتخاذ الصاحبة، واتخاذ ولي من الذلّ، الظهير مثال ذلك قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ: ٢٢].

فنفى الله عن نفسه وجود شريك أو ظهير، فالله ليس في حاجة إلى معين للتدبير أو خلق الشيء لكمال قدرته وغنائه عن العالمين(١).

فالله موصوف بصفات الكمال ونعوت الجلال، لا نقص فيه بوجه من الوجوه ولهذا استحق أن يُعبد وحده لا شريك له(٢)، قال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[النحل: ٦٠].

قال القرطبي رحمه الله في هذه الآية: "أي: الوصف الأعلى من الإخلاص والتوحيد، فإن قيل: كيف أضاف المثل هنا إلى نفسه وقد قال: ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [النحل: ٧٤] فالجواب أن قوله: ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ أي: الأمثال التي توجب الأشباه والنقائص، أي: لا تضربوا لله مثلاً يقتضي نقصاً وتشبيهاً بالخلق. والمثل الأعلى وصفه بما لا شبيه له ولا نظير، جل وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً"(٣).

فالله له صفات الكمال المطلق من جميع الوجوه التي لا يشاركه فيها مشارك، هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، ولهذا أظهر الله بطلان عبادة الآلهة من دونه كالأصنام باتصافها بنقائص والعيوب قال الله: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ [مريم: ٤٢].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: "أي: لم تعبد أصناماً، ناقصة في ذاتها، وفي أفعالها، فلا تسمع، ولا تبصر، ولا تملك لعابدها نفعاً ولا ضراً، بل لا تملك لأنفسها شيئاً من النفع، ولا تقدر على شيء من الدفع، فهذا برهان جلي دال على أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله

---

(١) انظر النفي في باب الصفات لأرزقي بن محمد سعيداني ص ١٢٠.

(٢) انظر القواعد المثلى للشيخ العثيمين ص ٢١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٢/٣٤٤.

مستقبح عقلاً وشرعاً. ودل بتنبيهه وإشارته، أن الذي يجب ويحسن عبادة من له الكمال، الذي لا ينال العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم نقمة إلا هو، وهو الله تعالى"(١).

ويتناسب في هذا المقام ذكر بعض الضوابط والقواعد في الصفات التي يجب السير عليها في دراسة علم صفات الله:

أولاً: وجوب الاعتقاد الجازم أنه ليس هناك تمثيل بين صفات الخالق وصفات المخلوق قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وقال نعيم بن حماد(٢) رحمه الله: "من شبّه الله بشيء من خلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، فليس في ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه"(٣).

ثانياً: صفات الله توقيفية كأسمائه، فيتوقّف إثبات الصفات على نصوص الكتاب والسنة، فلا مجال للعقل في إثباتها(٤)، قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله: "لا نصف معبودنا إلا بما وصف به نفسه، إما في كتاب الله أو على لسان نبيه ﷺ، بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه، لا نحتج بالمراسيل ولا بالأخبار الواهية ولا نحتج أيضاً في صفات معبودنا بالآراء والمقاييس"(٥).

ثالثاً: قطع الطمع عن إدراك كيفية صفات الله(٦)، أبى الله أن يُطلع عباده على معرفة كيفية ذاته وصفاته، فلا يمكن الوصول إلى ذلك إلى يوم القيامة(٧).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٩٤.

(٢) نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك، الإمام العلامة الحافظ، أبو عبد الله الخزاعي المروزي، صاحب التصانيف، كان نعيم قد سكن مصر ولم يزل مقيما بها حتى أشخص للمحنة في القرآن إلى سر من رأى في أيام المعتصم، فسئل عن القرآن فأبَى أن يجيبهم إلى القول بخلقه، فسجن ولم يزل في السجن إلى أن مات، توفي عام ٢٢٨هـ. انظر السير للذهبي ٥٩٥/١٠.

(٣) رواه اللالكائي شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٥٨٧/٣.

(٤) انظر بدائع الفوائد ٢٤٦/١.

(٥) كتاب التوحيد ص٦٥.

(٦) انظر منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص ٢٨.

(٧) سيأتي الكلام عن هذه القاعدة في المبحث الرابع من هذا الفصل إن شاء الله.

رابعاً: القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر(١)، أي: "أن حكم الصفات واحد، فما يجب في بعضها من إثبات، أو نفي، أو لزوم تمثيل، يجب في بعضها الآخر، وذلك أنها متماثلة من حيث إن الموصوف بها واحد، مصدرها واحد، والواجب التسوية بين المتماثلات"(٢).

خامساً: القول في الصفات كالقول في الذات(٣)، أي: كما أنه يُثبت لله ذات لا تماثل ذوات المخلوقين فكذلك يُثبت جميع الصفات الإلهية باعتقاد عدم التشبيه بين صفات الله وصفات المخلوقين، فالحكم واحد في الذات والصفات.

فهذه الضوابط من أعظم قواعد أهل السنة والجماعة في باب الصفات، وليعلم المسلم أن الفرق من المشبهة والمعطّلة لم تضلّ عن الصراط المستقيم إلا لإعراضهم وعدم مراعاتهم لهذه الأسس العظيمة، فمنهم من ساوى بين المختلفات، ومنهم من فرّق بين المتماثلات.

---

(١) انظر التدمرية لابن تيمية ص ٣١.

(٢) شرح العقيدة التدمرية لعبد الرحمن البراك ص١٤٧.

(٣) انظر التدمرية للشيخ لابن تيمية ص ٤٣.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في النهي عن تسمية المخلوق بما يتضمن نقصاً لله.

٢٦- عن ابن أبي مليكة(١) قال: "قال رجل لأبي بكر ﷺ يا خليفة الله، قال: لست بخليفة الله عز وجل ولكن خليفة رسول الله أنا راض بذلك"(٢).

فبعد وفاة النبيّ ﷺ تولّى أبو بكر ﷺ أمر المسلمين باختيار الصحابة واتفاقهم عليه، فمضت خلافته على أحسن حال في سنتين وأشهر، فكان أوّل الخلفاء الراشدين ﷺ، وقد لُقب أبو بكر بخليفة رسول الله ﷺ خلال خلافته المباركة، فلما سمع من يناديه بخليفة الله بادر إلى الإنكار عليه حماية للتوحيد، لأن هذه التسمية تتضمن نقصاً لله.

ويظهر وجه فساد هذا اللقب عند التعريف اللغوي لكلمة الخليفة وقد سبق بيان ذلك(٣):

فالخليفة هي كلمة مشتقة من الفعل خلف يخلُف، فيقال: خلف فلان فلانًا في هذا الأمر، إذا قام مقامه فيه بعده، فخلف الذي كان قبله، أي: قام مقام الذاهب، فالخلافة هي النيابة عن الغير، إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه.

ومن هنا يظهر جلياً أن كلمة الخليفة تحمل معاني لا تليق بالله، فربّ العالمين ليس بعاجز ولا غائب، ولا يُناب عنه، بل هو الحي القيوم الذي لا يموت، فيُنزّه عن الله جميع النقائص ويُنفى عنه كل العيوب، ولهذا نهى أبو بكر ﷺ أن يُسمى خليفة الله، فاعتبر ﷺ هذه التسمية من النواقص في توحيد الأسماء والصفات.

---

(١) زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم المكي، القاضي، الإمام الحجة الحافظ، ولد في خلافة علي أو قبلها، وكان عالماً، مفتياً، صاحب حديث وإتقان، توفي عام ١١٧هـ. انظر السير للذهبي ٥/٩٠.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥٦٨/١٤ وأحمد في مسنده ٢٢٥/١ والآجري في الشريعة ١٧١٦/٤ والخلال في السنة ٢٧٤/١. قال أحمد: "حدثنا موسى بن داود حدثنا نافع يعني ابن عمر عن ابن أبي مليكة. . . الأثر". قال محقق كتاب السنة للخلال الشيخ د. عطية الزهراني: "إسناد صحيح".

(٣) انظر ص ١١٧.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

إن إنكار أبي بكر الصديق ﷺ التسمية بخليفة الله موقف من مواقف الخليفة الراشد الأوّل في تحقيق حماية التوحيد والدفاع عنه، وقد كان لهذا الموقف آثار عظيمة على الأمة، ومن أجلّها ما يلي:

١/ تربية الأمة على تعظيم الله وإجلاله وتعليم الناس وجوب ترك كل تسمية توهم معنى فاسداً وتتضمن نقصاً لله لما في ذلك من المنافاة للتوحيد، ففي موقف أبي بكر بيان للأمة عدم جواز النطق بكلمة أو التلفظ بما يقتضي وصف الله بالنواقص والعيوب، ومن ذلك تسمية الأمير بخليفة الله.

وقد كان لموقف الخليفة الراشد أبي بكر ﷺ أثر عظيم في الاستدلال وتقرير أهل العلم عدم جواز إطلاق هذه تسمية (خليفة الله) على إمام المسلمين وغيره، ومن ذلك:

- قول الماوردي رحمه الله: "ويسمى خليفة لأنه خلف رسول الله ﷺ في أمته فيجوز أن يقال يا خليفة رسول الله، وعلى الإطلاق فيقال: الخليفة، واختلفوا هل يجوز أن يقال: يا خليفة الله؟ فجوّزه بعضهم لقيامه بحقوقه في خلقه، ولقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥]. وامتنع جمهور العلماء من جواز ذلك ونسبوا قائله إلى الفجور وقالوا: يستخلف من يغيب أو يموت والله لا يغيب ولا يموت، وقد قيل لأبي بكر الصديق ﷺ يا خليفة الله، فقال: لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله ﷺ"(١).

- وقال الإمام البغوي رحمه الله: "ولا بأس أن يسمى القائم بأمور المسلمين أمير المؤمنين والخلفاء، وإن كان مخالفاً لبعض سير أئمة العدل لقيامه بأمر المؤمنين وسمْع المؤمنين له، ويسمى خليفة، لأنه خلف الماضي قبله، وقام مقامه، ولا يسمى أحد خليفة الله، بعد آدم وداود عليهما السلام، قال الله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]. وقال:

(١) الأحكام السلطانية ص ٢٨.

﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [ص: ٢٦] روي عن ابن أبي مليكة أن رجلاً قال لأبي بكر: يا خليفة الله، قال: أنا خليفة محمد ﷺ وأنا راض بذلك(١).

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: يا خليفة الله، فقال: ويحك لقد تناولت متناولاً بعيداً، إن أمّي سمتني عمر، فلو دعوتني بهذا الاسم قبِلتُ، ثم كبرتُ، فتكَنيت أبا حفص، فلو دعوتني به، قبلت، ثم وليتموني أموركم، فسميتموني أمير المؤمنين، فلو دعوتني بذلك، كفاك"(٢).

- وقال النووي رحمه الله: "ينبغي أن لا يقال للقائم بأمر المسلمين خليفة الله، بل يقال الخليفة، وخليفة رسول الله ﷺ، وأمير المؤمنين"(٣).

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "والمراد بالخليفة أنه خلف من كان قبله من الخلق، والخَلْف فيه مناسبة، كما كان أبو بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ لأنه خلفه على أمته بعد موته، وكما كان النبيّ ﷺ إذا سافر لحج أو عمرة أو غزوة يستخلف على المدينة من يكون خليفة له مدة معينة، فيستخلف تارة ابن أم مكتوم، وتارة غيره، واستخلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك، وتسمى الأمكنة التي يستخلف فيها الإمام مخاليف، والله لا يجوز له خليفة، ولهذا لما قالوا لأبي بكر: يا خليفة الله، قال ﷺ: لست بخليفة الله، ولكني خليفة رسول الله ﷺ حسبي ذلك. بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره قال النبيّ ﷺ: "اللّهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اللّهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا"(٤). وذلك لأنّ الله حي شهيد مهيمن قيّوم رقيب حفيظ غني عن العالمين، ليس له شريك ولا ظهير ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، والخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت أو غيبة ويكون لحاجة المستخلف إلى الاستخلاف، وسمي خليفة لأنه خلف عن الغزو وهو قائم خَلْفَه، وكل هذه المعاني منتفية في حق الله تعالى، وهو منزّه عنها، فإنه حي قيّوم

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٧٢.

(٢) شرح السنة ١٤/٧٥.

(٣) الأذكار ص ٤٠٨.

(٤) انظر صحيح مسلم كتاب الحج باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره ٢/٩٧٨ برقم ١٣٤٢.

شهيد لا يموت ولا يغيب، وهو غني يَرزق ولا يُرزق يَرزق عباده وينصرهم ويهديهم ويعافيهم: بما خلقه من الأسباب التي هي من خلقه والتي هي مفتقرة إليه، كافتقار المسببات إلى أسبابها، فالله هو الغني الحميد له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما، ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف: ٨٤] ولا يجوز أن يكون أحد خلفاً منه ولا يقوم مقامه، لأنه لا سمي له ولا كفء له، فمن جعل له خليفة فهو مشرك به"(١).

– وقال تلميذه ابن القيم رحمه الله: "ومما يكره منها أن يقول للسلطان خليفة الله أو نائب الله في أرضه، فإن الخليفة والنائب إنما يكون عن غائب، والله سبحانه وتعالى خليفة الغائب في أهله ووكيل عبده المؤمن"(٢).

– وقال الشيخ الألباني(٣) رحمه الله عند تعليقه على ضعف حديث ثوبان(٤) الذي قال: قال رسول الله ﷺ: "يَقتتل عند كنزكم ثلاثة، كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تَطلَع الرايات السود من قِبل المشرق، فيقتلونكم قتلاً لم يَقْتُلْه قومٌ" ثم ذكر شيئاً لا أحفظه فقال: "فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حَبْوًا على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي"(٥). فقال الشيخ الألباني: "لا يجوز في الشرع أن يقال: فلان خليفة الله، لما فيه من إيهام ما لا يليق بالله تعالى من النقص والعجز"(٦). وغير ذلك من أقوال أهل العلم في منع إطلاق هذه التسمية.

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٥/٤٥ باختصار.

(٢) زاد المعاد ٢/٤٣٤.

(٣) هو العلامة المحدث الفقيه المجدد محمد ناصر الدين بن نوح الألباني أبو عبد الرحمن، فبدأ يطلب العلم على علماء الشام، له جهود عظيمة في خدمة هذا الدين وكان له عناية بالدروس العلمية، توفي عام ١٤٢٠هـ. انظر كتاب الإمام المجدد العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني لعمر أبي بكر ص ٩.

(٤) ثوبان النبوي مولى رسول الله ﷺ، سبي من أرض الحجاز، فاشتراه النبيّ وأعتقه، فلزم النبيّ ﷺ وصحبه، وحفظ عنه كثيرا من العلم، وطال عمره، واشتهر ذكره. يكنى أبا عبد الله، ويقال: أبا عبدالرحمن، توفي عام ٥٤هـ. انظر السير للذهبي ٣/١٥.

(٥) رواه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن باب خروج المهدي ص ٦٧٩ برقم ٤٠٨٢.

(٦) السلسلة الضعيفة ١/١٩٧.

٢/ بيان للأمة فساد مذهب أهل الحلول والاتحاد، وإيضاح ذلك فيما يلي: ذكر فيما سبق(١) أن النصوص من الكتاب والسنة وصريح العقل دل على أن الله تعالى بائن عن خلقه، خارج عنه، وأنه ليس في كل مكان، ولم يحلّ في المخلوق، بل هو فوق السماء، فهو واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شبيه له ولا مثيل، له صفات الكمال، لا نقص فيه، كان الله ولم يكن شيء معه، وهذا أمر مقرّر عند أهل السنة، فهو أصل كبير من الإيمان بتوحيد الله.

أما الحلولية والاتحادية اعتقدوا أن توحيد الله هو الإيمان بأن الله في كل مكان أو أنه حلّ في جميع المخلوقات (أو بعضها)، لا انفصال بين الخالق والمخلوق، الله هو الخلق، والخلق هو الله، وقال البعض كل ما يشاهده الإنسان في الوجود هو الربّ، وزعموا أنه من فرّق بين الله وخلقه فقد وقع في الشرك تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

ووجه الاستدلال في الرد على الاتحادية والحلولية أن يقال: إذا كان أبو بكر ﷺ أنكر على من تلفّظ بكلمات تقتضي وصف الله بصفات المخلوقين كالغياب والعجز والموت وغير ذلك من صفات النقص فكيف بمن زعم أنّ الله هو المخلوق، والمخلوق هو الله كما تعتقده الاتحادية والحلولية، ولهذا استدل شيخ الإسلام ابن تيمية بأثر أبي بكر ﷺ على إبطال ما ذهبوا إليه من أن الخليفة من الله فقال شيخ الإسلام في تفسير قول الله تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [ص: ٢٦] قال: "أي: خليفة عمن قبلك من الخلق، ليس المراد أنه خليفة عن الله، وأنه من الله كإنسان العين من العين كما يقول ذلك بعض الملحدين القائلين بالحلول والاتحاد كصاحب الفتوحات المكية(٢)، وأنه الجامع لأسماء الله الحسنى وفسّروا بذلك قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١] وأنه مثل الله الذي نفى عنه الشبه بقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، إلى أمثال هذه المقالات التي فيها من تحريف المنقول وفساد المعقول ما ليس هذا موضع بسطه، والمقصود هنا أن الله لا يخلفه غيره، فإن الخلافة إنما تكون عن غائب وهو سبحانه شهيد مدبر لخلقه، لا يحتاج في تدبيرهم إلى

---

(١) انظر ص ١١٢.

(٢) هو محمد بن علي، محيي الدين، هو قدوة أهل الوحدة، أندلسي، هو شيخ سوء مقبوح كذاب، زنديق، توفي عام ٦٣٨هـ. انظر السير للذهبي ٢٣/٤٨.

غيره، وهو سبحانه خالق الأسباب والمسببات جميعاً، بل هو سبحانه يخلف عبده المؤمن إذا غاب عن أهله، ويروى أنه قيل لأبي بكر يا خليفة الله، فقال: بل أنا خليفة رسول الله"(١).

٣/ إثبات للأمة اتفاق الصحابة والتابعين ورضاهم بخلافة أبي بكر بدليل أنّهم اتفقوا على تسمية أبي بكر خليفة رسول الله، فأجمعوا على أن أحق الناس بالخلافة بعد الرسول ﷺ أبو بكر، قال الخطيب البغدادي(٢) رحمه الله: "أجمع المهاجرون والأنصار على خلافة أبي بكر ﷺ قالوا له: يا خليفة رسول الله، ولم يسم أحد بعده خليفة، وقيل أنه قبض النبيّ ﷺ عن ثلاثين ألف مسلم كل قال لأبي بكر: يا خليفة رسول الله ورضوا به من بعده رضي الله عنهم"(٣).

وقال أبو حسن الأشعري رحمه الله: "وقد أجمع هؤلاء (أي: المهاجرون والأنصار) الذين أثنى الله عليهم ومدحهم على إمامة أبي بكر الصديق ﷺ وسمّوه خليفة رسول الله ﷺ، وبايعوه وانقادوا له وأقرّوا له بالفضل، وكان أفضل الجماعة في جميع الخصال التي يستحق بها الإمامة من العلم والزهد وقوة الرأي وسياسة الأمة وغير ذلك"(٤). وقال: "ومما يدلّ على إمامة الصديق ﷺ أن المسلمين جميعاً بايعوه وانقادوا لإمامته وقالوا له: يا خليفة رسول الله"(٥).

ففي تسمية الصحابة والتابعين أبا بكر خليفة رسول الله دليل على صحة خلافة أبي بكر، وردٌّ على الرافضة الذين وقفوا من أبي بكر موقف الحقد والبغضاء فاعتقدوا عدم أحقيته بالخلافة.

---

(١) منهاج السنة ١/٣٥٥.

(٢) لحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي بن ثابت البغدادي، المعروف بالخطيب، صاحب تاريخ بغداد وغيره من المصنفات؛ كان من الحفاظ المتقنين العلماء المتبحرين، رحل إلى مكة وسمع بالبصرة والدينور والكوفة وغيرها، وعاد إلى بغداد توفي عام ٤٦٣هـ. انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ١/٩٢.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/١٣٠.

(٤) الإبانة عن أصول الديانة ص ٦١٢.

(٥) المصدر نفسه ص ٦١٦.

٤/ استدل بعض أهل العلم[(١)] بتسمية الصحابة أبا بكر خليفة رسول الله على إثبات استخلاف رسول الله ﷺ أبا بكر بالنص الجلي وليس بالخفي، قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: "قال معاوية بن قرة[(٢)]: إن رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر. ثم القائلون بالنص على أبي بكر فمنهم من قال بالنص الجلي واستدلّوا على ذلك باتفاق الصحابة على تسميته خليفة رسول الله ﷺ، قالوا: والخليفة إنما يقال لمن استخلفه غيره واعتقدوا أن الفعيل بمعنى المفعول، فدل ذلك على أن النبيّ ﷺ استخلف على أمته"[(٣)].

٤/ تبصير الأمة بمنزلة أبي بكر العالية في الدين، فقد استدل بعض أهل العلم بتسمية الصحابة أبا بكر خليفة رسول الله على إثبات فضله وسمو مكانته قال السفاريني رحمه الله: "إن أبا بكر أوّل من أسلم من الأحرار، وأوّل من جمع القرآن، وأوّل من سُمي خليفة رسول الله، وأوّل من وُلّي الخلافة، ثم قال: ومناقبه ﷺ لا تحصى، ومزاياه ومآثره لا تستقصى، وهو أفضل الصحابة وخيرهم بإجماع أهل السنة، فقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن أفضل الصحابة والناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم سائر العشرة، ثم باقي أهل بدر، ثم باقي أهل أحد، ثم باقي أهل بيعة الرضوان، ثم باقي الصحابة، هكذا إجماع أهل الحق، فأبو بكر الصديق أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، لا ينازع في ذلك إلا زائغ"[(٤)].

وبهذا العرض تتبيّن جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في النهي عن تسمية المخلوق بما يتضمن نقصاً لله وأثر ذلك على الأمة، فينبغي السير على ما سار عليه أبو بكر ﷺ وبقية الصحابة من اجتناب كل كلمات لا تليق بالله، وترك كل لفظ يوهم معنى فاسداً

---

(١) القائلون باستخلاف الرسول أبا بكر بالنص، وقد اختلف العلماء في خلافة الصديق: هل كانت بالنص أو بالاختيار؟. انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٢/٧١٢ والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٤/٨٧.

(٢) معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رئاب، الإمام العالم أبو إياس المزني البصري والد القاضي إياس، لقي كثيرا من أصحاب النبيّ ﷺ، توفي عام ١١٣. انظر السير للذهبي ٥/١٥٣.

(٣) منهاج السنة ١/٢٥٤.

(٤) لوامع الأنوار ٢/٣١٢.

في حق الله سدّاً للطرق الموصلة إلى القدح في التوحيد. فلا يتم توحيد العبد حتى يسلم من الشرك في الألفاظ والاعتقادات والأعمال.

.

المبحث الثالث:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في إنكار مضاهاة الله.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالمضاهاة وما يتعلّق بها.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في إنكار مضاهاة الله.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المطلب الأول: التعريف بالمضاهاة وما يتعلّق بها.

مضاهاة لغة:

قال ابن فارس: "الضاد والهاء والياء أصل صحيح يدلّ على مشابهة شيء لشيء. يقال ضاهاه يضاهيه، إذا شاكله، وربما همز فقيل يضاهئ. والمرأة الضَّهْياء، هي التي لا تحيض، فيجوز على تمحُّلٍ واستِكراه، أن يقال كأنّها قد ضاهت الرّجال فلم تحض"[(١)].

وقال أبو البقاء الكفوي[(٢)]: "المضاهاة: شعبة من المماثلة"[(٣)].

وقال ابن منظور: "المضاهاة: مشاكلة الشيء بالشيء، ضاهيت الرجل: شاكلته، وفلان ضهِيُّ فلان، أي: نظيره وشبيهه ويراد به أيضاً المتابعة"[(٤)].

وقد ورد في القرآن ذكر المضاهاة قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠].

فقالت النصارى مثل الذين من قبلهم من اليهود وأهل الأوثان، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "﴿ يُضَـٰهِـُٔونَ ﴾ أي: يشابهون ﴿ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبلهم من الأمم، ضلوا كما ضل هؤلاء"[(٥)].

المضاهاة اصطلاحاً:

هي المشابهة والتمثل بأسماء الله وصفاته وأفعاله[(٦)].

---

(١) مقاييس اللغة ٣/٣٧٤.

(٢) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء: كان من قضاة الأحناف. عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد. وعاد إلى استانبول فتوفي بها عام ١٠٩٤هـ. انظر الأعلام للزركلي ٢/٣٨.

(٣) الكليات ص ٧١١.

(٤) لسان العرب ٩/٦٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٢/٤٥٨.

(٦) انظر التمهيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله ص ٥٥٧.

وقد رُوي عن النبيّ ﷺ بلفظ صريح النهي عن المضاهاة فقال ﷺ: "ياعائشة أشدّ الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله"(١).

وجاءت رواية أخرى تفسّر المضاهاة فقال ﷺ: "إن من أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يُشبِّهون بخلق الله"(٢).

قال العلامة سليمان بن عبد الله رحمه الله في علّة منعه للتصوير: "هي المضاهاة بخلق الله لأن الله تعالى له الخلق والأمر، فهو ربّ كل شيء ومليكه، وهو خالق كل شيء، وهو الذي صوّر جميع المخلوقات، وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها الحياة كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة: ٧ – ٩] فالمصوِّر لما صوّر الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى من إنسان أو بهيمة صار مضاهياً لخلق الله، فصار ما صوّره عذاباً له يوم القيامة، وكُلّف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ(٣)، فكان أشدّ الناس عذاباً لأن ذنبه من أكبر الذنوب. فإذا كان هذا في من صوَّر صورة على مثال ما خلقه الله تعالى من الحيوان فكيف بحال من سوّى المخلوق برب العالمين، وشبهه بخلقه، وصرف له شيئاً من العبادة التي خلق الله الخلق إلا ليعبدوه وحده بما لا يستحقه غيره من كل عمل يُحبه الله من العبد ويرضاه؟! "(٤) .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب اللباس باب تحريم تصوير صورة الحيوان ١٦٦٨/٣ برقم ٢١٠٧.

(٢) المصدر نفسه ١٧٦٧/٣ برقم ٢١٠٧.

(٣) انظر صحيح البخاري في كتاب البيوع باب بيع التصاوير التي ليس فيها روح، وما يكره من ذلك ٨٢/٣ برقم ٢٢٢٥.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ٤٧١.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في إنكار مضاهاة الله.

٢٧- عن هشام بن عروة عن أبيه قال: "حرق خالد بن الوليد ﷺ ناساً من أهل الردّة فقال عمر لأبي بكر رضي الله عنهما: أتدع هذا الذي يعذّب بعذاب الله فقال: أبو بكر ﷺ لا أشيم[(١)] سيفاً سلّه الله على المشركين"[(٢)].

٢٨- وفي رواية أخرى عن هشام عن أبيه قال: "كانت في بني سليم[(٣)] ردة، فبعث إليهم أبو بكر خالد بن الوليد رضي الله عنهما، فجمع منهم أناساً في حظيرة[(٤)]، حرقها عليهم بالنار، فبلغ ذلك عمر ﷺ، فأتى أبا بكر ﷺ، فقال: انزع رجلاً يعذّب بعذاب الله، فقال أبو بكر ﷺ: والله لا أشيم سيفاً سلّه الله على عدوه، حتى يكون الله هو يشيمه، وأمره فمضى من وجهه ذلك إلى مسيلمة"[(٥)].

فبعد وفاة النبيّ ﷺ وقعت أحداث في الأمة الإسلامية ما يتقطع لها القلب، ومن أعظمها ردة بعض قبائل العرب، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "توفي رسول الله ﷺ فنزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال لهاضها، اشرأب[(٦)] النفاق بالمدينة، وارتدت العرب..."[(٧)].

---

(١) أي: لا أغمده. والشيم من الأضداد، يكون سلا وإغمادا. النهاية لابن الأثير ٩٠٧/١.

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٢١٢/٥ وابن سعد في الطبقات الكبرى ٣٩٦/٧ وابن كثير في البداية والنهاية ٣٥٤/٦ قال عبد الرزاق: "عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه. . . الأثر".

(٣) بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، قبيلة عربية قيسية، وهم أكثر قبائل قيس عدداً. انظر قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان للقلقشندي ص ١٢٣.

(٤) المحيط بالشيء خشبا أو قصبا. انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٣٧٧.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥٥٠/١٢ قال: "حدثنا أبو معاوية، عن هشام، عن أبيه. . . الأثر".

(٦) أي: ارتفع وعلا. انظر لسان العرب لابن منظور ٤٧/٨.

(٧) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥٧٢/١٤.

فقاتل الخليفة الراشد أبو بكر ﷺ أهل الردّة، فأرسل الجيوش ونفّذ أحكام الله، ومن خلال محاربتهم حصل تحريق بعض المرتدين، فلما بلغ ذلك عمر ﷺ، أنكر على أبي بكر هذه الطريقة حماية للتوحيد، لأن الرسول ﷺ نهى أن يُعذّب بالنار[1] لما فيه من المضاهاة لله، فلا يعّذب بالنار إلا الله.

(١) سيأتي ذكر الأحاديث في النهي عن هذا في المطلب التالي.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

إن إنكار عمر تحريق المرتدين موقف من المواقف الجليلة التي تدل دلالة واضحة على حماية الصحابة لجناب التوحيد ومعرفتهم بالربّ اسماً وصفة، ولا شكّ أنه ترتب على هذا الموقف آثار عظيمة على الأمة، ومن ذلك ما يلي:

١/ تحذير الأمة من التعذيب بالنار لما في ذلك من المضاهاة بتعذيب الله.

وبناء على فعل أبي بكر رضي الله عنه وما حصل من إنكار عليه من بعض الصحابة نشأ خلاف بين العلماء في حكم التعذيب بالنار على قولين[(١)]:

القول الأول: أنه جائز، وهذا مروي عن بعض الصحابة وغيرهم قال القرطبي رحمه الله: "وقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه حرّق رجلاً يسمى الفجاءة حين عمل عمل قوم لوط بالنار. وهو رأي علي بن أبي طالب[(٢)]، فإنه لما كتب خالدُ بن الوليد إلى أبي بكر في ذلك جمع أبو بكر أصحاب النبيّ ﷺ واستشارهم فيه، فقال علي: إن هذا الذنب لم تعص به أمة من الأمم إلا أمة واحدة صنع الله بها ما علمتم، أرى أن يحرق بالنار. فاجتمع رأي أصحاب رسول الله ﷺ أن يحرق بالنار. فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد أن يحرقه بالنار فأحرقه. ثم أحرقهم ابن الزبير[(٣)] في زمانه. ثم أحرقهم هشام بن الوليد. ثم أحرقهم خالد القسري[(٤)] بالعراق"[(٥)].

---

(١) انظر موقف الخليفة الراشد علي بن أبي طالب من مخالفيه لسامي الظفيري ص ٦٨.

(٢) سيأتي ذكر بعض الآثار في باب الغلو إن شاء الله.

(٣) عروة بن حواري رسول الله ﷺ الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، الإمام، عالم المدينة، أبو عبد الله القرشي، الأسدي، المدني، الفقيه، أحد الفقهاء السبعة، حدث عن: أبيه بشيء يسير لصغره، توفي ٩٣هـ. انظر السير للذهبي ٤١/١.

(٤) الأمير الكبير أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي القسري الدمشقي أمير العراقين، وكان جوادا، ممدحا، معظما، عالي الرتبة، من نبلاء الرجال، لكنه فيه نصب معروف، توفي ١٢٦هـ. انظر السير للذهبي ٤٢٥/٥.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٧٥/٩ وانظر المحلى لابن حزم ٣٨٩/١٢.

فاستدل أصحاب هذا القول بفعل أبي بكر وعلي وغيرهما على جواز التعذيب بالنار، كما أنهم استدلوا بعموم قول الله تعالى: ﴿ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾ [التوبة: ٥]. قال القرطبي رحمه الله: "واعلم أن مطلق قوله: "فاقتلوا المشركين" يقتضي جواز قتلهم بأي وجه كان، إلا أن الأخبار وردت بالنهي عن المثلة. ومع هذا فيجوز أن يكون الصديق ﷺ حين قتل أهل الردّة بالإحراق بالنار، وبالحجارة وبالرمي من رؤوس الجبال، والتنكِيس في الآبار، تعلّق بعموم الآية. وكذلك إحراق علي ﷺ قوماً من أهل الردّة يجوز أن يكون ميلاً إلى هذا المذهب، واعتماداً على عموم اللفظ. والله أعلم"(١).

واحتجّوا أيضاً بقول الرسول ﷺ: "من حرّق حرقناه"(٢). وأجابوا عن الأحاديث التي تنص على النهي عن التعذيب بالنار بأنها ليست على سبيل التحريم قال المهلب: "ليس هذا النهي على التحريم بل على سبيل التواضع، ويدل على جواز التحريق فعل الصحابة، وقد سمل النبيّ ﷺ أعين العرنيين بالحديد المحمى(٣)، وقد حرّق أبو بكر البغاة بالنار بحضرة الصحابة وحرّق خالد بن الوليد بالنار ناساً من أهل الردّة، وأكثر علماء المدينة يجيزون تحريق الحصون والمراكب على أهلها"(٤).

القول الثاني: أنه محرّم، وهو مروي عن عمر وابن عباس، وهو قول الإمام مالك(٥)، علماً أن أكثر أصحاب هذا القول منعوا ذلك مطلقاً سواء كان ذلك بسبب كفر أو في حال مقاتلة أو كان قصاصاً، واستدل هؤلاء بما رواه البخاري رحمه الله في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في بعثٍ فقال: "إن وجدتم فلاناً وفلاناً فأحرقوهما

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠٩/١٠.

(٢) رواه البيهقي في معرفة السنن والآثار ٤١٠/١٢. وضعّفه الألباني في الإرواء ٢٩٤/٧.

(٣) انظر سنن ابن ماجه في كتاب الحدود باب من حارب وسعى في الأرض فسادا ص ٤٣٩ برقم ٢٥٧٨.

(٤) نقله ابن حجر في فتح الباري ١٥٠/٦.

(٥) انظر فتح الباري لابن حجر ١٥٠/٦.

بالنار". ثم قال رسول الله ﷺ حين أردنا الخروج: "إني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً، وإن النار لا يُعذّب بها إلا الله، فإن وجدتموهما فاقتلوهما"(١).

وعن عكرمة أن علياً رضي الله عنه حرّق قوماً فبلغ ابن عباس فقال لو كنت أنا لم أحرقهم، لأنّ النبيّ ﷺ قال: "لا تعذّبوا بعذاب الله". ولقتلتهم كما قال النبيّ ﷺ: "من بدّل دينه فاقتلوه"(٢).

والقول الثاني هو الأصح إن شاء الله، فلا يجوز التعذيب والقتل بالنار لما رُوي عن النبيّ ﷺ من نهي عن ذلك، ولما فيه من مضاهاة الله، لأنه هو الذي يعذّب بالنار وحده، فليس للعبد أن يضاهي الربّ بأفعاله.

أما الجواب عن الاستدلال بقوله تعالى ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ٥] على جواز التعذيب بالنار أن يقال: أن الإطلاق في هذه الآية مقيّد بما صحّ عن النبيّ ﷺ من النهي عن التعذيب بالنار.

وأما الحديث الذي فيه: "من حرّق حرقناه" قد أشار البيهقي(٣) وابن حجر(٤) إلى ضعفه، وحكم عليه بالضعف الشيخ الألباني(٥).

وأما الاستدلال بقصة العرنيين قال فيه ابن المنيّر(٦) وغيره: "لا حجة فيما ذكر للجواز لأن قصة العرنيين كانت قصاصاً أو منسوخة كما تقدم، وتجويز الصحابي معارض بمنع

---

(١) في كتاب الجهاد والسير باب لا يعذَّب بعذاب الله ٦١/٤ برقم ٣٠١٦.

(٢) المصدر نفسه في كتاب الجهاد والسير باب لا يعذَّب بعذاب الله ٦١/٤ برقم ٣٠١٧.

(٣) انظر معرفة السنن والآثار ٤١٠/١٢

(٤) انظر تلخيص الحبير ١٩/٤.

(٥) انظر إرواء الغليل ٢٩٤/٧.

(٦) أحمد بن محمد بن منصور بن أبي القاسم بن مختار بن أبي بكر الجذامي الإسكندراني المالكي القاضي ناصر الدين أبو العباس بن المنير، كان إماما في النحو والأدب والأصول والتفسير، وله يد طولى في علم البيان والإنشاء، اشتغل بالقضاء، توفي عام ٦٨٣ هـ. انظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ٣٨٤/١.

صحابي آخر، وقصة الحصون والمراكب مقيدة بالضرورة إلى ذلك إذا تعين طريقاً للظفر بالعدوّ، ومنهم من قيّده بأن لا يكون معهم نساء ولا صبيان"(١).

وأما ما صدر من أبي بكر وعلي وغيرهم من تعذيب بالنار نقول: لعل الحديث الدال على المنع خفي عليهم ولم يبلغهم، وما فعلوا ذلك إلا باجتهاد سائغ وتجرّد للحق مع النية الصادقة لتحقيق المصلحة العامة ودفع المفسدة، فهم مجتهدون، وقد قال النبيّ ﷺ: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر"(٢). وقد رُوي عن علي أنه قال بعد إنكار ابن عباس عليه: صدق ابن عباس(٣).

وهذا يدلّ على صدقهم وإخلاصهم، فما صدر منهم لا ينقص عنهم من قدرهم، وينبغي في مثل هذا الحال استحضار قول الشيخ يحيى بن أبي بكر العامري(٤) رحمه الله: "وينبغي لكل صيِّن متديِّن مسامحة الصحابة فيما صدر بينهم من التشاجر والاعتذار عن مخطئهم وطلب المخارج الحسنة لهم وتسليم صحة إجماع ما أجمعوا عليه على ما علموه، فهم أعلم بالحال، والحاضر يرى ما لا يرى الغائب، وطريقة العارفين الاعتذار عن المعائب، وطريقة المنافقين تتبُّع المثالب، وإذا كان اللازم من طريقة الدين ستر عورات المسلمين فكيف الظن بصحابة خاتم النبيّين مع اعتبار قوله ﷺ: "لا تسبّوا أحداً من أصحابي"(٥)، وقوله: "من

---

(١) نقله ابن حجر في فتح الباري ٦/١٥٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب أجر الحاكم ٩/١٠٨ برقم ٧٣٥٢.

(٣) رواه الترمذي في سننه في كتاب الحدود باب ما جاء في المرتد ص ٣٤٥ برقم ١٤٥٨. وصححه الشيخ الألباني.

(٤) يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي، كان محدث اليمن وشيخها في عصره سمع باليمن على إبرهيم النحوي، وأخذ عنه جماعة توفي عام ٨٩٣هـ. انظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ١٠/٢٢٤.

(٥) تقدم تخريجه ص ٤.

حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"[١] هذه طريقة صلحاء السلف وما سواها مهاو وتلف"[٢].

وبهذا يظهر جليّاً أن جهود الخلفاء الراشدين في حماية جناب التوحيد كان لها آثار جليلة على الأمة، فليس للعبد أن يضاهي الربّ بأفعاله تعظيماً له.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة ص ٦٥٦ برقم ٣٩٧٦. وصححه الشيخ الألباني.

(٢) الرياض المستطابة في من له رواية في الصحيحين من الصحابة ص ٣١١.

المبحث الرابع:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في إنكار الخوض في كيفية صفات الله وما يؤدّي إلى الجحد بها . وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالكيفية وما يتعلّق بها .

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في إنكار الخوض في كيفية صفات الله وما يؤدّي إلى الجحد بها .

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المطلب الأول: التعريف بالكيفية وما يتعلّق بها.

الكيفية في اللغة:

مصدر صناعي من لفظ كيف، وكيف كلمة يستفهم بها عن حال الشيء وصفته، فكيفية الشيء: حاله وصفته(١).

والتكييف: جعل الشيء على هيئة معينة معلومة.

التكييف شرعاً:

هو تعيين كيفية صفة الله والهيئة التي تكون عليها، فيُقال كيفية يد الله: كذا وكذا، وكيفية استوائه على هيئة كذا وكذا، وهذا لا يجوز لأن البشر لا يمكن أن يقدر على ذلك، فالكيفية مما استأثر الله تعالى بعلمه، فلا سبيل إلى الوصول إليه، الصفة تابعة للذات، فكما أن ذات الله لا يمكن للبشر معرفة كيفيتها، فكذلك صفته سبحانه لا تعلم كيفيتها(٢).

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: "ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله"(٣).

فلا يجوز لنا أن نخوض في ذات الله وصفاته وأن نبحث في كيفيتها كأن نقول: كيف علو الله؟ أو كيف استوائه؟ ما كيفية سمع الله؟ وغير ذلك من تلك الأسئلة، ولهذا كان من أكبر أصول أهل السنة في الصفة: **قطع الطمع عن إدراك كيفية صفات الله**(٤).

قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله في صفة النزول: "نشهد شهادة مقر بلسانه، مصدق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الربّ من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، أعلمنا أنه ينزل، والله جل وعلا لم يترك، ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم. فنحن قائلون

---

(١) انظر المصباح المنير للفيومي ص ٤٤٥.

(٢) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٣٦/١ و١٧٦/٣ وشرح العقيدة الواسطية الشيخ الفوزان حفظه الله ص ١٤ وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء ص ٩٩.

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٤٧٧/٢.

(٤) انظر منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص ٢٨.

مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبيّ ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول"(١).

فالواجب الإيمان بما أخبر الله ورسوله من صفات وإثباتها على الوجه الذي يليق بالله من غير أن نبحث عن كيفيتها، فالله لم يكلّفنا بذلك، وقد دلّ القرآن أن العقول قاصرة على إدراك كيفية ذات والصفات قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقول الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] أي: "لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم الله عليه"(٢).

ومن الأدلة أيضاً قول الرسول ﷺ: "تفكّروا في خلق الله ولا تفكّروا في الله"(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في التعليق على هذا الحديث: "لأن التفكير والتقدير يكون في الأمثال المضروبة والمقاييس، وذلك يكون في الأمور المتشابهة وهي المخلوقات، وأما الخالق جل جلاله سبحانه وتعالى فليس له شبيه ولا نظير، فالتفكر الذي مبناه على القياس ممتنع في حقه، وإنما هو معلوم بالفطرة فيذكره العبد، وبالذكر وبما أخبر به عن نفسه، يحصل للعبد من العلم به أمور عظيمة، لا تنال بمجرد التفكير والتقدير، أعني من العلم به نفسه، فإنه الذي لا تفكير فيه. فأما العلم بمعاني ما أخبر به ونحو ذلك، فيدخل فيها التفكير والتقدير كما جاء به الكتاب والسنة"(٤).

ولهذا لما قال رجل للإمام مالك رحمه الله كيف استوى الله؟ فقال له: قال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً. فأمر به أن يخرج"(٥).

---

(١) كتاب التوحيد ص ١٣٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٠٤/١.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٢٥٠/٦ وله طرق كثيرة، وقد صححه الألباني انظر السلسلة الصحيحة ٣٩٥/٤.

(٤) مجموع الفتاوى ٣٩/٤.

(٥) رواه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات ٣٠٦/٢-٣٠٧. صحيح انظر تخريج الأثر بالتفصيل في كتاب الأثر المشهور عن الإمام مالك للشيخ أ. د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص ٣٥.

فهذا الجواب العظيم من إمام دار الهجرة رحمه الله اتخذه أهل السنة منهجاً في باب الصفات، فقوله: الاستواء **غير مجهول** أي: صفة الاستواء معلوم معناها في اللغة العربية مفهوم لفظها لدينا، ثابتة بالنصوص الشرعية على الوجه الذي يليق بالله، فلا ننكرها.

وقوله: **والكيف غير معقول** أي: لا يمكن للعقل الوصول إلى معرفة كيفية الاستواء، من المستحيل أن يدرك حقيقة كيفية هذه الصفة، ليس للبشر قدرة على إحاطة ذلك، ولهذا فلا يطمع أن يصل إلى معرفة كنه الصفات.

وقوله: **والإيمان به واجب** أي: ما دام صفة الاستواء ثابتة بالكتاب والسنة فيجب علينا أن نصدق هذا الخبر، فلا مجال للشكّ، بل نكون على يقين أن الربّ متصف بهذه الصفة.

وقوله: **والسؤال عنه بدعة** أي: أن يُسأل عن كيفية الصفة أمر محدث، لم يشرعه الله للعباد، ولم يكن الصحابة يبحثون ويخوضون في هذا، لأنهم فهموا أنه لا سبيل إلى الجواب عن مثل هذا السؤال، فمن تجاوز هذا الحد فليكن على يقين أنه قال على الله بلا علم[(١)].

فيعتبر جواب الإمام مالك وما تضمنه من المعاني الدقيقة والدلالات العظيمة قاعدة من القواعد الأساسية في باب الصفات، فهو المنهج القوي الذي يسير عليه أهل السنة في جميع ما أخبر الله عن نفسه من الصفات والأفعال الإلهية.

وقد رُوي عن أئمة السلف أقوال كثيرة لا تحصى، هي نظير لما قاله الإمام مالك رحمه الله في تقرير عدم معرفة كيفية الصفات ومنع السؤال عنها، وعلى سبيل المثال قول الإمام الفضيل بن عياض[(٢)]: "ليس لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف، لأن الله وصف نفسه فأبلغ فقال: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤] فلا صفة أبلغ مما وصف الله ﷻ به نفسه، وكل هذا النزول

---

(١) انظر الأثر المشهور عن الإمام مالك في صفة الاستواء للشيخ أ. د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص ١١٠-١٤٣.

(٢) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، الإمام القدوة الثبت، شيخ الإسلام، أبو علي، أحد صلحاء الدنيا وعبادها، ذكر الصيمري أنه أحد من أخذ الفقه عن أبي حنيفة، توفي عام ١٨٧هـ. انظر السير للذهبي ٨/٤٢١.

والضحك، وهذه المباهاة، وهذا الاطلاع كما شاء أن ينزل وكما شاء أن يباهي، وكما شاء أن يطلع وكما شاء أن يضحك، فليس لنا أن نتوهم أن كيف وكيف"(١).

قول الأوزاعي وغيره: "أمرّوها كما جاءت بلا كيف"(٢) أي: أثبتوا حقيقة الصفات وما دلّت عليه من المعاني من غير أن تبحثوا عن كيفيتها(٣).

هل هناك فرق بين التكييف والتمثيل؟

ذكر سابقاً أن التكييف هو تعيين كيفية الصفة، فليس فيه تقيّد بمماثل.

وأما التمثيل: إثبات مثيل للشيء، وتمثيل الله يراد به: اعتقاد أن صفات الله مثل صفات المخلوقين.

"ولعل الصواب أن التكييف أعم من التمثيل. فكل تمثيل تكييف، لأن من مثّل صفات الخالق بصفات المخلوقين فقد كيّف تلك الصفة أي: جعل لها حقيقة معينة مشاهدة.

وليس كل تكييف تمثيلاً، لأن من التكييف ما ليس فيه تمثيل صفات المخلوقين، كقولهم: طوله كعرضه"(٤).

---

(١) ذكره ابن تيمية انظر مجموع الفتاوى ٦٢/٥.

(٢) ذكره ابن عبد البر في التمهيد ١٤٩/٧.

(٣) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٢/٥.

(٤) معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات للشيخ محمد بن خليفة التميمي ص ٦٤.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في إنكار الخوض في كيفية صفات الله وما يؤدّي إلى الجحد بها.

٢٩- عن ابن عباس ﷺقال: "دخل أبو بكر الصديق ﷺ بيت المِدْراس(١)، فوجد من يهود ناساً كثيراً قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فِنحاص، كان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حبر يقال له أشيع، فقال أبو بكر ﷺ لفنحاص: ويحك يا فنحاص، اتّق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمّداً رسول الله، قد جاءكم بالحق من عند الله، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل، قال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، وإنّه إلينا لفقير، وما نتضرّع إليه كما يتضرّع إلينا، وإنّا عنه لأغنياء، ولو كان عنّا غنياً ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربّا ويعطيناه، ولو كان غنياً عنّا ما أعطانا الربّا، فغضب أبو بكر ﷺ، فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والذي نفسي بيده، لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدوّ الله، فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين، فذهب فنحاص إلى رسول الله، فقال: يا محمّد انظر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: وما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا رسول الله إن عدوّ الله قال قولاً عظيماً، زعم أنّ الله فقير، وأنّهم عنه أغنياء، فلمّا قال ذلك غضبتُ لله مما قال، فضربتُ وجهه، فجحد ذلك فنحاص، وقال: ما قلت ذلك، فأنزل الله تبارك وتعالى فيما قال فنحاص ردّاً عليه وتصديقاً لأبي بكر الصديق ﷺ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وقول أبي بكر وما بلغه في ذلك من الغضب: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]"(٢).

(١) المدراس: هو البيت الذي يدرسون فيه، ومفعال غريب في المكان. انظر النهاية لابن الأثير ٥٦٤/١.

(٢) رواه الطبري في جامع البيان ٤٤١/٧، وابن المنذر في تفسير القرآن ٥١٥/٢، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن ٨٢٩/٣. قال الطبري: "حدثنا أبو كريب قال: حدثنا يونس بن بكير قال: حدثنا محمد

.

ففي هذا الأثر العظيم دلالة على تحقيق حماية جناب التوحيد في باب الصفات، وذلك بإنكار أبي بكر على اليهود وصف الله بما يتضمن عيباً أو نقصاً له سبحانه وتعالى ومن ذلك وصفهم الله بأنه الفقير -تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً-، فإذا كان مجرّد الخوض في كيفية صفات الله محرّماً فكيف بمن وصف الله بالنواقص والعيوب؟!، مع العلم أن من وصف الله بالفقر فقد وقع في التكييف.

فأبو بكر الصديق ﷺ لما سمع من اليهود تلك المقالة المنكرة الكفرية، المضادة للتوحيد غضب ﷺلله سبحانه وتعالى حتى ضرب اليهودي ضرباً شديداً، وهمّ أن يقتله، فأبو بكر هذا الصحابي الجليل ﷺ الذي امتلأ قلبه توحيداً أنكر على هذا اليهود المتمرد حسب مقدرته، ولم يسكت عن هذه المقالة القبيحة صيانة لمقام التوحيد، لأنه ﷺ يعرف ربّه بأسمائه وصفاته وأفعاله، يعلم يقيناً أنّ الله منزّه عن الفقر، فهي صفة ممتنعة في حقّه سبحانه وتعالى، فلا يحتاج إلى الغير، بل هو الغني بذاته.

وقولهم هذا يدلّ على أن اليهود من أخبث الأمم وأبعد الناس توقيراً وتعظيماً لله، قال الإمام ابن القيم رحمه الله في النونية معبراً عن هذه القصة:

ولقد حكى الرحمن قولا قاله ... فنحاص ذو البهتان والكفران
أن الإله هو الفقير ونحن أصحـ ... ـاب الغنى ذو الوجد والإمكان(١)

قال الإمام السعدي رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١]: "يخبر تعالى عن قول هؤلاء المتمردين، الذين قالوا أقبح المقالة وأشنعها، وأسمجها، فأخبر أنّه قد سمع ما قالوه وأنه سيكتبه ويحفظه، مع أفعالهم الشنيعة، وهو: قتلهم الأنبياء الناصحين، وأنه سيعاقبهم على ذلك أشدّ العقوبة، وأنّه يقال لهم -بدل قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء- ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ المحرق النافذ من البدن إلى الأفئدة، وأنّ

بن إسحاق قال: حدثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس. . . أثر". قال ابن حجر: "وروى بن أبي حاتم وبن المنذر بإسناد حسن". فتح الباري ٢٣١/٨.

(١) متن القصيدة النونية ص ١٠١.

عذابهم ليس ظلماً من الله لهم، فإنه ﴿ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ فإنّه منزّه عن ذلك، وإنّما ذلك بما قدمت أيديهم من المخازي والقبائح، التي أوجبت استحقاقهم العذاب، وحرمانهم الثواب. وقد ذكر المفسّرون أنّ هذه الآية نزلت في قوم من اليهود، تكلموا بذلك، وذكروا منهم "فنحاص بن عازوراء" من رؤساء علماء اليهود في المدينة، وأنه لما سمع قول الله تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة: ٢٤٥] و﴿ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [الحديد: ١٨] قال: -على وجه التكبّر والتجرهم- هذه المقالة قبحه الله، فذكرها الله عنهم، وأخبر أنه ليس ببدع من شنائعهم، بل قد سبق لهم من الشنائع ما هو نظير ذلك، وهو: ﴿ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ هذا القيد يراد به، أنّهم تجرأوا على قتلهم مع علمهم بشناعته، لا جهلاً وضلالاً بل تمرداً وعناداً"(١).

٣٠- قال عثمان بن عفان رضي الله عنه في شعره:

واعلم أن الله ليس كصنعه ... صنيع ولا يخفى على ملحد(٢)

ففي هذا البيت دلالة على حماية التوحيد بنفي المماثلة بين صفات الخالق والمخلوق، فالله سبحانه ليس كخلقه، فلا مثيل له ولاشبيه ولا ندّ في أسمائه وصفاته وأفعاله، بل هو المتفرّد بصفات الكمال والنعوت العظمة والأفعال المقدّسة قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] وقال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [النحل: ٧٤].

قال إمام المفسّرين ابن جرير الطبري رحمه الله: "فلا تمثّلوا لله الأمثال، ولا تُشبِّهوا له الأشباه، فإنه لا مِثل له ولا شِبه"(٣).

فقول عثمان رضي الله عنه هو تحذير من التمثيل والتكييف، لأن من مثّل صفات الخالق بصفات المخلوقين فقد كيّف تلك الصفة أي: جعل لها حقيقة معيّنة مشاهدة كما سبق بيان ذلك.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ١٥٩.
(٢) جمهرة أشعار العرب لمحمد بن أبي الخطاب ص ٢٩.
(٣) جامع البيان ١٧/٢٥٩.

٣١- عنْ أبي الطُّفَيْل[١] عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: "حدّثوا الناس بما يعرفون أتحبّون أن يُكذَّب اللّه ورسوله"[٢]. وفي رواية زيادة: "ودعوا ما ينكرون"[٣].

فمعنى قول علي بن أبي طالب ﷺ: حدّثوا الناس بما يفهمون، ودعوا ما يشتبه عليهم فهمه. فهذا الأثر فيه منافحة عن التوحيد وإرشاد إلى ترك المسائل الدقيقة والمتشابهة عند تعليم الجاهل العامّي المبتدئ، فلا تُذكَر عنده المواضع العلمية التي لا يفقهها أو تشوّش عليه ويستنكرها عقله حتى لا يبادر إلى التكذيب والجحد بما سمع، ومن ذلك ذكر المسائل العلمية الدقيقة في الأسماء والصفات عند عامة الناس لما قد يترتب على ذلك من الآثار السيّئة، ومن أعظمها الجحد بصفات الله لأنّ أفهام العامة لا تتحمل تلك المسائل، بل يُحدَّث المسلم بما يدركه وينفعه في دينه من مسائل مبسطة في العقيدة والعبادات كأركان الإيمان ومراتب الدين وشروط الصلاة وغير ذلك مما لا يستشكل عليه قال الحافظ ابن حجر رحمه الله معلّقاً على أثر علي: "وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة"[٤] أي: جميع المسائل العلمية الدقيقة التي لا يدركها العامّي، وهذا في جميع أبواب العلم.

---

(١) الطفيل بن عمرو الدوسي صاحب النبيّ ﷺ، كان سيدا مطاعا من أشراف العرب، ودوس بطن من الأزد، وكان الطفيل يلقب ذا النور، أسلم قبل الهجرة بمكة، توفي حول عام ٣٠هـ. انظر السير للذهبي ٣٤٤/١.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه في كتاب العلم في باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا ٣٧/١ برقم ١٢٧.

(٣) رواه بهذه الزيادة من نفس طريق البخاري: البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى ص ٣٦٢.

(٤) فتح الباري ٢٢٥/١.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

لقد كان في جهود الخلفاء الراشدين ﷺ تحقيق لحماية جناب التوحيد وآثار عظيمة على الأمة، ومن أجلّها ما يلي:

١/ تعليم الأمة أصولاً عظيمة وقواعد أساسية لا يستغني عنها من أراد تحقيق التوحيد في باب الأسماء والصفات ومن ذلك النهي عن وصف الله بما يتضمن عيباً، فلا يجوز أن يُوصف الله بما فيه نقص أو بما لا يليق بالله، بل الربّ له نعوت العظمة والجمال، فصفاته كلّها صفات كمال محض، لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

٢/ بيان للأمة فساد منهج اليهود في باب الأسماء والصفات وتحذيرها من هذا المسلك الخبيث، ففي الآثار السابقة دلالة واضحة على ضلال اليهود في باب الأسماء والصفات، ومعروف أنّه غلب عليهم التقصير والتفريط فيه وإن كان فيهم غلو، فهم من أشدّ الأمم انحرافاً في هذا الباب، إذ وصفوا الربّ بالنقائص والعيوب كالفقر والتعب والاستراحة، وقالوا أيضاً أنّه يحزن ويندم على أفعاله[(١)] وغير ذلك مما يتنزّه الله عنه، تعالى الله علواً كبيراً عمّا يقولون، ومثل هذه الأوصاف تقتضي تشبيه الخالق بالمخلوق، فهم عطّلوا صفات الربّ عن الكمال، وعطّلوا النصوص الدالة على نفي المماثلة بين الخالق والمخلوق، ولهذا ذكر أهل العلم أن أصل مقالة التعطيل مأخوذة من اليهود، فهم سلف المعطلة في هذا الضلال، لأنّ الجهم بن صفوان الذي هو على رأس المعطلة أخذ بدعته عن الجعد بن درهم[(٢)]، والجعد أخذ بدعته عن أبان بن سمعان، وأبان أخذها عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم الذي أخذها عن لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبيّ ﷺ، فتكون بدعة التعطيل أصلها من اليهود[(٣)].

---

(١) انظر وسطية أهل السنة بين الفرق لمحمد باكريم ص ٢٨٠ ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية لسعود الخلف ص ١٠٥.

(٢) الجعد بن درهم، كان من أهل الشام، وهو أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ إبراهيم خليلا، ولا كلم موسى، وأن ذلك لا يجوز على الله، قال المدائني: كان زنديقا توفي عام ١٠٨هـ. انظر السير للذهبي ٤٣٣/٥.

(٣) انظر الحموية لابن تيمية ص ١٣ والقول المفيد للعثيمين ٤١٤/١.

فالحاصل أنّ اليهود معروفون من قديم الزمان بالطعن في الربّ وتنقصه، ووصفه بما لا يليق به.

٣/ في موقف أبي بكر مع فنحاص اليهودي درس عظيم للأمة في بيان وجوب إنكار المنكر وبذل الجهد في الرد على المقالات الشركية، فينبغي المبادرة إلى كشف ضلال المضلّين وإبطال شبهات أهل الهواء من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم ممن خرج عن المنهج القويم والصراط المستقيم في باب الأسماء والصفات.

٤/ بيان للأمة المنهج القويم والمسلك الصحيح في الدعوة إلى الله بعدم إلقاء بعض المسائل الدقيقة وعدم تحديث الناس بما يصعب عليهم فهمه فلا يصدقونه، بل يُخبرون بما يقدرون على استيعابه وفقهه حتى لا يجحدوا شيئاً من دين الله.

وقد كان لقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه أثر بليغ في الاستدلال وبيان العلماء هذه المسألة، ومن ذلك:

- قول النووي رحمه الله في كتابه الأذكار: "باب نهي العالم وغيره أن يحدّث الناس بما لا يفهمونه، أو يخاف عليهم من تحريف معناه وحمله على خلاف المراد منه"[(١)]، ثم أورد أثر علي رضي الله عنه.

- وقال الشاطبي رحمه الله في كتابه الاعتصام: "التحدث مع العوام بما لا تفهمه ولا تعقل مَغْزاه، فإنه من باب وضع الحكمة غير موضعها، فسامعها إما أن يفهمها على غير وجهها، وهو الغالب، وذلك فتنة تؤدّي إلى التكذيب بالحق وإلى العمل بالباطل، وإما أن لا يفهم منها شيئاً، وهو أسلم ولكن المحدِّث لم يعط الحكمة حقّها من الصون، بل صار في التحدّث بها كالعابث بنعمة الله، ثم إن إلقاءها لمن لا يعقلها في معرض الانتفاع بها بعد تعقلها كان من باب التكليف بما لا يطاق، وقد جاء النهي عن ذلك فخرج أبو داود حديثاً عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الغلوطات[(٢)]. قالوا: وهي صعاب المسائل أو شرار المسائل. وهذا المعنى هو مقتضى الحكمة ألا تعلّم الغرائب إلا بعد إحكام الأصول، وإلا دخلت الفتنة، وقد قالوا في العالم الربّاني إنّه الذي يربي بصغار العلم قبل كباره. وهذه الجملة شاهدها في

(١) ص ٣٦٦.

(٢) في سننه في كتاب العلم باب التوقي في الفتيا ص ٦٥٧ برقم ٣٦٥٦. وضعّفه الشيخ الألباني.

الحديث الصحيح مشهور، وقد ترجم على ذلك البخاري فقال: "باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا". ثم أسند عن علي ابن أبي طالب. . . الأثر. وقد ذكر العلماء هذا المعنى في كتبهم وبسطوه بسطاً شافياً والحمد لله. وإنما نبّهنا عليه لأنّ كثيراً ممن لا يقدُر قدرَ هذا الموضع، يزِلُّ فيه فيُحدِّث الناس بما لا تبلغه عقولهم، وهو على خلاف الشرع وما كان عليه سلف هذه الأمة"(١).

- وقال أيضاً في الموافقات: "يُعلم أنّه ليس كل ما يعلم مما هو حق يطلب نشره، وإن كان من علم الشريعة ومما يفيد علماً بالأحكام، بل ذلك ينقسم، فمنه ما هو مطلوب النشر، وهو غالب علم الشريعة، ومنه ما لا يطلب نشره بإطلاق، أو لا يطلب نشره بالنسبة إلى حال أو وقت أو شخص. ومن ذلك تعيين هذه الفرق، فإنّه وإن كان حقّاً فقد يثير فتنة، كما تبيّن تقريره، فيكون من تلك الجهة ممنوعاً بثه. ومن ذلك علم المتشابهات والكلام فيها، فإنّ الله ذمّ من اتبعها، فإذا ذكرت وعرضت للكلام فيها، فربما أدّى ذلك إلى ما هو مستغنى عنه، وقد جاء في الحديث عن علي: "حدثوا الناس بما يفهمون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟ "(٢). وفي الصحيح عن معاذ أنه عليه الصلاة والسلام قال: "يا معاذ! تدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله..." الحديث إلى أن قال: قلت: يا رسول الله! أفلا أبشّر الناس؟ قال: "لا تبشّرهم فيتّكلوا"(٣). ومنه أن لا يذكر للمبتدئ من العلم ما هو حظ المنتهي، بل يربّي بصغار العلم قبل كباره، وقد فرض العلماء مسائل مما لا يجوز الفتيا بها وإن كانت صحيحة في نظر الفقه، إلى غير ذلك مما يدلّ على أنّه ليس كل علم يُبث وينشر وإن كان حقاً، وقد أخبر مالك عن نفسه أن عنده أحاديث وعلماً ما تكلم فيها، ولا حدّث بها، وكان يكره الكلام فيما ليس تحته عمل، وأخبر عمن تقدمه أنهم كانوا يكرهون ذلك، فتنبّه لهذا المعنى"(٤).

---

(١) ٢٩٥/٢ باختصار.

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٠٠.

(٣) تقدم تخريجه ص ٩٤.

(٤) ١٦٧/٥ باختصار.

- وأورد الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله أثر علي ﷺ في كتابه كتاب التوحيد تحت: "باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات"(١).

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله في كتابه التمهيد عند شرح هذا الباب العظيم: "فمناسبة هذا الأثر لهذا الباب: أن من أسباب جحد الأسماء والصفات أن يحدث المرء الناس بما لا يعقلونه من الأسماء والصفات، لأنّ عامة الناس عندهم إيمان إجمالي بالأسماء والصفات يصح معه توحيدهم وإيمانهم وإسلامهم، فالدخول في تفاصيل ذلك غير مناسب إلا إذا كان المخاطَب يعقل ذلك ويعيه، وليس أكثر الناس كذلك، ولهذا نهى الإمام مالك رحمه الله لما حُدِّث عنده بحديث الصورة نهى المتحدِّث بذلك، لأنّ العامة لا يحسنون فهم مثل هذه المباحث، وهكذا في بعض المسائل في الأسماء والصفات لا تناسب العامة، فقد يكون سبب الجحد تحديث الرجل ببحث لا يعقله، فيؤول به ذلك إلى أن يجحد شيئاً من العلم بالله جلّ وعلا، أو أن يجحد شيئاً من الأسماء والصفات. فالواجب على المسلم وبخاصة طالب العلم أن لا يجعل الناس يكذّبون شيئاً مما قاله الله جلّ وعلا أو أخبر به رسوله ﷺ، ووسيلة ذلك التكذيب أن يحدِّث الناس بما لا يعرفون، وبما لا تبلغه عقولهم، كما جاء في الحديث الآخر: "ما أنت بمحدّث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"(٢).

وقد بوّب على ذلك البخاري في الصحيح في كتاب العلم بقوله: "باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشدّ منه"(٣).

"وهذا من الأمر المهم الذي ينبغي للمعلّم والمتحدّث والواعظ والخطيب أن يعيه، وأن يحدّث الناس بما يعرفون وأن يجعل تقوية التوحيد وإكمال توحيدهم والزيادة في إيمانهم بما يعرفون لا بما ينكرون"(٤).

فيُستفاد من قول علي ﷺ أهمية فقه الدعوة ومراعاة أصناف المدعوين، فهناك بعض موضوعات لا تصلح لكل أحد، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند قول الله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِن

(١) كتاب التوحيد (مجموع مؤلفاته) ١/١٠٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في المقدمة باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ١/١١ (بدون رقم).

(٣) انظر صحيح البخاري كتاب العلم باب من ترك بعض الاختيار مخافة ١/٣٧.

(٤) التمهيد لصالح آل الشيخ ص ٤٤٠.

نَفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴾ [الأعلى: ٩] "أي: ذكّر حيث تنفع التذكرة، ومن ههنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله، كما قال علي رضي الله عنه... "(١).الأثر.

فينبغي للداعية أن يُنزل الناس منازلهم، فيدعوهم ويخاطبهم حسب مستواهم العلمي والاجتماعي، ما يحدّثهم بشيء إلا على قدر أفهامهم وعقولهم وطاقتهم، وقد رُوي عن النبيّ ﷺ أنه قال: "أنزلوا الناس منازلهم"(٢). فيُعطى لكل ذي حق حقه.

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: "وهذه حكمةٌ عظيمة من أمير المؤمنين رضي الله عنه: أنه أمر أن يراعى أحوال الحاضرين وأحوال السّامعين، فيحدّثون بما يتناسب مع مستواهم العلميّ. ويا ليت المتحدِّثين في وقتنا هذا والخُطباء يمشون على هذا النّظام وهذه القاعدة التي قالها أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فهذه قاعدة للمتحدِّثين في كل وقت: أنّ المتحدِّث يراعي أحوال السّامعين: إنْ كان في وسطٍ علمي يتحدّث بما يناسِبه، وإن كان في وسط عامِّي يتحدّث بما يناسبه، وإنْ كان في وسط مختَلِط من العلماء ومن الجهّال ومن العوام فإنّه يلاحظ الواقع، فيتحدّث بحديث يستفيدُ منه الحاضرون ويفهمونه من أُمور دينهم، ويدرِّسون العقائد والعلوم شيئاً فشيئاً حتى تتسع لها عقولهم، وتتقبّلها أفهامهم"(٣).

فهذه أهم آثار جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في إنكار الخوض في كيفية صفات الله وما يؤدّي إلى جحد بها، فالحاصل أنه يجب الإيمان بما أخبر الله ورسوله من الصفات وإثباتها على الوجه الذي يليق بالله وعدم البحث عن كيفيتها.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ص ٦٤٥.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب في تنزيل الناس منازلهم ص ٨٧٧ برقم ٤٨٤٢. وضعّفه الشيخ الألباني.

(٣) إعانة المستفيد ١٤٣/٢.

المبحث الخامس:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب كلام الله.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بكلام الله وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب كلام الله.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المطلب الأول: التعريف بكلام الله وما يتعلّق به.

من المقرر عند أهل السنة والجماعة أن الله موصوف بصفات الكمال، ومنها صفة الكلام، فهي صفة حقيقية، ثابتة له على الوجه اللائق به، فهذا هو المراد هنا بكلام الله.

فالله ربّنا يتكلم بحرف وصوت، كيف شاء، ومتى شاء، وقد دلت الأدلة من القرآن والسنة على أن الله متصف بالكلام، أما أدلة القرآن كقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾[الأعراف: ١٤٣] فهذه الآية دليل واضح على أن الله يتكلم بمشيئته.

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥] فهذه الآية فيها دليل على أن كلام الله بحرف، فإن مقول القول فيها حروف.

وقوله تعالى: ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم: ٥٢] وهذه الآية فيها دليل على أن كلام الله بصوت لأنه لا يتصور النداء والمناجاة إلا بصوت(١).

ومن أدلة السنة قول النبيّ ﷺ: "يقول الله تعالى: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك. فينادي بصوت: "إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار"(٢).

فكلام الله صفة ذاتية فعلية، فهي ذاتية لأن الله لم يزل ولا يزال متصفاً بها، فهي صفة قائمة به أزلية بأزليته، باقية ببقائه(٣)، قال الإمام أحمد رحمه الله: "إن الله لم يزل متكلّماً إذا شاء، ولا نقول إنه قد كان ولا يتكلم حتى خلق كلاماً. ولا نقول إنه قد كان لا يعلم حتى خلق علماً فعلِم، ولا نقول إنه قد كان ولا قدرة له حتى خلق لنفسه القدرة"(٤).

وهي صفة فعلية، تتعلق بمشيئته، فإذا شاء تكلم الله بما شاء وكيف شاء، وإن شاء لم يتكلم، قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ١٢٧٤/٣ ومجموع الفتاوى للشيخ العثيمين ٦١/٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب: ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ ﴾ [الحج: ٢] ٩٧/٦ برقم ٤٧٤١.

(٣) انظر معارج القبول لحافظ الحكمي ٣٢١/١.

(٤) الرد على الزنادقة والجهمية ص ٢٧٧.

يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴾ [القصص: ٣٠ – ٣١].

قال العلّامة حافظ الحكمي رحمه الله: "وفي هذا أعلى دلالة وأبينها وأوضحها على ثبوت صفة الكلام لربّنا عز وجل، وأنه يتكلم إذا شاء بما يشاء وكيف يشاء بكلام يُسمعه من يشاء، أسمعه موسى عليه السلام كيف شاء وعلى ما أراد"(١).

والقرآن الكريم المنزَّل على الرسول محمد ﷺ هو من كلام الله سبحانه وتعالى، منه بدأ وإليه يعود، لفظه ومعناه، ليس اللفظ دون المعنى، ولا المعنى دون اللفظ، أما ألفاظ العباد وحركاتهم وأداؤهم فكل ذلك مخلوق بائن عن الله.

"فالقرآن الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات هو عين كلام الله سبحانه حقّاً، لا تأليف ملك ولا بشر، وأن حروفه ومعانيه عين كلامه سبحانه الذي تكلّم به سبحانه حقّاً، وبلغه جبريل إلى محمد ﷺ، وبلغه محمد ﷺ فللرسولين منه مجرد التبليغ والأداء، لا الوضع والإنشاء، فإضافته إلى الرسول ﷺ بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [التكوير: ١٩] إضافة تبليغ وأداء، لا إضافة وضع وإنشاء، لا كما يقوله أهل الزيغ والافتراء، فالقرآن كلام الله، يُسمع وهو غير مخلوق"(٢).

وقد عرّف العلماء القرآن بتعريفات عديدة منها ما يلي:

قال الإمام ابن قدامة رحمه الله: "كلام الله الذي نزل به جبريل عليه السلام على النبيّ ﷺ، ما نُقل إلينا بين دفتي المصحف نقلاً متواتراً"(٣).

وقال القرطبي رحمه الله: "اسم لكلام الله تعالى الذي جاء به محمد ﷺ معجزة له، محفوظ في الصدور، مقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف"(٤).

فالقرآن هو كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقّاً، وأيقنوا أنه كلام الله حقيقة، سمعه جبريل عليه السلام من الله ﷻ، ونزل به

---

(١) معارج القبول ٣١٦/١.

(٢) التنبيهات السنية للشيخ عبد العزيز الرشيد ص ١٤٣ بتصرف يسير.

(٣) انظر روضة الناظر ص ٦١.

(٤) الجامع الأحكام القرآن ١٢٦/١ باختصار.

على خاتم رسله محمد ﷺ بلفظه ومعناه، المنقول بالتواتر، المفيد للقطع واليقين، المكتوب في المصاحف، المحفوظ من التغيير والتبديل(١).

والقرآن هو أفضل ما أوحى الله به إلى رسول، فهو كتاب عظيم حكيم، ناسخ للكتب السابقة ومهيمن عليها، يهدي للتي هي أقوم، فيه سعادة الدارين، والآيات الواضحات البيّنات، والدلائل الجليات، والبراهين القاطعات، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فالقرآن هو الفرقان الذي فرّق الله به بين الحق والباطل، والتوحيد والشرك، والسنة والبدع، فهو الكتاب المبين المجيد الذي يتعبّد العباد الصالحون بتلاوته وحفظه وتدبّره وأحكامه وإقامة حدوده، وتعليمه، وهو معجزة نبيه ﷺ التي تحدى بِها العرب والعجم، فهو كتاب شامل مبارك حتى جعله الله شفاء للمؤمنين من الأمراض المعنوية والحسية، ولهذا كان من الواجب على المسلم أن يُعظِّم هذا الكتاب الكريم، ومن تأمّل وتتبع حياة الصحابة، خصوصاً الخلفاء الراشدين ﭫ علم أنهم اعتنوا بكتاب الله أشدّ العناية، وبذلوا جهداً كبيراً في خدمته كما سيتبيّن في المطلب التالي إن شاء الله .

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء ص ١٨٤.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب كلام الله.

إن الواجب على المسلم أن يُعظّم هذا الكتاب الكريم وأن يوقّره وأن يصونه من كل ما يؤدّي إلى إهانته وعدم إجلاله، لأن هذا الكتاب كلام الله، فلا شكّ أن احترام القرآن وإكرامه تحقيق للتوحيد إذ يعتقد العبد المؤمن أن هذا الكتاب كلام الله، صفة من صفاته، فيدفعه هذا الأمر إلى الاعتناء به.

وبناء على ذلك سأذكر في هذا المطلب بعض الآثار في جهود الخلفاء الراشدين التي فيها دلالة واضحة على عنايتهم بكتاب الله تعليماً وتعلّماً وحفظاً وحماية إذ الدافع إلى هذا الاهتمام هو التعظيم لكلام الله وإجلاله وإكرامه تحقيقاً لتوحيد الله. وعنايتهم بكتاب الله تتمثل في أمور ثلاثة:

أولاً: جهود الخلفاء الراشدين في حثّ الناس على تعلّم القرآن وتعليمه والعمل به.

ثانياً: جهود الخلفاء الراشدين في حماية الناس من الانحراف في عقيدة القرآن والشبهات والتأويلات الفاسدة.

ثالثاً: جهود الخلفاء الراشدين في حماية كلام الله القرآن من الضياع والنسيان والتحريف .

أولاً: جهود الخلفاء الراشدين في حثّ الناس على تعلّم القرآن وتعليمه والعمل به:

٣٢- عن محمد بن عبد الرحمن بن زيد قال: قال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: "إعراب القرآن أحبّ إلينا من حفظ حروفه"(١).

٣٣- عن شهاب(٢) قال: قال عمر ﷺ: "تعلَّموا كتاب الله، تُعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله"(٣).

٣٤- عن المسور بن مخرمة عن عمر ﷺ أنه قال: "تعلّموا سورة البقرة، وسورة النساء، وسورة المائدة، وسورة الحج، وسورة النور، فإن فيهن الفرائض"(٤).

٣٥- عن عمر بن زيد(٥) قال: "كتب عمر ﷺ إلى أبي موسى ﷺ: أما بعد: فتفقّهوا في السنة، وتفقّهوا في العربية وأعربوا القرآن فإنه عربي"(٦).

---

(١) أخرجه أبو بكر بن الأنباري في كتابه الوقف والابتداء ص ٢٦. وأورده ابن قدامة في لمعة الاعتقاد ص ١٧.

(٢) شهاب أبو جعفر رجل بن عبد القيس حدث عن عمر وسمع عليا. انظر فتح الباب في الكنى والألقاب لابن منده ١/١٨٢.

(٣) رواه ابن أبي شيبة ١٠/٤٨٤ قال: "حدثنا ابن إدريس عن ليث، عن ابن شهاب. . . الأثر".

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ٢/٤٢٩ والبيهقي في شعب الإيمان ٣/٣٧٤ قال الحاكم: "أخبرنا أبو جعفر محمد بن محمد بن عبد الله البغدادي ثنا يحيى بن عثمان بن صالح السهمي حدثني أبي ثنا ابن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب حدثني حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن المسور بن مخرمة: أنه سمع عمر. . . الأثر". قال الحاكم: "هذا حديث صحيح ولم يخرجاه". وقال الذهبي: "هو على شرط البخاري ومسلم".

(٥) عمر بن زيد اليماني. ذكره البخاري في التاريخ الكبير ٦/١٥٧.

(٦) رواه سعيد بن منصور في السنن ٢/٢٧١ وابن أبي شيبة في المصنف ١٠/٤٥٦ والبلاذري في أنساب الأشراف ص ٢٣٥، قال ابن أبي شيبة: "حدثنا عيسى بن يونس عن ثور عن عمر بن زيد. . . الأثر". قال الشيخ د. عبد السلام بن محسن آل عيسى: "الأثر يرتقي بمجموع طرقه لدرجة الحسن لغيره". انظر دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب ٢/٨٧١.

٣٦- عن ابن عباد[١] أن علي بن أبي طالب ﷺ قال: "إن الفقيه حق الفقيه من لم يُقنِّط الناس من رحمة الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يؤمِّنهم عذاب الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، إنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فهم فيه، ولا قراءة لا تدبر فيها"[٢].

٣٧- عن الحارث[٣] عن علي ﷺ، قال: "مثل الذي جمع الإيمان وجمع القرآن مثل الأُترُجة الطيبة الطَّعْم، ومثل الذي لم يجمع الإيمان ولم يجمع القرآن مثل الحَنْظَلة خبيثة الطعم وخبيثة الريح"[٤].

٣٨- عن أبي الطفيل قال: قال علي: "سلوني عن كتاب الله، فإنّه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل"[٥].

وروي عنه ﷺ أنه قال: "سلوني قبل أن تفقدوني سلوني عن طرق السماء فإني أعلم بها من طرق الأرض"[٦].

---

(١) يحيى بن عباد بن شيبان الأنصاري، كنيته أبو هبيرة من الكوفة، له صحبة، توفي بعد ٢٠هـ. انظر الاستيعاب لابن عبد البر ٧٠٦/٢.

(٢) رواه الدارمي في سننه ١٠١/١ قال: "أخبرنا إسماعيل بن أبان عن يعقوب القمي حدثني ليث بن أبي سليم عن يحيى هو بن عباد عن علي. . . الأثر". قال محقق الكتاب الشيخ حسين بن سليم بن أسد: "في هذا الإسناد علتان: الأولى: ضعف ليث بن أبي سليم والثانية: الانقطاع يحيى بن عباد بن شيبان لم يدرك عليا فيما نعلم".

(٣) الحارث بن حرمل بن يغلب بن ربيعة بن نمر الحضرمي، حدّث عن علي بن أبي طالب. انظر الإكمال لابن ماكولا ٥٠٨/١.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥٢٩/١٠ والدارمي في سننه ٥٣٥/٢ قال: "أخبرنا عبيد الله عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي. . . الأثر". قال محقق كتاب سنن الدارمي الشيخ حسين بن سليم بن أسد: "إسناده صحيح".

(٥) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣٣٨/٢ قال: "عبد الله بن جعفر الرقي. أخبرنا عبيد الله بن عمرو عن معمر عن وهب بن أبي دبي عن أبي الطفيل. . . الأثر".

(٦) رواه ابن عساكر في تاريخه ٣٩٧/٤٢ وذكره ابن تيمية في منهاج السنة ٤٦/٨.

فقال ذلك أمير المؤمنين لما كان في العراق بعد ما مات عدد كبير من علماء الصحابة، فكان حريصاً على إرشاد الناس وتعليمهم القرآن الكريم وأحكام الدين قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لم يكن ﷺ يقول هذا بالمدينة بين المهاجرين والأنصار الذين تعلّموا كما تعلّم وعرفوا كما عرف، وإنما قال هذا لما صار إلى العراق وقد دخل في دين الإسلام خلق كثير لا يعرفون كثيراً من الدين وهو الإمام الذي يجب عليه أن يفتيهم ويعلّمهم، فكان يقول لهم ذلك ليعلّمهم ويفتيهم"(١).

٣٩- عن عمير بن سعيد(٢) عن علي ﷺ قال: "ما كنت أرى أحداً يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الأواخر من سورة البقرة"(٣).

فكل هذه الآثار فيها دلالة على حثّ الخلفاء الراشدين ﷺ الرعية على تعلّم القرآن وفهم معانيه وفقه دلالاته بالمدارسة والسؤال عن تفسيره، كما أن فيها الحرص على قراءة الكتاب بإتقان تجويده وإقامة حروفه. فكل ذلك يدل على عنايتهم بكتاب الله وتعلّق قلوبهم به.

٤٠- عن الله بن عُكيم أن أبا بكر قال: "هذا كتاب الله فيكم لا يطفأ نوره ولا تنقضي عجائبه فاستضيئوا بنوره وانتصحوا كتابه واستضيئوا منه ليوم الظلمة، فإنه إنما خلقكم لعبادته ووكل بكم كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون، ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله..."(٤).

---

(١) منهاج السنة ٤٦/٨.

(٢) عمير بن سعيد النخعي الكوفي، شيخ ثقة، فقيه، كان يصوم في السفر، وولي العراقين بعد الحجاج، وكان كبير الشأن توفي عام ١١٥هـ. انظر السير للذهبي ٤٤٣/٤.

(٣) الأذكار للنووي ص ١١٣ قال: "إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم".

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ٤١٥/٢ قال: "أخبرنا أبو بكر بن إسحاق ثنا موسى بن إسحاق القاضي أنبأ عبد الله بن أبي شيبة ثنا محمد بن فضيل ثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن عبد الله بن عبيد القرشي عن عبد الله بن عكيم قال: خطبنا أبو بكر الصديق ﷺ. . . الأثر". قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد"، وقال الذهبي: "عبد الرحمن بن إسحاق كوفي ضعيف".

.

٤١- عن سعد بن إبراهيم(١)، أنه سمع أباه يحدثه أنه سمع عثمان ﷺ يقول: "هاتان رجلايّ، فإن وجدتم في كتاب الله أن تضعوهما في القيود فضعوهما"(٢).

ففي هذين الأثرين حثّ الخلفاء الراشدين ﷺ الرعية على التمسّك بكتاب الله والحرص الشديد على اتباع هدايته وتطبيق أحكامه، وكيف لا وهو يهدي للتي هي أقوم، وهو مصدر عقيدتنا وشريعتنا، فالاستسلام لله والانقياد له يستلزم العمل بكتابه كفعل الأوامر وترك النواهي.

٤٢- عن المسور بن مخرمة(٣) أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: "سمعت هشام بن حكيم بن حزام(٤) يقرأ سورة الفرقان، فقرأ فيها حروفاً لم يكن نبي الله أقرأنيها، قال: فأردت أن أساوره وأنا في الصلاة، فلما خرج قلت: من أقرأك هذه القراءة؟ قال: رسول الله ﷺ، قلت: كذبت والله ما هكذا أقرأك رسول الله ﷺ، فأخذت بيده أقوده، فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إنك أقرأتني سورة الفرقان، وإني سمعت هذا يقرأ فيها حروفاً لم تكن أقرأتنيها، فقال رسول الله ﷺ: اقرأ يا هشام فقرأ كما كان قرأ، فقال رسول الله ﷺ: هكذا

---

(١) إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن صاحب رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف الإمام، الحافظ، وكان ثقة صدوقا، من أكثر أهل المدينة حديثا في زمانه، توفي ١٨٣هـ. انظر السير للذهبي ٣٠٤/٨.

(٢) رواه أحمد في المسند ٥٤٤/١ وفي فضائل الصحابة ٦٠٢/١ قال: "حدثنا عبد الله قال: حدثني أبي قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم أنه سمع أباه يحدثه أنه سمع عثمان. . . الأثر". قال محقق كتاب فضائل الصحابة الشيخ وصي الله حفظه الله: "إسناده صحيح". وقال محقق المسند الشيخ شعيب الأرنؤوط: "صحيح".

(٣) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن قصي بن كلاب، الإمام الجليل، له صحبة، كان مولده بعد الهجرة بسنتين، وقدم المدينة في ذي الحجة بعد الفتح سنة ثمان. توفي ٧٤هـ. انظر السير للذهبي ٣٩٣/٣.

(٤) هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي له صحبة، أسلم يوم الفتح، ومات قبل أبيه، وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. انظر الثقات لابن حبان ٤٣٤/٣.

أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر فقرأت، فقال: هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله ﷺ: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف"[(١)].

٤٣- عن بجالة التيمي[(٢)] قال: "وجد عمر بن الخطاب مصحفا في حجر غلام في المسجد فيه: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٦] فقال: أحككها يا غلام؟ فقال: والله لا أحكها وهي في مصحف أبي بن كعب، فانطلق إلى أبي فقال له: إني شغلني القرآن وشغلك الصفق بالأسواق"[(٣)].

٤٤- عن محمد بن سيرين: "أن عمر ﷺ سمع كثير بن الصلت[(٤)] يقرأ: "لو أن لابن آدم واديين من مال لتمنّى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب" فقال عمر ﷺ: ما هذا؟ قال: هذا في التنزيل، فقال عمر ﷺ: من يعلم ذاك؟ والله لتأتين بمن يعلم ذاك أو لأفعلنّ كذا وكذا، قال أبي بن كعب، فانطلق إلى أبي فقال: ما يقول هذا؟ قال: ما يقول؟ قال: فقرأ عليه، فقال: صدق قد كان هذا فيما يُقرأ، قال: أكتبها في المصحف؟ قال: لا أنهاك قال: أتركها؟ قال: لا آمرك"[(٥)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الخصومات باب كلام الخصوم بعضهم في بعض ١٢٢/٣ برقم ٢٤١٩ والإمام أحمد في مسنده ٢٩٨/١ واللفظ له.

(٢) بجالة بن عبدة التيمي العنبري أدرك النبيّ ﷺ ولم يره وكان كاتبا لجزء بن معاوية في خلافة عمر. انظر الإصابة لابن حجر ٣٣٩/١.

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه ١٠/ ١٨١ والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة ٨٤/٦ قال: "قال إسحاق بن راهويه: أبنا عبد الرزاق، أبنا ابن جريج، أخبرني عمرو بن دينار، عن بجالة التميمي. . . الأثر" وقال: "هذا إسناد صحيح على شرط البخاري".

(٤) كثير بن الصلت بن معد يكرب بن وليعة الكندي صحابي جليل، يكنى أبا عبد الله حليف قريش، ولد كثير في عهد النبيّ ﷺ، وكان اسمه قليلا، فسماه رسول الله ﷺ كثيرا، وكان له شرف وحال جميلة، توفي نحو عام ٧٠هـ. انظر الإصابة لابن حجر ٦٣٢/٥.

(٥) رواه ابن شبة في تاريخ المدينة ٧٠٦/٢ قال: "حدثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى قال: حدثنا هشام - يعني ابن حسان - عن محمد بن سيرين. . . الأثر". وفي صحيح البخاري (كتاب الرقاق باب ما يُتقى من فتنة المال ٩٣/٨ برقم ٦٤٤٠) عن أبي بن كعب قال: كنا نرى هذا من القرآن أي قوله ﷺ:

فهذه الآثار تدل دلالة واضحة على حرص عمر بن الخطاب ﷺ، وخشيته أن يخطئ الناس فيه، ولهذا تحرّى وشدّد ﷺ في قبول القراءات التي كان الصحابة رضوان الله عليهم يقرؤون به، فكان ﷺ إذا سمع من أحد من الصحابة رضي الله عنهم قراءة لم يسمعها من قبل لم يتركه حتى يتحقّق من ثبوتها عن النبيّ ﷺ، ثم استمر على هذا بعد وفاة النبيّ ﷺ، وهذا من تعظيمه لكتاب الله، كما أن فيها دليلاً على أن القرآن نزل على سبعة أحرف.

٤٥- عن عبد الرحمن بن عوف عن عمر ﷺ قال: "ألا وإن ناساً يقولون: ما بال الرجم في كتاب الله الجلد؟ وقد رجم رسول الله ﷺ، ورجمنا بعده، ولولا أن يقول قائلون أو يتكلّم متكلّمون أن عمر زاد في كتاب الله ما ليس منه لأثبتها كما نزلت"(١).

٤٦- عن ابن عباس ﷺ: بينما أنا أقرأ آية من كتاب الله عز وجل وأنا أمشي في طريق من طرق المدينة، فإذا أنا برجل ينادي من بعدي: أتْبع(٢) ابن عباس، فإذا هو أمير المؤمنين عمر، فقلت: أتبعك على أبي بن كعب، فقال: أهو أقْرأكها كما سمعتك تقرأ، قلت: نعم، قال: فأرسل معي رسولاً، قال: اذهب معه إلى أبي بن كعب، فانظر أَيُقرِئُ أبي كذلك، قال: فانطلقت أنا ورسوله إلى أبي بن كعب، فقلت: يا أبي بن كعب، قرأتُ آيةً من كتاب الله، فنادى من بعدي عمر بن الخطاب، أتبع ابن عباس، فقلت أتبعك على أبي بن كعب، فأرسل معي رسوله، أفأنت أقْرأْتنيها كما قرأت؟ قال أبيّ ﷺ: نعم، فرجع الرسول إليه، فانطلقت أنا إلى حاجتي، فراح عمر ﷺ إلى أُبيّ، فوجده قد فرغ من غسل رأسه، ووليدتُه تدري لحيته(٣) بمدْراها فقال أبي: مرحباً يا أمير المؤمنين، أزائراً جئت أم طالب حاجة، فقال

"لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب"، حتى نزلت ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١].

(١) رواه ابن سعد في الطبقات ٣/٣٣٤ وأحمد في المسند ١/٣٢٧ قال: "ثنا هشيم ثنا الزهري عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود أخبرني عبد الله بن عباس حدّثني عبد الرحمن بن عوف أنّ عمر. . . الأثر". قال محقق المسند الشيخ شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

(٢) أَتْبع: أي: أسند قراءتك ممن أخذتها، وأحل على من سمعتها منه. انظر لسان العرب لابن منظور ٢/٢١٢.

(٣) تدري: تسرحه وتمشطه، المصدر نفسه ٥/٢٥٤.

عمر ﷺ: بل طالب حاجة، فجلس ومعه مَوْلَيان له، حتى فرغ من لحيته، وأدْرَتْ جانبه الأيمن من لِمَّتِه، ثم ولاها جانبه الأيسر، حتى فرغ أقبل إلى عمر بوجهه، فقال: ما حاجة أمير المؤمنين؟ فقال عمر: يا أُبيّ، على ما تُقَنِّط الناس؟ فقال أُبيّ: يا أمير المؤمنين، إني تلقيت القرآن من تلقاء جبريل، وهو رَطْبٌ، فقال عمر: تالله ما أنت بُمنتَهٍ، وما أنا بصابر، ثلاث مرات، ثم قام فانطلق. "[١]

٤٧- عن ابن عباس ﷺ قال: "قال عمر ﷺ: أُبيّ أقرؤنا، وإنا لندع من لحن[٢] أُبيّ، وأبي يقول: أخذته من في رسول الله ﷺ، فلا أتركه لشيء، قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[البقرة: ١٠٦]"[٣].

فهذه الآثار فيها كراهية عمر ﷺ قراءة القرآن بالقراءات التي لم يألفها الناس، ولم يسمعوها أو قراءة بعض الآيات التي نسخ رسمها وبقي حكمها، وذلك خشية إثارة الفتن وإدخال الشكّ والريب إلى قلوب العامة، ومن قلّ حظهم من العلم[٤]. فوقف عمر بن الخطاب ﷺ هذه المواقف تعظيماً لكتاب الله وإجلالاً له.

٤٨- عن عبيد بن عمير[٥] قال: "اجتمعت جماعة في بعض ماء حول مكّة، -قال: حسبت أنّه قال: بأعلى الوادي ههنا-، قال: وفي الحجّ فحانت الصّلاة، فتقدّم رجل من آل أبي السائب المخزومي أعجمي اللسان، قال: فأخرّه المسور بن مخرمة، وقدّم غيره، فبلغ عمر بن الخطاب، فلم يعرفه بشيء حتى جاء المدينة، فلما جاء المدينة عرفه بذلك، فقال المسور:

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢/٢٤٥ قال: "حدّثنا عليّ بن حمشاد العدل، ثنا محمّد بن غالب ثنا عفان بن مسلم وأبو الوليد الطيالسي قالا: ثنا أبو عوانة عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بينما أنا أقرأ. . . الأثر". وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد"، ولم يخرجاه. قال الذهبي: "صحيح. "

(٢) لحنه أي: لغته. انظر لسان العرب لابن منظر ١٣/١٨٣.

(٣) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبيّ ٦/١٨٧ برقم ٥٠٠٥.

(٤) انظر دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب ﷺ وسياسته الإدارية عبد السلام آل عيسى ٢/٨٠٥.

(٥) عبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجندعي المكي، الواعظ المفسر، ولد في حياة رسول الله، توفي عام ٧٤هـ. انظر السير للذهبي ٤/١٥٦.

أنظرني يا أمير المؤمنين، إن الرجل كان أعجميَّ اللسان، وكان في الحجّ، فخشيت أن يسمع بعض الحاج قراءته، فيأخذ بعجمته، قال: أو هناك ذهبت؟ قال: نعم، قال: أصبت"[١].

٤٩- قدم قيس بن مروان الجعفي[٢] على عمر ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين، جئت من الكوفة، وتركت بها رجلاً يُملي المصاحف عن ظهر قلب، فغضب عمر وانتفخ حتى كاد يملأ ما بين شُعْبتي[٣] الرَّحْل[٤]، فقال: ومن هو؟ ويحك: قال: عبد الله بن مسعود، فما زال يطفأ ويُسَرَّى عنه الغضب حتى عاد إلى حاله التي كان عليها، ثم قال: ويحك والله ما أعلمه بقي من الناس أحد هو أحق بذلك منه"[٥].

في هذين الأثرين دلالة على أن عمر بن الخطاب ﷺ لم يكتف بتشجيع الناس على تعلّم القرآن، بل حرص على أن يتعلّموه ويأخذوه من المتقنين، المعروفين لسلامة قراءته وترتيله، وقد قال ابن سيرين: "إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم"[٦].

فكل هذه الجهود المباركة براهين عظيمة على عناية الخلفاء الراشدين ﷺ الفائقة بكتاب الله تعليماً وتعلّماً وقراءة وحفظاً، فحرصوا أشدّ الحرص أن يتلقّى الناس كلام الله على أفضل وجه تعظيماً لكتاب الله.

---

(١) رواه الشافعي في المسند ص ٦٨ وعبد الرزاق في مصنفه ٤٠٠/٢ والبيهقي في السنن الكبرى٨٩/٣. قال عبد الرزاق: "عن ابن جريج، أخبرني عطاء قال: سمعت عبيد بن عمير يقول. . . الأثر". قال الشيخ د. عبد السلام بن محسن آل عيسى: "سنده عند عبد الرزاق متصل ورجاله ثقات". دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب ٨٠٩/٢.

(٢) قيس بن مروان الجعفي ويقال بن قيس ويقال بن أبي قيس صحابي جليل، كان قيس فيمن خرج إلى الجزيرة أيام علي، وكان شريفا كريما على معاوية. انظر الإصابة لابن حجر ١٩٩/٩.

(٣) أي: المنكبان. انظر لسان العرب لابن منظور ٨٦/٨.

(٤) في نسخة: الرجل.

(٥) رواه أحمد في المسند ٣٠٩/١ وأبو يعلى في المسند ١٧٢/١ قال أحمد: "حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال: جاء رجل إلى عمر ﷺ وهو بعرفة قال معاوية وحدثنا الأعمش عن خيثمة عن قيس بن مروان. . . الأثر". قال محقق مسند أحمد الشيخ شعيب الأرنؤوط: "إسناداه صحيحان والأول على شرط الشيخين".

(٦) رواه مسلم عن ابن سرين في مقدمة صحيحه ص ٦٦، والترمذي في الشمائل المحمدية ص ٢٢٤.

ثانياً: جهود الخلفاء الراشدين في حماية الناس من الانحراف في عقيدة القرآن والشبهات والتأويلات الفاسدة.

٥٠- عن نيار بن مكرم قال: "إن أبا بكر ﷺ خاطر قوماً من أهل مكة على أن الروم تغلب فارس، فغلبت الروم فارس فنزلت: ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ [الروم: ٢] فأتى قريشاً فقرأ عليهم، فقالوا: كلامك هذا أم كلام صاحبك؟ قال: ليس بكلامي ولا كلام صاحبي، ولكنه كلام الله ﷻ"(١).

٥١- عن أبي عبد الرحمن السلمي(٢) قال: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول على منبره: "أيها الناس إن هذا القرآن كلام الله"(٣).

٥٢- عن الحارث بن سويد عن علي بن أبي طالب أنه قال: "إني لأعرف اسم أميرهم ومناخ ركابهم، يقولون: القرآن مخلوق. وليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله، منه بدأ وإليه يعود"(٤).

---

(١) رواه عبد الله في السنة ١٤٣/١ والبيهقي في الأسماء والصفات ٥٨٥/١ قال محقق الكتاب عبد الله الحاشدي: "إسناده حسن".

(٢) الإمام عبد اللَّه بن حبيب بن ربيعة، أبو عبد الرّحمن السلمي الكوفيّ، من أولاد الصحابة، وهو أخو خرشبة بن حبيب، مولده في حياة النبيّ توفي عام ٧٤هـ. انظر السير للذهبي ٢٩٨/٧.

(٣) رواه الآجري في الشريعة ٤٩١/١ وأبو القاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة ٣٦٠/١. قال الآجري: "حدثنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبري قال: حدثنا محمد بن عبد المجيد التميمي قال: حدثنا أبو إسحاق الفزاري، عن الحسن بن عبيد الله النخعي، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي. . . الأثر".

(٤) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢٥٦/٢ قال: "أخبرنا محمد بن الحسين بن يعقوب قال: حدثنا أحمد بن عثمان بن يحيى حدثنا عبد الكريم بن الهيثم حدثنا علي بن صالح الأنماطي ح. وأخبرنا أحمد بن محمد قال: أخبرنا عمر بن أحمد قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن خالد قال: حدثنا عبد الكريم بن الهيثم قال: حدثنا علي بن صالح قال: حدثنا يوسف بن عدي، عن محبوب بن محرز عن الأعمش عن إبراهيم بن يزيد التيمي عن الحارث بن سويد. . . الأثر".

٥٣- عن الفرج بن يزيد الكلاعي[١] قال: "قالوا لعلي ﷺ: حكّمت كافراً ومنافقاً، فقال: ما حكّمت مخلوقاً ما حكمت إلا القرآن"[٢].

فهذه الآثار العظيمة تدلّ دلالة واضحة على أن الخلفاء الراشدين ﷺ حقّقوا حماية جناب التوحيد في باب كلام الله، وذلك من وجهين:

الأول: بيان الخلفاء الراشدين ﷺ أن القرآن الذي أُنزل على محمد ﷺ هو كلام الله، منه بدأ وإليه يعود، لفظه ومعناه، فلا ينسب القرآن إلى مخلوق، بل هو كلام الله، تكلّم به حقيقة، وقد دلّت العديد من النصوص الشرعية على أن القرآن كلام الله من ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: "وفي هذا حجة صريحة لمذهب أهل السنة والجماعة، القائلين بأن القرآن كلام اللّه غير مخلوق، لأنه تعالى هو المتكلّم به، وأضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى موصوفها، وبطلان مذهب المعتزلة ومن أخذ بقولهم: أن القرآن مخلوق، وكم من الأدلة الدالة على بطلان هذا القول"[٣].

وقول الله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠] فمن المستحيل أن يقول هذا القول ملك مقرب أو نبي مرسل إلا إذا بلّغه عن الله، فدل على أن هذا القرآن من كلام الله[٤].

(١) فرج بن يزيد الكلاعي الشامي. انظر الجرح والتعديل لأبي حاتم ٨٦/٧.

(٢) رواه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢٥٥/٢ والبيهقي في الأسماء والصفات ٥٩٤/١ قال: "أخبرنا أبو بكر بن الحارث الفقيه، أَخبرنا أبو محمد بن حيان، أَخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، حدثنا محمد بن الحجاج الحضرمي البصري، حدثنا المعلى بن الوليد بن عبد العزيز بن القعقاع العبسي، حدثنا عتبة بن السكن الفراري، ثنا عن الفرج بن يزيد الكلاعي. . . الأثر" وقال: "هذه الحكاية عن علي ﷺ شائعة فيما بين أهل العلم، ولا أراها شاعت إلا عن أصل – والله أعلم– وقد رواها عبد الرحمن بن أبي حاتم بإسناده هذا". قال محقق الكتاب عبد الله الحاشدي: "ضعيف جدا".

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٣٢٩.

(٤) انظر الانتصار للعمراني ٥٥٣/٢ ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ١٥٣/٦.

الثاني: بيان الخلفاء الراشدين ﷺ أن القرآن غير مخلوق إذ هو كلام الله، فهو صفة من صفات الله، ومن قال إن القرآن مخلوق فهو كافر عند الله.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ غير مخلوق، أما من الكتاب كما يلي:

قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

قال العمراني رحمه الله: "فأخبر سبحانه أنه خلق الأشياء بقوله تعالى: ﴿كُن﴾ وهما حرفان، فلو كان قوله وهو: ﴿كُن﴾ مخلوقاً لاقتضى أن يكون مخلوقاً ب: ﴿كُن﴾ أخرى، وكذا: ﴿كُن﴾ الثانية تقتضي أن تكون مخلوقة ب: ﴿كُن﴾ إلى ما لا نهاية له، فيستلزم تسلسلاً فاسداً، بل هو أمر محال، وبالتالي يدل ذلك على أن كلامه: ﴿كُن﴾ غير مخلوق"(١).

وقول الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

الأمر هو القرآن بدليل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق: ٥]، ففرّق سبحانه بين الخلق والأمر، فلمّا قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ لم يبقَ شيء مخلوق إلا كان داخلاً في ذلك، ثم ذكر ما ليس بخلق، فقال: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾، فأمره هو قوله، فلو كان القرآن مخلوقاً لكان خلقاً، لأن المخلوق هو الخلق، والخلق هو المخلوق، ولكان المعنى في الآية: ألا له الخلق والخلق، وهذا خلف في الكلام(٢).

ومن السنة حديث خولة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك"(٣).

---

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ٢/٥٤٦.

(٢) انظر الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص ٢٢٤ والانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار للعمراني ٢/٥٤٦.

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء باب في التعوذ من سوء ودرك الشقاء وغيره ٤/٢٠٨٠ برقم ٢٧٠٨.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لا يستعاذ بالمخلوقات، بل إنما يستعاذ بالخالق تعالى وأسمائه وصفاته، ولهذا احتجّ السلف على أن كلام الله غير مخلوق فيما احتجّوا به بقول النبيّ ﷺ: "أعوذ بكلمات الله التامات" قالوا: فقد استعاذ بها، ولا يستعاذ بمخلوق"(١).

وقال الشيخ الفوزان حفظه الله: "المراد بكلمات الله: كلامه سبحانه وتعالى المنزَّل على رسوله ﷺ والاستعاذة بالقرآن مشروعة، لأنّ القرآن كلام الله، فالاستعاذة بالقرآن استعاذة بصفة من صفات الله، وهي الكلام، وليست استعاذة بمخلوق. واستدلّ أهل السنّة والجماعة بهذا الحديث على أن القرآن غير مخلوق، لأنه لا تجوز الاستعاذة بالمخلوق، فلو كان القرآن مخلوقاً كما تقوله الجهمية والمعتزلة لصار هذا من الاستعاذة بالمخلوق، وهي شرك"(٢).

وقال الإمام الصابوني رحمه الله مبيّناً عقيدة أهل السنة في القرآن: "ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله وكتابه، ووحيه وتنزيله غير مخلوق، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم، والقرآن الذي هو كلام الله ووحيه هو الذي نزل به جبريل على الرسول ﷺ قرآناً عربياً لقوم يعلمون، بشيراً ونذيراً، كما قال عز من قائل: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥] وهو الذي بلغه الرسول ﷺ أمّته، كما أُمر به في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧] فكان الذي بلغهم بأمر الله تعالى كلامه ﷻ، وفيه قال ﷺ: "أتمنعوني أن أبلّغ كلام ربي"(٣)، وهو الذي تحفظه الصدور، وتتلوه الألسنة؟ يُكتب في المصاحف، كيف ما تصرف بقراءة قارئ، ولفظ لافظ، وحفظ حافظ، وحيث تُلي وفي أي موضع قُرئ وكتب في مصاحف أهل الإسلام، وألواح صبيانهم وغيرها، كلّه كلام الله جل جلاله غير مخلوق، فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم"(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٣٦/١.

(٢) إعانة المستفيد ١٨٩/١.

(٣) رواه أبو داود في سننه في كتاب السنة باب في القرآن ص ٨٥٦ برقم ٤٧٣٤ بلفظ عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف فقال: "ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي".

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص ١٦٦.

٥٤- قال علي ﷺ: "من كفر بحرف منه، فقد كفر به كلّه"[(١)].

ففي هذا الأثر بيان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بوجوب الإيمان بجميع حروف القرآن، فكلّ حرف من القرآن من كلام الله، وعلى هذا فمن كفر بحرف من القرآن فكأنه كفر بالقرآن كلّه، ومن المعلوم أن القرآن كلّه يصدق بعضه بعضاً، فمن كفر بحرف من القرآن كفر بكله سوره وآياته وحروفه ومعانيه، وهذه المسألة شبيهة بمسألة الإيمان بالرسل فمن كفر برسول واحد مع إيمانه بسائر الرسل فقد كفر بجميع الرسل، ولهذا قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٥].

قال العلّامة السعدي رحمه الله: "جعل تكذيب نوح كتكذيب جميع المرسلين، لأنهم كلّهم، اتفقوا على دعوة واحدة، وأخبار واحدة، فتكذيب أحدهم تكذيب بجميع ما جاءوا به من الحق"[(٢)].

٥٥- عن عمر بن الأشج[(٣)]، أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: "سيأتي أناس يجادلونكم بشبهات القرآن، فجادلوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله"[(٤)].

ففي هذا الأثر إرشاد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ الرعية إلى ردّ الآيات المتشابهة إلى السنة صيانة من شبهات المنحرفين في القرآن.

فأرشد عمر ﷺ إلى السنة لأنها مصدر من مصادر عقيدتنا، ومرجع من مراجعنا في تفسير القرآن، ومن ذلك بيان المعنى المتشابه وتوضيحه قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤] قال الإمام الدارمي رحمه الله: "وقد علمتم إن شاء الله، أنه لا يُستَدرك سننُ رسول الله ﷺ وأصحابه، وأحكامهم، وقضاياهم، إلا بهذه الآثار والأسانيد على ما فيها من الاختلاف، وهي السبب إلى ذلك، والنهج الذي

---

(١) رواه ابن قدامة في حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة ص ٣٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٩٤.

(٣) عمر بن عبد الله بن الأشج. التاريخ الكبير للبخاري ١٤١/٦.

(٤) رواه الدارمي في سننه ٦٢/١ والآجري في الشريعة ١٢٠٠/٣ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٣٩/١ قال الدارمي: "أخبرنا عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني يزيد هو بن أبي حبيب عن عمرو بن الأشجع. . . الأثر".

درج عليه المسلمون، وكانت إمامهم في دينهم بعد كتاب الله ﷻ، منها يقتبسون العلم، وبها يقضون، وبها يقيمون، وعليها يعتمدون، وبها يتزينون، يرثها الأوّل منهم الآخر، ويبلغها الشاهد منهم الغائب احتجاجاً بها، واحتساباً في أدائها إلى من لم يسمعها، يسمونها السنن والآثار، والفقه والعلم، ويضربون في طلبها شرق الأرض وغربها، يحلون بها حلال الله، ويحرّمون بها حرامه، ويميّزون بها بين الحق والباطل، والسنن والبدع، ويستدلون بها على تفسير القرآن ومعانيه وأحكامه، ويعرفون بها ضلالة من ضلّ عن الهدى. فمن رغب عنها فإنما يرغب عن آثار السلف وهديهم، ويريد مخالفتهم ليتخذ دينه هواه وليتأوّل كتاب الله برأيه خلاف ما عنى الله به"(١).

٥٦- عن السائب بن يزيد(٢) أنه قال: أتى إلى عمر بن الخطاب، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنا لقينا رجلاً يسأل عن تأويل القرآن، فقال: اللّهم أَمْكني منه، قال: فبينا عمر ذات يوم جالس يُغدي الناس إذ جاءه وعليه ثياب وعمامة، فغدّاه، ثم إذا فرغ قال: يا أمير المؤمنين، ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴾ [الذاريات: ١] قال عمر: أنت هو؟ فمال إليه وحسر عن ذراعيه، فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته، ثم قال: واحملوه حتى تقدموه بلاده، ثم ليقم خطيباً ثم ليقل: إن صبيغا(٣) ابتغى العلم فأخطأ، فلم يزل وضيعاً في قومه حتى هلك، وكان سيد قومه"(٤).

ففي هذا الأثر العظيم إنكار شديد من الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ على صبيغ تتبع الآيات المتشابهة وترك المحكمة، لأن هذا المسلك الخطير تنشأ منه مفاسد كثيرة،

(١) الرد على الجهمية ص ١٥٤.

(٢) السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة، وأبو يزيد الكندي المدني، كان عاملا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، على سوق المدينة توفي عام ٩١هـ. انظر السير لذهبي ٤٢٧/٣.

(٣) هو صبيغ بن سهل الحنظلي له إدراك. انظر الإصابة لابن حجر ٣٠٥/٥.

(٤) رواه أحمد في فضائل الصحابة ٥٤٤/١ والآجري في الشريعة ٦/ ٢٥٥٦ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٧٠١/٤ والحافظ ابن حجر في الإصابة ٣٠٦/٥. قال أحمد: "حدثنا عبد الله قال: حدثنا أبي قال: حدثنا مكي بن إبراهيم قال: حدثنا الجعيد بن عبد الرحمن عن يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد...الأثر". وقال الشيخ وصي الله محقق كتاب فضائل الصحابة: "إسناد صحيح".

.

أعظمها الانحراف في عقيدة القرآن وضرب الآيات بعضها في بعض، وجعْل نصوص القرآن متعارضة متناقضة، وقد ذمّ الله هذه الطريقة في كتابه الكريم قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾[آل عمران: ٧].

قال الإمام السعدي رحمه الله في تفسيره: "وأما الإحكام والتشابه المذكور في هذه الآية، فإن القرآن كما ذكره الله ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾أي: واضحات الدلالة، ليس فيها شبهة ولا إشكال ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: أصله الذي يرجع إليه كل متشابه، وهي معظمه وأكثره، ﴿ و ﴾ منه آيات أخر﴿ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾أي: يلتبس معناها على كثير من الأذهان: لكون دلالتها مجملة، أو يتبادر إلى بعض الأفهام غير المراد منها، فالحاصل أن منها آيات بيّنة واضحة لكل أحد، وهي الأكثر التي يرجع إليها، ومنه آيات تشكل على بعض الناس، فالواجب في هذا أن يردّ المتشابه إلى المحكم، والخفي إلى الجلي، فبهذه الطريق يصدق بعضه بعضاً، ولا يحصل فيه مناقضة ولا معارضة، ولكن الناس انقسموا إلى فرقتين ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ أي: ميل عن الاستقامة بأن فسدت مقاصدهم، وصار قصدهم الغي والضلال، وانحرفت قلوبهم عن طريق الهدى والرشاد ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾ أي: يتركون المحكم الواضح ويذهبون إلى المتشابه، ويعكسون الأمر فيحملون المحكم على المتشابه ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾لمن يدعونهم لقولهم، فإن المتشابه تحصل به الفتنة بسبب الاشتباه الواقع فيه، وإلا فالمحكم الصريح ليس محلاً للفتنة، لوضوح الحق فيه لمن قصده اتباعه"(١).

وقد صحّ عن الرسول ﷺ أنه قال: "فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم"(٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٢٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير باب ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧] ٦/٣٣ برقم ٤٥٤٧.

فعمر رضي الله عنه زجر صبيغاً وعاقبه لئلا ينحرف ويفتح باب التشكيك في القرآن وألا يشوّش على الناس في دينهم، فأقام أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه التعزيرات المطلوبة حماية للعقيدة.

قال الإمام الآجري رحمه الله معلّقاً على أثر عمر رضي الله عنه: "لم يكن ضرب عمر رضي الله عنه له بسبب عن هذه المسألة، ولكن لما تأدّى إلى عمر ما كان يسأل عنه من متشابه القرآن من قبل أن يراه، علم أنه مفتون، قد شغل نفسه بما لا يعود عليه نفعه، وعلم أن اشتغاله بطلب علم الواجبات من علم الحلال والحرام أولى به، وتطلب علم سنن رسول الله ﷺ أولى به، فلمّا علم أنه مُقبِل على ما لا ينفعه، سأل عمر اللهَ تعالى أن يمكِّنه منه، حتى يُنكِّل به، وحتى يحذر غيره، لأنه راع يجب عليه تفقد رعيته في هذا وفي غيره، فأمكنه الله تعالى منه"(١).

وقال الإمام ابن بطة رحمه الله معلّقاً على هذه القصة: "عسى الضعيف القلب، القليل العلم من الناس إذا سمع هذا الخبر، وما فيه من صنيع عمر رضي الله عنه، أن يتداخله من ذلك ما لا يعرف وجه المخرج عنه، فيكثِّر هذا من فعل الإمام الهادي العاقل رحمة الله عليه، فيقول: كان جزاء من سأل عن معاني آيات من كتاب الله عز وجل أحب أن يعلم تأويلها أن يوجع ضرباً، وينفى، ويهجر ويشهر، وليس الأمر كما يظنّ من لا علم عنده، ولكن الوجه فيه غير ما ذهب إليه الذاهب، وذلك أن الناس كانوا يهاجرون إلى النبيّ ﷺ في حياته، ويفدون إلى خلفائه من بعد وفاته رحمة الله عليهم ليتفقّهوا في دينهم، ويزدادوا بصيرة في إيمانهم، ويتعلّموا علم الفرائض التي فرضها الله عليهم، فلمّا بلغ عمر رضي الله عنه قدوم هذا الرجل المدينة، وعرف أنه سأل عن متشابه القرآن، وعن غير ما يلزمه طلبُه مما لا يضرّه جهلُه، ولا يعود عليه نفعه، وإنما كان الواجب عليه حين وفد على إمامه أن يشتغل بعلم الفرائض، والواجبات، والتفقه في الدين من الحلال والحرام، فلمّا بلغ عمر رضي الله عنه أن مسائله غير هذا، علم من قبل أن يلقاه أنه رجل بطّال القلب خالي الهمّة عما افترضه الله عليه، مصروف العناية إلى ما لا ينفعه، فلم يأمن عليه أن يشتغل بمتشابه القرآن، والتنقير عما لا يهتدي عقله عليه إلى فهمه، فيزيغ قلبه، فيهلك، فأراد عمر رحمه الله أن يَكْسِره عن ذلك، ويذله، ويشغله عن المعاودة إلى مثل ذلك"(٢).

---

(١) كتاب الشريعة ١/٤٨٤.

(٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ١/٤١٥.

٥٧- عن رفيع أبي كثير[١] قال: "قال علي بن أبي طالب ﷺ يوماً: سلوني عما شئتم، فقال ابن الكوا[٢]: ما السواد الذي في القمر؟ قال: فإن تلك لله، ألا سألت عما ينفعك في دينك وآخرتك، ذاك محو الليل. وفيه زيادة من طريق أخرى قال: أخبرنا عن قوله: ﴿ فَٱلْحَـٰمِلَـٰتِ وِقْرًا ﴾ [الذاريات: ٢] قال: ثكلتك أمك سل تفقهاً، ولا تسل تعنتاً، سل عما يعنيك ودع ما لا يعنيك"[٣].

فهذا الأثر شبيه بما قبله، فأنكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ على ذلك الرجل الاشتغال بما لا يعود عليه نفعه في دينه، ونهاه عن تتبع الآيات المتشابهة والتكلّف في طلب العلم، كل ذلك صيانة من الزيغ والانحراف في عقيدة القرآن وضرب الآيات بعضها ببعض، ففي هذا الموقف تحقيق لحماية جناب التوحيد في باب كلام الله.

٥٨- عن زياد بن حدير[٤] قال: قال لي عمر ﷺ: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قال: قلت: لا قال: يهدمه زلة العالم وجدال المنافق بالكتاب وحكم الأئمة المضلّين"[٥].

٥٩- عن عبد الله بن الصامت[٦] قال: قال عمر ﷺ: "اقرأوا القرآن ما اتفقتم عليه، فإذا اختلفتم فقوموا. "[١]

---

(١) زهير بن الأقمر أبو كثير الزبيدي، هو تابعي كوفي. انظر الثقات لابن حبان ٢٦٤/٤.

(٢) عبد الله بن الكوا اليشكري. انظر لسان الميزان لابن حجر ٢٨٤/٣.

(٣) رواه وابن بطة في الإبانة عن شريعة فرقة الناجية ٤١٨/١ قال: "حدثنا أبو العباس عبد الله بن عبد الرحمن البزار، قال: ثنا أحمد بن الوليد الفحام، قال: ثنا عبد الوهاب بن عطاء، عن عمران بن جدير، عن رفيع أبي كثير قال: قال علي بن أبي طالب ﷺ. . . الأثر".

(٤) زياد بن حدير بالتصغير الأسدي نزيل الكوفة له إدراك وكان كاتبا لعمر. انظر الإصابة لابن حجر ١٤٢/٤.

(٥) أخرجه الدارمي في سننه ٨٢/١ والآجري في تحريم النرد والشطرنج ص ١٧١ وابن كثير في مسند الفاروق ٦٦١/٢ قال الدارمي: "أخبرنا محمد بن عيينة انا علي هو بن مسهر عن أبي إسحاق عن الشعبي عن زياد بن حدير. . . الأثر". قال ابن كثير بعد ما ساق طرقه: "فهذه طرق يشد القوي منها الضعيف فهي صحيحة من قول عمر ﷺ وفي رفع الحديث نظر والله أعلم".

(٦) عبد الله بن الصامت الغفاري، فأبي ذر عمه. انظر الثقات لابن حبان ٣٠/٥.

٦٠- عن إياس بن عمر أنه قال: "أخذ علي بن أبي طالب بيدي ثم قال: إنك إن بقيت سيقرأ القرآن ثلاثة أصناف: فصنف لله، وصنف للجدال، وصنف للدنيا، ومن طلب به أدرك"(٢).

ففي هذه الآثار تحذير الخلفاء الراشدين ﭬ من الجدال المذموم في القرآن وما يؤدّي إلى الاختلاف لأن هذا المسلك من أكبر الأسباب التي تجعل همّة المؤمن مصروفة عن سماع كتاب الله والتأمّل والتدبّر فيه، وتُبعده عن العمل به والانتفاع به، بل تُعدّ كثرة المجادلة المذمومة والاختلاف من الأمور الداعية إلى وقوع الشبهات والشكوك، وقد قال رسول الله ﷺ: "اقرؤوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه"(٣).

قال النووي رحمه الله: "والأمر بالقيام عند الاختلاف في القرآن محمول عند العلماء على اختلاف لا يجوز، أو اختلاف يوقع فيما لا يجوز كاختلاف في نفس القرآن، أو في معنى منه لا يسوغ فيه الاجتهاد، أو اختلاف يوقع في شكّ أو شبهة، أو فتنة وخصومة، أو شجار ونحو ذلك. وأما الاختلاف في استنباط فروع الدين منه، ومناظرة أهل العلم في ذلك على سبيل الفائدة وإظهار الحق، واختلافهم في ذلك فليس منهياً عنه، بل هو مأمور به، وفضيلة ظاهرة، وقد أجمع المسلمون على هذا من عهد الصحابة إلى الآن، والله أعلم"(٤).

وقال ابن بطال رحمه الله: "فكأنه قال ﷺ: اقرءوا القرآن والزموا الائتلاف على ما دل عليه وقاد إليه، فإذا اختلفتم فقوموا عنه، أي: فإذا عرض عارض شبهة توجب المنازعة

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى ٢٩١/٧ والبيهقي في شعب الإيمان ٥٣٠/٣. قال: "أخبرنا أبو محمّد بن يوسف، أخبرنا أبو سعيد بن الأعرابي، حدّثنا الحسن بن محمّد الزعفراني، حدّثنا إسحاق بن يوسف الأزرق، أخبرنا عون عن أبي عمران أن عبد الله بن الصامت قال: قال عمر اقرأوا. . . الأثر". قال د. عبد السلام بن عبد المحسن آل عيسى: "صحيح من طريق البيهقي". دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب ٨٢٩/٢.

(٢) رواه الدارمي في سننه ٥٢٦/٢ قال: "حدثنا عبد الله بن يزيد ثنا موسى بن أيوب قال سمعت عمي إياس بن عمر. . . الأثر". قال محقق الكتاب حسين بن سليم بن أسد: "إسناده صحيح".

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب اقرؤوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم ١٩٨/٦ برقم ٥٠٦٠.

(٤) شرح صحيح مسلم ٤٣٥/١٦.

الداعية إلى الفرقة فقوموا عنه: أي: فاتركوا تلك الشبهة الداعية إلى الفرقة، وارجعوا إلى المحكم الموجب للألفة، وقوموا للاختلاف وعما أدّى إليه، وقاد إليه، لا أنه أمر بترك قراءة القرآن باختلاف القراءات التي أباحها لهم"(١).

٦١- عن علي ﷺ أنه قال: "الزموا دينكم واهتدوا بهدى نبيّكم، واتّبعوا سنّته، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه"(٢).

ففي هذا الأثر توجيه عظيم من علي بن أبي طالب ﷺ عند الاختلاف والتنازع في المسائل العلمية، وذلك بالرجوع إلى كتاب الله فيما أشكل على العبد في دينه، ففي هذا الإرشاد صيانة من الانحراف والشبهات.

٦٢- عن إبراهيم التيمي(٣) أن أبا بكر سئل عن ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس: ٣١] فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم"(٤).

٦٣- عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس: ٣١] هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلّف يا عمر"(٥).

---

(١) شرح صحيح البخاري ٢٨٥/١٠.

(٢) رواه الطبري تاريخ الأمم والملوك٢٣/٣ وابن كثير في البداية والنهاية ٢٤٦/٧.

(٣) إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، الإمام القدوة الفقيه عابد الكوفة أبو أسماء، وكان شابا، صالحا، قانتا لله، عالما، فقيها، كبير القدر، واعظا، توفي ٩٢هـ. انظر السير للذهبي ٦١/٥.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥١٣/١٠ والدارمي في الرد على الجهمية ص ٤١ والطبري في تفسيره ٧٨/١ وابن بطة في الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص ٥٠ والبغوي في شرح السنة ٢٧٤/١. قال ابن أبي شيبة: "حدثنا محمد بن عبيد عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي. . . الأثر". له طريقان يقوي أحدهما الآخر انظر كلام ابن حجر في الفتح ٢٧١/١٣. وقال الشيخ مشهور آل سلمان: "والأثر بمجموع طرقه لا ينزل عن مرتبة الحسن"، انظر تحقيق كتاب إعلام الموقعين ١٠٠/٢.

(٥) رواه ابن منصور في سننه ١٨١/١ وابن أبي شيبة ٥١٢/١٠ في مصنفه وفي لفظ في صحيح البخاري في كتاب الاعتصام باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه ٩٥/٩ برقم ٧٢٩٣: "نهينا عن التكلف". قال ابن حجر في الفتح: "هكذا أورده مختصرا وذكر الحميدي أنه جاء في رواية أخرى عن ثابت عن أنس أن عمر قرأ ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس: ٣١] فقال: ما الأب ثم قال: ما كلفنا أو

.

٦٤- عن عمرو بن دينار[١] قال: قال عمر ﷺ: "إنما أخاف عليكم رجلين: رجل يتأوّل القرآن على غير تأويله، ورجل ينافس الملك على أخيه"[٢].

٦٥- عن عبد الله بن هانئ[٣] قال: قال عمر ﷺ: "القرآن كلام الله فلا تحرّفوه إلى غيره"[٤]. وفي رواية: "فلا تَصرفوه على أرائكم"[٥].

قال ما أمرنا. بهذا قلت هو عند الإسماعيلي من رواية هشام عن ثابت وأخرجه من طريق يونس بن عبيد عن ثابت بلفظ أن رجلاً سأل عمر بن الخطاب عن قوله ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس: ٣١] ما الأب فقال عمر: نهينا عن التعمق والتكلف. وهذا أولى أن يكمل به الحديث الذي أخرجه البخاري وأولى منه ما أخرجه أبو نعيم في المستخرج من طريق أبي مسلم الكجي عن سليمان بن حرب شيخ البخاري فيه ولفظه عن أنس كنا عند عمر وعليه قميص في ظهره أربع رقاع فقرأ ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس: ٣١] فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب ثم قال: مه نهينا عن التكلف. وقد أخرجه عبد بن حميد في تفسيره عن سليمان بن حرب بهذا السند مثله سواء وأخرجه أيضاً عن سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة بدل حماد بن زيد وقال بعد قوله ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس: ٣١] فما الأب ثم قال: يا بن أم عمر أن هذا لهو التكلف". ٢٧٠/١٣.

(١) عمرو بن دينار الإمام الكبير الحافظ أبو محمد الجمحي مولاهم المكي الاثرم، فارسي الأصل أحد الأعلام وشيخ الحرم في زمانه، توفي ١٢٦هـ. انظر السير للذهبي ٣٠٠/٥.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٣٧٣/٢ قال: "حدثني سعيد بن نصر قال: حدثنا قاسم بن أصبغ قال: حدثنا ابن وضاح قال: حدثنا موسى بن معاوية قال: حدثنا ابن مهدي عن حماد بن زيد عن عمرو بن دينار. . . الأثر". قال الشيخ مشهور آل سلمان: "إسناد رجاله ثقات، إلا أن فيه انقطاعا". انظر تحقيقه لكتاب الموافقات ٢٨٠/٤.

(٣) أبو الزعراء الفقيه وهو عبد الله بن هانئ بن علقمة بن أرطاة بن هذيم بن سلمة أصحاب ابن مسعود. انظر التاريخ الكبير للبخاري ٢٢١/٥.

(٤) رواه عبد الله في السنة ١٣٦/١ وابن بطة في الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة (الإبانة الصغرى) ص ٥٥.

(٥) رواه الآجري في الشريعة ٤٩٢/١ قال: "أخبرنا أبو محمد عبد الله بن صالح البخاري قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا جرير، عن ليث بن أبي سُليم، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء عبد الله بن هانئ. . . الأثر".

فهذه الآثار العظيمة تدل دلالة واضحة على أن الخلفاء الراشدين ﷺ حذّروا من تأويل القرآن بالرأي أشدّ التحذير، ونهوا عن تفسير كلام الله من غير مستند لأن ذلك سبب في تحريف معاني القرآن وانحراف الناس في العقيدة.

وقد رُوي عن الرسول ﷺ أنه قال: "من قال في كتاب الله برأيه، فأصاب، فقد أخطأ"(١).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "أي: لأنه قد تكلّف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ، لأنه لم يأت الأمر من بابه، ولهذا تحرّج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به"(٢). ثم أورد أثري أبي بكر وعمر السابقين.

وقال القاضي ابن أبي يعلى رحمه الله معلّقاً على هذين الأثرين: "حسبك لشيخي الإسلام وإمامي الهدى، وخليفتي رسول الله ﷺ الهاديين الراشدين، وتوقّفهما وإحجامهما عن تفسير آية من كتاب الله ﷻ وهما أعلم الخلق بالله ﷻ بعد رسول الله ﷺ وبرسوله وبكتاب الله وتأويله، فماذا عسى أن نقول في جسارة المعتزلة والأشاعرة وبقية المتكلّمين الضالّين في تأويل صفات الرحمن ﷻ التي نطق بها القرآن ونقلها الأئمة الأثبات والعلماء الثقات"(٣).

ففي جهود الخلفاء الراشدين ﷺ تحقيق لحماية جناب التوحيد في باب كلام الله بنهي الناس عن صرف ألفاظ القرآن عن ظاهرها إلى معاني تخالف الظاهر من غير أن يكون دليل يقتضي ذلك، بل بمجرد الرأي، ولهذا قال عمر رضي الله عنه: فلا تصرفوه على أرائكم .

---

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب العلم باب الكلام في كتاب الله بلا علم ص ٦٥٧ برقم ٣٦٥٢. وضعّفه الشيخ الألباني.

(٢) انظر مقدمة تفسير القرآن الكريم ١١/١.

(٣) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ١٤٦/٢.

.

ثالثاً: جهود الخلفاء الراشدين في حماية كلام الله القرآن من الضياع والنسيان والتحريف.

٦٦- عن زيد بن ثابت الأنصاري(١) رضي الله عنه، وكان ممن يكتب الوحي قال: أرسل إليَّ أبو بكر مَقْتَل أهل اليمامة(٢) وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرَّ(٣) يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يستحرَّ القتلُ بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه، وإني لأرى أن تجمع القرآن، قال أبو بكر: قلت لعمر كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير. فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيت الذي رأى عمر. قال زيد بن ثابت: وعمر عنده جالس لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل، ولا نتهمك، كنت تكتب الوحيَ لرسول الله ﷺ، فتتبّع القرآن فاجمعْه. فوالله لو كلّفني نقلَ جبل من الجبال ما كان أثقلَ عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله النبيّ ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدرَ أبي بكر وعمر، فقمت فتتبّعت القرآن أجمعه من الرِّقاع(٤) والأكتاف(٥) والعُسُب(٦) وصدور الرجال حتى وجدت من سورة

---

(١) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار بن ثعلبة، الإمام الكبير، شيخ المقرئين، والفرضيين، مفتي المدينة وأبو خارجة الخزرجي، النجاري الأنصاري. كاتب الوحي رضي الله عنه. حدث عن النبيّ ﷺ، وعن صاحبيه. وقرأ عليه القرآن بعضه أو كله، ومناقبه جمة، توفي سنة ٥٥هـ. انظر السير للذهبي ٢/٤٢٦.

(٢) بين اليمامة والبحرين عشرة أيام، وهي معدودة من نجد وقاعدتها حجر، وتسمى اليمامة جوّا والعروض، بفتح العين، وكان اسمها قديما جوّا فسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم. انظر معجم البلدان للحموي ٥/٤٤٢.

(٣) أي: اشتدّ وكثر. انظر فتح الباري لابن حجر ٩/١٢.

(٤) الرقاع جمع رقعة، وهي قطعة من الجلد أو الورق يُكتب عليها. انظر فتح الباري لابن حجر ٩/١٤.

(٥) الأكتاف جمع كتف وهو العظم العريض الذي للبعير أو الشاة كانوا إذا جف كتبوا فيه. المصدر نفسه ٩/١٤.

(٦) العسب جمع عسيب وهو جريد النخل كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض وقيل العسيب طرف الجريدة العريض الذي لم ينبت عليه الخوص. المصدر نفسه ٩/١٤.

التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري(١) لم أجدهما مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] إلى آخرهما وكانت الصحف التي جُمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفّاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر"(٢).

٦٧- عن زيد بن ثابت قال: "فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] فألحقناها في سورتها في المصحف"(٣).

٦٨- عن أنس بن مالك أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية(٤) وأذربيجان(٥) مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة، أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن

---

(١) خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة، الفقيه، أبو عمارة الأنصاري الخطمي المدني، ذو الشهادتين. قيل: إنه بدري. والصواب: أنه شهد أحدا وما بعدها، توفي عام ٣٧هـ. انظر السير للذهبي ٢/٤٨٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير باب قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] ٦/٧١ برقم ٤٦٧٩.

(٣) المصدر نفسه كتاب الفضائل باب جمع القرآن ٦/١٨٣ برقم ٤٩٨٨.

(٤) ناحية بين آذربيجان والروم، ذات مدن وقلاع وقرى كثيرة. انظر آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ١/٤٩٥.

(٥) ناحية واسعة بين قهستان واران. بها مدن كثيرة وقرى وجبال وأنهار كثيرة. بها جبل سبلان. انظر آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ١/١١٣.

الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمان بن الحارث بن هشام[١]، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة، أو مصحف، أن يحرق"[٢].

٦٩- عن زيد بن ثابت أن حذيفة بن اليمان ﷺ قدم من غزوة غزاها بفرج إرمينية فحضرها أهل العراق وأهل الشام، فإذا أهل العراق يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود ويأتون بما لم يسمع أهل الشام ويقرأ أهل الشام بقراءة أبي بن كعب، ويأتون بما لم يسمع أهل العراق، فيكفّرهم أهل العراق. قال: فأمرني عثمان ﷺ أن أكتب له مصحفاً فكتبته. فلما فرغت منه عرضه"[٣].

٧٠- عن سويد[٤] عن علي ﷺ أنه قال: أيها الناس، لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منّا جميعاً. قال عثمان ﷺ: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفراً. قلنا: فما ترى؟ قال: نرى أن يجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة، ولا يكون اختلاف. قلنا: فنعم ما رأيتَ. قال: فقيل أي الناس أفصح، وأي الناس أقرأ؟ قالوا: أفصح الناس سعيد بن العاص، وأقرؤهم زيد

---

(١) عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي، المخزومي، المدني. أخو عبد الرحمن، قال أبو عمر: ولد على عهد النبيّ ﷺ، توفي ٤٣هـ. انظر الإصابة لابن حجر ٣٩/٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن ١٨٣/٦ برقم ٤٩٨٧.

(٣) رواه ابن شبه في تاريخ المدينة النبوية ٩٩٣/٣ قال: "حدثنا حفص بن عمر أبو عمر الدوري المقرئ قال: حدثنا إسماعيل بن جعفر أبو إبراهيم المديني، عن عمارة بن غزية، عن ابن شهاب الزهري، عن خارجة بن زيد، عن زيد بن ثابت. . . الأثر". إسناده حسن انظر جامع الآثار القولية والفعلية الصحيحة للخليفة الراشد عثمان بن عفان لعاطف بن عبد الوهاب حماد ص ٢٧٣.

(٤) سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر، الإمام، القدوة، أبو أميد الجعفي الكوفي، توفي عام ٨٢هـ. انظر السير للذهبي ٦٩/٤.

بن ثابت. فقال: ليكتب أحدُهما، ويُملي الآخر. ففعلا، وجمع الناس على مصحف واحد. قال علي ﷺ: والله لو وُلِّيتُ لفعلتُ مثلَ الذي فعل"(١).

٧١- عن ابن أبي مليكة قال ابن الزبير: "قلت لعثمان بن عفان: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا ﴾ [البقرة: ٢٣٤] قال: قد نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها؟ -أو تدعها- قال: يا ابن أخي، لا أغيّر شيئاً منه من مكانه"(٢).

لما كان القرآن الكريم كلام الله وحجته على خلقه إلى يوم القيامة، ومصدر شريعة الإسلام، وينبوع العلوم وقطب الدين والدستور الذي تقوم عليه حياة المسلمين بذل الخلفاء الراشدون ﷺ جهداً كبيراً في حماية هذا الكتاب العظيم من الضياع والتلف والتحريف والدس مع علمهم أن الله تكفّل بحفظه قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

قال الإمام السعدي رحمه الله: "أي: نزّل القرآن الذي فيه ذكرى لكل شيء من المسائل والدلائل الواضحة، وفيه يتذكر من أراد التذكر، ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ أي: في حال إنزاله وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله في قلب رسوله ﷺ، واستودعه فيها ثمّ في قلوب أمّته، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها والزيادة والنقص، ومعانيه من التبديل، فلا يحرّف محرّف معنى من معانيه إلا وقيض الله له من يبيّن الحق المبين، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين، ومن حفظه أن الله يحفظ أهله من أعدائهم، ولا يسلّط عليهم عدوّاً يجتاحهم"(٣).

فالله حافظ الوحي الذي أنزل على محمد ﷺ، والخلفاء الراشدون ﷺ على يقين بهذا الأمر، لا يشكّون فيه، ولكن علم هذا الجيل المبارك المتخرّج من مدرسة النبوّة أن الذي تكفّل بحفظ هذا الكتاب العظيم، هو الذي أمر عباده بأخذ الأسباب، فجاهد الخلفاء

---

(١) رواه ابن أبي داود في المصاحف ٧٧/١. قال ابن حجر في الفتح: "إسناد صحيح" ١٨/٩.
قال السيوطي في الإتقان في علوم القرآن: "سند صحيح" ١٦٥/١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير باب: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا ﴾ [البقرة: ٢٣٤] ٢٩/٦ برقم: ٤٥٣٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٢٩.

الراشدون ﷺ أعظم الجهاد بأموالهم وأنفسهم لتحقيق صيانة كتاب الله من الضياع والتحريف حتى لا يحصل بكتاب شريعتهم ما حصل بكتب الأمم السابقة.

فبعد وفاة النبيّ ﷺ قرّر الخلفاء الراشدون ﷺ وبقية الصحابة بجمع القرآن وكتابته خشية ضياعه وتلفه، وقد تمّت هذه العملية الجليلة على مرحلتين، الأولى في خلافة أبي بكر ﷺ والمرحلة الثانية في خلافة عثمان بن عفان ﷺ.

وينبغي أن يُتنبه لأمر مهم جدّاً، وهو أن القرآن الكريم قد حفظ في الصدور وكتب جميعه في حياة الرسول ﷺ على الأدوات المعروفة في ذلك الزمن كالرقاع والأكتاف وغير ذلك، فكتاب الله كان مكتوباً ولكن لم يكن مجموعاً كلّه في موضع واحد، بل كان متناثراً بين الصحابة. وقد يقول سائل: لماذا لم يكن القرآن الكريم مجموعاً في موضع واحد في عهد الرسول ﷺ؟ فيمكن الجواب عن هذا السؤال من خلال النقاط التالية:

- لم يكن القرآن مجموعاً في موضع واحد لعدم الحاجة إلى ذلك ولعدم وجود الدواعي التي جعلت الخلفاء الراشدين ﷺ يقومون بهذا العمل ككثرة مقتل الحفاظ لكتاب الله ووجود الاختلافات، بل كان المسلمون وقتئذ في خير وعافية، والقراء كثيرين، والإسلام لم تتّسع دولته، والفتنة مأمونة، والتعويل لا يزال على الحفظ أكثر من الكتابة، وأدوات الكتابة غير ميسورة، والنبيّ ﷺ بين أظهرهم، وعنايته باستظهار القرآن تفوق الوصف، فلا خوف على ضياع شيء منه في تلك المدة[(١)].

- أنه لو جُمع القرآن في مصحف واحد لكان عرضة لتغيير الصحف أو المصاحف، وذلك لوجوه: الأول: أن النبيّ ﷺ كان بصدد أن ينزل عليه الوحي بنسخ ما شاء الله من آية أو آيات، وهذا يقتضي التغيير كلما وقع نسخ[(٢)]، قال النووي رحمه الله: "إنما لم يجعله النبيّ ﷺ في مصحف واحد لما كان يتوقع من زيادته ونسخ بعض المتلو ولم يزل ذلك التوقع إلى وفاته"[(٣)].

---

(١) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٢٤٨/١ وجمع القرآن في مراحله التاريخية من العصر النبوي إلى العصر الحديث لمحمد شرعي أبو زيد ص ٤٨.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ٢٤٨/١.

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص ١٨٦.

الثاني: أن القرآن لم ينزل مرة واحدة بل نزل منجماً في مدى عشرين سنة أو أكثر، ولم يكن ترتيب الآيات والسور على ترتيب النُّزُول، وهذا كذلك يقتضي التغيير(١).

- "أن المدة بين آخر ما نزل من القرآن الكريم وبين وفاته ﷺ قصيرة جداً، وهي غير كافية لجمع القرآن بين دفتي مصحف واحد"(٢).

بعض التفاصيل في مرحلتي جمع القرآن:

أولاً: جمع القرآن في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ:

كان السبب المباشر الذي دفع أبا بكر إلى جمع القرآن استشهاد عدد كبير من الصحابة الكرام في حروب الردّة وغيرها خصوصاً في معركة اليمامة، فخشي هو وبقية الصحابة أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حفاظه باستشهادهم في المعارك، قال أبو بكر ﷺ: "إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يستحرَّ القتلُ بالقراءِ في المواطن، فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه، وإني لأرى أن تجمع القرآن، قال أبو بكر: قلت لعمر كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير. فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيت الذي رأى عمر"(٣).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وهذا يدل على أن كثيراً ممن قتل في وقعة اليمامة كان قد حفظ القرآن لكن يمكن أن يكون المراد أن مجموعهم جمعه لا أن كل فرد جمعه"(٤).

فلما اتّفقوا على جمع القرآن، كان لابدّ أن يعيّنوا من سيقوم منهم بهذا العمل العظيم، فوقع اختيارهم على زيد بن ثابت ﷺ وأسندوا هذا العمل إليه وذلك لأسباب:

كونه شاباً فيكون أنشط لما يطلب منه، وكونه عاقلاً فيكون أوعى له، وكونه لا يتّهم فتركن النفس إليه، وكونه كان يكتب الوحي فيكون أكثر ممارسة له وهذه الصفات التي اجتمعت له قد توجد في غيره لكن مفرقة(٥).

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) جمع القرآن الكريم حفظا وكتابةً لعلي بن سليمان العبيد ص ٤٩٤.

(٣) تقدم تخريجه ص ٣٣٥.

(٤) فتح الباري ٩/١٢.

(٥) المصدر نفسه ٩/١٣.

وقد علم زيد بن ثابت ﵁ أن جمع القرأن عمل عظيم ومهمة جسيمة، وأن الكل سينظرون إليه، فاستشعر بثقل المسؤولية فقال ﵁: "فوالله لو كلّفني نقلَ جبل من الجبال ما كان أثقلَ عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن"(١).

منهج أبي بكر ﵁ ومن معه في جمع القرآن:

أقبل أبو بكر ﵁ ومن معه على جمع القرآن بكل أمانة، وقد اتّسم منهجهم بسمات ما يدلّ على حرصهم الشديد على ضبط العمل ودقته في أدائه وحسن تنظيمهم وتنسيقهم، ومن أعظم هذه السمات ما يلي:

- نادوا في الناس أن كل من كان له شيئاً من القرآن أن يأتي إليهم كما جاء ذلك عن عمر ﵁ حيث قام في الناس فقال: "من كان تلقّى من رسول الله شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعُسُب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان"(٢).

- الدقّة في قبول شيء من القرآن من حيث التوثيق والتثبّت والتواتر، فقد اشترطوا على كل من يأتي بآية أو أكثر أن يكون معه شاهدان يشهدان عليه كما جاء في الأثر السابق، وكذلك ما رُوي عن أبي بكر ﵁ أنه قال لعمر وزيد بن ثابت: "اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه"(٣).

قال ابن حجر في مراد الشهادة: "كأن المراد بالشاهدين الحفظ والكتاب أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن، وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبيّ ﷺ لا من مجرد الحفظ"(٤). ولا مانع أن يكون المراد جميع هذه الوجوه، والله أعلم.

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٣٥.

(٢) رواه ابن أبي داود في المصاحف ص ٣٨.

(٣) المصدر نفسه ص ٣٧. قال ابن حجر: ورجاله ثقات مع انقطاعه. انظر فتح الباري ١٤/٩.

(٤) فتح الباري ١٤/٩.

- ومن منهجهم ألّا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبيّ ﷺ لا من مجرد الحفظ(١).

- ترتيب الآيات في سورها على حسب ما تلقاها الصحابة عن النبيّ ﷺ(٢).

فهذه أبرز السمات التي اتّصف بها منهجهم في جمع القرآن، وبهذا تظهر دقتهم وأمانتهم في أداء هذا العمل الجليل قال الإمام البغوي رحمه الله: "فيه البيان الواضح أن الصحابة ﷺ جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئاً، والذي حملهم على جمعه ما جاء بيانه في الحديث، وهو أنه كان مفرقاً في العسب واللِخاف(٣) وصدور الرجال، فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته، ففزعوا فيه إلى خليفة رسول الله ﷺ، ودعوه إلى جمعه، فرأى في ذلك رأيهم، فأمر بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ من غير أن قدّموا شيئاً أو أخّروا، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه ويعلّمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل صلوات الله عليه إيّاه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقيب آية كذا في السور التي يذكر فيها كذا"(٤).

ثانيا: جمع القرآن في خلافة عثمان بن عفان ﷺ:

بعد مقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ تولّى عثمان بن عفان ﷺ حكم المسلمين وامتدت خلافته عشر سنوات، وقد توسّعت من خلال ولايته بلاد المسلمين توسّعاً عظيماً بسبب الفتوحات، فكثرت الأقاليم ونشأ جيل جديد لم يدركوا النبيّ ﷺ، وتفرّق كثير من الصحابة في أقطار الأرض شرقاً وغرباً لأجل الدعوة إلى الله وتعليم الناس دينهم، فكان سكان هذه الأمصار يقرؤون القرآن حسب قراءة من اشتهر بينهم من الصحابة، وبالتالي

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر ١٤/٩ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٦٣/١.

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر ١٥/٩.

(٣) اللخاف جمع لخفة وهي صفائح الحجارة الرقاق. انظر فتح الباري لابن حجر ١٤/٩، هذا اللفظ جاء في رواية أخرى انظر صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن ١٨٣/٦ برقم ٤٩٨٦.

(٤) شرح السنة ٥٢١/٤.

كانت وجوه قراءة القرآن تختلف من بلاد إلى بلاد، فترتب على ذلك اختلاف بين الناس ومنازعات عظيمة وانشقاق بين صفوف المسلمين، يخطّئ كل واحد الآخر ظنّاً أن قراءة أخيه ليست صحيحة أو ثابتة، فازداد الانشقاق بينهم حتى وصل الأمر إلى تكفير بعضهم بعضا[١]، قال زيد بن ثابت في وصف هذه الفتنة العظيمة: "إن حذيفة بن اليمان ﷺ قدم من غزوة غزاها بفرج إرمينية فحضرها أهل العراق وأهل الشام، فإذا أهل العراق يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود ويأتون بما لم يسمع أهل الشام، ويقرأ أهل الشام بقراءة أبي بن كعب، ويأتون بما لم يسمع أهل العراق، فيكفّرهم أهل العراق"[٢].

فيظهر جليّاً في هذه الأخبار "أن الذي أقلق حذيفة ﷺ وأفزعه كثيراً هو الاختلاف بين المجاهدين المسلمين على جبهة المواجهة مع الأعداء، إذ التنازع بينهم في هذا الموطن يذهب ريحهم، ويفضي بهم إلى الفشل، ويحل بهم الهزيمة، ويصرفهم عن نشر دينهم بين الناس"[٣]، فيفتح باب الضلال.

ولهذا لما قدم حذيفة بن اليمان على عثمان بعد ما رأى من اختلافهم في القراءة، قال: "يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى"[٤].

فلمّا بلغه عثمان ﷺ ما يحصل في بلاد الدولة الإسلامية من الاختلاف والمراء في القرآن وتكفير المسلمين بعضهم بعضاً بسبب اختلاف الوجوه في القراءات أراد أن يجمعهم على مصحف واحد، أي: حرف واحد ليدفع هذه الفتنة العظيمة ويرفع عن المسلمين هذا البلاء ويقطع هذه المنازعات التي أثّرت على وحدة صفوف المسلمين وتوحيد دولتهم مما قد يجعل بعض العوام يشكّون في كتاب الله أو يكذّبون شيئاً منه، ويفتح فرصة لعدوّهم بالتسلّط عليهم، قال الإمام ابن جرير رحمه الله: "إن إمام المسلمين وأمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ جمع المسلمين نظراً منه لهم، وإشفاقاً منه عليهم، ورأفة منه بهم، حذار الردّة من بعضهم بعد الإسلام، والدخول في الكفر بعد الإيمان، إذ ظهر من بعضهم بمحضره وفي عصره التكذيبُ

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر ١٨/٩.

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٣٦.

(٣) التاريخ الخلفاء الراشدين لمحمد أبا الخيل ص ٢٩٢.

(٤) تقدم تخريجه ص ٣٣٦.

ببعض الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، مع سماع أصحاب رسول الله ﷺ من رسول الله النهيَ عن التكذيب بشيء منها، وإخباره إيّاهم أن المراء فيها كفر(١)، فحملهم رحمة الله عليه، إذْ رأى ذلك ظاهراً بينهم في عصره، ولحداثة عهدهم بنزول القرآن، وفراق رسول الله ﷺ إيّاهم بما أمِن عليهم معه عظيم البلاء في الدين من تلاوة القرآن على حرف واحد، وجمعهم على مصحف واحد، وحرف واحد"(٢).

ومن جهة أخرى أراد عثمان بن عفان ﷺ حماية القرآن من أي إضافة أو نقص أو تحريف لأسباب عديدة منها:

- "وجود عدد من المصاحف بأيدي الصحابة حيث اشتملت على ما ليس بقرآن كالشروح والتفاسير، أو لم يكتب فيها بعض السور لعدم حاجتهم لكتابتها مع علمهم بأنها من القرآن"(٣).

- وجود الاختلاف نفسه بين الناس قد يفضي إلى التغيير قال النووي رحمه الله: "خاف عثمان وقوع الاختلاف المؤدي إلى ترك شيء من القرآن أو الزيادة فيه فنسخ من ذلك المجموع الذي عند حفصة الذي أجمعت الصحابة عليه مصاحف وبعث بها إلى البلدان وأمر بإتلاف ما خالفها"(٤).

- لم يأمن شر المنافقين ومكر أعداء الإسلام وخطأ الواهم في تبديل القرآن قال الإمام ابن حزم رحمه الله: "خشي عثمان ﷺ أن يأتي فاسقٌ يسعى في كيد الدين، أو يهِم واهمٌ من أهل الخير، فيبدِّل شيئاً من المصحف، فيكون اختلاف يؤدّي إلى الضلال، فكتب مصاحف مجمعاً عليها، وبعث إلى كل أفق مصحفاً، لكي إن وهم واهمٌ، أو بدَّل مبدِّل رُجع إلى المصحف المجمع عليه، فانكشف الحق، وبطل الكيد والوهم"(٥).

(١) انظر سنن أبي داود في كتاب السنة باب النهي عن الجدال في القرآن ص ٨٣١ برقم ٤٦٠٣. وصححه الشيخ الألباني.
(٢) جامع البيان ٦٣/١.
(٣) جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة لعلي بن سليمان العبيد ص ٥١٧.
(٤) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص ١٨٦.
(٥) الفصل في الملل والنحل والأهواء ٦٥/٢.

فنفّذ عثمان رضي الله عنه المشروع قال الإمام ابن القيم رحمه الله في تعليل جمع الناس على حرف واحد: "فلما خاف الصحابة رضي الله عنهم على الأمّة أن يختلفوا في القرآن ورأوا أن جمعهم على حرف واحد أسلم وأبعد من وقوع الاختلاف فعلوا ذلك، ومنعوا الناس من القراءة بغيره، وهذا كما لو كان للناس عدَّة طرق إلى البيت، وكان سلوكهم في تلك الطرق يوقعهم في التفرُّق والتشتيت ويطمع فيهم العدوّ، فرأى الإمامُ جمعهم على طريق واحد، فترك بقية الطرق جاز ذلك، ولم يكن فيه إبطال لكون تلك الطرق موصلة إلى المقصود، وإن كان فيه نهي عن سلوكه لمصلحة الأمة"[١].

منهج جمع القرآن في خلافة عثمان:

سار عثمان ومن معه في جمع القرآن على مثل سلفهم أبي بكر، فاتّسم منهجهم في تحقيق الجمع بالضبط والدقة والأمانة والحرص الشديد على أداء العمل على أحسن الوجه، ومن أبرز هذه السمات ما يلي:

- اعتمدوا في عملهم على الصحف التي جمعها زيد بن ثابت رضي الله عنه في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فكانت هي الأساس في النسخ، ويدل على ذلك أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه بإحضارها من حفصة بنت عمر أم المؤمنين حيث قال لها: "أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك"[٢].

- "إشراف عثمان بن عفان رضي الله عنه المباشر على الجمع حيث كان يتفقّد اللجنة باستمرار، ويتعاهدهم على الدوام"[٣] فعن كثير بن أفلح[٤] أنه قال: "وكان عثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا تدارءوا في شيء أخروه"[٥].

(١) الطرق الحكمية ص ٤٧.

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٣٦.

(٣) جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة الشيخ أ. د. علي بن سليمان العبيد ص٥٧.

(٤) كثير بن أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري، قُتل يوم الحرة، وكان أبوه أفلح من سبي عين التمر. انظر التاريخ الكبير للبخاري ٢٠٧/٧.

(٥) رواه ابن أبي داود في المصاحف ص ٢٢١.

– أمر عثمان ﵁ عند الاختلاف في كتابة كلمة بأن يكتبوه بحرف قريش فقال ﵁ للرهط القرشيين الثلاثة: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم"(١).

– ألزموهم فيما يثبتونه أن يكون موافقاً للعرضة الأخيرة أي: مما ثبت عرضه على النبيّ ﷺ عام وفاته، فعن محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال: "لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف، جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار، فيهم أبي بن كعب، وزيد بن ثابت قال فبعثوا إلى الربّعة(٢) التي في بيت عمر، فجيء بها قال: وكان عثمان يتعاهدهم، فكانوا إذا تدارءوا في شيء أخروه قال محمد: فقلت لكثير، وكان فيهم فيمن يكتب: هل تدرون: لم كانوا يؤخّرونه؟ قال: لا قال محمد: فظننت ظناً، إنما كانوا يؤخّرونها لينظروا أحْدَثهم عهداً بالعرضة الآخرة فيكتبونها على قوله"(٣).

قال الإمام البغوي رحمه الله: "لما وقع الاختلاف بين القراء في زمن عثمان بن عفان، واشتد الأمر فيه بينهم حتى أظهر بعضهم إكفار بعض والبراءة منه، وخافوا الفرقة، فاستشار عثمان الصحابة في ذلك، فجمع الله سبحانه تعالى الأمة بحسن اختيار الصحابة على مصحف واحد هو آخر العرضات من رسول الله ﷺ"(٤).

– الدقّة من حيث ترتيب الآيات والسور كما دلّ على ذلك قول ابن الزبير (أحد أعضاء اللجنة): "قلت لعثمان بن عفان: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا ﴾ [البقرة: ٢٣٤]

---

(١) قال ابن بطال: "فإنه نزل بلسان قريش، يريد معظمه وأكثره، ولم تقم دلالة قاطعة على أن القرآن بأسره منزل بلغة قريش فقط، وأنه لا شيء فيه من لغة غيرهم؛ فإنه قد ثبت أن في القرآن همزًا كثيرًا وثبت أن قريشًا لا تهمز وثبت فيه كلمات وحروف هي خلاف لغة قريش، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ الزخرف: ٣، ولم يقل قرشيًا، وهذا يدل أنه منزل بجميع لسان العرب؛ وليس لأحد أن يقول أراد قريشًا من العرب دون غيرها. انظر شرحه لصحيح البخاري ٢١٩/١٠.

(٢) الربّعة: هي الكتب المجتمعة. انظر فضائل القرآن لابن كثير ص ٨٥.

(٣) رواه ابن أبي داود في المصاحف ١٠٤/١.

(٤) شرح السنة ٥١١/٤ بتصرف يسير.

قال: قد نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها؟ -أو تدعها- قال: يا ابن أخي، لا أغيّر شيئاً منه من مكانه"[(١)].

- اختيار عثمان أعلم الناس وأنسبهم وأكثرهم خبرة لإتمام هذا المشروع، فحرصه ﷺ أن يعيّن أفضل الناس لتكوين اللجنة ظاهر في الأخبار كقوله ﷺ: "أي الناس أفصح، وأي الناس أقرأ؟ قالوا: أفصح الناس سعيد بن العاص، وأقرؤهم زيد بن ثابت. فقال: ليكتب أحدُهما، ويُملي الآخر. ففعلا، وجمع الناس على مصحف واحد"[(٢)].

فبعد جهد عظيم استطاع عثمان ﷺ بإذن الله أن يتمّ هذا المشروع، وأن يقضي على هذه الفتنة التي طرأت على المسلمين وكادت أن تمزّقهم، فجمعهم في قراءة القرآن على حرف واحد، ونسخ المصاحف، فأرسلها إلى الأقطار حتى أصبحت هذه المصاحف مراجع لجميع أمصار الدولة الإسلامية واستقامت قراءاتهم من غير أن يكون اختلاف بينهم، وهو المصحف الذي بين أيدينا اليوم بلا زيادة ولا نقصان.

الفرق بين الجمع في خلافة أبي بكر ﷺ والجمع في خلافة عثمان ﷺ:

- إنَّ السبب لجمع القرآن في خلافة أبي بكر ﷺ خشية أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حفظته وذلك حين استحرَّ القتل بالقراء في حروب الردّة، أما جمعه في خلافة عثمان ﷺفلكثرة الاختلاف في وجوه القراءة.

- إنَّ جمع أبي بكر ﷺ كان على الأحرف السبعة، أما جمع القرآن في خلافة عثمان فقد كان على حرف واحد.

- إنَّ جمع أبي بكر ﷺ كان مرتب الآيات وفي ترتيب السور خلاف، أمَّا جمع عثمان فقد كان مرتب الآيات والسور باتفاق.

- إنَّ الجمع في خلافة أبي بكر ﷺ بمعنى الجمع في مصحف واحد، وأما الجمع في خلافة عثمان ﷺ فبمعنى نسخه في مصاحف متعددة[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٣٧.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٣٧.

(٣) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/١٦٤ والجمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين لفهد بن عبد الرحمن الرومي ص ٤٤٣.

موقف الصحابة من جمع القرآن:

كان جمع القرآن في موضع واحد في عهد أبي بكر ﷺ باتفاق الصحابة، وكذلك جمع القرآن في خلافة عثمان كان برضى الجميع، فقد جمع عثمان ﷺ المهاجرين والأنصار لمشاورتهم في المشروع، كان في محضره صفوة الأمة، علماء الصحابة وكبارهم وعلى رأسهم علي بن أبي طالب ﷺ، فعرض عثمان على هؤلاء الخيار ما نوى من جمع القرآن تحقيقاً لحماية كتاب الله ودفعاً للخلاف بين المسلمين، فتدارسوا هذا الأمر، فتوحّدت الأراء، فاتّفقوا على صحة العمل وتنفيذه[١]، فلم يُعرف أن أحداً منهم خالفهم أو أنكر عليهم، بل شاركوا أميرهم وأعانوه على تحقيق المشروع، قال مصعب بن سعد[٢]: أدركت أصحاب رسول الله ﷺ متوافرين، فما رأيت أحداً منهم عاب ما صنع عثمان ﷺ في المصاحف"[٣].

بل رُوي عن علي بن أبي طالب نفسه رابع الخلفاء الراشدين ﷺ ما يدل على مدحه لعثمان في جمع القرآن لما عاب المتمردون الخارجون عليه جمع القرآن فقال علي ﷺ: أيها الناس، لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً، في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منّا جميعاً"[٤].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "وهذا أيضاً (أي جمع القرآن) من أكبر مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، فإن الشيخين سبقاه إلى حفظ القرآن أن يذهب منه شيء. وهو عثمان جمع الناس على قراءة واحدة، لئلا يختلفوا في القرآن، ووافقه على ذلك جميع الصحابة، حتى قال علي ﷺ: "لو لم يفعله عثمان لفعلته أنا". فاتّفق الأئمة الأربعة على أن ذلك من مصالح الدين، وهم الخلفاء الذين قال رسول الله ﷺ: "عليكم بسنّتي وسنة الخلفاء

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨٧/١.

(٢) مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري القرشي كنيته أبو زرارة تابعي نزل الكوفة وتوفي بها عام ١٠٣هـ. انظر الثقات لابن حبان ٤١١/٥.

(٣) أخرجه ابن شبة في أخبار المدينة ١٢٤/٢.

(٤) تقدم تخريجه ص ٣٣٦.

الراشدين من بعدي"[١]. فهذه النصوص تدل دلالة الواضحة على إجماع الصحابة ورضاهم بما قام به أبو بكر وعثمان من جمع القرآن .

(١) انظر مقدمة تفسير القرآن الكريم ص ٢٨.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة

إن عناية الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم الفائقة تدل دلالة واضحة على تعظيمهم لكتاب الله، فقد بذلوا جهداً عظيماً في إجلال كتاب الله وحمايته حتى غرسوا في قلوب المؤمنين حبّ هذا الكتاب الكريم والحثّ الشديد على تعلّمه وتعليمه وحفظه، فحرص الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم أشدّ الحرص أن تتربّى النفوس على تعظيم كلام الله وتنشأ الأجيال على الاعتناء به، وأن تجعله مصدراً أساسياً في الحكم ومعرفة الحق، وقد كان لهذه الجهود المباركة ثمرات عظيمة وآثار جليلة على الأمة الإسلامية ومن أنبلها ما يلي:

١/ تعليم الأمة وجوب الاعتقاد أن القرآن كلام الله غير مخلوق، فوضّح الخلفاء الراشدون للأمة أن القرآن الذي أنزل على الرسول ﷺ ليس كلام البشر، لا منه ﷺ ولا غيره، بل هو كلام الباري الذي تكلّم به حقيقة، سمعه منه جبريل ثم بلّغه لرسولنا محمد ﷺ فعلّمه لأمّته، ولهذا لما سئل أبو بكر رضي الله عنه عن قول الله: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [الروم: ٢].

قال رضي الله عنه: "ليس بكلامي وكلام صاحبي، ولكنه كلام الله"(١).

وقال عمر رضي الله عنه على المنبر: "أيها الناس إن هذا القرآن كلام الله"(٢).

وموقف الشيخين رضي الله عنهما كان له أثر بليغ في الاستدلال وبيان العلماء أن القرآن كلام الله ومن ذلك:

- قول الإمام عبد الله بن أحمد رحمه الله في كتاب السنة مستدلاً بأثر أبي بكر رضي الله عنه وغيره: "قول العلماء في القرآن ومن حفظ لنا عنه أنه قال كلام الله ليس بمخلوق"(٣).

- وأورد الإمام الآجري رحمه الله في الشريعة هذا الأثر تحت "باب ذكر الإيمان بأن القرآن كلام الله تعالى، وأن كلامه ليس بمخلوق ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر"(٤).

فقيّد علماء أهل السنة وصفهم للقرآن بقولهم: "غير مخلوق" تأكيداً على أن القرآن كلام الله، فأضافوا هذا التقييد لما جاءت فتنة القول بخلق القرآن(١)، فدعت الحاجة إلى

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٢٠.

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٢٠.

(٣) السنة ١/١٣٢.

(٤) الشريعة ١/٤٨٩.

التوسع في التوضيح دفعاً لما كان يروّجه أهل البدع في الأمة من شبهات في القرآن، فالقرآن كلام الله غير مخلوق لأنه صفة الله، ومن المعلوم أن جميع صفات الله غير مخلوقة، فكان التقييد بأن القرآن غير مخلوق من لوازم وصفه بأنه كلام الله وصفته، ولهذا قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁: "ما حكمت مخلوقاً ما حكمت إلا القرآن"(٢)، وقد كان لقول علي أثر قوي في الاستدلال عند أهل العلم في تقرير هذه المسألة، وعلى سبيل المثال:

- قول الإمام اللالكائي رحمه الله: "سياق ما روى من إجماع الصحابة على أن القرآن غير مخلوق"(٣) ثم أورد أثر علي بن أبي طالب ﵁.

- وقول الإمام البيهقي رحمه الله مستشهداً بأثر علي ﵁: "باب ما رُوي عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ﵃ في أن القرآن كلام الله غير مخلوق"(٤).

- وقال الإمام الحافظ أبو القاسم التيمي الأصبهاني رحمه الله: "فصل: ذكر الصحابة والتابعين الذين قالوا: القرآن كلام الله غير مخلوق"(٥) ثم ذكر الأثر.

فالحاصل أن القرآن كلام الله غير مخلوق وهو قول السلف قاطبة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين(٦)، وقد شدّد وكفّر السلف من ادّعى أن القرآن مخلوق قال الإمام مالك رحمه الله: "من قال: القرآن مخلوق يوجع ضرباً ويحبس حتى يتوب"(٧).

---

(١) ظهرت في عصر الإمام أحمد رحمه الله فتنة خلق القرآن، وكان يقوم بها المعتزلة، فيقولون: إن كلام الله ﷻ مخلوق، وقد امتحن أهل العلم لأن الخليفة العباسي المأمون كان يلزمهم بهذا القول. فصبر الإمام أحمد وغيره من العلماء، فامتنعوا أن يقولوا بخلق القرآن فانصب عليهم العذاب والحبس حتى نصرهم الله، فحمى الله بهم عقيدة أهل السنة من القول بخلق القرآن، فبقي الناس والحمد لله يقولون: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق. انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري ١٩٠/٥ والبداية والنهاية لابن كثير ٢٩٨/١٠.

(٢) سبق تخريجه ٣٠٩.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢٥٣/١.

(٤) الأسماء والصفات ٥٨٥/١.

(٥) الحجة في بيان المحجة ٣٦٣/١.

(٦) انظر منهاج السنة لابن تيمية ١٤٣/٢.

(٧) رواه عبد الله في السنة ١٠٦/١ قال محقق الكتاب الشيخ د. محمد القحطاني: "رجاله ثقات".

وقال سفيان بن عيينة[1] رحمه الله: "القرآن كلام الله، من قال: مخلوق فهو كافر، ومن شكّ في كفره فهو كافر"[2].

٢/ بيان الخلفاء الراشدين للأمة أن المراد بالقرآن هو جميع سوره وآياته وكلماته وألفاظه وحروفه ومعانيه، كل ذلك داخل في مسمّى القرآن، فوضّحوا للأمة أنه يجب الاعتقاد أن كل حرف من الحروف هو من القرآن، من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، ويدل على ذلك قول عمر ﷺ: "سمعت هشام بن حزام يقرأ سورة الفرقان فقرأ فيها حروفاً لم يكن نبي الله ﷺ أقرأنيها"[3].

قال الإمام ابن قدامة رحمه الله: "ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين وحبله المتين وصراطه المستقيم وتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو سور محكمات وآيات بيّنات وحروف وكلمات"[4]. ثم أورد قول أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: "إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ حروفه"[5].

ولهذا حذّر علي بن أبي طالب ﷺ من الكفر بشيء من القرآن ولو بحرف واحد فقال: "من كفر بحرف منه، فقد كفر به كله"[6].

٣/ بيان للأمة بطلان القول بأن القرآن ليس بحرف كما تدّعيه الأشاعرة، فهؤلاء قالوا: كلام الله ليس بصوت ولا حرف، وهذا القول مبني على أصل عندهم وهو أن كلام الله نفسي، أي: هو معنى يقوم بالذات لازم له، فيعتقدون أن الحروف ليست من كلام الله، بل

---

(١) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم، أخي الضحاك ابن مزاحم، الإمام الكبير حافظ العصر، شيخ الاسلام، أبو محمد الهلالي الكوفي، ثم المكي، توفي ١٩٨هـ. انظر السير للذهبي ٨/٤٥٤.

(٢) رواه عبد الله في السنة ١/١١٢ قال محقق الكتاب الشيخ د. محمد القحطاني: "إسناده حسن".

(٣) تقدم تخريجه ص ٣١٥.

(٤) لمعة الاعتقاد ص ١٥.

(٥) سبق تخريجه ص ٣١٢.

(٦) سبق تخريجه ص ٣٢٤.

هي عبارة عن كلامه، خلق الله تلك الحروف في الهواء أو صنّفها جبريل أو محمد، ثم ضموا إلى ما ذهبوا إليه أن المصحف ليس فيه إلا مداد وورق، ولهذا ترى بعضهم يدوس أو يركض المصحف برجله من غير حرج ولا استحياء إذ يعتقد أن المكتوب فيه ليس كلام الله. وهذا يبيّن كيف تجر البدعة بعضها إلى بعض[(١)].

وأما أهل السنة والجماعة فيعتقدون أن القرآن حرف وصوت سمعه جبريل من الله، وقد وردت نصوص ثابتة أن القرآن بحروف ومنها حديث المسور بن مخرمة ﷺ المذكور سابقاً، الذي فيه أن رسول الله ﷺ قال: "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف"[(٢)]، وحديث ابن عباس في صحيح مسلم: "أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبيّ قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته"[(٣)]، وحديث عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول آلم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف"[(٤)]، وحديث ابن عباس في صحيح البخاري أن الرسول ﷺ قال: "أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"[(٥)]. وغير ذلك من الأحاديث الدالة على أن القرآن حرف.

٤/ تعليم الأمة أن القرآن الكريم أُنزل على سبعة أحرف، فدلت قصة عمر ﷺ مع هشام بن الحكم على أن القرآن الكريم أُنزل على سبعة أحرف، وقد اختلف العلماء في المراد

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤٢٥/٨ و٣٠٧/١٢ وموقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن المحمود ١١٦٩/٢.

(٢) سبق تخريجه ص ٣١٦.

(٣) رواه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين، باب فضل الفاتحة برقم ٨٠٦.

(٤) رواه الترمذي في سننه في كتاب فضائل القرآن باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ص ٦٥١ برقم ٢٩١٠. وصححه الألباني.

(٥) رواه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن باب نزل القرآن على سبعة أحرف ١٨٤/٦ برقم ٤٩٩١.

بالأحرف السبعة اختلافاً كثيراً، وقد ذكر السيوطي(١) في الإتقان أقوال العلماء في المراد بذلك(٢)، بعضها متداخلة بمثابة قول واحد متفرع إلى فروع، ومن أشهر هذه التفسيرات أن معنى سبعة أحرف: سبعة لغات من لغات العرب في المعنى الواحد(٣)، وقيل تأدية المعنى باللفظ المرادف ولو كان من لغة واحدة لأن لغة هشام بلسان قريش وكذلك عمر ومع ذلك فقد اختلفت قراءتهما كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح(٤).

ويظهر أن القول الأخير هو الأصح في هذه المسألة، ومما يؤيّد ذلك ما رُوي عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: "إني قد سمعت القرأة فوجدتهم متقاربين، فاقرءوا كما علمتم وإيّاكم والتنطع، فإنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال"(٥). قال الإمام الطبري رحمه الله: "فقد أوضح نصُّ هذا الخبر أنّ اختلاف الأحرف السبعة، إنما هو اختلاف ألفاظ، كقولك: "هلم وتعال" باتفاق المعاني، لا باختلاف معان موجبة اختلافَ أحكام"(٦).

وقد ذكر أهل العلم بعض الحكم في نزول القرآن على سبعة أحرف، ومن أعظمها التيسير ورفع الحرج على أمّة محمد ﷺ، خصوصاً العرب الذين شهدوا نزول الوحي وعاشوا ظهور الإسلام، علماً أن أكثرهم أميّون ولغاتهم ولهجاتهم متعدّدة، فكرّمهم الله باختيار النطق الأسهل والأنسب لهم، فلو أُنزل القرآن على حرف واحد لشق على كثير منهم، فكان تعدد هذه الأحرف رحمة بهم ومظهر من مظاهر التخفيف والتيسير في الدين. ويمكن أن نضيف

(١) الإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، نشأ بالقاهرة يتيما فحفظ القرآن والعمدة والمنهاج الفرعي وبعض الأصلي وألفية النحو، له عدة مؤلفات، توفي عام ٩١١هـ. انظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ٦٥/٤.

(٢) انظر الإتقان في علوم القرآن ١٣٠/١.

(٣) انظر جامع البيان للطبري ٥٥/١ ومجموع فتاوى ابن تيمية ٣٩٠/١٣ ومجموع الفتاوى الشيخ لابن باز ٣٩٧/٥ ومجموع فتاوى اللجنة الدائمة ٤/ ٢٢.

(٤) فتح الباري لابن حجر ٢٦/٩.

(٥) رواه الطبري في جامع البيان ٤٣/١ والبغوي في شرح السنة ٥٠٧/٤ قال محقق كتاب شرح السنة الشيخ الأناؤوط: "إسناده صحيح".

(٦) جامع البيان للطبري ٥٠/١.

إلى هذا أن إنزال القرآن على سبعة حروف كان زيادة في البلاغة والفصاحة وتقرير معجزة كتاب الله(١).

٥/ حثّ الخلفاء الراشدين ﷺ الأمة على العناية بالقرآن تعلّماً وتعليماً وحفظاً وفهم معانيه وإرشادهم إلى إتقان قراءة كتاب الله وتجويده وحسن إقامة حروفه وإعرابه تعظيماً لكلام الله وحماية له، وقد كان لهذا الإرشاد الربّاني أثر على العلماء في تقرير هذا الأمر وتشجيع الناس عليه، ومن ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والمصاحف يجب احترامها باتفاق المسلمين، لأن كلام الله مكتوب فيها واحترام النقط والشكل إذا كتب المصحف مشكلاً منقوطاً كاحترام الحروف باتفاق علماء المسلمين، كما أن حرمة إعراب القرآن كحرمة حروفه المنقوطة باتفاق المسلمين، ولهذا قال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: "إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه"(٢).

٦/ إرشاد الأمة إلى عدم قراءة القرآن على وجوه غير معروفة إذا اقتضى الحال دفعاً للفتن وإدخال الشكّ في قلوب العامة أو من قلّ حظهم من العلم وحرصاً على سلامة عقيدة المسلمين، ولهذا قرّر بعض أهل العلم منع قراءة القرآن بالقراءات الثابتة التي لم يألفها الناس لما قد يترتب على ذلك من مفسدة كتكفير القارئ أو تشكّيك المسلمين في القرآن وغير ذلك، منهم العلاّمة محمد بن العثيمين رحمه الله حيث قال عند قول الله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧] -وهو يتحدّث عن وجوه قراءة الآية-: "قوله تعالى: ﴿ عَلَيۡهِمۡ ﴾ قراءتان سبعيتان: إحداهما ضم الهاء، والثانية كسرها، واعلم أن القراءة التي ليست في المصحف الذي بين أيدي الناس لا تنبغي القراءة بها عند العامة لوجوه ثلاثة:

الوجه الأول: أن العامة إذا رأوا هذا القرآن العظيم الذي قد ملأ قلوبهم تعظيمه، واحترامه إذا رأوه مرةً كذا، ومرة كذا تنزل منزلته عندهم، لأنهم عوام لا يُفرقون.

(١) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١/١٤٥.

(٢) مجموع الفتاوى بإختصار ١٢/٥٨٦.

الوجه الثاني: أن القارئ يُتّهم بأنه لا يعرف، لأنه قرأ عند العامة بما لا يعرفونه، فيبقى هذا القارئ حديث العوام في مجالسهم.

الوجه الثالث: أنه إذا أحسن العامي الظن بهذا القارئ، وأن عنده علماً بما قرأ، فذهب يقلده، فربما يخطئ، ثم يقرأ القرآن لا على قراءة المصحف، ولا على قراءة التالي الذي قرأها وهذه مفسدة. ولهذا قال عليّ ﷺ: "حدّثوا الناس بما يعرفون؛ أتحبون أن يُكذّب الله، ورسوله"(١)، وقال ابن مسعود ﷺ: "إنك لا تحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"(٢)، وعمر بن الخطاب لما سمع هشام بن الحكم يقرأ آية لم يسمعها عمر على الوجه الذي قرأها هشام خاصمه إلى النبيّ ﷺ فقال النبيّ ﷺ لهشام: "اقرأ"، فلمّا قرأ قال النبيّ ﷺ: "هكذا أنزلت"، ثم قال النبيّ ﷺ لعمر: "اقرأ"، فلمّا قرأ قال النبيّ ﷺ: "هكذا أنزلت"(٣)، لإن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فكان الناس يقرؤون بها حتى جمعها عثمان ﷺ على حرف واحد حين تنازع الناس في هذه الأحرف، فخاف ﷺ أن يشتد الخلاف، فجمعها في حرف واحد، وهو حرف قريش، لأن النبيّ ﷺ الذي نزل عليه القرآن بُعث منهم، ونُسيَت الأحرف الأخرى، فإذا كان عمر ﷺ فعل ما فعل بصحابي، فما بالك بعامي يسمعك تقرأ غير قراءة المصحف المعروف عنده! والحمد لله: ما دام العلماء متفقين على أنه لا يجب أن يقرأ الإنسان بكل قراءة، وأنه لو اقتصر على واحدة من القراءات فلا بأس، فدع الفتنة، وأسبابها"(٤).

٧/ تعليم الخلفاء الراشدين ﷺ الأمة الطريقة الصحيحة لتفقه في الدين وإرشادها إلى المنهج القويم لفهم القرآن ومدارسته، وتحذيرها من أسباب الضلال وعدم الانتفاع بالعلم الشرعي، ومن أخطر ما حذّر منه الخلفاء الراشدون ﷺ في هذا المقام: اتباع المتشابه وترك المحكم ابتغاء الفتنة كما في قصة عمر مع صبيغ. ولا شكّ أن هذا المسلك من أعظم أسباب الانحراف في عقيدة القرآن وتحريف معانيه، به يفتح العبد على نفسه باب الشر والضلال.

---

(١) تقدم تخريجه ص ٣٠٠.

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٠٥.

(٣) تقدم تخريجه ص ٣١٦.

(٤) تفسير القرآن الكريم (الفاتحة) ص١٧.

وقد كان لموقف عمر ﷺ مع صبيغ أهمية عظيمة جداً في العديد من المسائل العلمية يمكن تلخيصها فيما يلي:

– النهي عن تتبّع المتشابه ووجوب ردّه إلى المحكم عند وروده في المسائل العلمية، فهذه قاعدة أساسية تحفظ كتاب الله من التحريف كتفسيره بغير معانيه وقد قال عمر ﷺ: "القرآن كلام الله، فلا تحرّفوه إلى غيره"(١)، وبالتالي يصان المسلمون من العقائد الفاسدة والتأويلات الباطلة، ويحفظ المجتمع من الأفكار الهدّامة والمناهج الضالّة، فلا يجوز أن يعارض بين آيات الله، ويُضرب كتاب الله بعضه ببعض، وغير ذلك مما قد يوقع الشكّ في القلب المؤمن أو يُضلّه عن الصراط المستقيم، بل الصواب والواجب علينا أن نردّ المتشابه إلى المحكم وأن نفسّر كتاب الله على فهم السلف الصالح، فينبغي أن تكون علاقتنا بكتاب الله عند تدبّره ودراسته وتفسيره على ضوء هذه القاعدة العظيمة، وبهذا المسلك الربّاني، ولا شكّ أن هذا من التأدّب بكتاب الله لأننا نعتقد أن القرآن كلّه حق، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لا يناقض بعضه بعضاً، بل يصدق بعضه بعضاً قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومما يجب أن يعرف: أن أدلة الحق لا تتناقض فلا يجوز إذا أخبر الله بشيء –سواء كان الخبر إثباتاً أو نفياً– أن يكون في إخباره ما يُناقض ذلك الخبر الأوّل، ولا يكون –فيما يعقل بدون الخبر– ما يناقض ذلك الخبر المعقول، فالأدلة المقتضية للعلم لا يجوز أن تتناقض، سواء كان الدليلان سمعيَّيْن أو عقليين أو كان أحدهما سمعياً والآخر عقلياً، ولكن التناقض قد يكون فيما يظنّه بعض الناس دليلاً وليس بدليل كمن يسمع خبراً فيظنّه صحيحاً ولا يكون كذلك، أو يفهم منه ما لا يدلّ عليه أو تقوم عنده شبهة يظنها دليلاً عقلياً، وتكون باطلة، التبس عليه فيها الحق بالباطل فيكذب بها ما أخبر الله به ورسوله، وهذا من أسباب ضلال من ضل من مُكذِّبي الرسل"(٢).

وقد ضرب لنا الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مثالاً في كتابه كشف الشبهات في ردّ المتشابه إلى المحكم حماية من شبهات المشرك الزائغ الذي يستدلّ ببعض الآيات القرآنية على تقرير عقيدته الشركية كالاستغاثة بالأموات وطلب المدد منهم كما هو

(١) تقدم تخريجه ص ٣٣١.

(٢) مجموع الفتاوى ٦/٥١٤.

الحال الواقع الآن عند كثير من الناس ممن ينتسبون إلى الإسلام فقال الشيخ رحمه الله: "إذا قال لك بعض المشركين: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] وإن الشفاعة حقّ، وإن الأنبياء لهم جاه عند الله أو ذكر كلاماً للنبيّ ﷺ يستدلّ به على شيء من باطله وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره فجاوبه بقولك: إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتّبعون المتشابه، وما ذكرتُه لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرّون بالربوبيّة وأن كفرهم بتعلّقهم بالملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، هذا أمر محكم بيِّن لا يقدر أحد أن يغيّر معناه، وما ذكرتَ لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبيّ ﷺ فإني لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبيّ ﷺ لا يخالف كلام الله. وهذا جواب جيد سديد، ولكن لا يفهمه إلا من وفّقه الله"(١).

فالحاصل أن ضبط الآيات المحكمات في التوحيد بأنواعه وقاية من دعوة الزائغ الذي يتبّع المتشابهات ويتّخذها وسيلة لتحريف معاني القرآن وتشكيك العوام في عقيدتهم.

فردّ الآيات المتشابهات إلى الآيات المحكمات مسلك من المسالك المفيدة في دفع شبهات أهل الهواء.

– النهي عن كثرة السؤال والبحث عن ما لا حاجة إليه، وترك التنطّع والتكلّف، فلا يجوز للمسلم أن يسأل على وجه التعنت والعبث أو يكثر من الأسئلة خصوصاً عن أمور لا يمكن الوصول إليها أو مسائل لا ينبني عليها العمل، بل تضرّ المسلم في دينه، فإذا لم يخبر الله عباده عن موضوع ما فهو خير لهم قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١]. هذا تأديب من الله لعباده المؤمنين، ونهي عن أن يسألوا عن أشياء ممّا لا فائدة لهم في السؤال والتنقيب عنها، كالسؤال الذي يترتّب عليه تشديدات في الشرع ربما أحرجت الأمّة، أو

(١) كشف الشبهات ص ٥٢.

السؤال عما لا يعني، وما أشبهها، لأنها إن أظهرت لهم تلك الأمور ربما ساءتهم وشقّ عليهم سماعها(١).

وقد أخبرنا النبيّ ﷺ أن سبب هلاك بعض الأمم قبلنا كثرة مسائلهم فقال ﷺ: "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم"(٢).

كما أن الرسول ﷺ قال: "إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيّعوها، وحرّم حُرمات فلا تنتهكوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء من غير نسيان، فلا تبحثوا عنها"(٣).

فالله سبحانه وتعالى سكت عن أمور، فلم يوجبها ولا يحرمها من غير غفلة، وإنما رحمة وتيسيراً لعباده، فلا يسوغ لنا أن نتكلّف البحث عنها والتعمّق في كيفية ما لا يعنيه، لأن التنطّع وكثرة البحث والسؤال عمّا سكت عنه الربّ قد يوجب اعتقاد تحريمه أو إيجابه لمشابهته لبعض الواجبات أو المحرَّمات(٤).

وقد أورد الإمام ابن بطة رحمه الله في كتابه الإبانة قصة عمر مع صبيغ تحت "باب ترك السؤال عما لا يعني البحث والتنقير عما لا يضر جهلُه والتحذير من قوم يتعمقون في المسائل ويتعمدون إدخال الشكّوك على المسلمين"، ثم قال ابن بطة: "اعلموا إخواني أنّي فكّرت في السبب الذي أخرج أقواماً من السنة والجماعة، واضطرهم إلى البدعة والشناعة، وفتح باب البلية على أفئدتهم وحجب نور الحق عن بصيرتهم، فوجدت ذلك من وجهين:

أحدهما: البحث والتنقير، وكثرة السؤال عما لا يعني، ولا يضر العاقل جهله، ولا ينفع المؤمن فهمه.

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٤٥/٢ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ٢٤٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ١٨٣٠/٤ برقم ١٣٣٧.

(٣) رواه الدارقطني في سننه ٣٢٦/٥.

(٤) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٦٠٢.

والآخر: مجالسة من لا تؤمن فتنته، وتفسد القلوب صحبته، وسأذكر في هذين الوجهين ما يكون فيه بلاغ لمن قبل النصيحة، وكان بقلبه أدنى حياء إن شاء الله"(١).

– مشروعية تعزير الإمام المخالف كالعاصي والمبتدع خوفاً من أن يتضرر الناس به، فالإمام الأعظم له أن يذمّ أو يعاقب المخالف، الداعي إلى شرّ أو فاعله تحقيقاً لمصلحة الرعية أو المخالف نفسه، فعلى سبيل المثال يأمر بنفي المخالف أو عدم مجالسته كما فعل ذلك عمر ﷺ مع صبيغ(٢) صيانة للمجتمع الإسلامي، وقد أورد الآجري في الشريعة قصة عمر مع صبيغ تحت "باب تحذير النبيّ ﷺ أمته الذين يجادلون بمتشابه القرآن وعقوبة الإمام لمن يجادل فيه"(٣).

وقال الشاطبي رحمه الله في الاعتصام: "وهذا الضرب إنما كان لسؤاله عن أمور من القرآن لا ينبني عليها عمل، وربما نقل عنه أنه كان يسأل عن ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾ [النازعات: ٣] و ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا﴾ [المرسلات: ١] وأشباه ذلك، والضرب إنما يكون لجناية أربت(٤) على كراهية التنزيه إذ لا يستباح دم امرىء مسلم ولا عرضه بمكروه كراهية تنزيه، ووجه ضربه إيّاه خوف الابتداع في الدين أن يشتغل منه بما لا ينبني عليه عمل وأن يكون ذلك ذريعة لئلا يبحث عن المتشابهات القرآنية"(٥).

وقال أيضاً في موضع آخر: "ما جاء عن السلف الصالح من الصحابه والتابعين ﷺ في ذمّ البدع وأهلها كثير"(٦)، ثم أورد القصة.

وقد رُوي عن صبيغ ما يدل على أن عقوبة عمر ﷺ كانت خيراً له ونافعة، وبها تحققت مصلحة عظيمة قال الإمام ابن بطة رحمه الله: "ولقد نفع الله صبيغاً بما كتب له عمر

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ١/٣٩٠.

(٢) المصدر نفسه ١/٤١٤.

(٣)١/٤٧٩.

(٤) قال محقق الكتاب الشيخ مشهور آل سلمان: في الأصل "أرتب" وهو تحريف ظاهر، والمعنى: أن الضرب لا يمكن أن يرتب على كراهية التنزيه.

(٥) الاعتصام ٢/٣٧٠.

(٦) المصدر نفسه ١/١٢١.

في نفيه، فلمّا خرجت الحرورية(١)، قالوا لصبيغ: إنه قد خرج قوم يقولون كذا وكذا، فقال: هيهات، نفعني الله بموعظة الرجل الصالح، وكان عمر ضربه حتى سالت الدماء على وجهه أو رجليه أو على عقبيه، ولقد صار صبيغ لمن بعده مثلاً وتردعة لمن نقّر، وألحف في السؤال... وهكذا كان العلماء والعقلاء إذا سئلوا عما لا ينفع السائل علمه، ولا يضره جهله، وربما كان الجواب أيضاً مما لا يضبطه السائل، ولا يبلغه فهمه منعوه الجواب، وربما زجروه، وعنفوه"(٢).

٨/ إرشاد الأمة إلى تفسير القرآن بالسنة، فهذه طريقة نافعة يصون بها الإنسان عقيدته من الأفكار الفاسدة وشبهات القرآن التي يروّجها أهل الزيغ الذين يتتبّعون الآيات المتشابهات، فبهذا المسلك يبطل المسلم الدعوات الشركية والاستدلالات الباطلة، ويدفع عن نفسه الشبهات قال الإمام الشاطبي رحمه الله: "السنة راجعة في معناها إلى الكتاب، فهي تفصيل مجمله، وبيان مشكله، وبسط مختصره وذلك لأنها بيان له"(٣)، ثم قرّر هذه القاعدة بالاستدلال من الكتاب والسنة والمنقول عن الصحابة ومن ذلك قول عمر ﷺ: "سيأتي أناس يجادلونكم بشبهات القرآن...الأثر".

٩/ إرشاد الأمة إلى ترك الجدال المذموم في القرآن وغيره، وما يؤدّي إلى الاختلاف، فينبغي أن يعلم المسلم أن كثرة الجدال خصوصاً الذي يفضي إلى الباطل أمر ينتج عنه مفاسد كثيرة، ومن أعظمها عدم الانتفاع بالعلم الشرعي وترويج الشبهات والشكوك، بل الفُرقة بين المسلمين، فينصرف العبد عن تحقيق العمل بالقرآن وتدبّره وأداء الطاعات التي تعود عليه بالخير في الدنيا والآخرة.

١٠/ نهي الأمة عن تأويل القرآن بلا علم، فمن المسائل المتعلقة بموضوع القرآن وما يؤدّي إلى الانحراف والتحريف تفسير القرآن بلا علم، فتأويل القرآن بلا برهان باب إلى الكذب والافتراء على الله، وإضلال الناس عن الصراط المستقيم، وقد حذّر الله عباده عن

---

(١) اسم من أسماء الخوارج، سموا بذلك نسبة إلى الحروراء المكان الذي نزلوا فيه في أول أمر. انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص ١١٢.

(٢) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ٤١٨/١.

(٣) الموافقات ٣١٤/٤.

مثل هذا فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] وقال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

فالعبد إذا أراد النجاة والسلامة فلا يتدخل في شيء لا يعرفه، بل يتثبّت في كل ما يقوله ويفعله، فينبغي للمسلم الامتثال بأمر الله بحيث لا يأوّل آية من آيات القرآن إلا بدليل ومستند شرعي، لأنه يعرف خطورة الأمر وما يترتب عليه من مفسدة، وقد كان السلف الصالح –مثل الخلفاء الراشدين– أخوف الناس من أن يقولوا على الله بلا العلم فيُضلّون الناس.

١١/ حماية الأمة من الضلال والفُرقة بصيانة القرآن من الضياع والتحريف وجمعهم على مصحف واحد، فحماية الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم القرآن من الضياع والتحريف وجمع الأمة على مصحف واحد كان له آثار جليلة على الأمة ومن أعظمها صيانة المسلمين من الضلال والانحراف والفرقة، فكان جمع الناس على حرف واحد سبباً في توحيد صفوف المسلمين واجتماع شملهم وحسم مادة التنازع وإغلاق باب الفتن بينهم كتكفيرهم بعضهم بعضاً وتحريف القرآن فيضلّون قال الإمام البغوي رحمه الله: "فأمر عثمان بنسخه في المصاحف، وجمع القوم عليه، وأمر بتحريق ما سواه، قطعاً لمواد الخلاف، فكان ما يخالف الخط المتفق عليه في حكم المنسوخ والمرفوع كسائر ما نسخ ورُفع منه بإتفاق الصحابة"(١).

وقال النووي رحمه الله: "خاف عثمان وقوع الاختلاف المؤدّي إلى ترك شيء من القرآن أو الزيادة فيه، فنسخ من ذلك المجموع الذي عند حفصة الذي أجمعت الصحابة عليه مصاحف وبعث بها إلى البلدان وأمر بإتلاف ما خالفها"(٢).

(١) شرح السنة ٤/٥١١.

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن ص ١٨٦.

فموقف الصحابة من هذه الفتنة درس بليغ وعبرة عظيمة للأمة الإسلامية، فيه بيان وجوب المحافظة على مقصد عظيم ومطلب شرعي وهو: وحدة المسلمين واتفاق كلمتهم وترك الاختلاف والفرقة وما يؤدّي إلى ذلك.

فقد فهم الصحابة ﷺ نصوص الكتاب والسنة في وجوب الاجتماع والنهي عن الاختلاف، وهي كثيرة منها: قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

فهذا خطاب إلهي إلى أمة الإسلام بألّا يختلفوا كما اختلف أهل الكتاب اليهود والنصارى في دين الله وأمره ونهيه، فيتفرّقوا تفرّقاً عظيماً، ولهذا قال حذيفة لعثمان: "يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى"(١).

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

قال الإمام السعدي رحمه الله: "يتوعد تعالى الذين فرّقوا دينهم، أي: شتّتوه وتفرّقوا فيه، وكلٌّ أخذ لنفسه نصيباً من الأسماء التي لا تفيد الإنسان في دينه شيئاً، كاليهودية والنصرانية والمجوسية، أو لا يكمل بها إيمانه، بأن يأخذ من الشريعة شيئاً ويجعله دينه، ويدع مثله، أو ما هو أولى منه، كما هو حال أهل الفرقة من أهل البدع والضلال والمفرقين للأمة.

ودلت الآية الكريمة أن الدين يأمر بالاجتماع والائتلاف، وينهى عن التفرّق والاختلاف في أهل الدين، وفي سائر مسائله الأصولية والفروعية، وأمره أن يتبرأ ممن فرّقوا دينهم"(٢).

وليعلم المسلم أن الرجوع إلى كتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح هو المسلك لمعالجة الاختلافات والتنازع قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

(١) تقدم تخريجه ص ٣٣٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٢٨٢.

ففي هذه الآية البيّنة أمرنا ربّنا "بردّ كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه إلى الله وإلى رسوله ﷺ أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فإنّ فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية، إما بصريحهما أو عمومهما، أو إيماء، أو تنبيه، أو مفهوم، أو عموم معنى يقاس عليه ما أشبهه، لأن كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ عليهما بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما"(١).

وما عظمت الاختلافات والانشقاقات في هذا العصر، وما كثرت الفرق والبدع في الأمة إلا بسبب بُعد الناس عن هذا الأصل العظيم. ولا شكّ أن السعي في تحقيق الألفة وتوحيد صف المسلمين، وحسم مادة الاختلاف قد تجلّى في أجمل صورة في جمع عثمان الأمة على مصحف واحد. وقد كان لقصة جمع القرآن آثار في الاستدلال وتقرير بعض المسائل العلمية منها:

- مشروعية قاعدة سدّ الذرائع(٢): فعثمان رضي الله عنه لما بلغه ما يحصل في بلاد الدولة الإسلامية من الاختلافات والمراء في القرآن، وأدرك ما قد يترتب من مفاسد عظيمة في الأمة كالانشقاق والمنازعة بين المسلمين وتكفير بعضهم بعضاً قرّر جمع الناس على مصحف واحد ليقطع الوسائل المفضية إلى الاختلاف والفرقة وفتح باب التحريف، وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه إعلام الموقّعين هذه القصة عند ضرب الأمثال لتقرير قاعدة سدّ الذرائع فقال: "الوجه التاسع والتسعون: جمع عثمان المصحف على حرف واحد من الأحرف السبعة لئلا يكون ذريعة إلى اختلافهم في القرآن ووافقه على ذلك الصحابة رضي الله عنهم"(٣).

- إثبات دليل المصلحة المرسلة(٤) وبيان أن جمع القرآن أمر مشروع: فقد بيّن الإمام الشاطبي في الاعتصام الفرق بين المصلحة المرسلة والبدعة مع ضرب بعد الأمثلة منها: جمع

---

(١) المصدر نفسه ص ١٨٣.

(٢) سبق الكلام بالتفصيل عن هذه القاعدة عند ذكر الوسائل التي تتحقق بها حماية التوحيد في التمهيد ص ٦٢.

(٣) ٥/٦٥.

(٤) المصلحة المرسلة: كل منفعة داخلة في مقاصد الشارع الخمسة (حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسل) دون أن يكون لها شاهد بالاعتبار أو الإلغاء. المصالح المرسلة هي التي لم يقم دليل من الشارع

.

القرآن في عهد أبي بكر وعثمان مع التنصيص على اتفاق الصحابة على ذلك، ثم قال الإمام الشاطبي رحمه الله: "لم يرد نص عن النبيّ ﷺ بما صنعوا من ذلك ولكنهم رأوه مصلحة تناسب تصرفات الشرع قطعاً، فإن ذلك راجع إلى حفظ الشريعة، والأمر بحفظها معلوم، وإلى منع الذريعة للاختلاف في أصلها الذي هو القرآن، وقد علم النهي عن الاختلاف في ذلك بما لا مزيد عليه. وإذا استقام هذا الأصل فاحمل عليه كَتْب العلم من السنن وغيرها إذا خيف عليها الاندراس زيادة على ما جاء في الأحاديث من الأمر بكَتْب العلم"(١).

واستدل العلاّمة عبد المحسن العبّاد بقصة جمع القرآن على مشروعية المصلحة المرسلة فقال: "المصلحة المرسلة هي المصلحة التي لَم يأت الشرعُ باعتبارها أو إلغائها، وهي وسيلة إلى تحقيق أمر مشروع، مثل جمع القرآن في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما، وتدوين الدواوين، وكتابة أصحاب العَطاء في ديوان؛ فإنَّه لم يأت في الشرع نصٌّ على إثباتهما أو المنع منهما، فأمَّا جمع القرآن فهو سبيل إلى حفظه وعدم ضياع شيء منه، وفيه تحقيق قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]"(٢).

فعدّ علماء أهل السنة والجماعة جمع القرآن من المصالح المرسلة التي لابدّ منها لحماية كتاب الله من الضياع قال ابن كثير رحمه الله: "فبهذا نعلم بالضرورة أنه لم يبق من القرآن مما أدّاه الرسول ﷺ إليهم إلا وقد بلغوه إلينا، ولله الحمد والمنّة، فكان ما فعله الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من أكبر المصالح الدينية وأعظمها، من حفظهما كتاب الله في الصحف، لئلا يذهب منه شيء بموت من تلقّاه من النبيّ ﷺ"(٣).

على اعتبارها ولا إلغائها، فإذا حدثت حادثة لم نجد حكمها في نص، ولا في إجماع ولا في قياس، ووجدنا فيها أمرا مناسبا لتشريع الحكم، أي: أن تشريع الحكم فيها من شأنه أن يدفع ضررا، أو يحقق نفعا، فهذا الأمر المناسب في هذه الحادثة يسمى المصلحة المرسلة. انظر المهذب في علم أصول الفقه المقارن، لعبد الكريم النملة ١٠٠٣/٣.

(١) الاعتصام ١٦/٣.

(٢) الحثّ على اتباع السنة والتحذير من البدع ص ٢٤.

(٣) مقدمة تفسير القرآن الكريم ص ٢٧.

وبهذا يتبيّن أن جمع القرآن لم يكن أمراً محدثاً في الدين، ويكفي كدليل إجماع الصحابة رضي الله عنهم ومشاركتهم في هذا العمل الجليل، وقد رُوي عنهم ما يدلّ على رضاهم بل على مدحهم فعل أبي بكر ﷺ قال علي ﷺ: "إن أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر الصديق، كان أوّل من جمع القرآن بين اللوحين"(١).

ثم يقال إضافة إلى هذه الأدلة الشرعية، إن جمع القرآن ليس بدعة إذ هو من سنة الخلفاء الراشدين ﷺ التي أمر النبيّ ﷺ باتباعها والتمسّك بها.

- هذه النصوص فيها ردّ على الرافضة الذين زعموا أن علياً ﷺ لم يكن متّبعاً لعثمان ﷺ حتى ادّعوا تحريف عثمان للقرآن وأن علياً ﷺ ألّف مصحفاً وغير ذلك من الافتراءات، قال الإمام الآجري رحمه الله: "ومن أصحّ الدلائل وأوضح الحجج على كل رافضي مخالف لعلي بن أبي طالب ﷺ أن علياً ﷺ لم يزل يقرأ بما في مصحف عثمان ﷺ، ولم يغيّر منه حرفاً واحداً، ولا قدّم حرفاً على حرف ولا أخّر، ولا زاد فيه ولا نقص، ولا قال: إن عثمان فعل في هذا المصحف شيئاً لي أن أفعل غيره، ما يحفظ عنه شيء من هذا ﷺ، وهكذا ولده ﷺ، لم يزالوا يقرؤون بما في مصحف عثمان ﷺ حتى فارقوا الدنيا، وهكذا أصحاب علي ﷺ لم يزالوا يُقرِؤون المسلمين بما في مصحف عثمان ﷺ، لا يجوز لقائل أن يقول غير هذا، من قال غير هذا فقد كذب، وأتى بخلاف ما عليه أهل الإسلام. مرادنا من هذا أن علي بن أبي طالب ﷺ لم يزل متبعاً لما سنّه أبو بكر وعمر وعثمان ﷺ، متبعاً لهم، يكره ما كرهوا، ويحبّ ما أحبّوا، حتى قبضه الله ﷻ شهيداً، الذي لا يحبّه إلا مؤمن تقي ولا يبغضه إلا منافق شقي"(٢).

ومن خلال هذا العرض يظهر جلياً تحقيق حماية الخلفاء الرشدين ﷺ لجناب التوحيد في باب كلام الله وتعظيمهم لكتاب الله وعنايتهم الفائقة به، بل بلغ اهتمام هؤلاء الصحابة الإجلاء ﷺ بالمحافظة على القرآن الغاية القصوى، وهذا دليل قاطع على إيمانهم بالقرآن وإجلاله وإكرامه، هذا لأنهم علموا أن هذا الكتاب كلام الله، فلم يخف عليهم ما للقرآن من

---

(١) فضائل الصحابة للإمام أحمد ٤٣٣/١. قال محقق الكتاب الشيخ وصي الله حفظه الله: "إسناده حسن".

(٢) الشريعة ٤/ ١٧٨٦.

مكانة في الدين، فهو الدستور الذي ارتضاه الله للناس إلى يوم الدين، ومصدر عقيدتهم وشريعتهم، ولهذا حرصوا ﷺ أشدّ الحرص على هذا الكتاب المقدّس تعلّماً وتعليماً وحفظاً ونشراً، فكانوا أعلم الناس من هذه الأمة بعد النبيّ ﷺ بكتاب الله، وأسرعهم للعمل به كما شهد بذلك من صاحبهم قال قبيصة بن جابر(١) ﷺ: "ما رأيت أحداً كان أقرأ لكتاب الله، ولا أفقه في دين الله، ولا أعلم بالله من عمر"(٢). وقالت نائلة(٣) في زوجها عثمان ﷺ: "كان يحيي الليل كله بالقرآن في ركعة"(٤). وعثمان ﷺ هذا الصحابي الجليل، الخليفة الراشد هو الذي روى حديث النبيّ ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلّمه"(٥).

ومن كمال حرصهم أنهم صانوا الناس من الانحراف في عقيدة القرآن والشبهات، فقد حفظ الله بجهودهم كتابه من الضياع والتحريف والتزوير تحقيقاً لوعده: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

فجمع الخلفاء الراشدون ﷺ الأمة على مصحف واحد بإذن الله عبر كل العصور، وغرسوا في نفوسهم الاهتمام بكتاب الله، فلم يخل عصر من العصور إلا وجد من يعتني بكتاب الله ويقوم بحمايته من التبديل والتحريف، فمن نعمة الله على هذه الأمة أن "هيّأ الله تعالى لحفظ كتابه من العلماء الجهابذة من قاموا بذلك خير قيام في كل زمن، فحفظوا لفظه وفهموا معناه، واستقاموا على العمل به، ولم يدَعوا مجالاً من مجالات خدمة القرآن وحفظه إلا وألّفوا فيه المؤلّفات المطولة، فمنهم من ألّف في تفسيره، ومنهم من ألّف في رسمه وقراءاته،

---

(١) قبيصة بن جابر بن وهب بن مالك بن عميرة بفتح أوله أبو العلاء الأسدي الكوفي، صحابي جليل، روى عن عمر وشهد خطبته بالجابية وعلي وابن مسعود وطلحة وعبد الرحمن بن عوف، توفي عام ٦٩هـ. انظر الإصابة لابن حجر ٥/٥٢٢.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٠/٥١٩.

(٣) نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان بن عفان، قدمت على معاوية بعد قتل عثمان، فخطبها، فأبت أن تنكحه، كانت شاعرة، من ذوات الرأي والشجاعة. انظر الثقات لابن حبان ٥/٤٨٦.

(٤) أخرجه ابن مبارك في الزهد ص ٤٥٣.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه ٦/١٩٢ برقم ٥٠٢٧.

ومنهم من ألّف في محكمه ومتشابهه، ومنهم من ألّف في مكيه ومدنيه، ومنهم من ألّف في استنباط الأحكام منه، ومنهم من ألّف في ناسخه ومنسوخه، ومنهم من ألّف في أسباب نزوله، ومنهم من ألّف في أمثاله، ومنهم من ألّف في إعجازه، ومنهم من ألّف في غريبه، ومنهم من ألّف في إعرابه، إلى غير ذلك من المجالات التي تجسد من خلالها حفظ الله لكتابه بما هيّأ له هؤلاء العلماء من خدمة كتابه وعلومه حتى بقي محفوظًا يقرأ ويفسر غضّاً طريّاً كما أنزل"(١).

وقد استمرت هذه العناية بكتاب الله إلى يومنا هذا بفضل الله وتعالى، ومما يمدح في هذا العصر ويعتبر من أكبر الأعمال في حفظ كتاب الله وصيانته مجمع الملك فهد رحمه الله لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، فلا شكّ أن دولة المملكة العربية السعودية بهذا المشروع الشريف قد حقّقت جهداً عظيماً في خدمة كتاب الله وصيانته ونشره وتوزيعه.

فالحمد لله الذي سخّر الأسباب وهيّأ رجالاً يحرصون على حفظ كتاب الله أشدّ من حرصهم على حفظ أموالهم وأنفسهم.

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء ص ١٨٩.

المبحث السادس:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب المشيئة .

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالمشيئة وما يتعلّق بها .

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب المشيئة .

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة .

المطلب الأول: التعريف بالمشيئة وما يتعلّق بها.

المراد بمشيئة الله: مشيئة الله العامة النافذة، فما من شيء يحدث في الكون إلا وهو كائن بمشيئة الله، فلا يمكن أن يقع شيء في ملك الله دون إرادته(١). وهذه المشيئة هي التي يقال فيها: "ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن"، وهي نافذة فيما يحبّه الله وما لا يحبّه، فهي مرادفة تماماً للإرادة الكونية قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة تتعلّق بالأمر وإرادة تتعلّق بالخلق، فإرادة الأمر هي المتضمنة للمحبة والرضا، وهي الإرادة الدينية، والثانية المتعلّقة بالخلق هي المشيئة وهي الإرادة الكونية القدرية"(٢).

وعلى هذا فما شاءه الله وأراده إرادة كونية لابدّ من وقوعه سواء أن كان الله يحبّه ويرضاه كالتوحيد والصلاة وبر الوالدين أو لا يحبّه ولا يرضاه كالشرك والقتل وسائر المعاصي.

فالله سبحانه وتعالى متصف بصفة المشيئة، فهي صفة ذاتية قائمة به فلا تنفك عنه، فلم يزل الله مريداً.

وقد دلت النصوص على أن المشيئة صفة ثابتة لله منها: قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٤٧]، وقال الله تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٨ – ٢٩]. أي: "فمشيئته نافذة، لا يمكن أن تعارض أو تمانع"(٣).

وقال الرسول ﷺ: "لا يقولنّ أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت. ليعزم في الدعاء فإن الله صانع ما شاء لا مكره له"(٤).

---

(١) انظر شفاء العليل لابن القيم ٣٩٩/١.

(٢) منهاج السنة ٩٤/٣ باختصار.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ السعدي ص ٩١٢.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب العزم بالدعاء ٢٠٦٣/٤ برقم ٢٦٧٩.

وقال ﷺ: "إن قلوب بني آدم كلّها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه حيث يشاء". ثم قال رسول الله ﷺ: "اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك"[(١)].

فيجب الإيمان بأن المشيئة صفة من صفات الله كما تليق به، فالربّ سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء وكيف يشاء ومتى يشاء، كل الأمور بمشيئته، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فهي نافذة في كل شيء، لا تتخلف ولا تُرد، فلا يقع شيء في الكون إلا على الصورة التي أرادها الله، فلا يكون في الوجود إيمان أو كفر أو طاعة أو معصية أو قوة أو حركة أو سكون إلا بمشيئته وقدرته سبحانه .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر باب تصريف الله القلوب كيف يشاء ٢٠٤٥/٤ برقم ٢٦٥٤.

.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب المشيئة.

٧٢- عن أبي الحلال العتكي[١] قال: "انطلقت إلى عثمان فكلمته في حاجة فقال لي حين كلمته: ما شئت. ثم قال: بل الله أملك بل الله أملك"[٢].

ففي هذا الأثر تحقيق لحماية التوحيد، فعثمان ﷺ لما قال لأبي الحلال العتكي: "ما شئت" تراجع ﷺ عن قوله هذا لأنه يوهم في هذا المقام معنى فاسداً، وهو التشريك بين مشيئة الله ومشيئة المخلوق، فعدل عثمان عن ألفاظ قد تفضي إلى الشرك بالله، وهذا من تمام حمايته للتوحيد.

وموقف عثمان ﷺ له أصل في السنّة، فقد رُوي عن النبيّ ﷺ النهي عن التلفظ بكلمات فيها شرك بالله في المشيئة فقال الرسول ﷺ: "لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان"[٣].

قال الإمام الخطابي رحمه الله: "الواو حرف الجمع والتشريك و"ثم" حرف النسق بشرط التراخي فأرشدهم إلى الأدب في تقديم مشيئة الله سبحانه على مشيئة من سواه"[٤].

وعن ابن عباس أن رجلاً قال للنبيّ ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال له النبيّ ﷺ: "أجعلتني والله عدلاً؟ بل ما شاء الله وحده"[٥]. وعن قتيلة[٦] امرأة من جهينة أن يهودياً أتى

---

(١) ربيعة بن زرارة العتكي أبو الحلال بالمهملة والتخفيف أدرك الجاهلية ثم نزل البصرة. كان لأبي الحلال حصير يسجد عليها لا يستطيع أن يقوم من الكبر، وكان يقول: اللَّهمّ لا تسلبني القرآن، توفي وهو ابن مائة وعشرين سنة في زمن الحجاج. انظر الإصابة لابن حجر ٥١٢/٢.

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٢٧/١١ وابن شبه في أخبار المدينة ١٠٣/٢ والبغوي في شرح السنة ٣٦١/١٢. قال عبد الرزاق: "عن معمر عن أيوب عن غيلان بن جرير عن أبي الحلال العتكي. . . الأثر".

(٣) رواه أحمد في مسنده ٢٩٩/٣٨. قال النووي في الأذكار: إسناد صحيح ص ٤٠٦.

(٤) معالم السنن ١٣١/٤.

(٥) رواه أحمد في مسنده ٣٣٩/٣. قال محقق المسند الشيخ شعيب الأرنؤوط: "صحيح لغيره".

(٦) قتيلة بنت صيفي الأنصارية، وقيل: الجهنية كانت من المهاجرات، وهي جدة أبي فروة الجهني سكنت الكوفة. انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ٣٩٥/١٢.

النبيّ ﷺ فقال: "إنكم تُنَدِّدون وإنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبيّ ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: وربّ الكعبة، ويقولون: ما شاء الله ثم شئت"(١).

فدلالة هذه الأحاديث واضحة في تحريم استعمال لفظ يقتضي المساواة بين الله والمخلوق في المشيئة، لأن مشيئة العبد تبع لمشيئة الله كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩] فأهل السنة والجماعة يعتقدون أن للعبد مشيئة ولكنها تابعة لمشيئة الله(٢).

٧٣- عن جعفر بن محمد(٣) عن أبيه قال: قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن ها هنا رجلاً يتكلم عن المشيئة قال: فقال له: يا عبد الله خلقك الله عز وجل لما شاء أو شئت؟ قال: بل لما شاء. قال رضي الله عنه: فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: بل إذا شاء. قال رضي الله عنه: فيشفيك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: إذا شاء. قال رضي الله عنه: فيميتك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: إذا شاء. قال رضي الله عنه: فيدخلك حيث شاء أو شئت؟ قال: حيث شاء. قال رضي الله عنه: والله لو قلت غير هذا لضربت الذي فيه عيناك بالسيف، قال ثم تلا: ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [المدثر: ٥٦]"(٤).

---

(١) رواه النسائي في سننه في كتاب الأيمان والنذور باب الحلف بالكعبة ص ٥٨٣ برقم ٣٧٧٣. قال ابن حجر: "سنده صحيح" الإصابة ٧٩/٨.

(٢) سبق ذكر هذه المسألة ص ٢٤٣.

(٣) الإمام، الصادق، شيخ بني هاشم جعفر بن محمد بن علي بن الشهيد أبي عبد الله، ريحانة النبيّ ﷺ وسبطه ومحبوبه الحسين بن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب، وأمه: هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر التيمي، توفي عام ١٤٨هـ. انظر السير للذهبي ٢٥٥/٦.

(٤) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٧٨٢/٤ وأبو القاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة ٢٤/٢. قال اللالكائي: "أخبرنا محمد بن علي بن مهدي أخبرنا عثمان بن محمد بن هارون قال: ثنا أحمد بن شيبان قال: نا عبد الله بن ميمون القداح وجعفر بن محمد عن أبيه قال: قيل لعلي بن أبي طالب. . . الأثر".

ففي هذا الأثر بيان علي بن أبي طالب ﷺ للرجل وجوب إثبات صفة المشيئة لله، فقرّر أمير المؤمنين أن كل شيء بمشيئة الله كالخلق والمرض والشفاء والموت ودخول الجنة أو النار، فبيّن ﷺ للرجل أنه لا يقع شيء في الكون إلا بمشيئة الله النافذة، ثم أخبره أنه لو قال خلاف ذلك لقتله، فألزمه علي بن أبي طالب ﷺ اعتقاد أن كل شيء بمشيئة الله، فهذا الموقف من مواقف الخلفاء الراشدين ﷺ العظيمة في حماية التوحيد.

٧٤- عن عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده قال: "أتى رجل علي بن أبي طالب ﷺ فقال: أخبرني عن القدر؟ فقال: طريق مظلم فلا تسلكه. قال: أخبرني عن القدر؟ قال: بحر عميق فلا تلجه. قال: أخبرني عن القدر؟ قال: سر الله فلا تكلفه. قال: ثم ولى الرجل غير بعيد ثم رجع فقال: لعلي في المشيئة الأولى أقوم وأقعد وأقبض وأبسط فقال علي ﷺ: إني سائلك عن ثلاث خصال فلن يجعل الله لك ولا لمن ذكر المشيئة مخرجا، أخبرني أخلقك الله لما شاء أو لما شئت؟ قال: بل لما شاء. قال: أخبرني أفتجيء يوم القيامة كما شاء أو كما شئت؟ قال: لا بل كما شاء. قال: فأخبرني أجعلك الله كما شاء أو كما شئت؟ قال لا كما شاء. قال: فليس لك في المشيئة شيء"(١).

ففي هذا الاثر بيان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن القدر ومشيئة الله سرّ من أسرار الله، فلا قدرة للعبد على فهمه، لم يطلع الله عليه ملكاً مقرباً ولا نبيّاً مرسلاً، لا يدرك بجدال ولا يشفي منه مقال(٢)، فوضّح له علي ﷺ أنه لا يجوز الخوض فيه والبحث عنه بطريق العقل، بل الواجب اعتقاد أن كل شيء بمشيئة الله وقدرته دون التكلّف بالخوض فيه والدخول في التفاصيل، وأن من سلك هذا المسلك المنافي للتوحيد فتح على نفسه باب الهلاك، ففي هذا الموقف تحقيق لحماية للتوحيد .

---

(١) تقدم تخريجه ص٢٣٥.

(٢) انظر التمهيد لابن عبد البر ١٣/٦.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

إنّ جهود الخلفاء الراشدين ﭫ لجناب التوحيد في باب المشيئة جهود مباركة، وقد كان لها آثار عظيمة على الأمة يمكن تلخيصها فيما يلي:

١/ تعليم الأمة وجوب إثبات صفة المشيئة لله، فوضّح الخلفاء الراشدون ﭫ للأمة أنه يجب على المسلم الإيمان بأن الله متصف بالمشيئة، فهو سبحانه يفعل ما يشاء، والأمور كلّها بمشيئته، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فيثبت هذه الصفة لله على الوجه الذي يليق به سبحانه وتعالى، فهي صفة حقيقية قائمة بنفسه سبحانه وتعالى، ومن الشواهد على ذلك مناظرة علي بن أبي طالب ﭬ التي قال فيها: "يا عبد الله خلقك الله عز و جل لما شاء أو شئت؟ قال: بل لما شاء...الأثر"[(١)].

٢/ تعليم الأمة وجوب اعتقاد وحدانية الربّ في الربوبيّة، فيجب على المسلم الاعتقاد أن الله هو المتفرّد بالخلق والرزق والإحياء والإماتة وغير ذلك من مفردات الربوبيّة، فالله سبحانه وتعالى هو ربّ العالمين وحده لا شريك له، الذي له الأمر كلّه، القادر على ما يشاء قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[آل عمران: ٢٦ – ٢٧].

٣/ تعليم الأمة الإيمان بالقدر، ففي مواقف الخلفاء الراشدين إثبات للقدر لأن المشيئة مرتبة من مراتب القدر الأربعة وهي: العلم والكتابة والمشيئة والخلق[(٢)]، فمن لم يؤمن بإحدى هذه المراتب لم يؤمن بالقدر.

٤/ تبصير الأمة بفساد مذهب منكري القدر: فهذه الجهود المباركة دلت دلالة واضحة على إيمان الخلفاء الراشدين ﭫ بالقدر، فالخلفاء الراشدون ﭫ وسائر الصحابة كانوا يعتقدون أنه لا شيء في الوجود إلا بمشيئة الله وقدرته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ففي مواقف الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ردّ على القدرية الذين كذّبوا بالقدر.

---

(١) تقدم تخريجه ص٣٧٢.

(٢) سبق بيان ذلك.

وقد أورد الإمام اللالكائي أثر علي بن أبي طالب ﷺ في مناظرته للرجل في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة تحت قوله: "سياق ما روي من المأثور في كفر القدرية وقتلهم ومن رأى استتابتهم ومن لم ير"(١).

وهذا يدل على أن التكذيب بالقدر كفر مخرج من الملة، ولهذا شدّد السلف على القدرية وبيّنوا خطورة إنكار القدر وقرّروا في كتبهم وجوب الإيمان به.

٥/ نهي الأمة عن الخوض في القدر، فيستفاد من جهود الخلفاء الراشدين ﷺ النهي عن البحث عن القدر والخوض فيه، بل يُكتفى بالإيمان به دون الدخول في التفاصيل لأن القدر سرّ الله، لا يعلمه إلا هو؛ كما دل على ذلك موقف علي بن أبي طالب ﷺ لما جاء رجل فسأله فقال: "أخبرني عن القدر؟ فقال: طريق مظلم فلا تسلكه. قال: أخبرني عن القدر؟ قال: بحر عميق فلا تلجه. قال: أخبرني عن القدر؟ قال: سر الله فلا تكلفه...الأثر"(٢).

وقد استدل الإمام الآجري في الشريعة بهذا الأثر على النهي عن الخوض في القدر فقال: "باب ترك البحث والتنقير عن النظر في أمر المقدر كيف؟ ولم؟ بل الإيمان به والتسليم"(٣) ثم أورد أثر علي بن أبي طالب(٤).

٦/ إرشاد الأمة إلى العدول عن التلفظ بما يكره أو يحرم حماية للتوحيد، ففي موقف أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ مع أبي الحلال بيان للأمة النهي عن التلفظ بالألفاظ التي تتضمن شركاً أو النطق بالكلمات التي تكون وسيلة إلى الشرك كقول الرجل: ما شاء وشئت أو لو لا الله وفلان أو هذا بالله وبك، فلا يجوز استعمال هذه الألفاظ والكلمات لأنها تقتضي المساواة بين الله والمخلوق، وفيها سوء الأدب مع الله، وقد استدل الإمام البغوي في

---

(١) ٤/ ٧٨١.

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٣٥.

(٣) ٢/ ٩٣٥.

(٤) سبق بيان هذه المسألة ص ٢٣٥.

شرح السنّة بموقف عثمان ﷺ لتقرير هذه المسألة فقال: "باب: ما يكره من ألفاظ العادة وحفظ المنطق"[١] ثم أورد أثر عثمان.

وبهذا يتبيّن أن الخلفاء الراشدين ﷺ حققوا حماية التوحيد في باب المشيئة، وأن جهودهم كان لها آثار جليلة على الأمة في توضيح عقيدة التوحيد.

(١) شرح السنة للبغوي ٣٥٥/١٢.

الباب الثاني

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد

في التوحيد العملي

وفيه فصلان

الفصل الأول

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد فيما يتعلّق بالأعمال المشروعة

المبحث الأول: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب الدعاء .

المبحث الثاني: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب الحلف

المبحث الثالث: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب التوسّل

المبحث الرابع: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب الرقية

المبحث الخامس: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب الإخلاص بالتحذير من الرياء

المبحث السادس: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب التوكّل

المبحث السابع: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب الخوف والرجاء والمحبة

المبحث الثامن: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب الذبح .

المبحث التاسع: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب طاعة الله ورسوله والتحاكم إليهما .

المبحث الأول:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب الدعاء .

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالدعاء وما يتعلّق به .

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب الدعاء .

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة .

المطلب الأول: التعريف بالدعاء وما يتعلّق به.

الدعاء في اللغة:

قال ابن فارس رحمه الله: "الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشّيء إليك بصوت وكلام يكون منك. تقول: دعوت أدعو دعاء. والدّعوة إلى الطّعام بالفتح، والدّعوة في النّسب بالكسر"(١).

وقال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى: "أصل هذه الكلمة مصدر من قولك: دعوت الشيء، أدعوه دعاءً"(٢).

وتُطلق كلمة دعاء في اللغة على عدة معان منها:

١/ الطلب والسؤال قال الإمام ابن رجب رحمه الله: "اعلم أن أصل الدعاء في اللغة: الطلب، فهو استدعاء لما يطلبه الداعي ويؤثر حصوله"(٣). قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ** ﴾ [البقرة: ٦١] ﴿ **هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ** ﴾ [آل عمران: ٣٨].

٢/ العبادة قال الأزهري رحمه الله: "وقد يكون الدعاء عبادة، ومنه قول الله ﷻ: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ** ﴾[الأعراف: ١٩٤]"(٤).

٣/ الرغبة إلى الله ﷻ كما ذكر ذلك الفيروزآبادي رحمه الله(٥).

٤/ الاستغاثة والاستعانة: قال الله تعالى: ﴿ **وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٣].

---

(١) مقاييس اللغة ٢٧٩/٢.

(٢) شأن الدعاء ص٣.

(٣) فتح الباري ١٨/١.

(٤) تهذيب اللغة ٧٦/٣.

(٥) القاموس المحيط ص ١٢٨٢.

قال الفراء[١] رحمه الله: "يقول: استغيثوا بهم وهو كقولك للرجل: إذا لقيت العدوّ خاليا فادع المسلمين، ومعناه: فاستغث واستعن بالمسلمين"[٢].

الدعاء شرعاً:

قال الإمام الخطابي رحمه الله: "ومعنى الدعاء: استدعاء العبد ربّه ﷻ العناية، واستمدادُه إياه المعونة، وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة"[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن دعاء المسألة: هو طلبُ ما ينفع الداعي، وطلبُ كشف ما يضرّه، ودفعه"[٤].

فالدعاء عبادة من عبادات الله التي شرعها الله لعباده، وقد دلّ القرآن في أكثر من موضع أن الدعاء عبادة، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] فهذه الآية الكريمة دلت دلالة واضحة أن الدعاء عبادة لأن آخر الكلام تعليل لأوّله، وذلك أن ترك دعاء الله هو استكبار عن عبادة الله، فسمّى الله الدعاء عبادة، أمر الله عباده في أوّل الآية بالدعاء، ثم في آخر الآية قال: عن عبادتي ولم يقل: عن دعائي فدلّ على أن الدعاء عبادة[٥]. وقد ثبت عن النبيّ ﷺ أنه قال: "الدعاء هو العبادة" ثم قرأ هذه الآية[٦].

---

(١) هو: العلامة يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبو زكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، نزل بغداد وأملى بها كتبه في معاني القرآن وعلومه. وحدث عن قيس بن الربّيع، ومندل بن علي، كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو توفي عام ٢٠٧. انظر السير ١٠/١١٨.

(٢) معاني القرآن ١/١٩.

(٣) شأن الدعاء ص ٤.

(٤) مجموع الفتاوى ١٥/١٠.

(٥) انظر القول المفيد للشيخ العثيمين ١/١٥٩.

(٦) رواه الترمذي في سننه في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله باب ومن سورة البقرة ص ٦٦٤ برقم ٢٩٦٩. وقال الشيخ الألباني: "صحيح".

وكذلك من الآيات الدالة على أن الدعاء عبادة قول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٨ – ٤٩]. وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥ – ٦] ووجه الاستدلال في هاتين الآيتين كسابقهما سمى الله الدعاء عبادة.

فإذا تقرر أن الدعاء عبادة من عبادات الله، وحق من حقوقه، وجب إفراد الله به. قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥] وقال الله: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥] وقال الله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

فلا يجوز أن يصرف الدعاء لغير الله، فمن دعا الله وألجأ إليه وحده لا شريك له فقد حقّق التوحيد فيه، ومن دعا غير الله طالباً منه ما لا يقدر عليه إلا الربّ كدخول الجنة والوقاية من النار أو الشفاء وغير ذلك من خصائص الله فقد وقع في الذنب الأعظم، الشرك بالله كأصحاب القبور الذين يدعون الأموات ويستغيثون بهم في قضاء حوائجهم، ولا شكّ أن هذا الأمر مناف تماماً لما أُرسلت الرسل من أجله، وهو الإخلاص لله في جميع أنواع العبادات القولية والقلبية والفعلية، والكفر بما يُعبد من دون الله سواء أكان رسولاً مرسلاً أو ملكاً مقرّباً أو ولياً من أولياء الله أو حجراً أو شجراً، أي: البراءة من عبادة أي مخلوق، قال الله تعال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

ورغم وضوح النصوص وكثرتها في وجوب توحيد الله في الدعاء والتحذير من صرفه لغير الله، كان الدعاء من أكثر أنواع الشرك وقوعاً في هذه الأزمان(١)، فالناس اليوم من أمس الحاجة إلى تعلّم التوحيد والتفقه في العقيدة.

نوعا الدعاء:

---

(١) انظر: الدرر السنية ١٩٩/١.

النوع الأول: دعاء العبادة: ما كان على وجه عبادة الله وطاعته كالصلاة والصيام والثناء عليه بأسمائه وصفاته.

النوع الثاني: دعاء المسألة: هو الدعاء الذي يتضمن الطلب والسؤال، فيطلب الداعي من الله ما ينفعه ودفع ما يضره وغير ذلك من الحاجات(١).

والنوعان متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة(٢).

تنبيه: لا يقال أن كل دعاء صُرف لغير الله شرك بالله، بل منه ما هو شرك ومنه ما هو جائز، وعلى هذا فينقسم الناس في الدعاء لغير الله إلى ثلاثة أقسام:

١/ أن يدعو مخلوقاً طالباً منه أمراً من الأمور التي يقدر عليها كمن يطلب من أخيه المسلم أن يساعده في حمل شيء ثقيل لا يستطيع لوحده أن يحمله، فهذا جائز.

٢/ أن يدعو مخلوقاً (سواء كان حيّاً أو ميّتاً) طالباً منه أمراً من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله ﷻ، كمن يطلب من شخص الشفاء وإنزال المطر، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة لأن ذلك من مفردات الربوبيّة المختصة بالربّ التي لا يقدر عليها إلا هو سبحانه وتعالى.

٣/ أن يدعو مخلوقاً لا يُجيب بالوسائل الحسية المعلومة كمن من يدعو غائباً أو ميّتاً، فهذا كذلك شرك أكبر مخرج من الملة(٣).

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٥/١٠.

(٢) المصدر نفسه ١٥/١١.

(٣) انظر قاعدة جليلة في التوسل لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٠٦ وكتابه الاستغاثة في الرد على البكري ص ١٨٤/١٩٨/٢٠٣/٢٢١ ومجموع الفتاوى للشيخ العثيمين ٢/١٦٠.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب الدعاء.

٧٥- عن مُدرِك بن عمران(١) قال: "كتب رجل إلى عمر رضي الله عنه فادع الله لي. فكتب إليه عمر إني لستُ بنبيّ، ولكن إذا أُقيمت الصلاة فاستغفر الله لذنبك. "(٢)

ففي هذا الأثر تحقيق لحماية التوحيد وسدّ الطرق الموصلة إلى الشرك بدليل أن عمر رضي الله عنه امتنع أن يدعو لهذا الرجل لأنه رضي الله عنه خشي عليه الافتتان أو أحسّ منه نوعاً من التفات إلى غير الله أو الميل إلى شيء مذموم كتعلّقه بشخصية عمر أو الغلو فيه فيفضي الأمر إلى الشرك كما حصل ذلك بالنصارى مع عيسى بن مريم عليه السلام وعلمائهم فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله في كتابه الاعتصام: "فإباية عمر رضي الله عنه في هذا الموضع ليس من جهة أصل الدعاء ولكن من جهة أخرى، فكأنه فهم من السائل أمراً زائداً على الدعاء فلذلك قال: لست بنبيّ. ويدلك على هذا ما رُوى عن سعد بن أبي وقاص(٣) رضي الله عنه أنه لما قدم الشام أتاه رجل فقال: استغفر لي. فقال: غفر الله لك. ثم أتاه آخر فقال: استغفر لي فقال: لا غفر الله لك ولا لذاك، أنبيّ أنا؟! (٤) فهذا أوضح في أنه فهم من السائل أمراً زائداً، وهو أن يُعتقد فيه أنه مثل النبيّ، أو أنه وسيلة إلى أن يُعتقد ذلك، أو يُعتقد أنه سنة تُلتزَم أو تجري في الناس مجرى السنن الملتزَمة. ونحوه عن زيد بن وهب(٥) أن رجلاً قال لحذيفة

(١) هو: مدرك بن عوف البجلي من أهل الكوفة يروى عن عمر بن الخطاب، مختلف في صحبته واتصال حديثه. انظر الثقات لابن حبان ٥/٤٤٥.

(٢) ذكره ابن رجب في الحكم الجديرة بالإذاعة ص ٤٦، والشاطبي في الاعتصام ٢/٣١٦ قال محقق الكتاب الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان: "أخرجه ابن جرير في تهذيب الأثار في القسم المفقود منه من طريق مدرك".

(٣) هو: سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب الزهري، الأمير، أحد العشرة، وأحد السابقين الأولين، وأحد من شهد بدرا، والحديبية، وأحد الستة أهل الشورى، توفي عام ٥٦هـ. انظر السير للذهبي ١/٩٣.

(٤) ذكره الشاطبي في الاعتصام ٢/٣١٦. وقال محقق الكتاب الشيخ مشهور آل سلمان: "أخرجه ابن جرير في تهذيب الأثار القسم المفقود منه".

(٥) بن وهب الجهني أدرك الجاهلية يكنى أبا سليمان وكان مسلما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معدود في كبار التابعين بالكوفة. انظر الاستيعاب ٢/٥٥٩.

ﷺ: استغفر لي. فقال: لا غفر الله لك. ثم قال: هذا يذهب إلى نسائه فيقول: استغفر لي حذيفة، أترضين أن أدعو الله أن يجعلك مثل حذيفة؟ (١) فدلّ هذا على أنه وقع في قلبه أمر زائد يكون الدعاء له ذريعةً حتى يخرج عن أصله لقوله بعد ما دعا(٢) على الرجل: هذا يذهب إلى نسائه فيقول كذا، أي: فيأتي نساؤه لمثلها ويُشتهر الأمر حتى يُتخذ سنة ويُعتقد في حذيفة ما لا يدّعيه هو لنفسه، وذلك يخرج المشروع عن كونه مشروعاً، ويؤدّي إلى التشيع واعتقاد أكثر مما يُحتاج إليه"(٣).

وقال ابن رجب رحمه الله: "وقد كان عمر وغيره من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم يكرهون أن يطلب الدعاء منهم ويقولون أ أنبياء نحن؟! فدل على أن هذه المنزلة لا تنبغي إلا للأنبياء عليهم السلام"(٤).

٧٦- عن أبي عثمان(٥) قال: "كتب عامل لعمر بن الخطاب إليه أن هاهنا قوماً يجتمعون فيدعون للمسلمين وللأمير، فكتب إليه عمر: أقبل وأقبل بهم معك، فأقبل، وقال عمر للبواب: أعد لي سوطاً، فلما دخلوا على عمر أقبل على أميرهم ضرباً بالسوط، فقال: يا أمير المؤمنين، إنا لسنا أولئك الذين يعني أولئك قوم يأتون من قبل المشرق"(٦).

(١) ذكره الشاطبي في الاعتصام ٣١٧/٢. وقال محقق الكتاب الشيخ مشهور آل سلمان: "أخرجه ابن جرير في تهذيب الأثار القسم المفقود منه".

(٢) في نسخة أخرى: بعدما دل. انظر تحقيق الكتاب للشيخ مشهور آل سلمان ٣١٧/٢.

(٣) ٣١٦/٢-٣١٧.

(٤) الحكم الجديرة بالإذاعة ص ٤٦.

(٥) هو: الإمام، الحجة، شيخ الوقت عبد الرحمن بن مل أبو عثمان النهدي أدرك الجاهلية أسلم على عهد رسول الله ﷺ إلا أنه لم يلقه، ولقي عدة من الصحابة، ونزل الكوفة، غزا في خلافة عمر وبعدها غزوات، قيل أنه عاش ثلاثين ومائة سنة توفي عام ١٠٠هـ. انظر السير للذهبي ١٧٧/٤.

(٦) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥٥٨/٨ وابن وضاح في البدع ص ٢٦ قال ابن أبي شيبة: "حدثنا معاوية بن هشام قال: حدثنا سفيان، عن سعيد الجريري، عن أبي عثمان. . . الأثر".

ففي هذا الأثر إنكار عمر رضي الله عنه وزجر شديد على الابتداع في كيفية الدعاء، ومن ذلك الذكر الجماعي الذي هو من البدع الإضافية[١]، ففي هذا الموقف العظيم حماية للتوحيد، لأن التوحيد لا يتحقق تحقيقاً تاماً حتى يكون سليماً من شوائب الشرك بأنواعه والبدع بأنواعها والمعاصي كبائرها وصغائرها، كما أن البدعة وسيلة من الوسائل المفضية إلى الشرك، ولا شكّ أن الذكر الجماعي أمر محدث في الدين ليس له مستند في الشرع ولهذا أورد ابن وضّاح[٢] رحمه الله في كتابه البدع والنهي عنها[٣] أثر عمر رضي الله عنه.

قال الشيخ بكر بو زيد رحمه الله: "إن الذكر الجماعي بصوت واحد سراً أو جهراً، لترديد ذكر معين وارد، أو غير وارد، سواء كان من الكل أو يتلقنونه من أحدهم، مع رفع الأيدي، أو بلا رفع لها، كل هذا وصف يحتاج إلى أصل شرعي يدل عليه من كتاب أو سنّة، لأنه داخل في عبادة، والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع لا على الإحداث والاختراع، لهذا نظرنا في الأدلة لذلك من الكتاب والسنة فلم نجد دليلاً يدل على هذه الهيئة المضافة، فتحقق أنه لا أصل لها في الشرع المطهّر، وما لا أصل له في الشرع فهو بدعة، إذاً فيكون الذكر والدعاء الجماعي بدعة، يجب على كل مسلم مقتدٍ برسول الله ﷺ تركها والحذر منها، وأن يلتزم بالمشروع. وعليه: فالدعاء الجماعي بصوت واحد، سواء كان دعاء مطلقاً، أو مرتباً كأن يكون بعد قراءة القرآن، أو بعد الموعظة

---

(١) البدعة الإضافية: "لها جانبان: جانب مشروع، ولكن المبتدع يدخل على هذا الجانب المشروع أمرا من عند نفسه فيخرجها عن أصل مشروعيتها، بعمله هذا، وأكثر البدع المنتشرة عند الناس من هذا النوع. ومن أمثلتها: الصوم، الذّكْر، الطهارة واسباغ الوضوء على المكاره، الصلاة، هذه عبادات مشروعة أمر بها الشارع وحثّ عليها. فلو جاء شخص فقال: أنا أصوم قائما لا أجلس، وفي الشمس لا استظل أو قال: أنا أصوم الدهر فلا أفطر. أو في الذكر فقال: نحن نلتزم في الذكر بكيفيات وهيئات معينة، فنذكر الله بهيئة اجتماع على صوت واحد أو التزم بعبادات معينة في أوقات معينة، من غير أن يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة، كالتزام صيام يوم النصف من شعبان وقيامه. . . ". البدع للعلامة علي ناصر الفقيهي ص ١٥.

(٢) هو: الإمام الحافظ محدث الأندلس محمد بن وضاح بن بزيع، أبو عبد الله، مولى عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام، من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق لطلب العلم، وأخذ عن كثير من العلماء، وعاد إلى الأندلس، توفي ٢٨٧هـ. انظر السير للذهبي ١٣/٤٤٥.

(٣) ص ٢٩.

والدرس، أو بعد دفن الميّت، أو في المآتم، أو الحفلات، أو عند توزيع الصدقات في المساجد ودور العلم، أو البيوت أو غيرها، كل ذلك بدعة"(١).

٧٧- عن عمر ﷺ: "إني لا أحمل همّ الإجابة، وإنما أحمل همّ الدعاء، ولكن إذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه"(٢).

ففي هذا الأثر بيان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ للرعية كمال صفات الربّ ووجوب الإيمان واليقين بأنهم إنما يدعون إلهاً سميعاً قريباً يستجيب دعوة الداعي إذا دعاه قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[البقرة: ١٨٦].

نزلت هذه الآية الكريمة بسبب سؤال الصحابة النبيّ ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، أقريب ربّنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فنزل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ لأنه تعالى، الرقيب الشهيد، المطّلع على السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وهو قريب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق(٣).

فوضّح عمر ﷺ للناس أن الله ليس بأصمّ ولا غائب بل هو ﷻ قريب من عباده الصالحين يسمع جميع الأصوات والدعوات، يجيب سؤال السائلين، ويعطيهم فوق ما يرجون ولا يخيّبهم إذا دعوه ولا يردّهم إذا ناجوه، فلا يشغل اللهَ شيء عنهم، فالله معهم بعلمه ونصره وتأييده أينما كانوا قال الله تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦].

فأبان عمر ﷺ أنه لا ينبغي للعبد أن يحمل همّ الإجابة لأن الله ﷻ أجود الأجودين وأكرم الأكرمين، قريب الإجابة فلا يرد من دعاه ولا يمنع من سأله، وإنما الواجب على العبد الأخذ بالأسباب والجدّ والاجتهاد كالإقبال على الله ورفع الأيدي بقلب حاضر ومناجاة الربّ بالإخلاص والصدق، والإلحاح عليه بالدعاء والانكسار بين يدي الربّ والتذلل له، وهذا هو الهمّ الذي أشار إليه عمر ﷺ، أما الاستجابة فلا شكّ في تحققها لمن عرف ربه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، ففي هذا الموقف العظيم إثبات الكمالات للربّ وتحقيق للتوحيد وحمايته.

---

(١) تصحيح الدعاء ص ١٣٤.

(٢) ذكره ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٦٩ وابن أبي العز في شرح الطحاوية ٦٩٧/٢.

(٣) انظر جامع البيان للطبري ٤٨٠/٣.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

إن في هذه الجهود المباركة دلالة واضحة على اهتمام الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ بالدعاء وعنايته به لحماية التوحيد في هذا الجانب لعظم شأن هذه العبادة في الدين، وقد كان لهذه الجهود آثار عظيمة على الأمة، أهمها ما يلي:

١/ بيان للأمة منزلة الدعاء وأهميته وحثّ الناس عليه وتحذيرهم من الشرك فيه، ففي هذه الجهود النافعة ترغيب المسلمين إلى مناداة الربّ ومناجاته، لأن الدعاء من أجلّ العبادات وأعظم القربات التي شرعها الله لعباده، فهو صميم الاعتقاد وتوحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ودليل على علاقة العبد القوية بالله، وعنوان التذلل والخضوع والانكسار بين يدي الربّ، وإظهار الافتقار إليه(١)، وعلى هذا فلا يجوز صرف الدعاء لغير الله كدعاء الأموات وغيرهم من المخلوقات قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥].

وقد استدل العلامة سيلمان بن عبد الله آل الشيخ في تيسير العزيز الحميد (في شرح باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره(٢)) بقول عمر: "إني لا أحمل همّ الإجابة، وإنما أحمل همّ الدعاء، ولكن إذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه"(٣) لبيان منزلة الدعاء والتحذير من الشرك فيه، ثم قال بعد إيراد أثر عمر ﷺ: "فثبت بهذا أن الدعاء عبادة من أجلّ العبادات، بل هو أكرمها على الله، فإن لم يكن الإشراك فيه شركاً، فليس في الأرض شرك، وإن كان في الأرض شرك، فالشرك في الدعاء أولى أن يكون شركاً من الإشراك في غيره من أنواع العبادة، بل الإشراك في الدعاء هو أكبر شرك المشركين الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ، فإنهم يدعون الأنبياء والصالحين والملائكة ويتقربون إليهم ليشفعوا لهم عند الله، ولهذا يُخلصون في الشدائد لله وينسون ما يشركون، حتى جاء أنهم إذا جاءتهم الشدائد في البحر يلقون أصنامهم في البحر ويقولون: يا الله! يا الله! لعلمهم أن آلهتهم لا تكشف

---

(١) انظر: تصحيح الدعاء للشيخ بكر بو زيد ص ١٩ وفقه الأدعية والأذكار للشيخ أ. د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ٢/٢٩٠.

(٢) كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب (مجموع مؤلفاته) ٤٢/١.

(٣) تقدم تخريجه ص ٣٨٧.

.

الضر ولا تجيب المضطّر قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢] فهم كانوا يعلمون أن ذلك لله وحده وأن آلهتهم ليس عندها شيء من ذلك"[١].

٢/ تربية الأمة على توحيد الله وتعظيمه وإرشاد الناس إلى التعلّق بالربّ والثقة به وعدم التفات إلى غيره ولهذا أمر أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ذلك الرجل أن يدعو الله بنفسه[٢]، وإن كان يجوز في الأصل للإنسان التوسّل بدعاء الرجل الصالح، ولكن الأكمل والأحسن له أن يدعو الله بنفسه، ألا يسأل غيره، بل يستغني عن سؤال الخلق ويعتمد على الله، وهذا من كمال التوحيد.

٣/ تحذير الأمة من الغلو في الصالحين والنهي عن الزيادة على الحد المشروع في محبتهم والمبالغة في مدحهم، فلا يجوز أن يرفع الإنسان فوق منزلته التي أنزله الله إيّاها، لأن الغلو والإطراء أمران يفضيان إلى الشرك بالله[٣]. ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه أن يدعو للسائل لأنه رضي الله عنه فهم منه أمراً زائداً على الدعاء أو خشي عليه التعلّق بشخصية عمر أو الغلو فيه وغير ذلك مما قد يؤدّي إلى الشرك.

٤/ نهي الأمة عن الابتداع في الدعاء وسائر العبادات ووجوب الإنكار عليه كما نهى عمر عن الذكر الجماعي، فلا يجوز الابتداع في الدين، وقد سار بقية الصحابة على هذه الطريقة، فنهوا عن تخصيص هيئات معيّنة أو أوقات معيّنة للدعاء والذكر والصلاة وغير ذلك من العبادات والقربات التي شرعها الله لعباده، لأن البدعة تجرّ إلى الشرك كدعاء غير الله، لهذا تجد كثيراً من السلف قد حذّروا الناس أشدّ التحذير من هذه الأمور المحدثة وبيّنوا خطورتها على عقيدة المسلم ودينه، فعلى سبيل المثال قصة ابن مسعود، فعن عمرو بن

---

(١) ص ١٤٣.

(٢) انظر ص ٣٨٤.

(٣) سيأتي التفصيل في هذا الموضوع إن شاء الله.

سلمة[(١)] الهمداني قال: "كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخَرَج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن! إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيراً، قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً حِلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبّروا مائة! فيكبّرون مائة، فيقول: هلّلوا مائة! فيهللون مائة، ويقول: سبّحوا مائة! فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك قال: أفلا أمرتهم أن يعدّوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء. ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن! حصى نعدّ به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدّوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحَكم يا أمة محمد! ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيّكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد؟ أو مفتتحوا باب ضلالة؟ قالوا: والله، يا أبا عبد الرحمن! ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه"[(٢)].

فليُتأمل "كيف أنكر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على أصحاب الحلقات هؤلاء، مع أنهم في حلقة ذكر ومجلس عبادة لما كان ذكرهم لله وتعبّدهم له بغير الوارد المشروع، وفي هذا دلالة على أنه ليس العبرة في العبادة والدعاء والذكر كثرته، وإنما العبرة في موافقته للسنة، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه في مقام آخر: "اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة"[(٣)]، وابن مسعود رضي الله عنه لم ينكر عليهم ذكرهم لله واشتغالهم بذلك، وإنما أنكر عليهم مفارقتهم للسنة في صفة أدائه وكيفية القيام به مع أن الألفاظ التي كانوا يذكرون الله بها ألفاظ صحيحة وردت

---

(١) هو: عمرو بن سلمة بن الحارث الهمداني الكوفي يقال الكندي، روى عنه أهل الكوفة مات سنة ٨٥هـ ودفن مع عمرو بن حريث في يوم واحد وهو أخو عبد الله بن سلمة. انظر التاريخ الكبير ٣٣٧/٦.

(٢) سنن الدارمي ٧٩/١. قال محقق الكتاب حسين سليم الداراني: "إسناده جيد".

(٣) المعجم الكبير للطبراني ٢٠٧/١٠.

بها السنة، فكيف الحال بمن ترك السنة في ذلك جملة وتفصيلاً في الألفاظ وصفة الأداء وغير ذلك"(١).

فينبغي للأمة الاقتداء بالصحابة في التمسّك بالسنة النبوية وأداء العبادة وفقاً للشرع، فلا خير في الابتداع في الدين، بل هو باب من أبواب الضلال ووسيلة من وسائل الشرك ولهذا يجب الحذر منه والابتعاد عنه.

٥/ بيان للأمة مشروعية الدعاء وإبطال القول بأن الدعاء عبث لا فائدة فيه، بل هو سبب من الأسباب التي ينال العبد بها مغفرة الله ورحمته وهداه ونصره ورزقه(٢) وقد دلت النصوص الشرعية على مشروعية الدعاء وبطلان القول بأنه لا فائدة فيه ومن ذلك:

- قول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠] قال الإمام السعدي رحمه الله: "هذا من لطفه بعباده، ونعمته العظيمة، حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه، دعاء العبادة، ودعاء المسألة، ووعدهم أن يستجيب لهم، وتوعّد من استكبر عنها فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ أي: ذليلين حقيرين، يجتمع عليهم العذاب والإهانة، جزاء على استكبارهم"(٣).

فلو كان الدعاء عبثاً وغير مشروع لما أمر الله عباده أن يدعوه، بل وصف الله من يمتنع عن الدعاء بالاستكبار وهدّدهم بدخول النار، ثم يقال أيضاً أن استجابة الله الدعاء هي استجابة لما طلبوه من ربهم وما يرجونه من جلب منافع ودفع مضرات، وهذا من أكبر الأدلة على أن الدعاء نافع يُدفع به القدر.

- ومن الأدلة أيضاً قول الله: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ١٢]. قال العلامة السعدي رحمه الله: "وهذا إخبار عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وأنه إذا مسّه

(١) فقه الأدعية والأذكار لشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ٣٢٩/٢.

(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٦٩/٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٧٤٠.

ضرّ، من مرض أو مصيبة اجتهد في الدعاء، وسأل الله في جميع أحواله، قائماً وقاعداً ومضطجعاً، وألح في الدعاء ليكشف الله عنه ضره"[١].

فهذه الآية دليل واضح على فائدة الدعاء في حصول الخير ودفع الشر وقد قال النبيّ ﷺ: "لا يردّ القدر إلا الدعاء"[٢]. كما أن النبيّ ﷺ خير خلق الله وإمام المتوكّلين كان أكثر الناس اجتهاداً في الدعاء، يدعو ربّه في جميع أحوال حياته، في صلاته وسفره وقبل نومه، واستقاظه وصحته ومرضه وغير ذلك، لنفسه وأهله وأمّته، وسار الخلفاء الراشدون وسائر الصحابة رضي الله عنهم على هذا المنهج وهم خيار هذه الأمة، كلّهم يدعون لجلب المنافع والخيرات ودفع الضرار والمصائب، فكيف يقال بعد ذلك أن الدعاء عبث، لا تأثير له في حصول المطلوب أو أنه مجرد عبادة محضة؟!

فالحاصل أن الدعاء مشروع وفيه فوائد، يُرد به القدر، وقد استدل أهل العلم بقول عمر رضي الله عنه: "إني لا أحمل همّ الإجابة، وإنما أحمل همّ الدعاء، ولكن إذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه" لتقرير هذه المسألة والردّ على المخالفين قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والناس قد اختلفوا في الدعاء المستعقب لقضاء الحاجات، فزعم قوم من المبطلين، متفلسفة ومتصوفة، أنه لا فائدة فيه أصلاً، فإن المشيئة الإلهية والأسباب العلوية، إما أن تكون قد اقتضت وجود المطلوب، وحينئذ فلا حاجة إلى الدعاء، أو لا تكون اقتضته، وحينئذ فلا ينفع الدعاء. وقال قوم ممن تكلّم في العلم: بل الدعاء علامة ودلالة على حصول المطلوب، وجعلوا ارتباطه بالمطلوب ارتباط الدليل بالمدلول، لا ارتباط السبب بالمسبَّب بمنزلة الخبر الصادق والعلم السابق. والصواب: ما عليه الجمهور من أن الدعاء سبب لحصول الخير المطلوب، أو غيره، كسائر الأسباب المقدرة والمشروعة، وسواء سمّي سبباً أو جزءاً من السبب أو شرطاً، فالمقصود هنا واحد، فإذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه دعاءه والاستعانة به، وجعل استعانته ودعاءه سبباً للخير الذي قضاه له، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه...الأثر"[٣].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٣٥٩.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه في أول الكتاب باب القدر ص ٣٢ برقم ٩٠. وصححه العلامة الألباني.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٦٨.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "لم يصح أن يقال: لا فائدة في الدعاء، كما لا يقال: لا فائدة في الأكل والشرب وجميع الحركات والأعمال، وليس شيء من الأسباب أنفع من الدعاء، ولا أبلغ في حصول المطلوب. ولما كان الصحابة ﷺ أعلم الأمة بالله ورسوله ﷺ وأفقههم في دينه، كانوا أقوم بهذا السبب وشروطه وآدابه من غيرهم. وكان عمر رضي الله عنه يستنصر به على عدوّه، وكان أعظم جنده به، وكان يقول لأصحابه: "لستم تنصرون بكثرة، وإنما تنصرون من السماء"(١)، وكان يقول: "إني لا أحمل همّ الإجابة، ولكن همّ الدعاء، فإذا ألهمتم الدعاء، فإن الإجابة معه"(٢).

وبعد هذا العرض تظهر جليّاً آثار هذه الجهود المباركة في حماية التوحيد في باب الدعاء، فينبغي الحرص على الدعاء والعناية به لما فيه من الفوائد والخير في الدنيا والآخرة، فهو سلاح المؤمن ودليل على علاقة العبد القوية بربّه.

(١) تقدم تخريجه ص ٢٢١.

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٨٩.

المبحث الثاني:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب الحلف .

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالحلف وما يتعلّق به .

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب الحلف .

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة .

المطلب الأول: التعريف بالحلف وما يتعلّق به.

الحلف في اللغة: قال ابن منظور رحمه الله: "الحلف والحَلِف القسم لغتان حلف أي: أقسم يحلِف حَلفاً وحِلفاً وحَلِفاً ومحلوفاً، وهو أحد ما جاء من المصادر على مفعول مثل المجلود"(١).

الحلف شرعاً:

هو اليمين والقسم، وهو تأكيد الشيء بذكر اسم الله أو صفته، وقد يكون بأحد حروف القسم، وهي الباء، والواو، والتاء(٢).

وقد ورد في القرآن الكريم القسم بهذه الحروف الثلاثة:

١/ الباء كقولك: أقسم بالله قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡ﴾ [المائدة: ٥٣]. ويُحذف فعل القسم مثل قولك: بالله.

٢/ الواو كقولك: والله، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] والواو لا يُذكر معها فعل القسم.

٣/ التاء: كقولك: تالله قال الله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ٩٧].

والتاء تختص بالله ورب قال ابن مالك رحمه الله: "والتاء لله ورب"(٣).

حكم الحلف بغير الله:

إن الله سبحانه وتعالى وهو الربّ الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، فيجب على العبد تعظيمه والخضوع له ﷻ، ومن صور تعظيم الله إفراده بالحلف، فلا يقسم إلا بالله أو بصفة من صفاته، ولهذا قال النبيّ ﷺ: "ألا من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله"(٤).

وبناء على ذلك قرر العلماء أن الحلف بغير الله شرك كقول المرء: والنبيّ أو والكعبة أو والأمانة وغير ذلك من الصيغ التي تُعدّ من الشرك.

---

(١) لسان العرب ١٩٦/٤.

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر ٥١٦/١١ والإقناع للحجاوي ٣٢٩/٤.

(٣) انظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١٢/٣.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب مناقب الأنصار باب أيام الجاهلية ٤٢/٥ برقم ٣٨٣٦.

والحلف بغير الله قد يكون شركاً أكبر، وقد يكون شركاً أصغر، فهو شرك أكبر إن اعتقد الحالف أن المحلوف به مساو لله في التعظيم أو كان أعظم من الله عنده، وإلا فهو شرك أصغر قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ: "قال الجمهور (أي: في من يحلف بغير الله) لا يكفر كفراً ينقله عن الملة لكنه من الشرك الأصغر، لكن الذي يفعله عبّاد القبور إذا طلبت من أحدهم اليمين بالله أعطاك ما شئت من الأيمان صادقاً أو كاذباً، فإذا طلبت منه اليمين بالشيخ أو تُربته أو حياته ونحو ذلك لم يُقدِم على اليمين به إن كان كاذباً، فهذا شرك أكبر بلا ريب لأن المحلوف به عنده أخوف وأجل وأعظم من الله، وهذا ما بلغ إليه شرك عباد الأصنام، لأن جهد اليمين عندهم هو الحلف بالله كما قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨] فمن كان جهد يمينه الحلف بالشيخ أو بحياته أو تربته فهو أكبر شركاً منهم، فهذا هو تفصيل القول في هذه المسألة"(١).

وقد يُشكل على البعض حديث النبيّ ﷺ الذي قال فيه للأعرابي الذي سأله عن أمور الإسلام: "أفلح وأبيه إن صدق"(٢)، فظاهر اللفظ الحلف بغير الله، وقد أجاب أهل العلم عن ذلك بأوجه أصحّها ما يلي:

-هذه الرواية شاذة مخالفة للأحاديث الصحيحة، لفظها منكرة، وهذا قول الإمام ابن عبد البر(٣) وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز(٤)، والعلامة الألباني(٥).

-أن هذا اللفظ كان يجري على ألسنة الناس من غير قصد للقسم به(٦).

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص٣٩٧ باختصار.

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام ٤٠/١ برقم ١١.

(٣) انظر التمهيد ٣٦٧/١٤.

(٤) انظر مجموع الفتاوى ١٤٣/٣.

(٥) سلسلة الأحاديث الضعيفة ٧٥٦/١٠.

(٦) انظر شرح صحيح مسلم للنووي ١٢١/١ وتيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله ص ٣٩٦.

-أن هذا كان في أوّل الأمر ثم نُسخ، وقد رجّح هذا القول العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ(١) والعلامة العثيمين(٢).

فالواجب ألا يُحلف إلا بالله لأنه سبحانه وتعالى هو المعظَّم حقيقة، فلا يؤكد الكلام إلا بالله، أما الناس وسائر المخلوقات ليس لهم من التعظيم ما يصل إلى حد أن يُحلف بهم، بل هذا خاص لله ﷻ قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: "لايجوز الحلف بغير الله ﷻ في شيء من الأشياء ولا على حال من الأحوال وهذا أمر مجتمع عليه"(٣).

وكان الصحابة ﭫ يعرفون خطورة الحلف بغير الله وأنه شرك بالله، ومما رُوي عنهم قول ابن مسعود ﭬ، قال:"لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً"(٤). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لأن الحلف بغير الله شرك والحلف بالله توحيد، وتوحيد معه كذب خير من شرك معه صدق"(٥) .

---

(١) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٣٩٦.

(٢) انظر مجموع الفتاوى ١٠/٨٠٠.

(٣) التمهيد ١٤/٣٦٦.

(٤) انظر مصنف عبد الرزاق ٨/٤٦٩.

(٥) مجموع الفتاوى ١/٨١.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب الحلف.

٧٨- عن سالم بن عبد الله(١) عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ: "إن الله ﷻ ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم". قال عمر ﷺ: "فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ نهى عنها ذاكراً ولا آثراً(٢)"(٣).

ففي هذا الأثر دلالة واضحة على تحريم الحلف بغير الله، فبيّن عمر للناس أنه ليس ثمة مخلوق ولو كان نبيّاً أو ملكاً أو وليّاً يستحق أن يُعظَّم حتى يُحلف به، بل الحلف لله وحده لا شريك له، ولهذا يروي عمر ﷺ لهم هذا الحديث العظيم ويخبرهم أن منذ سمع هذا الحديث من النبيّ ﷺ ما حلف بغير الله، لا من قبل نفسه ولا مخبراً عن غيره(٤)، فذكّرهم بهذا الأسلوب لتكون الموعظة أنفع في التبليغ، وأوقع في قلوبهم، وأشدّ في التحذير.

قال النووي رحمه الله: "قال العلماء: الحكمة في النهي عن الحلف بغير الله تعالى أن الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به، وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى، فلا يضاهي به غيره، وقد جاء عن ابن عباس: لأن أحلف بالله مائة مرة فآثم خير من أن أحلف بغيره فأبر"(٥).

ومما رُوي عن النبيّ ﷺ في النهي عن الحلف بغير الله قوله ﷺ: "لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون"(٦). وقوله ﷺ:

---

(١) هو: سالم بن عبد الله بن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، الإمام الزاهد، الحافظ، مفتي المدينة، أبو عمر، وأبو عبد الله، القرشي، العدوي، المدني، مولده في خلافة عثمان، توفي عام ١٠٦هـ. انظر السير للذهبي ٤/٤٥٧.

(٢) معنى ذاكراً: قائلاً لها من قبل نفسي، وقوله: ولا آثراً أي: ولا مخبرًا عن غيري أنه حلف به. انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال ٦/٩٩ وشرح صحيح مسلم للنووي ١١/١٠٨.

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الأيمان باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى ٣/١٢٦٦ برقم ١٦٤٦.

(٤) انظر شرح صحيح مسلم للنووي ١١/١٠٨.

(٥) المصدر نفسه ١١/١٠٧.

(٦) رواه أبو داود في سننه في كتاب الأيمان والنذور باب اليمين بغير الله ص ٥٨٥ برقم ٣٢٤٨. وصححه الألباني.

"لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت"(١). وقوله ﷺ: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك"(٢)وغير ذلك من الأحاديث.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وهو ﷺ نهى عن الحلف بغير الله، وعن الصلاة عند طلوع الشمس وغروبها، وعن اتخاذ القبور مساجد واتخاذ قبره عيداً، ونهى عن السفر إلى غير المساجد الثلاثة وأمثال ذلك، لتحقيق إخلاص الدين لله، وعبادة الله وحده لا شريك له، فهذا كلّه محافظة على توحيد الله ﷻ وأن يكون الدين كلّه لله فلا يُعبد غيره"(٣).

٧٩- عن عبد الله بن الزبير يخبر أن عمر رضي الله عنه لما كان بالمِخْمِص(٤) من عُسفان(٥) فاستبق الناس فسبقهم عمر رضي الله عنه، فقال ابن الزبير: فانتهزت فسبقته فقلت: سبقته والكعبة، ثم انتهز فسبقني فقال: سبقته والله، ثم انتهزت فسبقته فقلت: سبقته والكعبة، ثم انتهز الثالثة فسبقني فقال: سبقته والله، ثم أناخ فقال أرأيت حلفك بالكعبة والله لو أعلم أنك فكرت فيها قبل أن تحلف لعاقبتك، احلف بالله فأثم أو أبرر"(٦).

---

(١) رواه النسائي في سننه في كتاب الأيمان والنذور باب الحلف بالطواغيت ص ٥٨٣ برقم ٣٧٧٤. وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي في سننه كتاب النذور والأيمان باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ص ٣٦٣ برقم ١٥٣٣. وصححه الألباني.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٧/٣٥٠.

(٤) طريق في جبل عير إلى مكة. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ٥/٧٣.

(٥) هي طريقه إلى اليمن، بلدة على ٨٠ كيلا من مكة شمالا على الجادة إلى المدينة. انظر معجم المعالم المعالم الجغرافية الواردة في السّيرة النبوية للبلادي ص ٣٤١.

(٦) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٨/٤٦٨ والفاكهي في أخبار مكة ١/٣٥٣، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/٢٩. قال عبد الرزاق: "أخبرنا ابن جريج قال: سمعت عبد الله بن ابي مليكة يخبر أنه سمع بن الزبير يخبر... الأثر". قال عبد السلام بن محسن آل عيسى: "صحيح من طريق عبد الرزاق". دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب ٢/٨٢٤.

٨٠- عن الحسن قال: "مرّ عمر بالزبير وهو يقول: لا والكعبة، فرفع عليه الدرة وقال: الكعبة لا أُمَّ لك تُطعِمك وتَسقيك؟ "(١).

٨١- عن نافع(٢) عن عمر بن الخطاب ﵁ أنه سمع رجلاً يحلف بالكعبة، فضربه وتكلم، ثم قال: "الكعبة تُطعمك؟ الكعبة تَسقيك؟ "(٣).

٨٢- عن خناس بن سحيم(٤) قال: "أقبلت مع زياد بن حدير(٥) فقلت في كلامي: لا والأمانة. فجعل زياد يبكي ويبكي حتى ظننت أني أتيت أمراً عظيماً فقلت له: أكان يكره ما قلت؟ قال: نعم، كان عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ﵁ ينهى عن الحلف بالأمانة أشدّ النهي "(٦).

فكذلك في هذه الآثار نهي عمر ﵁ الناس عن الحلف بغير الله حماية للتوحيد ومحاربة للشرك، فلما سمع عمر بن الخطاب ابن الزبير رضي الله عنهما يحلف بالكعبة (من غير أن

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤١٦/٣ قال: "حدثنا يزيد بن هارون، عن هشام، عن الحسن. . . الأثر".

(٢) هو: نافع الإمام المفتي عالم المدينة، أبو عبد الله القرشي، ثم العدوي العمري، مولى بن عمر، روى عن: ابن عمر، وعائشة، وأبي هريرة، ورافع بن خديج، وأبي سعيد الخدري، وأم سلمة وغيرهم، توفي عام ١١٧هـ. انظر السير للذهبي ٩٥/٥.

(٣) رواه الفاكهي في أخبار مكة ٣٤٥/١ قال: "حدثني إبراهيم بن أبي يوسف قال: ثنا عبد المجيد بن أبي رواد، عن أبيه، عن نافع عن... الأثر". في إسناده انقطاع بين مولى عبد الله بن عمر وعمر رضي الله عنهما. انظر دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب لعبد السلام بن محسن آل عيسى ٨٢٤/٢.

(٤) هو: خناس بن سحيم، سمع زياد بن حدير، روى عنه شريك عن سليمان. انظر التاريخ الكبير للبخاري ٢١٨/٣.

(٥) هو: زياد بن حدير الأسدي الكوفي أبو المغيرة يقال أنه كان أميرا كان على الكوفة. انظر التاريخ الكبير للبخاري ٣٤٨/٣.

(٦) رواه ابن المبارك في الزهد ص ٧٠ وأبو نعيم في حلية الأولياء ١٩٦/٤ قال: "حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا علي بن إسحاق حدثنا الحسين بن الحسن المروزي حدثنا ابن المبارك أخبرنا شريك عن أبي إسحاق الشيباني عن خناس بن سحيم... الاثر".

.

يشعر) أنكر عليه، بل شدّد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في الإنكار على القسم بغير الله حتى وصل الأمر إلى الضرب.

وأيضاً في هذه الجهود النافعة دلالة على النهي عن الحلف بالأمانة وقد وُرد في السنّة النهي عن هذا قال الرسول ﷺ: "من حلف بالأمانة فليس منا"(١).

٨٣- عن عكرمة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "لا تكثر الحلف فيهينك الله"(٢).

٨٤- عن أبي سعيد(٣) قال: "كان علي إذا أتى السوق فيقول: يا أهل السوق اتقوا الله، إياكم والحلف، فإن الحلف ينفق السلعة ويمحو البركة، وإن التاجر فاجر، إلا من أخذ الحق، وأعطى الحق، والسلام عليكم، ثم ينصرف، ثم يعود إليهم فيقول لهم مثل مقالته..."(٤).

٨٥- عن أبي مطر(٥) أن علي بن أبي طالب قال: "بيعوا ولا تحلفوا فإن اليمين تُنفق السلعة وتَمْحَق البركة..."(٦).

---

(١) رواه أبو داود في صحيحه في كتاب الأيمان والنذور باب كراهية الحلف بالأمانة ص ٥٨٦ برقم ٣٢٥٣. وصححه العلامة الألباني.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٣٥٩/٤٤ قال: "أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين أنا الحسن بن عبد الودود بن عبد المتكبر أنا أبي نا محمد بن عبد الله بن إبراهيم نا الحسين بن محمد الأنصاري نا محمد بن عبد الله بن حميد بمكة نا حفص بن عمر الأيلي نا علي بن نوح نا هشام بن سليمان عن عكرمة...الأثر".

(٣) هو: عقيصا أبو سعيد التيمى صاحب الكراش من أهل الكوفة، قيل إن اسمه دينار، روى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وحضر معه صفين. انظر الثقات لابن حبان ٢٨٦/٥.

(٤) رواه الخلال في السنة ٣٥٢/٢ وابن كثير في البداية والنهاية ٥/٨. قال الخلال: "أخبرنا محمد بن إسماعيل قال: حدثنا جعفر بن عون عن مسعر، عن ابن جحادة، عن أبي سعيد...الأثر".

(٥) أبو مطر البصري الجهني. لسان الميزان لابن حجر ٤٤٥/٩.

(٦) رواه ابن حميد في المسند ص٦٢ قال: "حدثنا محمد بن عبيد حدثنا المختار بن نافع عن أبي مطر...الأثر".

معنى قول علي بن أبي طالب: "فإن اليمين تُنفق السلعة وتمْحَق البركة" أي: تُروّج السلعة، فيتمكن صاحب السلعة من بيعها بسبب اليمين، فيحلف أن سلعته من النوع الجيد أو القيمة كذا وكذا فيصدقه المسلمون ويثقون به لأنهم يعظّمون اليمين.

وقوله: "تمحق البركة" أي: تزيل البركة وتتلفها إتلافاً معنوياً كنزع الله البركة من ماله فلا ينتفع به، أو إتلافاً حسياً بأن يذهب ماله وملكه بسبب سرقة أو حريق أو غير ذلك(١).

وقد ثبت هذا القول عن النبيّ ﷺ في صحيح البخاري فقال ﷺ: "الحلف مَنْفَقة للسلعة مْمحَقة للبركة"(٢).

فهذه الآثار تدل على تمام حماية الخلفاء الراشدين ﭫ للتوحيد وعنايتهم الفائقة به، فهم لم يكتفوا بالنهي عن الحلف بغير الله فقط، بل نهوا عن كثرة الحلف، لأن الإكثار منه في كل مناسبة، ومن غير حاجة إليه مناف لكمال التوحيد، كالذي يحلف في كل حال، في أي محادثة، وفي البيع وفي الشراء، فمتى تكلّم حلف، والأمر أشدّ لما يكون الحلف على كذب، يُقصد من وراءه خداع الناس وتغريرهم، وقد أخبرنا الله أن ذلك من صفات المنافقين. قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [المجادلة: ١٤].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يعني المنافقين يحلفون على الكذب وهم عالمون بأنهم كاذبون فيما حلفوا، وهي اليمين الغموس، ولا سيما في مثل حالهم اللعين، عياذاً بالله منه، فإنهم كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا، وإذا جاءوا الرسول ﷺ حلفوا له بالله أنهم مؤمنون، وهم في ذلك يعلمون أنهم يكذبون فيما حلفوا به، لأنهم لا يعتقدون صدق ما قالوه، وإن كان في نفس الأمر مطابقاً، ولهذا شهد الله بكذبهم في أيمانهم وشهادتهم لذلك"(٣).

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ [القلم: ١٠].

---

(١) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢٢١/٦ وإعانة المستفيد لصالح الفوزان ٢٧١/٢.

(٢) في كتاب البيوع باب: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢٧٦] ٦٠/٣ برقم ٢٠٨٧.

(٣) تفسير القرآن الكريم ٤١٨/٤.

قال إمام المفسرين الطبري: "ولا تطع يا محمد كلّ ذي إكثار للحلف بالباطل"(١).

وقال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [المنافقون: ٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحَلْفان الآثمة، ليصدقوا فيما يقولون، فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم، فاعتقدوا أنهم مسلمون، فربما اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما يقولون، وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالاً فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس"(٢).

فالاستهانة بالحلف بالله من نواقص التوحيد الدالة على عدم تعظيم الله في القلب، ولهذا نهى الله عباده عن كثرة الحلف فقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢٢٤]."أي لا تستكثروا من اليمين بالله فإنه أهْيَب للقلوب"(٣).

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٨٩] أي: لا تحلفوا بالله كاذباً ولا تكثروا الحلف به(٤).

قال الإمام السعدي رحمه الله: "أصل اليمين إنما شرعت تأكيداً للأمر المحلوف عليه، وتعظيماً للخالق، ولهذا وجب أن لا يحلف إلا بالله، وكان الحلف بغيره من الشرك، ومن تمام هذا التعظيم أن لا يحلف بالله إلا صادقاً، ومن تمام هذا التعظيم أن يحترم اسمه العظيم عن كثرة الحلف، فالكذب وكثرة الحلف تنافي التعظيم الذي هو روح التوحيد"(٥).

ففي جهود الخلفاء الراشدين ﭬ دلالة واضحة على النهي عن الحلف بغير الله أو كثرة الحلف به لما في ذلك من المنافاة للتوحيد، فمن حلف بغير الله أو كثر من الحلف من غير داع دلّ ذلك على قلة تعظيمه لله في قلبه.

---

(١) جامع البيان ٥٣٤/٢٣.

(٢) تفسير القرآن الكريم ٤٧١/٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/٤.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/٤ وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص ٢٤٢.

(٥) القول السديد ص ١٥٤.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

من المعلوم أن الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون ﷺ هم أكثر الناس في هذه الأمة بعد نبيّهم تحقيقاً للتوحيد، فقد امتلأت قلوبهم تعظيماً لله، ولهذا سدّوا جميع الذرائع المفضية إلى الشرك، وأنكروا كل قول وفعل مضاد للتوحيد، ومن ذلك الحلف بغير الله الذي هو من الشرك في الألفاظ، وقد كان لهذه الجهود المباركة آثار عظيمة على الأمة الإسلامية أهمّها ما يلي:

١/ نهي الأمة عن الحلف بغير الله، فلا يجوز للمسلم أن يقسم بغير الله كالحلف بالنبيّ أو الكعبة أو الأمانة، كل ذلك منهي عنه لما فيه من المنافاة للتوحيد، فوضّح الخلفاء الراشدون ﷺ للناس أن الله هو المعظَّم حقيقة، هو الذي يستحق أن يُعبد وأن يُحلف به وحده لا شريك له، لأن الله هو الربّ المتفرّد بالخلق والرزق والتدبير، الذي له صفات الكمال ونعوت العظمة، فاستحق أن يوحَّد في العبادة كالحلف والدعاء والتوكّل والخوف والرجاء والمحبة والصلاة والذبح وسائر العبادات. أما المخلوق الفقير المتصف بالنقص فلا يجوز أن يُحلف به.

٢/ نهي الأمة عن كثرة الحلف بالله، وجعْل الربّ عرضة للأيمان مع العلم أن ذلك من صفات المنافقين، فكثرة الحلف بالله ينافي تعظيم الله، ففي هذا النهي تربية الأمة على توحيد الله. فلا يجوز للأمة كثرة الحلف بالله في كل مناسبة والبيع والشراء وغير ذلك من الحالات التي لا تمدح ولا تشكر.

فالحاصل أن الخلفاء الراشدين ﷺ صانوا جناب التوحيد وربّوا الرعية على تعظيم الله وكمال التوحيد.

فإذا كان السلف يبكون عند سماع من يحلف بغير بالله ﷻ، فكيف لو سمعوا وشهدوا ما عليه كثير من المسلمين من التخبط في الشرك والبدع والمعاصي؟! فالأمة في أشدّ الحاجة إلى مدارسة التوحيد والتبصر فيه، لأنه هو أصل الدين الذي من أجله خُلقنا وأُنزلت الكتب وأُرسلت الرسل.

المبحث الثالث:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب التوسّل.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالتوسل وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب التوسّل.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المطلب الأول: التعريف بالتوسّل وما يتعلّق به.

التوسّل لغة: مأخوذ من الوسيلة وهي ما يتقرّب به إلى الغير(١).

قال ابن الأثير رحمه الله في معنى الوسيلة: "ما يتوصّل به إلى الشيء ويتقرّب به"(٢).

أما تعريف الوسيلة شرعاً:

قال ابن الأثير رحمه الله: "ما يتقرّب به إلى الله تعالى من صالح القول والعمل"(٣). فدلّ هذا التعريف على أن التوسّل هو التقرب إلى الله بما شرعه الله من طاعات وأعمال صالحات كالتوحيد والإيمان واتباع الرسول.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الوسيلة التي أمرنا الله أن نبتغيها إليه هي التقرب إلى الله بطاعته، وهذا يدخل فيه كل ما أمرنا الله به ورسوله ﷺ، وهذه الوسيلة لا طريق لنا إليها إلا باتباع النبيّ ﷺ بالإيمان به وطاعته، وهذا التوسّل به فرض على كل أحد"(٤).

والأدلة على التوسّل كثيرة منها:

- قول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥].

قال العلامة الشنقيطي(٥) رحمه الله: "اعلم أن جمهور العلماء على أن المراد بالوسيلة هنا هو القربة إلى الله تعالى، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه على وفق ما جاء به محمد ﷺ بإخلاص في ذلك لله تعالى، لأن هذا وحده هو الطريق الموصلة إلى رضى الله تعالى، ونيل ما عنده من خير الدنيا والآخرة. وأصل الوسيلة: الطريق التي تقرّب إلى الشيء وتوصل إليه، وهي العمل

---

(١) انظر الصحاح للجوهري ١٣٧/٥.

(٢) النهاية لابن الأثير ٨٤٩/٢.

(٣) جامع الأصول ٣٨٠/٩.

(٤) قاعدة جليلة في التوسّل والوسيلة ص ١٣١.

(٥) هو: العلامة الفقيه المفسر محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ولد رحمه الله بالقطر المسمى شنقيط من دولة موريتانيا، وكان مولده في عام ١٣٢٥هـ. تولي نيابة القضاء في المدينة المنورة عام ١٢٠٠ هـ، وعين إماماً وخطيباً وواعظاً بالمسجد النبوى الشريف. وتوفي عام ١٣٩٣هـ في مكة. انظر إمتاع الفضلاء بتراجم القرّاء لإلياس البرماوي ٢٦٦/١.

الصالح بإجماع العلماء، لأنه لا وسيلة إلى الله تعالى إلا باتباع رسوله ﷺ، وعلى هذا فالآيات المبينة للمراد من الوسيلة كثيرة جداً كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[الحشر: ٧] وكقوله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقوله: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾[النور: ٥٤] إلى غير ذلك من الآيات"(١).

- وكذلك من الأدلة على الوسيلة قول الله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء: ٥٧].

قال العلامة السعدي رحمه الله: "أي: يتنافسون في القرب من ربهم ويبذلون ما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة المقربة إلى الله تعالى وإلى رحمته، ويخافون عذابه فيجتنبون كل ما يوصل إلى العذاب"(٢).

وقد قسم أهل العلم التوسّل إلى قسمين: التوسّل الشرعي والبدعي:

أما التوسّل الشرعي فهو ثلاثة أنواع وهي:

النوع الأول: التوسّل بأسماء الله وصفاته، وهذا النوع هو توسل الأنبياء والرسل، فهو أعلى وأفضل أنواع التوسّل إلى الله تعالى وأقربها إلى استجابة الله الداعي، ومثال هذا النوع كأن يقول المسلم: "يا رحمن ارحمني"، "يا شافي اشفني، "يا توّاب تُبْ عليّ"، وهكذا، يذكر المسلم في الدعاء الاسم الذي يناسِب حاجته وحاله. قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال العلامة الألباني رحمه الله: "والمعنى: ادعوا الله تعالى متوسّلين إليه بأسمائه الحسنى. ولا شكّ أن صفاته العلى ﷻ داخلة في هذا الطلب، لأن أسماءه الحسنى سبحانه صفات له، خصت به تبارك وتعالى"(٣).

النوع الثاني: التوسّل بالإيمان والعمل الصالح قال الله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

---

(١) أضواء البيان ١/٤٠٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٦١.

(٣) التوسّل أنواعه وأحكامه ص ١٧.

قال الإمام السعدي رحمه الله: "أي: أجبناه مبادرة، وسارعنا إليه، وفي هذا إخبار منهم بمنّة الله عليهم، وتبجح بنعمته، وتوسل إليه بذلك، أن يغفر ذنوبهم ويكفّر سيئاتهم"(١).

ومنه قصة النفر الثلاثة الذين أووا إلى غار ليبيتوا فيه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار بحيث لا يستطيعون الخروج منه، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فتوسّل كل منهم إلى الله بعمل صالح فعله، فأحدهم توسّل إلى الله تعالى ببره بوالديه، والثاني بتركه الفاحشة مع بنت عمه، والثالث بأدائه حق أجيره، قال كل منهم: اللّهم إن كنت فعلت ذلك من أجلك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون(٢)، فهذا توسّل إلى الله بالعمل الصالح.

النوع الثالث: "التوسّل بدعاء الرجل الصالح كأن يقول المسلم في ضيق شديد، أو تحل به مصيبة كبيرة، ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله تبارك وتعالى، فيجب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله، فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح والتقوى، أو الفضل والعلم بالكتاب والسنة، فيطلب منه أن يدعوا له ربه، ليفرج عنه كربه، ويزيل عنه همه. فهذا نوع آخر من التوسّل المشروع، دلت عليه الشريعة المطهّرة، وأرشدت إليه"(٣)، ومن ذلك حديث أنس بن مالك ﷺ الذي فيه أن رجلاً استسقى بالنبيّ يوم جمعة(٤).

فهذه هي الطرق الثلاثة المشروعة التي يتوسّل ويتقرّب بها المسلم إلى الله.

أما التوسّل البدعي: هو كل توسل يخرج عن الأنواع الثلاثة المذكورة في التوسّل الشرعي، فكل توسل لم يقم عليه دليل لا من كتاب الله ولا من سنة الرسول ﷺ، ومن ذلك أن يتوسّل الإنسان بطلب الدعاء والشفاعة من الأموات، أو يتوسّل بجاه النبيّ ﷺ وغيره أو بذوات المخلوقين أو بحق المخلوق وكذلك التوسّل بالأماكن الفاضلة والأزمنة الفاضلة فيقول:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٦١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإجارة باب من استأجر أجيرا فترك أجره ٣/٩١ برقم ٢٢٧٢.

(٣) التوسّل أنواعه وأحكامه للشيخ الألباني ص ٢٤.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الاستسقاء باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة ٢/٢٨ برقم ١٠١٤.

اللّهم إني أتوسل إليك بالكعبة أو يقول: اللّهم برمضان أسألك أن تغفر لي ونحو ذلك، فكلّ هذه الصور محرّمة شرعاً إذ لم يقم عليها دليل، فهي من أشر البدع التي قد توصل إلى الشرك[١].

وهناك مسألة مهمة ينبغي أن يُتنبه لها وهي: أن عدم تجويز أهل السنه التوسّل بالنبيّ ﷺ أو غيره من الأنبياء والصالحين لا يدل على بغضهم وتنقصهم أو عدم إثبات جاه لهم أو منزلة عند الله، بل أهل السنة يعتقدون أن النبيّ ﷺ له جاه ومكانة عظيمة عند الله والمسلمين، بل هو أحب البشر إليهم مع الاعتقاد أنه أفضل الخلق، ولكن لما كان اتباعه من أكبر العلامات على محبته أطاعوه بحيث لم يزيدوا في الشرع شيئاً لم يأت به النبيّ ﷺ ، ولم ينقصوا منه، ومن جاء بشيء يتقرب به إلى الله مثل هذه الأنواع من التوسّل المحدث فعليه أن يثبت دليلاً على ذلك محبةً واتباعاً للنبي، وإلّا فقد خالف الرسولَ الكريم وعصاه ، بل تبرأ النبيّ من فعله لأن الرسول ﷺ قال: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد"[٢] .

---

(١) انظر قاعدة جليلة في التوسّل لشيخ الإسلام ابن تيمية وعقيدة التوحيد للشيخ الفوزان ص ١٧٣ والمشروع والممنوع من التوسّل للشيخ عبد السلام برجس ص ٤٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ١٨٤/٣ برقم ٢٦٩٧.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب التوسّل.

٨٦- عن عمرو بن دينار أن أبا بكر قال في خطبة: "إن الله ليس له شريك وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً ولا يصرف عنه سوء إلا بطاعته واتباع أمره"(١).

٨٧- ورواية عن عاصم بن عدي(٢) أن أبا بكر ﷺ قال: "ألا إن الله لا شريك له، ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيراً، ولا يصرف به عنه سوءاً، إلا بطاعته واتباع أمره"(٣).

ففي هذين الأثرين بيان أبي بكر الصديق ﷺ للناس عدم مشروعية التوسّل بجاه الأشخاص ولو كانوا من الصالحين، وإنما التوسّل يكون بطاعة الله كالتوحيد وأداء الفرائض وغير ذلك مما يحبّه الله ويرضاه. ففي هذا الإرشاد الربّاني تحقيق لحماية التوحيد بتحذير الرعية من التوسّل البدعي.

٨٨- عن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: "اللّهم إنا كنا نتوسّل إليك بنبيّنا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسّل إليك بعم نبيّنا فاسقنا". قال: فيسقون"(٤).

---

(١) رواه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء ٣٦/١ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٣٣٥/٣٠ قال أبو نعيم: "حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا علي بن عبدالعزيز حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام حدّثنا أزهر بن عمير وكان بالثغر قال: حدثني أبو الهذيل عن عَمْرو بن دينار. . . الأثر".

(٢) هو: عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان بن حارثة بن ضبيعة العجلاني ثم البلوي، صحابي جليل، شهد أحدا وكان رسول الله ﷺ استعمله على أهل قباء وأهل العالية فلم يشهد بدرا، يقال أنه عاش أكثر من مائة سنة. انظر الاستيعاب لابن عبد البر ٧٨١/٢ وتهذيب التهذيب لابن حجر ٤٩/٥.

(٣) رواه الطبري في تاريخ الأمم والملوك ٢٤٥/٢ وابن كثير في البداية والنهاية ٣٣٤/٦. قال الطبري: "حدثنا عبيد الله بن سعد قال: أخبرنا عمي قال: حدثنا سيف وحدثني السري بن يحي قال: حدثنا شعيب بن إبراهيم عن سيف بن عمر عن أبي ضمرة عن عاصم بن عدي. . . الأثر".

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الاستسقاء باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء ٢٧/٢ برقم ١٠١٠.

فهذا أثر مشهور عند أهل العلم في الاستسقاء، فيه توسل عمر رضي الله عنه بدعاء العباس رضي الله عنه عم النبيّ ﷺ لما أصابهم القحط والجدب في ذلك العام الذي سُمي عام الرمادة(١)، فدعا عمر ربّه أن ينزل المطر مستشفعاً بالعباس.

فالشاهد أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيّن للرعية أنه عدل عن التوسّل بالنبيّ ﷺ إلى التوسّل بدعاء العباس حماية للتوحيد، فمعنى دعاء عمر: كنا نقصد نبيّنا ونطلب منه ﷺ أن يدعو لنا، فنتوسّل إليك بدعائه ﷺ، والآن وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى وانقطع عمله لموته ﷺ فلم يعد من الممكن أن يدعو لنا، فإنا نتوجه بعد موت النبيّ ﷺ إلى عم نبيّنا العباس لنطلب منه رضي الله عنه أن يدعو لنا(٢).

فهنا عمر رضي الله عنه توسل بدعاء العباس كما كان يتوسّل بدعاء النبيّ ﷺ في حياته، ومن ذلك توسّل الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بدعاء يزيد بن الأسود(٣) لما قحطت السماء(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "التوسّل بالنبيّ ﷺ والتوجه به في كلام الصحابة فيريدون به التوسّل بدعائه وشفاعته. والتوسّل به في عرف كثير من المتأخّرين يراد به الإقسام به والسؤال به كما يقسمون بغيره من الأنبياء والصالحين ومن يعتقدون فيه الصلاح. وحينئذ فلفظ التوسّل به يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسلمين ويراد به معنى ثالث لم ترد به سنة. فأما المعنيان الأولان الصحيحان باتّفاق العلماء: فأحدهما هو أصل الإيمان والإسلام وهو التوسّل بالإيمان به وبطاعته، والثاني دعاؤه وشفاعته كما تقدم: فهذان جائزان بإجماع المسلمين، ومن هذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "اللّهم إنا كنا إذا أجدبنا

---

(١) كان عام الرمادة في آخر سنة سبع عشرة، وأول سنة ثماني عشرة، أصاب أهل المدينة وما حولها جوع فهلك كثير من الناس. انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٠٤/٧.

(٢) انظر التوسّل أنواعه وأحكامه للعلامة الألباني ص ٢٦.

(٣) هو: يزيد بن الأسود الجرشي من سادة التابعين بالشام، أسلم في حياة النبيّ ﷺ. انظر السير للذهبي ١٣٦/٤.

(٤) انظر تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر ١١٢/٦٥ قال الشيخ الألباني: "سنده صحيح" التوسّل أنواعه وأحكامه ص ٢٦.

توسّلنا إليك بنبيّنا فتسقينا وإنا نتوسّل إليك بعم نبيّنا فاسقنا أي: بدعائه وشفاعته. وقوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] أي: القربة إليه بطاعته، وطاعة رسوله طاعته قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. فهذا التوسّل الأوّل هو أصل الدين وهذا لا ينكره أحد من المسلمين. وأما التوسّل بدعائه وشفاعته -كما قال عمر- فإنه توسّل بدعائه لا بذاته، ولهذا عدلوا عن التوسّل به إلى التوسّل بعمه العباس، ولو كان التوسّل هو بذاته لكان هذا أولى من التوسّل بالعباس، فلمّا عدلوا عن التوسّل به إلى التوسّل بالعباس علم أن ما يفعل في حياته قد تعذّر بموته، بخلاف التوسّل الذي هو الإيمان به والطاعة له فإنه مشروع دائماً. فلفظ التوسّل يراد به ثلاثة معان: أحدها التوسّل بطاعته، فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به، والثاني التوسّل بدعائه وشفاعته، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة يتوسّلون بشفاعته، والثالث التوسّل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته، فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عمن ليس قوله حجة"(١).

فلم يُعرف عن عمر وغيره من الصحابة التوسّل بجاه الرسول ﷺ أو بصاحب قبر في الاستسقاء أو في غير ذلك من الحاجات، بل رُوي عن عمر رضي الله عنه مواقف كثيرة في الاستسقاء وحال الجدب والقحط (إضافة إلى قصته رضي الله عنه مع العباس) ما يبطل العقائد الفاسدة والدعوات الباطلة الشركية، ومن تلك الآثار ما يلي:

- عن السائب بن يزيد عن أبيه قال: رأيت عمر بن الخطاب يصلي في جوف الليل في مسجد رسول الله ﷺ زمان الرمادة وهو يقول: "اللّهم لا تهلكنا بالسنين، وارفع عنا البلاء، يردد هذه الكلمة"(٢).

---

(١) قاعدة جليلة في التوسّل والوسيلة ص ٨٤.

(٢) الطبقات لابن سعد ٣/٣١٩.

– وعن عبد الله بن ساعدة[(١)] قال: رأيت عمر إذا صلى المغرب نادى: "أيها الناس، استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، وسلوه من فضله، واستسقوا سقياً رحمة لا سقياً عذاب"، فلم يزل كذلك حتى فرج الله ذلك[(٢)].

– وعن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال عام الرمادة: "أيها الناس، ادعوا الله أن يذهب عنكم المحْل[(٣)]"[(٤)].

– وعن أبي وجزة السعدي[(٥)] عن أبيه قال: رأيت عمر خرج بنا إلى المصلى يستسقي فكان أكثر دعائه الاستغفار، حتى قلت: لا يزيد عليه ثم صلى ودعا الله فقال: "اللّهم اسقنا"[(٦)].

– عن عبد الله بن نيار[(٧)] عن أبيه قال: لما أجمع عمر على أن يستسقي ويخرج بالناس كتب إلى عماله أن يخرجوا يوم كذا وكذا وأن يتضرّعوا إلى ربهم ويطلبوا إليه أن يرفع هذا المحل عنهم قال: وخرج لذلك اليوم عليه برد رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى المصلى، فخطب الناس وتضرع، وجعل الناس يلحون، فما كان أكثر دعائه إلا الاستغفار حتى إذا قرب أن ينصرف رفع يديه مدا وحول رداءه وجعل اليمين على اليسار، ثم اليسار على اليمين، ثم مدّ يديه وجعل يلح في الدعاء وبكى عمر بكاء طويلاً حتى أخضل لحيته"[(٨)].

---

(١) هو: عبد الله بن ساعدة بن عائش بن قيس بن زيد بن أمية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي أخو عويم بن ساعدة، وهو مدني، ولد على عهد رسول الله ﷺ، ما سنة ١٠٠هـ. انظر الإصابة لابن حجر ٤/١٠١.

(٢) الطبقات لابن سعد ٣/٣٢٠.

(٣) المحْل: انقطاع المطر ويُبس الأرض. انظر لسان العرب لابن منظور ١٤/٢٩.

(٤) الطبقات لابن سعد ٣/٣٢٠.

(٥) هو: يزيد بن عبيد أبو وجزة السعدي من أهل المدينة، قال ابن حجر له إدراك، وكان قليل الحديث شاعرا عالما توفي سنة ١٣٠هـ. انظر الإصابة لابن حجر ٧/٤٦٣ والثقات لابن حبان ٥/٥٢٤.

(٦) الطبقات لابن سعد ٣/٣٢٠.

(٧) هو: عبد الله بن نيار بن مكرم الأسلمي، من أهل المدينة، قيل له صحبة. انظر التاريخ الكبير للبخاري ٥/٢١٤ وتهذيب التهذيب لابن حجر ٦/٥٨.

(٨) الطبقات لابن سعد ٣/٣٢٠.

– وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر يقول: "أيها الناس إني أخشى أن تكون سخطة عمتنا جميعاً، فأعتِبوا ربكم، وانزعوا، وتوبوا إليه، وأحدثوا خيراً"(١).

– وعن عطاء بن أبي مروان عن أبيه أنه كان مع عمر ﷺ فقال: "إني أستسقي غداً إن شاء الله إذا أصبحنا". قال: فحضر الناس بابه بكرة حتى خرج إليهم، فلم يزل يقول: "اللّهم اغفر لنا إنك كنت غفاراً" حتى جاء المصلى رافعاً صوته"(٢).

فهذه الآثار كلّها تدل دلالة واضحة على أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ لم يكن يتوسّل بالنبيّ ﷺ بعد موته، ويستشفع به عند الله في الاستسقاء وحال الشدائد كالقحط والجدب، ولم يكن يدعو الأموات ويستغيث بهم من دون الله، بل كان يتوسّل إلى الله بالتوسّل المشروع الصحيح كالتوسّل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا كمناداة الربّ ومناجاته باسم الغفار والاعتراف بعظمته وكماله، وكذلك التوسّل بالأعمال الصالحات كالإنابة والتذلل لله والخضوع بين يديه وإظهار الافتقار إليه، والاستغفار والتوبة تحقيقاً للتوحيد، علّم عمر ﷺ الرعية أن كل ذلك سبب من أسباب إجابة الدعاء ونزول المطر ورفع البلاء وكثرة الخيرات، وهذا هو سنّة الأنبياء والرسل فكانوا يعلّمون أقوامهم ويحثّونهم على الاستغفار والتوبة لنزول المطر والحصول على الخيرات قال الله تعالى عن نوح وهو يدعو قومه: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح: ١٠ – ١٢] وقال الله تعالى عن هود أنه قال:﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ٥٢].

٨٩– عن عيسى بن دآب(٣) أن علي بن أبي طالب ﷺ قال: "أوصيكم بتقوى الله، فإن أفضل ما توسّل به العبد الإيمان والجهاد في سبيله، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة، وإقام

(١) المصدر نفسه ٣٢٢/٣.

(٢) رواه ابن شبة في أخبار المدينة ٣٩١/١ قال العلامة الألباني: "إسناده صحيح" انظر إرواء الغليل للألباني ١٤٦/٢.

(٣) عيسى بن يزيد بن بكر دآب الليثي المدني، يروي عن عبد الرحمن بن أبي زيد عن أبي هريرة روى عنه يعقوب بن إبراهيم بن سعد. انظر ميزان الاعتدال للذهبي ٣٢٧/٣.

الصلاة فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها فريضة، وصوم شهر رمضان فإنه جنة من عذابه، وحج البيت فإنه منقاة مدحضة للذنب، وصلة الرحم فإنها منسأة في الأجل..."[١].

ففي هذه الوصية العظيمة تذكير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الناس بأحد أنواع التوسّل المشروع، وهو التقرب إلى الله بالأعمال الصالحات كالإيمان والإخلاص وأركان الإسلام وصلة الرحم، ولا شكّ أن في هذه الموعظة البليغة صيانة للتوحيد وبياناً للعقيدة الصحيحة .

(١) رواه ابن كثير في البداية والنهاية ٣٤٠/٧ قال: "قال الهيثم بن عدي في كتابه الذي جمعه في الخوارج وهو من أحسن ما صنف في ذلك قال: وذكر عيسى بن دآب. . . الأثر".

.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

لقد وفّق الله الخلفاء الراشدين ﵃ إلى جهود محمودة في بيان التوحيد ومنافحته، ومن ذلك حمايتهم لجناب التوحيد في باب التوسّل، فكان لهذه الجهود المباركة آثار بليغة على الأمة، يمكن تلخيصها فيما يلي:

١/ بيان الخلفاء الراشدين ﵃ للأمة التوسّل الشرعي، فبهذه الجهود العظيمة علّموا المسلمين عقيدة التوحيد ووضّحوا لهم أنواع التوسّل الثلاثة الصحيحة: التوسّل بأسماء الله وصفاته والتوسّل بالأعمال الصالحات والتوسّل بدعاء الصالحين الأحياء، فهذه هي الطرق المشروعة التي يتقرّب بها إلى الله.

٢/ تبصير الأمة بفساد قول من أجاز التوسّل بذات الرسول ﷺ أو جاهه أو غيره من الأموات، فلو كان التوسّل بذات الرسول أو بجاهه جائزاً لما ترك عمر ﵁ التوسّل به ﷺ لأنه لا شكّ أن جاه الرسول ﷺ ومكانته عند الله أفضل وأعظم من جاه ومكانة العباس ﵁، كيف يُتصور أن عمر ﵁ يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؟! فلم يعدل عمر ﵁ عن التوسّل بالرسول ﷺ إلا لعلمه أن طلب الدعاء من الميّت ولو كان الرسول ﷺ أو التوسّل بذاته أمر محرّم لا يجوز في الشرع، ولهذا لم يُنقل عن أحد من الصحابة أنه دعا النبيّ ﷺ بعد موته ﷺ، فلم يُعرف عن أحدهم في حال الشدائد أنه استغاث بالأموات وطلب شفاعتهم أو سألهم قضاء حاجاته أو تفريج كرباته أو كشف ضره إذْ كل هذا من الشرك الأكبر الناقل من الملة، كما أنهم ﵃ لم يتوسّلوا إلى الله بفعل العبادات عند القبور والمشاهد كدعاء الله عندها معتقدين أن ذلك أقرب وأرجى إلى الإجابة كما يفعله كثير من المسلمين، وما هذا الصنيع إلا ذريعة مفضية إلى الشرك بالله. ولم يكونوا ﵃ يتوسّلون بجاه الرسول وذاته ﷺ أو غيره من الأنبياء والصالحين، لأن هذا التوسّل لم يشرعه الله ولم يأذن به، ولهذا نهى أبو بكر ﵁ عن التوسّل بجاه الشخص فقال: "إن الله ليس له شريك وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيرا ولا يصرف عنه سوء إلا بطاعته واتباع أمره"[(١)].

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤١٠.

سئل الشيخ عبد الرحمن بن حسن[(١)] عن دعاء الزائر بقوله: يا ربّنا، بحرمة نبيّك ووليّك، اقض حاجتي...إلخ؟

فأجاب رحمه الله مستدلاً بأثر عمر في الاستسقاء: "هذا من التوسّل بذوات الأموات، وهو من البدع المنكرة، والذرائع الموصلة إلى الشرك، ولذلك لم يفعله أحد من الخلفاء الراشدين، ولا من الصحابة ﷺ، فلو كان حقاً لسبقونا إليه، فإنهم أعظم الناس سبقاً إلى كل خير، فتركهم ذلك في حق النبيّ ﷺ مع قربهم من قبره، يدل على أنه من البدع التي يجب تركها، يحقق ذلك أنهم لما أجدبوا في خلافة عمر ﷺ، لم يأتوا إلى قبره ﷺ يستسقون به، كما كانوا يستسقون به في حياته، واستسقوا بعمّه العباس، وقال عمر: "اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبيّنا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيّنا فاسقنا فيسقون. "ففرّقوا بين حال الحياة والوفاة، خوفاً من الوقوع فيما نهوا عنه، من الغلو في الأموات، ولكن الاستسقاء بالشخص إنما هو بدعائه، بخلاف حال الميّت، فإن الدعاء متعذر في حقه، وهذا من غزارة علم الصحابة ﷺ وقوة إيمانهم، وتمسّكهم بما شرع لهم، وتركهم ما لم يشرع، وهذا هو سبيل المؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]"[(٢)].

٣/ بيان للأمة بطلان القول بأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ توسّل بجاه العباس أو ذاته، ولا شكّ أن القول ليس بصحيح، وإنما توسّل عمر ﷺ بدعاء العباس ﷺ، ومما يؤيّد ذلك ما رُوي عن العباس من دعاء في هذه الحادثة قال العلامة الألباني رحمه الله: "لقد فسّرت بعض روايات الحديث الصحيحة كلام عمر المذكور وقصده، إذ نقلت دعاء العباس ﷺ استجابة لطلب عمر ﷺ، فمن ذلك ما نقله الحافظ العسقلاني رحمه الله في الفتح[(٣)]

(١) هو: العلامة عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، درس على جده الإمام، وتولى القضاء بالدرعية، صاحب كتاب فتح المجيد، توفي عام ١٢٨٥هـ. انظر مشاهير علماء نجد وغيرهم لعبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ ص ٦١.

(٢) الدرر السنية ١٦٢/٥.

(٣) فتح الباري ٤٩٧/٢.

حيث قال: "قد بيّن الزبير بن بكار[١] في الأنساب صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة، والوقت الذي وقع فيه ذلك، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال: "اللّهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجّه القوم بي إليك لمكاني من نبيّك، وهذا أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث"، قال: فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض، وعاش الناس. وفي هذا الحديث: أولاً: التوسّل بدعاء العباس ﷺ لا بذاته كما بينه الزبير بن بكار وغيره، وفي هذا ردٌّ واضح على الذين يزعمون أن توسل عمر كان بذات العباس لا بدعائه، إذ لو كان الأمر كذلك لما كان ثمة حاجة ليقوم العباس، فيدعو بعد عمر دعاءً جديداً"[٢].

٤/ تبصير الأمة بطلان استدلال بعض أهل البدع[٣] بآية النساء على جواز دعاء الرسول ﷺ عند قبره وطلب الاستغفار منه قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّـلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَـآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤]. فاستغفار الرسول ﷺ لهم وشفاعته كان في حياته، أما بعد موته فلا، لأن عمله انقطع، ولهذا لم يذهب الصحابة ﷺ إلى قبره ﷺ يدعونه.

ففي جهود الخلفاء الراشدين ﷺ تحذير الأمة من التوسّل غير المشروع كالتوسّل بجاه الرسول والصالحين، أو الطلب منهم الدعاء والشفاعة لأن الميّت لا يقدر على الدعاء كما كان يقدر عليه في حياته، فلا يُتوسل بالميّت ولو كان الرسول ﷺ ولا يُستشفع به ولا يستسقى به ولا يُدعى، ولو كان ذلك جائزاً لسبقنا إليه الخلفاء الراشدون وبقية الصحابة ﷺ إذ هم أعلم الأمة وأفقههم وأحرص الناس على الخير.

وليعلم المسلم أن التوسّل من أعظم المسائل، فهو باب في غاية الأهمية، فينبغي له معرفته وتفقّهه حتى لا يقع في بعض المخالفات الشرعية المنافية للتوحيد التي قد تفسد عليه

(١) هو: الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي، من أحفاد الزبير بن العوام، أبو عبد الله، ولد في المدينة، كان ثقة ثبتا عالما بالنسب، عارفا بأخبار المتقدمين، وولي قضاء مكة فتوفي فيها عام ٢٥٦هـ. انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨/٤٦٩.

(٢) التوسّل أنواعه وأحكامه ص ٤١.

(٣) انظر صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ الدحلان للعلامة محمد السهسواني ص ٧١-٩٢.

دينه أو ينخدع ببعض الشبه التي يروّجها أهل البدع ليبثّوا عقيدتهم الشركية ويجوّزوا أنواعاً من التوسّل ما لم يأذن بها الله في شرعه.

.

المبحث الرابع:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب الرقية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالرقية وما يتعلّق بها.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب الرقية.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المطلب الأول: التعريف بالرقية وما يتعلّق بها.

الرقية في اللغة:هي العوذة، الجمع رقى، يسميها العوام العزيمة(١).

حقيقة الرقية:هي القراءة على المريض، أو أدعية وألفاظ تقال أو تتلى قد يُنفث فيها، منها ما له أثر عضوي في البدن، ومنها ما له أثر في الأرواح، ومنها ما هو جائز مشروع، ومنها ما هو شرك ممنوع(٢).

أما الرقية الشرعية: هي ما يُقرأ على المريض من الآيات القرآنية أو الأدعية المشروعة أو غيرها من الأدعية المباحة(٣).

وقد ذكر العلماء أن الرقية الشرعية لها شروط وهي:

– أن تكون الرقية بكلام الله أو بأسمائه وصفاته أو بأدعية مشروعة أو مباحة(٤).

– وأن تكون باللسان العربي أو بما يُفهم ويُعرف معناها(٥).

– أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها. (فإن اعتقد أن الرقية تؤثر بنفسها كان ذلك شركاً أكبر).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط: أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بذات الله تعالى"(٦).

وقد تكاثرت الأدلة على مشروعية هذه الرقية منها:

(١) انظر لسان العرب لابن منظور ٢٠٩/٦.

(٢) انظر النهاية لابن الأثير ٦٨٢/١ والتمهيد لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ ص ١٠٧.

(٣) انظر المفيد في مهمات التوحيد لعبد القادر صوفي ص ١٩٥.

(٤) اشترط بعض العلماء ألا تكون الرقية إلا من القرآن والسنة، ففي هذا خلاف بين أهل العلم. انظر التمهيد للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ص ١٠٨.

(٥) وكذلك في هذا الشرط اختلف العلماء منهم من قال: يسوغ الرقية بغير العربية إن كانت بما يصح المعنى بلغة أخرى. انظر المصدر نفسه ص ١٠٨.

(٦) فتح الباري ١٩٥/١٠.

حديث عوف بن مالك الأشجعي قال: "كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله! كيف ترى في ذلك؟ فقال: "اعرضوا عليّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك"(١).

في هذا الحديث أقر النبيّ ﷺ رقى أصحابه الخالية من الشرك مما يدل على جوازها.

ومن الأحاديث كذلك التي فيها إقرار النبيّ ﷺ بالرقية حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: "انطلق نفر من أصحاب النبيّ ﷺ في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلُدغ(٢) سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله إني لأرقي ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جُعلاً، فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفِل عليه ويقرأ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشي وما به قلبة، قال فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقسموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبيّ ﷺ فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله ﷺ فذكروا له فقال: "وما يدريك أنها رقية؟ " ثم قال: "قد أصبتم! اقسموا واضربوا لي معكم سهماً فضحك رسول الله ﷺ"(٣).

والنبيّ ﷺ رقّى نفسه وغيره فعن عائشة رضي الله عنها: "أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوّذات، ومسح عنه بيده، فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه طفقتُ أنفث على نفسه بالمعوّذات التي كان ينفث، وأمسح بيد النبيّ ﷺ عنه"(٤).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب السلام باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك ١٧٢٧/٤ برقم ٢٢٠٠.

(٢) هو ضرب ذات الحمة من حية أو عقرب وغيرهما. انظر فتح الباري لابن حجر ٤٥٥/٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الإجارة باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب ٩٢/٣ برقم ٢٢٧٦.

(٤) رواه البخاري في كتاب المغازي باب مرض النبيّ ﷺ ووفاته ١١/٦ برقم ٤٤٣٩.

وعنها رضي الله عنها أن النبيّ ﷺ كان يُعوِّذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: "اللهم ربّ الناس أذهب البأس اشفه وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً"(١). وغير ذلك من الأدلة على مشروعية الرقية.

أما الرقية غير الشرعية (البدعية والشركية): هي الرقية التي تشتمل على الشرك كالاستعاذة والاستغاثة والقسم بغير الله أو فيها سحر أو شيء من أسماء الشياطين، أو كانت الرقية بعبارات غير واضحة ومعنى غير مفهوم، فلا يؤمن أن تتضمن شركاً، ويُلحق بهذا الرقية بعبارات محرَّمة كالشتم والسب، أو يعتقد الراقي أو المرقي أن الرقية تؤثر بنفسها. ويمكن أن يُضاف إلى الرقية غير الشرعية ما كانت على هيئة محرَّمة كأن يتقصد فعلها حال كونه جنبا أو في مقبرة أو كاشف عورته وغير ذلك(٢) .

---

(١) رواه البخاري كتاب الطب باب رقية النبيّ ﷺ ١٣٢/٧ برقم ٥٧٤٣.

(٢) انظر التمهيد للشيخ صالح آل الشيخ ص ١٠٩ والمفيد في مهمات التوحيد للشيخ د. عبد القادر صوفي ص ١٩٩.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب الرقية.

٩٠- عن عمرة بنت عبد الرحمن(١) أن أبا بكر الصديق ﷺ دخل على عائشة رضي الله عنها وهي تشتكي ويهودية ترقيها فقال أبو بكر: "ارقيها بكتاب الله"(٢).

ففي هذا الأثر دلالة على حرص خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ﷺ على أن تكون الرقية بكلام الله القرآن العظيم، الذي هو الشفاء التام من جميع الأمراض القلبية والبدنية، فأمر أبو بكر ﷺ أن تكون الرقية بكتاب الله، لا بما لا يفهم معناه حماية للتوحيد.

٩١- عن الشحام(٣) سمعه من الحسن قال: كان أبو الحسن يعني علي بن أبي طالب ﷺ يقول: "إن كثيرًا من هذه التمائم والرقى شرك بالله ﷻ فاجتنبوها"(٤).

ففي هذا الأثر العظيم نهي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ الرعية عن الرقية الشركية كالرقية المشتملة على الاستعاذة والاستغاثة بالجن أو الملائكة أو غيرهم من المخلوقات، فهذا الموقف يدل دلالة واضحة على تحذير علي بن أبي طالب ﷺ الناس من الرقى التي تخرج عن الضوابط الصحيحة والشروط الشرعية، فبادر علي بن أبي طالب ﷺ إلى هذا البيان حتى لا يشتبه الأمر على الجهلة فيقعون في المحظور، فهذا الموقف من أعظم الأعمال التي تُعد من حماية

---

(١) عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية تروي عن عائشة وكانت من أعلم الناس بحديثها، توفيت عام ٩٨هـ. انظر الثقات لابن حبان ٢٨٨/٥.

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ ٩٤٣/٢ وابن أبي شيبة في مصنفه ٤٠٨/٧ والبيهقي في معرفة السنن والآثار ١٢٣/١٤ قال مالك: "عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن أن أبا بكر الصديق. . . الأثر". قال النووي: "إسناده صحيح" المجموع ٦٥/٩. ويرى الشيخ الألباني عدم صحة هذا الأثر، انظر السلسلة الصحيحة ١١٦٨/٦.

(٣) عثمان الشحام العدوي من أهل البصرة كنيته أبو سلمة. انظر الثقات لابن حبان ١٩٧/٧.

(٤) رواه الخلال في السنة ١٤/٥ وابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ١٠٣٢/٢ قال: "حدثنا أبو شيبة عبد العزيز بن جعفر قال: حدثنا محمد بن إسماعيل قال: حدثنا وكيع قال: حدثنا عثمان الشحام، سمعه من الحسن قال: كان أبو الحسن يعني علي بن أبي طالب ﷺ يقول. . . الأثر".

التوحيد ومنافحته ونشر العقيدة الصحيحة. فالحاصل أن علي بن أبي طالب ﷺ أمر بالابتعاد عن الرقى الشركية لا عن جميع الرقى.

.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

لقد كان لجهود الخلفاء الراشدين ﷺ في باب الرقية آثار جليلة على الأمة، أعظمها ما يلي:

١/ بيان للأمة أن الرقى أقسام: منها ما هي جائزة وهي التي تكون وفقاً للشرع، ومنها ما هي بدعية محرّمة كالرقى الشركية ولهذا قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إن كثيراً من هذه التمائم والرقى شرك بالله عز وجل فاجتنبوها"(١).

وقد دلت النصوص الشرعية على هذا التقسيم كقول الرسول ﷺ: "اعرضوا عليّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك"(٢)، وقوله ﷺ: "إن الرقى والتمائم والتولة(٣) شرك"(٤).

فُيفهم من هذه النصوص المباركة أن الرقى أنواع قال الإمام السعدي رحمه الله: "وأما الرقى ففيها تفصيل: فإن كانت من القرآن أو السنة أو الكلام الحسن، فإنها مندوبة في حق الراقي لأنها من باب الإحسان، ولما فيها من النفع، وهي جائزة في حق المرقي إلا أنه لا ينبغي له أن يبتدئ بطلبها، فإن من كمال توكّل العبد وقوّة يقينه أن لا يسأل أحداً من الخلق لا رقية ولا غيرها، وإن كانت الرقية يدعى بها غير الله ويطلب الشفاء من غيره فهذا هو الشرك الأكبر لأنه دعاء واستغاثة بغير الله، فافهم هذا التفصيل، وإيّاك أن تحكم على الرقى بحكم واحد مع تفاوتها في أسبابها وغاياتها"(٥).

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤٢٤.

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٢٢.

(٣) التولة: ضرب من السحر، يحبب المرأة إلى زوجها. انظر معالم السنن للخطابي ٤/٢٢٦.

(٤) رواه أبو داود في سننه في كتاب الطب باب في تعليق التمائم ص ٦٩٧ برقم ٣٨٨٣. وصححه الشيخ الألباني.

(٥) القول السديد في مقاصد التوحيد ص ٣٧ باختصار.

ولهذا قال الإمام المجدّد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد: "باب ما جاء في الرقى والتمائم"(١) ولم يقل الشيخ رحمه الله: باب من الشرك الرقى والتمائم، فلم يجزم أن كل الرقى شرك، بل منها ما هي جائزة ومنها ما هي ممنوعة(٢).

وقد استدل الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله بأثر علي بن أبي طالب في تيسير العزيز الحميد على تقرير كلام الإمام الخطابي حيث قال رحمه الله: "وكان عليه السلام قد رقى ورُقي وأمر بها وأجازها، فإذا كانت بالقرآن أو بأسماء الله تعالى فهي مباحة أو مأمور بها، وإنما جاءت الكراهية والمنع فيما كان منها بغير لسان العرب، فإنه ربما كان كفراً أو قولاً يدخله الشرك، قال: ويحتمل أن يكون الذي يكره من ذلك ما كان على مذاهب الجاهلية التي يتعاطونها، وأنها تدفع عنهم الآفات ويعتقدون ذلك من قبل الجن ومعونتهم"(٣). ثم قال الشيخ سليمان رحمه الله: "قلت: ويدل على ذلك قول علي بن أبي طالب: إن كثيراً من هذه الرقى والتمائم شرك فاجتنبوه"(٤).

ولهذا ينبغي على المسلم أن يتنبه لهذا التقسيم وألا ينخدع بالمشعوذين والدجّالين الذين يدّعون أنهم على بصيرة بالرقى ولهم خبرة بها، وما هم إلا سحرة وأكلة أموال الناس بالباطل، فالرقية الشرعية هي التي تتوفر فيها الشروط المذكورة سابقاً.

٢/ بيان للأمة أن للرقية شروطاً، ومن ذلك أن تكون بكلام الله لا بعبارات غير واضحة ومعنى غير مفهوم كالرقى الشركية ولهذا قال أبو بكر ﷺ لليهودية: "ارقيها بكتاب الله"(٥).

وبناء على موقف أبي بكر الصديق ﷺ من اليهودية نشأ خلاف بين أهل العلم في جواز رقية أهل الكتاب المسلم:

---

(١) كتاب التوحيد (مجموع مؤلفات) ٢٩/١.

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان آل الشيخ ص ١٠٥ والتمهيد للشيخ صالح آل الشيخ ص ١٠٧.

(٣) انظر معالم السنن ٢٢٦/٤.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ١٠٨.

(٥) تقدم تخريجه ص ٤٢٤.

القول الأول: أنه يجوز لأهل الكتاب رقية المسلم، وبه قال الإمام مالك في رواية، والشافعي إذا رقوا بكتاب الله، وبما يعرف من ذكر الله، وسلمت رقاهم من الشرك(١) ودليلهم حديث أبي بكر السابق، قال النووي: "واختلفوا في رقية أهل الكتاب، فجوّزها أبو بكر الصديق ﷺ ومن جوّزها قال: الظاهر أنهم لم يبدّلوا الرقى، فإنهم لهم غرض في ذلك بخلاف غيرها مما بدّلوه"(٢).

وقال الباجي(٣) في التعليق على الأثر: "ظاهره أنه أراد التوراة، وأن اليهودية في الغالب لا تقرأ القرآن، ويحتمل -والله أعلم- أن يريد كون الرقية بذكر الله عزّ اسمُه، أو رقية موافقة لما في كتاب الله. ويعلم بصحة ذلك بأن تظهر رقيتُها، فإن كانت موافقة لكتاب الله تعالى أمر به"(٤).

وقال الزرقاني(٥) في شرح الموطأ: "قال أبو بكر ﷺ: "ارقيها بكتاب الله" أي: القرآن إن رجي إسلامها أو التوراة إن كانت معربة بالعربي أو أمن تغييرهم لها فتجوز الرقية به، وبأسماء الله وصفاته وباللسان العربي وبما يعرف معناه من غيره بشرط اعتقاد أن الرقية لا تؤثر بنفسها بل بتقدير الله"(٦).

القول الثاني: القول بالكراهة، وهو قول الإمام مالك في رواية أخرى عنه، رُوي عنه أنه قال: "لا أحب رقى أهل الكتاب وكرهه وذلك والله أعلم إذا لم تكن رقيتهم موافقة لما في

---

(١) انظر الأم للشافعي ٢٢٨/٧، والمجموع للنووي ٦٥/٩ وفتح الباري لابن حجر ١٩٧/١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ٣٩٢/١٤ باختصار.

(٣) علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب الشيخ الإمام علاء الدين الباجي، إمام الأصوليين في زمانه وفارس ميدانه وله الباع الواسع في المناظرة والذيل الشاسع في المشاجرة وكان أسداً لا يغالب وبحرا تتدفق أمواجه بالعجائب ومحققا يلوح به الحق، توفي عام ٧١٤هـ. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣٤٠/١٠.

(٤) المنتقى ٣٦١/٤.

(٥) عبد الباقي بن يوسف بن أحمد شهاب الدين بن محمد بن علوان الزرقاني المالكي العلامة الإمام الحجة شرف العلماء ومرجع المالكية وكان عالما نبيلا فقيها متبحرا لطيف العبارة ولد بمصر، توفي عام ١٠٩٩هـ. انظر خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر لمحمد أمين الحموي ٢٨٧/٢.

(٦) شرح الموطأ ٤١٧/٤.

كتاب الله تعالى وإنما كانت من جنس السحر وما فيه كفر مناف للشرع"(١). وأيضاً هو قول الربيع بن سليمان(٢) صاحب الإمام الشافعي(٣).

وقال المازري: "أمّا رقية أهل الكتاب فاختلف فيها، وأخذ مالك بكراهيتها، ولعل مالكاً رأى أن التبديل لما دخلها خيف أن تكون الرقية بما بدّل منه مما ليس بكلام الله"(٤).

وبهذا تتبيّن جهود الخلفاء الراشدين ﷺ لجناب التوحيد في باب الرقى وآثارها على الأمة، فالواجب على المسلم الالتزام بالرقية الشرعية والبعد عن الرقية البدعية والشركية.

---

(١) ذكره الباجي في المنتقى ٧/٢٦١.

(٢) الإمام، المحدث، الفقيه الكبير، بقية الأعلام الربّيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل أبو محمد المرادي مولاهم، المصري، المؤذن، صاحب الإمام الشافعي، وناقل علمه، وشيخ المؤذنين بجامع الفسطاط، توفي عام ٢٧٠هـ. انظر السير للذهبي ١٢/٥٨٧.

(٣) التمهيد لابن عبد البر ١٥/٢٥٤ وانظر المنتقى للباجي ٤/٣٦١.

(٤) المعلم بفوائد مسلم ٣/١٦٢.

المبحث الخامس:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب الإخلاص بالتحذير من الرياء.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالإخلاص وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب الإخلاص بالتحذير من الرياء.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المطلب الأول: التعريف بالإخلاص وما يتعلّق به.

الإخلاص لغة: قال ابن فارس: "الخاء واللام والصاد أصل واحد مطرد، وهو تنقية الشيء وتهذيبه. يقولون: خلصته من كذا وخلص هو. وخلاصة السمن: ما ألقي فيه من تمر أو سويق ليخلص به"(١).

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤]. فمعنى خالصة في هذه الآية الكريمة: الخلوص، أنه لا يشاركهم فيها غيرهم(٢)، قال الإمام الطبري رحمه الله: "أما تأويل قوله: "خالصة" فإنه يعني به: صافية كما يقال: خلص لي فلان بمعنى صار لي وحدي وصفا لي. يقال منه: خلص لي هذا الشيء فهو يخلص خلوصاً وخالصة، والخالصة مصدر مثل العافية. ويقال للرجل: هذا خُلْصاني، يعني خالصتي من دون أصحابي"(٣).

الإخلاص شرعاً:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "الإخلاص هو تجريد القصد طاعة للمعبود"(٤).

وقال الإمام السعدي رحمه الله: "وحقيقة الإخلاص: أن يقصد العامل بعمله وجه الله وحده وثوابه، وضده: الرياء والعمل للأغراض النفسية"(٥).

وقال العلامة العثيمين رحمه الله: "الإخلاص هو أن يقصد المرء بعبادته وجه الله ﷻ والوصول إلى دار كرامته بحيث لا يعبد معه غيره لا ملكاً مقرّباً ولا نبيّاً مرسلاً"(٦).

والمتأمل في أقوال العلماء يجد أن الإخلاص له إطلاقان: معنى عام وخاص:

أما المعنى العام: هو الذي يرادف التوحيد، فمعناه متعلّق بأصل الإيمان، فيقابله جميع أنواع الشرك في الربوبيّة والألوهية والأسماء والصفات.

---

(١) مقاييس اللغة ٢/٢٠٨.

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني ١/١٤٢.

(٣) جامع البيان ٢/٣٦٥.

(٤) إعلام الموقعين ٣/٤٣٦.

(٥) مجموع المؤلفات ٥/٦١٥.

(٦) مجموع الفتاوى ٦/٣١.

أما المعنى الخاص: "هو المتعلّق بالإرادة والنية وبعض أفراد العبادة والطاعة، ويكون بهذا الاعتبار والإطلاق جزء من التوحيد، ويصير المقصود به ما يقابل الرياء والسمعة والعجب وإرادة الدنيا، فيكون مقابلاً لشرك الإرادة والنية والقصد بنوعيه الأكبر والأصغر دون غيره من أنواع الشرك في العبادة"(١).

ولهذا قال العيني(٢) رحمه الله تقريراً لهذين الإطلاقين: "الإخلاص في الإيمان ترك الشرك وفي الطاعة ترك الرياء"(٣).

وقال السمعاني(٤) رحمه الله: "الإخلاص هو التوحيد، ويقال: الإخلاص هو تصفية النية في طاعة الله تعالى"(٥). ففي هذين التعريفين الجمع بين معنيي العام والخاص.

والأدلة على وجوب الإخلاص لله في الكتاب والسنة كثيرة جداً، منها:

قول الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣] قال الإمام الشوكاني رحمه الله في تفسيره: "والإخلاص: أن يقصد العبد بعمله وجه الله سبحانه، والدين: العبادة والطاعة، ورأسها توحيد الله، وأنه لا شريك له"(٦).

وقال الإمام الشنقيطي رحمه الله في هذه الآية: "أي: التوحيد الصافي من شوائب الشرك، هو المستحق لذلك وحده، وهو الذي أمر به"(٧).

---

(١) رعاية العهود والوفاء بالعقود لما للا إله إلا الله من الشروط (شرح شروط لا إله إلا الله) لخالد الغامدي ص ٢٠١.

(٢) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين العنتابي العيني الحنفي، العلامة قاضي القضاة، وكان إماما عالما علامة عارفا بالعربية والتصريف وغيرهما، حافظا للغة، توفي ٨٥٥هـ. انظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ٢/٢٧٥.

(٣) عمدة القارئ ٣/٢١٠.

(٤) أبو المظفر السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار المروزي، الإمام، العلامة، مفتي خراسان، شيخ الشافعية من أهل مرو ٤٨٩هـ. انظر السير للذهبي ١٩/١١٤.

(٥) تفسير القرآن الكريم ٤/٤٥٧.

(٦) فتح القدير ٦/٢٦٧.

(٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٦/٣٥٢.

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر: ١١].

قال القرطبي رحمه الله: "وفي هذا دليل على وجوب النية في العبادات، فإن الإخلاص من عمل القلب وهو الذي يراد به وجه الله تعالى لا غيره"(١).

ومن الأدلة على الإخلاص في السنة قول الرسول ﷺ: "أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه، أو نفسه"(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فجعل أسعد الناس بشفاعته ﷺ أكملهم إخلاصاً، وقال في الحديث الصحيح: "فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة"(٣). ولم يقل كان أسعد الناس بشفاعتي، فعلم أن ما يحصل للعبد بالتوحيد والإخلاص من شفاعة الرسول وغيرها لا يحصل بغيره من الأعمال"(٤).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "تأمّل كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته: تجريد التوحيد عكس ما عند المشركين: أن الشفاعة تنال باتخاذهم أولياءهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم من دون الله"(٥).

ومن السنة أيضاً قول الرسول ﷺ: "ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل لله، ومناصحة أولي الأمر، ولزوم جماعة المسلمين"(٦).

فالإخلاص من واجبات الدين بل هو أعظمها على الإطلاق، إذ هو حقيقة الدين ومداره، هو الأساس المتين الذي تبنى عليه جميع الأقوال والأعمال، شأن الإخلاص عظيم ومكانته سامية، من أجله خُلق الخلق وأُرسلت الرسل، فالعبادة بدون إخلاص وتوحيد

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤١٢/٢٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب العلم باب الحرص على الحديث ٣١/١ برقم ٩٩.

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ٢٨٨/١ برقم ٣٨٤.

(٤) مجموع الفتاوى ٤٤١/٢٧ باختصار.

(٥) مدارج السالكين ٢٥٦/١ بتصرف يسير.

(٦) رواه أحمد في مسنده ٣١٨/٢٧. قال محقق المسند شعيب الأرنؤوط: "صحيح لغيره".

كالصلاة بلا طهارة أو الجسد بلا روح، فنجاح العبد ونجاته في تحقيق الإخلاص، وخسرانه وهلاكه في تركه.

فالمقصود أنه يجب أن تكون طاعة العبد خالصة لله وحده، يبتغي وجه الله، لا يريد بها رياء ولا سمعة، ولا يقصد من وراء العبادة تعظيم الناس له ولا توقيراً، فالمخلص لله يعمل عملاً مما يتقرب به إلى الله لا لأجل أن يُثنى عليه ويُمدح، وإنما يريد به ثواب الله.

فضد الإخلاص في هذا المقام هو الرياء، والرياء مأخوذٌ من الرؤية(١)، وهو أن يزيِّن العبد عمله من صلاة أو حج أو جهاد أو صدقة أو غير ذلك ويُحسِّنه من أجل أن يراه النّاس ويمدحوه ويُثنوا عليه، أو لغير ذلك من المقاصد، فهذا يسمّى رياءً، لأنه يقصد رؤية النّاس له(٢).

وليعلم المسلم أن الرياء على على درجتين:

الأولى: أن يكون محضاً، قد تمكّن من قلب صاحبه، فهذا كفر مخرج من الملة، كالرياء في أصل الإسلام، بأن يظهر الإسلام ويبطن الكفر لأجل رؤية الخلق، فهذا هو رياء المنافقين، وهو مناف للتوحيد من أصله، قال الله تعالى في وصف المنافقين: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

والثانية: أن يكون الرياء شركاً أصغر، لا يخرج صاحبه من الملة ولكن يبقى أنه كبيرة من الكبائر كرياء الرجل المسلم الذي يرائي في عبادته، فعمله لله ولكن يشاركه الرياء، فهذا شرك خفي مناف لكمال التوحيد(٣).

---

(١) انظر الصحاح للجوهري ٢٣٣/١.

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر ٣٣٦/١١ وإعانة المستفيد للشيخ الفوزان ٨٩/٢.

(٣) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٤٧.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب الإخلاص والتحذير من الرياء.

٩٢- عن عاصم بن عدي أن أبا بكر حمد الله وأثنى عليه ثم قال: "إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه، فأريدوا الله بأعمالكم"(١).

٩٣- عن نعيم بن نمحة أن أبا بكر قال في خطبة: "لا خير في قول لا يراد به وجه الله، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم"(٢).

٩٤- عن موسى بن عقبة(٣) أن أبا بكر قال في خطبة: "واعلموا أنكم ما أخلصتم لله من أعمالكم فربكم أطعتم وحظكم حفظتم"(٤).

٩٥- عن أبي فراس(٥) عن عمر ﵁ أنه قال: "يا أيها الناس، ألا إنا إنما كنا نعرفكم إذ بين ظهْرانينا النبيّ ﷺ، وإذ ينزل الوحي، وإذْ ينبئنا الله من أخباركم، ألا وإن النبيّ ﷺقد انطلق وقد انقطع الوحي، وإنما نعرفكم بما نقول لكم، من أظهر منكم خيراً ظننا به خيراً وأحببناه عليه، ومن أظهر منكم لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه، سرائركم بينكم وبين

(١) تقدم تخريجه ص ٤١٠.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١/١٥ قال: "حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي، حدثنا أبو المغيرة، حدثنا حريز بن عثمان، عن نعيم بن نمحة. . . الأثر". قال ابن كثير: "إسناده جيد ورجاله كلهم ثقات" انظر تفسير القرآن الكريم ٤/٤٣٧.

(٣) الإمام، الثقة الكبير موسى بن عقبة بن أبي عياش القرشي مولاهم أبو محمد الأسدي، وكان بصيرا بالمغازي النبوية، ألفها في مجلد، فكان أول من صنف في ذلك، توفي عام ١٤١هـ. انظر السير للذهبي ٦/١١٧.

(٤) رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٣٠/٣٣٥ قال: "أخبرنا أبو سهل بن سعدوية أنبأ أبو الفضل الرازي أنا جعفر بن عبد الله نا محمد بن هارون نا الربّيع بن سليمان نا ابن وهب أخبرني ابن أبي الزناد عن موسى بن عقبة. . . الاثر".

(٥) الربّيع بن زياد أبو فراس النهدي، تابعي كبير، كان عاملا لمعاوية على خراسان. انظر الإصابة ١٢/٥٢٨.

ربكم، ألا إنه قد أتى عليّ حين وأنا أحسب أن من قرأ القرآن يريد الله وما عنده، فقد خُيِّل إليّ بأخرة، ألا إن رجالاً قد قرؤوه يريدون به ما عند الناس، فأريدوا الله بقراءتكم، وأريدوه بأعمالكم. "(١)

٩٦- عن عبد الله بن عكيم(٢) قال: "كان عمر ﷺ إذا كانت الليلة التي يشكّ فيها من رمضان قام حين يصلى المغرب، ثم قال: إن هذا شهر كتب الله عليكم صيامه، ولم يكتب عليكم قيامه، فمن استطاع أن يقوم فليقم فإنها من نوافل الخير التي أمر الله ﷻ بها، ومن لم يستطع فلينم على فراشه، ولا يقل قائل: إن صام فلان صمت، وإن قام فلان قمت، فمن صام أو قام فليجعل ذلك لله ﷻ"(٣).

٩٧- وعن عمر بن الخطاب أنه قال: "أفضل الأعمال أداء ما افترض الله ﷻ، والورع عما نهى الله تعالى عنه، وصدقُ النية فيما عند الله ﷻ"(٤).

٩٨- عن يحيي بن سعيد(١) عن عمر بن الخطاب كان يقول: "كرم المرء تقواه، ودينه حسَبه، ومروءته خلقه، والجرأة والجبنُ غرائز يضعها الله حيث شاء، فالجبان يفرّ عن

(١) رواه أبو يعلى في مسنده ١٧٤/١ وأحمد في مسنده ٣٨٤/١ والبيهقي في السنن ٤٢/٩. قال أحمد: "حدثنا إسماعيل، أخبرنا الجريري سعيد، عن أبي نضرة، عن أبي فراس عن عمر. . . الأثر". قال الشيخ أحمد شاكر: "إسناده حسن" انظر تحقيقه للمسند٢٨٦/١. وأصله مختصر في صحيح البخاري في كتاب الشهادات باب شهداء العدول ١٦٩/٣ برقم ٢٦٤١.

(٢) عبد الله بن عكيم الجهنى أبو معبد، أدرك زمان النبيّ ﷺ، كان ثقة، سكن الكوفة وقدم المدائن في حياة حذيفة، عام ٨٧هـ. انظر السير للذهبي ٥١٠/٣. .

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف ٢٦٥/٤ والبيهقي في السنن ٢٠٨/٤ قال: "أخبرنا أبو محمد الحسن بن على بن المؤمل الماسرجسي حدثنا أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصري ح وأخبرنا أبو زكريا بن أبي إسحاق المزكي حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب قالا: حدثنا محمد بن عبد الوهاب أخبرنا جعفر بن عون أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي عن هلال عن عبد الله بن عكيم قال: كان عمر. . . الأثر". قال ابن كثير في مسند الفاروق: "إسناده جيد" ٢٦٧/١.

(٤) ذكره ابن رجب في العلوم والحكم ص ٣٩.

.

أبيه وأمه، والجَرِيء يقاتل عما لا يبالي ولا يؤوب إلى رحلِهِ، والقتل حتفٌ من الحتُوفِ، والشهيد من احتسب نفسه على الله"(٢). أي: رضي بالقتل في طاعة الله رجاء ثوابه تعالى، فهو يقاتل لوجه الله(٣).

٩٩- عن عامر الشعبي(٤) قال: كتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: "من خلصت نيّته كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزيّن للناس بغير ما يعلم الله من قلبه شانه الله عز وجل فما ظنّك في ثواب الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام"(٥).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعليقاً على هذا الأثر: "هذا شقيق كلام النبوّة وهو جدير بأن يخرج من مشكّاة المحدَّث الملهم، وهاتان الكلمتان من كنوز العلم ومن أحسن الإنفاق منهما نفع غيره، وانتفع غاية الانتفاع، فأما الكلمة الأولى فهي منبع الخير وأصله، والثانية أصل الشر وفصله، فإن العبد إذا خلصت نيّته لله تعالى وكان قصده وهمّه عمله لوجهه سبحانه كان الله معه، فإنه سبحانه وتعالى ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، ورأس التقوى والإحسان خلوص النية لله في إقامة الحق، والله سبحانه لا غالب له، فمن كان معه فمن ذا الذي يغلبه أو يناله بسوء؟ فإن كان الله مع العبد فمن يخاف؟ وأما قوله: "ومن تزيّن بما ليس فيه شانه الله"، لما كان المتزين بما ليس فيه ضد المخلص، فإنه يظهر للناس أمراً وهو في الباطن بخلافه عامله الله بنقيض قصده، فإن المعاقبة بنقيض القصد،

---

(١) يحي بن سعيد بن قيس بن فهد الأنصاري، تابعي، الإمام، العلامة، المجود، عالم المدينة في زمانه، وشيخ عالم المدينة، وتلميذ الفقهاء السبعة، أبو سعيد الأنصاري، الخزرجي، النجاري، المدني، القاضي، مولده: قبل السبعين، زمن ابن الزبير، توفي ١١٥هـ. انظر السير للذهبي ٤٦٨/٥.

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ ٤٦٣/٢.

(٣) انظر شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ٥٢/٣.

(٤) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار أبو عمرو الشعبي، علامة من اليمن، مولده: في إمرة عمر بن الخطاب سمع من عدة من كبراء الصحابة، توفي ١٠٥هـ. انظر السير للذهبي ٢٩٧/٤.

(٥) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥٠/١ قال: "حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا أبو يحيى الرازي حدثنا هناد بن السري حدثنا محمد بن فضيل عن السري بن إسماعيل عن عامر الشعبي. . . الأثر". وفي إسناده السري بن إسماعيل الهمداني ابن عم الشعبي ولي القضاء، هو متروك الحديث. انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ٤٥٩/٣.

ثابتة شرعاً وقدراً، ولما كان المخلص يعجَّل له من ثواب إخلاصه الحلاوة والمحبة والمهابة في قلوب الناس عجَّل للمتزين بما ليس فيه من عقوبته أن شانه الله بين الناس، لأنه شان باطنه عند الله، وهذا موجَب أسماء الربّ الحسنى وصفاته العلى وحكمته في قضائه وشرعه. هذا، ولما كان من تزيّن للناس بما ليس فيه من الخشوع والدين والتنسُّك والعلم وغير ذلك قد نصب نفسه للوازم هذه الأشياء ومقتضياتها فلا بد أن تُطلب منه، فإن لم توجد عنده افتُضِح فيشينه ذلك من حيث ظن أنه يزيّنه، وأيضاً فإنه أخفى عن الناس ما أظهر لله خلافه، فأظهر الله من عيوبه للناس ما أخفاه عنهم، جزاء له من جنس عمله، وكان بعض الصحابة يقول: أعوذ بالله من خشوع النفاق، قالوا: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعاً والقلب غير خاشع، وأساس النفاق وأصله هو التزين للناس بما ليس في الباطن من الإيمان، فعلم أن هاتين الكلمتين من كلام أمير المؤمنين ﷺ مشتقة من كلام النبوّة، وهما من أنفع الكلام وأشفاه للسقام"(١).

١٠٠- وكان من دعاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: "اللّهم اجعل عملي كلَّه صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً"(٢).

١٠١- عن عيسى بن دآب أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ قال: "فمن أخلص لله عمله في أيام مهله قبل حضور أجله فقد أحسن عمله ونال أمله، ومن قصر عن ذلك فقد خسر عمله وخاب أمله، وضره أمله"(٣).

١٠٢- عن محمد بن علي قال: قال علي بن أبي طالب ﷺ: "من كان ظاهره أرجح من باطنه خف ميزانه يوم القيامة، ومن كان باطنه أرجح من ظاهره ثقل ميزانه يوم القيامة"(٤).

---

(١) إعلام الموقعين ٤٣٠/٣ باختصار.

(٢) رواه أحمد في الزهد ص ١١٨ قال: "حدثنا عبد الصمد حدثنا أبو الأشهب عن الحسن أن عمر...الأثر". وذكره شيخ الإسلام في العبودية ص ٥٦.

(٣) رواه ابن كثير في البداية والنهاية ٣٤١/٧.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في الإخلاص والنية ص ٥٢ قال: "حدثنا أبو محمد القاسم بن هاشم السمسار، حدثنا الحسن بن قتيبة، حدثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن علي قال: قال علي. . . الأثر".

١٠٣- عن عبد الكريم الجزري[١] عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: "لا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل إلا بقول، ولا قول وعمل إلا بنية، ولا نية إلا بموافقة السنة"[٢].

ففي هذا الأثر تذكير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ الناس بأهمية الإخلاص في العبادة، فالأعمال التي تنفع صاحبها هي التي يراد بها وجه الله وثوابه.

١٠٤- عن عطاء بن السائب[٣] قال: بلغني أن علي بن أبي طالب ﷺ قال: "العمل الصالح: الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلا لله"[٤].

فكل هذه الآثار العظيمة أدلة قاطعة على أن الخلفاء الراشدين ﷺ اهتمّوا بالتوحيد وتحقيقه، فكانوا يأمرون الناس بالإخلاص لله في الأعمال، وأن تُصفى العبادات من جميع شوائب الشرك بحيث لا يكون فيها رياء ولا سمعة وغير ذلك مما يقدح في الإخلاص والتوحيد وينقصه امتثالاً لأمر الله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

فبهذه الأعمال الجليلة علّموا الناس قطب الدين وحقيقة العبودية.

١٠٥- عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر ﷺ: "لا تتعلّم العلم لثلاث ولا يترك لثلاث، لا يتعلم ليمارى به، ولا ليباهى به، ولا ليراءى به، ولا يترك حياء من طلبه ولا زهادة فيه، ولا رضا بالجهل منه[٥].

---

(١) عبد الكريم بن مالك الإمام الحافظ، عالم الجزيرة، أبو سعيد الجزري، الحراني، مولى بني أمية، رأى أنس بن مالك توفي عام ١٢٧هـ. انظر السير للذهبي ٦/٨٠.

(٢) رواه الآجري في الشريعة ٢/٦٣٨ قال: "حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن أبي حسان الأنماطي قال: حدثنا هشام بن عمار الدمشقي قال: حدثنا شهاب بن خراش قال: حدثني عبد الكريم الجزري، عن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالا:. . . الأثر".

(٣) عطاء بن السائب بن زيد أبو يزيد الثقفي ويقال: ابن السائب بن مالك الكوفي، توفي عام ١٣٦هـ. انظر التاريخ الكبير للبخاري ٦/٤٦٥.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في الإخلاص والنية ص ٣٥ قال: "حدثني سفيان بن وكيع حدثنا ابن عيينة، عن عطاء بن السائب، قال: بلغني أن علي بن أبي طالب. . . الأثر".

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت ص ١٠١. قال: "حدّثني أبو سلمة المخزومي يحي بن المغيرة، حدّثني أخي محمّد بن المغيرة عن عبد الله بن الحارث الجمحي عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر. . . الأثر".

فهذا الأثر فيه التحذير من تعلّم العلم ليُمارى به ويُباهى به صيانة للتوحيد. وهذا النهي له أصل في السنّة قال الرسول ﷺ: "من تعلّم العلم ليباهي به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو ليصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار"(١).

قوله ﷺ: "ليباهي به" أي يفاخر، وقوله ﷺ: "ليماري به السفهاء": أي: يجادل به ضعاف العقول، وقوله: "ليصرف وجوه الناس إليه" أي: ينوي به تحصيل المال والجاه وصرف وجوه الناس العوام إليه وجعلهم كالخدم له أو جعلهم ناظرين إذا تكلّم متعجبين من كلامه إذا تكلّم مجتمعين حوله إذا جلس(٢).

فهذا وعيد الشديد لمن طلب العلم بالنيّة الفاسدة، فعلى الطالب تخليص القصد في طلب العلم، فلا يريد بعمله هذا إلا وجه الله وثوابه، ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره.

١٠٦- عن يحيى بن جعدة(٣) عن علي رضي الله عنه أنه قال: "يا حملة العلم، اعملوا به، فإنما العالم من عمل بما علم، ووافق عمله علمه، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يجلسون حلقًا، فيباهي بعضهم بعضًا، حتى إن أحدهم ليغضب على جليسه حين يجلس على غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عز وجل"(٤).

قال عبد السلام بن محسن آل عيسى: "حسن" انظر دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته ٨٩٤/٢.

(١) رواه ابن ماجه في سننه في أول الكتاب باب الانتفاع بالعلم والعمل به ص ٦٣ برقم ٢٦٠. وحسنه الشيخ الألباني.

(٢) انظر حاشية السندي على سنن ابن ماجة ١١١/١.

(٣) يحيى بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو المخزومي القرشي. انظر الثقات لابن حبان. ٥٢٠/٥.

(٤) أخرجه الدارمي في السنن ١١٨/١ والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٨٩/١ قال الدارمي: "أخبرنا الحسن بن بشر قال: حدثني أبي عن سفيان عن ثوير عن يحيى بن جعدة عن علي... الأثر".

١٠٧- عن عمر بن الخطاب ﷺ أنّه رأى رجلاً طأطأ رقبته في الصّلاة، فقال: "يا صاحب الرّقبة ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرّقاب إنّما الخشوع في القلوب"[١].

١٠٨- وقال علي ﷺ: "للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثنى عليه، وينقص إذا ذم به"[٢].

١٠٩- عن عمر ﷺ أنه قال: لقد خشينا أن يدخلنا خوف الرياء في تسعة أعشار الرياء فسّره أبو طالب قال: يعني بذلك أنه ترك كثيراً من الأعمال خشية دخول الرياء، وذلك دخولٌ في الرياء بترك الأعمال من أجل الرياء[٣].

١١٠- عن محيريز[٤] أن عمر بن الخطاب دعي إلى وليمة، فلما أكل وخرج قال: "وددت أني لم أحضر هذا الطعام. قيل له: لم يا أمير المؤمنين؟ قال: "إني أظن صاحبكم لم يعمله إلا رياء"[٥].

١١١- عن أمير المؤمنين علي ﷺ أنه قال: "لا تعمل شيئاً من الخير رياءً، ولا تتركه حياءً"[٦].

ففي هذا الأثر النهي أن يُعمل عمل العبادة كالصلاة والحج والجهاد وغير ذلك رياءً، يُظهر العبادة بقصد رؤية الناس، وفيه النهي عن ترك العبادة حياء أو لأجل الناس أو لأسباب أخرى، قال الفضيل بن عياض رحمه الله: "ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما"[٧].

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٣٨٩/١.

(٢) ذكره الذهبي في الكبائر ص ٢٤٤.

(٣) إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء الدهلوي رحمه الله ١٠١/٤.

(٤) عبد الله بن محيريز بن جنادة بن وهب الجمحي القرشي الإمام، الفقيه، القدوة، الربّاني، تابعي مشهور، وكان من العلماء العاملين، مات في خلافة عمر بن عبد العزيز. انظر السير للذهبي ٤٩٤/٤.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في الإخلاص والنية ص ٧١ قال: "حدثنا عبد الرحمن بن واقد قال: حدثنا ضمرة عن رجاء بن أبي سليمة عن عبد الله بن أبي عن ابن محيريز أن عمر. . . الأثر.

(٦) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ١٧٢.

(٧) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٩٥/٨.

قال النووي تعليقاً على قول الفضيل بن عياض: "ومعنى كلامه أن من عزم على عبادة وتركها مخافة أن يراه الناس، فهو مراء، لأنه ترك العمل لأجل الناس، أما لو تركها ليصليها في الخلوة فهذا مستحب، إلا أن تكون فريضة، أو زكاة واجبة، أو يكون عالماً يقتدى به، فالجهر بالعبادة أفضل"(١).

وقالت اللجنة الدائمة: "إن ترك العمل من أجل الناس رياء فليس على إطلاقه، بل فيه تفصيل، والمعول في ذلك على النيّة، لقول النبيّ ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"(٢) مع العناية بتحري موافقة الشريعة في جميع الأعمال، لقوله ﷺ: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"(٣)، فإذا وقع للإنسان حالة ترك فيها العمل الذي لا يجب عليه، لئلا يظن به ما يضره فليس هذا الرياء، بل هو من السياسة الشرعية، وهكذا لو ترك بعض النوافل عند بعض الناس خشية أن يمدحوه بما يضره أو يخشى الفتنة به، أما الواجب فليس له أن يتركه إلا لعذر شرعي"(٤).

فكل هذه الآثار تدل دلالة واضحة على تحذير الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم من الرياء حماية للتوحيد، لأن مراءاة الناس والعمل لأجل مدحهم وثنائهم من الأمور التي تنافي الإخلاص، مع العلم أن يسير الرياء شرك أصغر وكبيرة من الكبائر التي تبطل العمل قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "أي: لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى، كما تبطل صدقة من راءى بها الناس، فأظهر لهم أنه يريد وجه الله وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته

(١) شرح الأربعين النووية ص ١٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ٦/١ برقم ١.

(٣) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ١٣٤٣/٣، رقم: ١٧١٨.

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة ٧٦٨/١.

بالصفات الجميلة، ليشكر بين الناس، أو يقال: إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه"(١).

وقال الإمام السعدي رحمه الله في أثر الرياء على العمل: "واعلم أن الرياء فيه تفصيل: فإن كان الحامل للعبد على العمل قصد مراءاة الناس واستمر على هذا القصد الفاسد، فعمله حابط، وهو مشرك أصغر، ويخشى أن يتذرع به إلى الشرك الأكبر. وإن كان الحامل على عمل إرادة وجه الله مع إرادة مراءاة الناس، ولم يقلع عن الرياء بعمله، فظاهر النصوص أيضاً بطلان هذا العمل. وإن كان الحامل للعبد على العمل وجه الله وحده، ولكن عرض له الرياء في أثناء عمله، فإن دفعه وخلص إخلاصه لله لم يضره، وإن ساكنه واطمأن إليه نقص العمل، وحصل لصاحبه من ضعف الإيمان والإخلاص بحسب ما قام في قلبه من الرياء، وتقاوم العمل لله وما خالطه من شائبة الرياء. والرياء آفة عظيمة، ويحتاج إلى علاج شديد، وتمرين النفس على الإخلاص، ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء والأغراض الضارة، والاستعانة بالله على دفعها لعل الله يخلص إيمان العبد ويحقق توحيده"(٢).

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤١٥/١.

(٢) القول السديد ص ١٠٥.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

إن جهود الخلفاء الراشدين ﷿ في حماية التوحيد في باب الإخلاص تُعد من أعظم الأعمال التي قاموا بها، لأن الإخلاص هو التوحيد الذي أمر الله عباده على لسان رسله عليهم السلام قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]. وقد كان لهذه الجهود الجليلة ثمرات طيبة وآثار عظيمة على أمة محمد ﷺ، أنبلها ما يلي:

١/ بيان الخلفاء الراشدين ﷿ للأمة وجوب الإخلاص في العبادات، وحثّها على تصفية النيّة في الأقوال والإرادات والأفعال، فعلّموا المسلمين أصل الدين ووضّحوا لهم منزلته العالية من الإسلام وأبانوا لهم أهمية أداء العمل ابتغاء وجه الله وثوابه، فبهذه الجهود المباركة أرشد الخلفاء الراشدون الأمة الإسلامية إلى تحقيق الأمر الذي من أجله خلق الله الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب: عبادة الله وحده لا شريك له، فهذا هو حقيقة الدين وغايته، فالدعاء والصلاة والصيام والحج والذبح وسائر العبادات لله وحده لا شريك له، يجب الإخلاص فيها.

٢/ تبصير الأمة بخطورة الرياء وبيان آثاره السيئة على المسلم، وهو من أعظم الأمور التي تتنافى بالإخلاص وتضاد التوحيد، ولهذا حذّروا العابدين أن يعملوا لحظ النفس أو لحب المدح والثناء أو لطلب المنزلة والرفعة والجاه عند الخلق.

وليعلم المسلم أن الشرك الخفي أي: الرياء كان أخوف ما يخاف رسول الله ﷺ على الصحابة مما يدل على خطورته فعن أبي سعيد ﵁ قال: "خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال، فقال: "ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجّال؟ " قال: قلنا: بلى، فقال: "الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يصلي، فيزيّن صلاته، لما يرى من نظر رجل"[(١)].

(١) رواه ابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب الرياء والسمعة ص ٦٩٨ برقم ٤٢٠٣. وحسنه الشيخ الألباني.

.

فظاهر الحديث أن فتنة الرياء أخوف من فتنة المسيح الدجّال، ثم يقال أن الخطاب هنا متوجّه إلى الصحابة الكرام الذين كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقومها هدياً وأكثرها تقاة، فإذا خاف النبيّ ﷺ على مثل هذا الجيل المبارك من الرياء فكيف بمن دونهم؟! وهذا يدل على وجوب الخوف من الشرك، بل كان أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام يخاف على نفسه من الشرك قال الله تعالى في ذكر دعاء إبراهيم: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله: "فإذا كان الشرك ينافي التوحيد ويوجب دخول النار والخلود فيها وحرمان الجنّة إذا كان أكبر، وأنه لا تتحقق السعادة إلا بالسلامة منه، كان حقاً على العبد أن يخاف منه أعظم خوف وأن يسعى في الفرار منه ومن طرقه ووسائله وأسبابه، ويسأل الله العافية منه كما فعل ذلك الأنبياء والأصفياء وخيار الخلق. وعلى العبد أن يجتهد في تنمية الإخلاص في قلبه وتقويته، وذلك بكمال التعلّق بالله تألهاً وإنابة وخوفاً ورجاء وطمعاً وقصداً لمرضاته وثوابه في كل ما يفعله العبد وما يتركه من الأمور الظاهرة والباطنة، فإن الإخلاص بطبيعته يدفع الشرك الأكبر والأصغر، وكل من وقع منه نوع من الشرك فلضعف إخلاصه"(١).

٣/ بيان للأمة شروط قبول الأعمال، فوضّح الخلفاء الراشدون ﷺ للناس أن لجميع العبادات شرطين أساسيَين لابدّ منهما لتكون الأعمال مقبولة عند الله، فكل الأوامر والنواهي والعبادات القولية والفعلية، والطاعات الظاهرة والباطنة كلّها مبنية على ركنين عظيمين وهما:

الأول: الإخلاص: أي أن يكون العمل خالصاً لله.

الثاني: المتابعة: أن يكون العمل صالحاً موافقاً لسنة الرسول ﷺ.

ولهذا كان عمر بن الخطاب ﷺ يدعو ربّه أن يجعل عمله صالحاً خالصاً، أن يتوفّر فيه هذان الشرطان، وقال علي بن أبي طالب: "العمل الصالح: الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلا لله"(٢) أي: الخالي من الرياء. وقال أيضاً ﷺ: "لا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل إلا

(١) القول السديد ص ٢٤.

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٢٥.

بقول، ولا قول وعمل إلا بنية، ولا نية إلا بموافقة السنة"(١). فهنا أمير المؤمنين يؤكد على أهمية النيّة الخالصة وموافقة السنة في العمل. ففي هذه الجهود المباركة بيان للأمة شروط قبول الأعمال، وقد ذكر الله هذه الشروط في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تقرير هذه المسألة مستدلاً بالآية وأثر عمر: "العبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء، مقصودها واحد ولها أصلان:

أحدهما: ألا يُعبد إلا الله.

والثاني: أن يُعبد بما أمر وشرع، لا بغير ذلك من البدع. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠] وقال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢] ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥]. فالعمل الصالح: هو الإحسان وهو فعل الحسنات. والحسنات: هي ما أحبه الله ورسوله، وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب. فما كان من البدع في الدين التي ليست في الكتاب ولا في صحيح السنة، فإنها –وإن قالها من قالها، وعمل بها من عمل– ليست مشروعة، فإن الله لا يحبها ولا رسوله، فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح، كما أن من يعمل ما لا يجوز كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح. وأما قوله: ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠] وقوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٢] فهو إخلاص الدين لله وحده. وكان عمر بن الخطاب يقول: "اللهم اجعل عملي كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيئاً". وقال الفضيل بن عياض في قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢] قال: "أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا

(١) تقدم تخريجه ص ٤٣٩.

كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة"(١)"(٢).

وعلى هذا فإن فقد العمل أحد الشرطين أي: الإخلاص أو المتابعة أو كليهما كان باطلاً حابطاً، مردوداً هباء منثوراً، أبعد ما يكون من القبول، قال الله تعالى في إحباط العمل الشركي: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥].

وقال الله تعالى في الحديث القدسي: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه"(٣). قال العلامة سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله: "لما كان المرائي قاصداً بعمله الله تعالى وغيره كان قد جعل الله تعالى شريكاً، فإذا كان كذلك، فالله تعالى هو الغني على الإطلاق، والشركاء بل جميع الخلق فقراء إليه بكل اعتبار، فلا يليق بكرمه وغناه التام أن يقبل العمل الذي جعل له فيه شريك، فإن كماله تبارك وتعالى وكرمه وغناه يوجب أن لا يقبل ذلك. ولا يلزم من اسم التفضيل إثبات غِنى للشركاء، فقد تقع المفاضلة بين الشيئين، وإن كان أحدهما لا فضل فيه كقوله تعالى: ﴿ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل: ٥٩]. وقوله تعالى: ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٤]"(٤).

وفي فقد الشرط الثاني أي: المتابعة (موافقة العمل السنة) قال النبيّ ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ"(٥) أي: فهو مردود على صاحبه لا يُقبل(٦).

فالحاصل أن العمل المقبول عند الله هو الخالص لله الخالي من الرياء، الصالح المقيد بالسنة.

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ٩٥/٨.

(٢) مجموع الفتاوى ١٧٢/١٠.

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الزهد والرقائق باب تحريم الرياء ٢٢٨٩/٤ برقم ٢٩٨٥.

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ٣٥٣.

(٥) تقدم تخريجه ص ٥١.

(٦) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ١٤٩.

٤/ تستفيد الأمة الإسلامية من قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: "لا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل إلا بقول، ولا قول وعمل إلا بنية، ولا نية إلا بموافقة السنة" أن الإيمان قول واعتقاد وعمل، وقد أورد الإمام الآجري في الشريعة هذا الأثر لتقرير هذه المسألة تحت "باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، لا يكون مؤمناً إلا بأن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث" ثم قال: "اعملوا رحمنا الله وإيّاكم أن الذي عليه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كُملتْ فيه هذه الخصال الثلاث كان مؤمناً، دلّ على ذلك القرآن والسنة وقول علماء المسلمين"(١). وقد رُوي عن كثير من السلف عبارات قريبة من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من حيث المعنى بل رُوي ما يكاد أن يكون مطابقاً لكلامه ﷺ كقول الإمام الحميدي(٢) في كتابه "أصول السنة" فقال رحمه الله: "الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، لا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل وقول إلا بنية، ولا قول وعمل ونية إلا بسنة"(٣). وهذا يبيّن أن لقول علي بن أبي طالب ﷺ آثاراً في الاستدلال.

وبهذا يتبيّن بكل وضوح أن الخلفاء الراشدين ﷺ حققوا حماية التوحيد في باب الإخلاص، فأرشدوا الأمة إلى تجريد القصد في الطاعات وأمروا الناس بتصفية النيّة من شوائب الشرك كالرياء وغير ذلك مما يتنافى بالإخلاص. فالحاصل أن الخلفاء الراشدين ﷺ بيّنوا أن العبادة بلا إخلاص وتوحيد لا تسمّى عبادة ولا تنفع صاحبها، لا في الدنيا ولا في الآخرة بل تضره أشدّ الضرر.

---

(١) الشريعة للآجري ٢/٦١١.

(٢) عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله الإمام الحافظ الفقيه، شيخ الحرم، أبو بكر القرشي الأسدي الحميدي المكي، شيخ البخاري، صاحب الشافعي ورفيقه في الرحلة إلى الديار المصرية، توفي عام ٢١٩هـ. انظر السير للذهبي ١٠/٦١٦.

(٣) أصول السنة للحميدي ص ٢١.

المبحث السادس:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب التوكّل.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالتوكل وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب التوكّل.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المطلب الأول: التعريف بالتوكّل وما يتعلّق به.

التوكّل في اللغة: معناه الاعتماد والتفويض، وهو من مادة وكل قال ابن فارس: "الواو والكاف واللام: أصل صحيح يدل على اعتماد غيرك في أمرك. من ذلك الوُكلة، والوَكَل: الرّجُل الضّعيف. يقولون وُكلة تُكلة. والتوكّل منه، وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك. وواكل فلان، إذا ضيّع أمره متّكلاً على غيره. وسمي الوكيل لأنه يوكل إليه الأمر"(١). ويقال: تواكل القوم مواكلةً ووكالاً: اتّكل بعضهم على بعض(٢).

المعنى شرعاً:

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: "الصواب في حد التوكّل الثقة بالله تعالى والاعتماد في الأمور عليه، وتفويض كل ذلك إليه بعد استفراغ الوسع في السعي فيما بالعبد الحاجة إليه من أمر دينه ودنياه على ما أمر به من السعي فيه"(٣).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "التوكّل عمل القلب وعبوديته اعتماداً على الله وثقة به والتجاء إليه وتفويضاً إليه ورضا بما يقضيه له لعلمه بكفايته سبحانه وحسن اختياره لعبده إذا فوض إليه، مع قيامه بالأسباب المأمور بها واجتهاده في تحصيلها"(٤).

يبرز من هذين التعريفين أمران وهما: الأول الاعتماد على الله وتفويض الأمر إليه والثاني الأخذ بالأسباب، لهذا قرر العلماء أن التوكّل على الله مبني على هذين الركنين:

١/التفويض: وهو "روح التوكّل ولبّه وحقيقته وهو إلقاء أموره كلّها إلى الله وإنزالها به طلباً واختياراً لا كرهاً واضطراراً"(٥)، فإذا عرف العبد حق المعرفة ربوبية الله، وأنه هو خالق كل شيء وحده ومدبّر الكون، بيده أزمة الأمور كلّها، لا يقع شيء في الكون إلا بمشيئته وقدرته، لجأ إلى ربّ العالمين وفوّض أمره إليه واعتمد عليه، لأنه يعلم يقيناً أن جميع حاجاته ومصالحه كلّها بيد الله مالك كل شيء.

---

(١) مقاييس اللغة ١٣٦/٦.

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور ٢٧٣/١٥.

(٣) نقله ابن بطال في شرح صحيح البخاري ٤٠٨/٩.

(٤) الروح ص ٢٥٤.

(٥) مدارج السالكين لابن القيم ٩١/٢.

٢/ أخذ الأسباب: فترك فعل الأسباب المشروعة ينافي حقيقة التوكّل الشرعية، فالمتوكل على الله يجمع بين التفويض وفعل السبب، وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، والأدلة من القرآن على ذلك كثيرة منها قول الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠] فهذا أمر بإعداد العدة لمجاهدة الكفّار وإرهابهم، وهو أمر باتخاذ الأسباب. ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء: ٧١] قال الإمام السعدي رحمه الله: "يأمر تعالى عباده المؤمنين بأخذ حذرهم من أعدائهم الكافرين. وهذا يشمل الأخذ بجميع الأسباب، التي بها يستعان على قتالهم ويستدفع مكرهم وقوتهم، من استعمال الحصون والخنادق، وتعلم الرمي والركوب، وتعلم الصناعات التي تعين على ذلك، وما به يعرف مداخلهم، ومخارجهم، ومكرهم، والنفير في سبيل الله"[١].

والنبيّ ﷺ كان أعلم الناس بالله وسيد المتوكّلين ومع ذلك كان يتخذ الأسباب مما يدل على وجوب هذا الأمر، فكان يأخذ الزاد في السفر، ويتقي الحر والبرد، ولما هاجر من مكة إلى المدينة أخذ من يدله على الطريق[٢]، ولم يقل سأذهب متوكلاً على الله ليس لي حاجة إليه، وكذلك في غزوة أحد لبس درعين[٣] مع علمه ﷺ أن الله سيحفظه، كل ذلك من باب اتخاذ الأسباب. وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً جاء على ناقة له فقال: يا رسول الله أعْقلها وأتوكّل أو أُطْلقها وأتوكل؟ قال ﷺ: "اعقِلها وتوكّل"[٤].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "فالموحد المتوكل لا يلتفت إلى الأسباب بمعنى أنه لا يطمئن إليها، ولا يرجوها ولا يخافها، فلا يركن إليها، ولا يلتفت إليها بمعنى أنه لا يسقطها ولا

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٨٦.

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب الإجارة باب استئجار المشركين عند الضرورة، أو إذا لم يوجد أهل الإسلام ٨٩/٣ برقم ٢٢٦٤.

(٣) انظر سنن أبي داود كتاب الجهاد باب في لبس الدروع ص ٤٥٥ برقم ٢٥٩٠ صححه الشيخ الألباني. وانظر القول المفيد على كتاب التوحيد للعثيمين ٨٨/٢.

(٤) رواه الترمذي في سننه في كتاب صفة القيامة باب ٦٠ (بدون عنوان) ٥٦٧ برقم ٢٥١٧. وحسنه الشيخ الألباني.

يهملها ويلغيها، بل يكون قائما بها ملتفتا إليها، ناظراً إلى مسببها سبحانه ومجريها، فلا يصح التوكّل شرعا وعقلا إلا عليه سبحانه وحده"(١).

فالتوكّل فريضة من فرائض الدين يجب إفراد الله به، وهو قوام العبادة، به يحصل كمال التوحيد، كما أنه أصل لجميع مقامات الإيمان، بل متى انتفى التوكّل انتفى الإيمان قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] ففي هذه الآية جعل الله التوكّل شرطاً في الإيمان(٢).

وليعلم المسلم أنه كلما قوي توحيده قوي توكّله، فضعف توكّله دليل على نقص توحيده قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "لا يستقيم توكّل العبد حتى يصحّ له توحيده، بل حقيقة التوكّل: توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك، فتوكّله معلول مدخول، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكّل، فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه، فنقص من توكّله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة، ومن ههنا ظنّ من ظن أن التوكّل لا يصح إلا برفض الأسباب، وهذا حق لكن رفضها عن القلب لا عن الجوارح، فالتوكّل لا يتم إلا برفض الأسباب عن القلب وتعلّق الجوارح بها، فيكون منقطعاً منها متصلاً بها"(٣).

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٣٦٨.

(٢) انظر طريق الهجرتين لابن القيم ص ٢١٧.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٩٠.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب التوكّل.

١١٢- عن عدي بن سهل قال: "كتب عمر في الأمصار إني لم أعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة، ولكن الناس فتنوا به فخشيت أن يوكلوا إليه ويبتلوا، فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع وأن لا يكونوا بعرض فتنة"(١).

ففي هذا الأثر دلالة على أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أحسّ من بعض الأفراد أنهم علّقوا النصر بشخصية خالد ﷺ، فخاف افتتان الناس به بحيث يعتقدون أن النصر على الأعداء مقترن بخالد، فيضعف توكّلهم على الله أو ربما يصل الأمر إلى الشرك بالله، فكأن عمر ﷺ وجد فيهم نوعاً من الالتفات إلى غير الله كالتعلّق بالأسباب، وهذا لا شكّ أمر يقدح في التوحيد ولا يتفق أبداً بحقيقة التوكّل الشرعية، فأراد أمير المؤمنين ﷺ أن يسدّ الذرائع المفضية إلى الشرك بعزل خالد وتعليم الناس أن النصر من الله، يجريه على يد من يشاء من عباده، وأنه يجب الاعتماد على الربّ وحده لا على خالد أو غيره من المخلوقات، ففي هذا الموقف العظيم حماية للتوحيد.

١١٣- عن معاوية بن قرة: "لقي عمر بن الخطاب ﷺ جماعة من أهل اليمن، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكّلون. قال: بل أنتم المتأكلون! إنما المتوكّل الذي يلقي حبه في الأرض ويتوكّل على الله(٢).

فهذا الأثر يدل على أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ لما علم أن أناساً قدموا من اليمن، مدّعين أنهم متوكّلون على الله وليس لهم زاد يستعينون به في سفرهم بادر إلى الإنكار عليهم موضّحاً لهم أن الإعراض عن الأسباب المشروعة ليس من التوكّل في شيء، بل المتوكّل من يسعى إلى العمل مع اعتماده على الله.

---

(١) تقدم تخريجه ص ٢١٦.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في التوكّل على الله ص ٥٠ والبيهقي في شعب الإيمان ٤٢٩/٢. قال ابن أبي الدنيا: "حدثنا عبد الله، حدثني علي بن الحسين العامري، نا يزيد بن هارون، أنا عون بن موسى، عن معاوية بن قرة، أن عمر بن الخطاب. . . الأثر".

فالحاصل أن عمر ﷺ أنكر على هؤلاء الحجّاج ترك أخذ الأسباب، ومن ذلك الزاد في السفر، فظنّ هؤلاء القاصدون لبيت الله أن التوكّل على الله يقتصر على الاعتماد عليه بالقلب دون تعاطي الأسباب، ولهذا لما ادّعوا أنهم متوكّلون قال لهم عمر ﷺ: "بل أنتم متأكلون" أي: تعتمدون على الناس وتسألونهم، وليس هذا التوكّل. ففي إنكار عمر على الحجّاج تحقيق لحماية التوحيد بتوضيح مفهوم التوكّل.

وقد وقعت قصة شبيهة بهذه القصة في عهد النبيّ ﷺ فأنزل الله تعالى قوله:﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[البقرة: ١٩٧] قال مجاهد: "نزلت الآية في طائفة من العرب كانت تجئ إلى الحج بلا زاد، ويقول بعضهم: كيف نحج بيت الله ولا يطعمنا، فكانوا يبقون عالة على الناس، فنهوا عن ذلك، وأمروا بالزاد"(١).

وقال عبد الله بن الزبير: "كان الناس يتّكل بعضهم على بعض بالزاد، فأمروا بالزاد"(٢).

وعن ابن عباس قال: "كان أهل اليمن يحجّون ولا يتزوّدون، ويقولون: نحن المتوكّلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأُنزلت الآية"(٣).

١١٤- عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: "لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللّهمّ ارزقني وقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وإن الله تعالى يرزق الناس بعضهم ببعض"(٤).

١١٥-عن المعرور بن سويد(٥) عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: "يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم فقد اتضح الطريق، استبقوا الخيرات، ولا تكونوا عيالاً على المسلمين"(٦).

---

(١) رواه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٣٢٨/٣.

(٢) المصدر نفسه ٣٢٨/٣.

(٣) المصدر نفسه ٣٢٨/٣.

(٤) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين ٢/ ٦٢.

(٥) المعرور بن سويد الإمام المعمر أبو أمية الأسدي الكوفي، وكان شريفا، جوادا، حجة، إماما، توفي سنة بضع وثمانين. انظر السير للذهبي ١٧٤/٤.

(٦) أخرج البيهقي في شعب الإيمان ٤٣٠/٢ قال: "أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أخبرنا أبو الحسين بن ماتي الكوفي، حدثنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة حدثنا طلق بن غنام، عن المسعودي عن

.

١١٦- عن نافع، قال: دخل شاب قوي المسجد وفي يده مشاقص[(١)] وهو يقول: من يعينني في سبيل الله؟ قال: فدعا به عمر فأتي به فقال: "من يستأجر مني هذا بعمل في أرضه؟، فقال رجل من الأنصار: أنا يا أمير المؤمنين، قال: بكم تؤجره كل شهر؟ قال: بكذا وكذا، قال: خذه فانطلق به، فعمل في أرض الرجل أشهراً، ثم قال عمر للرجل: "ما فعل أجيرنا؟ قال: صالح يا أمير المؤمنين، قال: "ائتني به وبما اجتمع له من الأجر"، فجاء به وبصرة من دراهم، فقال: "خذ هذه فإن شئت الآن فاغز، وإن شئت فاجلس"[(٢)].

ففي هذه الآثار حثّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ الناس على الأخذ بالأسباب والسعي إلى حصول المنافع تحقيقاً للتوكل الشرعي.

١١٧- عن الفضيل بن عياض أنه قيل له: لو أن رجلاً قعد في بيته زعم أنه يثق بالله، فيأتيه برزقه، قال: "إذا وثق بالله حتى يعلم منه أنه قد وثق به، لم يمنعه شيء أراده، ولكن لم يفعل هذا الأنبياء ولا غيرهم، وقد كان الأنبياء يُؤاجِرون أنفسهم، وكان النبيّ ﷺ آجر نفسه وأبو بكر وعمر، ولم يقولوا: نقعد حتى يرزقنا الله ﷻ، وقال الله ﷻ: ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]، ولابد من طلب المعيشة"[(٣)].

جواب بن عبيد الله، عن المعرور بن سويد، عن عمر. . . الأثر". سنده متصل ورجاله ما بين ثقة وصدوق، فالأثر حسن، انظر دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية ﷺ لعبد السلام بن محسن آل عيسى ١٠١٣/٢.

(١) مشاقص جمع مشقص: نصل السهم إذا كان طويلا غير عريض. انظر لسان العرب لابن منظور ١١٠/٨.

(٢) أخرج البيهقي في شعب الإيمان ٤٣٠/٢ قال: "أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو، حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا الحسن بن علي بن عفان، حدثنا أبو أسامة، حدثنا جرير بن حازم، حدثنا أيوب، عن نافع. . . الأثر".

(٣) رواه الخلال في الحثّ على التجارة ص ٥٦ ومحمد بن مفلح المقدسي في الآداب الشرعية ٢٦٩/٣. قال الخلال: "أخبرنا محمد بن أحمد بن القاسم الأزدي، ثنا طاهر بن محمد التميمي ثنا الفيض بن إسحاق قال: سألت الفضيل بن عياض. . . الأثر".

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

من المعلوم أن التوكّل من أجلّ العبادات، بل هو أعلى مقامات التوحيد وأعظمها، فلمكانته من الدين حقّق الخلفاء الراشدون ﵃ حماية التوحيد في هذا الباب واعتنوا بهذا الجانب العقدي عناية فائقة، وقد كان لهذه الجهود الجليلة آثار عظيمة على الأمة، أهمها ما يلي:

١/ توضيح الخلفاء الراشدين ﵃ للأمة مفهوم التوكّل الشرعي، وبيان أهمية هذه العبادة في حياة المسلم، فبهذه الجهود المباركة علّم الخلفاء الراشدون ﵃ المسلمين وجوب تحقيق هذه العبادة القلبية بركنيها: الاعتماد على الله وحده بالقلب وأخذ الأسباب المشروعة، فلا يتمّ توكّل العبد إلا بهذين الركنين، أي: أن يعلم العبد أن الأمر كلّه لله، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فيعتمد بقلبه على الربّ في جلب المصالح الدنيوية والأخروية والدفع المضار مع أخذ الأسباب المشروعة.

٢/ تربية الأمة الإسلامية على العقيدة الصحيحة وحثّها على التعلّق بالله والاعتماد عليه لا على الأسباب الظاهرة المشروعة، ومن ذلك تعليم الأمة أن النصر من الله لا من بعض الأسباب قال الله تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٠] ففي الآية "الأمر بالاستنصار بالله والاعتماد عليه، والبراءة من الحول والقوة، ولهذا قال: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ بتقديم المعمول يؤذن بالحصر، أي: على الله توكّلوا لا على غيره، لأنه قد علم أنه هو الناصر وحده، فالاعتماد عليه توحيد محصل للمقصود، والاعتماد على غيره شرك غير نافع لصاحبه، بل ضار"(١).

فلا يُعتمد على الأسباب الظاهرة وإنما يعتمد على الله وحده لا شريك له قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع، فعلى العبد

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٥٤.

أن يكون قلبه معتمداً على الله لا على سبب من الأسباب، والله ييسر له من الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة"(١).

ففي قصة عزل عمر خالد دلالة على أن بعض الناس قد يعتمدون على السبب الظاهر كالتوكّل على سلطان أو أمير فيما يقدر عليه.

ومن هنا ذكر العلماء أن التوكّل على غير الله قسمان:

الأول: أن يتوكّل العبد على الغير في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالذي يتوكّل على الأموات للحصول على مطالبه من الشفاء والرزق والتوفيق والشفاعة، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة.

الثاني: أن يتوكّل العبد على الأسباب المشروعة كالتوكّل على إنسان فيما أقدره الله من عطاء أو دفع أذى وغير ذلك، فهذا شرك أصغر، ولعل هذا القسم هو الذي وقع فيه بعض الناس في عهد عمر أو خُشي ذلك، أي: التوكّل على خالد ﷺ الذي هو سبب من أسباب النصر.

أما توكيل شخص فيما يقدر عليه فهذا أمر مشروع، ولكن لا يتوكّل عليه في حصول المطلب، بل التوكّل يكون على الله وحده لا شريك له(٢).

٣/ إرشاد الأمة إلى الاعتزاز بالإسلام، وعدم إذلال النفس بمسألة الناس والتواكل عليهم، بل بالتوكّل على الله، فالعبادة ليست مهنة ولا وسيلة تُتخذ للوصول إلى مال الناس أو غير ذلك مما يملكونه، كما هو حال كثير ممن يدّعي البلوغ إلى كمال التوكّل، ولا شكّ أن هذا المسلك لم يأمر به الشرع، فهو ينافي ما كان عليه الأنبياء والرسل من أخذ بالأسباب وقد قال الله: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[الجمعة: ١٠] أي: فانتشروا للعمل وطلب المكاسب والتجارات والتصرف في حوائجكم(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى ٥٢٨/٨.

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله آل الشيخ ص ٣٣٢.

(٣) انظر معالم التنزيل للبغوي ١٢٣/٨.

فوضّح الخلفاء الراشدون ﷺ للأمة أن دين الإسلام دين يحثّ على العمل وطلب المعيشة والاسترزاق، كما أنه يحثّ على التنافس في خيري الدنيا والآخرة، ويذمّ الكسل ومسألة الناس والاعتماد عليهم.

٤/ بيان للأمة وجوب الأخذ بالأسباب وإبطال القول بأن ذلك مناف لمفهوم التوكّل، فيستفاد من جهود الخلفاء الراشدين ﷺ أن السعي إلى الأسباب عبادة وليس في هذا قدح في التوكّل، وقد أورد الإمام السيوطي قصة عمر مع أهل اليمن في تفسيره الدر المنثور في التفسير بالمأثور(١) عند قول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾[الملك: ١٥].

فأراد الإمام السيوطي بذكر قصة عمر بيان أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكّل، قال الإمام ابن كثير في تفسير الآية السابقة: "أي: فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئاً، إلا أن ييسره الله لكم؛ ولهذا قال: ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾، فالسعي في السبب لا ينافي التوكّل، فعن عمر بن الخطاب يقول: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "لو أنكم تتوكّلون على الله حق توكّله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا"(٢)"(٣).

فالطير تذهب في أوّل النهار خماصاً أي: جائعة خالية الأجواف من القوت، ولكنها متوكّلة على ربّها ﷻ وترجع في آخر النهار بطاناً أي: ممتلئة البطون من رزق الله ﷻ(٤).

فهذا الحديث العظيم دليل على أنه يجب على المتوكّل أن يجمع بين الاعتماد على الله وفعل السبب.

ومن اللطائف أن هذا الحديث رواه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ وهذا دليل واضح على حرص الخلفاء الراشدين ﷺ في تعليم الناس التوكّل.

---

(١) ١٤/٦١١.

(٢) رواه الترمذي في سننه في كتاب الزهد عن رسول الله باب التوكّل على الله ص ٥٢٩ برقم ٢٣٤٤. وصححه الشيخ الألباني.

(٣) تفسير القرآن الكريم لابن كثير ٤/٥١٠.

(٤) انظر دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمحمد بن علان الصديقي ٢/٢٧٨.

وقد ذكر العلامة العثيمين رحمه الله أثر عمر في تقرير وجوب الأخذ بالأسباب في شرح كتاب التوحيد للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تحت "باب: قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣][(١)]"[(٢)].

فموقف عمر ﷺ مع أهل اليمن دليل على وجوب الأخذ بالأسباب، وردٌ قوي على من زعم أن التوكّل يكون بتركها كما يزعمه أرباب الصوفية وغيرهم، فهم يعتقدون أن تحقيق التوكّل لا يكون إلا بالإعراض عن الأسباب بالكلية، وأن الالتفات إليها قدح في التوكّل، قال ذو النون المصري[(٣)]: "التوكّل خلع الأرباب وقطع الأسباب"[(٤)]. وقال ابن عطاء[(٥)]: "التوكّل أن لا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب مع شدّة فاقتك إليها ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها"[(٦)].

وقد ترتّب على هذا الاعتقاد الفاسد انحرافات أخرى كترك التكسب، ولهذا يجلس بعضهم في المسجد ولا يعمل، وينتظر أن يأتيه الطعام، وإذا سئل عن ذلك قال: أنا متوكّل على الله، قال ابن الجوزي رحمه الله: "لو قال رجل للصوفية من أين أطعم عيالي لقالوا قد أشركت، ولو سئلوا عمن يخرج إلى التجارة لقالوا ليس بمتوكّل ولا موقن، وكلّ هذا لجهلهم بمعنى التوكّل"[(٧)]، وقال أيضاً في وصف القوم: "ما فهموا معنى التوكّل وظنوا أنه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل، وقد بيّنا أن التوكّل فعل القلب فلا ينافي حركة الجوارح، ولو كان

---

(١) انظر كتاب التوحيد ٩٣/١ (ضمن مجموع مؤلفاته).

(٢) القول المفيد ٨٨/٢.

(٣) ذو النون المصري ثوبان بن إبراهيم الأخميمي المصري، أبو الفياض، شيخ الديار المصرية، ولد في أواخر أيام المنصور، وتوفي ٢٤٦هـ. انظر السير للذهبي ٥٣٦/١١.

(٤) نقله ابن القيم في مدارج السالكين ٨٦/٢.

(٥) أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الأسكندري، من أهل الإسكندرية، كان شافعي المذهب وقيل كان مالكيا، كان أستاذ الشيخ الإمام الوالد في التصوف، كان من أشدّ خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية توفي عام ٧١٠هـ. انظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٣/٩ وانظر الأعلام للزركلي ٢٢١/١.

(٦) نقله ابن القيم في مدارج السالكين ٨٦/٢.

(٧) تلبيس إبليس ص ٢٧٠.

كل كاسب ليس بمتوكّل لكان الأنبياء غير متوكّلين، فقد كان آدم عليه السلام حراثاً ونوح وزكريا نجّارين وإدريس خيّاطاً وابراهيم ولوط زرّاعين وصالح تاجراً وكان سليمان يعمل الخوص وداود يصنع الدرع ويأكل من ثمنه وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة صلوات الله عليهم أجمعين. وقال نبيّنا ﷺ: "كنت أرعى غنماً لأهل مكة بالقراريط"(١) فلما أغناه الله ﷻ بما فرض له من الفيء لم يحتج إلى الكسب، وقد كان أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة رضوان الله تعالى عليهم بزّازين(٢)، وما زال التابعون ومن بعدهم يكتسبون ويأمرون بالكسب"(٣).

وقال الإمام ابن رجب رحمه الله: "واعلم أن تحقيق التوكّل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه المقدورات بها، وجرت سُنَّته في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكّل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكّل بالقلب عليه إيمان به، كما قال الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ [النساء: ٧١]، وقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ﴾[الأنفال: ٦٠] وقال: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقال سهل التستري(٤): "من طعن في الحركة -يعني: في السعي والكسب- فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكّل، فقد طعن في الإيمان"(٥)، فالتوكّل حال النبيّ ﷺ، والكسب سنّته، فمن عمل على حاله، فلا يتركنّ سنّته. ثم إن الأعمال التي يعملها العبد ثلاثة أقسام:

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الإجارة باب رعي الغنم على قراريط ٨٨/٣ برقم ٢٢٦٢ بلفظ: "ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم فقال أصحابه وأنت فقال نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة".

(٢) البز: الثياب والبزاز بائعه. انظر لسان العرب ٧٨/٢.

(٣) تلبيس إبليس ص ٢٧٠.

(٤) سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أبو محمد، شيخ العارفين، الصوفي الزاهد، صحب خاله محمد بن سوار توفي عام ٢٨٣هـ. انظر السير للذهبي ٣٣٠/١٣.

(٥) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٩٥/١٠.

أحدها: الطاعات التي أمر الله عباده بها، وجعلها سبباً للنجاة من النار ودخول الجنة، فهذا لابدّ من فعله مع التوكّل على الله فيه، والاستعانة به عليه، فإنه لا حول ولا قوة إلا به، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فمن قصّر في شيء مما وجب عليه من ذلك، استحق العقوبة في الدنيا والآخرة شرعاً وقدراً. قال يوسف بن أسباط(١): "كان يقال: اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله، وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتب له"(٢).

والثاني: ما أجرى الله العادة به في الدنيا، وأمر عباده بتعاطيه، كالأكل عند الجوع، والشرب عند العطش، والاستظلال من الحر، والتدفؤ من البرد ونحو ذلك، فهذا أيضاً واجب على المرء تعاطي أسبابه، ومن قصر فيه حتى تضرر بتركه مع القدرة على استعماله، فهو مفرط يستحق العقوبة، لكن الله سبحانه قد يقوّي بعض عباده من ذلك على ما لا يقوى عليه غيرُه، فإذا عمِل بمقتضى قوته التي اختص بها عن غيره، فلا حرج عليه، ولهذا كان النبيّ ﷺ يواصل في صيامه، وينهى عن ذلك أصحابه، ويقول لهم: "إني لست كهيئتكم، إني أطعَم وأسقى"(٣). وقد كان كثير من السلف لهم من القوة على ترك الطعام والشراب ما ليس لغيرهم، ولا يتضررون بذلك. فمن كان له قوة على مثل هذه الأمور، فعمل بمقتضى قوته ولم يضعفه عن طاعة الله، فلا حرج عليه، ومن كلّف نفسه ذلك حتى أضعفها عن بعض الواجبات، فإنه ينكر عليه ذلك.

القسم الثالث: ما أجرى الله العادة به في الدنيا في الأعم الأغلب"(٤).

فلا شكّ أن الإعراض بالكلية عن أخذ الأسباب خطأ كبير، بل هذا المفهوم يُعتبر قدح في الشرع لأن الله أمرنا بتعاطي الأسباب الشرعية، فمن تركها فقد ترك ما أوجب الله عليه من التوكّل وأخلّ بواجب التوحيد(٥).

---

(١) يوسف بن أسباط الزاهد، من سادات المشايخ، له واعظ وحكم، كان رجلا عابدا، توفي عام ١٩٥هـ. انظر السير للذهبي ٩/١٦٩.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/٢٣٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الصوم باب بركة السحور من غير إيجاب ٣/٢٩ برقم ١٩٢٢.

(٤) جامع العلوم والحكم ص ٨٦١ باختصار.

(٥) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٨/١٧٩.

وقد أورد الإمام ابن الجوزي قول عمر ﷺ: "يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم فقد اتضح الطريق، استبقوا الخيرات، ولا تكونوا عيالا على المسلمين(١)" في تلبيس إبليس ردّاً على الصوفية تحت مسألة: "ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ادّعاء التوكّل وقطع الأسباب وترك الاحتراز في الأموال"(٢).

فمن خلال هذه النصوص الشرعية يظهر جلياً أن للتوكل ركنين أساسيين لابد منهما لتحقيق هذه العبادة: الاعتماد على الله بالقلب وأخذ الأسباب، هذا هو حقيقة التوكّل عند الأنبياء والرسل والخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين لهم من السلف الصالح، كلّهم فوضّوا أمرهم إلى الله وباشروا العمل لجلب المنافع ودفع الضرر.

(١) تقدم تخريجه ص ٤٥٤.

(٢) تلبيس إبليس ص ٢٦٦.

المبحث السابع:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب الخوف والرجاء والمحبة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالخوف والرجاء والمحبة وما يتعلّق بذلك.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب الخوف والرجاء والمحبة.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المطلب الأول: التعريف بالخوف والرجاء والمحبة وما يتعلّق بذلك.

الخوف لغة: قال ابن فارس: "الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذُّعْر والفزع. يقال خفت الشّيء خوفاً وخيفةً. والياء مبدلة من واو لمكان الكسرة. ويقال خاوفني فلان فخفته، أي: كنتُ أشدّ خوفاً منه"(١).

الخوف شرعاً:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "ما حال بين صاحبه وبين محارم الله ﷻ فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط"(٢).

فالخوف هو ما حجز عن محارم الله، وهو من أعظم العبادات القلبية ومن أجلها، يجب إخلاصها لله، وخوف العبد من الله يكون على قدر علمه بربه ومعرفته، فكلما كان العبد بأسماء الله وصفاته أعلم كان منه أخوف ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] قال الإمام ابن كثير: "أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتمّ والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر، قال ابن عباس: الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير"(٣).

ومن الأدلة على هذه العبادة العظيمة قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

ففي هذه الآية أمر الله تعالى عباده بإخلاص هذا الخوف له، فجعل الخوف منه شرطاً في تحقق الإيمان، متى انتفى الخوف منه انتفى الإيمان(٤).

(١) مقاييس اللغة ٢/٢٣٠.

(٢) مدارج السالكين ١/٣٨٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣/٧٢٤.

(٤) انظر طريق الهجرتين لابن القيم ص ٢٣٩.

أقسام الخوف:

ذكر العلامة سليمان بن عبد الله رحمه الله في تيسير العزيز الحميد أربعة أقسام فقال:

"**أحدها**: خوف السر وهو أن يخاف من غير الله أن يصيبه بما يشاء من مرض أو فقر أو قتل ونحو ذلك بقدرته ومشيئته، سواء ادّعى أن ذلك كرامة للمخوف بالشفاعة أو على سبيل الاستقلال، فهذا الخوف لا يجوز تعلّقه بغير الله أصلاً لأن هذا من لوازم الإلهية، فمن اتخذ مع الله نداً يخافه هذا الخوف فهو مشرك، وهذا هو الذي كان المشركون يعتقدونه في أصنامهم وآلهتهم، ولهذا يخوفون بها أولياء الرحمن كما خوّفوا إبراهيم عليه السلام فقال لهم: ﴿ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٠ – ٨١] وقال سبحانه وتعالى عن قوم هود أنهم قالوا له: ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ [هود: ٥٤ –٥٥] ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾[الزمر: ٣٦].

وهذا القسم هو الواقع اليوم من عبّاد القبور، فإنهم يخافون الصالحين بل الطواغيت كما يخافون الله بل أشدّ، ولهذا إذا توجّهتْ على أحدهم اليمين بالله أعطاك ما شئت من الأيمان كاذباً أو صادقاً، فإن كان اليمين بصاحب التربة لم يقدم على اليمين إن كان كاذباً، وما ذاك إلا لأن المدفون في التراب أخوف عنده من الله ولا ريب أن هذا ما بلغ إليه شرك الأوّلين. فخوف العبادة والتذلل والتعظيم والخضوع لا يصلح إلا لله، فهو واجب في حقه.

الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر إلا لخوف من الناس فهذا محرم وهو الذي نزلت فيه الآية المترجم لها(١)، وهو الذي جاء فيه الحديث: "إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: "ما منعك إذ رأيت المنكر أن لا تغيره؟ " فيقول: يا رب خشيت الناس. فيقول: "إيّاي كنت أحق أن تخشى"(٢).

---

(١) أي: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

(٢) رواه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٦٦٢ برقم ٤٠٠٨. وضعّفه الألباني.

الثالث: خوف وعيد الله الذي توعّد به العصاة، وهو الذي قال الله فيه: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١٤] وقال: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[الرحمن: ٤٦] وقال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾[الطور: ٢٦] وقال تعالى: ﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾[الإنسان: ٧]. وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان، ونسبة الأوّل إليه كنسبة الإسلام إلى الإحسان، وإنما يكون محموداً إذ لم يوقع في القنوط واليأس من روح الله، ولهذا قال شيخ الإسلام: "هذا الخوف ما حجزك عن معاصي الله فما زاد على ذلك فهو غير محتاج اليه"(١).

بقي قسم رابع: وهو الخوف الطبيعي: كالخوف من عدو وسبع وهدم وغرق ونحو ذلك، فهذا لا يذم، وهو الذي ذكره الله عن موسى عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾[القصص: ٢١]"(٢).

الرجاء لغة: قال ابن فارس: "الراء والجيم والحرف المعتلّ أصلان متباينان، يدلّ أحدهما على الأمل، والآخر على ناحية الشيء.

فالأول الرجاء، وهو الأمل. يقال رجوت الأمر أرجوه رجاءً. ثم يتّسع في ذلك، فربما عبر عن الخوف بالرّجاء قال الله تعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح: ١٣] أي: لا تخافون له عظمةً. وناسٌ يقولون: ما أرجو، أي: ما أبالي. وفسّروا الآية على هذا.

وأمّا الآخر فالرّجا، مقصور: النّاحية من البئر، وكل ناحيةٍ رجاً. قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ﴾[الحاقة: ١٧].

وأما المهموز فإنّه يدلّ على التأخير. يقال أرجأت الشيء: أخّرته. قال الله تعالى: ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ ﴾ [الأحزاب: ٥١] ومنه سمّيت المرجئة(٣)"(١).

---

(١) نقله عن الإمام ابن القيم في مدارج السالكين ٢/٢٩١.

(٢) تيسير العزيز الحميد بتصرف يسير ص ٣٢٣.

(٣) المرجئة: يُطلق هذا الاسم على كل من يقول عن الإيمان: إنه قول أو تصديق بلا عمل أو القول بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا تنفع مع الكفر طاعة، فهم سُموا مرجئة لأنهم أخرّوا العمل عن مسمى الإيمان. انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص١١٤ والملل والنحل للشهرستاني ص

.

الرجاء شرعاً:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى"(٢).

فالعبادة تكون مصحوبة بالرجاء، والرجاء نفسه عبادة قلبية، فالعبد المطيع المؤمن يرجو من ربه الرحمة والمغفرة، يرجو ما عند الله من الأجر والثواب وأن يُتقبَّل منه ما قدّم من الأعمال الصالحات، كما أنه يرجو منه مغفرة الذنوب التي تاب منها والتجاوز عن التقصير في العبادة، فلا ييأس من روح الله ولا يقنط من رحمة الله.

ومن الأدلة على الرجاء قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[البقرة: ٢١٨].

"ففي هذا دليل على أن الرجاء لا يكون إلا بعد القيام بأسباب السعادة، وأما الرجاء المقارن للكسل، وعدم القيام بالأسباب، فهذا عجز وتمن وغرور، وهو دال على ضعف همة صاحبه، ونقص عقله، بمنزلة من يرجو وجود ولد بلا نكاح، ووجود الغلة بلا بذر وسقي، ونحو ذلك.

وفيه إشارة إلى أن العبد ولو أتى من الأعمال بما أتى به لا ينبغي له أن يعتمد عليها، ويعول عليها، بل يرجو رحمة ربه، ويرجو قبول أعماله ومغفرة ذنوبه، وستر عيوبه"(٣).

أنواع الرجاء:

قال الإمام ابن القيم في كتابه مدارج السالكين: "الرجاء ثلاثة أنواع: نوعان محمودان ونوع غرور مذموم:

فالأوّلان: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه، ورجل أذنب ذنوباً ثم تاب منها فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه.

---

١٥٩ ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٣٢/٧ وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها لغالب بن علي عواجي ١٠٧٢/٣.

(١) مقاييس اللغة ٤٩٥/٢.

(٢) مدارج السالكين ٢٧/٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ السعدي ص ٩٨ بتصرف يسير.

والثالث: رجل متماد في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب"(١).

المحبة لغة: من الحب وهو نقيض البغض، والحب هو الوداد، والحبيب هو المحِب(٢).

المحبة شرعاً: "هي المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله، ومتى أحب العبد بها غيره كان شركاً لا يغفره الله، وهي محبة العبودية، المستلزمة للذل، والخضوع والتعظيم، وكمال الطاعة، وإيثاره على غيره، فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله"(٣)، فيجب إفرادها لله فلا تصلح لمخلوق لأنها عبادة، بل هي من أجل العبادات القلبية، تُعدّ قوتاً للقلوب وغذاء للأرواح. ومن لوازم محبة العبودية أن يحب المسلمُ ما يحب الله ويكره ما يكره ويبغض ما يبغض من الأقوال والأعمال والاعتقادات والأعيان، فيحب التوحيد وأهله والطاعات ويبغض الشرك وأهله والمعاصي.

قال الإمام ابن القيم في بيان منزلة المحبة: "لو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان، ولتعطلت منازل السير إلى الله، فإنها روح كل مقام ومنزلة وعمل، فإذا خلا منها فهو ميّت لا روح فيه، ونسبتها إلى الأعمال كنسبة الإخلاص إليها، بل هي حقيقة الإخلاص، بل هي نفس الإسلام، فإنه الاستسلام بالذل والحب والطاعة لله، فمن لا محبة له لا إسلام له البتة، بل هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي يأله العباد حباً وذلاً وخوفاً ورجاء وتعظيماً وطاعة له، بمعنى مألوه وهو الذي تألهه القلوب أي: تحبه وتذل له. وأصل التأله التعبّد، والتعبد آخر مراتب الحب، يقال عبّده الحب وتيّمه إذا ملكه وذلّله لمحبوبه، فالمحبة حقيقة العبودية"(٤).

والأدلة على محبة العبودية كثيرة منها قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

---

(١) مدارج السالكين ٢/٢٧.

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور ٣/٦.

(٣) طريق الهجرتين لابن القيم ص ٢٥٠.

(٤) مدارج السالكين ٣/٢٠.

ففي هذه الآية أخبر الله أن من أحب من دون الله شيئاً كما يحب الله تعالى، فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً، فهذا ندّ في المحبة، فمن أحب محبة ذل وانقياد وخضوع وطاعة فقد أشرك بالله شركاً أكبر(١).

فمحبة العبودية حق الله وحده لا شريك له، فلا تصلح إلا لله، وهناك أنواع من المحبة ليست محبة عبودية، يجوز صرفها لغير الله وهي أربعة(٢):

١/ محبة طبيعية كمحبة الجائع للطعام والظمآن للماء.

٢/ محبة إجلال، كمحبة الولد لوالده غير المشرك والكافر، فالولد يحب والده محبة إجلال وتكريم واحترام لأنه والده المحسن إليه والمربِّي له. وهذه محمودة ومأمور بها.

٣/ محبة إشفاق، كمحبة الوالد لولده، فالوالد يحب ولده محبة إشفاق.

٤/ محبة مصاحبة، كأن تحب شخصاً من أجل مصاحبتك له، إما لكونه زميلاً لك في العمل، أو شريكاً في تجارة، أو صاحباً لك في سفر، فأحببته من أجل المشاركة في شيء من الأشياء. فهذه الأربعة ليست من أنواع العبادة، لأنها ليس معها ذلّ، وليس معها خضوع.

ثم ليعلم المسلم أن هذه العبادات القلبية الثلاثة أي: الخوف والرجاء والمحبة تُسمى أركان العبادة، فالعبادة تقوم على الخوف والرجاء والمحبة، فيجب اجتماع هذه الثلاثة ولا يجوز إهمال واحد منها، فتكميل هذه العبادات الثلاثة تكميل للتوحيد والنقص فيها نقص لكمال التوحيد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "اعلم أن محركات القلوب إلى الله ﷻ ثلاثة: المحبة والخوف والرجاء، وأقواها المحبة وهي مقصودة تراد لذاتها لأنها تراد في الدنيا والآخرة، بخلاف الخوف فإنه يزول في الآخرة قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس: ٦٢] والخوف المقصود منه: الزجر والمنع من الخروج عن الطريق، فالمحبة تلقي العبد في السير إلى محبوبه، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه، والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب والرجاء يقوده. فهذا أصل عظيم يجب على كل عبد أن يتنبه له، فإنه لا تحصل له العبودية بدونه، وكل أحد يجب أن يكون عبدا لله لا لغيره"(٣) .

(١) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٣/١٦.

(٢) انظر طريق الهجرتين لابن القيم ص ٢٤٩ وإعانة المستفيد لصالح الفوزان في ٢/٣٧.

(٣) مجموع الفتاوى ١/٩٥.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب الخوف والرجاء والمحبة.

١١٨- عن عبد الله بن عكيم قال أبو بكر الصديق ﵁: فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو له أهل، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاح بالمسألة، فإن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]"(١).

قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره: "يقول تعالى ذكره: وكانوا يعبدوننا رغباً ورهباً، وعنى بالدعاء في هذا الموضع: العبادة، كما قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨]. ويعني بقوله: ﴿رَغَبًا﴾ أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله. ﴿وَرَهَبًا﴾ يعني رهبة منهم من عذابه وعقابه، بتركهم عبادته وركوبهم معصيته. وقال ابن زيد في قوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ قال: خوفا وطمعا، قال: وليس ينبغي لأحدهما أن يفارق الآخر"(٢).

١١٩- عن ابن عيينة قال: "قال أبو بكر الصديق ﵁: والله لو قيل: لا يدخل الجنّة إلا رجل واحد لرجوت أن أكون أنا هو، ولو قيل: لا يدخل النار إلا رجل واحد لخفت أن أكون أنا هو"(٣).

١٢٠- عن الأسود بن هلال(١) عن أبي بكر الصديق ﵁ قال: ما تقولون في قول الله ﷿: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [الأحقاف: ١٣] وقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٥٨/١٣ والحاكم في المستدرك ٤١٥/٢ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣٥/١ والبيهقي في شعب الإيمان ١٦٢/١٣. قال ابن أبي شيبة: "حدثنا محمد بن فضيل، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن عبد الله القرشي، عن عبد الله بن عكيم، قال: خطبنا أبو بكر. . . الأثر". قال الحاكم: "إسناد صحيح". وقال الذهبي: "عبد الرحمن بن إسحاق ضعيف".

(٢) جامع البيان ٥٢١/١٨.

(٣) رواه ابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ٧٥٠/٢ قال: "حدثنا أبو الحسين الحربي، قال: حدثنا أحمد بن مسروق، قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: حدثنا ابن عيينة، قال: قال أبو بكر...الأثر".

.

﴿يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] فقالوا: الذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا وقوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ بخطيئة، فقال أبو بكر رضي الله عنه: حملتموها على غير وجه المحمل ثم استقاموا ولم يلتفتوا إلى إله غيره، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم: أي: بشرك"(٢).

ففي هذا الاثر العظيم دلالة على حماية أبي بكر للتوحيد في أركان العبادة، فقد بيّن أبو بكر رضي الله عنه للرعية أن غاية الاستقامة ونهايتها هي عدم الالتفات إلى غير الله، أي: إفراد الله بالمحبة والخوف والرجاء وسائر العبادات، ففسّر الخليفة الراشد رضي الله عنه الآيتين بالتوحيد، ورُوي كذلك عن عثمان رضي الله عنه أنه فسّر الاستقامة في الآية بالتوحيد فقال: "ثم أخلصوا العمل لله"(٣). وكذلك فسّر كثير من السلف هذه الآية بالتوحيد فقال الإمام الطبري في تفسيره(٤): "هم الذين لم يشركوا بالله شيئاً." وقال عن مجاهد: أي: استقاموا على لا إله إلا الله، وعنه أيضاً أن قال: "أسلموا ثم لم يشركوا به حتى لحقوا به"(٥). وعن عكرمة قال: "استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله"(٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فلم يلتفتوا بقلوبهم إلى ما سواه لا بالحب ولا بالخوف ولا بالرجاء، ولا بالسؤال، ولا بالتوكّل عليه، بل لا يحبون إلا الله ولا يحبون معه

(١) الأسود بن هلال أبو سلام المحاربي الكوفي، من كبراء التابعين، أدرك أيام الجاهلية، وقد حدث عن: عمر، ومعاذ، وابن مسعود، وأبي هريرة، توفي عام ٨٤هـ. انظر السير الذهبي ٢٥٧/٤.

(٢) ورواه أبو داود في الزهد ص ٥٩ والطبري في تفسيره ٤٦٤/٢١ والحاكم في المستدرك ٤٧٨/٢ قال: "حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا عبد الله بن إدريس أنبأ أبو إسحاق الشيباني عن أبي بكر بن أبي موسى عن الأسود بن هلال عن أبي بكر الصديق. . . الأثر" وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". وقال الذهبي: "صحيح".

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤١٦/١٨.

(٤) جامع البيان ٤٦٤/٢١.

(٥) المصدر نفسه ٤٦٥/٢١.

(٦) المصدر نفسه ٤٦٥/٢١.

أنداداً ولا يحبون إلا إياه، لا لطلب منفعة ولا لدفع مضرة ولا يخافون غيره كائناً من كان ولا يسألون غيره ولا يتشرفون بقلوبهم إلى غيره"(١).

١٢١- عن زبيد(٢) أبا بكر قال لعمر رضي الله عنهما: "إن الله ذكر أهل الجنّة بصالح ما عملوا، وتجاوز عن سيئاتهم، فيقول قائل: أنا أفضل من هؤلاء، وذكر آية الرحمة، وآية العذاب، فيكون المؤمن راغباً راهباً، ولا يتمنّى على الله غير الحق، ولا يلقي بيده إلى التهلكة (في رواية عن أبي نعيم: ولا يقنط من رحمة الله)، فإن حفظت قولي فلا يكوننّ غائب أحب إليك من الموت، ولابد لك منه، وإن ضيعت وصيتي فلا يكوننّ غائب أبغض إليك من الموت، ولن تعجزه"(٣).

١٢٢- عن يحيى بن أبي كثير(٤) عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: "لو نادى مناد من السماء أيها الناس إنكم داخلون الجنّة كلكم أجمعون إلا رجلاً واحداً لخفت أن أكون هو ولو نادى مناد أيها الناس إنكم داخلون النار إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون هو"(٥).

١٢٣- عن يحيى البكَّاء(١)، أنه سمع ابن عمر قرأ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٩]

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٢/٢٨.

(٢) زبيد بن الصلت بن معاوية بن حجر بن معاوية بن الحارث بن ثور وهو من كندة كنيته أبو كثير. انظر الثقات لابن حبان ٢٧٠/٤.

(٣) رواه عبد الله بن مبارك في الزهد ص ٣١٩ وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٦٠/١٣ وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٣٥/١ قال ابن مبارك: "أخبركم أبو عمر بن حيويه قال: حدثنا يحيى قال: حدثنا الحسين قال: أخبرنا عبد الله قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن زبيد أن أبا بكر قال لعمر بن الخطاب. . . الأثر". . الأثر يتقوى بمجموع طرقه. انظر جامع الآثار القولية والفعلية الصحيحة لعمر بن الخطاب لعاطف بن عبد الوهاب حمّاد ص ٣٣٣.

(٤) يحيى بن أبي كثير اليمامي كنيته أبو نصر من أهل البصرة سكن اليمامة، الإمام، الحافظ، أحد الأعلام، كان من العباد، إذا حضر جنازة، لم يتعش تلك الليلة، ولا يكلمه أحد، توفي عام ١٢٩هـ. انظر السير للذهبي ٣١/٦.

(٥) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥٣/١ قال: "حدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو شعيب الحراني حدثنا يحيى بن عبد الله البابلتي حدثنا الأوزاعي حدثنا يحيى بن أبي كثير عن عُمَر بن الخطاب. . . الأثر".

قال ابن عمر ﷺ: "ذاك عثمان بن عفان ﷺ"(٢). وقال ابن عباس: "هو أبو بكر وعمر رضي الله عنهما"(٣).

ففي هذا المنقول بيان لزوم الخلفاء الراشدين ﷺ التقرب إلى الله بالخوف والرجاء. فهم جمعوا بين العلم والتعليم والعمل به، وهذا من صفات الربّانيين.

١٢٤- عن أوفى بن دلهم(٤) عن علي ﷺ أنه قال في خطبة: "ألا فاعملوا لله في الرغبة، كما تعملون له في الرهبة، وإني لم أر كالجنّة نام طالبها، ولم أر كالنار نام هاربها، وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى حاد به الضلال"(٥).

١٢٥- عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: "فإن نزلت بكم رغبة فاشكّروا الله، واجمعوا معها رهبة، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة"(٦).

١٢٦- عن يحيى عن علي بن أبي طالب أنه قال: "إن الفقيه حق الفقيه من لم يُقنِّط الناس من رحمة الله، ولم يُرخِّص لهم في معاصي الله، ولم يُؤمِّنهم عذاب الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، إنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فهم فيه، ولا قراءة لا تدبر

---

(١) يحيى بن مسلم (وقيل ابن سليم) أبو مسلم البصري، مولى القاسم بن الفضل الحداني. انظر التاريخ الكبير للبخاري ٢٨١/٨.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن ٣٢٤٨/١٠ وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٦٢/٤ قال ابن أبي حاتم: "حدثنا عمر بن شبَّة، عن عبيدة النميري، حدثنا أبو خَلَف عبد الله بن عيسى الخزّاز، حدثنا يحيى البكَّاء، أنه سمع ابن عمر. . . الأثر".

(٣) رواه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٥٥/١٨.

(٤) أوفى بن دلهم العدوي من أهل البصرة يروي عن نافع. انظر الثقات لابن حبان ٨٨/٦.

(٥) رواه أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ١١٦/٤ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٤٩٧/٤٢ وابن كثير في البداية والنهاية ٨/٨. قال الدينوري: "نا أحمد بن يوسف التغلبي، نا ابن نمير، عن وكيع، عن عمر بن منبه، عن أوفى بن دلهم، عن علي بن أبي طالب ﷺ: أنه خطب الناس. . . الأثر". قال محقق الكتاب الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان إسناد ضعيف.

(٦) البداية والنهاية لابن كثير ٣٤٢/٧.

فيها"(١). ففي هذا الأثر حثّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه على الرجاء والنهي عن اليأس من روح الله وقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الزمر: ٥٣].

قال الإمام السعدي رحمه الله: "أي: لا تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وتقولوا قد كثرت ذنوبنا وتراكمت عيوبنا، فليس لها طريق يزيلها ولا سبيل يصرفها، فتبقون بسبب ذلك مصرين على العصيان، متزودين ما يغضب عليكم الرحمن، ولكن اعرفوا ربكم بأسمائه الدالة على كرمه وجوده، واعلموا أنه يغفر الذنوب جميعاً من الشرك، والقتل، والزنا، والربّا، والظلم، وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار. ولكن لمغفرته ورحمته ونيلهما أسباب إن لم يأت بها العبد، فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة، أعظمها وأجلّها، بل لا سبب لها غيره، الإنابة إلى اللّه تعالى بالتوبة النصوح، والدعاء والتضرع والتأله والتعبد، فهلم إلى هذا السبب الأجل، والطريق الأعظم"(٢).

١٢٧- عن أبي إسحاق(٣) قال: "قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "لا يرجونَّ عبدٌ إلا ربّه، ولا يخافنَّ إلا ذنبه"(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "هذا الكلام يؤثر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو من أحسن الكلام وأبلغه وأتمه، فإن الرجاء يكون للخير والخوف يكون من الشر والعبد إنما يصيبه الشر بذنوبه كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ

---

(١) رواه الدارمي في سننه ١٠١/١ وابن بطة في الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ٧٥٤/٢ قال الدارمي: "أخبرنا إسماعيل بن أبان عن يعقوب القمي حدثني ليث بن أبي سليم عن يحيى هو بن عباد عن علي بن أبي طالب...الأثر".

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٧٢٧ باختصار.

(٣) زهير بن إسحاق السلولي السلمي كنيته أبو إسحاق من أهل الكوفة توفي ٨٦هـ. انظر الثقات لابن حبان ٢٥٦/٨.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٨٣/١٣ والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ١٨٧/٢ وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١٨١/١ قال ابن أبي شيبة: "حدثنا أبو خالد الأحمر، عن عمرو بن قيس، عن أبي إسحاق قال: قال علي...الأثر". طريق ابن عبد البر لين انظر تحقيق كتاب المجالسة للشيخ مشهور بن حسن آل سلمان.

أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠] ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩]". ثم فسر الشيخ الآية وبيّن أن الذنوب سبب في البلاء(١).

فكل هذه الآثار قد دلت دلالة واضحة على أن الخلفاء الراشدين ﷺ علّموا الناس أركان العبادة: المحبة والخوف والرجاء، فبيّنوا أهمية هذه المقامات الثلاثة حماية للتوحيد وحثّوا الرعية على العمل بها، بحيث يعبدون ربهم رغبة إليه، ويتمنّون ما عنده من الثواب والجزاء، مع علمهم أن الله جواد كريم واسع الفضل لمن وحّده واتبع رسوله ﷺ، وأنه ﷻ ذو رحمة مع من أذنب منهم ثم تاب إليه، فهو الذي يقبل توبة عبده، فلا ييأس المؤمن من روح الله حتى يهلك نفسه، ومع ذلك يخاف الله ربّ العالمين ويعظّمه فلا يأمن عقابه، هكذا بيّن الخلفاء الراشدون ﷺ المنهج الصحيح في تحقيق العبادة صيانة للتوحيد، وقد جمع الله هذه الأركان الثلاثة في آية واحدة من كتابه الكريم فقال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء: ٥٧].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "فجمع بين المقامات الثلاثة، فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو التقرب إليه بحبه وفعل ما يحبه، ثم يقول ويرجون رحمته ويخافون عذابه فذكر الحب والخوف والرجاء"(٢).

وقال الإمام السعدي رحمه الله في تفسير الآية: "هذه الأمور الثلاثة الخوف والرجاء والمحبة التي وصف الله بها هؤلاء المقرّبين عنده هي الأصل والمادة في كل خير. فمن تمت له تمت له أموره، وإذا خلا القلب منها ترحلت عنه الخيرات وأحاطت به الشرور. وعلامة المحبة ما ذكره الله أن يجتهد العبد في كل عمل يقربه إلى الله وينافس في قربه بإخلاص الأعمال كلّها لله والنصح فيها وإيقاعها على أكمل الوجوه المقدور عليها، فمن زعم أنه يحب الله بغير ذلك فهو كاذب"(٣).

(١) مجموع الفتاوى ١٦١/٨.

(٢) طريق الهجرتين ص ٤٢٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٦٠.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

إن الصحابة هم أعلم الناس بالله وأكملهم عبودية بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام، ولما كان الخوف والمحبة والرجاء أركان العبادة حمى الخلفاء الراشدون ﷺ جناب التوحيد في هذا الباب، ولا شكّ أن في هذه الجهود المباركة آثاراً عظيمة على الأمة، أجلّها ما يلي:

١/ بيان الخلفاء الراشدين ﷺ للأمة أهمية أركان العبادة الثلاثة ومنزلتها من الدين وحثّ الناس على العمل بها، فوضّحوا للأمة مكانة هذه المقامات الثلاثة، فهي ركائز الإيمان، بكمالها يكمل التوحيد وبنقصانها ينقص التوحيد، فبيّن الخلفاء الراشدون للأمة أن بهذه الأركان الثلاثة تتحقق العبادة تحقيقاً تاماً وتؤدّى على أفضل وجه، فيجب على العبد أن يجمع بين الرغبة والرهبة في عباداته وألّا يقنط من رحمة الله، ولا ييأس من روحه.

فوضّح الخلفاء الراشدون ﷺ للأمة الصراط المستقيم والمسلك الصحيح في تحقيق العبادة وتوحيد الله بحيث يعبد العبد ربّه بالمحبة الصادقة فيذوق حلاوة الإيمان، وتحمله هذه المحبة على بذل الجهد وأداء العبادة طمعاً لما عند الله من الأجر والرحمة، فهو مع اجتهاده يرجو من ربّه الثواب الجزيل والقبول، وفي نفس الوقت يخاف فوات مرجوّه، ويخشى الله لما له من الذنوب فلا يأمن مكر الله ولا عذابه، فالمؤمن يعبد ربّه بهذه الأركان الثلاثة المحبة والرجاء والخوف.

وعلى هذا درج علماء أهل السنة والجماعة، فبذلوا جهداً عظيماً في بيان مسألة أركان العبودية ومن ذلك:

– قول الإمام ابن بطة رحمه: "أجمعت العلماء لا خلاف بينهم أن الله ﷻ قد افترض على الخلق الخوف والرجاء وأنه دعا عباده إليه بالرغبة والرهبة"(١).

– وقال الإمام البربهاري رحمه الله في عدم القنوط من رحمة الله: "واعلم رحمك الله أنه ينبغي للعبد أن تصحبه الشفقة أبداً ما صحب الدنيا، لأنه لا يدري على ما يموت، وبما يُختَم له، وعلى ما يلقى الله ﷻ، وإن عمل كل عمل من الخير. وينبغي للرجل المسرف على

---

(١) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص ٢٦٩.

نفسه أن لا يقطع رجاءه عند الموت، ويحسن ظنّه بالله ويخاف ذنوبه، فإنّ رحمه الله، فبفضل، وإن عذّبه فبذنب"(١).

– وقال الإمام الطحاوي رحمه الله: "والأمن والإياس(٢) ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة"(٣) ثم قال شارح الطحاوية الإمام ابن أبي العز: "يجب أن يكون العبد خائفاً راجياً، أما إذا كان الرجل متمادياً في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمنيّ والرجاء الكاذب"(٤). ولهذا قال خليفة رسول الله أبو بكر الصديق ﷺ: "ولا يتمنّى على الله غير الحق، ولا يلقي بيده إلى التهلكة"(٥).

– وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "جعل الله فعل المأمور وترك المحظور سبباً للنجاة والسعادة، فشهادة التوحيد تفتح باب الخير والاستغفار من الذنوب يغلق باب الشر، ولهذا ينبغي للعبد أن لا يعلّق رجاءه إلا بالله ولا يخاف من الله أن يظلمه، فإنّ الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون، بل يخاف أن يجزيه بذنوبه، وهذا معنى ما روي عن علي ﷺ أنه قال: لا يرجونّ عبد إلا ربه ولا يخافنّ إلا ذنبه، وفي الحديث المرفوع إلى النبيّ ﷺ أنه دخل على مريض فقال: "كيف تجدك؟ " فقال: أرجو الله وأخاف ذنوبي. فقال ﷺ: "ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف"(٦)، فالرجاء ينبغي أن يتعلّق بالله ولا يتعلّق بمخلوق ولا بقوة العبد ولا عمله، فإن تعليق الرجاء بغير الله إشراك"(٧).

---

(١) شرح السنة للبربهاري ص ٨٨.

(٢) في الأصل اليأس. انظر تحقيق الكتاب للشيخ أحمد شاكر ص ٣١٢.

(٣) انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز ٢/٥٠٢.

(٤) المصدر نفسه باختصار.

(٥) تقدم تخريجه ص ٤٧٢.

(٦) رواه الترمذي في سننه في كتاب الجنائز باب ١١ (دون عنوان) ص ٢٣٤ برقم ٩٨٣. حسنه الشيخ الألباني.

(٧) مجموع الفتاوى ٢٥٦/١٠.

- وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في بيان منزلة أركان العبادة الثلاثة: "القلب في سيره إلى الله ﷻ بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر، أكمل الأحوال: اعتدال الرجاء والخوف وغلبة الحب، فالمحبة هي المركب والرجاء حاد والخوف سائق، والله الموصل بمنّه وكرمه"(١).

٢/ بيان للأمة فساد مذهب أهل البدع من الصوفية والخوارج والمرجئة الذين اقتصروا على أحد أركان العبادة:

- **فأما الصوفية** يعبدون الله ﷻ بالمحبة فقط، فلا يخافون ولا يرجون، ويقول قائلهم: "أنا لا أعبده طمعاً في جنته، ولا خوفاً من ناره، وإنما أعبده للمحبة فقط"(٢)، ولا شكّ أن هذا ضلال مبين.

- **وأما الخوارج** يعبدون الله بالخوف فقط، فأخذوا جانب الخوف والوعيد وغلوا فيه حتى كفروا الناس بالمعاصي.

- **وأما المرجئة** يعبدون الله بالرجاء فقط، فهم أخذوا جانب الرجاء وتركوا جانب الخوف فقالوا مقالتهم المشهورة: "لا تضر مع الإيمان معصية ولا تنفع مع الكفر طاعة"(٣).

أما أهل التوحيد فيعبدون الله بالمقامات الثلاثة: بالحب والخوف والرجاء. ولهذا ذكر الإمام ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية أن من عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهذا مرجئ، ومن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحّد(٤).

٣/ تربية الأمة الإسلامية على التوحيد وإرشادها إلى حقيقة الاستقامة في الدين كما دل على ذلك أثر أبي بكر ﷺ فقال لأصحابه: "ما تقولون في قول الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَـٰمُوا۟ ﴾ [الأحقاف: ١٣] وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلۡمٍ

(١) مدارج السالكين ١/٣٨٥.

(٢) انظر الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة لابن بطة ص ٢٦٨.

(٣) انظر الملل والنحل للشهرستاني ص ١٥٩.

(٤) انظر شرح الطحاوية ٢/٥٠٤.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] فقالوا: الذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا وقوله: ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ بخطيئة، فقال أبو بكر: حملتموها على غير وجه المحمل ثم استقاموا ولم يلتفتوا إلى إله غيره، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم: أي بشرك"(١).

فبيّن أبو بكر الصديق للأمة أن حقيقة الاستقامة هي استقامة القلب على التوحيد محبة وخوفاً ورجاءً قال الإمام ابن رجب رحمه الله: "ولعل من قال: إن المراد: الاستقامة على التوحيد إنما أراد التوحيد الكامل الذي يحرم صاحبه على النار، وهو تحقيق معنى لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي يطاع، فلا يعصى خشية وإجلالاً ومهابة ومحبة ورجاءً وتوكّلاً ودعاء، والمعاصي كلّها قادحة في هذا التوحيد" إلى أن قال: "فأصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد، كما فسّر أبو بكر الصديق رضي الله عنه وغيره قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [الأحقاف: ١٣] بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره، فمتى استقام القلب على معرفة الله، وعلى خشيته، وإجلاله، ومهابته، ومحبته، وإرادته، ورجائه، ودعائه، والتوكّل عليه، والإعراض عما سواه، استقامت الجوارح كلّها على طاعته، فإن القلب هو ملك الأعضاء، وهي جنوده، فإذا استقام الملك، استقامت جنودُه ورعاياه"(٢).

وبهذا يظهر جلياً أن الخلفاء الراشدين صانوا جناب التوحيد في باب الخوف والرجاء والمحبة وبيّنوا للأمة المنهج الصحيح لتحقيق العبودية لله ووضحوا لهم حقيقة الاستقامة في الدين.

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤٧١.

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٤٥٠-٤٥٣.

المبحث الثامن:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب الذبح.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالذبح وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب الذبح.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المطلب الأول: التعريف بالذبح وما يتعلّق به.

الذبح في اللغة: قال ابن فارس: "الذال والباء والحاء أصل واحد، وهو يدل على الشّقّ. فالذّبح: مصدر ذبحت الشّاةَ ذبحاً. والذِّبح: المذبوح. والذُّبّاح: شقوق في أصول الأصابع. ويقال ذُبِح الدَّنّ، إذا بُزِل. والمذابح: سيول صغار تشقّ الأرض شقّاً"(١).

الذبح شرعاً: هو إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص تقرباً إلى الله(٢).

فالذبح هو كل ما ذُبح ابتغاء وجه الله وتقرباً إليه، كهدي التمتّع والقران، وهدي التطوّع، وهدي الجبران، والأضاحي، والعقيقة وغير ذلك.

إن عبادة الذبح من أعظم العبادات ومن أجلّها، شرعها الله ﷻ لعباده الصالحين لتحقيق التوحيد والوصول إلى رضوانه سبحانه وتعالى، فلا يجوز صرف هذه العبادة لغير الله تعالى.

وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على مشروعية هذه العبادة ووجوب إفراد الله بها؛ **أما من القرآن الكريم:** كقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣]. والنسك في الآية هو الذبح في الحج والعمرة، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه، أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له وهذا كقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ الكوثر: ٢ أي: أخلص له صلاتك وذبيحتك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى"(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في قول الله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢]: "والمقصود: أن الصلاة والنسك هما أجل ما يتقرب به إلى الله، فإنه أتى فيهما بالفاء الدالة على السبب، لأن فعل ذلك وهو الصلاة والنحر سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله إياه من

---

(١) مقاييس اللغة ٣٦٩/٢.

(٢) انظر مجموع الفتاوى للعثيمين ٦٢/٦.

(٣) المصدر نفسه ٢٦٧/٢.

الكوثر والخير الكثير، فشكر المنعم عليه وعبادته أعظمها هاتان العبادتان، بل الصلاة نهاية العبادات وغاية الغايات. كأنه يقول: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ [الكوثر: ١] الخير الكثير وأنعمنا عليك بذلك لأجل قيامك لنا بهاتين العبادتين شكراً لإنعامنا عليك، وهما السبب لإنعامنا عليك بذلك، فقم لنا بهما فإن الصلاة والنحر محفوفان بإنعام قبلهما وإنعام بعدهما وأجل العبادات المالية النحر وأجل العبادات البدنية الصلاة، وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها من سائر العبادات، كما عرفه أرباب القلوب الحية وأصحاب الهمم العالية وما يجتمع له في نحره من إيثار الله وحسن الظن به وقوة اليقين والوثوق بما في يد الله أمر عجيب إذا قارن ذلك الإيمان والإخلاص، وقد امتثل النبيّ ﷺ أمر ربه فكان كثير الصلاة لربه كثير النحر"(١).

ومن السنة كقوله ﷺ: "إن أوّل ما نبدأ في يومنا هذا أن نصلّي ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنّتنا، ومن نحر قبل الصلاة فإنما هو لحم قدمه لأهله، ليس من النسك في شيء"(٢). دل هذا الحديث على مشروعية الأضحية وهي نوع من أنواع الذبح وشعيرة من شعائر الدين التي لا تصرف إلا لله في زمان مخصوص. وهناك أمور يجب مراعاتها عند أداء عبادة الذبح وأهمها ما يلي:

۞ **النية**: لابدّ من أن يخلص الذابح نيّته لله، يبتغي بهذه العبادة وجه الله، يريد أن يتقرب إلى ربّه بهذا العمل الجليل، فمعلوم أن جميع العبادات لا تكون مقبولة عند الله إلا إذا كانت مبنية على التوحيد، فهو الركن الأساسي في جميع الأعمال قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥] وقد سبق بيان شروط قبول الأعمال.

كما يجب على الذابح أن ينوي نوع الذبح الذي يريده، وقد سبق في التعريف أن الذبائح متنوعة منها الهدي والفدية في الحج ومنها العقيقة ومنها الأضاحي ومنها النذر،

---

(١) مجموع الفتاوى ٥٣٢/١٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب العيدين باب الخطبة بعد العيد ١٩/٢ برقم ٩٦٥.

فينوي الذابح النوع الذي يقصده حتى يتميز كل نوع عن الآخر لقول الرسول ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى"(١).

۞ **وجوب التسمية عند الذبح:** يجب أن يقول عند الذبح: "باسم الله" ولا يجزىء غيرها، وإن نسي فلا يضرّه، وهو مذهب الجمهور(٢).

فهذه التسمية ذكر مبارك، فيبدأ به الذابح متبركاً باسم الله ومستعيناً بالربّ على أداء هذه العبادة فلا حول ولا قوة إلا بالله قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ﴾[الحج: ٣٦]. أي قولوا بسم الله عند نحرها. فالذابح يذبح باسم الله لا باسم غيره كاسم نبي أو شيطان أو ولي من الأولياء حيّاً كان أو ميّتاً بل يذكر اسم الله كما أُمر .

أقسام الذبح(٣):

١/ ذبح الشرك: كمن يذبح لغير الله قصداً ولفظاً.

٢/ الذبح المحرم: كمن يذبح عند قدوم أمير من الأمراء بحضرته.

٣/ الذبح الواجب: كذبح الهدي والنذر.

٤/ الذبح المندوب: كذبح الأضحية والعقيقة على الصحيح من قولي العلماء.

٥/ الذبح المباح: كالذبح لأجل الأكل.

---

(١) سبق تخريجه ص ٤٤٢.

(٢) انظر المغني لابن قدامة ١٣/٣٩٠.

(٣) انظر القول المفيد للإمام العثيمين ٢١٤/١ والتمهيد للشيخ صالح آل الشيخ ص ١٣٩.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب الذبح.

١٢٨- عن أبي الطفيل عامر بن واثلة[١] قال: "كنت عند علي بن أبي طالب ﷺ، فأتاه رجل فقال: ما كان النبيّ ﷺ يُسِّر إليك؟ قال: فغضب وقال: "ما كان النبيّ ﷺيسّر إليّ شيئاً يكتمه الناس، غير أنه قد حدثني بكلمات أربع"، قال: فقال: ما هنّ يا أمير المؤمنين؟ قال: قال: "لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غيَّر منار الأرض"[٢].

فهنا يروي أمير المؤمنين ﷺ حديثاً عظيماً عن الرسول ﷺ ليعلّم الناس أن الذبح عبادة يجب الإخلاص لله فيها، وأن من أشرك مع الله غيره في هذا العمل فهو متوعَّد باللعن. ففي هذا الموقف تحقيق لحماية التوحيد ببيان النهي عن الذبح لغير الله وخطورته وسوء عاقبته على صاحبه كالطرد والإبعاد عن رحمة الله سبحانه وتعالى.

قال النووي رحمه الله: "وأما الذبح لغير الله فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى كمن ذبح للصنم أو الصليب أو لموسى أو لعيسى صلى الله عليهما أو للكعبة ونحو ذلك، فكل هذا حرام، ولا تحلّ هذه الذبيحة، سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً، نص عليه الشافعي، واتفق عليه أصحابنا، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالى والعبادة له كان ذلك كفراً، فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتدّاً"[٣].

---

(١) أبو الطفيل عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمير الليثي، كان أبو الطفيل ثقة فيما ينقله، صادقا، عالما، شاعرا، فارسا، عمر دهرا طويلا، وشهد مع علي حروبه، أقام في مكة، وتوفي عام ١٠٠هـ. انظر السير للذهبي ٤٦٧/٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الأضاحي باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله ١٥٦٧/٣ برقم ١٩٧٨ قال: "حدثنا زهير بن حرب وسريج بن يونس كلاهما عن مروان قال زهير حدثنا مروان بن معاوية الفزاري حدثنا منصور بن حيان حدثنا أبو الطفيل عامر بن واثلة قال: كنت عند علي بن أبي طالب. . . الأثر".

(٣) شرح صحيح مسلم ١٤١/١٣.

١٢٩- عن الجارود[(١)] يقول: "كان رجل من بني رياح[(٢)] يقال له: ابن وثيل[(٣)] - وكان شاعراً- أتى الفرزدق[(٤)] بماء بظهر الكوفة على أن يعقر هذا مائة من الإبل وهذا مائة من إبله إذا وردت الماء، فلما وردت الإبل قاما إليها بالسيوف يكسعان عراقيبها، فخرج الناس على الحمرات والبغال يريدون اللحم، وعلي بن أبي طالب ﷺ بالكوفة فخرج على بغلة رسول اللّه ﷺ البيضاء وهو ينادي: يا أيها الناس، لا تأكلوا من لحومها؟ فإنه أُهلّ لغير اللّه"[(٥)].

ففي هذا الأثر العظيم نهي علي بن أبي طالب ﷺ الناس عن عقائر الأعراب والشعراء لأنها من صور الذبح التي تدخل فيما أُهلّ به لغير الله.

والعقائر: جمع عقر، عرّفها الإمام الخطابي رحمه الله: "بأن يتبارى الرجلان كل واحد منهما يجاود صاحبه فيعقر هذا عدداً من إبله ويعقر صاحبه فأيهما كان أكثر عقراً غلب صاحبه ونفره. كره أكل لحومها لئلا تكون مما أهلّ به لغير الله، وفي معناه ما جرت به عادة الناس من ذبح الحيوان بحضرة الملوك والرؤساء عند قدومهم البلدان، وأوان حدوث نعمة تتجدد لهم في نحو ذلك من الأمور"[(٦)].

---

(١) الجارود بن أبي سبرة سالم بن سلمة الهذلي أبو نوفل البصري، توفي عام ١٢٠هـ. تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٥٢/٢.

(٢) سحيم بن وثيل الرياحي شاعر، كان رئيس قومه، عاش في الجاهلية أربعين وفي الإسلام ستين. انظر الإصابة لابن حجر ٥٨٠/٤.

(٣) هم بطن من تميم ينسب إلى رياح بن يربوع التميمي. انظر اللباب في تهذيب الأنساب ٤٦/٢.

(٤) الفرزدق أبو فراس، همام بن غالب بن صعصعة بن ناحية التميمي البصري، شاعر عصره، كان من أشراف بني تميم كان في الجاهلية يفتدي الموؤدات من بني تميم، توفي عام ١١٠هـ. انظر السير للذهبي ٥٩٠/٤.

(٥) رواه ابن حزم في المحلى ٩٤/٦ وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٥٠/٧٤ وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ١٣/٢ قال: "قال ابن أبي حاتم أيضاً: حدثنا أبي حدثنا أحمد بن يونس حدثنا ربعي عن عبد الله قال: سمعت الجارود بن أبي سبرة قال. . . الأثر". قال الشيخ مشهور آل سلمان: "إسناده صحيح" انظر تعليقه في عون المعبود لشمس الحق العظيم آبادي ٢٨٢/٤.

(٦) معالم السنن ٢٧٨/٤.

وقال ابن الأثير: "هو عقرهم الإبل كان يتبارى الرجلان في الجود والسّخاء فيعقر هذا إبلاً ويعقر هذا إبلاً حتى يعجّز أحدهما الآخر وكانوا يفعلونه رياءً وسمعة وتفاخراً ولا يقصدون به وجه اللّه فشبّهه بما ذبح لغير اللّه"(١).

وقد نهى رسول الله عنها كما في حديث أنس ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا عقر في الإسلام"(٢).

وكذلك مما يدل على تحريم ذبائح المتبارين حديث ابن عباس ﷺ أنه قال: "إن رسول الله ﷺ نهى عن طعام المتباريَيْن أن يؤكل"(٣). ورُوي عن النبيّ ﷺ أنه قال: "لا تأكلوا من تعاقر الأعراب فإني لا آمن أن يكون أهلّ لغير الله"(٤).

فعلي ﷺ نهى عن أكل هذه اللحوم لأنها من ذبائح المتفاخرين المتبارين، فأنكر على الناس أكل ما أهلّ لغير الله حماية للتوحيد.

١٣٠- عن زيد بن وهب قال: غزونا أذربيجان في إمارة عمر وفينا يومئذ الزبير بن العوام، فجاءنا كتاب عمر: "بلغني أنكم في أرض يخالط طعامها الميّتة، ولباسها الميّتة، فلا تأكلوا إلا ما كان ذكياً، ولا تلبسوا إلا ما كان ذكياً"(٥).

---

(١) النهاية ٢/٢٣٤.

(٢) رواه أبو داود في سننه في كتاب الجنائز باب كراهية الذبح عند القبر ص ٥٨٠ ٣٢٢٢. قال الشيخ الألباني: "صحيح".

(٣) رواه أبو داود في سننه في كتاب الأطعمة باب في طعام المتباريين ص ٦٧٥ برقم ٣٧٥٤. صححه الشيخ الألباني.

(٤) رواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان ٢/٢١٠ قال: "حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن الفضل، ثنا محمد بن إبراهيم بن نصر بن شبيب، ثنا هارون بن عبد الله الحمال، ثنا حماد بن مسعدة، عن عوف، عن أبي ريحانة، عن ابن عباس، عن النبيّ...". قال ابن أبي حاتم في علل الحديث: "قال أبي: هذا مرفوع باطل، إنما هو ابن عباس قوله" ٢/٢٥٩.

(٥) رواه بن سعد في الطبقات ٦/١٠٢ قال: "أخبرنا الفضل بن دكين، قال: حدثنا ابن أبي غنية، عن الحكم، عن زيد بن وهب، قال:...الأثر". قال عبد السلام بن عبد المحسن آل عيسى: "صحيح". انظر دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب ٢/١٠١٩.

.

١٣١- عن عبد الله بن الخليل[(١)] عن علي رضي الله عنه قال: "لا بأس بأكل جبن المجوس[(٢)] إنما نهي عن ذبائحهم"[(٣)].

فهذان الأثران فيهما حرص الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم على أن تكون اللحوم التي يتناولها الناس مما أهلّ لله عز وجل، ولا تشوبها شائبة حرام، خصوصاً بعد تفرّق المسلمين في البلاد وانفتاحهم عليها كبلاد فارس والروم وغير ذلك من البلاد المجاورة لها التي تكثر فيها الشرك بالله، فبيّنوا لهم ما يحلّ لهم من الأطعمة، وكل ذلك تعظيماً وتحقيقاً للتوحيد وحمايته.

(١) عبد الله بن الخليل بن أبي الخليل الحضرمي الكوفي. انظر الثقات لابن حبان ٢٩/٥.

(٢) المجوس كلمة فارسية تطلق على أتباع الديانة المجوسية التي تقول بإلهين اثنين، أحدهما إله للخير والآخر إله للشر. انظر الملل والنحل للشهرستاني ص ٢٥٧.

(٣) رواه الدارقطني في سننه ٥٣٤/٥ والبيهقي في سننه ٢٨٥/٩. قال الدارقطني: "حدثنا الحسين بن إسماعيل القاضي حدثنا محمد بن عبد الرحيم صاعقة حدثنا طلق بن غنام حدثنا يحي بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن عبد الله بن الخليل عن علي...الأثر".

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

حمى الخلفاء الراشدون ﷺ جناب التوحيد أشدّ الحماية وقطعوا الطرق الموصلة إلى الشرك، فحذّروا وأنذروا، ومن ذلك منافحة التوحيد في باب الذبح، وقد كان لهذه الجهود العظيمة آثار على الأمة، أجلّها ما يلي:

١/ بيان الخلفاء الراشدين ﷺ للأمة وجوب إفراد الله بالذبح، فوضّحوا للمؤمنين تحريم صرف هذه العبادة العظيمة لغير الله بحال من الأحوال، لا لملك مقرّب ولا لنبيّ مرسل ولا لوليّ حيًّا كان أو ميّتاً، فكيف بمن يذبح لصنم أو جن أو ساحر أو كاهن؟! ففي هذه الجهود المباركة تحذير الأمة من الذبح لغير الله وبيان سوء عاقبته على صاحبه كاللعن، فلا يجوز الذبح لغير الله فمن تقرَّب بالذبح إلى غير الله فهو مطرود من رحمة الله.

والأمة الإسلامية اليوم بأمسّ الحاجة إلى معرفة هذا الموضوع، فهو في غاية الأهمية، لأن صور الذبح لغير الله قد تنوّعت في هذه العصور الأخيرة وما أكثرها، ويظنّ البعض أنه يسوغ الذبح لغير الله إن كانت الغاية منه تحقيق مصلحة كشفاء المريض الذي عجز الأطباء عن شفائه أو إخراج الجنّي المتلبّس منه أو غير ذلك من الأسباب التي من أجلها يذهب الناس إلى الكهّان والعرّافين والسحرة، فيطلبون منهم الذبح بصفة مميّزة كأن تكون الذبيحة بلون معيّن سوداء أو نحو ذلك، ويحصل الذبح نفسه في مكان أو زمان محدّد كغروب الشمس أو طلوعها وغير ذلك(١). ولا شكّ أن كلّ هذا من الشرك بالله الذي لا يغفره الله لصاحبه إذا مات عليه، وهذا الشرك ناتج عن عقيدة فاسدة وجهل عظيم بأصول الدين، ولهذا يجب تعلّم وتعليم هذه المسائل كما فعله الخلفاء الراشدون ﷺ تحقيقاً لحماية التوحيد.

٢/ توضيح للأمة أن العقائر وما يُلحق بها داخل فيما أُهلّ لغير الله به، فلا يجوز أكل لحوم ما ذُبح لأجل التفاخر والرياء والسمعة كما بيّن ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بقوله: "يا أيها الناس، لا تأكلوا من لحومها؟ فإنه أهلّ لغير اللّه"(٢).

---

(١) انظر المسائل العقدية المتعلقة بالذبائح لشيخنا محمد بن عبد الوهاب العقيل (مجلة الدراسات العقدية) ٦/٢٢٨.

(٢) سبق تخريجه ص ٤٨٥.

وقد كان لموقف علي بن أبي طالب ﷺ أثر بليغ في الاستدلال وتقرير العلماء هذه المسألة ومن ذلك:

- قول الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى في المحلى: "لا يحلّ أكل ما ذبح أو نحر فخراً أو مباهاة لقول الله تعالى: ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤٥] وهذا مما أهلّ لغير الله به" ثم استدل بأثر علي ﷺ وقال: "وعن عكرمة لا تؤكل ذبيحة ذبحها الشعراء فخراً ورياءً، ولا ما ذبحه الأعراب على قبورهم، ولا يعلم لعلي ﷺ في هذا مخالف من الصحابة ﷺ. وكل ما في هذا الباب فهو برهان على صحة قولنا في الباب الذي قبله من تحريم ذبيحة السارق، والغاصب، والمتعدي لأن هؤلاء بلا شكّ ممن ذبح لغير الله ﷻ، وذبائحهم ونحائرهم ممن أهلّ لغير الله تعالى به بيقين، إذ لا يجوز ألبتة أن يعصي أحد يريد بذلك وجه الله تعالى وهؤلاء عصاة لله تعالى بلا شكّ، مخالفون لأمره في ذلك الذبح نفسه، وفي ذلك العقر نفسه"(١).

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم تعليقاً على قول علي ﷺ: "فهؤلاء الصحابة قد فسّروا ما قصد بذبحه غير الله، داخلاً فيما أهلّ به لغير الله، فعلمت أن الآية(٢) لم يقتصر بها على اللفظ باسم غير الله، بل ما قصد به التقرب إلى غير الله فهو كذلك، وكذلك تفاسير التابعين على أن ما ذبح على النصب هو ما ذبح لغير الله"(٣).

- وقال الإمام ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣]: "أي: ما ذبح فذكر عليه اسم غير الله فهو حرام، لأن الله أوجب أن تذبح مخلوقاته على اسمه العظيم، فمتى عُدِل بها عن ذلك وذكر عليها اسم غيره من صنم أو طاغوت أو وثن أو غير ذلك من سائر المخلوقات، فإنها حرام بالإجماع. وإنما اختلف العلماء في المتروك التسمية عليه، إما عمدًا أو نسياناً" ثم أورد الإمام ابن كثير أثر علي..."(٤).

---

(١) المحلى ٦/٩٤.

(٢) أي: قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣].

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٧١.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٢/١٣.

- وأورد الحافظ ابن حجر رحمه الله أثر علي رضي الله عنه في المطالب العالية تحت: "باب النهي عن أكل الطعام الذي يصنع للمباهاة"[(١)].

ويظهر من خلال هذه النصوص أن الذبح فيه أمران مهمّان ينبغي التنبيه عليهما:

الأول: أن التسمية عند الذبح هي تبرّك واستعانة باسم الله، فيبدأ بها الذابح متبرّكاً باسم الله ومستعيناً بالربّ على أداء هذه العبادة فلا حول ولا قوة إلا بالله.

الثاني: النية وهي أن يقصد الذابح بذبحه التقرب إلى الله، تحقيق العبودية لله.

وعلى هذا فتكون أحوال الذبح أربعة[(٢)]:

- أن يذبح باسم الله لله، أي: متبرّكاً ومستعيناً باسم الله مع النية لله، يقصد بهذا الذبح التقرب إلى الله فهذا هو التوحيد.

- أن يذبح باسم الله لغير الله، أي: متبرّكاً ومستعيناً باسم الله مع النية لغير الله كمن يقول: باسم الله وهو يريد بهذا الذبح تعظيم مدفون أو تعظيم سلطان أو التقرب إلى شيطان أو الرياء والتفاخر كما في أثر علي مع الشاعرين، وهذا شرك في العبادة[(٣)].

- أن يذبح باسم غير الله لغير الله، أي: متبرّكاً ومستعيناً باسم غير الله مع النية لغير الله كمن يقول: باسم المسيح عيسى مع النية لعيسى عليه السلام، يريد التقرب إليه. وهذا شرك مرتين: شرك في الاستعانة، وشرك في العبادة.

- أن يذبح بغير اسم الله ويجعل الذبيحة لله، أي: متبرّكاً ومستعيناً باسم غير الله مع النية لله فهذا شرك في الربوبيّة[(٤)]، وهذا نادر الوقوع.

٣/ في حديث الرسول ﷺ: "لعن الله من ذبح لغير الله" الذي رواه علي بن أبي طالب ردٌّ على الرافضة في أمرين:

---

(١) المطالب العالية لابن حجر ١٠/٦٢٠.

(٢) انظر التمهيد الشيخ صالح آل الشيخ ص ١٣٩.

(٣) لم يصف بعض أهل العلم الذبح عند قدوم سلطان أو أمير بأنه شرك وإنما قالوا: حرام. انظر التمهيد الشيخ صالح آل الشيخ ص ١٤١.

(٤) وهو في الحقيقة راجع إلى الشرك في الاستعانة والشرك في العبادة.

الأول: فيه إبطال لما ذهبوا إليه من جواز الذبح للقبور وبراءة علي بن أبي طالب ﵁ من فعلهم هذا إذ هو الذي يروي هذا الحديث تعليماً للناس وحماية للتوحيد، فكيف يرضى أن يُذبح لغير الله مع علمه أن فاعله ملعون؟!

مع العلم أن علي بن أبي طالب ﵁ كان ينهى عن أكل جميع ما أهلّ لغير الله به تعظيماً للتوحيد سواء كان الذابح مسلماً أو من أهل الكتاب أو من الأديان الأخرى كالمجوسية ولهذا قال: "لا بأس بأكل جبن المجوس إنما نهي عن ذبائحهم"(١).

الثاني: إبطال زعمهم باختصاص علي ﵁ بعلم عن سائر الصحابة، ولذلك لما قيل لعلي ﵁ ذلك غضب، فليت شعري ما موقف علي ﵁ إذا سمع ما يعتقده فيه الرافضة في هذه الأيام من غلو وصل إلى درجة الشرك في الربوبيّة والألوهية -والعياذ بالله-، ولا شكّ أنه ﵁ بريء منهم، ولذلك حرّق من حرّق منهم بالنار(٢) في القصة المشهورة(٣).

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤٨٧.

(٢) سيأتي ذكرها في باب الغلو إن شاء الله.

(٣) انظر المسائل العقدية المتعلقة بالذبائح لشيخنا محمد بن عبد الوهاب العقيل (مجلة الدراسات العقدية) ٦/١٧٤.

المبحث التاسع:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في باب طاعة الله ورسوله والتحاكم إليهما .

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالحكم وما يتعلّق به .

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب طاعة الله ورسوله والتحاكم إليهما .

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المطلب الأول: التعريف بالحكم وما يتعلّق به.

الحكم لغة: القضاء والفصل لمنع العدوان، ومنه قول الله تعالى ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾[النساء: ١٠٥]، وقوله تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ص: ٢٦].

قال ابن فارس: "الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع. وأوّل ذلك الحكم، وهو المنع من الظّلم. وسمّيت حكمة الدابّة لأنها تمنعها يقال حكمت الدابة وأحكمتها. ويقال: حكمت السّفيهَ وأحكمته، إذا أخذت على يديه. وتقول: حكّمت فلاناً تحكيماً منعته عمّا يريد"(١).

الحكم في الشرع: هو ما قضى الله به، وهو نوعان(٢):

الأول: الحكم الكوني: هو حكم متعلّق بالتدبير الكوني، فلابد من وقوعه لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ودليله قوله تعالى: عن أحد إخوة يوسف: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى﴾[يوسف: ٨٠].

الثاني: الحكم الشرعي: هو حكم متعلّق بالتدبير الشرعي الديني، ودليله قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾[الممتحنة: ١٠] فالحكم الشرعي هو ما يريده الله من المكلّفين من فعل الأوامر كالتوحيد والإيمان والصلاة والجهاد وترك النواهي كالشرك والكفر والمعاصي والفسق وغير ذلك مما جاء في الكتاب والسنة، وهذا الحكم مرتبط باختيار الإنسان فهو مسؤول عنه، يترتّب عليه ثواب أو عقاب.

وحقيقة طاعة الله ورسوله ﷺ تكون بتطبيق جميع الأحكام الشرعية وتنفيذها، ولهذا يجب تحكيم كتاب الله وسنة الرسول في جميع النواحي: الدينية والاقتصادية الاجتماعية والدعوية وغيرها، بين الجماعات والأفراد، فلا يُقتصر على جهات دون أخرى بل يكون التحاكم بالشرع في جميع شؤون الحياة، كما نوحّد الله بالخلق والملك والتدبير نوحّده بالحكم، فلا حكم إلا حكم الله قال الله تعالى: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢] وقال الله: ﴿إِنِ

---

(١) مقاييس اللغة ٩١/٢.

(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤١٢/٢ و٢٤/١٠ وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٦٧٨/٢.

﴿ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام: ٥٧] وقال الله: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤] فالله هو الذي يأمر وينهى في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، فما أحلّه الله فهو حلال وما حرّمه الله فهو حرام، وليس لأحد نصيب في ذلك.

فالتحاكم إلى ما أنزل الله يعدّ من التوحيد لأنّ من معنى لا إله إلا الله ومقتضاها ومدلولها: التحاكم إلى كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، وفي المقابل التحاكم إلى غيره من أنواع الشرك. فمن تحاكم إلى غير كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ فإنّه قد أخلّ بكلمة التوحيد ومقتضى لا إله إلا الله، محمد رسول الله. ولهذا وجب أن نتحاكم إلى كتاب الله وإلى سنّة رسول الله ﷺ في جميع شؤون حياتنا، فلا حكم إلا حكم الله.

وقد دلت النصوص الشرعية على وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ والتحاكم إليهما، ومن ذلك قول الله تعالى في سورة النساء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

فهذه الآية البيّنة صريحة في وجوب طاعة الله ورسوله والتحاكم إليهما، قال الإمام السعدي رحمه الله: "أمر الله برد كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه إلى الله وإلى رسوله أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإن فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية، إما بصريحهما أو عمومهما، أو إيماء، أو تنبيه، أو مفهوم، أو عموم معنى يقاس عليه ما أشبهه، لأن كتاب الله وسنة رسوله عليهما بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما، فالرد إليهما شرط في الإيمان فلهذا قال: ﴿ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة، بل مؤمن بالطاغوت، كما ذكر في الآية بعدها ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الرد إلى الله ورسوله ﴿ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ فإن حكم الله ورسوله أحسن الأحكام وأعدلها وأصلحها للناس في أمر دينهم ودنياهم وعاقبتهم"(١).

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٨٣.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله ﷺ فهو كافر، فمن استحلّ أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر، فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم، بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم يُنزلها الله سبحانه وتعالى كسوالف البادية، وكأوامر المطاعين فيهم، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة، وهذا هو الكفر، فإن كثيراً من الناس أسلموا، ولكن مع هذا لا يحكمون إلا بالعادات الجارية لهم التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك، بل استحلّوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار وإلا كانوا جهالاً"(١).

وقال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: "أقسم تعالى في هذه الآية الكريمة بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكّم رسوله ﷺ في جميع الأمور، ثم ينقاد لما حكم به ظاهراً وباطناً ويسلمه تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة، وبين في آية أخرى أن قول المؤمنين محصور في هذا التسليم الكلي، والانقياد التام ظاهراً وباطناً لما حكم به ﷺ، وهي قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [النور: ٥١]"(٢).

فهذه الآيات البينات دلت دلالة واضحة على وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ والتحاكم إليهما، والنصوص في هذا المعنى كثيرة جداً، فلا يجوز بحال من الأحوال العدول عن حكم الله وما شرعه لعباده على لسان نبيّه ﷺ، بل سعادة العبد في التمسك بالكتاب والسنة وامتثال الأوامر وترك النواهي، فهذا هو الصراط المستقيم وسبيل النجاة، به يتحقق الإيمان.

---

(١) منهاج السنة ٨٣/٥.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢٤٦/١.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في باب طاعة الله ورسوله والتحاكم إليهما.

إن باب طاعة الله ورسوله ﷺ والتحاكم إليهما من أعظم أصول هذا الدين ومن أوجب الواجبات فلا يستقيم الإيمان إلا بهذا الأساس، ويدخل تحت هذا الباب معان ومقتضيات، كلّها متلازمة بعضها بعضاً لتحقيق طاعة الله ورسوله ﷺ والتحاكم إليهما، ومن أعظم هذه المعاني واللوازم وجوب الرجوع إلى كتاب الله وسنّة الرسول ﷺ والتمسّك بهما، فلابدّ من تقديم النقل على العقل في جميع الأمور، عند الخلاف والمنازعات، بين الجماعات والأفراد، كما أنه يلزم من ذلك ألّا تكون طاعة لمخلوق في معصية الخالق أي: لا يطاع العلماء ولا الأمراء في تحريم الحلال وتحليل الحرام، بهذا المسلك الربّاني والسير على هذا المنهج القويم يكون تحقيق التوحيد في باب الطاعة والتحكيم، وبناء على ذلك قسّمت جهود الخلفاء الراشدين ﭫ لحماية جناب التوحيد في باب طاعة الله ورسوله ﷺ والتحاكم إليهما على أربعة أقسام:

الأول: جهود الخلفاء الراشدين في حثّ الناس على التمسّك بالكتاب والسنة والرجوع إليهما.

الثاني: جهود الخلفاء الراشدين في حثّ الناس على التحاكم إلى الله ورسوله ﷺ.

الثالث: جهود الخلفاء الراشدين في تقرير قاعدة لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

الرابع: جهود الخلفاء الراشدين في حثّ الناس على تقديم النقل على العقل وذمّ الرأي.

الأول: جهود الخلفاء الراشدين في حثّ الناس على التمسّك بالكتاب والسنة والرجوع إليهما.

١٣٢- عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: "أن فاطمة ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: "لا نورث ما تركنا صدقة"، فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرة له حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر، فكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله ﷺ من خيبر وفدك[١] وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك، وقال: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ، فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي وعبّاس، وأما خيبر وفدك فأمسكهما عمر وقال: هما صدقة رسول الله ﷺ كانتا لحقوقه التي تعروه ونوائبه، وأمرهما إلى من ولي الأمر، قال: فهما على ذلك إلى اليوم"[٢].

فهذه الحادثة العظيمة تبيّن شدّة تمسّك أبي بكر رضي الله عنه بالسنّة وقوة ثباته على الحق وإن غضب أقرب الناس وأحبّهم إليه رضي الله عنه، فلا شكّ أن أبا بكر رضي الله عنه يحب آل البيت خصوصاً بنت النبيّ رضي الله عنها، ولكن الحق أحبّ إليه من كل أحد، فلا يمكن لأبي بكر ﷺ أن يترك سنّة سنّها الرسول ﷺ وأن يُرضي عبداً من عباد الله في سخط الله، بل تمسّك بما كان عليه الرسول ﷺ خشية أن يزيغ، فبهذا الموقف بيّن أبو بكر للرعية وجوب التمسّك بسنّة الرسول ﷺ.

---

(١) وفدك قرية بالحجاز، وهي من شرقي خيبر على واد يذهب سيله مشرقاً إلى وادي الرمة، تعرف اليوم بالحائط، أفاءها الله على رسوله ﷺ في سنة سبع صلحاً. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ٤/٢٣٨ ومعجم المعالم الجغرافية للبلادي ص ٣٦٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب فرض الخمس باب فرض الخمس ٤/٧٩ برقم ٣٠٩٣.

١٣٣- عن عبد الرحمن بن غنم[(١)] قال: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول: "ويل لديان الأرض من ديان السماء يوم يلقونه، إلا من أمر بالعدل، فقضى بالحق ولم يقض على هوى، ولا على قرابة ولا على رغبة ولا رهب، وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه"[(٢)].

١٣٤- عن أنس بن مالك أن عمر ﷺ قال: "إن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله ﷺ فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله له"[(٣)].

ففي هذا الأثر تذكير عمر بن الخطاب ﷺ الرعية بأهمية اتباع الكتاب والتمسّك به، وكان ذلك بعد وفاة الرسول ﷺ تلك المصيبة العظمى.

١٣٥- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "قدم عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر[(٤)] فنزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس بن حصن[(٥)]، وكان من النفر الذين يُدْنيهم عمر ﷺ، وكان القراء أصحاب مجلس عمر ﷺ ومشاورته كهولاً كانوا أو شبّاناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي هل لك وجه عند هذا الأمير فتستأذن لي عليه؟ قال سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس فاستأذن لعيينة، فلما دخل قال: يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجَزْل،

---

(١) عبد الرحمن بن غنم الأشعري الفقيه، الإمام، شيخ أهل فلسطين، كان مسلماً على عهد رسول الله ﷺ ولم يره ولم يفد عليه ولازم معاذ بن جبل، تفقه به عامة التابعين بالشام، وكان صادقا، فاضلا، كبير القدر مات ٧٨هـ يعرف بصاحب معاذ لملازمته له. انظر السير للذهبي ٤٥/٤ والاستيعاب لابن عبد البر ٨٥٠/٢.

(٢) رواه الدارمي في نقضه على المريسي ٥١٦/١ والذهبي في العلو ص ٧٨ قال: "حدثنا أبو مسهر حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن إسماعيل بن عبيد الله عن عبد الرحمن بن غنم. . . الأثر. قال الإمام الألباني: "إسناده صحيح" انظر مختصر العلو ص ١٠٣.

(٣) رواه ابن هشام في السيرة ٨٢/٦ وابن كثير في البداية ٢٦٩/٥ قال ابن هشام: "قال ابن اسحاق حدثني الزهري قال: حدثني أنس بن مالك. . . الأثر". قال ابن كثير: "إسناده صحيح"، وأصل الحديث في صحيح البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٩١/٩ برقم ٧٢٦٩.

(٤) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى، يكنى أبا مالك، صحابي جليل أسلم بعد الفتح وقيل قبل الفتح وشهد الفتح مسلما وهو من المؤلفة قلوبهم. الاستيعاب لابن عبد البر ١٢٤٩/٣.

(٥) الحر بن قيس بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ابن أخي عيينة ابن حصن كان أحد الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من فزارة مرجعه من تبوك. انظر الاستيعاب لابن عبد البر ٤٠٣/١.

وما تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر رضي الله عنه حتى همّ بأن يقع به فقال الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافاً عند كتاب الله"[١].

١٣٦- عن إبراهيم بن سعد حدثني أبي عن أبيه قال: قال عثمان رضي الله عنه: "إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجليّ في قيود فضعوهما"[٢].

١٣٧- عن علي رضي الله عنه أنه قال: "الزموا دينكم واهتدوا بهدى نبيّكم، واتبعوا سنّته، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه"[٣].

١٣٨- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر، وارغبوا فيما وعد المتّقون، فإن وعد الله أصدق الوعد، واقتدوا بهدي نبيّكم ﷺ فإنه أفضل الهدى، واستسنوا بسنّته فإنها أفضل السنن، وتعلّموا كتاب الله، فإنه أفضل الحديث، وتفقّهوا في الدين فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء لما في الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص، وإذا قرئ عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون، وإذا هديتم لعلمه فاعملوا بما علمتم به لعلكم تهتدون، من يطع الله يأمن ويستبشر، ومن يعص الله يخف ويندم، ثم سلوا الله اليقين وارغبوا إليه في العافية، وخير ما دام في القلب اليقين، إن عوازم الأمور أفضلها، وإن محدثاتها شرارها وكل محدث بدعة وكل محدث مبتدع، ومن ابتدع فقد ضيّع، وما أحدث محدِث بدعة إلا ترك بها سنة"[٤].

فالحاصل أن كل هذه الآثار دلت دلالة واضحة على حثّ الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم الرعية على التمسّك بالكتاب والسنة والرجوع إليهما، هكذا ربّى الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم الناس على هذا الأمر لأنه سبيل النجاة وبه يتحقق طاعة الله ورسوله ﷺ والتحاكم إليهما.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنة النبيّ ﷺ ٩/٩٤ برقم ٧٢٨٦.

(٢) تقدم تخريجه ص ٣١٥.

(٣) تقدم تخريجه ص ٣٣٠.

(٤) رواه ابن كثير في البداية والنهاية ٧/٣٤١.

ثم ليعلم المسلم أن الدافع إلى طاعة الرسول ﷺ والتحاكم إليه والتجريد لما جاء به وفعل أوامره وترك نواهيه هو محبته ﷺ، ولهذا كانت واجبة على كل من شهد أن محمّداً رسول الله، وقد رُوي عن الخلفاء الراشدين ﭫ ما يدلّ على شدّة محبتهم للنبيّ ﷺ فعن عبد الله بن هشام[١] أنه قال: "كنا مع النبيّ ﷺ وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبيّ ﷺ: "لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك" فقال له عمر ﭬ: "فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبيّ ﷺ: "الآن يا عمر"[٢].

وسئل علي بن أبي طالب ﭬ: كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال: "كان والله أحبّ إلينا من أموالنا و أولادنا وأبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ"[٣].

---

(١) عبد الله بن هشام بن زهرة بن عثمان بن عمرو بن كعب القرشي التيمي، وأمه زينب بنت حميد، ذهبت بن أمه إلى النبيّ ﷺ وهو صغير، فمسح رأسه، ودعا له، ولم يبايعه لصغره، سكن مصر. انظر الإصابة لابن حجر ٤٠٦/٦ وتهذيب الكمال للمزي ٢٤٩/١٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتال الإيمان والنذور باب كيف كانت يمين النبيّ ﷺ ١٢٩/٨برقم ٦٦٣٢.

(٣) الشفا للقاضي عياض ١٩/٢.

الثاني: جهود الخلفاء الراشدين في حثّ الناس على التحاكم إلى الله ورسوله ﷺ.

١٣٩- عن رافع[١] قال: "شهدت أبا بكر رضي الله عنه وهو على المنبر يقول: "من وُلِّي من أمر أمة محمد شيئاً فلم يقم فيهم كتاب الله فعليه لعنة الله. "[٢]

١٤٠- عن ميمون بن مهران[٣] قال: "كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي به قضى به بينهم، فإن لم يجد في الكتاب نظر هل كانت من النبيّ ﷺ فيه سنة، فإن علمها قضى بها، وإن لم يعلم خرج فسأل المسلمين فقال: أتاني كذا وكذا فنظرت في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ فلم أجد في ذلك شيئاً فهل تعلمون أن نبي الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء؟ فربما قام إليه الرهط فقالوا: نعم قضى فيه بكذا وكذا فيأخذ بقضاء رسول الله ﷺ. قال جعفر[٤]: وحدثني غير ميمون أن أبا بكر رضي الله عنه كان يقول عند ذلك: "الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبيّنا ﷺ"، وإن أعياه ذلك دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على الأمر قضى به. قال جعفر: وحدثني ميمون أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يفعل ذلك فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر هل كان لأبي بكر رضي الله عنه فيه قضاء، فإن وجد أبا بكر رضي الله عنه قد قضى فيه بقضاء قضى به وإلا دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم فإذا اجتمعوا على الأمر قضى بينهم"[٥].

---

(١) أبو الحسن رافع بن عمرو الطائي غزا مع عمرو بن العاص غزوة ذات السلاسل حين بعثه إليها رسول الله ﷺ فغزا مع عمرو هذه الغزاة وفيها صحب أبا بكر الصديق. انظر الإصابة لابن حجر ٩٠/٧.

(٢) رواه السيوطي في جامع الأحاديث للسيوطي ٧٦/٢٥ قال: "عن قيس بن أبي حازم عن رافع. . . الأثر".

(٣) الإمام العلامة الحافظ الفقيه، أبو الحسن عبد الملك بن عبد الحميد بن عبد الحميد بن شيخ الجزيرة ميمون بن مهران تلميذ الإمام أحمد، ومن كبار الأئمة توفي ٢٧٤هـ. انظر السير للذهبي ٩٠/١٣.

(٤) جعفر بن برقان الجزري مولى بني كلاب كنيته أبو عبد الله. انظر الثقات ١٣٦/٦.

(٥) رواه البيهقي في سننه ١١٤/١٠ قال: "أخبرنا الشريف أبو الفتح العمري أنبأ عبد الرحمن بن أبي شريح أنبأ أبو القاسم البغوي ثنا داود بن رشيد ثنا عمر بن أيوب ثنا جعفر بن برقان عن ميمون بن

١٤١- عن أبي بَرْزة[١] قال: "كنت عند أبي بكر رضي الله عنه فتغيظ على رجل فاشتدّ عليه فقلت: تأذن لي يا خليفة رسول الله ﷺ أضرب عنقه؟ قال: فأذهبت كلمتي غضبه، فقام فدخل فأرسل إليّ فقال: "ما الذى قلت آنفاً" قلت: ائذن لي أضرب عنقه. قال: "أكنتَ فاعلاً لو أمرتك" قلت: نعم. قال: "لا والله ما كانت لبشر بعد محمد ﷺ"[٢].

قوله: "فتغيظ على رجل" لأنه سبّ أبا بكر.

قوله: "فأذهبت كلمتي غضبه" هذا من قول أبي برزة أي: أن كلامي قد عظم عند أبي بكر حتى زال بسببه غضبه.

قوله: "لو أمرتك": أي بضرب عنقه[٣].

قال أبو داود: "قال أحمد بن حنبل: أي: لم يكن لأبي بكر أن يقتل رجلاً إلا بإحدى الثلاث التي قالها رسول الله ﷺ كفر بعد إيمان أو زنا بعد إحصان أو قتل نفس بغير نفس وكان للنبيّ ﷺ أن يقتل"[٤].

فهنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه لم يأمر أبا برزة بقتل ذلك الرجل السابّ لأنه رضي الله عنه علم أن هذا الحكم لا يمكن أن يُنفذ إلا إذا كان مبنياً على أساس، إما من الكتاب أو من السنّة، ومن المعلوم أن حكم سبّ أبي بكر ليس كحكم سبّ النبيّ الذي يوجب القتل، فلهذا لما سبّ هذا الرجل أبا بكر لم يأمر خليفة رسول الله بقتله، لم يكن عنده ما يسوغ له أن يفعل ذلك، فموقف أبي بكر هذا من غاية التجرد للحق والتحاكم إلى الله ورسوله ﷺ، فلم يقدّم غضبه أو عواطفه على الشرع كما هو حال لمن له هوى، لا يريد إلا أن ينتقم لنفسه وإن

مهران قال: كان أبو بكر. . . الأثر". قال الحافظ ابن حجر: "سنده صحيح" انظر فتح الباري ٣٤٢/١٣.

(١) نضلة بن عبيد الأسلمي أبو برزة مشهور بكنيته وهو صحابي جليل، أسلم قديما، وشهد فتح مكة وخيبر، نزل البصرة، وأقام مدة مع معاوية، توفي عام ٦٠هـ. انظر السير للذهبي ٤٠/٣.

(٢) رواه أبو داود في سننه في كتاب الحدود باب الحكم في من سب النبيّ ﷺ ص ٧٨٢ برقم ٤٣٦٣ وقال الشيخ الألباني: "صحيح". ورواه الحاكم في المستدرك ٣٩٤/٤ صححه ووافقه الذهبي.

(٣) انظر عون المعبود لمحمد العظيم آبادي ٣٨١/٦.

(٤) انظر سننه في كتاب الحدود باب الحكم في من سب النبيّ ﷺ ص ٧٨٢.

انتهكت محارم الله، بل حكّم أبو بكر رضي الله عنه الشريعة وامتثل بها، فهذا الموقف العظيم دليل على إخلاص أبي بكر رضي الله عنه وصدقه مع الله وحسن نيّته في الدين، وهو موعظة بليغة ودرس عظيم وتربية ربانية للرعية ولمن أراد أن يُفرد الله بالحكم، فليتأمل المسلم كيف امتنع الخليفة أبو بكر صاحب السلطان عن قتله وهو قادر على ذلك، ولكن لم يفعل طاعة لله ورسوله وتعظيماً للشرع الله وحماية للتوحيد قال الإمام البغوي رحمه الله معلّقاً على أثر أبي بكر رضي الله عنه: "فهذا يؤيد ما قلنا، وهو أن أحداً لا يجب طاعته في قتل مسلم إلا بعد أن يعلم أنه حق إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لا يأمر إلا بحق، ولا يحكم إلا بعدل"(١).

١٤٢- عن ابن عباس رضي الله عنه أن رجلاً من المنافقين يقال له بسر خاصم يهودياً، فدعاه اليهودي إلى التحاكم إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق إلى التحاكم إلى كعب بن الأشرف: ثم إنهما احتكما إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي، فلم يرض المنافق. وقال: تعال نتحاكم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال اليهودي لعمر رضي الله عنه: قضى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض المنافق بقضائه. فقال عمر للمنافق: أكذلك؟ قال: نعم. قال عمر رضي الله عنه: مكانكما حتى أخرج إليكما. فدخل عمر رضي الله عنه فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى برد -أي مات-. ثم قال: هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله تعالى وقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء: ٦٠] الآية"(٢).

ففي هذا الأثر إنكار شديد من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ذلك المنافق الذي أراد التحاكم إليه بعد ما حكم النبيّ صلى الله عليه وسلم عليه بحكم الله، ولا شكّ أن هذا التصرف مناف للتوحيد ومناقض له، ولهذا غضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى قتله، فلا حكم إلا حكم الله.

(١) شرح السنة للبغوي ١٠/٤٥.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن ٣/٩٩٤ والثعلبي في الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٣/٣٣٧ وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ١/٦٨١ قال الحافظ ابن حجر: "إسناد صحيح" انظر فتح الباري ٥/٣٧.

١٤٣- وعن مُحارب[(١)] عن عمر ﷺ أنه قال لرجل: "من أنت؟ ، قال: "قاضي دمشق. قال: كيف تقضي؟ ، قال: أقضي بكتاب الله، قال: فإذا جاءك ما ليس في كتاب الله؟ ، قال: أقضي بسنة رسول الله، قال: فإذا جاءك ما ليس في سنة رسول الله؟ ، قال: أجتهد رأيي[(٢)] وأوامر جلسائي، قال: أحسنت"[(٣)].

١٤٤- عن شريح[(٤)] أنه كتب إلى عمر ﷺ يسأله فكتب إليه أن اقض بما في كتاب الله، فإن لم يكن في كتاب الله فبسنّة رسول الله ﷺ، فإن لم يكن في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ، فاقض بما قضى به الصالحون، فإن لم يكن في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ولم يقض به الصالحون، فإن شئت فتقدّم وإن شئت فتأخّر، ولا أرى التأخّر إلا خيراً لك والسلام عليكم[(٥)].

١٤٥- عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: "رجم رسول الله ﷺ، ورجم أبو بكر، ورجمت، ولو لا أني أَكره أن أزيد في كتاب الله لكتبتُه في المصحف، فإني قد خشيت أن تجيء أقوام فلا يجدونه في كتاب الله فيكفُرون به. "[(٦)]

١٤٦- وفي رواية عن ابن عباس ﷺ عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: "إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، وإني خائف أن يطول بالناس زمان فيقول قائل: لا نجد الرجم في كتاب الله،

---

(١) محارب بن دثار السدوسي قاضى الكوفة كنيته أبو المطرف كان فقيها فاضلا، حسن السيرة، زاهدا شجاعا، توفي ١١٠هـ. انظر الثقات لابن حبان ٤٥٢/٥ والسير للذهبي ٢١٧/٥.

(٢) هذا محمول على الرأي السديد المبني على العلم، سيأتي الكلام على الرأي إن شاء الله.

(٣) رواه ابن أبي شيبة (جزء من الأثر) في مصنفه ٧٤/١١ وابن مبرد في محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ٥١٦/٢.

(٤) القاضي الفقيه أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، يقال إنه من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن، قاضي الكوفة، توفي عام ٨٠هـ. انظر السير للذهبي ١٠٠/٤.

(٥) رواه النسائي في سننه في كتاب آدب القضاة باب الحكم باتفاق أهل العلم ص ٨١١ برقم ٥٣٩٩. قال الإمام الألباني: "صحيح الإسناد موقوف".

(٦) رواه الترمذي في سننه في كتاب الحدود باب ما جاء في تحقيق الرجم ص ٣٣٨ برقم ١٤٣١. قال الألباني: "صحيح".

فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، ألا وإن الرجم حق على من زنى إذا أحصن، وقامت البينة، أو كان حملٌ أو اعتراف"[١].

ففي هذا الموقف العظيم أكّد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على ثبوت حكم الرجم، فأراد عمر رضي الله عنه في بداية الأمر أن يثبت آية الرجم[٢] كما نزلت حتى لا يدّعي مدّع أن حكم الرجم ليس في كتاب الله فيضلّ ويُضلّ الناس، ولكن بعد التأمّل والنظر إلى المصالح والمفاسد عدل عن ذلك خشية الفتنة وأن يقال إن أمير المؤمنين زاد في كتاب الله فيفتح باب الشر. وبهذا علّم عمر رضي الله عنه الرعية أن حكم الرجم باق إلى يوم القيامة.

قال النووي رحمه الله: "أراد بآية الرجم: ﴿الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة﴾، وهذا مما نسخ لفظه وبقي حكمه، وقد وقع نسخ حكم دون اللفظ، وقد وقع نسخهما جميعاً، فما نُسخ لفظه ليس له حكم القرآن في تحريمه على الجنب ونحو ذلك، وفي ترك الصحابه كتابة هذه الآية دلالة ظاهرة أن المنسوخ لا يُكتب في المصحف، وفي إعلان عمر بالرجم وهو على المنبر وسكوت الصحابة وغيرهم من الحاضرين عن مخالفته بالإنكار دليل على ثبوت الرجم"[٣].

فالحاصل أن كل هذه الآثار دلت بكل وضوح على شدّة تمسّك الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم بالكتاب والسنّة ووقوفهم على حدود الله وعدم العدول عن حكم الله، فأمر الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم الناس بالرجوع إلى الكتاب والسنة والتحاكم إليهما في جميع الحالات، في النزاع والقضاء بين الجماعات والأفراد، فألزموا الرعية بإقامة الحدود وفقاً لشرع الله لأن التحاكم إلى ما أنزل الله باب من أبواب التوحيد، أما التحاكم إلى غير الشرع فهو شرك بالله وكفر، ولهذا اهتمّ واعتنى الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم بهذا الأمر عناية فائقة، وأنكروا وحذّروا من التحكيم إلى غير كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم تحقيقاً للتوحيد وحماية له.

---

(١) المصدر نفسه في كتاب الحدود باب ما جاء في تحقيق الرجم ص ٣٣٨ برقم ١٤٣٢. قال الألباني: "صحيح". ورواه الآجري في الشريعة بغير هذا اللفظ ١١٩٢/٣.

(٢) أي: قول الله تعالى: ﴿الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة﴾ فهي آية منسوخة تلاوةً لا حكماً.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٩٢/١١.

الثالث: جهود الخلفاء الراشدين في تقرير قاعدة لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

١٤٧- عن أنس بن مالك أن أبا بكر قال على المنبر لما بويع: "أيها الناس فإني قد ولّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني. الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف منكم قوي عندي حتى أُزيح علته إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله ﷻ. لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله ﷻ إلا ضربهم بالذلّ، ولا يشيع قوم قط الفاحشة إلا عمّهم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله"(١).

فهذه خطبة أبي بكر بعد البيعة العامة التي تمت له، وإن كانت موجزة فهي عظيمة الدلالة، بيّن فيها بعض القواعد والأصول في التعامل بين الحاكم والمحكوم، ومن أهمّها أن طاعة الخليفة مقيَّدة بطاعة الله ورسوله ﷺ فإن أمر بمعصية الله فلا طاعة له عليهم.

فأبو بكر الصديق ﷺ قرّر بهذه الخطبة قاعدة لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فقيّد طاعة الخليفة بطاعة الله ورسوله ﷺ، وهذا من تمام الحماية للتوحيد في باب الطاعة.

١٤٨- عن ابن العفيف(٢) قال: رأيت أبا بكر وهو يبايع الناس بعد رسول الله ﷺ فيجتمع إليه العصابة فيقول: "تبايعوني على السمع والطاعة لله ولكتابه ثم للأمير. فيقولون نعم"(٣).

١٤٩- عن الشعبي أنه قال: "لما ولّي عمر بن الخطاب ﷺ صعد المنبر فقال: اقرؤوا القرآن تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزيّنوا للعرض

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٣٣٦/١١ وابن هشام في السيرة ٨٢/٦ وابن كثير في البداية ٢٦٩/٥ وقال: "إسناده صحيح"، وأصل الحديث في صحيح البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٩١/٩ برقم ٧٢٦٩.

(٢) بن العفيف جزري تابعي ثقة من كبار التابعين. انظر الثقات للعجلي ٤٤٢/٢.

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى ١٤٦/٨ قال: "أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد بن أبي عمرو قالا: حدثنا أبو العباس: محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن جعفر بن برقان عن ثابت بن الحجاج حدثني ابن العفيف. . . الأثر".

الأكبر يوم تعرضون على الله ﷻ ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨] إنه لم يبلغ حقٌّ ذي حقّ أن يطاع في معصية الله"(١).

١٥٠- عن سويد بن غفلة(٢) أن عمر بن الخطاب ﷺ قال له: "إنك لعلك أن تخلف بعدي، فأطع الأمير وإن كان عبداً مجدَّعاً(٣)، إن ظلمك فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن أرادك على أمر ينقض دينك فقل دمي دون ديني"(٤).

قال الإمام الآجري رحمه الله معلّقاً على هذا الأثر العظيم: "فإن قال قائل: إيش الذي يحتمل عندك قول عمر ﷺ فيما قاله؟ قيل له: يحتمل والله أعلم أن نقول: من أمِّر عليك من عربي أو غيره أسود أو أبيض أو عجمي فأطعه فيما ليس لله فيه معصية، وإن حرّمك حقّاً لك، أو ضربك ظلماً لك، أو انتهك عرضك، أو أخذ مالك، فلا يحملك ذلك على أن تخرج عليه بسيفك حتى تقاتله، ولا تخرج مع خارجي يقاتله، ولا تحرّض غيرك على الخروج عليه، ولكن اصبر عليه، وقد يحتمل أن يدعوك إلى منقصة في دينك من غير هذه الجهة يحتمل أن يأمرك بقتل من لا يستحق القتل، أو بقطع عضو من لا يستحق ذلك، أو بضرب من لا يحلّ ضربه، أو بأخذ مال من لا يستحق أن تأخذ ماله، أو بظلم من لا يحلّ له ولا لك ظلمه، فلا يسعك أن تطيعه، فإن قال لك: لئن لم تفعل ما آمرك به وإلا قتلتك أو

---

(١) رواه أحمد الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ١١٣/٤ قال: "نا محمد بن إسحاق المسوحي، نا الحماني، عن مجالد، عن الشعبي قال: لما ولي عمر. . . الأثر".

(٢) سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر، الإمام، القدوة، أبو أميد الجعفي الكوفي، قيل: له صحبة، ولم يصح، شهد اليرموك، توفي عام ٨٢هـ. انظر السير للذهبي ٦٩/٤.

(٣) مجدع: مقطَّع الأعضاء. انظر النهاية لابن الأثير ٢٤٣/٢.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥٤٤/١٢ والآجري في الشريعة ٣٨٠/١ وابن بطة في الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص ٩٤، قال ابن أبي شيبة: "حدثنا وكيع قال: حدثنا سفيان عن إبراهيم بن عبد الأعلى عن سويد بن غفلة. . . الأثر". قال محقق كتاب الإبانة: "صحيح"، وجاء في السنة بما يشهد له ومن ذلك: ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي ذر أنه قال: "إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبدا مجدع الأطراف" (كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء ١٤٦٧/٣ برقم ١٨٣٧).

ضربتك، فقل: دمي دون ديني لقول النبيّ ﷺ: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﷻ"(١) ولقوله ﷺ: "إنما الطاعة في المعروف"(٢)"(٣).

١٥١- عن ربيعة بن ناجد(٤) عن علي أنه قال: "ألا وإنه يهلك فيّ اثنان: محبٌّ يقرظني بما ليس فيّ، ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني، ألا إني لست بنبيّ ولا يوحى إليّ، ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ما استطعت، فما أمرتكم من طاعة الله فحق عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم"(٥).

فهنا يذكّر علي بن أبي طالب رضي الله عنه العباد بوجوب التحكيم بما أنزل الله ويأمر الرعية أن يطيعوه في المعروف فيما أحبّوا أو كرهوا إلا أن يأمر بمعصية الله فلا طاعة له عليهم، وهذا ما دل عليه مفهوم المخالفة من كلامه رضي الله عنه.

١٥٢- عن مصعب بن سعد قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "كلمات أصاب فيهن: حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله وأن يؤدّي الأمانة، فإذا فعل ذلك كان حقّاً على المسلمين أن يسمعوا ويطيعوا ويجيبوا إذا دعوا"(٦).

---

(١) رواه أحمد في مسنده ١٣١/١ قال محقق الكتاب الشيخ شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ١٤٦٩/٣ برقم ١٨٤٠.

(٣) كتاب الشريعة ٣٧٣/١.

(٤) ربيعة بن ناجد الأسدي ويقال الأزدي. انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤٧٣/٣.

(٥) رواه أحمد في مسنده ٤٦٨/٢ وعبد الله في السنة ٥٤٤/٢ والحاكم في المستدرك ١٣٢/٣. قال أحمد: "حدثنا عبد الله، حدثني أبو محمد سفيان بن وكيع بن الجراح بن مليح، حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا أبو غيلان الشيباني، عن الحكم بن عبد الملك، عن الحارث بن حصيرة، عن أبي صادق، عن ربيعة بن ناجد، عن علي بن أبي طالب. . . الأثر". قال الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند: "إسناده حسن" ١٦٧/٢.

(٦) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢١٣/١٢ والخلال في السنة ١٠٩/١ قال: "أخبرنا محمد قال أنبأ وكيع عن ابن أبي خالد قال سمعت مصعب ابن سعد قال: قال علي. . . الأثر".

فكل هذه الآثار تدل على أن الخلفاء الراشدين قرّروا في خلافتهم قاعدة لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فالإسلام يأمر بطاعة أولي الأمر والعلماء ما لم يأمروا بفعل محرّم أو ترك واجب، فطاعتهم تكون في المعروف فقط(١).

(١) سيأتي بيان ذلك إن شاء الله.

الرابع: جهود الخلفاء الراشدين في حثّ الناس على تقديم النقل على العقل وذم الرأي.

١٥٣- عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر سئل عن ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس: ٣١] فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم"(١).

١٥٤- عن الشعبي أن أبا بكر ﷺ: "قال في الكلالة أقول فيها برأيي فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فمنّي ومن الشيطان"(٢).

١٥٥- عن عبد الله بن هانئ قال: قال عمر ﷺ: "القرآن كلام الله فلا تصرفوه على أرائكم"(٣).

١٥٦- عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: "يا أيها الناس اتّهموا الرأي على الدين، فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله ﷺ برأيي اجتهاداً، فوالله ما آلو عن الحق، وذلك يوم أبي جندل(٤)، والكتاب بين رسول الله ﷺ وأهل مكة، فقال: اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم، فقالوا: ترانا قد صدقناك بما تقول؟ ولكنك تكتب باسمك اللهم، فرضي رسول الله ﷺ وأبيت، حتى قال لي رسول الله ﷺ: "تراني أرضى وتأبى أنت"؟ قال: فرضيت"(٥).

---

(١) تقدم تخريجه ص ٣٣٠.

(٢) رواه الطبري في جامع البيان ٥٤/٨ البيهقي في معرفة السنن ٤٩/٥. قال الطبري: "حدثني يعقوب بن إبراهيم قال: حدثنا هشيم قال: أخبرنا عاصم الأحول قال: حدثنا الشعبي: أن أبا بكر. . . الأثر".

(٣) تقدم تخريجه ص ٣٣١.

(٤) أي: يوم قضية الحديبية. انظر لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٧/١.

(٥) رواه البزار في مسنده ٣٩/١ والطبراني في معجمه ٣٢/١ وابن كثير في مسند الفاروق ٤٩٧/٢، قال الطبراني: "حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا يونس بن عبيد الله العميري، حدثنا مبارك بن فضالة، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر. . . الأثر". قال ابن كثير: "هذا الحديث حسن واسناد جيد". وقال الهيثمي: "رواه البزار ورجاله رجال الصحيح" انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٣٦/٦. وله شاهد عند البخاري في صحيحه من رواية المسور بن مخرمة في كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد ١٩٣/٣ برقم ٢٧٣٢.

١٥٧- عن عمرو بن حريث عن عمر رضي الله عنه قال: "إيّاكم وأصحاب الرأي فانهم أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا بالرأي فضلّوا وأضلّوا"(١).

وفي رواية: "إن أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم أن يحفظوها وتفلتت منهم أن يعوها واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا: لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم فإيّاكم وإيّاهم"(٢).

١٥٨- عن ابن شهاب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال وهو على المنبر: "أيها الناس إن الرأي إنما كان من رسول الله ﷺ مصيباً، لأن الله كان يُريه، وإنما هو منا الظنّ والتكلّف"(٣).

قال الإمام البيهقي في قول عمر: إنما هو منا الظن والتكلّف: "إنما أراد به والله أعلم الرأي الذي لا يكون مشبهاً بأصل"(٤).

قال الإمام ابن القيم في إعلام الموقعين رحمه الله: "مراد عمر رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾[النساء: ١٠٥] فلم يكن له رأي غير ما أراه الله إيّاه، وأما ما رأى غيره فظنّ وتكلّف"(٥).

---

(١) رواه الدارقطني في سننه ٢٥٦/٥ وابن بطة في الشرح والإبانة على أصول السنة ص ٥١ واللالكائي شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١٣٩/١ قال الدارقطني: "حدثنا الحسين بن إسماعيل المحاملي حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم حدثنا عبد الرحمن بن شريك حدثني أبى عن مجالد عن الشعبي عن عمرو بن حريث عن عمرو. . . الأثر". قال ابن القيم بعد سرد جملة من الآثار: "أسانيد هذه الآثار عن عمر في غاية الصحة". انظر إعلام الموقعين ١٠٣/٢.

(٢) الجامع لابن عبد البر ٢٦٣/٢. قال ابن القيم بعد سرد جملة من الآثار: "أسانيد هذه الآثار عن عمر في غاية الصحة". انظر إعلام الموقعين ١٠٣/٢.

(٣) رواه البيهقي في السنن ١١٧/١٠ وابن عبد البر في الجامع ٢٦٣/٢. قال البيهقي: "حدثنا عبد الرحمن بن يحيى، قال: حدثني علي بن محمد، قال: حدثنا أحمد بن داود، قال: حدثنا سحنون، قال: حدثنا ابن وهب، قال: حدثنا يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، أن عمر بن الخطاب...الأثر". قال ابن القيم بعد سرد جملة من الآثار: "أسانيد هذه الآثار عن عمر في غاية الصحة". انظر إعلام الموقعين ١٠٣/٢.

(٤) سنن البيهقي ١١٧/١٠.

(٥) إعلام الموقعين لابن القيم ١٠١/٢.

١٥٩- عن عبيد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: "اتقوا الرأي في دينكم"(١).

١٦٠- عن عبيد الله بن أبي جعفر(٢) قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ: "السنة ما سنه الله ورسوله، لا تجعلوا خطأ الرأي سنة للأمة"(٣).

١٦١- عن رفاعة بن رافع(٤) قال: "بينا أنا عند عمر بن الخطاب ﷺ إذ دخل عليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا زيد بن ثابت يفتي الناس في المسجد برأيه في الغسل من الجنابة، فقال عمر: عليّ به، فجاء زيد، فلمّا رآه عمر قال: أي عدُوّ نفسه، قد بلغت أن تفتي الناس برأيك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، والله ما فعلت، ولكنّي سمعت من أعمامي حديثاً، فحدثت به، من أبي أيّوب، ومن أبي بن كعب، ومن رفاعة بن رافع، فأقبل عمر على رفاعة بن رافع فقال: وقد كنتم تفعلون ذلك، إذا أصاب أحدكم من المرأة فأكسل لم يغتسل؟ فقال: قد كنا نفعل ذلك على عهد رسول الله ﷺ، فلم يأتنا فيه عن الله تحريم، ولم يكن فيه عن رسول الله شيء، فقال: ورسول الله ﷺ يعلم ذاك؟ قال: ما أدري، فأمر عمر بجمع المهاجرين والأنصار، فجمعوا له، فشاورهم، فشار الناس، أن لا غسل في ذلك، إلا ما كان

---

(١) رواه البيهقي في المدخل ص ١٨٩ وابن عبد البر في الجامع ٢/٢٦٣ قال البيهقي: "أخبرنا ابن وهب: وأخبرني عبد الله بن عياش، عن محمد بن عجلان، عن عبيد الله بن عمر أن عمر. . . الأثر". قال ابن القيم بعد سرد جملة من الآثار: "أسانيد هذه الآثار عن عمر في غاية الصحة". انظر إعلام الموقعين لابن القيم ٢/١٠٣.

(٢) الإمام، الحافظ عبيد الله بن أبي جعفر أبو بكر المصري، الكناني مولاهم فقيه مصر، توفي عام ١٣٥هـ. انظر السير للذهبي ٦/٨.

(٣) رواه ابن عبد البر في الجامع ٢/٢٦٧ قال: "أخبرنا عبد الرحمن، حدثنا علي، حدثنا أحمد، حدثنا سحنون، حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن لهيعة، عن عبيد الله بن أبي جعفر، قال: قال عمر. . . الأثر". قال ابن القيم بعد سرد جملة من الآثار: "أسانيد هذه الآثار عن عمر في غاية الصحة". انظر إعلام الموقعين لابن القيم ٢/١٠٣.

(٤) رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصاري الزرقي. وأمه أم مالك بنت أبي بن سلول، يكنى أبا معاذ شهد بدراً وأحداً وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ. الاستيعاب انظر لابن عبد البر ٢/٤٩٧.

من معاذ، وعلي، فإنهما قالا: إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل، فقال عمر: هذا وأنتم أصحاب بدر، وقد اختلفتم، فمن بعدكم أشدّ اختلافاً، قال: فقال علي: يا أمير المؤمنين، إنه ليس أحد أعلم بهذا من شأن رسول الله ﷺ من أزواجه، فأرسل إلى حفصة فقالت: لا علم لي بهذا، فأرسل إلى عائشة فقالت: إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل، فقال عمر: لا أسمع برجل فعل ذلك، إلا أوجعته ضرباً"(١).

١٦٢- عن مسروق(٢) قال: "كتب كاتب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا ما أرى الله أمير المؤمنين عمر فانتهره عمر رضي الله عنه وقال: لا بل اكتب هذا ما رأى عمر، فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمن عمر"(٣).

فهذا الأثر العظيم يدل على أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى عن تسمية حكم اجتهاده حكم الله، فمنع الناس أن ينسبوا إلى الشرع إلا ما علموه من الكتاب أو السنّة، وهذا يدل على تعظيم الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لشرع الله ودقّته في فهم الحكم الشرعي وشدّة حرصه وتمام حمايته لجناب التوحيد، وقد جاء في حديث بريدة(٤) أن النبيّ ﷺ قال في وصية لأمير جيش أو سرية: "إذا حاصرتَ أهلَ حصن فأرادوك أن تجعل لهم

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٨٧/١ وأحمد في مسنده ٢١/٣٥ والطحاوي في شرح معاني الآثار ٥٨/١. قال ابن أبي شيبة: "حدثنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب، عن معمر بن أبي حيية، مولى ابنة صفوان، عن عبيد بن رفاعة بن رافع، عن أبيه رفاعة بن رافع قال. . . الأثر". قال محقق المسند الشيخ شعيب الأرنؤوط: "صحيح".

(٢) مسروق بن وائل الحضرمي وفد على رسول الله ﷺ فأسلم، كان أميرا على عكّ، وشهد فتوح العراق أيضاً. انظر الإصابة لابن حجر ١٣٨/١٠.

(٣) رواه البيهقي السنن الكبرى ١١٦/١٠ قال: "أخبرنا أبو بكر الأصبهاني أنبأ أبو نصر العراقي ثنا سفيان بن محمد الجوهري ثنا علي بن الحسن ثنا عبد الله بن الوليد ثنا سفيان عن الشيباني عن أبي الضحى عن مسورق...الأثر". قال ابن حجر: "إسناده صحيح". انظر تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ٤٧٢/٤.

(٤) بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي، قيل: إنه أسلم عام الهجرة، إذ مر به النبيّ ﷺ مهاجرا. وشهد غزوة خيبر، والفتح، واستعمله النبيّ ﷺ على صدقة قومه، توفي عام ٦٣هـ. انظر السير للذهبي ٤٦٩/٢.

ذمّة الله وذمّة نبيّه فلا تجعل لهم ذمّة الله ولا ذمّة نبيّه، ولكن اجعل لهم ذمّتك وذمّة أصحابك، فإنكم أن تُخفِروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمّة الله وذمّة رسوله. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تُنزِلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا"(١).

قال الإمام ابن القيم في إعلام الموقعين معلّقاً على هذا الحديث في مسألة النهي عن أن يقال: هذا حكم الله فقال رحمه الله: "فتأمّل كيف فرّق بين حكم الله وحكم الأمير المجتهد، ونهى أن يسمّى حكم المجتهدين حكم الله، ومن هذا لما كتب الكاتب بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ حكماً حكم به فقال: هذا ما أرى الله أمير المؤمنين عمر، فقال ﷺ: "لا تقل هكذا ولكن قل هذا ما رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب" إلى أن قال الإمام ابن القيم: "لا يجوز أن يقول لما أدّاه إليه اجتهاده ولم يظفر فيه بنص عن الله ورسوله إن الله حرّم كذا وأوجب كذا وأباح كذا وإن هذا هو حكم الله"(٢).

وقال العمراني رحمه الله في الانتصار في قول عمر ﷺ: "قل هذا ما رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب": "كره إضافة الرأي إلى الله، لجواز أن يكون أخطأ برأيه"(٣).

١٦٣- عن عبيد الله بن الزبير قال: "أنا والله مع عثمان بن عفان ﷺ بالجُحفة إذ قال عثمان وذُكر له التمتع بالعمرة إلى الحج: أتموا الحج وأخلصوه في شهر الحج، فلو أخرتم هذه العمرة حتى تزوروا هذا البيتَ زورتين كان أفضل، فإن الله قد أوسع في الخير، فقال له علي ﷺ: عمدت إلى سنة رسول الله ﷺ ورُخصة رخَّص الله للعباد بها في كتابه تُضيِّق عليهم فيها وتنهى عنها، وكانت لذي الحاجة ولنائي الدار، ثم أَهلّ علي ﷺ بعمرة وحج معاً، فأقبل

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ١٣٥٧/٣ برقم ١٧٣١.

(٢) إعلام الموقعين ٧٤/٢-٨٢.

(٣) الانتصار ٤٩٨/٢.

عثمان بن عفان ﷺ على الناس فقال: أنهَيْت عنها إني لم أنهَ عنها إنما كان رأياً أشرتُ به فمن شاء أخذه ومن شاء تركه. "(١)

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "فهذا عثمان يخبر عن رأيه أنه ليس بلازم للأمة الأخذ به، بل من شاء أخذ به ومن شاء تركه بخلاف سنة رسول الله ﷺ فإنه لا يسع أحداً تركها لقول أحد كائناً من كان"(٢).

١٦٤- عن مروان بن الحكم قال شهدت عثمان وعلياً، رضي الله عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وأن يُجمع بينهما، فلما رأى عليّ ﷺ أَهلَّ بهما: لبَّيك بعمرة وحجة، قال: ما كنت لأدع سنة النبيّ ﷺ لقول أحد"(٣).

١٦٥- عن عبد الخير(٤) علي بن أبي طالب ﷺ: "لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفيه"(٥).

فكل هذه الآثار تدل على محاربة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم للرأي، وذمّهم لأصحابها الذين قدّموا العقل على النقل حماية للتوحيد، فبيّنوا أن المعوّل عليه هو الوحي، لأن العقول متفاوتة، تختلف من شخص إلى شخص، بل العقل الواحد يختلف من حين إلى حين. ثم يقال لأصحاب الرأي: لو كان العقل كافياً في التحاكم لما أنزل الله القرآن وأرسل الرسول ﷺ.

وقد كان الإمام مالك رحمه الله يعيب الرأي ويقول: "قُبض رسول الله ﷺ وقد تمّ هذا الأمر واستكمل، فإنما ينبغي أن تتبع آثار رسول الله ﷺ وأصحابه ولا يُتبع الرأي، وإنه متى

---

(١) ذكره ابن القيم في إعلام الموقّعين ١٠٧/٢. اختلاف عثمان ثابت بغير هذا السياق في صحيح البخاري في كتاب الحج باب التمتع والإقران والإفراد بالحج ١٤٢/٢ برقم ١٥٦٣. انظر الأثر الذي يليه.

(٢) إعلام الموقعين للإمام ١٠٨/٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب الحج باب التمتع والإقران والإفراد بالحج ١٤٢/٢ برقم ١٥٦٣.

(٤) عبد الخبير بن قيس بن ثابت بن شماس الانصاري. تهذيب التهذيب لابن حجر ١١٣/٦.

(٥) رواه أبو داود في سننه في كتاب الطهارة باب كيف المسح ص ٣٢ برقم ١٦٢. قال الألباني: "صحيح".

اتُبع الرأي جاء رجل آخر أقوى في الرأي منك فاتبعته، فأنت كلما جاء رجل غلبك اتبعته، أرى هذا الأمر لا يُتم"(١).

فإعمال النظر العقلي مع طرح النصوص الشرعية لا يتفق بما أمرنا ربّنا من تمسّك بالكتاب والسنة قال الإمام ابن القيم رحمه الله في معنى الاعتصام بالوحي: "هو تحكيمه دون آراء الرجال ومقاييسهم ومعقولاتهم وأذواقهم وكشوفاتهم ومواجيدهم، فمن لم يكن كذلك فهو مُنْسَلّ من هذا الاعتصام، فالدين كلّه في الاعتصام به وبحبله، علماً وعملاً وإخلاصاً واستقامة متابعة واستمراراً على ذلك إلى يوم القيامة"(٢).

وقد جاء في السنّة ما يدل على ذمّ الرأي فقال النبيّ ﷺ: "إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاهموه انتزاعاً، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جُهّال يُستفتون فيفتون برأيهم، فيضلّون ويُضلّون"(٣).

فهذا الحديث صريح في ذمّ الرأي وخطورته على الأمة قال المهلب رحمه الله وغيره: "إذا كان الرأي والقياس على أصل من كتاب الله وسنة رسول الله أو إجماع الأمة فهو محمود، وهو الاجتهاد والاستنباط الذى أباحه الله للعلماء، وأما الرأي المذموم والقياس المتكلف المنهيّ عنه، فهو ما لم يكن على هذه الأصول، لأن ذلك ظن ونزع من الشيطان، والدليل على صحة هذا قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[الإسراء: ٣٦]"(٤).

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٤١٥/١٣.

(٢) مدارج السالكين ٢٤٠/٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس ١٠٠/٩ برقم ٧٣٠٧.

(٤) شرح صحيح البخارى لابن بطال ٣٥١/١٠.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

لما كان لكلمة لا إله إلا الله مقتضيات ولوازم لابدّ منها لتحقيق التوحيد سعى الخلفاء الراشدون ﭫ إلى العمل بها، ومن ذلك طاعة الله ورسوله ﷺ والتحاكم إليهما، وفي المقابل يُعدّ التحاكم إلى غير شرع الله قدحاً في أصل التوحيد، فتحكيم القوانين الوضعية وأمور الجاهلية وغير ذلك مناف لشهادة أن لا إله إلا الله، ولهذا حرص الخلفاء الراشدون ﭫ أشدّ الحرص على أن يُفرد الله بالحكم بحيث لا يكون حكم إلا حكم الله، وحاربوا كلّ ما يناقض هذا الأمر حماية للتوحيد. وقد كان لهذه الجهود المباركة آثار عظيمة على الأمة، أجلّها ما يلي:

١/ بيان للأمة وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ والتحاكم إليهما وحثّها على تطبيق هذا الأصل، فوضّح الخلفاء الراشدون ﭫ لملة الإسلام أهمية هذا الأساس والعمل به في جميع شؤون الحياة، الدينية والاجتماعية والاقتصادية وسائر الجهات، فعلّموا الأمة أنه لا حكم إلا حكم الله وأنه لا يجوز التحاكم إلا إلى كتاب الله وسنّة الرسول ﷺ، فهما المصدران الأساسيان الشريفان لشريعة الإسلام الذَين يجب على كل مسلم التمسّك بهما والرجوع إليهما عند الاختلاق والتنازع في الأصول والفروع قال الإمام الإسماعيلي رحمه الله موضِّحاً عقيدة أهل السنة والجماعة: "قبول ما نطق به كتاب الله، وما صحت به الرواية عن رسول الله ﷺ، لا مَعْدِل عما وردا به، ولا سبيل إلى ردّه، إذ كانوا مأمورين باتباع الكتاب والسنة"(١).

وقال الإمام ابن أبي العز رحمه الله: "الواجب أن يجعل ما قاله الله ورسوله هو الأصل، ويتدبَر معناه، ويعقله، ويعرف برهانه ودليله العقلي والخبري والسمعي، ويعرف دلالته على هذا وهذا، ويجعل أقوال الناس التي توافقه وتخالفه متشابهة مجملة، فيقال لأصحابها: هذه الألفاظ تحتمل كذا وكذا، فإن أرادوا بها ما يوافق خبر الرسول قُبِل، وإن أرادوا بها ما يخالفه رد"(٢).

(١) اعتقاد أهل السنة ص ٣٥.

(٢) شرح الطحاوية ٣١٢/١.

فهذا هو طريق النجاة والمنهج القويم لتحقيق طاعة الله ورسوله ﷺ، ففي هذه الجهود المباركة موعظة عظيمة ودرس بليغ لأمة الإسلام، فمتى تُرك الدين الذي جاء به الرسول ﷺكان ذلك سبباً للضلال والانحراف عن الصراط المستقيم، ولهذا قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به إني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ"(١). ولا شكّ أن ما يعيشه المسلمون اليوم من المصائب والبلاء والضعف والذلّ فهو بسبب ترك منهج الرسول ﷺ وعدم التمسّك به والرجوع إليه.

وقد كانت جهود الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم سبباً في دفع العلماء إلى بيان أهمية التمسّك بكتاب الله وسنة الرسول والتحاكم إليهما وتقرير هذا الأمر ومن ذلك ما يلي:

- أورد الإمام البخاري رحمه الله جملة من جهود الخلفاء الراشدين في صحيحه تحت كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة(٢)، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح هذه الترجمة: "الاعتصام افتعال من العصمة والمراد امتثال قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ الآية [آل عمران: ١٠٣] قال الكرماني(٣) رحمه الله: "هذه الترجمة منتزعة من قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ لأن المراد بالحبل الكتاب والسنة على سبيل الاستعارة والجامع كونهما سبباً للمقصود وهو الثواب والنجاة من العذاب، كما أن الحبل سبب لحصول المقصود به من السقي وغيره، والمراد بالكتاب القرآن المتعبد بتلاوته وبالسنة ما جاء عن النبيّ ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريره وما هم بفعله"(٤).

- وأورد الإمام البيهقي رحمه الله في السنن أثر ميمون بن مهران(٥) تحت "باب ما يقضي به القاضي ويفتي به المفتي"، ثم قال: "فإنه غير جائز له أن يقلّد أحداً من أهل دهره

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤٩٧.

(٢) انظر صحيح البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ٩/٩١.

(٣) محمد بن يوسف بن علي الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد الله الكرماني ثم البغدادي، وصنف كتبا في علوم شتى في العربية والكلام والمنطق وشرح البخاري شرحا جيدا، كان تام الخلق، فيه بشاشة توفي عام ٧٨٦هـ. انظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ١/٢٧٩.

(٤) فتح الباري ١٣/٢٤٥.

(٥) انظر ص ٥٠١.

ولا أن يحكم أو يفتي بالاستحسان قال الله جل ثناؤه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]"(١).

– وأورد العلامة المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قصة عمر في قتل المنافق في كتابه كتاب التوحيد تحت "باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ...﴾[النساء: ٦٠]"(٢) لبيان وجوب التحاكم إلى الله ورسوله ﷺ

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ في شرح هذا الباب: "لما كان التوحيد الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله مشتملاً على الإيمان بالرسول ﷺ مستلزماً له وذلك هو الشهادتان، ولهذا جعلهما النبيّ ﷺ ركناً واحداً في قوله: "بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً"(٣) نبّه في هذا الباب على ما تضمنه التوحيد واستلزمه من تحكيم الرسول ﷺ في موارد النزاع إذ هذا هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله ولازمها الذي لابدّ منه لكل مؤمن، فإن من عرف أن لا إله إلا الله فلابدّ من الانقياد لحكم الله والتسليم لأمره الذي جاء من عنده على يد رسوله محمد ﷺ، فمن شهد أن لا إله إلا الله ثم عدل إلى تحكيم غير الرسول ﷺ في موارد النزاع فقد كذب في شهادته"(٤).

وقال الشيخ السعدي رحمه الله في شرح هذا الباب: "إن الحكم كلّه لله كما أن العبادة كلّها لله، والواجب على كل أحد أن لا يتّخذ غير الله حكماً، وأن يرد ما تنازع فيه الناس إلى الله ورسوله ﷺ، وبذلك يكون دين العبد كلّه لله وتوحيده خالصاً لوجه الله، وكل من حاكم إلى غير حكم الله ورسوله ﷺ فقد حاكم إلى الطاغوت، وإن زعم أنه مؤمن فهو كاذب، فالإيمان لا يصحّ ولا يتمّ إلا بتحكيم الله ورسوله في أصول الدين وفروعه وفي كل

(١) سنن البيهقي ١١٣/١٠.
(٢) كتاب التوحيد (مجموع مؤلفاته) ١٠٤/١.
(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان باب دعاؤكم إيمانكم ١١/١ برقم ٨.
(٤) تيسير العزيز الحميد ص ٣٧١.

الحقوق كما ذكره المصنف في الباب الآخر، فمن حاكم إلى غير الله ورسوله فقد اتخذ ذلك ربّاً وقد حاكم إلى الطاغوت"[(١)].

ففي هذه الجهود النافعة تحذير الخلفاء الراشدين الأمة من ترك التحاكم إلى كتاب الله وسنة الرسول ﷺ ومن التفريط في هذا الأمر لعظم شأنه في الدين، فهو أصل من أصول الإسلام، فيجب على الأمة الانقياد لحكم الله والتسليم لأمره في جميع الأحوال.

٢/ تبصير الأمة بخطورة تقديم العقل على النقل وبيان فساد هذا المسلك، فوضّح الخلفاء الراشدون ﷺ للأمة أن جعْل الرأي أساس الدين، والشرع تبعاً له مناف للتوحيد، مناقض للاتباع، ومضاد لما أمرنا الربّ من طاعته ورسوله ﷺ والتحاكم إليهما، بل المنهج الصحيح هو تقديم النقل على العقل في جميع النواحي وإنكار الإفتاء والقضاء في دين الله بالرأي.

فلا شكّ أن الإفتاء والقضاء في الدين بمجرد الرأي أمر مذموم وسيّء، وكيف يمكن تحقيق التوحيد في باب طاعة الله ورسوله ﷺ والتحاكم إليهما بتقديم العقل على النقل، وبالإعراض عن الوحي لتقديس أراء الرجال واتّخاذها قاعدة أساسية تُرجع إليها في التحكيم؟! ولهذا حذّر الخلفاء الراشدون ﷺ الأمة من هذا المسلك.

والمقصود بالرأي هنا هو الرأي الذي لم يكن على أصل من الكتاب والسنة، المستند إلى القياس الفاسد المخالف لصريح العقل، المنبعث من الهوى، الناشئ من الوساوس والظنون، فهو الرأي المجرّد الذي لا دليل له من النصوص الشرعية بل هو مخالف لها.

ولا شكّ أن هذه الجهود المباركة كان لها آثار بليغة في الاستدلال وعلى العلماء في ذمّ الرأي والتحذير من تقديم العقل على النقل ومن ذلك ما يلي:

- أورد ابن بطال رحمه الله بعض من هذه الجهود في شرحه لصحيح البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة تحت باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلّف القياس، فقال رحمه الله معلّقاً على قول عمر ﷺ: "إيّاكم وأصحاب الرأي فانهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فقالوا بالرأي، فضلّوا وأضلّوا"[(٢)]، فقال رحمه الله: "فقد بيّن هذا القول من عمر

---

(١) القول السديد للسعدي ص ١٠٨.

(٢) تقدم تخريجه ص ٥١١.

ﷺ أنه أمر باتهام الرأي فيما خالف أحكام رسول الله وسنّته ﷺ، وذلك أنه قال: "إنهم أعداء السنن أعيتهم أن يحفظوها". وأخبر أنه لما أعياهم حفظ سنن رسول الله قالوا بآرائهم وخالفوها، جهلاً منهم بأحكام رسول الله وسننه، وذلك هو الجرأة على الله بما لم يأذن به في دينه، والتقدّم بين يدي رسول الله ﷺ، فأما اجتهاد الرأي في استنباط الحق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فذلك الذي أوجب الله على العلماء فرضاً، وعمل به المسلمون بمحضر من رسول الله ﷺ، فلم يعنفهم ولا نهاهم عنه، إذ كان هو الحق عنده والدين، واقتفى أثرهم فيه الخلف من بعدهم"(١).

- وأورد الإمام ابن عبد البر قول عمر السابق وغيره من الآثار في كتابه جامع بيان العلم وفضله تحت "باب ما جاء في ذمّ القول في دين الله بالرأي والظنّ والقياس على غير أصل"، ثم قال بعد إيراد الآثار: "اختلف العلماء في الرأي المقصود إليه بالذمّ والعيب في هذه الآثار المذكورة في هذا الباب عن النبيّ ﷺ وعن أصحابه ﷺ وعن التابعين لهم بإحسان: فقالت طائفة: الرأي المذموم، هو البدع المخالفة للسنن في الاعتقاد كرأي جهم وسائر مذاهب أهل الكلام، لأنهم قوم استعملوا قياسهم وآراءهم في رد الأحاديث، فقالوا: لا يجوز أن يرى الله ﷻ في القيامة، لأنه ﷻ يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فردّوا قول رسول الله: ﷺ "إنكم ترون ربكم يوم القيامة"(٢) وتأوّلوا في قول الله، ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] تأويلاً لا يعرفه أهل اللسان ولا أهل الأثر. وقالوا: لا يجوز أن يسأل الميّت في قبره لقول الله ﷻ: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]، فردّوا الأحاديث المتواترة في عذاب القبر وفتنته، وردّوا الأحاديث في الشفاعة على تواترها، وقالوا: لن يخرج من النار من دخل فيها، وقالوا: لا نعرف حوضاً ولا ميزاناً ولا نعقل ما هذا، وردّوا السنن في ذلك كلّه برأيهم وقياسهم إلى أشياء يطول ذكرها من كلامهم في صفات الباري تبارك وتعالى. وقال جماعة من أهل العلم: إنما الرأي المذموم المعيب المهجور الذي لا يحلّ النظر فيه ولا الاشتغال به الرأي المبتدع وشبهه من ضروب البدع. وقال آخرون، وهم جمهور أهل العلم: الرأي المذموم المذكور في هذه الآثار عن النبيّ وعن أصحابه والتابعين

---

(١) شرح صحيح البخاري ٣٥٤/١٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر ١١٥/١ برقم ٥٥٤.

هو القول في أحكام شرائع الدين بالاستحسان والظنون، والاشتغال بحفظ المعضلات والأغلوطات(١)، ورد الفروع والنوازل بعضها على بعض قياساً دون ردها على أصولها والنظر في عللها واعتبارها، فاستعمل فيها الرأي قبل أن تنزل، وفُرِّعت وشُقِّقت قبل أن تقع، وتكلّم فيها قبل أن تكون بالرأي المضارع للظن. قالوا: ففي الاشتغال بهذا والاستغراق فيه تعطيل للسنن والبعث على جهلها، وترك الوقوف على ما يلزم الوقوف عليها منها ومن كتاب الله ﷻ ومعانيه"(٢).

- وقد تطرق الإمام ابن القيم إلى هذا الموضوع في كتابه إعلام الموقعين فقال رحمه الله: "فصل في تحريم الإفتاء في دين الله بالرأي المتضمن لمخالفة النصوص والرأي الذي لم تشهد له النصوص بالقبول"(٣) ثم توسّع ابن القيم في الموضوع وأورد جملة كبيرة من الآثار عن الخلفاء الراشدين ﷺ وغيرهم من الصحابة في إنكار الرأي(٤) إلى أن قال: "فهؤلاء من الصحابة أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي ابن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وسهل بن حنيف(٥) ومعاذ بن جبل ومعاوية خال المؤمنين(٦) وأبو موسى الأشعري ﷺ يُخرِجون الرأي عن العلم ويذمّونه ويحذّرون منه وينهون عن الفُتيا به ومن اضطُرّ منهم إليه أخبر أنه ظنّ وأنه ليس على ثقة منه وأنه يجوز أن يكون منه ومن الشيطان وأن الله ورسوله بريء منه وأن غايته أن يسوغ الأخذ به عند الضرورة من غير لزوم لاتباعه ولا العمل به، فهل تجد من أحد منهم قطّ أنه

---

(١) فسّره الأوزاعي رحمه الله بقوله: "يعني: صعاب المسائل". انظر جامع بيان العلم وفضله ٢٧٤/٢.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢٧٠/٢.

(٣) إعلام الموقعين ٨٨/٢.

(٤) أكثر هذه الآثار مذكورة في جهودهم في المطلب السابق.

(٥) سهل بن حنيف أبو ثابت الأنصاري الأوسي العوفي، والد أبي أمامة بن سهل، وأخو عثمان بن حنيف، شهد بدرا، والمشاهد وكان من أمراء علي ﷺ، مات بالكوفة، في سنة ٣٨هـ، وصلى عليه علي. انظر السير للذهبي ٣٢٥/٢.

(٦) لأن أخته أم حبيبة زوجة النبيّ ﷺ.

جعل رأي رجل بعينه ديناً تُترَك له السنن الثابتة عن رسول الله ﷺ ويُبدَّع ويُضلَّل من خالفه إلى اتباع السنن؟ "(١).

– وقال الإمام السفاريني رحمه الله: "نهى الصديق ثم الفاروق ومن بعدهما من الصحابة عن القول بالرأي، حتى قال عمر ﷺ: "إن أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يعوها، وتفلتت منهم أن يحفظوها، فقالوا في الدين برأيهم، فضلّوا وأضلّوا"(٢). وقال ﷺ: "أيها الناس، اتهموا الرأي في الدين، فلقد رأيتني وإني لأرد أمر رسول الله ﷺبرأيي، فأجتهد ولا آلو، وذلك يوم أبي جندل"(٣). وأضلّ كل رأي وأبطله وأفسده وأعطله الرأي المتضمن لتعطيل أسماء الربّ وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة التي وضعها أهل البدع والضلال من الجهمية والمعتزلة والقدرية ومن ضاهاهم، حيث استعملوا قياساتهم الفاسدة وآرائهم الباطلة، وشبههم الداحضة في ردّ النصوص الصحيحة والآيات الصريحة، فردّوا لأجلها ألفاظ النصوص التي وجدوا السبيل إلى تكذيب رواتها وتخطئتهم، وحرّفوا المعاني التي لم يجدوا إلى ردّ ألفاظها سبيلاً، فأنكروا رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة، وأنكروا كلامه وتكليمه لعباده، وأنكروا مباينته للعالم واستواءه على عرشه، وعموم قدرته، وحرَّفوا النصوص عن مواضعها، وأخرجوها عن معانيها وحقائقها بالرأي المجرّد الذي حقيقته أنه زبالة الأذهان، ونخالة الأفكار، وعصارة الآراء، ووساوس الصدور، فملئوا به الأوراق سواداً، والقلوب شكوكاً، والعالم فساداً، فكل من له مسكة من علم ودربة من فهم، يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على النقل، فالرأي المذموم هو الرأي المجرّد الذي لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا قياس جلي، بل هو خرص وتخمين، فهذا الرأي الذي ورد التحذير منه والتنفير عنه، وأما الرأي المستند إلى الاستدلال والاستنباط من النص وحده، أو من نص آخر معه في الأحكام، فهذا من ألطف فهم النصوص وأدقه، وما ورد عن السلف مما يشعر بمدح الرأي وقبوله، فالمراد به هذا، والله أعلم"(٤). وغير ذلك من تقريرات أهل العلم في ذم الرأي.

---

(١) إعلام الموقعين ١١٣/٢.

(٢) تقدم تخريجه ص ٥١١.

(٣) تقدم تخريجه ص ٥١٠.

(٤) لوامع الأنوار البهية ٦/١ باختصار.

فيظهر من خلال هذه النصوص أن أهل السنة تمسّكوا بالكتاب والسنة وقدّموهما على جميع الأراء، أما أهل البدع فجلعوا العقل أصلاً يُرجع إليه والوحي تبعاً له، فما وافق عقولهم قبلوه وما خالفها ردّوه أو تأوّلوه على مقتضى عقولهم(١) قال الإمام السمعاني رحمه الله: "واعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل فإنهم أسّسوا دينهم على المعقول وجعلوا الاّتباع والمأثور تبعاً للمعقول، وأما أهل السنة قالوا الأصل في الدين الاتباع والعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء صلوات الله عليهم ولبطل معنى الأمر والنهي ولقال من شاء ما شاء"(٢).

٣/ إرشاد الأمة إلى تنزيه الشرع من الخطأ وعدم تسمية حكم الاجتهاد حكم الله تعظيماً له وحماية للتوحيد، فوضّح الخلفاء الراشدون ﷺ للأمة أنه يجب التفريق بين حكم الله وحكم المجتهد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "كان الصحابة إذا تكلّموا باجتهادهم ينزّهون شرع الرسول ﷺ من خطئهم وخطأ غيرهم كما قال عبد الله بن مسعود في المفوضة(٣): أقول فيها برأيي(٤)، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمنّي ومن الشيطان، والله ورسوله

(١) انظر وسطية أهل السنة بين الفرق لمحمد باكريم ص ٧٩.

(٢) الانتصار لأصحاب الحديث ص ٨٢.

(٣) المفوضة: هي على ضربين (تفويض البضع) وهو أن يزوج الأب ابنته البكر أو تأذن المرأة لوليها في تزويجها بغير مهر (والثاني) تفويض المهر وهو أن يتزوجها على ما شاءت أو شاء أو شاء أجنبي فالنكاح صحيح ويجب مهر المثل. الشرح الكبير لابن قدامة ٨١/٨.

(٤) عن عبد الله بن عقبة قال: "أتى ابن مسعود في رجل تزوج امرأة فمات عنها ولم يفرض لها ولم يدخل بها، فسئل عنها شهرا فلم يقل فيها شيئاً ثم سألوه فقال: أقول فيها برأيي فإن يك خطأ فمني ومن الشيطان، وإن يك صوابا فمن الله، لها صدقة إحدى نسائها ولها الميراث وعليها العدة، فقام رجل من أشجع فقال: أشهد لقضيتَ فيها بقضاء رسول الله ﷺ في بَرْوع ابنة واشق. قال فقال هلم شاهداك فشهد له الجراح وأبو سنان رجلان من أشجع". رواه أحمد في مسنده ٢٧٩/٤. قال محقق المسند شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط مسلم".

بريئان منه، وكذلك روي عن الصديق في الكلالة[١] وكذلك عن عمر في بعض الأمور، مع أنهم كانوا يصيبون فيما يقولونه على هذا الوجه حتى يوجد النص موافقاً لاجتهادهم، كما وافق النص اجتهاد ابن مسعود وغيره، وإنما كانوا أعلم بالله ورسوله، وبما يجب من تعظيم شرع الرسول ﷺ أن يضيفوا إليه إلا ما علّموه منهﷺ وما أخطئوا فيه -وإن كانوا مجتهدين- قالوا: إن الله ورسوله بريئان منه"[٢].

وقال الشيخ حسين والشيخ عبد الله ابنا الشيخ المجدّد محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله: "وأما إذا لم يكن عند الرجل دليل في المسألة، يخالف القول الذي نص عليه العلماء، أصحاب المذاهب، فنرجوا أنه يجوز العمل به، لأنهم رأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا، وهم إنما أخذوا الأدلة من أقوال الصحابة فمن بعدهم ولكن: لا ينبغي الجزم بأن هذا شرع الله ورسوله ﷺ، حتى يتبيّن الدليل الذي لا معارض له في المسألة، وهذا عمل سلف الأمة وأئمتها، قديماً وحديثاً"[٣].

٤/ في موقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إثبات حكم الرجم ردٌّ على أهل البدع من الخوارج والمعتزلة في إنكار حكم الرجم قال النووي رحمه الله: "وأجمع العلماء على وجوب جلد الزاني البكر مائة ورجم المحصن وهو الثيب ولم يخالف في هذا أحد من أهل القبلة إلا ما حكى القاضي عياض وغيره عن الخوارج وبعض المعتزلة كالنظام وأصحابه فإنهم لم يقولوا بالرجم"[٤].

وقال أيضاً رحمه الله معلّقاً على قول عمر رضي الله عنه: "فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلّوا بترك فريضة": "هذا الذي خشيه قد وقع من الخوارج

---

(١) قال القرطبي: "الكلالة مصدر من تكلله النسب أي: أحاط به. وبه سمي الإكليل، وهي منزلة من منازل القمر لإحاطتها بالقمر إذا احتل بها. ومنه الإكليل أيضاً وهو التاج والعصابة المحيطة بالرأس. فإذا مات الرجل وليس له ولد ولا والد فورثته كلالة. هذا قول أبي بكر الصديق وعمر وعلي وجمهور أهل العلم". الجامع لأحكام القرآن ١٢٦/٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٤١/٣٣.

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢٢٠/١.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٨٩/١١.

ومن وافقهم من المعتزلة كما سبق بيانه وهذا من كرامات عمر ﷺ ويحتمل أنه علم ذلك من جهة النبيّ ﷺ(١).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "واستدل به على جواز نسخ التلاوة دون الحكم وخالف في ذلك بعض المعتزلة واعتل بأن التلاوة مع حكمها كالعلم مع العالمية فلا ينفكان، وأجيب بالمنع فإن العالمية لا تنافي قيام العلم بالذات، سلمنا لكن التلاوة أمارة الحكم فيدل وجودها على ثبوته ولا دلالة من مجردها على وجوب الدوام، فلا يلزم من انتفاء الأمارة في طرف الدوام انتفاء ما دلت عليه فإذا نسخت التلاوة لم ينتف المدلول وكذلك بالعكس"(٢).

فيجب الإيمان بهذا الحكم والانقياد له، وقد أورد الإمام الآجري رحمه الله هذا الموقف في كتابه الشريعة تحت "باب التحذير من مذاهب أقوام يُكذّبون بشرائع مما يجب على المسلمين التصديق بها(٣).

٥/ في هذه الجهود المباركة إبطال القول بإثبات البدعة الحسنة في الدين، فقد استدل العلامة العثيمين رحمه الله بأثر عمر ﷺ (الذي وُصف فيه بأنه وقّاف عند حدود الله(٤)) في الرد على من ادّعى أن هناك بدعة حسنة في الدين مستدلاً بقول عمر: "نعمت البدعة هذه"(٥) فقال الشيخ رحمه الله: "إنّنا نعلم علم اليقين أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ من أشدّ الناس تعظيماً لكلام الله تعالى ورسوله ﷺ، وكان مشهوراً بالوقوف على حدود الله تعالى حتى كان يوصف بأنه كان وقّافاً عند كلام الله تعالى، فلا يليق بعمر ﷺ وهو من هو أن يخالف كلام سيد البشر محمد ﷺ وأن يقول عن بدعة: "نعمت البدعة" وتكون هذه البدعة هي التي أرادها رسول الله ﷺ بقوله: "كل بدعة ضلالة"(٦)، بل لابد أن تنزل البدعة التي قال عنها عمر: إنها "نعمت البدعة" على بدعة لا تكون داخلة تحت مراد النبيّ ﷺ في

---

(١) المصدر نفسه ١٩٢/١١.

(٢) فتح الباري ١٢٠/١٢.

(٣) الشريعة ١١٩٢/٣.

(٤) انظر ص ٤٩٩.

(٥) انظر الموطأ للإمام مالك ١١٤/١.

(٦) تقدم تخريجه ص ٣.

قوله: "كل بدعة ضلالة"، فعمر ﷺ يشير بقوله: "نعمت البدعة هذه" إلى جمع الناس على إمام واحد بعد أن كانوا متفرّقين، وكان أصل قيام رمضان من رسول الله ﷺ، فقد ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبيّ ﷺ قام في الناس ثلاث ليال وتأخر عنهم في الليلة الرابعة وقال: "إني خشيت أن تُفرض عليكم فتعجزوا عنها"[١]. فقيام الليل في في رمضان جماعة من سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وسماها عمر ﷺ بدعة باعتبار أن النبيّ ﷺ لما ترك القيام صار الناس متفرّقين يقوم الرجل لنفسه، ويقوم الرجل ومعه الرجل، والرجل ومعه الرجلان، والرهط والنفر في المسجد، فرأى أمير المؤمنين عمر ﷺ برأيه السديد الصائب أن يجمع الناس على إمام واحد، فكان هذا الفعل بالنسبة لتفرق الناس من قبل بدعة، فهي بدعة اعتبارية إضافية، وليست بدعة مطلقة إنشائية أنشأها عمر ﷺ، لأن هذه السنة كانت موجودة في عهد الرسول ﷺ فهي سنة، لكنها تركت منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام حتى أعادها عمر ﷺ، وبهذا التقعيد لا يمكن أبداً أن يجد أهل البدع من قول عمر هذا منفذاً لما استحسنوه من بدعهم"[٢].

٦/ تعليم الأمة قاعدة لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فوضّح الخلفاء الراشدون ﷺ للأمة أنه لا يجوز أن يجعل طاعة العلماء والأمراء وغيرهم من العباد هي الأصل وطاعة الله ورسوله تبعاً لها، فلا طاعة لمخلوف في معصية الخالق، فمن أطاع مخلوقاً كائناً ما كان في معصية الخالق فقد اتخذه إلهاً من دون الله ونقض توحيده، ولهذا حذّر الخلفاء الراشدون ﷺ من هذا النوع من الطاعة الذي يُعدّ من الشرك بالله أشدّ التحذير وأبانوا أن الطاعة إنما تكون في المعروف، بل هذه القاعدة (أي: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) من أوّل الأسس التي قرّروها وأكّدوا عليها في خلافتهم، فأبو بكر الصديق ﷺ في أوّل اليوم بعد بيعته صعد على المنبر وقال خاطباً الجمهور: "أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم"[٣].

---

(١) انظر صحيح البخاري في كتاب الجمعة باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد ١١/٢ برقم ٩٢٤.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٥٠/٥.

(٣) تقدم تخريجه ص ٥٠٦.

ليس لولاة الأمور والعلماء طاعة مطلقة بل هي تبع لطاعة الله ورسوله ﷺ قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[النساء: ٥٩].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "فأمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله ﷺ وأعاد الفعل إعلاما بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبتْ طاعتُه مطلقاً سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أُوتي الكتاب ومثله معه(١) ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالاً، بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول إيذاناً بأنهم إنما يطاعون تبعاً لطاعة الرسول، فمن أَمر منهم بطاعة الرسول وجبتْ طاعتُه، ومن أمر منهم بخلاف ما جاء به الرسول ﷺ فلا سمع له ولا طاعة كما صح عنه ﷺ أنه قال: "لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف"(٢)، وقال ﷺ: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"(٣). وقد أخبر ﷺ عن الذين أرادوا دخول النار لما أمرهم أميرهم بدخولها "إنهم لو دخلوا لما خرجوا منها"(٤) مع أنهم إنما كانوا يدخلونها طاعة لأميرهم وظنّاً أن ذلك واجب عليهم، ولكن لما قصّروا في الاجتهاد وبادروا إلى طاعة من أمر بمعصية الله وحملوا عموم الأمر بالطاعة بما لم يُرِدْه الآمر ﷺ وما قد عُلِم من دينه إرادةُ خلافِه، فقصّروا في الاجتهاد وأَقْدموا على تعذيب أنفسهم وإهلاكها من غير تثبت وتبيُّن، هل ذلك طاعة لله ورسوله أم لا؟ فما الظن بمن أطاع غيرَه في صريح مخالفة ما بعث الله به رسوله"(٥).

---

(١) انظر سنن أبي داود في كتاب السنة باب في لزوم السنة ص٨٣١ برقم ٤٦٠٤. وصححه الشيخ الألباني.

(٢) تقدم تخريجه ص ٥٠٨.

(٣) المصدر نفسه في كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ١٤٦٩/٣ برقم ١٨٣٩.

(٤) المصدر نفسه في كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ١٤٦٩/٣ برقم ١٨٤٠.

(٥) إعلام الموقعين ٨٩/٢.

وقال العلامة العثيمين رحمه الله في بيان بيعة الإمام على السمع والطاعة: "ويستثنى من هذا معصية الله ﷻ فلا يبايع عليها أحد، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولهذا قال أبو بكر ﷺ حين تولّى الخلافة قال: "أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم"، فإذا أمر ولي الأمر بمعصية من المعاصي فإنه لا يجوز لأحد أن يسمع له أو يطيع لأن ملك الملوك ربّ العالمين ﷻ، ولا يمكن أن يُعصى ربّ العالمين لطاعة من هو مملوك مربوب لأن كل من سوى الله فإنهم مملكون لله ﷻ فكيف يقدِّم الإنسان طاعتهم على طاعة الله، إذن يستثنى من قوله السمع والطاعة ما دلت عليه النصوص من أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"(١).

وأورد الإمام ابن أبي شيبة(٢) في مصنفه لتقرير هذه المسألة قول عمر ﷺ: "إنك لعلك أن تخلف بعدي، فأطع الأمير وإن كان عبداً مجدَّعاً، إن ظلمك فاصبر وإن حرمك فاصبر وإن أرادك على أمر ينقض دينك فقل دمي دون ديني"(٣) تحت باب: "في إمام السرية يأمرهم بالمعصية، من قال: لا طاعة له"(٤).

٧/ في خطبة أبي بكر ﷺ للبيعة ردٌّ على الصوفية إذ يعتقدون أنه يجب على المريد أن يتّبع شيخه اتباعاً مطلقاً وإن أمر بخلاف الشرع، فلا يجوز عندهم الاعتراض عليه، بل يكون المريد بين يدي شيخه كالميّت بين يدي الغاسل، يقلبه كيف يشاء(٥)، ولا شكّ أن هذا غلو في الطاعة قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "يقال لمن يعظّم شيخه أو أميره بأنه يطاع في كل شيء وأنه لا تنبغي مخالفته فيقال له: أبو بكر الصديق أفضل منه وقد قال أطيعوني ما

---

(١) شرح رياض الصالحين للعثيمين ١/٧٠٠.

(٢) أبو بكر بن أبي شيبة الحافظ عديم النظير الثبت النحرير عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي مولاهم الكوفي صاحب المسند والمصنف حافظ للحديث، توفي ٢٣٥هـ. انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ٢/١٦.

(٣) تقدم تخريجه ص ٥٠٧.

(٤) المصنف ١٢/٥٤٢.

(٥) انظر الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية لمحمد تقي الدين الهلالي ص ١٢٦ وفرق المعاصرة لغالب بن علي بن عواجي ٣/٩٦٧.

أطعت الله تعالى فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم"(١). ثم يقال للصوفية وأمثالهم أن من أطاع شيخه أو أميره طاعة مطلقة بحيث يطيعه في تحريم الحلال وتحليل الحرام فقد أشرك بالله وتشبّه بأهل الكتاب الذين اتّخذوا علمائهم أرباباً من دون الله قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] رُوي عن عديّ بن حاتم رضي الله عنه أنه لما سمع النبيّ ﷺ يقرأ هذه الآية قال له: إنا لسنا نعبدهم، فقال ﷺ: "أليس يحرِّمون ما أحلّ الله فتحرِّمونه، ويحلون ما حرّم الله، فتستحلونه؟ " قلت: بلى، قال ﷺ: "فتلك عبادتهم"(٢).

فهذا الحديث دلّ على أن طاعة العلماء من الأحبار والرُّهبان في تحريم الحلال وتحليل الحرام عبادة لهم، فأهل الكتاب أطاعوا علمائهم في معصية الله، فهنا شركهم كان في الطاعة، فعُلم أن العبادة لم تقتصر على الصلاة والسجود والدعاء والذبح وغير ذلك من العبادات المعروفة، بل مفهومها أوسع من ذلك(٣).

٨/ في هذه الجهود المباركة ردٌّ صريح على من أعرض عن الشريعة الإسلامية ونادى بالديمقراطية(٤) خصوصاً في هذه الأيام التي ارتفعت فيها أصوات الفوضى حول الحكم والحكام باسم حرية الأفكار والآراء، يريدون فصل الدين عن الدولة، وأن يحكم الشعب نفسه بنفسه، فيكون التشريع من عنده لا من الكتاب ولا من السنة، ولا شكّ أن هذا النظام دعوة إلى الشرك وإحياء الجاهلية الأولى، فأين هؤلاء من تلك النصوص التي دلت على وجوب التحاكم إلى الله ورسوله ﷺ، ألا يعلمون أن شريعة الله الحكيم العليم شريعة صالحة لكل زمان ومكان، فهي ثابتة مستقرّة إلى يوم القيامة خلاف الأحكام المبنية على أراء الرجال وأهوائهم فهي عرضة للتغيير والتبديل لأنها لا تخلو من نقص بل من تناقض.

---

(١) كتاب الاستغاثة لابن تيمية ص ٢٣٥.

(٢) رواه الترمذي في سننه في كتاب تفسير القرآن باب من سورة التوبة ٦٩٤ برقم ٣٠٩٥. وحسنه الشيخ الألباني، ورواه الطبراني في المعجم الكبير ٧/١٢ ولفظ له.

(٣) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٧/٧٠.

(٤) الديمقراطية: سلطة الشعب أي: حكم الشعب نفسه بنفسه عن طريق اختيار الشعب. انظر المذاهب الفكرية لغالب عواجي ٢/٧٦١.

٩/ توضيح للأمة المنهج الصحيح في معاملة الحاكم، فوصية عمر ﷺ لسويد بن غفلة[١] تكشف لنا كيفية تعامل المحكوم مع الحاكم، ولهذا أورد الآجري هذه الوصية تحت "باب في السمع والطاعة لمن ولي أمر المسلمين والصبر عليهم وإن جاروا، وترك الخروج عليهم ما أقاموا الصلاة[٢]، فمن عقيدة أهل السنة والجماعة أنه يجب على المسلم السمع والطاعة للحاكم ما لم يأمر بمعصية في العسر واليسر والمنشط والمكره[٣]، وإن جار وأخذ ماله وضرب ظهره، فلا يجوز الخروج عليه إلا إذا وقع منه الكفر الصريح[٤] قال الإمام الطحاوي رحمه الله: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله ﷻ فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة"[٥].

١٠/ تعليم الأمة وجوب قتل ساب النبيّ ﷺ، وقد استدل أهل العلم بقصة أبي بكر مع أبي برزة[٦] على وجوب قتل ساب النبيّ ﷺ توقيراً له وتعظيماً لحقوقه قال الإمام البغوي رحمه الله: "وقد يُتأوّل هذا أيضاً على أنه لا يجب القتل في سبّ أحد إلا في سبّ رسول الله"[٧]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ: "وقد استدل به على جواز قتل ساب النبيّ ﷺ جماعة من العلماء منهم أبو داود

---

(١) انظر ص ٥٠٧.

(٢) الشريعة للآجري ١/٣٧٣.

(٣) انظر سنن النسائي في كتاب البيعة باب البيعة على القول بالحق ص ٦٤٠ برقم ٤١٥٢. وصححه الشيخ الألباني.

(٤) انظر صحيح البخاري في كتاب الفتن باب قول النبيّ ﷺ سترون بعدي أمورا تنكروها ٩/٤٧ برقم ٧٠٥٦.

(٥) انظر شرح الطحاوية ٢/٥٧٧.

(٦) انظر ص ٥٠٢.

(٧) المصدر نفسه.

وإسماعيل بن إسحاق القاضي(١) وأبو بكر عبد العزيز(٢) والقاضي أبو يعلى وغيرهم من العلماء وذلك لأن أبا برزة لما رأى الرجل قد شتم أبا بكر وأغلظ له حتى تغيظ أبو بكر استأذنه في أن يقتله بذلك وأخبره أنه لو أمره لقتله فقال أبو بكر: ليس هذا لأحد بعد النبيّ ﷺ. فعلم أن النبيّ ﷺ كان له أن يقتل من سبّه ومن أغلظ له وأن له أن يأمر بقتل من لا يعلم الناس منه سبباً يبيح دمه وعلى الناس أن يطيعوه في ذلك لأنه لا يأمر إلا بما أمر الله به ولا يأمر بمعصية الله قط، بل من أطاعه فقد أطاع الله"(٣).

وهذا يبيّن لنا عظيم قدر النبيّ ﷺ ورفعة مكانته عند ربّه، ولهذا أوجب الله لنبيه ﷺ على هذه الأمة جملة من الحقوق، فمن سبّ الرسول ﷺ أو عابه أو ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه كان ذلك كفراً ومنافياً لحقوقه ﷺ، بل يجب على من آمن به ﷺ توقيره وتعزيره وتعظيمه، كما أنه يجب محبته وطاعته ولزوم سنته ﷺ قال الله تعالى: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩] وقال الله: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٦].

قال الحليمي(٤) رحمه الله: "فمعلوم أن حقوق رسول الله ﷺ أجلّ وأعظم وأكرم وألزم لنا وأوجب علينا من حقوق السادات على مماليكهم والآباء على أولادهم، لأن الله تعالى أنقذنا به من النار في الآخرة، وعصم به لنا أرواحنا وأبداننا وأعراضنا وأموالنا وأهلينا وأولادنا في العاجلة، وهدانا به، كما إذا أطعناه فيه أدانا إلى جنات النعيم، فأية نعمة توازي هذه النعم؟ وأية منه تداني هذه المنن؟ ثم إنه جلّ ثناؤه ألزمنا طاعته، وتوعّدنا على معصيته بالنار،

---

(١) الإمام، العلامة، الحافظ، شيخ الإسلام، أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل ابن محدث البصرة؛ حماد بن زيد بن درهم الأزدي، مولاهم البصري، المالكي، قاضي بغداد، وصاحب التصانيف، توفي عام ٢٨٢. انظر السير للذهبي ٣٣٩/١٣.

(٢) الشيخ الإمام العلامة، شيخ الحنابلة، أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزداد البغدادي الفقيه، تلميذ أبي بكر الخلال، وكان كبير الشأن، من بحور العلم، له الباع الأطول في الفقه، توفي عام ٣٦٣هـ. انظر السير للذهبي ١٤٣/١٦.

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول ٩٤/١.

(٤) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم أبو عبد الله الحليمي، أحد الأئمة وشيخ الشافعيين بما وراء النهر، كان متفنناً، سيال الذهن، مناظراً، طويل الباع في الأدب والبيان. توفي عام ٤٠٣هـ. انظر طبقات الشافعية للسبكي ٣٣٣/٤.

ووعدنا باتباعه الجنة، فأي رتبة تضاهي هذه الرتبة؟ وأي درجة تساوي في العلى هذه الدرجة؟ فحق علينا إذاً أن نحبه ونجله ونعظمه ونهيبه أكثر من إجلال كل عبد سيده، وكل ولد والده، وبمثل هذا نطق الكتاب ووردت أوامر الله جلّ ثناؤه"(١).

وبعد هذا العرض يتبيّن أن الخلفاء الراشدين ﷺ حقّقوا حماية التوحيد في باب طاعة الله ورسوله ﷺ والتحاكم إليهما وآثار ذلك على الأمة، فوضّحوا للناس هذا الأمر الذي هو من أعظم مقتضيات لا إله إلا الله ومدلولاتها، وحذّروا من ترك هذا الواجب بالعدول إلى التحاكم إلى الطاغوت والإعراض عن مصدري الشريعة الإسلامية: كتاب الله وسنة الرسول ﷺ مع التأكيد على قاعدة لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، كما أنهم حاربوا الرأي المخالف للنص والمنافي للاتباع بحيث لا يجعل الإنسان لعقله مجالاً في ردّ النقل الصحيح، بل المعوّل عليه هو الوحي مع العلم أن النقل الصحيح لا يعارض العقل السليم.

(١) المنهاج في شعب الإيمان ١٢٤/٢. انظر الجامع لشعب الإيمان للبيهقي ٩٥/٣.

الفصل الثاني

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في التحذير من نواقض التوحيد ونواقصه وسائر المخالفات:

المبحث الأول: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في التحذير من السحر

المبحث الثاني: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في التحذير من الكهانة

المبحث الثالث: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في إبطال التنجيم

المبحث الرابع: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في النهي عن التمائم

المبحث الخامس: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في النهي عن الغلو

المبحث السادس: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في التحذير من الصور والتماثيل وما يتعلّق بها

المبحث السابع: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في التحذير من عبادة القبور وما يتعلّق بها

المبحث الثامن: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في النهي عن تتبع آثار الأنبياء وتعظيم الأماكن من غير دليل

المبحث التاسع: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في التحذير من الردّة ومحاربة المرتدين

المبحث العاشر: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في محاربة المتنبئين

المبحث الحادي عشر: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في التحذير من التشبه بالمشركين ومشاركتهم في عاداتهم وعباداتهم وغير ذلك

المبحث الثاني عشر: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في إجلاء المشركين من الجزيرة العربية ومنعهم من إظهار شعائر دينهم

المبحث الأول:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في التحذير من السحر .

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالسحر وما يتعلّق به .

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في التحذير من السحر .

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة .

المطلب الأول: التعريف بالسحر وما يتعلّق به.

السحر في اللغة:"صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره"(١).

وقيل: "هو عبارة عما خفي ولطف سببه، ولهذا جاء في الحديث: "إن من البيان لسحراً"(٢)، وسمي السّحور سحوراً لأنه يقع خفيّاً آخر الليل"(٣).

والسحر اصطلاحاً:

قال الإمام ابن قدامة رحمه الله: "عزائم ورقى وعقد تؤثر في الأبدان والقلوب فيُمرِض ويقتل ويُفرِّق بين المرء وزوجه"(٤).

قال الإمام الشنقيطي رحمه الله: "اعلم أن السحر في الاصطلاح لا يمكن حده بحد جامع مانع لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعاً لها مانعاً لغيرها. ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حده اختلافاً متبايناً"(٥).

أنواع السحر: ذكر أهل العلم أن السحر نوعان: حقيقي وتخييلي:

أما الحقيقي: فهو ما ذُكر في التعريف الاصطلاحي: عمل يؤثر في قلب أو بدن المسحور بالمرض أو القتل أو بالإخلال بعقله وغير ذلك من الإضرار. وهذا النوع هو الأخطر.

أما التخييلي: فهو سحر ليس له حقيقة في الواقع، وإنما هو خيال، فالساحر يخيّل لأعين الناظرين أمراً لا حقيقة له كقطع رأس الرجل ثمّ يعيد الرأس مكانه أو يخيّل إليهم أن العصا حية، فالساحر يؤثّر على أبصار الناس كما قال الله تعالى في قوم فرعون: ﴿ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ١١٦].

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١٣٥/٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح باب الخطبة ١٩/٧ برقم ٥١٤٦.

(٣) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ٢٥٤.

(٤) الكافي ١٦٤/٤.

(٥) أضواء البيان ٤١/٤.

وقد أنكرت المعتزلة النوع الأول[(١)]، فاعتقدوا أن السحر كلّه تخييلي، ولا شكّ أن هذا باطل، لأنه لو كان كذلك لما أثّر السحر في المسحور كقتله أو مرضه أو التفريق بينه وبين زوجه[(٢)].

حكم السحر: هو كفر وشرك، لأن الساحر لا يمكن له أن يصل إلى السحر إلا بعبادة الشيطان والخروج من دين الإسلام قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإذا تقرّب صاحب العزائم والأقسام وكتب الروحانيات السحرية وأمثال ذلك إليهم بما يحبونه من الكفر والشرك صار ذلك كالرشوة والبِرْطيل[(٣)] لهم فيقضون بعض أغراضه، كمن يعطي غيره مالاً ليقتل له من يريد قتله أو يعينه على فاحشة أو ينال معه فاحشة. ويكتبون كلام الله بالنجاسة وقد يقلبون حروف كلام الله ﷻ إما حروف الفاتحة وإما حروف ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أو غيرهما، إما بدم وإما غيره وإما بغير نجاسة، أو يكتبون غير ذلك مما يرضاه الشيطان أو يتكلمون بذلك، فإذا قالوا أو كتبوا ما ترضاه الشياطين أعانتهم على بعض أغراضهم"[(٤)].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "قلّما يتأتى السحر بدون نوع عبادة للشيطان وتقرب إليه إما بذبح باسمه أو بذبح يقصد به هو فيكون ذبحاً لغير الله وبغير ذلك من أنواع الشرك والفسوق"[(٥)].

---

(١) أنكر القوم السحر الحقيقي بحجة أنه لو جاز أن يكون له تأثير في رسول الله ﷺ، لم يؤمن أن يؤثر ذلك فيما يوحى إليه من أمر الشرع، فيكون فيه ضلال الأمة، وهذا غير صحيح، بل السحر ثابت، وحقيقته موجودة، فنفي السحر جهل، والرد على من نفاه لغو وفضل. انظر شرح السنة للإمام البغوي ١٢/١٨٧.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٢٧٦.

(٣) الرشوة. انظر القاموس المحيط للفيروزابادي ص ٩٦٦.

(٤) مجموع الفتاوى ١٩/٣٤. بتصرف يسير.

(٥) بدائع الفوائد ٢/٢٢٣.

فالشياطين لا يقومون بخدمة الساحر إلا إذا تقرّب إليهم بصرف عبادات لهم أي: بالشرك بالله أو فعل الكفر كإهانة كلام الله.

وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على كفر السحر[١] وخطورته، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]. وقد دلتْ هذه الآية الكريمة على أن السحر كفر في عدة مواضع:

أولاً: نفى الله أن نبيّه سليمان عليه السلام كفر فقال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ أي: لم يعمل السحر لأنه كفرٌ، وهذا لا يليق بالأنبياء.

ثانياً: دلت الآية على أن تعليم السحر كفر، وهذا واضح في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ثالثاً: كذلك تعلّم السحر كفر كما في قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ أي: الملكان ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ﴾ فمن تعلّم السحر كفر، وهذا إبتلاء من الله.

رابعاً: أن السحرة ليس لهم عند الله من خلاق أي: من نصيب وحظ لأن السحر كفر، فهذا وعيد عظيم يدل على خسارة الساحر.

---

(١) **تنبيه**: السحر كفر وشرك لأنه يستلزم صرف عبادات للشياطين وأفعال شنيعة كفرية، ولكن هناك من أهل العلم من يسمي سحراً ما ليس فيه ما يقتضي الكفر والشرك كالسحر الذي يقتصر على الأدوية والعقاقير، فهذا ليس فيه شرك فلا يكفر صاحبه. انظر فتح الباري لابن حجر ٢٢٤/١٠ وشرح صحيح مسلم للنووي ٣٩٨/١٤.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله في هذا النوع من السحر: "أما سحر الأدوية والتدخين ونحوه فليس بسحر وإن سمي سحرا فعلى سبيل المجاز كتسمية القول البليغ والنميمة سحرا ولكنه يكون حراما لمضرته يُعزَّر من يفعله تعزيرا بليغا". تيسير العزيز الحميد ص ٢٥٥. فالسحر الذي يصدق عليه اسم السحر حقيقة هو السحر الذي فيه ما يقتضي الكفر والشرك.

.

ومن السنة قول الرسول ﷺ: "اجتنبوا الموبقات الشرك بالله والسحر"[١].

قال الشيخ سليمان رحمه الله في تيسير العزيز الحميد: "أي: المهلكات، وسميت الكبائر موبقات لأنها تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات وفي الآخرة من العذاب"[٢]. وهنا السحر معطوف على الشرك، فهذا من باب عطف الخاص على العام.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الطب باب الشرك والسحر من الموبقات ١٣٧/٧ برقم ٥٧٦٤.

(٢) ص ٢٥٧.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في التحذير من السحر.

١٦٦- عن بجالة قال: "جاءنا كتاب عمر ﷺ قبل موته بسنة: اقتلوا كل ساحر، فقتلنا في يوم ثلاث سواحر"[(١)]. وفي رواية: "اقتلوا كل كاهن وساحر"[(٢)].

١٦٧- عن بن المسيب أن عمر بن الخطاب ﷺ أخذ ساحراً فدفنه إلى صدره ثم تركه حتى مات[(٣)].

ففي هذه الآثار العظيمة دلالة واضحة على محاربة عمر بن الخطاب ﷺ للسحر وقتل السحرة حماية للتوحيد، لأن السحر لا يتأتى إلا بالشرك والكفر، فالساحر يصرف أنواعاً كثيرة من العبادات للشياطين من استعانة وذبح وسجود وغير ذلك حتى يخدموه، فحارب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ السحر لما فيه من المنافاة والمناقضة للتوحيد.

ومن شدّة حرص عمر بن الحطاب ﷺ على القيام بهذا الأمر والصيانة للتوحيد كان يكتب إلى أمرائه وعمّاله، يأمرهم بقتل السحرة والكهّان دفعاً لشرهم، فهذا سنّة من سنن الخلفاء الراشدين ﷺ التي أمرنا الرسول ﷺ أن نعضّوا عليها بالنواجذ.

١٦٨- عن حسان بن فائد[(١)] عن عمر ﷺ أنه فسّر قول الله تعالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ ﴾ [النساء: ٥١] فقال: "الجبت السحر، والطاغوت الشيطان"[(٢)].

---

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب الخراج والفيء باب في أخذ الجزية من المجوس ص ٥٤٦ برقم ٣٠٤٣ وأحمد في مسنده ١٩٦/٣ قال أبو داود: "حدثنا مسدد بن مسرهد حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار سمع بجالة يحدث عمرو بن أوس وأبا الشعثاء قال: كنت كاتبا لجزء بن معاوية عم الأحنف بن قيس إذ جاءنا كتاب عمر. . . الأثر". قال الشيخ الألباني: "صحيح".

(٢) ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٤٥/١٢ والقطيعي في الجزء الثاني من فوائده (نقلا عن تيسير العزيز الحميد ص٢٦٠) قال: "حدثنا أبو علي بشر بن موسى الأسدي ثنا هوذة بن خليفة ثنا عوف عن عمار مولى بني هاشم عن بجالة بن عبدة. . . الأثر". قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ: "إسناده حسن" تيسير العزيز الحميد ص ٢٦٠.

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه ١٨٤/١٠ قال: "عن عبد الرحمن عن المثنى عن عمرو بن شعيب عن بن المسيب. . . الأثر".

فهنا عمر ﷺ فسّر الجبت بالسحر، وهذا من باب تفسير الشيء ببعض أفراده، ولعل عمر ﷺ ذكر السحر خصوصاً في هذا المقام لبيان خطورته وقبحه حتى يُجتنب منافحة للتوحيد.

قال الإمام السعدي رحمه الله في تفسير الآية: "وهذا من قبائح اليهود وحسدهم للنبي ﷺ والمؤمنين، أن أخلاقهم الرذيلة وطبعهم الخبيث، حملهم على ترك الإيمان بالله ورسوله ﷺ، والتعوض عنه بالإيمان بالجبت والطاغوت، وهو الإيمان بكل عبادة لغير الله، أو حكم بغير شرع الله. فدخل في ذلك السحر والكهانة، وعبادة غير الله، وطاعة الشيطان، كل هذا من الجبت والطاغوت"[٣].

---

(١) حسان بن فائد العبسي كوفي. انظر الثقات لابن حبان ١٦٣/٤.

(٢) رواه الطبري في جامع البيان ٤٦٢/٨ قال: "محمد بن المثنى قال: حدثنا محمد بن أبي عدي، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن حسان بن فائد قال: قال عمر. . . الأثر".

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٨٢.

.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

إن في جهود الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ آثاراً عظيمة على الأمة، أجلّها ما يلي:

١/ تبصير الأمة بخطورة السحر لما فيه من المنافاة للتوحيد، فوضّح الخليفة الراشد عمر ﷺ للأمة قبح هذا العمل وشرّه على صاحبه، فهو من الجبت الذي لا خير فيه، ففي هذه الجهود المباركة تحذير الأمة من ممارسة السحر أو زيارة السحرة لأن كلا الأمرين يوجبان وقوع الشرك إذ لا يتأتى السحر إلا بالاستعانة بالجن وصرف العبادات لهم من الاستغاثة والذبح والسجود لهم. وعلى هذا فلا يجوز الذهاب إلى السحرة للعلاج ولو لحلّ السحر لما في ذلك من المفاسد العظيمة كإعانة السحرة على الكفر والشرك وفتح مجال الذهاب إليهم وعدم إقامة الحدود الشرعية عليهم.

٢/ إرشاد الأمة إلى محاربة السحرة وعدم تمكينهم من ممارسة السحر في المجتمع لما فيه من الضرر على المسلمين وإضلالهم عن الصراط المستقيم، إذ يوقع الساحر الناس في الشرك والكفر بأمرهم بالذبح لغير الله أو تعليق التمائم الشركية أو تصديق خبر من الغيب لا يعلمه إلا الربّ، فشرّ الساحر كبير وفساده عظيم كأذية الناس والتفريق بين الزوجين وتمريض وقتل العباد، ولهذا يجب على هذه الأمة مقاومة السحرة تحقيقاً لحماية للتوحيد وصيانة للمجتمع الإسلامي واقتداء بسنّة الخلفاء الراشدين ﷺ.

٣/ بيان للأمة وحوب قتل السحرة، فقرّر كثير من العلماء وجوب قتل السحرة بناء على ما رُوي عن الخلفاء الراشدين وبقية الصحابة، فكان لهذه الجهود أثر بليغ في الاستدلال، وقد اختلف العلماء في قتل الساحر على قولين:

القول الأول: أنه يُقتل مطلقاً لدفع ضرره سواء كان سحره بشرك أو لا كالسحر بالأدوية على قول من يرى أنه يصدق عليه اسم السحر، فالساحر يُقتل ولا يُنظر إلى نوع سحره قال الإمام ابن قدامة رحمه الله: "وحدّ الساحر القتل. روي ذلك عن عمر، وعثمان

.

بن عفان، وابن عمر، وحفصة، وجندب بن عبد الله[١]، وجندب بن كعب[٢] وقيس بن سعد[٣]، وعمر بن عبد العزيز، وهو قول أبي حنيفة ومالك"[٤].

وقد أورد الإمام عبد الرزاق رحمه الله موقف عمر في دفن الساحر في مصنفه تحت: "باب قتل الساحر"[٥].

واستدل الإمام البيهقي رحمه الله بأثر عمر في أمره الأمراء بقتل كل ساحر على قتل الساحر فقال في كتابه السنن: "باب تكفير الساحر وقتله إن كان ما يسحر به كلام كفر صريح"[٦] ثم أورد الأثر.

وأورد هذا الأثر العلامة مجد الدين بن تيمية[٧] رحمه الله في كتابه المنتقى تحت "باب ما جاء في حد الساحر وذم السحر والكهانة"[٨].

وقال العثيمين رحمه الله: "يجب أن نقتل السحرة، سواء قلنا بكفرهم أم لم نقل، لأنهم يُمرِضون ويقتلون، ويُفرقون بين المرء وزوجه، وكذلك بالعكس، فقد يعطفون فيؤلفون بين

---

(١) جندب بن عبد الله بن سفيان، الإمام أبو عبد الله البجلي العلقي، صاحب النبيّ ﷺ، نزل الكوفة والبصرة، توفي حول عام ٧٠هـ. انظر السير للذهبي ٣/١٧٤.

(٢) جندب بن عبد الله الأرقم الأزدي الغامدي يقال له جندب الخير، حضر مع علي بن أبي طالب قتال الخوارج بالنهروان، توفي نحو عام ٧٠هـ. انظر الإصابة ٢/٢٤٧ والسير للذهبي ٢/١٧٥.

(٣) قيس بن سعد بن ثابت الأنصاري، صحابي جليل، وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ. انظر الإصابة لابن حجر ٩/٢٢٧.

(٤) المغني لابن قدامة ١٢/٣٠٢.

(٥) المصنف ١٠/١٨٤.

(٦) سنن البيقهي ٨/١٣٥.

(٧) العلّامة فقيه العصر شيخ الحنابلة مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن علي الحراني، ابن تيمية، ولد سنة تسعين وخمس مئة تقريبا، تفقه على عمه فخر الدين الخطيب، وحدث عنه ولده شهاب الدين، والدمياطي، وأمين الدين ابن شقير، تفقه، وبرع، واشتغل، وصنف التصانيف، وانتهت إليه الإمامة في الفقه، وكان يدري القراءات، وصنف فيها أرجوزة، توفي عام ٦٥٢هـ. انظر السير للذهبي ٢٣/٢٩١.

(٨) المنتقى ص ٧١٨.

الأعداء، ويتوصلون إلى أغراضهم، فإن بعضهم قد يسحر أحداً ليعطفه إليه وينال مأربه منه، كما لو سحر امرأة ليبغي بها، ولأنهم كانوا يسعون في الأرض فساداً، فكان واجباً على ولي الأمر قتلهم بدون استتابة ما دام أنه لدفع ضررهم وفظاعة أمرهم، فإن الحد لا يستتاب صاحبه، متى قبض عليه وجب أن ينفذ فيه الحد"(١).

القول الثاني: يُقتل الساحر إن كان ما يسحر به كفراً وهذا قول الشافعي رحمه الله. وذكر بعض أهل العلم أن سحره إن لم يكن فيه شركاً ولكن أدّى إلى قتل غيره فهنا يُقتل الساحر حدّاً(٢).

ومن الأثر في الاستدلال كذلك إيراد العلامة المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أثر عمر في الأمر بقتل كل ساحر في كتابه كتاب التوحيد تحت "باب ما جاء في السحر"(٣)، قال الإمام السعدي رحمه الله في شرح هذا الباب: "وجه إدخال السحر في أبواب التوحيد أن كثيراً من أقسامه لا يتأتى إلا بالشرك والتوسّل بالأرواح الشيطانية، إلى مقاصد الساحر فلا يتم للعبد توحيد حتى يدع السحر كله قليله وكثيره. ولهذا قرنه الشارع بالشرك، فالسحر يدخل في الشرك من جهتين:

– من جهة ما فيه من استخدام الشياطين ومن التعلّق بهم وربما تقرب إليهم بما يحبون ليقوموا بخدمته ومطلوبه.

– ومن جهة ما فيه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله في علمه وسلوك الطرق المفضية إلى ذلك، وذلك من شعب الشرك والكفر. وفيه أيضاً من التصرفات المحرمة والأفعال القبيحة كالقتل والتفريق بين المتحابين والصرف والعطف والسعي في تغيير العقول، وهذا من أفظع المحرمات، وذلك من الشرك ووسائله ولذلك تعيّن قتل الساحر لشدّة مضرته وإفساده"(٤).

---

(١) القول المفيد ١/٥٠٩.

(٢) انظر شرح السنة للإمام البغوي ١٠/٣٤٠.

(٣) كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب (مجموع مؤلفاته) ١/٧٢.

(٤) القول السديد للسعدي ص ٧٥.

تنبيه: رُوي[١] عن نافع عن ابن عمر أن جارية لحفصة سحرت حفصة فوجدوا سحرها فاعترفت على نفسها فأمرت حفصة عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب فقتلها، فبلغ ذلك عثمان ﷺ فأنكره، فأتاه ابن عمر فقال: إنها سحرتها ووجدوا معها سحرها فاعترفت على نفسها.

فالأثر لا يدل على إنكار عثمان لقتل الساحر، وإنما أنكر على حفصة لكونها أقامت الحد دون السلطان، فالساحر وإن كان يجب قتله فإنه لا يلي ذلك إلا السلطان أو من ينوب عنه حتى لا يكون فوضى في المجتمع[٢].

وبهذا تتبيّن جهود الخلفاء الراشدين ﷺ في التحذير من السحر وآثار ذلك على الأمة، فلا يجوز للمسلم العمل بالسحر ولا الذهاب إلى السحرة لما في ذلك من المنافاة للتوحيد.

(١) الموطأ للإمام مالك ٢/٨٧١.

(٢) انظر المنتقى للباجي ٤/٢٤٢.

المبحث الثاني:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في التحذير من الكهانة .

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالكهانة وما يتعلّق بها .

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في التحذير من الكهانة .

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة .

المطلب الأول: التعريف بالكهانة وما يتعلّق بها.

الكهانة لغة: من كهن يكهن، والكاهن: من يقوم بأمر الرجل، ويسعى في حاجته[(١)].

الكهانة شرعاً:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "هي الإخبار ببعض الغائبات عن الجن"[(٢)]، فالكاهن هو الذي يدّعي علم الغيب ومعرفة الأسرار عن طريق استراق السمع من كلام الملائكة.

والكهانة تُعدّ من الأعمال التي تنافي التوحيد وتضادّه، لأن الكاهن يستخدم الشياطين في معرفة المغيبات، وهذه الشياطين لا تخدمه ولا تخبره عن المغيبات إلا إذا تقرّب إلى هذه الشياطين بأنواع العبادات كالذبح والاستغاثة وغير ذلك، وما تطلب من فعل الكفر، كإهانة القرآن أو سب الله.

فطريقة الكاهن للوصول إلى غرضه كطريقة الساحر، كل واحد منهما يخضع للشياطين ويطيعهم، وعلى هذا فيقال: إن الكهانة شرك من جهتين:

الأولى: أن الكهانة لا تخلو من صرف عبادات لغير الله كما سبق بيانه.

الثانية: أن من ادّعى أنه يعلم الغيب أو وصف عبداً بذلك فقد جعل لله نداً، لأن الله هو المنفرد بعلم الغيب، فلا يشارك الله أحد في هذه الصفة قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥] قال الإمام السعدي رحمه الله: يخبر تعالى أنه المنفرد بعلم غيب السماوات والأرض كقوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩] وكقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ﴾ [لقمان: ٣٤]. فهذه الغيوب ونحوها اختص الله بعلمها فلم يعلمها ملك مقرّب ولا نبي مرسل، وإذا كان

---

(١) انظر القاموس المحيط للفيروزآبادى ص ١٢٢٨.

(٢) النبوات ١/١٦٦.

هو المنفرد بعلم ذلك، المحيط علمه بالسرائر والبواطن والخفايا، فهو الذي لا تنبغي العبادة إلا له"(١).

كيفية وصول الجن إلى الأمور المغيبة:

إن الجنّي يصل إلى الأمور المغيبة التي تصدق عليها عن طريق استراق السمع كما جاء ذلك في السنة فعن أبي هريرة أن النبيّ ﷺ قال: "إذا قضى الله أمراً في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فـ ﴿ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سبأ: ٢٣] قال: فيسمعها مسترقو السمع بعضهم فوق بعض، فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها إلى الذي تحته، فيلقيها على لسان الكاهن، أو الساحر، فربما لم يُدرك حتى يلقيها، فيكذب معها مئة كذبة، فتصدق تلك الكلمة التي سمعت من السماء"(٢).

ولهذا قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾[الحجر: ١٨] وقال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ [الجن: ٩] وقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾[الملك: ٥].

وقد نهى النبيّ ﷺ عن الكهانة لما فيها من شرك وكفر وما يترتّب عليها من عقوبة وترويج الكذب والشر في المجتمع قال النبيّ ﷺ: "ليس منا من تَطيَّر أو تُطيِّر له، أو تَكهَّن أو تُكهِّن له، أو سحر أو سُحر له، ومن عقد عقدة، أو قال: من عقد عقدة، ومن أتى كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ"(٣).

قوله ﷺ: "تَكهَّن" أي: من ادّعى أنه يعلم الغيب، قادر أن يخبر عن أمور من المغيبة.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٠٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير باب قوله: {إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين} [الحجر: ١٨] ص ٨٠/٦ برقم ٤٧٠١.

(٣) رواه البزار في مسنده ٥٢/٩. قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: "إسناد جيد" انظر كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب (مجموع مؤلفاته) ٧٧/١.

وقوله ﷺ: "تُكهِّن له" أي: طلب من الكاهن أن يتكهن له، يسأله ماذا سيقع في يوم كذا[١]. ودلّ هذا الحديث أن تصديق الكاهن كفر بالله.

وقال النبيّ ﷺ: "من أتى عرّافاً[٢] فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة"[٣].

قال النووي رحمه الله: "أما العرّاف فقد سبق بيانه، وأنه من جملة أنواع الكهّان، وأما عدم قبول صلاته فمعناه أنه لا ثواب له فيها وإن كانت مجزئة في سقوط الفرض عنه، ولا يحتاج معها إلى إعادة، ونظير هذه الصلاة في الأرض المغصوبة مجزئة مسقطة للقضاء، ولكن لا ثواب فيها، كذا قاله جمهور أصحابنا، قالوا: فصلاة الفرض وغيرها من الواجبات، إذا أتى بها على وجهها الكامل ترتب عليها شيئان، سقوط الفرض عنه، وحصول الثواب. فإذا أداها في أرض مغصوبة حصل الأوّل دون الثاني، ولابد من هذا التأويل في هذا الحديث، فإن العلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العرّاف إعادة صلوات أربعين ليلة، فوجب تأويله، والله أعلم"[٤].

وقال العلامة صالح الفوزان حفظه الله تعالى: "فدلّ هذا على شدّة عقوبة من يأتي العرَّاف، وأن صلاته لا تُقبل عند الله، ولا ثواب له عند الله فيها، وإن كان لا يؤمر بالإعادة، لأنه صلّى في الظاهر، لكن فيما بينه وبين الله صلاته لا ثواب له فيها لأنها غير مقبولة. وهذا وعيد شديد يدلّ على تحريم الذهاب إلى العرَّافين مجرّد الذهاب، ولو لم يصدِّق"[٥].

---

(١) انظر تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ٢٧٤.

(٢) العرّاف: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "اسم عام للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في تقدم المعرفة بهذه الطرق". مجموع الفتاوى ١٨٣/٣٥.

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب السلام باب تحريم الكهّانة ١٧٥١/٤ برقم ٢٢٣٠.

(٤) شرح صحيح مسلم ٤٤٦/١٤ باختصار.

(٥) إعانة المستفيد ٣٦٨/١.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في التحذير من الكهانة.

١٦٩- عن بن سيرين أن أصحاب رسول الله ﷺ نزلوا بأهل ماء وفيهم أبو بكر فانطلق النعيمان فجعل يخط لهم -أو قال يتكهّن لهم- ويقول يكون كذا وكذا، وجعلوا يأتونه بالطعام واللبن، وجعل يرسل إلى أصحابه، فقيل لأبي بكر أتعلم ما هذا إنّ ما يُرسل به النعيمان يخط -أو قال يتكهّن-؟ فقال أبو بكر: ألا أراني كنت آكل كهانة النعيمان منذ اليوم ثم أدخل يده في حلقه فاستقاءه"(١).

١٧٠- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "كان لأبي بكر غلام يُخرج له الخراج(٢) وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: تدري ما هذا؟ فقال: أبو بكر وما هو؟ قال: كنت تكهَّنتُ لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أني خدعته فلقِيَني فأعطاني بذلك فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه"(٣).

ففي هذه القصة العظيمة براءة أبي بكر الصديق ﷺ من الكهانة، لأنه لما علم أن هذا الطعام عوض عن أجرة كهانة تكهّن بها غلامه أدخل أبو بكر يده في فمه حتى قاء كل ما أكله.

قال الحافظ ابن حجر: "والذي يظهر أن أبا بكر إنما قاء لما ثبت عنده من النهي عن حلوان الكاهن(٤)، وحلوان الكاهن ما يأخذه على كهانته، والكاهن من يخبر بما سيكون

(١) رواه عبد الرزاق في مصنف ٢٠٩/١١ قال: "عن معمر عن أيوب عن بن سيرين. . . الأثر". قال الحافظ ابن حجر: "إسناده صحيح" فتح الباري ١٥٤/٧.

(٢) أي يدعه يشتغل ويضرب عليه خراجا معينا، ويقول: ائت لي كل يوم بكذا وكذا وما زاد فهو لك. انظر عمدة القارئ للعيني ٤٩٦/٢٤ وشرح رياض الصالحين للعثيمين ٦٢٢/١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب مناقب الأنصار باب أيام الجاهلية ٤٣/٥ برقم ٣٨٤٢.

(٤) قال رسول الله: ﷺ "لا يحل ثمن الكلب ولا حلوان الكاهن ولا مهر البغي". رواه أبو داود في سننه في كتاب البيوع باب في أثمان الكلاب ص ٦٢٦ برقم ٣٤٨٤. وصححه العلامة الألباني.

عن غير دليل شرعي وكان ذلك قد كثر في الجاهلية خصوصاً قبل ظهور النبيّ ﷺ"(١).

فأبو بكر لم يرض أن يتغذّى بطنه بحرام، فموقف خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر فيه إنكار على الكهانة وتحقيق لصيانة التوحيد.

وهذا الأثر دليل على شدّة ورع أبي بكر رضي الله عنه، فهو جدير بهذا لأنه الخليفة الأوّل على هذه الأمة بعد نبيها ﷺ(٢).

١٧١- عن بجالة بن عبدة قال كتب إلينا عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل كاهن وساحر(٣).

ففي هذا الأثر العظيم دلالة واضحة على محاربة عمر بن الخطاب رضي الله عنه للكهانة وقتل الكهّان حماية للتوحيد لأن الكهانة لا تخلو من الشرك كالاستعانة بالجن وصرف العبادات لهم، فهي أمر مضاد للتوحيد، ولهذا حرص عمر رضي الله عنه أشدّ الحرص على محاربة الكهانة وقتل الكهّان تحقيق لصيانة التوحيد.

١٧٢- عن الأسود بن هلال، قال: قال علي: "إن هؤلاء العرّافين كهّان العجم، فمن أتى كاهناً يؤمن بما يقول، فقد برئ مما أنزل الله على محمد ﷺ"(٤).

ففي هذا الأثر تحذير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الرعية من إتيان الكاهن لما فيه من المنافاة للتوحيد والمناقضة للإيمان بأن الله هو المنفرد بعلم الغيب، ففي نهي علي بن أبي طالب من الذهاب إلى الكاهن تحقيق لحماية التوحيد وإخبار بكفر مصدِّق الكاهن.

وهذا الاثر العظيم نظير قول رسول الله ﷺ: "من أتى كاهناً أو عرّافاً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ"(١).

---

(١) فتح الباري ١٥٤/٧.

(٢) انظر شرح رياض الصالحين للعثيمين ٦٢٢/١.

(٣) تقدم تخريجه ص ٥٤٠.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم ٣٩١/٧ قال: "حدثنا أبو معاوية، قال: حدثنا الشيباني، عن جامع بن شداد، عن الأسود بن هلال قال: قال علي. . . الأثر".

وقد اختلف أهل العلم في نوع الكفر في هذا الحديث، هل المراد منه الكفر الأكبر أو الأصغر:

القول الأول: أن من أتى كاهناً فصدّقه كفر كفراً أصغر، لا يخرج عن الملة، لأنه لو كان كفراً أكبر لما حدّد النبيّ ﷺ عدم قبول صلاته أربعين يوماً كما جاء ذلك في رواية عن أحمد في مسنده أن النبيّ ﷺ قال: "من أتى عرّافاً فصدّقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوماً"(٢). وهذا القول مروي عن أحمد(٣).

وبعض أهل العلم أضافوا إلى هذا القول أنّه قد يقول إنسان: أنا أصدق الكاهن فيما أخبر من علم الغيب لا باعتقاد أن ذلك الكاهن يعلم الغيب وإنما علم الخبر بواسطة الجنّ عن طريق استراق السمع، فالكاهن ينقل عن الجن فلا يعلم الغيب. وهذا شبهة تمنع من تكفيره(٤).

ولهذا قال بعض العلماء يكفر على حسب اعتقاده قال المناوي(٥) رحمه الله: "وأفاد بقوله ﷺ: "فصدّقه" أن الغرض إن سأله معتقداً صدقه، فلو فعله استهزاء معتقداً كذبه فلا يلحقه الوعيد، ثم إنه لا تعارض بين ذا الخبر وما قبله لأن المراد إن مصدّق الكاهن إن اعتقد أنه يعلم الغيب كفر، وإن اعتقد أن الجن تُلقي إليه ما سمعته من الملائكة وأنه بإلهام فصدّقه من هذه الجهة لا يكفر"(٦).

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٢٣١/١٥ قال محقق المسند الشيخ شعيب الأرنؤوط: "حديث حسن، رجاله ثقات رجال الصحيح، لكن خلاس -وهو ابن عمرو الهجري- لم يسمع من أبي هريرة".

(٢) ٢٦٤/٣٨ قال محقق المسند الشيخ شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير صفية- وهي بنت أبي عبيد بن مسعود الثقفية امرأة عبد الله بن عمر بن الخطاب فقد روى لها مسلم وحده".

(٣) انظر كتاب الفروع للمقدسي ٢١١/١٠.

(٤) انظر التمهيد للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ص ٣٢٢.

(٥) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي ثم المناوي القاهري، من كبار العلماء بالدين والفنون. انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه، توفي عام ١٠٣١هـ. انظر الأعلام للزركلي ٢٠٤/٦.

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣٠/٦.

القول الثاني: أن من صدّقه يكفر كفراً أكبر يخرج من الملة قال سليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد رحمه الله: "ظاهر الحديث أنه يكفر متى اعتقد صدقه بأي وجه كان لاعتقاده أنه يعلم الغيب وسواء كان ذلك من قبل الشياطين أو من قبل الإلهام لاسيما وغالب الكهّان في وقت النبوّة إنما كانوا يأخذون عن الشياطين"(١).

القول الثالث: التوقف كما هو مروي عن الإمام أحمد في رواية أخرى، فيتوقف فيه، فلا يُفسَّر الحديث: هل هو كفر أكبر أو كفر أصغر، وإنما يُعلَّم الناس أن الذهاب إلى الكهّان وتصديقهم كفر بالله ﷻ ولا يُفصَّل، لأجل تخويف الناس وتهديدهم(٢).

ففي هذه الجهود المباركة دلالة على عناية الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم بحماية التوحيد، فهم حذّروا الرعية من الكهانة وحاربوها بكل الطرق، فتارة عن طريق المشافهة وذلك بتهديد الناس وبيان عقوبة مصدِّق الكاهن، وتارة بالأمر بقتل فاعلها دفعاً لشرّهم وإبطالاً لكيدهم ومكرهم .

---

(١) ص ٢٧٣.

(٢) انظر كتاب الفروع للمقدسي ١٠/ ٢١١ والتمهيد لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ ص ٣٢٢.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

إن جهود الخلفاء الراشدين ﷺ في التحذير من الكهانة جهود مشكورة وجليلة، وقد كان لهذه الأعمال النبيلة آثار عظيمة على الأمة، أهمّها ما يلي:

١/ بيان للأمة بطلان الكهانة وغير ذلك من دعاوى علم الغيب وخطورة تصديق الكهّان وإتيانهم، فبيّن الخلفاء الراشدون ﷺ للأمة وجوب تكذيب من ادّعى علم الغيب، وأثبتوا أن معرفة الغيب من خصائص الله التي لا يشاركه فيها أحد ولو كان نبيّاً قال الله ﷻ: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴾[الأعراف: ١٨٨].

قال الإمام ابن كثير: "أمره الله تعالى أن يفوّض الأمور إليه، وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب، ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله عليه"(١). فإذا كان الرسول الكريم ﷺ، أفضل الأنبياء، وخير خلق الله وأتقاهم للربّ ﷻ لا يعلم الغيب فكيف بمن دونه؟! وقد رُوي عن أبي بكر التصريح بنفي معرفة الغيب في وصية أملأها على عثمان قبل موته فقال: "إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا، وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإيّاكم خيراً، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه، وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب من الإثم، والخير أردت، ولا أعلم الغيب، ﴿ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] والسلام عليكم ورحمة الله"(٢).

فلا أحد من العباد يعلم الغيب لا الرسول ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا أحد من الصحابة ﷺ الذين هم خيار هذه الأمة، وأولياء الله حقّاً، فكيف بعد ذلك يُصدَّق أناس يدّعون أنهم يعلمون الغيب باسم الولاية؟! وما هم إلا أولياء الشيطان، دجّالون مشعوذون، كهّان كفرة، يلبّسون على العوام، فهل هم أفضل من الرسول والصحابة؟! كلا! بل هم من شرار الخلق. فوضّح الخلفاء الراشدون ﷺ للأمة تحريم الكهانة وإتيان أصحابها ولو

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/٣٦٣.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٢٠٠.

ظهروا للناس باسم أطبّاء أو معالجين أو أصحاب خِبرة، فالعبرة ليست بالأسماء وإنما العبرة بالحقائق، فالكاهن كاهن مهما تسمّى بالأسماء التي يستتر بها.

فالحاصل أنه لا يجوز الذهاب إلى الكهّان لأنه لا يجتمع في قلب الموحّد التصديق بما أنزل على محمد ﷺ والتصديق بما عند الكاهن والعرّاف من ادّعاء معرفة المستقبل، فالأمران متضادان: التوحيد والشرك، فلا يمكن أن يجتمعان بحال، كما أن الكهانة تستلزم صرف العبادة للشياطين والخضوع لهم وهذا كفر مخرج من الملة، فلا شكّ أن كل ذلك مناف للإيمان، فبهذه الجهود النافعة وضّح الخلفاء الراشدون ﷺ للأمة عقيد التوحيد وأن التصديق الكهّان يقتضي الكفر بما أُنزل على رسولنا محمد ﷺ.

وقد استدل الإمام ابن أبي شيبة رحمه الله في مصنفه بقول علي بن أبي طالب لتقرير المسألة: من كره إتيان الكاهن والساحر والعراف[(١)].

٢/ بيان للأمة وجوب محاربة الكهانة لما فيها من المنافاة للتوحيد، فبهذه الجهود المباركة أرشد الخلفاء الراشدون ﷺ الأمة وحكّامها إلى معاقبة الكهّان والقضاء عليهم لأجل إراحة المسلمين من شرهم وصيانة المجتمع الإسلامي من خطرهم كإفساد عقيدة المسلمين وفشو الشرك وأذية العباد بتخويفهم وترويج الكذب والشر.

وقد أورد الإمام ابن أبي العز رحمه الله أثر أبي بكر مع غلامه[(٢)] عند شرحه لقول الإمام الطحاوي: "ولا نصدق كاهناً ولا عرّافاً، ولا من يدّعي شيئاً يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة"، فبعد إيراد الأثر في شرحه قال: "والواجب على ولي الأمر وكل قادر أن يسعى في إزالة هؤلاء المنجّمين والكهّان والعرّافين وأصحاب الضرب بالرمل والحصى والقرع والفالات، ومنعهم من الجلوس في الحوانيت والطرقات، أو يدخلوا على الناس في منازلهم لذلك. ويكفي من يعلم تحريم ذلك ولا يسعى في إزالته، مع قدرته على ذلك، قوله تعالى:﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٩]. وهؤلاء الملاعين يقولون الإثم ويأكلون السحت، بإجماع المسلمين. وثبت في السنن عن النبيّ ﷺ برواية الصديق ﷺ،

(١) المصنف ٣٩١/٧.

(٢) انظر ص ٥٥٠.

أنه قال: "إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيّروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه"(١). وهؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال الخارجة عن الكتاب والسنة، أنواع: نوع منهم: أهل تلبيس وكذب وخداع، الذين يُظهر أحدهم طاعة الجن له، أو يدّعي الحال من أهل المحال، من المشايخ النصَّابين، والفقراء الكذّابين، والطرقية المكَّارين، فهؤلاء يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس، وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل"(٢).

وأورد شيخ العلامة مجد الدين بن تيمية قصة أبي بكر مع غلامه في كتابه المنتقى في كتاب الحدود تحت "باب ما جاء في حد الساحر وذمّ السحر والكهانة"(٣).

وقد قام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بهذا الواجب على أحسن الوجه، فحاربهم حتى كتب إلى عمّاله في الأمصار يأمرهم أن يقتلوا كل كاهن وساحر(٤).

وبهذا تتبيّن جهود الخلفاء الراشدين ﷺ لحماية جناب التوحيد في التحذير من الكهانة، فنستفيد من هذه الجهود المباركة وجوب محاربة الكهانة وعقوبة أصحابها حتى تصان عقيدة التوحيد وتستريح الأمة من شرّهم، هذا والله أعلم.

---

(١) رواه أحمد في مسنده ١/١٧٨. قال محقق المسند الشيخ شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٧٦٧.

(٣) المنتقى ص ٧١٨.

(٤) انظر ص ٥٤٠.

المبحث الثالث:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في إبطال التنجيم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالتنجيم وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في إبطال التنجيم.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المطلب الأول: التعريف بالتنجيم وما يتعلّق به.

التنجيم لغة: مصدر الفعل نجّم، وهو مأخوذ من النَّجْم، وهو في الأصل: اسم لكل واحد من كواكب السماء.

والمَنَجِّم والمتنجِّم: الذي ينظر في النجوم يحسب مواقيتها وسيرها.

ومعنى تنجّم: إذا راعى النجوم من سهر(١).

التنجيم اصطلاحاً:

قال الإمام الخطابي رحمه الله: "هو ما يدّعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان كأخبارهم بأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وظهور الحر والبرد وتغير الأسعار وما كان في معانيها من الأمور، يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها وباجتماعها واقترانها ويدعون لها تأثيراً في السفليات وأنها تتصرف على أحكامها وتجري على قضايا موجباتها، وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاط لعلم استأثر الله سبحانه به لا يعلم الغيب أحد سواه"(٢).

وعرّفه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأنه هو: "الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية"(٣).

وسيتبيّن أكثر المراد بالتنجيم وما تضمنه من معان عند ذكر أقسامه بالتفصيل.

التنجيم قسمان:

الأول: علم التأثير، وهو ثلاثة أنواع كلّها محرّمة:

النوع الأول: هو الاعتقاد أن الكواكب فاعلة مختارة، تؤثر بنفسها في العالم السفلي، تُحدث الحوادث، وهذا كفر وشرك بالله(٤)، وهذا الاعتقاد هو الذي كان عليه الصابئة قوم إبراهيم عليه السلام، قال العلامة سليمان بن عبد الله رحمه الله: "كانوا يعظّمون الشمس والقمر والكواكب تعظيماً، يسجدون لها ويتذللون لها ويسبحونها تسابيح معروفة في كتبهم

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور ١٤/٢٠٢.

(٢) معالم السنن ٤/٢٢٩.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٥/١٩٢.

(٤) انظر الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة ١/٢٤٤.

ويدعونها دعوات لا تنبغي إلا لخالقها وفاطرها وحده لا شريك له ويبنون لكل كوكب هيكلاً أي: موضعاً لعبادته ويصورون فيه ذلك الكوكب ويتخذونه لعبادته وتعظيمه ويزعمون أن روحانية ذلك الكوكب تنزل عليهم وتخاطبهم وتقضي حوائجهم وتلك الروحانيات هي الشياطين تنزلت عليهم وخاطبتهم وقضت حوائجهم"(١).

النوع الثاني: هو الاعتقاد أن الكواكب سبب في الحوادث وما يجري في الكون مع العلم أن الله هو الخالق المدبّر المحدِث للأشياء، وهذا الاعتقاد غير صحيح بل هو شرك أصغر(٢).

النوع الثالث: الاستدلال بها على معرفة الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان، وهذا من ادّعاء علم الغيب(٣)، كمن يدّعي أن في البرج الفلاني يحصل كذا من سفر أو تزوّج فيه، أو قال لا يصلح فيه شيء من البيع، ولا شكّ أن ذلك كفر مخرج من الملة.

أما القسم الثاني: هو علم التسيير: هو تعلّم منازل النجوم وحركاتها لمعرفة القبلة، والأوقات، فيجعل المسلم النجوم وحركتها والتقاءها وافتراقها، وطلوعها أو غروبها وقتاً وزمناً، لا يجعل ذلك سبباً، فيجعل هذه النجوم علامة على زمن يصلح فيه كذا وكذا، والله ﷻ جعل النجوم علامات كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٦] فهي علامة على أمور كثيرة وليست سبباً فيها(٤).

قال الإمام البربهاري رحمه الله: "وأقل من النظر في النجوم إلا بما تستعين به على مواقيت الصلاة والْهَ عما سوى ذلك فإنه يدعو إلى الزندقة(٥).

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٢٩٥.

(٢) انظر معالم السنن للخطابي ٢٢٩/٤ وإعانة المستفيد للعلامة صالح الفوزان ١٩/٢.

(٣) انظر الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة ٢٤٤/١ ومعالم السنن للخطابي ٢٢٩/٤.

(٤) انظر معالم السنن للخطابي ٢٣٠/٤ والقول في علم النجوم للخطيب الغدادي ص ١٢٦والتمهيد للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ص ٣٤٥.

(٥) شرح السنة ص ١٠٢.

وقال الإمام الخطابي رحمه الله: "فأما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والحس الذي يعرف به الزوال ويعلم به جهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهي عنه"(١).

ولا شكّ أن القسم الأول من التنجيم أي: علم التأثير وأنواعه عقيدة شركية فاسدة، منافية لما دلت عليه نصوص الوحي من وحدانية الربّ، فقد بيّن الله لعباده أتم البيان أنه هو رب العالمين، المتفرد بكل كمال، الموصوف بنعوت العظمة والجمال، الموحَّد بالخلق والملك والتدبير، عالم الغيب والشهادة، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لا يشاركه أحد في هذه الخصائص، ولهذا نعلم يقيناً أن الله هو المتصرف وحده في الكون، وكل ما فيه مسخر له وخاضع لأمره قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤] وقال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

فهذه الآيات البينات أدلة قاطعة وبراهين عقلية على إبطال علم التأثير، فالنجوم وسائر الكواكب مدبَّرة مسخَّرة لله، لا تخلق شيئاً، بل هي مخلوقة، فلا تؤثر بنفسها في حوادث الكون ولا هي سبب لما يجري فيه، كما أنها ليست وسيلة لادّعاء علم قال الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ – ٢٧].

قال ابن الجوزي رحمه الله: "وذلك لأن علم الغيب لله وحده ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾ أي: فلا يُطلِع على غيبه الذي يعلمه أحداً من الناس ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ لأن من الدليل على صدق الرسل إخبارَهم بالغيب، والمعنى: أن من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من غيب. وفي هذا دليل على أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر"(٢).

---

(١) معالم السنن ٤/٢٣٠.

(٢) زاد المسير في علم التفسير ٦/٨٤.

ومما جاء في السنة في ذم التنجيم قول النبيّ ﷺ: "من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد"(١). يفيد هذا الحديث أن التنجيم نوع من الأنواع السحر، لأن كلا من الأمرين السحر والتنجيم فيه ادّعاء علم الغيب. وقال الرسول ﷺ: "أخاف على أمتي من بعدي ثلاثاً: حيف الأئمة وإيماناً بالنجوم وتكذيباً بالقدر"(٢).

قال المناوي رحمه الله: "وإيماناً بالنجوم" أي: تصديقاً باعتقاد أن لها تأثيراً في العالم، ونكره ليفيد الشيوع، فيدل على التحذير من التصديق بأي شيء كان من ذلك جزئياً أو كلياً مما كان من أحد فسمى علم النجوم وهو علم التأثير لا التسيير فإنه غير ضار"(٣).

فهذه بعض النصوص الشرعية الدالة على بطلان التنجيم (علم التأثير) وذمه، وأما ما يتعلّق بعلم التسيير فلا بأس به إن شاء الله كما سبق بيان ذلك.

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب الكهّانة باب في النجوم ص ٧٠١ برقم ٣٩٠٥. قال الألباني: "حسن".

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٨٥/٢. وصححه العلامة الألباني انظر السلسلة الصحيحة ١١٩/٣.

(٣) فيض القدير ٢٦٣/١.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في إبطال التنجيم.

١٧٣- عن أبي نضرة[١] قال: قال عمر رضي الله عنه: "تعلّموا من هذه النجوم ما تهتدون به في ظلمة البر والبحر، ثم أمسكوا"[٢].

ففي هذا الأثر إرشاد عمر رضي الله عنه الرعية إلى تعلّم نوع التنجيم المأذون فيه أي: علم التسيير لما فيه من مصلحة دنيوية وشرعية للناس كالاهتداء ومعرفة القبلة وأوقات الصلوات، ثم حذّر من النوع الآخر المعروف بعلم التأثير لما يتضمن من الشرك بالله والكفر به.

قال الإمام ابن رجب رحمه الله في شرح قول عمر رضي الله عنه: "فمراده -والله أعلم-: أنه يتعلّم من النجوم الشرقية والغربية والمتوسطة ما يهتدى به إلى جهة القبلة بعد غروب الشمس، وفي حالة غيبوبة القمر، فيستدل بذلك على الشرق والغرب، كما يستدل بالشمس والقمر عليهما، ولم يرد -والله أعلم- تعلّم ما زاد على ذلك، ولهذا أمر بالإمساك، لما يؤدّي إلى التوغل في ذلك إلى ما وقع فيه المتأخّرون من إساءة الظنّ بالسلف الصالح"[٣].

وقد رُوي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا و إذا ذكر القدر فأمسكوا"[٤].

قال الخطيب البغدادي رحمه الله: "أراد صلى الله عليه وسلم بالإمساك عن النجوم الكف عما يقول المنجّمون فيها، من أنها فاعلة مدبّرة وأنها تسعد وتنحس، وأن ما يكون في العالم من حادث فهو بحركات النجوم، فأمر عليه الصلاة والسلام بالإمساك عن هذا القول، وأن يقال فيها

---

(١) أبو نضرة المنذر بن مالك بن قطعة العبدي ثم العوقي البصري، الإمام، المحدث الثقة، وكان من كبار العلماء بالبصرة، توفي عام ١٠٨. انظر السير للذهبي ٥٢٩/٤.

(٢) رواه هناد في الزهد ٤٨٧/٣ وابن أبي شيبة في مصنفه ٤١٤/٨ قال: "حدثنا غسان بن مضر، عن سعيد بن يزيد، عن أبي نضرة قال: قال عمر. . . الأثر".

(٣) فتح الباري ٢٩٦/٢.

(٤) تقدم تخريجه ص ٢٣٥.

إنها كما جعلها الله تعالى يهتدي بها في ظلمات البر والبحر، ويعرف بالشمس والقمر عدد السِّنين والحساب، وإنّ فيها دلالة على قدرة اللّه وحكمته"(١).

ففي أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ الناس بتعلّم علم التسيير والإمساك عن علم التأثير تحقيق لحماية التوحيد.

١٧٤- عن الشعبي أن عمر ﷺ خرج يستسقي فقام على المنبر فقرأ هذه الآيات: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ [نوح: ١٠ – ١١] ويقول: ﴿ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ [هود: ٥٢] ثم نزل فقيل: يا أمير المؤمنين، ما منعك أن تستسقي؟ قال: "قد طلبت المطر بمجاديح السماء التي ينزل بها القطر"(٢).

فالمجاديح: جمع مِجْدَح وهو نجم كانت العرب تزعم أنها تمطر به(٣)، فأراد عمر ﷺ إبطال تلك العقيدة الشركية التي كانت عليها العرب، فبيّن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله أنه استسقى بالسبب الصحيح لنزول المطر، وهو الاستغفار وليس النجوم، فشبّه الاستغفار بالنجوم ردّاً على أهل الشرك وتكذيباً لما ادّعوه من نسبة السقيا إلى الأنواء(٤)، ففي هذا الموقف العظيم تحقيق للتوحيد وحماية له.

قال الإمام ابن الأثير رحمه الله: "والمجدح: نجم من النجوم، قيل هو الدّبران، وقيل هو ثلاثة كواكب كالأثافي تشبيهاً بالمجدح الذي له ثلاث شعب وهو عند العرب من الأنواء

---

(١) القول في علم النجوم ص ١٧٨.

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٨٧/٣ وابن سعد في الطبقات ٣٢٠/٣ وابن أبي شيبة في مصنفه ٣١١/١٠ وابن شبة في أخبار المدينة ٣٩١/١ والطبري في جامع البيان ٦٣٣/٢٣ والبيهقي في سننه ٣٥١/٣. قال ابن أبي شيبة: "حدثنا وكيع، عن سفيان، عن مطرف، عن الشعبي، أن عمر. . . الاثر". صحيح لتقوية الطرق بعضها بعضاً. انظر كتاب تنبيه القارئ على تقوية ما ضعفه الألباني للشيخ عبد الله الدويش ص ٧٧.

(٣) انظر التمهيد لابن عبد البر ٢٩٢/١٦.

(٤) انظر نيل الأوطار للشوكاني ٣٣/٤.

الدّالّة على المطر، فجعل الاستغفار مشبّهاً بالأنواء، مخاطبة لهم بما يعرفونه لا قولاً بالأنواء. وجاء بلفظ الجمع لأنه أراد الأنواء جميعها التي يزعمون أنّ من شأنها المطر"(١).

وقال النووي رحمه الله: "قال أهل اللغة المجدح كل نجم كانت العرب تقول يمطر به، فأخبر عمر ﷺ أن الاستغفار هو المجاديح الحقيقية التي يستنزل بها القطر لا الأنواء، وإنما قصد التشبيه"(٢).

ووجه إيراد هذا الأثر في باب التنجيم أن الاستسقاء بالأنواء نوع من أنواع التنجيم، فمن اعتقد أن النجوم سبب من أسباب نزول المطر أو أنها هي بذاتها تُنزِّل المطر فقد وقع في التنجيم، وهنا عمر ﷺ أراد الردّ على من يستسقي بالأنواء، وبهذا يظهر الترابط بين التنجيم والاستسقاء بالأنواء، ولهذا أتبع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه كتاب التوحيد باب التنجيم بباب الاستسقاء بالأنواء(٣) إذ هو من أنواعه، وهذا يدل على حسن ترتيبه رحمه الله لكتابه ودقّته في المسائل العلمية.

١٧٥- عن عبد الله بن عوف بن الأحمر(٤) أن مسافر بن عوف بن الأحمر قال لعلي بن أبي طالب ﷺ حين انصرف من الأنباري(٥) إلى أهل النهروان(٦): يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة، وسر في ثلاث ساعات مضين من النهار قال علي ﷺ: ولم؟ قال: لأنك إنْ سرتَ في هذه الساعة أصابك أنت وأصحابك بلاء وضرّ شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت، فقال علي: ما كان لمحمد ﷺ منجّم ولا لناس من بعده، هل تعلم ما في بطن فرسي هذه؟ قال: إن حسبتُ علمتُ قال: من صدّقك بهذا

---

(١) النهاية ٢٣٩/١.

(٢) المجموع ٨٢/٥.

(٣) كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب (مجموع مؤلفاته) ٨٥/١.

(٤) عوف بن عبد الله بن الأحمر الأزدي، شهد صفين مع علي. انظر الإصابة ١٦٥/٥.

(٥) مدينة من مدن العراق على نهر الفرات، غربي بغداد، كان الفرس يسمونها (فيروز سابور)، جددها أبو العباس السفاح أول خليفة عباسي وبنى بها قصورا واتخذها مقرا له إلى أن توفي. انظر معجم البلدان لياقوت ٢٥٧/١.

(٦) كورة واسعة بين بغداد وواسط في شرقي دجلة، كانت من أجمل نواحي بغداد وأكثرها دخلا، وأحسنها منظرا وأبهاها فخرا. انظر آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ١٩٣/١.

القول كذّب القرآن قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾[لقمان: ٣٤]، ما كان محمد ﷺ يدّعي علم ما ادعيتَ علمه، تزعم أنك تُهدى إلى علم الساعة التي يصيب السوء من سافر فيها؟ قال: نعم قال: من صدقك بهذا القول استغنى عن الله تعالى في صرف المكروه عنه، وينبغي للمقيم بأمرك أن يوليك الأمر دون الله ربه لأنك أنت تزعم هدايته إلى الساعة التي تنجو من السوء، من سافر فيها، فمن آمن بهذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ندّاً وضدّا، اللهم لا طائر إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك، نكذّبك ونخالفك، ونسير في هذه الساعة التي تنهانا عنها، ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس إيّاكم وتعلّم هذه النجوم إلا ما يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، إنما المنجّم كالكافر، والكافر في النار، والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها لأخلدنّك في الحبس ما بقيتُ وبقيتَ، ولأحرمنّك العطاء ما كان لي سلطان، ثم سار في الساعة التي نهاه عنها فأتى أهل نهروان فقتلهم ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها فظفرنا أو ظهرنا، لقال قائل: سار في الساعة التي أمر بها المنجّم، ما كان لمحمد ﷺ منجّم ولا لنا من بعده، فتح الله علينا بلاد كسرى(١) وقيصر(٢) وسائر البلدان، أيها الناس توكّلوا على الله وثقوا به فإنه يكفي ما سواه"(٣).

١٧٦- وفي رواية: عن علي قال: "أُحذِّركم علم النجوم إلا ما يهتدى به في ظلمات البر والبحر، فإن المنجّم كالساحر، والساحر كاهن، والكاهن كافر، والكافر في النار"(٤).

---

(١) كسرى آخر الأكاسره مطلقا، واسمه: يزدجرد بن شهريار بن برويز المجوسي الفارسي. انهزم من جيش عمر فاستولوا على العراق، وانهزم هو إلى مرو وولت أيامه، ثم ثار عليه أمراء دولته وقتلوه سنة ٣٠هـ. انظر السير للذهبي ١٠٩/٢.

(٢) قيصر هو لقب من يملك الروم. انظر فتح الباري لابن حجر ١٧٣/١.

(٣) رواه ابن كثير في البداية والنهاية ٣١٩/٧ والهيثمي في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ٦٠١/٢ والبوصيري في اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ٤٧٣/٤ قال الحارث: "حدثنا إبراهيم أبو إسحاق ثنا المحاربي عبد الرحمن بن محمد ثنا عمر بن حسان عن يوسف بن زيد عن عبد الله بن عوف بن الأحمر ان مسافر بن عوف بن الأحمر قال لعلي بن أبي طالب. . . الأثر".

(٤) رواه ابن بطة في الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص ٢٥٩.

فهذه القصة عظيمة الدلالة، فهي من أوضح البراهين على حرص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ على إبطال التنجيم، فلمّا نصحه المنجّم بعدم السفر مستدلاً بحركات النجوم أصرّ علي بن أبي طالب ﷺ على الخروج لقتال الخوارج ولم يلتفت إلى قول هذا المنجّم، بل سافر ثقة بالله ومتوكّلاً عليه ورجع منتصراً على أعدائه، فوقف علي ﷺ هذا الموقف ليُكذّب ما ادّعاه المنجّم من الاعتقاد الفاسد تحقيقاً للتوحيد.

ويُلاحظ في هذه القصة أن علياً ﷺ مع كثرة انشغاله بتنظيم قتال الخوارج وما كان فيه من الأمر المهم لم ينس أن يُبيّن لأصحابه ﷺ فساد اعتقاد المنجّم وأن يُحذّرهم من هذه الصناعة الشركية، وهذا يدل على شدّة عنايته بأمر التوحيد وحمايته.

فهذه الحادثة تكشف لنا قوة توكّل علي بن أبي طالب ﷺ على الله وثباته على الدين، وتدل على سلامة عقيدته ﷺ، فحذّر من الساحر والكاهن والمنجّم، وجعلهم على حد سواء، أي: كلّهم على الكفر لأن كل واحد منهم يدّعي علم الغيب الذي اختصّ الله بعلمه.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

لقد كان لهذه الجهود العظيمة آثار حميدة على الأمة، أجلّها ما يلي:

١/ بيان للأمة بطلان علم التنجيم وتحذيرها من تصديقه لما فيه من المنافاة للتوحيد، فوضّح الخلفاء الراشدون ﷺ للأمة فساد علم التأثير بجميع أنواعه وبيّنوا أن الإيمان بهذا العلم عقيدة شركية، فمن المعلوم أن النجوم والكواكب لها حال وجود وعدم أو حال حضور وغيبة، وهذا النقص من أكبر البراهين العقلية على بطلان إلهية تلك الأفلاك والنجوم، فالإله الحق هو الموصوف بالكمال المطلق من جميع الوجوه، فمن السفه أن يُعتقد أن النجوم خالقة فاعلة، أو أنها سبب للحوادث أو وسيلة في ادّعاء علم الغيب، فكل ذلك شرك بالله واعتقاد فاسد، ففي هذه الجهود المباركة أمر الأمة بالإمساك عن علم التأثير، ونهيها عن تصديق المنجّمين وإتيانهم.

ولا شكّ أن هذه الجهود المباركة كان لها أثر بليغ على علماء الأمة في تقريرهم وبيانهم بطلان علم التنجيم ومن ذلك ما يلي:

- قال الإمام ابن بطة رحمه الله مستدلاً بقصة علي ﷺ مع المنجم: "ومن البدع النجوم والنظر فيها والاعتصام بها، بل هو طرف من الشرك، وادعاءٌ لعلم الغيب، وكل ذلك منهي عنه مثل: النجوم والعيافة[(١)] والتكهُّن والزجر[(٢)] والتطير"[(٣)].

- وأيضاً قال رحمه الله: "وأمر النجوم على وجهين: فأحدهما واجب علمه والعمل به، فأما ما يجب علمه والعمل به فهو أن يتعلّم من النجوم ما يهتدي به في ظلمات البر والبحر ويعرف به القبلة والصلاة والطرقات، فبهذا العلم من النجوم نطق الكتاب ومضت السنة. وأما ما لا يجوز النظر فيه والتصديق به، ويجب علينا الإمساك عنه من علم النجوم، فهو أن

---

(١) العيافة: زَجْر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها ومَمَرِّها. وهو من عادة العَرب كثيرا. انظر النهاية لابن الأثير ٢/٢٧٩.

(٢) الزجر: هو نوع من العيافة. انظر النهاية لابن الأثير ١/٧١٩.

(٣) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص ٢٥٨.

لا يحكم للنجوم بفعل، ولا يقضي لها بحدوث أمره كما يدّعي الجاهلون من علم الغيوب بعلم النجوم ولا قوة إلا بالله"(١).

- وأورد القرطبي رحمه الله موقف علي مع المنجّم لإثبات تفرّد الله بعلم الغيب وإبطال التنجيم عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الجن: ٢٦]، فقال: "ليس المنجّم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعَه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافر بالله مفترٍ عليه بحدسه وتخمينه وكذبه" إلى أن قال: "وقيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ لما أراد لقاء الخوارج: أتلقاهم والقمر في العقرب؟ فقال ﷺ: فأين قمرهم؟ وكان ذلك في آخر الشهر. فانظر إلى هذه الكلمة التي أجاب بها، وما فيها من المبالغة في الردّ على من يقول بالتنجيم، والإفحام لكل جاهل يحقق أحكام النجوم"(٢).

٢/ بيان للأمة بطلان الاستسقاء بالأنواء، فوضّح الخلفاء الراشدون للمسلمين أنه لا يجوز الاعتقاد أن منزِّل المطر هي النجوم أو الاعتقاد بأنها سبب في ذلك، بل الله هو منزِّل المطر ومدبّر الأمور، كل شيء بيده، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن(٣).

٣/ بيان للأمة جواز العمل بعلم التسيير، فوضّح الخلفاء الراشدون ﷺ للمسلمين أن تعلّم منازل النجوم وحركاتها، لأجل أن يعلم القبلة، والأوقات، وليهتدى بها في ظلمات البر والبحر ليس شركاً، ففي هذه الجهود المباركة إرشاد الأمة إلى ما ينفعها في دينها ودنياها.

وعلى هذا ففي هذه الجهود بيان للأمة إحدى الحكم الثلاثة التي من أجلها خلق الله النجوم: لتزيين السماء وليهتدى بها وليرجم بها الشياطين.

وقد دل القرآن على ذلك قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ [الملك: ٥] وقال الله: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴾ [الصافات: ٦]. هذا في أن النجوم زينة للسماء، أما في الحكمة الثانية قال الله: ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ١/٢٤٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٢١/٣٠٨.

(٣) سبق بيان هذه المسالة ص ٤٣.

[الجن: ٩] وقال الله: ﴿ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الملك: ٥] فشياطين الجن يُرجمون بالنجوم إذا أرادوا استراق السمع من كلام الملائكة وقد سبق بيان ذلك، أما النجوم علامات يهتدى بها قال الله: ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٥ – ١٦] وقال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٧].

وقال قتادة رحمه الله: "خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأوّل فيها غير ذلك فقد أخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به"(١).

ولهذا أرشد عمر وعلي الناس إلى أن يتعلّموا من هذه النجوم ما يهتدون به في ظلمة البر والبحر وأن يقتصروا على هذا.

٤/ بيان للأمة سنّة الأنبياء ووجوب الاستغفار في الاستسقاء، فوضّح الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه للأمة أنه ينبغي في هذا المقام الإكثار من الاستغفار ومناداة الربّ ومناجاته باسم الغفار والاعتراف بعظمته وكماله، وكذلك التذلل لله والخضوع بين يديه وإظهار الافتقار إليه والتوبة إليه تحقيقاً للتوحيد، علّم عمر رضي الله عنه الأمة أن كل ذلك سبب من أسباب إجابة الدعاء ونزول المطر ورفع البلاء وكثرة الخيرات، وهذا هو سنة الأنبياء والرسل فكانوا يعلّمون أقوامهم ويحثّونهم على الاستغفار والتوبة لنزول المطر والحصول على الخيرات قال الله تعالى عن نوح وهو يدعو قومه: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح: ١٠ – ١٢] وقال الله تعالى عن هود أنه قال: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ٥٢]. ففي جهود الخلفاء الراشدين منافحة للتوحيد وبإبطال للتنجيم، ومحافظة على سلامة عقيدة الأمة وتربيتها على التوحيد، فبيّن الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم لهم الصحيح والمشروع في علم النجوم، وحذّروهم من الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الكونية لما فيه من المنافاة للتوحيد والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه معلقا في كتاب بدء الخلق باب في النجوم.

المبحث الرابع:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في النهي عن التمائم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالتميمة وما يتعلّق بها.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في النهي عن التمائم.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المطلب الأول: التعريف بالتميمة وما يتعلّق بها.

التميمة لغة: يراد بها عند العرب القلادة(١).

التميمة اصطلاحاً: هي خرزات كان الأعراب يعلقونها على أولادهم ينفون بها العين بزعمهم، أو قطعة من جلد أو ورق يُكتب عليها أدعية لدفع شر أو مرض أو ما يُتوقع كالعين فأبطله الإسلام(٢).

والتمائم نوعان: محرّمة ومختلف فيها.

النوع الأول: التمائم المحرّمة: هي ما جمعت أحد هذه الأمور(٣):

* هي التي لم تكن من القرآن.

* فيها طلاسم اليهود أو المشركين.

* تكون من خرز أو وتر أو أساور أو حلق من حديد أو غير ذلك.

* إذا تضمنت شركاً.

* أن يعتقد صاحبها أنها تنفع بذاتها، وهذا شرك أكبر.

وقد دل الكتاب والسنة على تحريم نوع هذه التمائم أما من الكتاب قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]. دلت هذه الآية الكريمة على أن كل من دُعي من دون الله من الأنبياء والملائكة والصالحين والأصنام والكواكب وغير ذلك لا يستطيع من الأمر شيئاً، فلا يقدر أن يرفع ضراً ولا بلاء(٤)، فإذا كان كذلك فالتمائم أولى بالنفي.

وقال الرسول ﷺ: "من علّق تميمة فقد أشرك"(٥).

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور ٢٣٩/٢ والتمهيد لابن عبد البر ١٦٢/١٧.

(٢) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر ١٩٦/١٠ ولسان العرب لابن منظور ٢٣٩/٢.

(٣) انظر معارج القبول للعلّامة حافظ الحكمي ٦٣٧/٢ والمفيد في مهمات التوحيد لعبد القادر صوفي ص ٢٠٢.

(٤) انظر جامع البيان للطبري ٢٩٥/٢١.

(٥) رواه أحمد في مسنده ٣٦٧/٢٨. قال محقق المسند الشيخ شعيب الأرنؤوط: "إسناده قوي".

وقال الرسول ﷺ: "من تعلّق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلّق ودعة فلا ودع الله له"(١).

ففي هذا الحديث العظيم دعا النبيّ ﷺ على كل من علّق على نفسه أو على غيره شيئاً من الحُجب والحروز والتمائم يريد بها دفع الشر أو رفع البلاء بأن لا يتمّ الله له أموره وما يرجو، وهذا يدل على خطورة هذا الفعل وسوء عاقبته، ولهذا نجد من يعلّقون هذه الأشياء من أكثر الناس خوفاً وهمًّا وحزناً وضعفاً، بعكس الموحّدين المعتمدين على الله، فنجدهم أقوى الناس عزيمة وأقوى الناس عملاً، ونجدهم أيضاً في أمن واستقرار وانشراح الصدور، لأنهم يؤمنون بالله ﷻ وحده، ويعلّقون آمالهم بالله، والله يكفيهم: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٣](٢).

النوع الثاني: التمائم المختلف فيها: هي التي توفرت فيها الشروط التالية(٣):

* أن تكون من القرآن.

* أن تكون مكتوبة باللفظ العربي، فلا تُكتب بلفظ أعجمي أو بخط لا يُقرأ.

* أن يعتقد أن الشفاء من الله لا من هذه التميمة، وإنما هذه التميمة سبب فقط.

وقد اختلف أهل العلم في حكم نوع هذه التمائم، فمنهم من رأى الجواز لأن هذه التمائم من القرآن، ومعلوم أن التداوي بالقرآن والاستشفاء به مشروع.

قال العلامة سليمان بن عبد الله رحمه الله: "اعلم أن العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته فقالت طائفة يجوز ذلك وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره، وهو ظاهر ما روي عن عائشة وبه قال أبو جعفر الباقر وأحمد في رواية(٤) وحملوا الحديث على التمائم الشركية أما التي فيها

(١) المصدر نفسه ١٥٤/٤. قال محقق المسند الشيخ شعيب الأرنؤوط: "حديث حسن".

(٢) انظر التمهيد لابن عبد البر ١٦٢/١٧ وإعانة المستفيد للفوزان ١٤٣/١.

(٣) انظر إعانة المستفيد للفوزان ١٥٠/١.

(٤) انظر شرح السنة للبغوي ١٥٨/١٢ وكتاب الفروع للمقدسي ٢٤٧/٣ وتصحيح الفروع للمرداوي ٢٤٩/٣.

القرآن وأسماء الله وصفاته فكالرقية بذلك، قلت وهو ظاهر اختيار ابن القيم[(١)]"[(٢)].

ومنهم من رأى المنع مثل عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وهو ظاهر قول حذيفة، ورواية عن أحمد[(٣)]، وهو القول الأظهر -والله أعلم- وذلك لأمور منها:

١/ عموم النهي، فلم يرد دليل من الكتاب ولا من السنة يخصص نوعاً من التمائم بل جاء المنع دون تفصيل، لو كان هناك نوع من التمائم جائزاً لبيّنه النبيّ ﷺ كما بيّنه للرقية بقوله: "لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك"[(٤)].

٢/ أن في منع تلك التمائم سد للذرائع المفضية إلى الشرك، لأن في القول بجواز تعليق هذه التمائم فتح الباب للتمائم المحرمة.

٣/ القول بجواز هذه التمائم قد يترتب عليه مفسدة عظيمة وهي: امتهان القرآن، خصوصاً في تعليقها على الأولاد، لأنهم يدخلون بها في الأماكن القذرة أو دورات المياه، فوجب منعها تعظيماً لكتاب الله.

قال العلامة سليمان بن عبد الله رحمه الله في تيسير العزيز الحميد: "هذا اختلاف العلماء في تعليق القرآن وأسماء الله وصفاته، فما ظنّك بما حدث بعدهم من الرقى بأسماء الشياطين وغيرهم وتعليقها، بل والتعلّق عليهم والاستعاذة بهم والذبح لهم وسؤالهم كشف الضر وجلب الخير مما هو شرك محض، وهو غالب على كثير من الناس إلا من سلم الله، فتأمل ما ذكره النبيّ ﷺ وما كان عليه أصحابه والتابعون وما ذكره العلماء بعدهم في هذا الباب وغيره من أبواب الكتاب، ثم انظر إلى ما حدث في الخلوف المتأخرة يتبيّن لك دين الرسول ﷺ وغربته الآن في كل شيء فالله المستعان"[(٥)].

---

(١) انظر زاد المعاد لابن القيم ٣٢٧/٤.

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ١٠٩.

(٣) انظر المصدر نفسه ص ١٠٩.

(٤) تقدم تخريجه ص ٤٢٢.

(٥) تيسير العزيز الحميد ص ١٠٩.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في النهي عن التمائم.

١٧٧- عن الشحام سمعه من الحسن قال: كان أبو الحسن يعني علي بن أبي طالب ﷺ يقول: "إن كثيراً من هذه التمائم والرقى شرك بالله ﷻ، فاجتنبوها"(١).

ففي هذا الأثر تحذير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ الناس من التمائم خصوصاً التي تتضمن شركاً كالاستعانة بالجنّ أو الملائكة والاستغاثة بهم، فأمر علي ﷺ الرعية بالابتعاد عنها، ففي هذا الموقف تحقيق لحماية جناب التوحيد.

وينبغي أن يعلم في هذا المقام أن صاحب التميمة قد يصل أمره إلى الشرك الأكبر فيخرج من الملة وإن لم تشتمل تميمته على الشرك، لأنه إذا اعتقد أن تلك التميمة تؤثر بذاتها، تدفع العين بنفسها أو ترفع المرض بنفسها فقد جعل لله ندّاً، ويُعتبر ذلك شرك في الربوبيّة، أما إذا اعتقد أن التميمة سبب من أسباب دفع الشر مع الإيمان أن الله هو المدبّر المتصرف في الكون فقد وقع في الشرك الأصغر إذ جعل سبباً ما ليس بسبب(٢)، وقد يكون الأمر أسوأ وأقبح إذا جمع صاحب التميمة بين سيئتي الاستغاثة بمخلوق والاعتقاد أن التميمة فاعلة مؤثرة. ومهما يكن ينبغي الاجتناب عن جميع أنواع التمائم لأنه لم يرد في السنة ما يدل على التفصيل، وقد رُوي عن الإمام الجليل إبراهيم النخعي(٣) رحمه الله -إضافة إلى ما جاء في السنة- أنه قال: "كانوا يكرهون التمائم كلّها، من القرآن وغير القرآن"(٤). فهنا إبراهيم النخعي يقصد أناساً مثل عبد الله بن مسعود ﷺ، وهذا يؤيد ترجيح المنع مطلقاً.

---

(١) تقدم تخريجه ص ٤٢٤.

(٢) انظر القول السديد للعلامة عبد الرحمن السعدي ص ٣٦.

(٣) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران النخعي، من مذحج: من أكابر التابعين صلاحا وصدق رواية وحفظا للحديث، من أهل الكوفة، مات مختفيا من الحجاج، توفي عام ٩٦. انظر السير للذهبي ٨٠/١.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٧٤/٧.

١٧٨- عن حذيفة قال: "دخل علي على رجل يعوده، فوجد في عضده خيطاً، فقال ﷺ: ما هذا؟ قال: خيط رقي لي فيه، فقطعه، ثم قال: لو مت ما صليت عليك"(١).

ففي هذا الأثر إنكار علي بن أبي طالب على ذلك المريض تعليق تميمة على عضده صيانة لمقام التوحيد.

فالحاصل أن علياً ﷺ لما رأى على المريض خيطاً رقي فيه ﷺ بادر إلى إزالته، وهذه القصة تُذكّرنا حديث النبيّ ﷺ مع ذلك الرجل الذي لبس حلقة لرفع البلاء فعن عمران بن حصين: أن النبيّ ﷺ أبصر على عضد رجل حلقة -أُراه قال: من صفر- فقال: "ويحك ما هذه"؟ قال: من الواهنة قال: "أما أنها لا تزيدك إلا وهناً، انبذها عنك فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً"(٢).

ففي الحديث إنكار النبيّ ﷺ على ذلك الرجل لبس الحلقة بقصد دفع الضرر، مع الإخبار أنها لا تزيد صاحبها إلا مرضاً، وأنه لو مات وهي عليه ما أفلح أبداً، وهذا يدل على أنه لا يجوز لبس الحلقة ونحوها كالخيط من أجل دفع الضرر والعين أو منع المرض، فكل ذلك من فعل الجاهلية.

ففي هذين الأثرين دلالة واضحة على حماية علي بن أبي طالب ﷺ جانب التوحيد في التحذير من التمائم، فنهى عن هذا المنكر قولاً وفعلاً .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٧٣/٧ قال: "حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن حذيفة. . . الأثر".

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٢.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

لقد كان لجهود الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ آثار جليلة على الأمة أعظمها ما يلي:

١/ تحذير الأمة من التمائم لما فيها من المنافاة للتوحيد وتبصيرها أن كثيراً من هذه التمائم مشتملة على الشرك كالاستعانة والاستغاثة بالجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات، ففي هذه الجهود المباركة تربية الأمة على التوحيد وإرشادها إلى الاعتماد على الله، لأن الله هو الربّ الشافي، فالأمر كلّه بيده، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فيجب تعليق الآمال به لا بغيره تحقيقاً للتوحيد. فالحاصل أنه يجب اجتناب التمائم عموماً لأن كثيراً منها تتضمن شركاً أو هي وسيلة إلى الشرك.

٢/ بيان للأمة أن التمائم ليست على صورة معيّنة وإنما هي أشكال، فلا ينخدع المسلم بذلك، فالتمائم التي تتخذ لدفع الشر أنواع وأشكال مختلفة، بعضها قطعة من جلد تُعلّق على الصدر، وبعضها مسابح أو رأس أحد الحيوان، ومن الناس من يلبس سلسلة أو خيطاً وغير ذلك من أنواع التمائم. فالحاصل أن التمائم أصناف عديدة، لا تنحصر في نوع معيّن أو صورة خاصة كما هو واضح في أثر علي لما دخل على مريض يعوده فوجد في عضده خيطاً.

٣/ إرشاد الأمة إلى إنكار المنكر خصوصاً الشرك بالله، فلا ينبغي لمن له القدرة على ذلك التفريط في هذا الأمر، بل يجب المبادرة إلى محاربة الشرك وزجر أهله وبذل الجهد لتوضيح عقيدة التوحيد وبيان خطورة الشرك وسوء عاقبته على صاحبه كما فعل الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ بقطع الخيط الذي رقي فيه وإخبار صاحبه أنه لو مات على ذلك ما صلى عليه ترهيباً له، ففي هذا الموقف درس عظيم وموعظة بليغة للأمة في وجوب إنكار المنكر ومحاربة الشرك. وعلى هذا درج بقية الصحابة ومن جاء من بعدهم. فممّا جاء عن الصحابة في إنكار التمائم ما رواه ابن ماجه في سننه عن زينب[(١)] زوجة عبد الله بن

(١) زينب بنت عبد الله بن معاوية بن عتاب بن الأسعد بن غاضرة فهي ابنة أبي معاوية الثقفي. انظر الاستيعاب لابن عبد البر ٤/١٨٥٦.

مسعود أنها قالت: "كانت عجوز تدخل علينا تَرْقي من الحمرة، وكان لنا سرير طويل القوائم، وكان عبد الله إذا دخل تنحنح وصوّت، فدخل يوماً فلما سمعت صوته احتجبت منه، فجاء فجلس إلى جانبي فمسّني فوجد مسّ خيط فقال: ما هذا؟ فقلت: رُقًى لي فيه من الحمرة فجذبه وقطعه فرمى به وقال: لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الرقى، والتمائم، والتولة شرك"(١).

فهذا الأثر يدل دلالة واضحة على اهتمام السلف بالتوحيد، فالخلفاء الراشدون وسائر الصحابة ﷺ لم يكونوا يتعاطون التمائم الشركية ونحوها، بل كانوا متوكّلين على الله، مفوّضين أمرهم إليه، فلم يلتفتوا إلى هذه الأشياء، وهذا يدل على قوة إيمانهم بالربّ ومعرفتهم بالتوحيد، فالله هو مدبّر الأمور كلّها، وهو الحافظ الوكيل الشافي، ولهذا يجب الثقة التامة به سبحانه وتعالى.

وبهذا العرض تتبيّن جهود الخلفاء الراشدين ﷺ في النهي عن التمائم وأثر ذلك على الأمة.

---

(١) في كتاب الطب باب تعليق التمائم ص ٥٨٩ برقم ٣٥٣٠.

المبحث الخامس:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في النهي عن الغلو.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالغلو وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في النهي عن الغلو.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المطلب الأول: التعريف بالغلو وما يتعلّق به.

الغلو لغة: يراد بهذه الكلمة: مجاوزة الحد، قال ابن فارس رحمه الله: "الغين واللام والحرف المعتل أصل صحيح في الأمر يدلّ على ارتفاع ومجاوزة قدر. يقال: غلا السّعر يغلو غلاءً، وذلك ارتفاعه. وغلا الرّجل في الأمر غلوّاً، إذا جاوز حدّه. وغلا بسهمه غلواً، إذا رمى به سهماً أقصى غايته"(١).

وقال ابن منظور رحمه الله: "غلا في الدين والأمر غلواً، جاوز حدّه"(٢).

الغلو شرعاً:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "هو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد، وفيه معنى التعمق"(٣).

فالغلو هو الزيادة عن الحد المشروع في العبادات من حيث الكيفية والمقدار.

حكمه: الغلو في الدين محرّم قد نهى النبيّ ﷺ عنه فعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على راحلته: "هات القط لي"، فلقطت له حصيات هنّ حصى الخَذْف فلما وضعتهنّ في يده قال: "بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"(٤).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال"(٥).

فهذا الحديث فيه تحذير شديد من جميع أنواع الغلو، فلا يجوز الزيادة عن الحد المشروع والتشدد في الدين والمبالغة سواء كان ذلك في العقيدة أو العبادة أو المعاملة أو غير ذلك، أما في العقيدة فكأهل الكلام الذين تعمّقوا في المسائل حتى هلكوا إما بالتمثيل أو إما بالتعطيل،

---

(١) مقاييس اللغة ٤٦٥/١.

(٢) لسان العرب ٧٨/١١.

(٣) فتح الباري ٢٧٨/١٣.

(٤) رواه النسائي في سننه في كتاب مناسك الحج باب التقاط الحصى ص ٤٧١ برقم ٣٠٥٧. وصححه الشيخ الألباني.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٩٦.

فبعضهم غلوا في الإثبات حتى شبهوا الخالق بالمخلوق فقالوا: يد الله كيد الإنسان تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، وبعضهم شددوا في التنزيه حتى نفوا الصفات عن الله فقالوا: الله ليس له يد، أما الغلو في العبادة فهو التشدّد فيها بحيث يرى أن الإخلال بشيء منها كفرٌ وخروجٌ عن الإسلام، كغلو الخوارج حيث قالوا: كل من فعل كبيرة من الكبائر كالزنا وشرب الخمر والسرقة فهو كافر، خارج عن الإسلام وحلّ دمه، وأما الغلو في المعاملات فهو التشدّد في الأمور بتحريم كل شيء حتى ولو كان وسيلة، وأنه لا يجوز للإنسان أن يزيد عن واجبات حياته الضرورية، وهذا مسلك سلكه الصوفية حيث قالوا: من اشتغل بالدنيا، فهو غير مريد للآخرة، وقالوا: لا يجوز أن تشتري ما زاد على حاجتك الضرورية، وما أشبه ذلك[(١)].

فالغلو منهي عنه بجميع صوره، فبسببه هلكت الأمم السابقة، بل هو السبب الأوّل لكفر بني آدم وتركهم دينهم كما ذكره المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه كتاب التوحيد[(٢)] قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ﴾[نوح: ٢٣ – ٢٤].

فهذا هو أوّل شرك وقع في الخليقة، وهو شرك قوم نوح بسبب زيادتهم ومجاوزتهم للحد الواجب في تعظيم الصالحين، فغلوا فيهم بإنزالهم فوق منزلتهم حتى آل الأمر بهم إلى الشرك قال ابن عباس رضي الله عنه: "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت"[(٣)].

---

(١) انظر القول المفيد للعلامة محمد العثيمين ١/٣٧٥.

(٢) كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب (مجموع مؤلفات) ١/٥٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير باب ﴿ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾[نوح: ٢٣] ٦/١٦٠ برقم ٤٩٢٠.

ومما يدل على خطورة الغلو وسوء عاقبته أن الغالي في الدين لا ينال شفاعة النبيّ ﷺ قال الرسول ﷺ: "صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي: سلطان ظلوم غشوم، وغال في الدين يشهد عليهم فيتبرأ منهم"(١).

والحاصل أن الغلو في الدين منهي عنه، فينبغي البعد عن التشدّد والمبالغة في العبادة، وليحذر المسلم في هذا المقام من الوقوع في التفريط والجفاء بسبب ردة الفعل فينقلب الأمر إلى ضده، وإنما الواجب في الدين الاعتدال قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وسط بين الغلو وبين الجفاء، فالمسلمون وسط معتدلون بين طرفي الإفراط والتفريط في جميع الأمور: في الأقوال والاعتقاد والأفعال، في كل أمر من أمور هذا الدين، فهذا هو الطريق المستقيم .

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٤٥/١٥. وحسنه الشيخ الألباني انظر السلسلة الصحيحة ٨٤٠/١.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في النهي عن الغلو.

١٧٩- عن عبد الله بن عباس أن أبا بكر ﷺ قال في خطبة بعد وفاة النبيّ ﷺ: أما بعد فمن كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقّاها منه الناس كلّهم فما أسمعُ بشراً من الناس إلا يتلوها. فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعَقِرت(١) حتى ما تُقلُّني رجلايَ وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها علمت أن النبيّ ﷺ قد مات"(٢).

فتوفي النبيّ ﷺ يوم الإثنين الثاني عشر من شهر الربيع الأوّل في السنة الحادية عشرة للهجرة(٣)، فكان هذا اليوم أشدّ الأيام سواداً على المسلمين، لم تصب الأمة بمصيبة أكبر منها، فاضطرب المسلمون في هذه اللحظات، فمنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتُقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موت النبيّ ﷺ بالكلية(٤) كعمر بن الخطاب ﷺ فقام عمر في المسجد خطيباً فقال: لا أسمع أحداً يزعم أن محمداً قد مات، ولكن أرسل إليه ربّه كما أرسل إلى موسى ربه، فقد أرسل الله إلى موسى، فلبث عن قومه أربعين ليلة، والله إني لأرجو أن تقطع أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات، وكان أبو بكر ﷺ في ناحية المدينة، فجاء فدخل على رسول الله ﷺ وهو مسجى، فجعل ﷺ يقبّله ويبكي ويقول: بأبي وأمي، طبت حيّاً، وطبت ميّتاً، فلمّا خرج مر بعمر بن الخطاب ﷺ وهو يقول: ما مات، فقال أبو بكر ﷺ: اجلس يا عمر، فأبى عمر ﷺ أن يجلس، فكلمه أبو بكر ﷺ

---

(١) أي: دهشت والاسم العقر بفتحتين وهو فجأة الفزع. انظر فتح الباري لابن حجر ١٥٩/١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي باب مرض النبيّ ووفاته ﷺ ١٣/٦ برقم ٤٤٥٤.

(٣) انظر طبقات الكبرى لابن سعد ٢٧٢/٢-٢٧٥.

(٤) انظر لطائف المعارف لابن رجب ص٢١٣.

مرتين أو ثلاثاً، فلمّا أبى عمر رضي الله عنه أن يجلس قام أبو بكر فتشهد فأقبل الناس إليه وتركوا عمر. وما إن سمع الصحابة الكرام رضي الله عنهم خطبة أبي بكر الصديق إلا رجعوا إلى الصواب والرشد وانكشف ما بهم من الذهول والحيرة(١).

ففي هذه القصة العظيمة نهي أبي بكر الصديق الرعية عن الغلو في حق النبيّ ﷺ بتذكيرهم أن محمداً عبد الله ورسوله، يجري عليه ما يجري على غيره من البشر كالمرض والنسيان والموت، فلا يستحق أن يعبد، وإنما الله هو الحي القيوم الذي لا يموت، حياته كاملة لم تُسبق بعدم ولا يلحقها زوال، فاستحق الله بذلك أن يُعبد وحده لا شريك له، لهذا قال أبو بكر رضي الله عنه: فمن كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله، فإن الله حي لا يموت قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قال الإمام السعدي رحمه الله: "يقول تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ أي: ليس ببدع من الرسل، بل هو من جنس الرسل الذين قبله، وظيفتهم تبليغ رسالات ربّهم وتنفيذ أوامره، ليسوا بمخلدين، وليس بقاؤهم شرطاً في امتثال أوامر الله، بل الواجب على الأمم عبادة ربهم في كل وقت وبكل حال، ولهذا قال: ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ بترك ما جاءكم من إيمان أو جهاد، أو غير ذلك.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ ﴾ إنما يضر نفسه، وإلا فالله تعالى غني عنه، وسيقيم دينه، ويعز عباده المؤمنين، فلما وبخ تعالى من انقلب على عقبيه، مدح من ثبت مع رسوله، وامتثل أمر ربه، فقال: ﴿ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ والشكر لا يكون إلا بالقيام بعبودية الله تعالى في كل حال"(٢).

فبهذا الموقف العظيم نهى أبو بكر الصديق الناس عن الغلو في حق النبيّ ﷺ كدعائه والاستعانة به بإثبات موته ﷺ حماية للتوحيد.

---

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٢٦٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٥٠.

١٨٠- عن ابن عباس سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله"(١).

ففي هذا الأثر العظيم تحذير أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الرعية من الإطراء بتذكير الناس حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم، يعلّمهم عمر رضي الله عنه على المنبر ما تلقّاه وسمعه من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

والإطراء هو مجاوزة الحد في المدح والكذب(٢)، فعمر رضي الله عنه يريد بهذه الموعظة البليغة أن ينهى الرعية من التشبه بالنصارى في مجاوزة الحد في الثناء والمدح في حق النبيّ صلى الله عليه وسلم أو غيره حمايةً لمقام التوحيد. ومن المعلوم أن النصارى غلوا في عيسى بن مريم عليه السلام، فرفعوه فوق مكانته وأنزلوه فوق المنزلة التي أنزله الله إيّاها، ومدحوه حتى وقعوا في الشرك الأكبر، فاتُخذ إلهاً من دون الله، بل قالوا هو الربّ -تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً- قال الله تعالى في كتابه: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١٧]. وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٧٧].

قال الإمام ابن جرير رحمه الله في تفسيره: "لا تفرّطوا في القول فيما تدينون به من أمر المسيح فتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل فتقولوا فيه هو الله أو هو ابنه ولكن قولوا هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه"(٣).

فالغلو في الأنبياء والصالحين من أخص صفات النصارى التي عُرفوا بها.

فبيّن عمر رضي الله عنه للناس على المنبر أن الإطراء وسيلة من الوسائل المفضية إلى الشرك، ولهذا حرص عمر بن الخطاب أن يحذّر الرعية من هذا الشر صيانة للتوحيد.

١٨١- عن الشعبي أخبر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى قيصر فقال: "من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم،... فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله فإن

---

(١) تقدم تخريجه ص ٣٥.

(٢) انظر النهاية لابن الأثير ١١٠/٢ وعمدة القارئ شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني الحنفي ٥٢/١٦.

(٣) جامع البيان ٤٨٧/١٠.

﴿ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٩ – ٦٠]"(١).

ففي هذا الأثر نهي عمر رضي الله عنه ملك الروم عن الغلو في عيسى بن مريم عليه السلام ببيان أن هذا النبيّ بشر وعبد كسائر العباد، ليس له من الخصائص الإلهية من شيء فيستحق أن يعبد من دون الله.

قال الإمام السعدي رحمه الله في تفسير الآية السابقة: "يخبر تعالى محتجّاً على النصارى الزاعمين بعيسى عليه السلام ما ليس له بحق، بغير برهان ولا شبهة، بل بزعمهم أنه ليس له والد استحق بذلك أن يكون ابن الله أو شريكاً لله في الربوبيّة، وهذا ليس بشبهة فضلاً أن يكون حجة، لأن خلقه كذلك من آيات الله الدالة على تفرد الله بالخلق والتدبير وأن جميع الأسباب طوع مشيئته وتبع لإرادته، فهو على نقيض قولهم أدل، وعلى أن أحداً لا يستحق المشاركة لله بوجه من الوجوه أولى، ومع هذا فآدم عليه السلام خلقه الله من تراب لا من أب ولا أم، فإذا كان ذلك لا يوجب لآدم ما زعمه النصارى في المسيح، فالمسيح المخلوق من أم بلا أب من باب أولى وأحرى، فإن صح ادّعاء البنوة والإلهية في المسيح، فادّعاؤها في آدم من باب أولى وأحرى"(٢).

ففي موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه تحقيق لحماية جناب التوحيد بالنهي عن الغلو في حق عيسى بن مريم عليه السلام.

١٨٢- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "ما رأيت أحداً كان أشدّ خوفاً على المتنطعين من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشدّ خوفاً من أبي بكر، وإني لأرى عمر بن الخطاب كان أشدّ خوفاً عليهم"(٣).

---

(١) رواه ابن المقرئ في معجمه ٨٦/١ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٣١/١٩ قال: "حدثنا محمد، حدثنا أبو حفص عمرو بن علي، حدثنا أبو قتيبة، حدثنا يونس بن الحارث الطائفي، عن الشعبي. . . الأثر".

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٣٣.

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده ٤٣٧/٨ والدارمي في سننه ٦٥/١ والبوصيري في اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ٢٦١/١ قال: "قال إسحاق بن راهويه: قلت لأبي أسامة: أحدثكم مسعر؟ قال: أخرج

فهذا الأثر يدل على حرص الخلفاء الراشدين ﭬ على إبعاد الرعية عن التنطع في الدين وكل ما يؤدّي إلى ترك ما جاء به الإسلام من الوسطية في العقائد والعبادات والمعاملات، وهذا من تمام حمايتهم للتوحيد وشفقتهم على الأمة وحبّهم الخير لهم. وقد حذّر النبيّ ﷺ أشدّ التحذير أمته من التنطع فقال ﷺ: "هلك المتنطعون" قالها ثلاثاً[(١)].

قال الإمام الخطابي رحمه الله: "المتنطّع المتعمّق في الشيء المتكلّف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم"[(٢)].

وقال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله: "يعني هلك الذين تنطعوا فيما يأتون به في أفعالهم أو أقوالهم، وهم الذين جاوزوا الحد في ذلك، وابتغوا علم شيء أو تكلّفوا شيئاً، لم يأذن به الله، فزادوا عما أذن لهم، فأتوا بأشياء، لم يؤذن لهم فيها. والتنطع، والإطراء، والغلو، متقاربة المعنى يجمعها مجاوزة الحد المشروع، والغلو يشمل الإطراء، ويشمل التنطع، فكل تنطع وكل إطراء: غلوّ، والغلو اسم جامع لهذه جميعاً"[(٣)].

١٨٣- عن أنس قال: كنا عند عمر بن الخطاب فقال: "نهينا عن التكلّف"[(٤)].

١٨٤- عن ابن شهاب أن عمر بن الخطاب، قال، وهو على المنبر: أيها الناس إن الرأي إنما كان من رسول الله ﷺ مصيباً، لأن الله كان يُريه، وإنما هو منا الظنّ والتكلّف[(٥)].

إلى معن بن عبد الرحمن كتابا؟ فحلف لي أنه خط أبيه، فإذا فيه: قال عبد الله. . . الأثر". قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد: "رواه أبو يعلى ورجاله ثقات" ١٤٧/١١.

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب العلم باب هلك المتنطعون ٢٠٥٥/٤ برقم ٢٦٧٠.

(٢) معالم السنن ٢٩٩/٤.

(٣) التمهيد ص ٢٤٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه ٩٥/٩ برقم ٧٢٩٣.

(٥) تقدم تخريجه ص ٥١١.

١٨٥- عن أنس أن عمر بن الخطاب ﷺ قرأ على المنبر ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس: ٣١] هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر[(١)].

ففي هذه الآثار دلالة على ذمّ عمر ﷺ التكلّف، وهو من الأمور التي تدخل تحت معاني الغلو.

١٨٦- عن أبي وائل[(٢)] قال: غزوت مع عمر ﷺ الشام فنزلنا منزلاً، فجاء دهقان[(٣)] يستدل على أمير المؤمنين حتى أتاه، فلما رأى الدهقان عمر سجد، فقال عمر: "ما هذا السجود؟ " فقال: هكذا نفعل بالملوك، فقال عمر ﷺ: "اسجد لربك الذي خلقك"[(٤)].

١٨٧- عن ابن حاطب[(٥)] قال: قدم عظيم من عظماء الأعاجم على عمر فسأل عن عمر، فقيل له: إنه خارج عن المدينة، فخرج إليه، قال: فلقيه وهو مقبل، فأهوى الدِّهْقان فسجد، أو ليسجد، شكّ عبد الله، قال: فقال عمر: ارفع رأسك للواحد القهار"[(٦)].

١٨٨- عن مثنى قال: جاء قَسٌّ إلى عليّ فسجد له، فنهاه، وقال: اسجد لله[(٧)].

---

(١) تقدم تخريجه ص ٣٣١.

(٢) شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي، الإمام الكبير، شيخ الكوفة، كان من أئمة الدين، أدرك النبيّ ﷺ ولم يسمع منه شيئاً، توفي ٨٢هـ. انظر السير للذهبي ١٦٥/٤.

(٣) الدهقان: رئيس القرية والإقليم ومقدم التناء وأصحاب الزراعة. انظر النهاية لابن الأثير ٥٩٢/١.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ٨٨/٣ قال: "أخبرنا أبو بكر، أنا أبو المثنى، حدثنا مسدد، حدثنا أبو الأحوص، حدثنا مسلم الأعور، عن أبي وائل، قال: غزوت مع عمر. . . الأثر". قال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه". وتعقبه الذهبي فقال: "مسلم الأعور تركوه".

(٥) عمر بن عمر بن محمد بن حاطب الجمحي القرشي. انظر التاريخ الكبير للبخاري ١٨٣/٦.

(٦) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦٧/٦ قال: "حدثنا محمد بن بشر العبدي، قال: حدثنا عبد الله بن الوليد، قال: حدثني عمر بن عمر بن محمد بن حاطب...الأثر".

(٧) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦٧/٦ قال: "حدثنا وكيع، عن سفيان، عن سماك، عن رجل يقال له: مثنى...الأثر".

ففي هذه الآثار نهي الخلفاء الراشدين عن السجود لهم، ولا شكّ أن هذا الفعل من أعظم مظاهر الغلو في حق الإنسان ولهذا بادر الخلفاء الراشدون ﭫ إلى إنكار ذلك منافحة للتوحيد.

١٨٩- عن شريك العامري[(١)] عن أبيه أنه قال: "قيل لعلي ﭬ: إن هنا قوماً على باب المسجد يدّعون أنك ربهم فدعاهم فقال لهم: ويلكم ما تقولون؟ قالوا: أنت ربّنا وخالقنا ورازقنا، فقال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء الله وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا فأبوا. فلما كان الغد غدوا عليه فجاء قنبر فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أدخلهم فقالوا كذلك. فلما كان الثالث قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنّكم بأخبث قتلة فأبوا إلا ذلك، فقال يا قنبر ائتني بفعلة معهم مرورهم، فخدّ لهم أخدوداً بين باب المسجد والقصر، وقال: احفروا فأبعدوا في الأرض، وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود، وقال إني طارحكم فيها أو ترجعوا فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم فيها، حتى إذا احترقوا قال:

إني إذا رأيت أمرا منكرا ... أوقدت ناري ودعوت قنبرا[(٢)]

١٩٠- عن عكرمة أن علياً ﭬ حرّق قوماً، فبلغ ابن عباس ﭬ فقال: "لو كنت أنا لم أحرقهم لأن النبيّ ﷺ قال: "لا تعذّبوا بعذاب الله" ولقتلتهم كما قال النبيّ ﷺ: "من بدّل دينه فاقتلوه"[(٣)].

ففي هذين الأثرين دلالة واضحة على نهي علي بن أبي طالب عن الغلو، فلمّا سمع الخليفة الراشد علي ﭬ أن هناك قوماً يدّعون أنه هو الربّ الخالق الرازق، أنكر عليهم إنكاراً

---

(١) شريك بن أرطأة الكلابي العامري من أهل الكوفة كنيته كنيته أبو عبد الله، يروي عن علي وحذيفة. انظر الثقات لابن حبان ٣٦١/٤.

(٢) رواه الآجري في الشريعة ٢٥٢٠/٥ قال: "حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي قال: حدثنا فضل بن سهل الأعرج قال: حدثنا شبابة بن سوار، عن خارجة بن مصعب، عن سلام بن أبي القاسم، عن عثمان بن أبي عثمان قال: جاء ناس من الشيعة. . . الأثر". ورواه الحافظ بن حجر في الفتح ٢٧٠/١٢ وقال: "هذا سند حسن".

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسي باب لا يعذب بعذاب الله ٦١/٤ برقم ٣٠١٧.

شديداً واستتابهم وأمرهم بالرجوع، ولكن الغلاة أبوا إلا ذلك فقتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه حماية للتوحيد.

وقد تعددت الروايات في كيفية قتل علي الغلاة، فهي ثلاث روايات(١):

الرواية الأولى: أن علياً رضي الله عنه إنما حرّقهم بعد أن ضرب أعناقهم كما دل ذلك ما أخرجه الإمام الأصبهاني رحمه الله في طبقات المحدّثين بأصبهان قال: "جاء نفر من الشيعة إلى علي فقالوا: أنت هو؟ قال: من أنا؟ قالوا: أنت هو، قال: ويلكم من أنا؟ قالوا: أنت ربّنا، قال: ارجعوا وتوبوا، فأبوا، فضرب أعناقهم، ثم خد لهم في الأرض أخدوداً، فقال: يا قنبر إيتني بحزم الحطب، فأتاه بحزم الحطب، فأحرقهم بالنار"(٢).

قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: "قد روينا من وجوه أن علياً إنما أحرقهم بعد قتلهم"(٣).

الرواية الثانية: أن علياً لم يحرّقهم بالنار وإنما حفر لهم حفراً ودخن عليهم حتى مات كما نقله ابن عبد البر عن عمار الدهني(٤) في التمهيد(٥) وكذلك ابن حجر في الفتح(٦).

قال الحافظ ابن رجب: "وقيل: إنه لم يحرقهم، وإنما دخن عليهم حتى ماتوا"(٧).

الرواية الثالثة: أن علياً حرقهم بالنار فألقاهم فيها أحياء. وهذه الرواية هي الصحيحة -والله أعلم-، أما الرواية الأولى فلم تثبت لأن في إسنادها خارجة بن مصعب(٨) وهو متروك، قال الحافظ ابن رجب: "قيل: إنه قتلهم، ثم حرقهم، ولا يصح ذلك"(١).

---

(١) انظر موقف الخليفة الراشد علي بن أبي طالب من مخالفيه لسامي الظفيري ص ٥٩.

(٢) ٣٤٢/٢.

(٣) التمهيد ٣١٧/٥.

(٤) الإمام، المحدث، أبو معاوية عمار بن معاوية بن أسلم البجلي، ثم الدهني، الكوفي، حدث عن سعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي وإبراهيم التيمي، توفي عام ١٣٣هـ. انظر السير للذهبي ١٣٨/٦.

(٥) ٣١٦/٥.

(٦) ١٥١/٦.

(٧) جامع العلوم والحكم ص ٣٥٠.

(٨) خارجة بن مصعب الضبعي أبو الحجاج الخراساني، تركه وكيع، وكان يدلس. انظر التاريخ الكبير للبخاري ٢٠٥/٣.

أما الرواية الثانية فكذلك لم تثبت لأنه لم يكن لعمار الدهني مستند مع العلم أنه لم يحضر الحادثة.

فالرواية الثالثة (أن علياً حرقهم بالنار فألقاهم فيها أحياء) هي الصحيحة وذلك لوجوه(٢):

– أن مدلول هذه الرواية هو ظاهر الحديث الذي أخرجه البخاري: "أتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم"(٣).

– أن إنكار ابن عباس على علي تحريقهم بالنار دال على صحة الخبر، فلو قتلهم علي رضي الله عنه بطريقة أخرى كالتدخين عليهم لما أنكر ابن عباس عليه.

– أن تحريق علي الزنادقة أمر مشتهر بين أهل العلم ومدوَّن في كتبهم ومن ذلك: قول المقدسي(٤) في أتباع عبد الله بن سبأ: "قالوا لعلي أنت إله العالمين أنت خالقنا ورازقنا وأنت محيينا ومميتنا، فاستعظم علي ذلك من قولهم وأمر بهم فأحرقوا بالنار، فدخلوا النار وهم يضحكون ويقولون الآن صحّ لنا أنك إله إذ لا يعذب بالنار إلا ربّ النار"(٥).

وقال الإسفراييني(٦): "وظهر في وقته أيضاً خلاف السبأية من الروافض وهم الذين قالوا إن علياً إله الخلق حتى أحرق علي جماعة منهم"(٧). وغير ذلك من أقوال العلماء التي تقرر أن علياً حرق الغلاة بالنار بإلقائهم فيها أحياء.

---

(١) جامع العلوم والحكم ص ٣٥٠.

(٢) انظر موقف الخليفة الراشد علي بن أبي طالب من مخالفيه لسامي الظفيري ص ٦١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب استتابة المرتدين باب حكم المرتد ١٥/٩ برقم ٦٩٢٢.

(٤) مطهر بن طاهر أبو الفضل المقدسي نسبته إلى بيت المقدس، ظاهري المذهب، الجوال، الرحال، ذو التصانيف، سمع بالقدس ومصر، والحرمين والشام، والجزيرة والعراق، وأصبهان والجبال، وفارس وخراسان، توفي بعد عام ٣٥٥هـ. انظر السير للذهبي ٣٦١/١٩.

(٥) البدء والتاريخ ٢٩٦/١.

(٦) طاهر بن محمد أبو المظفر الاسفراييني ثم الطوسي، كان أحد الأعلام عند الشافعية، برز في الأصول والتفسير، توفي عام ٤٧١هـ. انظر السير للذهبي ٤٠١/١٨.

(٧) التبصير في الدين ص ٢١.

١٩١- عن ربيعة بن ناجذ عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: "دعاني رسول الله ﷺ فقال: "إن فيك من عيسى مثلاً أبغضته يهود حتى بهتوا أمّه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به"، ألا وإنه يهلك فيّ اثنان محب يقرظني بما ليس فيّ ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني، ألا إني لست بنبي ولا يوحى إليّ ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ما استطعت، فما أمرتكم من طاعة الله فحقّ عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم"(١).

١٩٢- عن أبي حيرة(٢) قال: سمعت علياً يقول: "يهلك فيّ رجلان مُفْرِط في حبّي ومُفْرط في بغضي"(٣).

والإفراط هي كلمة ترادف الغلو قال ابن فارس: "أفرط إذا تجاوز الحد في الأمر"، فهذا الأثر فيه التحذير من مجاوزة الحد في المحبة أو البغض في حقّ علي بن أبي طالب ﷺ.

١٩٣- وفي رواية عن أبي مريم(٤) قال: سمعت عليا يقول: "يهلك فيّ رجلان مُفْرِط غال ومبغض قالٍ"(٥).

١٩٤- عن أبي السوار العدوي(٦) قال: قال علي ﷺ: "ليحبّني قوم حتى يدخلوا النار في حبي وليبغضني قوم حتى يدخلوا النار في بغضي"(٧).

---

(١) تقدم تخريجه ص ٥٠٨.

(٢) أبو حيرة شيحة بن عبد الله. الكنى والأسماء للإمام مسلم ٢٧٤/١.

(٣) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة ص ٤٣٢ والآجري في الشريعة ٢٥٢٣/٥ وابن بطة في الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص ١١٣. قال ابن أبي عاصم: "حدثنا أبو بكر حدثنا وكيع عن حماد بن نجيح، عن أبي التياح، عن أبي حيرة قال سمعت عليا. . . الأثر". قال الألباني في تخريج كتاب السنة: "إسناده حسن".

(٤) أبو مريم قيس الثقفي. الكنى والأسماء للإمام مسلم ٧٦٩/٢.

(٥) رواه أحمد في فضائل الصحابة ٧٠٥/٢ قال: "حدثنا عبد الله قال حدثني أبي قال نا وكيع عن نعيم بن حكيم عن أبي مريم قال. . . الأثر". قال محقق الكتاب الشيخ وصي الله حفظه الله تعالى: "إسناده حسن".

(٦) حسان بن حريث أبو السوار العدوى البصري. انظر التاريخ الكبير للبخاري ٣٠/٣.

(٧) رواه أحمد في فضائل الصحابة ٦٩٨/٢ وابن أبي عاصم في كتاب السنة ص ٤٣٢ والآجري في الشريعة ٢٥٣٣/٥. قال ابن أبي عاصم: "حدثنا أبو بكر، حدثنا وكيع عن شعبة، عن أبي التياح، عن

.

ففي هذه الآثار دلالة على ذم علي بن أبي طالب مجاوزة الحد في محبته لما قد يؤدّي ذلك إلى الشرك بالله كما هو حال النصارى مع عيسى بن مريم ﵇، أو حال الرافضة مع علي ﵁، ففي هذا التحذير صيانة لمقام التوحيد.

فكل هذه النصوص العظيمة تبرز جهود الخلفاء الراشدين ﵃ في النهي عن الغلو في الدين سدّاً للذرائع المفضية إلى الشرك، فذمّوا كل قول أو اعتقاد وعمل فيه تنطع مما يؤدّي إلى الخروج عن الحق إلى الباطل، فالإطراء والتكلّف والزيادة عن الحد المشروع كل ذلك يتنافى مع وسطية الإسلام.

أبي السوار العدوي قال: قال علي...الأثر". قال الشيخ الألباني في تخريج كتاب السنة: "إسناد صحيح على شرط الشيخين".

.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

لقد كان لجهود الخلفاء الراشدين ﵃ آثار عظيمة على أمة محمد ﷺ، أنبلها ما يلي:

١/ تبصير الأمة الإسلامية بخطورة الغلو وبيان أنه وسيلة من الوسائل المفضية الشرك، فوضّحوا لهم أن الزيادة عن الحد المشروع أمر مذموم وخطير على المسلم في دينه، وكيف لا وقد أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ أن الغلو أهلك أمماً من قبلنا. ومن هنا يتعيّن على الأمة الإسلامية ترك الغلو بجميع أنواعه وما يلحق به كالإطراء والتنطّع والتكلّف لما تؤدّي هذه الأمور إلى الخروج عن الصراط المستقيم.

ويستفاد من هذه الجهود أن النهي عن الغلو والتكلّف يشمل العقيدة والعبادة والمعاملة وسائر أمور الدين، ومن أخطر صور التكلّف:

- تأويل نصوص الصفات بما لا تحتمله، وهذا مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة

قال الشيخ محمد أمان الجامي رحمه الله في إثبات صفة الفرح لله: "أهل السنة يؤمنون بهذا الحديث[(١)] لصحته عن رسول الله عليه الصلاة والسلام الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، ويثبتون الصفة التي جاءت فيه، ولا يتعرضون لها بالتأويل، كما لا يشبهون صفات الله بصفات خلقه، وهو شأنهم في جميع الصفات. ومعنى الفرح معلوم والكيف مجهول، والبحث عن الكيفية من أنواع البدع المحدثة، والإيمان به من واجبات الدين الإسلامي، وأما الخائضون المتعمّقون الذين يبحثون عن الكيفية، وإذا عجزوا عن إدراك الكيفية -وهو أمر محتم- فإنهم يلجأون إلى التحريف. والواجب هو الوقوف عند المعنى العام دون تكلّف، وقد نهينا عن التكلّف، هذا هو موقف السلف من معنى هذه الصفة وبالله التوفيق"[(٢)].

---

(١) أي: حديث أنس أن الرسول ﷺ قال: "لله أشدّ فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدّة الفرح: "اللهم أنت عبدي وأنا ربك" أخطأ من شدّة الفرح". رواه مسلم في صحيحه في كتاب التوبة باب في الحض على التوبة ٤/٢١٠٤ برقم ٢٧٤٧.

(٢) الصفات الإلهية ص ٢٩٧.

– ومن التكلّف أيضاً أن يتكلّم الإنسان في الدين بمجرد الرأي، ليس هناك أدلة شرعية من الكتاب والسنة يستند عليها، وكم من المتكلّفين قد ضلّوا في هذا الباب وأضلّوا خلقاً كثيراً بسبب تكلّفهم وجهلهم قال الإمام البغوي رحمه الله: "المتقولين القرآن من تلقاء نفسي، وكل من قال شيئاً من تلقاء نفسه فقد تكلّف له"(١).

– أن يكلّف العبد نفسه بالخوض فيما لا يمكن الوصول إليه. فالواجب على العبد ألّا يتدخل في شيء لا يعرفه، بل يتثبّت في كل ما يقوله ويفعله، وقد امتثل الخلفاء الراشدون بهذا الأمر وبيّنوه، لم يؤوّلوا آية من آيات القرآن إلا كان لهم دليل ومستند، لأنهم يعرفون خطورة الأمر وما يترتّب عليه من مفسدة، فكانوا أخوف الناس من أن يقولوا على الله بلا العلم فيضلّون الناس كما في أثر عمر ﷺلما قرأ قول الله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس: ٣١](٢).

وقد قال عمر بن الخطاب ﷺ على المنبر: "أيها الناس إن الرأي إنما كان من رسول الله ﷺ مصيباً، لأن الله كان يُريه، وإنما هو منا الظنّ والتكلّف"(٣).

فالحاصل أنه لا يجوز الغلو والتنطّع والتكلّف في جميع أمور الدين، العقيدة والعبادة والمعاملة.

٢/ في هذه الجهود المباركة ردٌّ على الغلاة في النبيّ ﷺ أو غيره من الصالحين كمن يدّعي أنه ﷺ يعلم الغيب(٤)، أو يزعم أن الرسول ﷺ نور وليس ببشر(٥)، بل منهم من يرى جواز دعاءه والاستغاثة به ﷺ، معتقداً أن له ﷺ القدرة على النفع والضر فيصف النبيّ ﷺ بصفات مختصة بالله ومن ذلك قول البريلوي(٦): "إن رسول الله مالك الأرضين ومالك الناس

---

(١) معالم التنزيل للبغوي ١٠٣/٧.

(٢) انظر ص ٥٨٦.

(٣) تقدم تخريجه ص ٥١١.

(٤) كالبوصيري، ستأتي قصيدته.

(٥) كأحمد رضا البريلوي. انظر البريلوية عقائد وتاريخ لإحسان إلهي ظهير ص ١٠٢.

(٦) أحمد رضا البريلوي ولد في مدينة بريلي في الهند عام ١٢٧٢هـ ومات عام ١٣٤٠هـ، وهو زعيم الفرقة البريلوية انظر البريلوية عقائد وتاريخ لإحسان إلهي ظهير ص ١٣.

ومالك الأمم ومالك الخلائق، وبيده مفاتيح النصر والمدد، وبيده مفاتيح الجنة والنار، وهو الذي يعز في الآخرة، ويكون صاحب القدرة والاختيار يوم القيامة، وهو الذي يكشف الكروب ويدفع البلاء، وهو حافظ لأمته وناصر لها، وإليه ترفع الأيدي بالاستجداء"(١).

وكذلك من أمثلة الغلو والإطراء في حقّ النبيّ ﷺ قول البوصيري(٢) في قصيدته:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به	سواك عند حلول الحادث العمم
إن لم تكن في معادي آخذا يدي	فضلا وإلا فقل يا زلة القدم
فإن من جودك الدنيا وضرتها	ومن علومك علم اللوح والقلم(٣)

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب رحمه الله معلّقاً على هذه الأبيات: "فقد تضمنت غاية الإطراء والغلو الذي وقعت فيه النصارى وأمثالهم، فإنه قصر خصائص الإلهية والربوبيّة التي قصرها الله على نفسه، وقصرها عليه رسول الله ﷺ، فصرفها لغير الله، فإن الدعاء مخ العبادة، واللياذ من أنواع العبادة. وقد جمع في أبياته الاستعانة والاستغاثة بغير الله، والالتجاء والرغبة إلى غير الله، فإن غاية ما يقع من المستغيث والمستعين والراغب، إنما هو الدعاء، واللياذ بالقلب واللسان، وهذه هي أنواع العبادة التي ذكرها الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه"(٤).

فلا يجوز المبالغة في مدح النبيّ ﷺ والزيادة عن الحد المشروع، ولا شكّ أن الرسول أفضل الخلق وأكملهم، فمنزلته عظيمة عند الله، لم يبلغها أحد من الأنبياء والرسل، وهو أحبّ الناس إلى المؤمنين، فحق علينا أن نعظّمه ونوقّره، ولا يعني هذا أن يسلب خصائص البشر، أو يصرف له شيئاً من حقوق الربّ، بل النبيّ عبد الله ورسوله، يجري عليه ما يجري على غيره من البشر كالمرض والنسيان والموت، بل نعتقد أنه ﷺ مات ولهذا قال أبي بكر الصديق ﷺ: "فمن كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد

(١) البريلوية لإحسان إلهي ظهير ص ٦٩.

(٢) شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري توفي عام ٦٩٦. انظر الأعلام للزركلي ٦/١٣٩.

(٣) البردة للبوصيري ص ٢٦.

(٤) الدرر السنية ١١/١٢٥.

الله فإن الله حي لا يموت"(١) ففي هذا الأثر ردّ على كل غال اتخذ الرسولَ الكريم إلهاً من دون الله بصرف العبادة له كالدعاء والاستغاثة والتوكّل أو وصفه بصفات لا تليق إلا بالربّ المعبود.

وإذا كان الغلو منهياً عنه في حق نبينا محمد ﷺ فكيف بمن دونه من الأولياء والصالحين؟! ولهذا أنكر الخلفاء الراشدين -مع عظم مكانتهم- الإطراء في حقهم، فحاربوا كل مظهر من مظاهر الغلو كإنكارهم المبالغة في مدحهم وسجود لهم.

٣/ إبطال دعوى الربوبيّة في علي بن أبي طالب ﵁، فموقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ من الغلاة الذين ظهروا في عهده دليل على أنه بشرٌ وعبدٌ كسائر العباد، إذ هؤلاء الزنادقة قالوا له: أنت ربّنا وخالقنا ورازقنا، فاستتابهم علي ﵁ وأمرهم بالرجوع، وبيّن لهم أنه ﵁ بشر مثلهم يأكل كما يأكلون ويشرب كما يشربون، وجاء في رواية أن علياً ﵁ قال لهم: "ارجعوا، فإني علي بن أبي طالب، أبي مشهور، وأمي مشهورة وأنا ابن عم محمد ﷺ"(٢) فأبوا إلا ذلك فقتلهم علي ﵁. فهذا الموقف من أعظم البراهين العقلية على بطلان دعوى الربوبيّة في علي بن أبي طالب ﵁ وردّ قوي على الغلاة الذين رفعوه فوق منزلته حتى اتخذوه إلهاً من دون الله كغلاة الرافضة(٣).

٤/ في هذه الجهود ردٌّ على أهل القبور الذين ينكرون تكفير من ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام بحجة أنه يقول لا إله لا الله، وقد استدل العلامة محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بموقف علي في تحريق الغالية في إبطال هذه الشبهة فقال الشيخ رحمه الله: "إنهم يقولون إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويكذبون الرسولﷺ، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً. ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟.

---

(١) تقدم تخريجه ص ٥٨٢.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٠/٢٩.

(٣) كالنصيرية الذين يعتقدون تأليه علي بن أبي طالب ﵁. انظر الملل والنحل للشهرستاني ص ٢٠٤ وطائفة النصيرية تاريخها وعقائدها لسليمان الحلبي ص ٤٧.

فالجواب: الذين حرّقهم علي بن أبي طالب ﷺبالنار، كلّهم يدَّعون الإسلام، وهم من أصحاب علي ﷺ وتعلَّموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما(١)، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟! أتظنّون أن الصحابة يكفِّرون المسلمين؟ أتظنّون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب كفْر؟ "(٢).

٥/ استدلال بعض أهل العلم بموقف علي من استتابة هؤلاء الغلاة على استتابة بقية الزنادقة: مما ثبت في هذه الحادثة العظيمة أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ استتاب الغلاة الزنادقة قبل أن يحرّقهم، لعلهم يتوبون ويرجعون إلى الحق فقال لهم: "فاتقوا الله وارجعوا فأبوا"(٣)، ورُوي أنه ﷺ قال لهم: "ارجعوا، فإني علي بن أبي طالب، أبي مشهور، وأمّي مشهورة وأنا ابن عمّ محمد ﷺ"(٤) وغير ذلك من الروايات التي تدل على ثبوت استتابة علي الغلاة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقد ثبت عن علي ﷺ بالأحاديث الثابتة، بل المتواترة أنه قتل الغالية، كالذين يعتقدون إلهيته، بعد أن استتابهم ثلاثاً كسائر

---

(١) قال العلامة المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ: "يوسف وشمسان وتاج أسماءُ أُناس كفرة طواغيت، فأما تاج فهو من أهل الخرج تصرف إليه النذور ويدعى ويعتقد فيه النفع والضر، وكان يأتي إلى أهل الدرعية من بلده الخرج لتحصيل ماله من النذور، وقد كان يخافه كثير من الناس الذين يعتقدون فيه. وله أعوان وحاشية لا يتعرض لهم بمكروه، بل يُدّعى فيهم الدعاوى الكاذبة، وتنسب إليهم الحكايات القبيحة. ومما يُنسب إلى تاج أنه أعمى ويأتي من بلده الخرج من غير قائد يقوده. وأما شمسان فالذي يظهر من رسائل إمام الدعوة رحمه الله أنه لا يبعد عن العارض، وله أولاد يُعتقد فيهم. وأما يوسف فقد كان على قبره وثن يُعتقد فيه، ويظهر أن قبره في الكويت أو الأحساء كما يفهم من بعض رسائل الشيخ رحمه الله. أما تاريخ وجودهم فهو قريب من عصر إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وقد ذكرهم في كثير من رسائله، لأنهم من أشهر الطواغيت التي يعتقد فيها أَهل نجد وما يقاربها، وكانوا يعتقدون فيهم الولاية، ويصرفون لهم شيئاً من العبادة، وينذرون لهم النذور، ويرجون بذلك نظير ما يرجوه عباد الَّلات والعزى". انظر مجموع فتاواه ١١٧/١.

(٢) كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب ص ٨٤ باختصار.

(٣) تقدم تخريجه ص ٥٨٨.

(٤) تقدم تخريجه ص ٥٩٦.

المرتدين"(١). وقال أيضاً رحمه الله: قال -أي: علي-: "ويحكم هذا كفر ارجعوا عنه وإلا ضربت أعناقكم فصنعوا به في اليوم الثاني والثالث كذلك فأخرهم ثلاثة أيام لأن المرتد يستتاب ثلاثة أيام"(٢).

وقد استدل بعض أهل العلم بموقف علي من استتابة هؤلاء الغلاة على استتابة بقية الزنادقة(٣) من الجهمية وغيرهم، ومن ذلك الإمام الدارمي في كتابه الرد على الجهمية فعقد باباً فيه فقال: "باب قتل الزنادقة والجهمية واستتابتهم من كفرهم" ثم أورد أثر عن علي ﷺ وقال: "فالجهمية عندنا زنادقة من أخبث الزنادقة، نرى أن يُستتابوا من كفرهم، فإن أظهروا التوبة تُركوا، وإن لم يظهروها تركوا، وإن شهدت عليهم بذلك شهود فأنكروا ولم يتوبوا قُتلوا، كذلك بلغنا عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه سن في الزنادقة"(٤).

فهذه الجهود الجليلة تدل دلالة واضحة على أن الغلو أصل من أصول الشر والبلاء ووسيلة من وسائل الشرك يُهلك صاحبه، ومع هذا اتخذ بعض الناس مثل الرافضة والصوفية الغلو طريقاً في الدين، فلا يزال كثير منهم من يُفرِط في حبّ الصالحين حتى صرف لهم أنواعاً من العبادة كالدعاء والاستغاثة والسجود لقبورهم.

ففي هذه الجهود المباركة صيانة للتوحيد، وحفاظ عليه وموعظة عظيمة لكل غال في الدين، والتحذير الشديد من التعمّق والمبالغة في العبادة، فمن غلا وكلّف نفسه بما لم يأمر الله به، وزاد على القدر الواجب فقد سلك مسلك الشرك وفتح على نفسه باب الهلاك كما هو حال اليوم لأهل القبور الذين غلوا في الصالحين حتى عبدوهم من دون الله، فصرفوا لهم أنواع العبادة كالدعاء والاستغاثة والذبح والسجود، بل يعتقد البعض أن الأولياء والأموات لهم قدرة في تدبير الخلق، فكل هذا ضلال وانحراف بسبب الغلو والتنطع في الدين، والله المستعان.

---

(١) النبوات ٥٧٦/١.

(٢) منهاج السنة ٢١٣/١.

(٣) استتابة الزنادقة مسألة اختلف العلماء فيها، فمنهم من لا يرى استتابتهم مثل أبي حنيفة ومالك وأصحابه، ومنهم من يقول باستتابتهم كالمرتد فإن لم يتب قتل، وهذا القول مروي عن الشافعي. انظر التمهيد لابن عبد البر ١٥٥/١٠.

(٤) الرد على الجهمية ص ٢٦٧.

المبحث السادس:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في التحذير من الصور والتماثيل وما يتعلّق بها .

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالصورة والتمثال وما يتعلّق بهما .

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في التحذير من الصور والتماثيل وما يتعلّق بها .

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المطلب الأول: التعريف بالصورة والتمثال وما يتعلّق بهما.

الصورة لغة: قال ابن الأثير رحمه الله: "الصورة ترِد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي: هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي: صفته"(١).

والتصوير: التشكيل، تشكيل الشيء حتى يكون على هيئة صورة لآدمي أو لغير آدمي من حيوان أو نبات أو جماد أو سماء أو أرض، أو إثبات شكل معروف باليد على ورقة أو لوحة أو غير ذلك، فكل هذا يقال له: تصوير(٢).

التمثال: جمعه تماثيلُ: ما يُنحت مُشبَّهًا بالمخلوقات من عباد وحيوان وغيرها مما لها روح، فهي صورة على هيئة مجسمة. وبين التمثال والصورة عموم وخصوص، فالصورة أعم من التمثال(٣).

حكم الصور(٤): هي محرّمة في الإسلام وذلك لعلتين: فيها مضاهاة لخلق الله وهي وسيلة إلى الشرك، وإليك بيان ذلك:

العلّة الأولى: الصور فيها مضاهاة لخلق الله:

قال النبيّ ﷺ: "أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله"(٥). أي: يشابهون بما صوروا خلق الله، فالمضاهاة هي المشابهة، ومما يدل على ذلك قول الله تعالى في وصف أهل الكتاب: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ

---

(١) النهاية ٥٧/٢.

(٢) انظر مقاييس اللغة لابن فارس ٣٢٠/٣ والتمهيد للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ص ٥٥٦.

(٣) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر ٥٣١/١ وعون المعبود لمحمد شمس الحق العظيم آبادي ١١١/٥.

(٤) ذوات الأرواح. انظر شرح صحيح مسلم للنووي ٣٠٧/١٤.

(٥) تقدم تخريجه ص ٢٨٢.

ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠].

فقال النصارى مثل الذين من قبلهم من اليهود وأهل الأوثان، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "﴿ يُضَٰهِـُٔونَ ﴾ أي: يشابهون ﴿ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبلهم من الأمم، ضلوا كما ضل هؤلاء"(١).

قال العلامة سليمان بن عبد الله رحمه الله في علّة منعه ﷺ التصوير: "هي المضاهاة بخلق الله لأن الله تعالى له الخلق والأمر، فهو رب كل شيء ومليكه، وهو خالق كل شيء، وهو الذي صوّر جميع المخلوقات، وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها الحياة كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة: ٧ – ٩] فالمصوِّر لما صوّر الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى من إنسان أو بهيمة صار مضاهياً لخلق الله، فصار ما صوَّره عذاباً له يوم القيامة، وكُلِّف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ(٢)، فكان أشدّ الناس عذاباً لأن ذنبه من أكبر الذنوب. فإذا كان هذا في من صوَّر صورة على مثال ما خلقه الله تعالى من الحيوان فكيف بحال من سوّى المخلوق برب العالمين، وشبّهه بخلقه، وصرف له شيئاً من العبادة التي خلق الله الخلق إلا ليعبدوه وحده بما لا يستحقه غيره من كل عمل يُحبه الله من العبد ويرضاه؟! "(٣).

العلّة الثانية: الصور وسيلة إلى الشرك.

فالصور وما يدخل في معناها وسيلة من وسائل الشرك، بل هي سبب حدوث أوّل الشرك في الأرض لما زيّن الشيطان لقوم نوح تصوير الصالحين، ونصب صورهم على المجالس لأجل تذكّر أحوالهم والاقتداء بهم في العبادة حتى آل الأمر إلى عبادة تلك الصور، واعتقاد

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٤٥٨.

(٢) قال النبيّ ﷺ: "من صور صورة في الدنيا كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ" رواه البخاري في صحيحه في كتاب اللباس باب من صور صورة كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ برقم ٥٩٦٣.

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٤٧١.

أنها تنفع وتضر من دون الله قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣] قال ابن عباس رضي الله عنه: "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت"(١).

فالصور والتمثال وسيلة من وسائل الشرك، فهي فتنة قديمة قد ضلت أمم كثيرة بسببها كقوم نوح عليه السلام كما سبق، وقوم إبراهيم عليه السلام عبّاد الأصنام، فقال لهم إبراهيم: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الأنبياء: ٥٨-٥٩] وقوم موسى الذين عبدوا العجل الذي صنعه السامري قال الله تعالى فيه: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴾ [طه: ٨٨ – ٩٠].

فاليهود وقعوا في الشرك بسبب تمثال العجل، وكذلك النصارى لم يسلموا من فتنة الصور فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "لما اشتكى النبيّ صلى الله عليه وسلم ذكرت بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشة يقال لها مارية، وكانت أم سلمة وأم حبيبة رضي الله عنهما أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها، فرفع رأسه فقال: أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوّروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله"(٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير باب﴿ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣] ١٦٠/٦ برقم ٤٩٢٠.

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٥.

قال أحمد بن عمر القرطبي(١) رحمه الله: "إنما فعل ذلك أوائلهم ليتأنّسوا برؤية تلك الصورة، ويتذكروا بها أحوالهم الصالحة، فيجتهدون كاجتهادهم، ويعبدون الله عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان، ثم إنهم خلف من بعدهم خلف فجهلوا أغراضهم، ووسوس لهم الشيطان أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها، فعبدوها. فحذّر النبيّ عن مثل ذلك، وشدّد النكير والوعيد على من فعل ذلك، وسَدَّ الذرائع المؤدية إلى ذلك"(٢) .

(١) أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الأنصاري القرطبي، يعرف بابن المزين، من رجال الحديث، من أعيان فقهاء المالكية نزل الإسكندرية واستوطنها ودرس بها، كان من الأئمة المشهورين والعلماء المعروفين، وتوفي بها عام ٦٥٦ هـ. انظر الديباج لابن فرحون ١/٢٤٠.

(٢) المفهم شرح صحيح مسلم ٢/١٢٧.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في التحذير من الصور والتماثيل وما يتعلّق بها.

١٩٥- عن أسلم قال: "لما قدم عمر ﷺ الشام أتاه رجل من الدهاقين، فقال: إني قد صنعت لك طعاماً فأحب أن تجيء، فيرى أهل عملي كرامتي عليك، ومنزلتي عندك -أو كما قال-، فقال: "إنا لا ندخل هذه الكنائس، أو قال: هذه البيع التي فيها هذه الصور"(١). وفي رواية: "إنا لا ندخل كنائسكم من أجل التماثيل التي فيها الصور"(٢).

١٩٦- عن أبي وائل قال: "غزوت مع عمر ﷺ الشام فنزلنا منزلاً، فجاء دهقان يستدل على أمير المؤمنين حتى أتاه، فلما رأى الدهقان عمر سجد، فقال عمر: ما هذا السجود؟ فقال: هكذا نفعل بالملوك، فقال عمر: اسجد لربك الذي خلقك، فقال: يا أمير المؤمنين إني قد صنعت لك طعاماً فأتني، قال: فقال عمر: هل في بيتك من تصاوير العجم؟ قال: نعم، قال: لا حاجة لنا في بيتك، ولكن انطلق فابعث لنا بلون من الطعام ولا تزدنا عليه، قال: فانطلق فبعث إليه بطعام فأكل منه"(٣).

١٩٧- عن أبي جعفر أن النبيّ ﷺ كان لا يدخل بيتاً فيه صورة، وأن علياً كان لا يدخل بيتاً فيه صورة(٤).

١٩٨- عن جعفر عن أبيه عن علي أنه كره الصور في البيوت(٥).

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٣٩٨/١٠ وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٩١/٨ والبيهقي في سننه ٢٦٨/٧. قال ابن أبي شيبة: "حدثنا ابن علية عن أيوب عن نافع عن أسلم. . . الأثر". قال العلامة مقبل بن هادي الوادعي: "هذا الأثر صحيح" انظر حكم تصوير ذوات الأرواح ص ٦٢.

(٢) رواه البخاري معلقا في صحيحه في كتاب الصلاة باب الصلاة في البيعة ٩٤/١.

(٣) تقدم تخريجه ص ٥٨٧.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٩٣/٨ قال: "حدثنا عبدة عن ابن إسحاق عن أبي جعفر أن النبيّ...الأثر".

(٥) رواه ابن أبي شيبة المصدر نفسه ٢٩٢/٨ قال: "حدثنا حاتم بن إسماعيل عن جعفر، عن أبيه عن علي...الأثر".

ففي هذه الآثار دلالة على أن الخلفاء الراشدين ﭬ كانوا يمتنعون من الدخول في الكنائس والبيوت التي فيها صور، وهذا نوع من الإنكار على أصحابها وإعلان عن براءتهم مما هم عليه من التعلّق بها، ومن المعلوم أن النصارى من أكثر الناس افتتاناً بالصور، وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمة الله تعالى في إغاثة اللهفان أمثلة كثيرة من تلاعب الشيطان بالنصارى، ومن ذلك تلاعبه بهم في التصوير فقال رحمه الله: "تلاعب بهم في تصوير الصور في الكنائس وعبادتها، فلا تجد كنيسة من كنائسهم تخلو عن صورة مريم والمسيح وجرجس وبطرس وغيرهم من القديسين عندهم والشهداء، وأكثرهم يسجدون للصور ويدعونها من دون الله تعالى"(١).

فامتنع الخلفاء الراشدون ﭬ من الدخول في الكنائس وتلك البيوت بسبب الصور لما فيها من الافتتان بها والمنافاة للتوحيد، مع العلم أن التصوير بذاته معصية من المعاصي المتوعّد عليها بالعذاب يوم القيامة.

وكذلك مما يدل على ذمّ الصور في البيوت أن الملائكة لا يدخلونها بسبب وجودها قال النبيّ ﷺ: "لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة"(٢).

قال النووي رحمه الله: "سبب امتناعهم من بيت فيه صورة كونها معصية فاحشة، وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى، وبعضها في صورة ما يُعبد من دون الله تعالى. وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات، ولأن بعضها يسمّى شيطاناً كما جاء به الحديث(٣)، والملائكة ضد الشياطين. ولقبح رائحة الكلب، والملائكة تكره الرائحة القبيحة، ولأنها منهي عن اتخاذها، فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته، وصلاتها فيه، واستغفارها له، وتبريكها عليه في بيته، ودفعها أذى للشيطان. وأما هؤلاء الملائكة الذين لا يدخلون بيتاً فيه

---

(١) إغاثة اللهفان ١٠٦٤/٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب اللباس باب تحريم التصوير ١٦٦٦/٣ برقم ٢١٠٦.

(٣) قال النبيّ ﷺ: "الكلب الأسود شيطان". رواه النسائي في سننه في كتاب القبلة باب ذكر ما يقطع الصلاة وما لا يقطع إذا لم يكن بين يدي المصلي سترة ص ١٢٥ برقم ٧٥٠. قال الشيخ الألباني: "صحيح".

كلب أو صورة فهم ملائكة يطوفون بالرحمة والتبريك والاستغفار، وأما الحفظة فيدخلون في كل بيت، ولا يفارقون بني آدم في كل حال، لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم، وكتابتها"(١).

ففي امتناع الخلفاء الراشدين ﷺ من الدخول في الكنائس والبيوت التي فيها صور إنكار على أصحابها وتحقيق لصيانة التوحيد.

١٩٩- عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ﷺ "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرِفاً إلا سويته"(٢)

ففي هذا الأثر العظيم توجيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أبا الهياج في إتلاف كل صور وتغييرها لما فيها من المضاهاة لخلق الله والافتتان بها بتعظيمها كما حصل ذلك لبعض الأمم السابقة.

فكلّف الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ كاتبه أبا الهياج بتلك المهمّة التي كلّفه رسولُ الله وهي طمس كل تمثالاً، أي: يأمره أن يغيّر كل صورة مجسّمة كانت كالصنم أو مرسومة كالصورة في حائط أو غير ذلك من أنواع الصور.

وتغيير الصورة يكون بمحوها أو إتلافها أو قطع رأسها كما رُوي ذلك عن ابن عباس أنه قال: "الصورة الرأس فإذا قطع الرأس فليس بصورة"(٣).

ويُلاحظ في الأثر أنه قُرن بين طمس التماثيل وتسوية القبور لأنهما من أكبر الذرائع الموصلة إلى الشرك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فأمره بمحو التمثالين: الصورة الممثلة على صورة الميّت والتمثال الشاخص المشرف فوق قبره، فإن الشرك يحصل بهذا وبهذا"(٤).

ففي هذا الموقف تحقيق لحماية التوحيد بقطع وسيلة من الوسائل المفضية إلى الشرك.

---

(١) شرح صحيح مسلم ٣١٠/١٤.

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٦.

(٣) رواه البيهقي في سننه الكبرى ٢٧٠/٧ قال العلامة مقبل الوادعي: "صحيح" انظر حكم تصوير ذوات الأرواح ص ٤٩.

(٤) مجموع الفتاوى ٤٦٢/١٧.

٢٠٠- عن ميسرة النهدي قال: مرّ علي ﷺ على قوم يلعبون بالشطرنج(١) فقال: "﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢] لأن يمس جمراً حتى يطفأ خير له من أن يمسها"(٢).

٢٠١- عن ابن أبي عمار(٣) قال: مرّ علي ﷺ بمجلس من مجالس تيم الله وهم يلعبون بالشطرنج، فوقف عليهم فقال: "أما والله لغير هذا خُلقتم، أما والله لولا أن تكون سنة لضربت بها وجوهكم"(٤).

ففي هذين الأثرين إنكار الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ على قوم يلعبون بالشطرنج، فزجر علي بن أبي طالب ﷺ هؤلاء اللاعبين بالشطرنج وشبّههم بالعاكفين على الأصنام، وسمّى قطع هذه اللعبة تماثيل كما سمّى أبونا إبراهيم بهذا الاسم الآلهة المزعومة في قومه قال الله تعالى في إبراهيم: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥١ – ٥٢].

قال القرطبي رحمه الله: "التماثيل أي: الأصنام، والتمثال اسم موضوع للشيء المصنوع مشبّهاً بخلق من خلق الله تعالى. يقال: مثلت الشيء بالشيء أي: شبّهته به. واسم ذلك الممثل تمثال"(٥).

---

(١) الشطرنج: لعبة تلعب على رقعة مقسمة إلى مربعات، يتبارى فيها لاعبان بتحريك قطع، أكثرها على صورة.

(٢) رواه ابن أبي شيبة ٥٥٠/٨ والآجري في تحريم النرد والشطرنج ص ٣٢ والبيهقي في سننه ٢١٢/١٠. قال ابن أبي شيبة: "حدثنا وكيع قال: حدثنا فضيل بن مرزوق، عن ميسرة النهدي. . . الأثر". قال ابن حزم في المحلى: "صحيح" ٥٧١/٧ وقال ابن تيمية: "ثابت" مجموع فتاواه ٢٤٤/٣٢.

(٣) عمار بن أبي عمار مولى بنى هاشم كنيته أبو محمد وقد قيل أبو عبد الله عداده في أهل مكة. انظر الثقات لابن حبان ٢٦٧/٥.

(٤) رواه البيهقي في سننه ٢١٢/١٠ قال: "أخبرنا أبو الحسين أنبأ الحسين ثنا عبد الله حدثني إبراهيم بن راشد أبو إسحاق ثنا القعنبي ثنا مروان بن معاوية عن محمد بن أبي زكريا عن عمار بن أبي عمار قال: مر علي...الأثر".

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢١٦/١٤.

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى فقال: "﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ﴾ التي مثلتموها، ونحتموها بأيديكم، على صور بعض المخلوقات ﴿ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ مقيمون على عبادتها، ملازمون لذلك، فما هي؟ وأي فضيلة ثبتت لها؟ وأين عقولكم التي ذهبت حتى أفنيتم أوقاتكم بعبادتها؟ والحال أنكم مثلتموها، ونحتموها بأيديكم، فهذا من أكبر العجائب، تعبدون ما تنحتون"(١).

فتشبيه علي رضي الله عنه الشطرنج بالتماثيل والأصنام التي تُعبد من دون الله يدل على ذمّ هذه اللعبة وقبحها ومنافاتها للتوحيد.

فنهى علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك لأن لاعب الشطرنج يفني أوقاته بالعكوف على هذه التماثيل كما يفني عابد الأوثان أوقاته بملازمة أصنامه تعظيماً لها، فكلاهما ينصرفان عن عبادة الله بسبب عكوفهما على الصور، فينشغلان عن الغاية التي من أجلها خُلقا وهي توحيد الله بالعبادة قال الله: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] فالحكمة من خلق الخلق هي إخلاص التأله لله سبحانه، وليس الغاية من إيجادنا اللهو واللعب، ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحاب الشطرنج: "أما والله لغير هذا خُلقتم، أما والله لولا أن تكون سنة لضربت بها وجوهكم"(٢) بل روي عنه أنه رضي الله عنه كان لا يسلم عليهم زجرا لهم(٣).

فالحاصل أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنكر على لاعبي الشطرنج لما فيها من المنافاة للتوحيد، ولأنها تصرف أصحابها عن عبادة الله وعن ذكره، ففي هذا الزجر تحقيق لحماية التوحيد.

٢٠٢- عن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه قال: "كان أناس يأخذون العطاء والرزق ويصلّون مع الناس كانوا يعبدون الأصنام في السرّ، فأتي بهم علي بن أبي طالب فوضعهم في المسجد، أو قال: في السجن، ثم قال: "يا أيها الناس، ما ترون في قوم كانوا يأخذون معكم

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٢٥.

(٢) تقدم تخريجه ص ٦٠٨.

(٣) رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٤٦٢/٤٣.

العطاء والرزق، ويعبدون هذه الأصنام؟ " قال الناس: اقتلهم، قال: "لا، ولكن أصنع بهم كما صُنع بأبينا إبراهيم صلوات الله عليه، فحرّقهم بالنار. "[١]

٢٠٣- عن أيوب بن نعمان[٢] قال: "شهدت علياً رضي الله عنه في الرحبة[٣]، وجاء رجل فقال: يا أمير المؤمنين، إن هاهنا أهل بيت لهم وثن في دارهم يعبدونه، فقام علي يمشي حتى انتهى إلى الدار، فأمرهم فدخلوا، فأخرجوا إليه تمثال رخام، فألهب علي الدار"[٤].

ففي هذين الأثرين العظيمين إنكار علي بن أبي طالب المنكر ومحاربته للشرك كبادة الأوثان من دون الله، ففي هذا دلالة واضحة على اهتمامه بأمر التوحيد ومنافحته .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٤٢/١٠ قال: "حدثنا عبد الرحيم بن سليمان، عن عبد الرحمن بن عبيد، عن أبيه. . . الأثر".

(٢) لم أجد ترجمته.

(٣) الرحبة بفتح الراء والمهملة والموحدة المكان المتسع والرحب بسكون المهملة المتسع أيضاً منه أرض رحبة بالسكون أي متسعة ورحبة المسجد بالتحريك وهي ساحته. انظر فتح الباري لابن حجر ٨١/١٠.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٤٢/١٠ قال: "حدثنا مروان بن معاوية، عن أيوب بن نعمان. . . الأثر".

.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

إن في جهود الخلفاء الراشدين ﷺ لحماية التوحيد في التحذير من الصور والتماثيل آثاراً عظيمة على الأمة، يمكن تلخيصها فيما يلي:

١/ بيان للأمة النهي عن الصور وحمل الناس على تركها لما فيها من المضاهاة لخلق الله والافتتان بها، فهي وسيلة من الوسائل المفضية إلى الشرك، ففي التحذير من الصور إرشاد الأمة إلى عدم التشبه بالنصارى وغيرهم من المشركين الذين افتتنوا بالصور والتماثيل حتى آل أمرهم إلى الشرك، وهذا مما يدل على خطورة هذا الأمر، فلا ينبغي التساهل فيه، فكم من الأمم قد ضلّت بسبب فتنة الصور والتماثيل، فصوّروا صالحي قومهم ليستأنسوا برؤيتهم وليتذكروا أحوالهم فيجتهدون في العبادة حتى آل الأمر إلى عبادة تلك الصور والتماثيل.

٢/ بيان للأمة وجوب القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقطع الوسائل المفضية إلى الشرك والمبادرة إلى إزالة مظاهر الشرك ومقاومة أهله تحقيقاً لحماية التوحيد، ومن ذلك طمس الصور وإتلاف التماثيل على اختلاف أنواعها لأنها من أكبر وأقبح المنكرات.

فيجب على الأمة القيام بهذا الواجب خصوصاً ولاة الأمور، لأن ذلك من سنة الخليفة الراشد حاكم الدولة الإسلامية علي بن أبي طالب ﷺ، بل هو من سنة الرسول ﷺ كما دلّ على ذلك أثر أبي الهياج[(١)]، ومما يشهد لذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله أن النبيّ ﷺ أمر عمر بن الخطاب زمن الفتح وهو بالبطحاء[(٢)] أن يأتي الكعبة فيمحو كل صورة فيها[(٣)].

وكذلك في نفس العام أرسل النبيّ ﷺ سرايا للقضاء على الأصنام والأوثان الموجودة في الجزيرة، فكان من نصيب عمرو بن العاص صنم سواع وأرسل ﷺ خالد بن الوليد ﷺ إلى

---

(١) انظر ص ٦٠٧.

(٢) كانت البطحاء علما على جزء من وادي مكة هو بين الحجون إلى المسجد الحرام، ومنها الغزة وسوق الليل. أما في عصرنا فقد عبدت فذهبت البطحاء. فإذا ذكرت بطحاء مكة فهي هذا الموضع، أما بطحاء قريش فهي غير هذه، إنما هي مكان قرب جبل ثور. معجم المعالم الجغرافية للبلادي ص ٥٥.

(٣) ٣/٣٣٥. حسنه العلامة مقبل بن هادي الوادعي في حكم تصوير ذوات الأرواح ص ١٣.

العزى وأرسل ﷺ سعد بن زيد(١) ﵁ إلى مناة، كلّها هُدمتْ، وبذلك أزيلت أكبر مراكز الوثنية حيث ذكرها الله في القرآن قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٩ – ٢٠](٢).

بل النبيّ ﷺ قام بهذه المهمّة بنفسه لما دخل الحرام في فتح مكة، فحطّم الأصنام، فجعل يطعنها بقوسه فتتساقط على وجوهها وهو يقرأ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١] وكانت ستين وثلاثمائة من الأنصاب حول الكعبة(٣)، وهكذا تم تطهير البيت العتيق من مظاهر الشرك وأوضار الجاهلية ليعود كما أراد له الله تعالى وكما قصد ببنائه إبراهيم وإسماعيل مكاناً لعبادة الله وتوحيده(٤).

وعلى هذا فلا يجوز للحاكم إبقاء مظاهر الشرك ومراكز الأوثان على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها، بل يجب عليه محاربة الطواغيت وهدم التماثيل وقطع كل وسيلة مفضية إلى الشرك، وما أكثرها اليوم في العالم الإسلامي كالقباب والمشاهد والمساجد المقامة على القبور وغير ذلك من مظاهر الوثنية التي يحجّ إليها المشركون ويذبحون عندها لغير الله، فعلى للحاكم إزالتها اقتداء بهدي النبيّ ﷺ ثم بالخلفاء الراشدين ﵃.

ففي تغيير المنكر وإرسال رجال الحسبة خير كبير ونفع عظيم وفوائد جمّة على الأمة، فإنكار المنكر من أعظم الأسباب في استقامة الناس على دينهم وتحقيق صيانة العقيدة الصحيحة عن الشرك ومحافظة المسلمين عن المعاصي، فلا ينبغي إهمال هذا الفرض، بل يجب الأخذ على أيدي الناس عند الانحراف كما دلت على ذلك جهود الخلفاء الراشدين ﵃.

---

(١) سعد بن زيد بن مالك بن عبد بن كعب بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي، صحابي جليل، شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، وبعثه رسول الله ﷺ سرية إلى مناة بالمشلل فهدمه. انظر الطبقات لابن سعد الإصابة لابن حجر ٤/٢٦٥.

(٢) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٤٦.

(٣) انظر صحيح البخاري كتاب المظالم باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر أو تخرق الزقاق برقم ٢٤٧٨.

(٤) انظر السيرة النبوية الصحيحة للشيخ العمري ٢/٤٨٤.

٤/ قرّر كثير من أهل العلم[1] تحريم الشطرنج لما فيها من المنافاة للتوحيد وصرف الناس عن عبادة الله، واعتبروها من الميسر الذي يصد الناس عن ذكر الله وعن الصلاة قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠ – ٩١].

قال الإمام ابن رجب رحمه الله مستدلاً بموقف علي رضي الله عنه: "الميسر يصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة، فإن صاحبه يعكف بقلبه عليه، ويشتغل به عن جميع مصالحه ومهمّاته حتى لا يكاد يذكرها لاستغراقه فيه، ولهذا قال علي لما مرّ على قوم يلعبون بالشطرنج: "ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ " فشبّههم بالعاكفين على التماثيل. وجاء في الحديث: "إن مدمن الخمر كعابد وثن"[2]، فإنه يتعلّق قلبه بها، فلا يكاد يمكنه أن يدعها كما لا يدع عابد الوثن عبادته. وهذا كلّه مضاد لما خلق الله العباد لأجله من تفريغ قلوبهم لمعرفته ومحبته وخشيته وذكره ومناجاته ودعائه والابتهال إليه، فما حال بين العبد وبين ذلك، ولم يكن العبد إليه ضرورة، بل كان ضرراً محضاً عليه، كان محرّماً، وقد روي عن علي أنه قال لمن رآهم يلعبون بالشطرنج: ما لهذا خُلقتم. ومن هنا يعلم أن الميسر محرّم، سواء كان بعوض أو بغير عوض، وإن الشطرنج كالنرْد[3] أو شر منه، لأنها تشغل أصحابها عن ذكر الله، وعن الصلاة أكثر من النرد"[4].

---

(١) مثل علي بن أبي طالب وابن عمر وابن عباس وسعيد بن المسيب والقاسم ومالك. انظر المغني لابن قدامة ١٧١/٩ ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٢/ ٢١٨-٢٤٢.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه في كتاب الأطعمة باب مدمن الخمر ص ٥٦٧ برقم ٣٣٧٥. وحسنه الألباني.

(٣) النرد: عبارة عن قطع صغيرة من العاج أو العظم أو الخشب وله أوجه ستة، ولكل وجه من الأوجه الستة نقاط مرتبة من الواحد إلى الستة، وهو اليوم ما يسمونه في العصر الحاضر بلعبة الطاولة. انظر مقدمة كتاب تحريم النرد والشطرنج للآجري ص٢١.

(٤) جامع العلوم والحكم ص ٨٣١.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مقارنة بين النرد والشطرنج بعد ذكر أثر علي ﷺ: "إن الشطرنج يشغل القلب ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة أكثر من النرد، ولهذا قيل: الشطرنج مبني على مذهب القدر والنرد مبني على مذهب الجبر، فإن صاحب النرد يرمي ويحسب بعد ذلك، وأما صاحب الشطرنج فإنه يقدّر ويفكّر ويحسب حساب النقلات قبل النقل، فإفساد الشطرنج للقلب أعظم من إفساد النرد، ولكن كان معروفاً عند العرب، والشطرنج لم يعرف إلا بعد أن فتحت البلاد، فإن أصله من الهند وانتقل منهم إلى الفرس، فلهذا جاء ذكر النرد في الحديث(١)، وإلا فالشطرنج شرّ منه إذا استويا في العوض أو عدمه"(٢).

والمقصود أن الشطرنج أمر منكر لما فيها من المضاهاة لخلق الله والمنافاة للتوحيد، فهي من أكبر الصوارف عن عبادة الله ولذلك ذمّها علي بن أبي طالب ﷺ وسمّاها تماثيل.

وبعد هذا العرض يتبيّن بكل وضوح أن الخلفاء الراشدين ﷺ قد حقّقوا حماية جناب التوحيد بالنهي عن الصور والتحذير منها والإنكار على أصحابها، فهي فتنة للنفوس الضعيفة والجهالة، قد تؤول بهم إلى الوثنية كما حصل ذلك في قوم نوح، ولهذا وُرد عن النبيّ ﷺ الوعيد الشديد لكل مصوّر يوم القيامة قال النبيّ ﷺ: "كل مصوِّر في النار يجعل له بكل صورة صوّرها نفساً فتُعذِّبه في جهنم"(٣).

وقال ﷺ: "إن الذين يصنعون هذه الصور يعذَّبون يوم القيامة، يقال لهم أحيوا ما خلقتم"(٤). وقال ﷺ: "قال الله ﷻ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة"(٥).

---

(١) قال الرسول ﷺ: "من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله" رواه ابن ماجه في سننه في كتاب الأدب باب اللعب بالنرد برقم ٣٧٦٢. وحسنه الألباني.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٢/٣٤٣.

(٣) رواه مسلم في صحيح في كتاب اللباس باب تحريم التصوير ٣/١٦٧٠ برقم ٢١١٠.

(٤) المصدر نفسه في كتاب اللباس باب تحريم التصوير ٣/١٦٦٦ برقم ٢١٠٧.

(٥) المصدر نفسه في كتاب اللباس باب تحريم التصوير ٣/١٦٧١ برقم ٢١١١.

وقال ﷺ: "أشدّ الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله"[(١)].

قال النووي رحمه الله: "هذا محمولة على من فعل الصورة لتُعبد وهو صانع الأصنام ونحوها، فهذا كافر وهو أشدّ عذاباً، وقيل هي فيمن قصد المعنى الذي في الحديث من مضاهاة خلق الله تعالى واعتقد ذلك فهذا كافر، له من أشدّ العذاب ما للكفّار، ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره، فأما من لم يقصد بها العبادة ولا المضاهاة فهو فاسق صاحب ذنب كبير ولا يكفر كسائر المعاصي"[(٢)].

(١) تقدم تخريجه ص ٢٨٢.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٤/٣٢٠.

المبحث السابع:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في التحذير من عبادة القبور وما يتعلّق بها .

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالقبر وما يتعلّق به .

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في التحذير من عبادة القبور وما يتعلّق بها .

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة .

المطلب الأول: التعريف بالقبر وما يتعلّق به.

القبر لغة: قال ابن فارس رحمه الله: "القاف والباء والراء أصل صحيح يدل على غموض في شيء وتطامُن، من ذلك القبر: قبر الميّت. يقال قبرته أقبره، فإن جعلت له مكاناً يقبر فيه قلت: أقبرته، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴾ [عبس: ٢١]"(١).

أي: يقول: ثم قبض رُوحه، فأماته بعد ذلك. يعني بقوله: ﴿ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴾ صيره ذا قبر، والقابر: هو الدافن الميّت بيده(٢). وعلى هذا فالمقبرة: "هي موضع دفن الموتى"(٣).

وليعلم العبد أن سنّة دفن الميّت في قبره من أعظم الأحكام التي شرعها الله لبني آدم ومن أكبر النعم التي منّ الله عليهم، فهذه السنة المباركة إكرام للعباد في أوّل منازل الآخرة قال الله ﷻ: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِ ﴾[المائدة: ٣١].

قال العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ: "فدلت هذه الآيات الكريمات على عظم منّة الله ورحمته وستره لابن آدم وأنه أكرمه بالدفن وستر عورته وسوأته، ولم يجعله مثل ميتة غيره من الحيوانات التي إذا ماتت طرحت على وجه الأرض كسائر الجيف تأكلّها الطيور وتنهشها السباع وتسفي عليها الرياح فله الحمد والشكر على ذلك"(٤).

وقد سنّ رسول الله ﷺ للمسلمين زيارة المقابر للاتعاظ وتذكرة الموت والاستعداد له إذ كل نفس ذائقة الموت وراجعة إلى ربها، وكذلك من الحكمة في مشروعية زيارة القبور الدعاء لأهلها بالرحمة وطلب المغفرة والعافية لهم كما جاء ذلك في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال النبيّ ﷺ: "فإن جبريل أتاني حين رأيتِ فناداني فأخفاه منك فأجبته فأخفيته منك، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعتِ ثيابك وظننتُ أن قد رقدت، فكرهت أن أوقظك وخشيت أن تستوحشي فقال: إن ربّك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم". قالت:

---

(١) مقاييس اللغة ٤٧/٥.

(٢) جامع البيان للطبري ٢٢٤/٢٤.

(٣) النهاية لابن الأثير ٤٠٧/٢.

(٤) مجموع الفتاوى ١٧٢/٣.

قلت كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: "قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون"(١).

وقد كانت زيارات القبور ممنوعة في بدء الإسلام خشية افتتان الناس بأهلها كالشرك بالأموات، لأن الناس كانوا حديثي عهد بجاهلية، فلمّا استقر الإيمان في قلوب الصحابة رفع النبيّ ﷺ النهي وأباح الزيارة، بل رغّب فيها بقوله ﷺ: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة. فالغاية من زيارة القبور الانتفاع بها بالموعظة التي تحصل للقلب، ونفع أهل القبور بالدعاء لهم، وليس المقصود منها دعاء المقبورين وطلب منهم المدد وقضاء الحوائج الدنيوية والأخروية والاستغاثة بهم من دون الله وغير ذلك من الشرك بالله الموجب الكفر وإبطال الأعمال والخلود في النار، حتى زيارة الأموات بقصد دعاء الله معتقداً أن الدعاء عند قبور الصالحين أفضل وأحرى بالقبول والإجابة أو سؤال الله بجاه المقبورين كل ذلك من البدع المحدثة والوسائل المفضية إلى الشرك بالله، كل ذلك مناف للحكمة التي من أجلها شرعت زيارة القبور ومخالف لما كان عليه النبيّ ﷺمن آدب زيارة الأموات قال الإمام ابن القيم في هديه ﷺ في زيارة القبور: "كان إذا زار قبور أصحابه يزورها للدعاء لهم والترحم عليهم والاستغفار لهم، وهذه هي الزيارة التي سنّها لأمته وشرعها لهم وأمرهم أن يقولوا إذا زاروها: "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية"(٢).

وكان هديه ﷺ أن يقول ويفعل عند زيارتها من جنس ما يقوله عند الصلاة على الميّت من الدعاء والترحم والاستغفار. فأبى المشركون إلا دعاء الميّت والإشراك به والإقسام على الله به وسؤاله الحوائج والاستعانة به والتوجه إليه بعكس هديه ﷺ، فإنه هدي توحيد وإحسان إلى الميّت، وهدي هؤلاء شرك وإساءة إلى نفوسهم وإلى الميّت، وهم ثلاثة أقسام إما أن

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها ٦٦٩/٢ برقم ٩٧٤.

(٢) المصدر نفسه في كتاب الجنائز باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها ٦٦٩/٢برقم ٩٧٥.

يدعوا الميّت أو يدعوا به أو عنده، ويرون الدعاء عنده أوجب وأولى من الدعاء في المساجد ﷺ ومن تأمل هدي رسول الله ﷺ وأصحابه تبيّن له الفرق بين الأمرين وبالله التوفيق"(١).

فزيارة القبور المشروعة هي التي تكون بالتزام الضوابط الشرعية والآدب الإسلامية المستحبة، لا بما أحدثه الناس من بدع -وما أكثرها اليوم- كالغلو في الصالحين وبناء المساجد على القبور وإسراجها وسترها وكسوتها، فمثل هذه البدع من أكبر الوسائل المفضية إلى الشرك.

وأقبح وأشنع من كل ذلك أن يُعتقد أن الأموات لهم قدرة في تدبير الكون فيصرف لهم أنواع كثيرة من العبادات كالاستغاثة بهم وطلب الشفاعة منهم والسجود والذبح لهم والحج إليهم والطواف حول القبور وغير ذلك مما يُعدّ من الشرك الأكبر المخرج من الملة.

(١) زاد المعاد ١/٥٠٨.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في التحذير من عبادة القبور وما يتعلّق بها.

٢٠٤- عن أنس بن مالك قال: "رآني عمر بن الخطاب وأنا أصلي عند قبر فجعل يقول: القبر قال: فحسبته يقول: القمر قال: فجعلت أرفع رأسي إلى السماء فأنظر فقال: إنما أقول القبر لا تصل إليه"(١).

٢٠٥- وفي رواية عن أنس قال: "رآني عمر وأنا أصلي فقال: القبر أمامك فنهاني"(٢).

فهنا ينهى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنساً عن الصلاة أمام القبر لأن ذلك الفعل من أنواع اتخاذ القبور مساجد ووسيلة إلى الشرك، فهذا الموقف يدل على شدّة حرص الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه على منافحة التوحيد.

٢٠٦- عن أبي العالية قال: لما افتتحنا تُسْتَر(٣) وجدنا في بيت الهُرْمُزان(٤) سريراً عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدعا له كعباً فنسخه بالعربية، وقال: فأنا أوّل رجل من العرب قرأه، قرأته مثل ما أقرأ القرآن هذا، فقلت لأبي العالية ما كان فيه؟ قال: سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد، قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة، فلما كان الليل دفناه وسوينا القبور كلّها، لتعميته على الناس، فلا يَنبِشونه، قلت: فما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حُبِست عنهم برزوا بسريره فيُمطرون، قلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٤٠٤/١ وابن أبي شيبة في مصنفه ٣٧٩/٢ والبيهقي في سننه ٤٣٥/٢ قال عبد الرزاق: "عن معمر عن ثابت البناني عن أنس بن مالك. . . الأثر". ووراه البخاري في صحيحه معلقا في كتاب الصلاة باب هل تُنبش قبور مشركي الجاهلية، قال الحافظ ابن حجر: "هذا خبر صحيح"انظر المطالب العالية ٤١٧/٣ وقال الألباني: إسناد صحيح، انظر تحذير الساجد ص ٣٥.

(٢) رواه ابن أبي شيبة ٣٧٩/٢ قال: "حدثنا وكيع حدثنا سفيان حدثنا حميد عن أنس. . . الأثر".

(٣) تستر تسمى حاليا (ششتر) أعظم مدينة بخوزستان ومعنى اسمها: النزه والحسن والطيب واللطيف. انظر معجم البلدان لياقوت ٢٩/٢.

(٤) الهرمزان الفارسي كان من ملوك فارس وأسر في فتوح العراق وأسلم على يد عمر ثم كان مقيما عنده بالمدينة واستشاره في قتال الفرس. انظر الإصابة لابن حجر ٢٧٧/١١.

يقال له دانيال، قلت: منذ كم وجدتموه قد مات؟ قال منذ ثلاثمائة سنة(١)، قلت: ما تغير منه شيء؟ قال: لا، إلا شعرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تُبْليها الأرض، ولا تأكلها السباع"(٢).

٢٠٧- عن أنس: "أنهم لما فتحوا تستر، قال فوجد رجلاً أنفه ذراع في التابوت، كانوا يستظهرون ويستمطرون به، فكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب بذلك فكتب عمر أن هذا نبي من الأنبياء، والنار لا تأكل الأنبياء والأرض لا تأكل الأنبياء، فكتب أن انظر أنت وأصحابك -يعني أصحاب موسى- فادفنوه في مكان لا يعلمه أحد غيركما، قال: فذهبت أنا وأبو موسى فدفناه. "(٣)

ففي هذه القصة العظيمة توجيه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أصحابه بتعمية القبر حتى لا يفتتن به الناس تحقيقاً لحماية التوحيد.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: "إن كان تاريخ وفاته محفوظاً من ثلثمائة سنة فليس بنبي بل هو رجل صالح لأن عيسى بن مريم ليس بينه وبين رسول الله ﷺ نبي بنص الحديث الذي في صحيح البخاري (قال الرسول: ﷺ "أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي"كتاب الأنبياء باب ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ [مريم: ١٦] ١٦٧/٤ برقم ٣٤٤٢) والفترة التي كانت بينهما أربعمائة سنة؟ وقيل ستمائة وقيل ستمائة وعشرون سنة، وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائة سنة وهو قريب من وقت دانيال إن كان كونه دانيال هو المطابق لما في نفس الأمر فإنه قد يكون رجلا آخر، إما من الأنبياء أو الصالحين، ولكن قربت الظنون أنه دانيال لأن دانيال كان قد أخذه ملك الفرس، فأقام عنده مسجونا كما تقدم. وقد روى بإسناد صحيح إلى أبي العالية أن طول أنفه شبر. وعن أنس بن مالك بإسناد جيد أن طول أنفه ذراع فيحتمل على هذا أن يكون رجلا من الأنبياء الأقدمين قبل هذه المدد والله أعلم". انظر البداية والنهاية ٤٨/٢.

(٢) رواه ابن إسحاق في السيرة ١٧/١ وابن كثير في البداية والنهاية ٤٨/٢ قال: "عن يونس بن بكير: عن محمد بن إسحق، عن أبي خلد بن دينار، حدثنا أبو العالية. . . الأثر". قال ابن كثير: "هذا إسناد صحيح إلى أبي العالية"، ويقويه ما رواه ابن أبي شيبة عن شاذان ٢٨/١٣ سيأتي ذكره بعده، ولقصة دفن دانيال طرق أخرى.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٨/١٣ قال: "حدثنا شاذان قال: حدثنا حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن أنس. . . الأثر".

فلمّا علم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ أن أهل هذا البلد كانوا يتوسّلون بقبر منسوب إلى النبيّ دانيال ﵇ ويستنزلون به الغيث أمر أمرائه ﵁ بدفن القبر وإخفائه لئلا يفتتن به الناس ويصير قبره وثناً يُعبد من دون الله، وهذا الصنيع يُعدّ من أعظم أعمال الخليفة الراشد عمر ﵁ في المحافظة على عقيدة التوحيد وحماية الرعية من الوقوع في الشرك، فهذا الأثر فيه دلالة على ما كان عليه الصحابة من معرفة أسباب حدوث الشرك.

فهذه كانت سنة الصحابة ﵃، ولهذا لم يكن في زمن الصحابة والتابعين لهم بإحسان في العالم الإسلامي مسجد مبني على قبر ولا مشهد يُزار.

٢٠٨- عن عبد الله بن شرحبيل(١) أن عثمان خرج فأمر بتسوية القبور فسويت إلا قبر أم عمرو بنة عثمان فقال: "ما هذا القبر؟ " فقالوا: قبر أم عمرو فأمر به فسوي(٢).

٢٠٩- عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب ﵁: "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﵁؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرا مشرفاً إلا سويته"(٣).

٢١٠- عن حنش الكناني(٤) قال: "دخل علي ﵁ على صاحب شرطة فقال: انطلق فلا تدع زخرفاً إلا ألقيته، ولا قبراً إلا سويته، ثم دعاه، فقال: هل تدري إلى أين بعثتك؟ بعثتك إلى ما بعثني عليه رسول الله"(٥).

ففي هذه الآثار دلالة على تسوية الخلفاء الراشدين ﵃ كلّ قبر مشرف. والقبر المشرف هو القبر المرتفع إما بالتراب وإما بالبناء كالقباب والأضرحة وتزيينها وإنارتها. وهذا من أكبر المنكرات والوسائل المفضية إلى الشرك، ولهذا كان من سنّة الرسول ﷺ إرسال من يقوم

(١) عبد الله بن شرحبيل بن حسنة القرشي. انظر التاريخ الكبير ١١٧/٥.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٤١/٣ وأبو زرعة في تاريخه ص ٦٣٩ قال: "حدثني يحي بن معين قال: حدثنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرني معمر عن الزهري عن عبد الله بن شرحبيل. . . الأثر". قال الشيخ الألباني: "سند صحيح" انظر تحذير الساجد ص ٧٦.

(٣) تقدم تخريجه ص ٤٦.

(٤) حنش بن المعتمر وقيل بن ربيعة أبو المعتمر الكناني الصنعاني، تابعي من أهل الكوفة. الإصابة لابن حجر ١١٣/٣.

(٥) رواه أبي يعلى في مسنده ٣٩١/١ وابن أبي شيبة ٣٤١/٣. قال أبو يعلى: "حدثنا عبد الغفار بن عبد الله حدثنا علي بن مسهر عن أشعث عن سعيد بن أشوع عن حنش الكناني. . . الاثر".

بتسوية كل قبر مرتفع، والصحابة ﷺ تعاهدوا هذا الأمر واعتنوا بإزالة كل مخالفة أعظم الاعتناء بعد وفاة رسول الله ﷺ. ففي تسوية الخلفاء الراشدين ﷺ القبور المشرفة تحقيق لحماية التوحيد.

٢١١- عن الحارث عن علي أنه قال: "إن شرار الناس أو من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ومن يتعجل بالشهادة قبل أن يسأل عنها، ومن يتخذ القبور مساجد"[(١)].

ففي هذا الاثر تحذير شديد من علي بن أبي طالب ﷺ من اتخاذ القبور مساجد كالصلاة عندها، فمن فعل ذلك فهو من شرار الخلق وإن حسُنتْ نيّته، تدركه الساعة أي: مقدماتها كخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها[(٢)].

والمراد بالمسجد أي: مكان السجود كما دل على ذلك قول الرسول ﷺ: "جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً"[(٣)]. فالمسجد يُطلق على كل مكان يُتخذ للعبادة[(٤)]. فعلي بن أبي طالب ينهى الناس عن مثل هذا الفعل لأنه وسيلة من الوسائل المفضية إلى الشرك بالله، ففي هذا التحذير تحقيق لصيانة التوحيد.

وقد رُوي عن النبيّ ﷺ هذا الخبر فقال ﷺ: "إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد"[(٥)].

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٤٠٢/١١ قال: "أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي. . . الأثر".

(٢) انظر سنن أبي داود في كتاب الملاحم باب أمارات الساعة برقم ٤٣١١ وفتح المجيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٢٤٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التيمم باب الأول ٧٤/١ برقم ٣٣٥.

(٤) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر ٤٣٧/١ والتمهيد للشيخ صالح آل الشيخ ص ٢٥٦.

(٥) رواه أحمد في مسند ٣٦٠/٧ والطبراني في المعجم الكبير ٣٤/٩. قال محقق المسند الشيخ الأرنؤوط: "حسن لغيره".

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

لقد وضّح الخلفاء الراشدون ﷺ للأمة العقيدة الصحيحة وبيّنوا الضوابط الشرعية التي يكون عليها كلّ مسلم عند زيارة المقابر ووضّحوا لهم الآدب الصحيحة في التعامل مع أصحاب القبور وكيفية العلاقة بهم، فأبطلوا الدعوات الشركية والمعتقدات الفاسدة في الأموات وكشفوا عن المسلمين سوء أعمال المنحرفين من عبّاد القبور كالغلو في الأموات وتعظيمهم مما يؤدّي إلى عبادتهم، ولا شكّ أن هذه الجهود المباركة كان لها آثار عظيمة على الأمة، أجلّها ما يلي:

١/ بيان للأمة وجوب تسوية القبور لما يؤدّي ذلك إلى الشرك، فالواجب أن تكون القبور كلّها على وتيرة واحدة، فلا يجوز أن يتميّز قبر عن بقية القبور، لأن الغلو في القبور برفعها بالتراب أو البناء أو الكتابة عليها أو تجصيصها أو إسراجها أو تزيينها بالألوان المزخرفة، كل ذلك من الأمور التي ينخدع بها العوام والجهّال، فيظنون أن هذا القبر له خاصية وأنه محل للعبادة فيدعون الميّت ويستغيثون به ويسجدون له، فمتى كان القبر متميّزاً عن غيره كان فتنة للناس، ولهذا أمر الخلفاء الراشدون ﷺ بتسوية القبور سدّاً للذرائع المفضية إلى الشرك.

ففي هذه الجهود المباركة تعليم الخلفاء الراشدين ﷺ الأمة المحمدية كيفية الصفة التي ينبغي أن يكون عليها القبر، فالواجب في القبور ألا تُرفع عن الأرض إلا بقدر شبر بالتراب من أجل أن تُعرف أنها قبور فلا تداس وما زاد عن ذلك فهو غير مشروع ووسيلة إلى الشرك.

وقد كان لهذه التربية أثر بليغ في الاستدلال وتقرير العلماء وجوب تسوية القبور وبيانهم مفسدة إشرافها:

- قال العلامة سليمان بن عبد الله رحمه الله تعليقاً على أثر أبي الهياج: "فيه تصريح بأن النبيّ ﷺ بعث علياً لذلك، أما الصور فلمضاهاتها لخلق الله، وأما تسوية القبور فلما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها، وهو من ذرائع الشرك ووسائله، فصرفُ الهمم إلى هذا وأمثاله، من مصالح الدين ومقاصده وواجباته. ولما وقع التساهل في هذه الأمور وقع المحذور وعظمت الفتنة بأرباب القبور وصارت محطاً لرحال العابدين المعظِّمين لها، فصرفوا لها جُلّ

العبادة من الدعاء والاستعانة والاستغاثة والتضرع لها والذبح لها والنذور وغير ذلك من كل شرك محرّم محظور"(١).

– وقال الإمام الشوكاني رحمه الله في كتابه شرح الصدور بتحريم رفع القبور بعد ما أورد أثر أبي الهياج مع علي بن أبي طالب: "وفي هذا أعظم دلالة على أن تسوية كل قبر مشرف بحيث يرتفع زيادة على القدر المشروع واجبة متحتمة. فمن إشراف القبور: أن يرفع سمكها أو يجعل عليها القباب أو المساجد، فإن ذلك من النهي عنه بلا شكّ ولا شبهة. ولهذا فإن النبيّ ﷺ بعث لهدمها أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه، ثم أمير المؤمنين بعث لهدمها أبا الهياج الأسدي في أيام خلافته"(٢)، ثم قال بعد بيان مفسدة رفع القبور والبناء عليها وما نتج عن ذلك من عبادة أصحاب القبور: "فلا شكّ ولا ريب أن السبب الأعظم الذي نشأ منه هذا الاعتقاد في الأموات هو ما زيّنه الشيطان للناس من رفع القبور، ووضع الستور عليها، وتجصيصها وتزيينها بأبلغ زينة، وتحسينها بأكمل تحسين. فإن الجاهل إذا وقعت عينه على قبر من القبور قد بُنيت عليه قبة فدخلها، ونظر على القبور الستور الرائعة، والسرج المتلألئة، وقد سطعت حوله مجامر الطِّيب، فلا شكّ ولا ريب أنه يمتلئ قلبه تعظيماً لذلك القبر، ويضيق ذهنه عن تصوّر ما لهذا الميّت من المنزلة؟ ويدخله من الروعة والمهابة ما يزرع في قلبه من العقائد الشيطانية التي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين، وأشدّ وسائله إلى ضلال العباد ما يُزَلْزِلُه عن الإسلام قليلاً قليلاً، حتى يطلب من صاحب ذلك القبر ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، فيصير في عداد المشركين. وقد يحصل له هذا الشرك بأوّل رؤية لذلك القبر الذي صار على تلك الصفة وعند أوّل زَوْرَة له إذ لابد أن يخطر بباله أن هذه العناية البالغة من الأحياء بمثل هذا الميّت لا تكون إلا لفائدة يرجونها منه، إما دنيوية أو أخروية، فيستصغر نفسه بالنسبة إلى من يراه من أشباه العلماء زائراً لذلك القبر، وعاكفاً عليه ومتمسحاً بأركانه"(٣).

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٤٧٢.

(٢) شرح الصدور بتحريم رفع القبور ص ١١٣.

(٣) المصدر نفسه ص ١١٣.

وعلى هذا يجب تسوية كل قبر مرتفع التراب أو البناء سدّاً للذرائع المفضية إلى الشرك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين، والملوك وغيرهم يتعين إزالتها بهدم أو بغيره، هذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء المعروفين"(١).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "إنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، فإنها شعائر الكفر والشّرك، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة ألبتة، وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتُخذت أوثاناً وطواغيت تُعبد من دون الله، والأحجار التي تُقصد للتعظيم والتبرّك، والنذر والتقبيل، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، أو أعظم شركاً عندها، وبها والله المستعان"(٢).

٢/ بيان للأمة تحريم اتخاذ القبور مساجد وتبصير الناس بخطورة هذا الفعل وسوء عاقبته على صاحبه كقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: "إن شرار الناس أو من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ومن يتعجل بالشهادة قبل أن يسأل عنها، ومن يتخذ القبور مساجد"(٣).

ففي هذه الجهود الجليلة ترهيب الأمة من اتخاذ القبور مساجد وحمل المسلمين على ترك هذا الصنيع، وقد استدل كثير من أهل العلم بهذه الجهود النافعة لتقرير هذه المسألة والرد على أهل البدع الذين أجازوا اتخاذ القبور مساجد ومن ذلك ما يلي:

– استدل شيخ الإسلام ابن تيمية بقصة قبر دانيال في الرد على البكري(٤) لبيان تحريم اتخاذ القبور مساجد فقال الشيخ رحمه الله: "الخلفاء الراشدون والأكابر من السابقين الأوّلين

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٤١.

(٢) زاد المعاد ٣/٤٤٣.

(٣) تقدم تخريجه ص ٦٢٣.

(٤) البكري هو أبو الحسن نور الدين بن علي بن يعقوب البكري الشافعي المصري، ولد سنة ٦٧٣هـ، كان متصوفا يدعو إلى تعظيم القبور ودعاء المقبورين من دون الله، بل كان يكّفر ويرمي بالزنادقة كل من كان يرد عليه ضلاله. انظر حسن المحاضرة للسيوطي ص ٤٢٣.

من المهاجرين والأنصار لم يكونوا يفعلون ذلك وهم أعلم من ابن عمر وأعظم إتباعاً للنبي ﷺ فلو كان هذا مستحبّاً لفعله هؤلاء، وأيضاً فلما فتح المسلمون تستر وجدوا فيها قبر دانيال عليه السلام وكان أهل البلد يستسقون به فكتب في ذلك أبو موسى إلى عمر بن الخطاب فكتب إليه أن احفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً وادفنه في الليل في واحد منها لئلا يفتتن به الناس فيستسقون به، فهذه كانت سنة الصحابة رضوان الله عليهم ولهذا لم يكن في زمن الصحابة والتابعين لهم بإحسان على وجه الأرض في ديار الإسلام مسجد مبني على قبر ولا مشهد يزار لا بالحجاز ولا باليمن ولا الشام ولا مصر ولا العراق ولا خراسان، وقد ذكر مالك رحمة الله تعالى عليه أن وقوف الناس للدعاء عند قبر النبيّ ﷺ بدعة لم يفعلها الصحابة ولا التابعون وقال لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أوّلها[(١)]"[(٢)].

- وكذلك الشيخ حمد بن ناصر[(٣)] في جوابه على من يستدل بفعل بعض الناس في القبور كبناء القباب واتخاذها عيداً فقال رحمه الله: "فإن احتجّ أحد علينا بما عليه المتأخرون قلنا: الحجة بما عليه الصحابة، والتابعون، الذين هم خير القرون، لا بما عليه الخلف، الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون. فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ هل نقل عنهم أنهم عقدوا القباب على القبور، وأسرجوها؟ وخلّقوها وكسوها الحرير؟ أم هذا مما حدث بعدهم من المحدثات التي هي بدع وضلالات؟ ومعلوم أن عندهم من قبور الصحابة، الذين ماتوا في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته ما لا يحصى، هل بنوا على قبورهم وعظّموها، ودعوا عندها، وتمسحوا بها؟ فضلاً عن أن يسألوها حوائجهم؟ أو يسألوا الله بأصحابها؟ فمن كان

---

(١) ذكره القاضي عياض في الشفاء ٢/٨٨.

(٢) الاستغاثة في الرد على البكري ص ٢٨٦.

(٣) حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر الإمام العلامة، المحقق المجتهد، الحافظ المتقن الورع، كان فقيها محدثا، زاهدا عابدا كثير الخير، له قدم راسخ في الفتوى، ذا جلالة ومهابة، وذكاء وكيس، حسن الخلق. آخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والشيخ سليمان بن عبد الوهاب. توفي عام ١٢٢٥هـ. انظر مشاهير علماء نجد وغيرهم لعبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ ص ٢٩ وانظر الدرر السنية ١٤/٣٨٢.

.

عنده في هذا أثر صحيح أو حسن، فليرشدنا إليه وليدلّنا عليه، وأنى له بذلك؟ فهذه سنّة رسول الله ﷺ في القبور وسنة خلفائه الراشدين"(١).

- واستدل الإمام الألباني رحمه الله في كتابه "تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد" بهذه الجهود للرد على من يفتي من المنحرفين(٢) بجواز البناء على القبور بحجة أن العلّة التي من أجلها نُهي إشراف القبور والبناء عليها منتفية، وهذه العلّة المشار إليها هي خشية الافتتان بالمقبور، فكشف العلامة الألباني عن هذه الشبهة وأبطل هذا القول من وجوه، منها بالاستدلال بما رُوي عن الخليفتين الراشدين عثمان وعلي رضي الله عنهما من الأمر بتسوية القبور فقال الشيخ رحمه الله: "فلا شكّ أن الصحابة كانوا مؤمنين حقّاً، عالمين بحقيقة التوحيد الذي جاءهم به رسول الله ﷺ، ولكن الشريعة الإسلامية شريعة عامة أبدية فلا يلزم من انتفاء العلّة -ولو ثبت- بالنسبة إليهم أن ينتفي الحكم بالنسبة لمن بعدهم، لأن العلّة لا تزال قائمة، والواقع أصدق شاهد على ذلك، والعمل استمر من السلف على هذا الحكم ونحوه مما يستلزم بقاء العلّة السابقة وهي خشية الوقوع في الفتنة والضلال، فلو أن العلّة المشار إليها كانت منتفية لما استمر العمل على معلولها، وهذا بيّن لا يخفى والحمد لله وإليك بعض الأمثلة على ما ذكرنا" ثم ذكر جملة من الآثار عن الصحابة ومن بعدهم، منها فعل عثمان وعلي(٣)، إلى أن قال: "واعلم أن هذه الآثار وإن اختلفت دلالاتها فهي متفقة على النهي في الجملة عن كل ما ينبئ عن تعظيم القبور تعظيماً يخشى منه الوقوع في الفتنة والضلال، مثل بناء المساجد والقباب على القبور وضرب الخيام عليها ورفعها أكثر من الحديث المشروع، والسفر والاختلاف إليها(٤) والتمسح بها، ومثل التبرّك بآثار الأنبياء ونحو ذلك. فهذه الأمور كلّها غير مشروعة عند السلف الذين سميناهم من الصحابة وغيرهم،

---

(١) الدرر السنية ٨٢/١١.

(٢) مثل أحمد الغماري (أحمد بن محمد بن الصديق بن أحمد أبو الفيض الغماري الحسني، من المغرب، تعلم في الأزهر، واستقر وتوفي بالقاهرة، عرف بابن الصديق توفي عام ١٣٨٠هـ. انظر الأعلام للزركلي ٢٥٣/١) في كتابه إحياء المقبور ص ١٨/١٧.

(٣) انظر ص ٦٢١.

(٤) قال الشيخ الألباني تعليقاً على كلامه: "الاختلاف إليها أي: إكثار التردد لزيارتها".

وذلك يدل على أنهم كانوا جميعاً يرون بقاء علّة النهي عن بناء المساجد على القبور وتعظيمها بما لم يشرع ألا وهي خشية الإضلال والافتتان بالموتى، فثبت أن القول بانتفاء العلّة المذكورة وما بني عليه كله باطل، لمخالفته نهج السلف الصالح رضي الله عنهم، مع مصادمته للأحاديث الصحيحة، والله المستعان"(١).

وفي قول علي بن أبي طالب ﷺ: "إن شرار الناس أو من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ومن يتعجل بالشهادة قبل أن يسأل عنها، ومن يتخذ القبور مساجد"(٢) ردٌّ على الرافضة وبراءة علي بن أبي طالب منهم وما هم عليه من الشرك واتخاذ القبور مساجد، فإذا كان الذي يعبد الله عند القبور يعتبر من شرار الناس فكيف بمن عبدها! ؟ فأين الرافضة من قول علي بن أبي طالب الذي يدّعون محبته! ؟ ، فلو رأى ما هم عليه من تعظيم القبور وصرف العبادات لها لتبرأ منهم. فبدّل هؤلاء قولاً غير الذي قيل لهم، بدّلوا الدعاء للأموات بدعائهم من دون الله، والترحم عليهم بطلب الرحمة والمغفرة منهم.

٣/ بيان للأمة أن الصلاة إلى قبر نوع من أنواع اتخاذ القبور مساجد وسيلة من وسائل الشرك ولهذا نهى عمر بن الخطاب أنساً عن الصلاة إلى قبر.

وقد ذكر أهل العلم أن اتخاذ القبور مساجد له صور وهي(٣):

- أن يسجد على القبر، أي: أن يجعل القبر مكان سجوده قال النبيّ ﷺ: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا"(٤). أي: جعلوا القبر مكان السجود، وهذه الصورة هي أقبح الصور وأفظعها.

- أن يصلي إلى القبر أي: أمامه القبر بحيث يجعله قبلة كما في قصة عمر مع أنس، وقد نهى النبيّ ﷺ عن الصلاة إلى القبر فقال ﷺ: "لا تصلّوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها"(٥)

---

(١) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ص ١١١-١٣٢ باختصار وتصرف يسير.

(٢) تقدم تخريجه ص ٦٢٣.

(٣) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٧/٤٨٨ والتمهيد لصالح آل الشيخ ص ٢٥٨.

(٤) تقدم تخريجه ص ٤٥.

(٥) رواه النسائي في سننه في كتاب القبلة باب النهي عن الصلاة إلى القبر ص ١٢٦ برقم ٧٦٠. وصححه الشيخ الألباني.

قال القرطبي رحمه الله: "لا تتخذوها قبلة فتصلوا عليها أو إليها كما فعل اليهود والنصارى، فيؤدّي إلى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الأصنام. فحذّر النبيّ ﷺ عن مثل ذلك، وسد الذرائع المؤدية إلى ذلك"(١).

- أن يُبنى على القبور مسجد كما حصل من أهل الكتاب قال النبيّ ﷺ: "أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوّروا فيه تلك الصورة، أولئك شرار الخلق عند الله"(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن بناء المساجد على القبور ليس من دين المسلمين، بل هو منهي عنه بالنصوص الثابتة عن النبيّ ﷺ واتفاق أئمة الدين، بل لا يجوز اتخاذ القبور مساجد سواء كان ذلك ببناء المسجد عليها أو بقصد الصلاة عندها، بل أئمة الدين متفقون على النهي عن ذلك، وأنه ليس لأحد أن يقصد الصلاة عند قبر أحد لا نبي ولا غير نبي، وكل من قال إن قصد الصلاة عند قبر أحد أو عند مسجد بني على قبر أو مشهد أو غير ذلك أمر مشروع بحيث يستحب ذلك ويكون أفضل من الصلاة في المسجد الذى لا قبر فيه فقد مرق من الدين وخالف إجماع المسلمين، والواجب أن يستتاب قائل هذا ومعتقده فإن تاب وإلا قتل، بل ليس لأحد أن يصلي في المساجد التي بنيت على القبور ولو لم يقصد الصلاة عندها، فلا يقبل ذلك لا اتفاقاً ولا ابتغاء لما في ذلك من التشبه بالمشركين والذريعة إلى الشرك"(٣).

وعلى هذا فلا تجوز الصلاة عند القبر أو إليه أو البناء عليه، بل تُحرم الصلاة داخل حدود المقبرة قال النبيّ ﷺ: "الأرض كلّها مسجد إلا المقبرة والحمام"(٤) ونهى الرسول ﷺ عن الصلاة بين القبور(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقال أصحابنا: وكل ما دخل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤٣/١٣.

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٤٨٨/٢٧.

(٤) رواه الترمذي في سننه في كتاب مواقيت الصلاة باب ما جاء أن الأرض كلّها مسجد إلا المقبرة والحمام ص ٨٩ برقم ٣١٧. وصححه الشيخ الألباني.

(٥) رواه أبو يعلى في مسنده ١٧٤/٥.

في اسم المقبرة مما حول القبور لا يصلي فيه، فهذا ينبني على أن المنع يكون متناولاً لتحريم الصلاة عند القبر المنفرد وفنائه المضاف إليه"(١). ويُزاد على هذا أن النبيّ ﷺ قال: "لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم"(٢).

ففي هذا الحديث حثّ النبيّ ﷺ على الصلاة وقراءة القرآن والدعاء في البيوت، فنهى عن تشبيهها بالمقابر، ومفهوم هذا أن القبور يجب أن تكوت خالية من هذه العبادات قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا الحديث: "أي: لا تعطّلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت، ونهى عن تحريها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبّه بهم"(٣).

وقد استدل الإمام البيهقي بقصة عمر مع أناس في النهي عن الصلاة إلى القبر في سننه لبيان حكم هذا الفعل فقال: "باب النهي عن الصلاة إلى القبور" ثم أورد الأثر(٤).

٤/ إبطال قول من زعم أن العلّة التي من أجلها نهى النبيّ ﷺ عن الصلاة في القبور هي نجاسة التراب قال العلامة سليمان بن عبد الله رحمه الله "وهذا يدل على أنه كان من المستقر عند الصحابة ما نهاهم عنه نبيّهم ﷺ من الصلاة عند القبور، وفعل أنس لا يدل على اعتقاد جوازه، فإنه لعله لم يره ولم يعلم أنه قبر أو ذهل عنه فلما نبّهه عمر تنبّه، وفي هذا كلّه إبطال قول من زعم أن النهي عن الصلاة فيها لأجل النجاسة، فهذا أبعد شيء عن مقاصد الرسول ﷺ، بل العلّة في ذلك الخوف على الأمة أن يقعوا فيما وقعت فيه اليهود والنصارى وعبّاد اللات والعزى من الشرك، ويدل على ذلك أن النبيّ ﷺ لعن اليهود والنصارى على اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد ومعلوم قطعاً أن هذا ليس لأجل النجاسة لأن قبور الأنبياء من أطهر البقاع، فإن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجسادهم فهم في قبورهم طريّون"(٥).

---

(١) شرح عمدة الفقه ص ٤٦١.

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٣.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٣٥.

(٤) سنن البيهقي ٢/٤٣٥.

(٥) تيسير العزيز الحميد ص ٢١٧.

أشار العلامة سليمان بن عبد الله في آخر كلامه أن العلّة التي من أجلها مُنع الصلاة عند القبور ليست نجاسة تراب المقبرة لاختلاطه بلحوم الموتى وما فضل عنهم من نجاسات وإنما العلّة الكبرى هي كون الصلاة في هذه البقاع ذريعة إلى الشرك بعبادة أصحابها بصرف شيء من أنواع العبادة لهم، وقد أضاف بعض أهل العلم إلى هذا علل أخرى مثل التشبه بالمشركين من أهل الكتاب وغيرهم قال شيخ الإسلام بن تيمية: "وقد ظنّ طائفة من أهل العلم أن الصلاة في المقبرة نُهي عنها من أجل النجاسة لاختلاط تربتها بصديد الموتى ولحومهم، وهؤلاء قد يفرقون بين المقبرة الجديدة والقديمة، وبين أن يكون هناك حائل أو لا يكون، والتعليل بهذا ليس مذكوراً في الحديث ولم يدل عليه الحديث لا نصّاً ولا ظاهراً، وإنما هي علّة ظنوها. والعلّة الصحيحة عند غيرهم ما ذكره غير واحد من العلماء من السلف والخلف في زمن مالك والشافعي وأحمد وغيرهم، إنما هو ما في ذلك من التشبه بالمشركين وأن تصير ذريعة إلى الشرك، ولهذا نهى ﷺ عن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد ونهى ﷺ عن الصلاة إليها، ومعلوم أن النهي لو لم يكن إلا لأجل النجاسة فمقابر الأنبياء لا تنتن، بل الأنبياء لا يَبلون وتراب قبورهم طاهر، والنجاسة أمام المصلي لا تبطل صلاته، والذين كانوا يتخذون القبور مساجد كانوا يفرشون عند القبور المفارش الطاهرة فلا يلاقون النجاسة"(١).

٥/ في هذه الجهود المباركة ردٌّ على أهل القبور الذين أجازوا دعاء الأموات وسؤالهم وتعظيم القبور والتبرّك بها وغير ذلك من البدع التي هي عين المحادة لله ورسوله ﷺ، ففي قصة قبر دانيال وما فعله الصحابة من تعمية قبره بأمر عمر بيان خطورة الغلو في الأموات وإبطال عقيدة أهل القبور قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به الناس ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرّك به، ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله، فهم قد اتخذوا من القبور أوثاناً من لا يداني هذا ولا يقاربه، وأقاموا لها سدنة وجعلوها معابد أعظم من المساجد، فلو كان الدعاء عند القبور والصلاة عندها والتبرّك بها فضيلة أو سنة أو مباحاً لنصب المهاجرون والأنصار هذا القبر علما لذلك ودعوا عنده وسنّوا ذلك لمن بعدهم، ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله ودينه من الخلوف التي خلفت بعدهم، وكذلك التابعون لهم بإحسان راحوا على هذا السبيل

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥٩/٢٧.

وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالأمصار عدد كثير وهم متوافرون، فما منهم من استغاث عند قبر صاحب ولا دعاه ولا دعا به ولا دعا عنده ولا استشفى به ولا استسقى به ولا استنصر به، ومن المعلوم أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، بل على نقل ما هو دونه، وحينئذ فلا يخلو إما أن يكون الدعاء عندها والدعاء بأربابها أفضل منه في غير تلك البقعة أو لا يكون، فإن كان أفضل فكيف خفي علماً وعملاً على الصحابة والتابعين وتابعيهم، فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلة بهذا الفضل العظيم، وتظفر به الخلوف علماً وعملاً، ولا يجوز أن يعلموه ويزهدوا فيه مع حرصهم على كل خير لاسيما الدعاء، فإن المضطر يتشبث بكل سبب وإن كان فيه كراهة ما، فكيف يكونون مضطرين في كثير من الدعاء وهم يعلمون فضل الدعاء عند القبور ثم لا يقصدونه، هذا محال طبعاً وشرعاً"(١).

وفي هذه القصة العظيمة وما أمر به الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه من تعمية القبر تأكيد على وجوب منع الشرك والمحدثات في المقابر وإزالة كل ما يخرج عن الحد الشرعي من القباب وغيرها قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أما قبور البقيع ونحوهم من المؤمنين فلا يفعل ذلك عندها -أي: الشرك ووسائله -، وإذا قدر أن ذلك فعل عندها منع من يفعل ذلك وهدم ما يتخذ عليها من المساجد وإن لم تزل الفتنة إلا بتعفية قبره وتعميته فعل ذلك كما فعله الصحابة بأمر عمر بن الخطاب في قبر دانيال"(٢).

٦/ يستفاد من أثر أبي الهياج أن إرسال رجال لنهي عن المنكر خصوصاً الشرك ووسائله من أعظم مهمات ولاة الأمور ومن أكبر واجباتهم، فينبغي للحاكم تعيين رجال للقضاء على مظاهر الشرك ومقاومة أهله كما كان الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه يفعله، قال الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله: "الحكّام من الأمراء والملوك والسلاطين إنما شُرعت ولايتهم ليُقيموا أمر الله في أرض الله، فعليهم أن يُنفِّذوا أحكام الله، فعلى الأمير في القرية وعلى الحاكم في أي مكان وعلى السلطان ورئيس الجمهورية وعلى كل من له قدرة أن يساهم في هذا الخير، وذلك بإزالة هذه الأبنية والقباب والمساجد التي بُنيت على القبور وأن

(١) إغاثة اللهفان ١/٣٦٩.

(٢) الرد على الإخنائي ص ١١٣ بتصرف يسير.

تبقى القبور مكشوفة مثل القبور في البقيع في عهد النبيّ ﷺ وفي عهدنا الآن في المدينة، القبور مكشوفة ليس عليها بناء لا مسجد ولا حجرة ولا قبة ولا غير ذلك، لا يجوز البناء على القبور أبداً، ويُمنع وجود السدنة عند القبور لأخذ أموال الناس أو تضليل الناس ودعوتهم إلى الشرك، كل هذا يجب منعه، وهذا واجب الحكّام، وواجب الأعيان، وواجب أمراء البلاد أن يسعوا في هذا الخير وأن ينصحوا للعامة والجهّال ويعلّموهم"(١).

وبهذا يظهر جليّاً أن الخلفاء الراشدين ﷺ نهوا الأمة عن عبادة القبور وحذّروهم أشدّ التحذير من الغلو فيها كإشراف القبور والبناء عليها، فعلّموا الأمة وجوب تسوية القبور وهدم كل ما يخرج عن الحد الشرعي، كما أنهم نهوا عن اتخاذ القبور مساجد قطعاً لعروق الفتنة بالأموات وحرصاً على عقيدة التوحيد لتبقى صافية نقية، فهذه الجهود المباركة توضّح سنة الخلفاء الراشدين ﷺ وكيفية تعاملهم بالقبور.

(١) فتاوى نور على الدرب ٢٧١/١ باختصار.

المبحث الثامن:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في النهي عن تتبع آثار الأنبياء وتعظيم الأماكن من غير دليل.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالآثار وما يتعلّق بها .

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في النهي عن تتبع آثار الأنبياء وتعظيم الأماكن من غير دليل .

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المطلب الأول: التعريف بالآثار وما يتعلّق بها.

قال ابن منظور: "الأثر هو بقية الشيء، والجمع آثار وأُثور، وتأثّرته: تتبعت أثره، والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء، وسنن النبيّ ﷺ آثاره"(١).

وقال ابن فارس: "الأثارة: البقية من الشيء، والجمع آثارات، ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱئْتُونِي بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [الأحقاف: ٤]"(٢). قال الإمام البغوي في تفسير كلمة أثارة: "قال الكلبي(٣): أي: بقية من علم يؤثر عن الأوّلين، أي: يسند إليهم"(٤).

وآثار الرسول ﷺ تنقسم إلى ثلاثة أقسام(٥):

١/ الآثار المروية، وهي حديثه وسنَّته ﷺ، فهذا القسم تجب المحافظة عليه، لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧] وقوله ﷺ: "عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديّين من بعدي"(٦).

٢/ الآثار الجسدية، والمراد بها ما مسّه جسدُه ﷺ، لأن جسم النبيّ مبارك بركة متعدية، ولهذا كان الصحابة يتبرّكون بآثار النبيّ الجسدية كالتبرّك بشعره(٧) ووضوئه(٨) ﷺ، وهذا من خصائص النبيّ ﷺ قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: "ولا شكّ أن هذا تبرك خاصّ بالنبيّ ولا يُقاس عليه غيرُه لأمرين:

الأول: ما جعله الله سبحانه في جسده وشعره من البركة التي لا يلحقه فيها غيرُه.

---

(١) لسان العرب ٥٢/١.

(٢) مقاييس اللغة ٥٥/١.

(٣) محمد بن السائب بن بشر الكلبي، كنيته أبو النضر الكلبي، المفسر، وكان أيضاً رأسا في الأنساب، توفي سنة ١٤٦هـ. انظر السير للذهبي ٢٤٨/٦.

(٤) معالم التنزيل ٢٤٩/٧.

(٥) انظر التحذير من تعظيم الآثار غير المشروعة للعلامة عبد المحسن العباد ص ١٦.

(٦) تقدم تخريجه ص ١٦٠.

(٧) انظر صحيح البخاري كتاب الوضوء باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان ٤٥/١ برقم ١٧٠.

(٨) المصدر نفسه كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد ١٩٣/٣ برقم ٢٧٣١.

الثاني: أنّ الصحابة ﷺ لم يفعلوا ذلك مع غيره، كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من كبار الصحابة، ولو كان غيره يُقاس عليه لفعله الصحابة مع كبارهم الذين ثبت أنّهم من أولياء الله المتّقين، بشهادة النبيّ ﷺ لهم بالجنّة"[١].

ولكن ينبغي أن يعلم المسلم أن التبرّك بما انفصل عن النبيّ كان جائزاً في حينه ثم انتهى فانتهى التبرّك به، ومما يدل على ذلك "أن كثيراً من الصحابة تبرّكوا بهذه الأشياء المنفصلة منه ﷺ، فلم يذهب الصحابة الآخرون إلى التبرّك بهم ولم يفعله معهم التابعون، ولم يقل أحد من علماء الإسلام بمشروعية التبرّك بالصحابة لا الصحابة الذين تبرّكوا به، ولا غيرهم، لا من أجل صحبتهم للنبي ﷺ ولا من أجل تبركهم بما انفصل من جسده الشريف، ولا من أجل مصافحتهم للنبي ﷺ"[٢].

٣/ الآثار المكانية، أي: الأماكن والمواضع التي وُرد فيها دليل على جواز إتيانها مثل الصلاة في مسجد الرسول ﷺ والصلاة في مسجد قباء لقول رسول الله ﷺ: "لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى"[٣] وقوله ﷺ: "صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام"[٤]. وقال النبيّ ﷺ في مسجد قباء: "من تطهّر في بيته، ثم أتى مسجد قباء، فصلى فيه صلاةً، كان له كأجر عمرة"[٥].

(١) مجموع الفتاوى لابن باز ٣٥٣/٤.

(٢) براءة الصحابة الأخيار من التبرّك بالأماكن والآثار للشيخ ربيع بن هادي المدخلي ضمن مجموعة فتاواه ٦٦٦/١١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٦٠/٢ برقم ١١٨٩.

(٤) المصدر نفسه في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٦٠/٢ برقم ١١٩٠.

(٥) رواه ابن ماجه في سننه في كتاب المساجد باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء ص ٢٥١ برقم ١٤١٢. وصححه الشيخ الألباني.

أما الأماكن والمساجد التي لم يرد فيها دليل فلا يجوز أن تُقصد، بل يجب أن تُترك سدّاً للذرائع الموصلة إلى الشرك، فلا يسوغ الزيارة والتعلّق بالآثار المكانية غير المشروعة كغار حراء[١] أو مصلى صلى فيها النبيّ ﷺ، وهذه الآثار المكانية غير المشروعة هي المراد بالآثار في هذا المبحث[٢]، فالصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون ﵃ لم يكونوا يتتبعون هذه الآثار، لم يُنقل عنهم أنهم كانوا يتبرّكون بهذه الأماكن والمقامات، بل رُوي عنهم عكس ذلك، فحذّروا أشدّ التحذير من تتبع هذه الآثار ومنعوا من شد الرحال إليها تحقيقاً لحماية التوحيد، وهذا ما سنذكره في المطلب الآتي إن شاء الله.

(١) حراء يعرف اليوم جبل النور، لنزول أول سورة من الذكر الحكيم على نبينا ﷺ، وهو يتعبد في غار في رأس حراء، فاعتبر المسلمون القرآن نورا فسموه به. انظر معجم المعالم الجغرافية للبلادي ص ٢٥٦.

(٢) أي: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في النهي عن تتبع آثار الأنبياء وتعظيم الأماكن من غير دليل.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في النهي عن تتبع آثار الأنبياء وتعظيم الأماكن من غير دليل.

٢١٢- عن نافع أن عمر ﷺ بلغه أن قوماً يأتون الشجرة فيصلون عندها فتوعدهم، ثم أمر بقطعها، فقطعت(١).

فهذه الشجرة هي التي حصلت تحتها المبايعة لرسول الله ﷺ قبل صلح الحديبية، وقد ذُكرت هذه الشجرة في القرآن قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

قال الإمام السعدي رحمه الله: "يخبر تعالى بفضله ورحمته، برضاه عن المؤمنين إذ يبايعون الرسول ﷺ تلك المبايعة التي بيضت وجوههم، واكتسبوا بها سعادة الدنيا والآخرة، وكان سبب هذه البيعة -التي يقال لها "بيعة الرضوان" لرضا الله عن المؤمنين فيها، ويقال لها "بيعة أهل الشجرة"- أن رسول الله ﷺ لما دار الكلام بينه وبين المشركين يوم الحديبية في شأن مجيئه، وأنه لم يجئ لقتال أحد، وإنما جاء زائراً هذا البيت، معظّماً له، فبعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان لمكة في ذلك، فجاء خبر غير صادق، أن عثمان قتله المشركون، فجمع رسول الله ﷺ من معه من المؤمنين، وكانوا نحوا من ألف وخمسمائة، فبايعوه تحت شجرة على قتال المشركين، وأن لا يفرّوا حتى يموتوا، فأخبر تعالى أنه رضي عن المؤمنين في تلك الحال"(٢).

فالحاصل أن عمر ﷺ لما علم أن الناس يترددون على هذه الشجرة ويعظّمونها خاف أن ذلك يؤدّي إلى اتخاذها إلهاً من دون الله، فيُصرف لها عبادات من دون الله، فأراد عمر ﷺ أن يسدّ هذا الباب الخطير، فأمر بقطعها فقطعت، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وبيان الحكمة في ذلك وهو أن لا يحصل بها افتتان لما وقع تحتها من الخير، فلو بقيت لما

(١) رواه ابن سعد في الطبقات ١٠٠/٢ وابن أبي شيبة في المصنف ٣٧٥/٢ وابن وضاح في البدع ص ٤٩ قال ابن أبي شيبة: "حدثنا معاذ بن معاذ قال: "أخبرنا ابن عون عن نافع. . . الأثر". قال ابن حجر: "وجدت عند ابن سعد بإسناد صحيح عن نافع أن عمر. . . ". انظر فتح الباري ٤٤٨/٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٧٩٣. وانظر السيرة النبوية لابن هشام ٢٧٥/٤.

أمن تعظيم بعض الجهّال لها حتى ربما أفضى بهم إلى اعتقاد أن لها قوة نفع أو ضر كما نراه الآن مشاهداً فيما هو دونها وإلى ذلك أشار بن عمر بقوله كانت رحمة من الله أي: كان خفاؤها عليهم بعد ذلك رحمة من الله"(١).

وقال النووي رحمه الله: "قال العلماء سبب خفائها أن لا يفتتن الناس بها لما جرى تحتها من الخير ونزول الرضوان والسكينة وغير ذلك، فلو بقيت ظاهرة معلومة لخيف تعظيم الأعراب والجهّال إياها وعبادتهم لها، فكان خفاؤها رحمة من الله تعالى"(٢).

ففي قطع شجرة بيعة الرضوان تحقيق لحماية جناب التوحيد بقطع الطرق الموصلة إلى الشرك وحسم أسبابه.

ولا يقال أن خشية افتتان الناس بالشجرة وغيرها من تلك المقامات نوع من التكلّف والتنطّع في الدين، بل هو احتمال وارد لا يُستبعد وقوع مثل هذه البلايا، والدليل على ذلك أن بعض الصحابة الإجلاء قد افتتنوا بشجرة ذات الأنواط بسبب جِدة إسلامهم وما خفي عليهم من علم، فعن أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلّقون عليها أسلحتهم، فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال النبيّ ﷺ: "سبحان الله هذا كما قال قوم موسى ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الأعراف: ١٣٨] والذي نفسي بيده لتركبنّ سنّة من كان قبلكم"(٣).

فإذا كان هؤلاء الصحابة الأبرار افتتنوا بهذه الشجرة في حضرة النبيّ فكيف بمن بعدهم من التابعين وغيرهم والنبيّ ﷺ ليس بينهم؟! ، أليس في هذا بيان لصحة ما ذهب إليه عمر رضي الله عنه من خشية وقوع الفتنة خصوصاً في هذا الزمان الذي ضعف فيه الإيمان وكثر الجهل وقلّ العلماء وأهل الاستقامة.

٢١٣- عن المعرور بن سويد قال: كنت مع عمر بين مكة والمدينة فصلى بنا الفجر فقرأ: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ [الفيل: ١] و﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ [قريش: ١] ثم رأى أقواماً ينزلون فيصلون في مسجد فسأل عنهم فقالوا: مسجد صلى فيه ﷺ فقال: إنما هلك من كان قبلكم

(١) فتح الباري ١١٨/٦.
(٢) شرح صحيح مسلم ٨/١٣.
(٣) تقدم تخريجه ص ٢٢٤.

أنهم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً، من مرّ بشيء من المساجد فحضرت الصلاة فليصل وإلا فليمض"(١).

ففي هذا الأثر تحذير عمر بن الخطاب ﷺ الرعية من تتبع الآثار وتعظيمها كالمقامات التي صلى رسول الله ﷺ أو عبد الله فيها، لأن ذلك وسيلة من وسائل الشرك، ففي هذا النهي تحقيق لصيانة التوحيد.

٢١٤- عن يعلى بن أمية قال: "طفت مع عمر بن الخطاب ﷺ، فلمّا كنت عند الركن الذي يلي الباب مما يلي الحجر أخذت بيده ليستلم فقال: أما طفت مع رسول الله ﷺ قلت: بلى، قال: فهل رأيته يستلمه قلت: لا، قال: فانفُذ عنك، فإن لك في رسول الله أسوة حسنة"(٢).

ففي هذا الموقف العظيم إنكار عمر بن الخطاب ﷺ على يعلى بن أمية استلام الركن الذي يلي الباب مما يلي الحجر، وهذا يدل على أن عمر ﷺ حرص أشدّ الحرص على ألا تعظَّم الأماكن من غير دليل، ففي نهي عمر ﷺ عن استلام جدران الكعبة تحقيق لحماية التوحيد وتعليم سنة النبيّ ﷺ في الطواف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيّناً سنّة الرسول ﷺ في الاستلام: "ولا يستلم من الأركان إلا الركنين اليمانيين دون الشاميين. فإن النبيّ ﷺ إنما استلمهما خاصة لأنهما على قواعد إبراهيم، والآخران هما في داخل البيت. فالركن الأسود يستلم ويقبل واليماني يستلم ولا يقبل، والآخران لا يستلمان ولا يقبلان والاستلام هو مسحه باليد. وأما سائر

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه ١١٨/٢ وابن أبي شيبة في مصنفه ٣٦٦/١ وابن وضاح في البدع ص ٤٩ قال عبد الرزاق: "معمر عن الأعمش عن المعرور بن سويد...الأثر". قال شيخ الإسلام: "ثابت بالإسناد الصحيح" انظر قاعدة جليلة في التوسّل ص ١٦١. وقال العلامة عبد المحسن العباد: "إسناد صحيح" انظر التحذير من تعظيم الآثار غير المشروعة ص ١٢.

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده ١٦٣/١ وعبد الرزاق في مصنفه ٤٥/٥ وابن أبي شيبة في مصنفه ٨٤٠/٣ وأحمد في مسنده ٣٧/١ والبيهقي في سننه ١١٠/٥. قال عبد الرزاق: "عن بن جريج قال أخبرني سليمان بن عتيق عن عبد الله بن بابيه عن بعض بني يعلى عن يعلى بن أمية...الاثر". قال العلامة عبد المحسن العباد: "إسناد صحيح على شرط مسلم" انظر تبصير الناسك ص. ١٠٣.

جوانب البيت ومقام إبراهيم وسائر ما في الأرض من المساجد وحيطانها ومقابر الأنبياء والصالحين كحجرة نبيّنا ﷺ ومغارة إبراهيم ومقام نبيّنا ﷺ الذي كان يصلي فيه وغير ذلك من مقابر الأنبياء والصالحين وصخرة بيت المقدس، فلا تستلم ولا تقبّل باتفاق الأئمة. وأما الطواف بذلك فهو من أعظم البدع المحرّمة ومن اتخذه ديناً يستتاب فإن تاب وإلا قتل"(١).

وقال الإمام الألباني رحمه الله: "ولا يستلم الركنين الشاميين اتباعاً للنبي ﷺ"(٢).

٢١٥- عن بن المسيب قال: "بينا عمر في نَعَم من نعم الصدقة مر به رجلان فقال: من أين جئتما؟ قالا: من بيت المقدس، فعلاهما ضرباً بالدرة وقال: حج كحج البيت؟ قالا: يا أمير المؤمنين إنا جئنا من أرض كذا وكذا فمررنا به فصلينا فيه، فقال: كذلك إذا فتركهما"(٣).

ففي هذا الأثر يظهر أن عمر رضي الله عنه أنكر على هذين الرجلين لأنه رضي الله عنه ظنّ أنهما قصدا السفر إلى بيت المقدس بنيّة الحج أو إتيانه في أيام الحج أو غيره من المواسم معتقدين تخصيص وقت معيّن لزيارة بيت المقدس أو غير ذلك من البدع في تعظيم الأماكن والتعلّق بها أو اتخاذها عيداً، فلمّا عرف عمر منهما خلاف ذلك تركهما، وهذا يدل على شدّة عناية عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأمر التوحيد وتمام حمايته ومحاربة الابتداع في الدين.

(١) مجموع الفتاوى ١٢١/٢٦.

(٢) مناسك الحج والعمرة ص ٢٢.

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه ١٣٣/٥ وابن أبي شيبة في مصنفه ٦٦/٤. قال عبد الرزاق: "عن معمر عن عبدالكريم الجزري عن بن المسيب. . . الأثر".

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

لقد تُعدّ هذه الجهود المباركة من أعظم أعمال الخلفاء الراشدين ﭭ وأجلها في حماية التوحيد ومحاربة الشرك، ولا شكّ أن في هذه الجهود الطيبة آثاراً نبيلة على الأمة، أهمها ما يلي:

١/ بيان عمر بن الخطاب ﭬ للأمة نهي تتبع آثار الأنبياء والصالحين وتعظيم الأماكن من غير دليل، فوضح للأمة عقيدة التوحيد وحذّرهم مما ينافيها أو ينقصها من الشرك والبدع، فبهذه الجهود المباركة أبان ﭬ للناس خطورة تتبع مقامات الأنبياء كالأماكن والمساجد والبقاع التي قاموا فيها أو أقاموا أو عبدوا الله إلا أن يكون قصدها للعبادة مما جاء به الشرع كما قصد الصلاة خلف مقام إبراهيم أو قصد الصف الأول(١)، أما ما لم يُشرع إتيانه فلا يجوز تتبعه والذهاب إلى ذلك المكان بقصد عبادة الله معتقداً أن الدعاء عنده أحرى بالقبول والإجابة، فهذا الصنيع من الوسائل الموصلة إلى الشرك، وأسوأ وأقبح من ذلك أن يأتي العبد الآثار بقصد التبرّك بها ظنّاً أنها تنفع وتضر على وجه الاستقلال، فلا شكّ أن مثل هذا الاعتقاد شرك مخرج من الملة. ولهذا نهى عمر ﭬ عن تتبع الآثار والتعلّق بها لما قد يفضي ذلك إلى مفسدة الشرك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فأما قصد الصلاة في تلك البقاع التي صلى فيها اتفاقاً، فهذا لم ينقل عن غير ابن عمر من الصحابة، بل كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وسائر السابقين الأوّلين، من المهاجرين والأنصار ﭫ يذهبون من المدينة إلى مكة حجاجاً وعماراً ومسافرين، ولم ينقل عن أحد منهم أنه تحرّى الصلاة في مصليات النبيّ ﷺ. ومعلوم أن هذا لو كان عندهم مستحبّاً لكانوا إليه أسبق، فإنهم أعلم بسنّته وأتبع لها من غيرهم. وقد قال ﷺ: "عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسّكوا بها، وعضّوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"(٢)، وتحرّي هذا ليس من سنّة الخلفاء الراشدين، بل هو مما ابتدع، وقول الصحابي إذا

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٤٩٥.

(٢) تقدم تخريجه ص ١٦٠.

خالفه نظيره، ليس بحجة، فكيف إذا انفرد به عن جماهير الصحابة؟ أيضاً: فإن تحرّي الصلاة فيها ذريعة إلى اتخاذها مساجد والتشبّه بأهل الكتاب مما نهينا عن التشبه بهم فيه وذلك ذريعة إلى الشرك بالله، والشارع قد حسم هذه المادة بالنهي عن الصلاة عند طلوع الشمس، وعند غروبها، وبالنهي عن اتخاذ القبور مساجد، فإذا كان قد نهى عن الصلاة المشروعة في هذا المكان وهذا الزمان، سدّاً للذريعة، فكيف يستحب قصد الصلاة والدعاء في مكان اتفق قيامهم فيه، أو صلاتهم فيه، من غير أن يكونوا قد قصدوه للصلاة فيه والدعاء فيه؟ ولو ساغ هذا لاستحب قصد جبل حراء والصلاة فيه، وقصد جبل ثور(١) والصلاة فيه، وقصد الأماكن التي يقال إن الأنبياء قاموا فيها. ثم ذلك يفضي إلى ما أفضت إليه مفاسد القبور، فإنه يقال: إن هذا مقام نبي، أو قبر نبي، أو ولي، بخبر لا يعرف قائله، أو بمنام لا تعرف حقيقته، ثم يترتب على ذلك اتخاذه مسجداً، فيصير وثناً يُعبد من دون الله تعالى"(٢).

وعلى هذا درج أئمة السلف ومن جاء من بعدهم قال ابن وضاح رحمه الله: "كان مالك ابن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار للنبيّ ﷺ ما عدا قباء وأُحُدا، وسمعتهم يذكرون أن سفيان الثوري دخل مسجد بيت المقدس فصلى فيه ولم يتبع تلك الآثار ولا الصلاة فيها وكذلك فعل غيره أيضاً ممن يقتدي به"(٣).

وينبغي في هذا المقام التفريق بين الأماكن التي قصد فيها النبيّ ﷺ العبادة وتحرّى الدعاء كقصد النبيّ ﷺ المشاعر والمساجد مثل الطواف حول الكعبة وتقبيل والتماس الحجر الأسود والصعود على صفا والمروة، الصلاة خلف مقام إبراهيم، فتحرّي العبادة في مثل هذه المقامات وفقاً للسنة مما يدخل في التأسي بالنبيّ ﷺ والاقتداء به، وبين الأماكن التي نزل النبيّ ﷺ فيها بحكم الاتفاق، لم يقصد تخصيصها بالعبادة ولم يحترها للدعاء، فيجب الفرق بين اتباع النبيّ

---

(١) ثور جبل جنوب مكة عال أغبر يرى من جميع نواحيها المرتفعة، يشبه ثورا مستقبل الجنوب، وبه غار ثور الذي اختبأ فيه رسول الله ﷺ وصاحبه أول مهاجرته، وله طريق اليوم يخرج من رأس أجياد ثم على خم ثم بطحاء قريش، ولا تزيد المسافة على خمسة أكيال. انظر معجم المعالم الجغرافية للبلادي ص ٢٤٧.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٩٩.

(٣) البدع والنهي عنها ص ٥٠.

ﷺ والاستنان به فيما فعله وبين ابتداع بدعة لم يأمرنا بها، ولهذا رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن مشاركة النبيّ ﷺ في صورة الفعل من غير موافقة له في قصده ﷺ ليس من الإسلام في شيء(١)، بل تخصيص ذلك المكان الذي توقّف فيه بالصلاة من بدع أهل الكتاب التي هلكوا بها ونهى المسلمين عن التشبه بهم في ذلك، ففاعل ذلك متشبه بالنبيّ ﷺ في الصورة ومتشبّه باليهود والنصارى في القصد الذي هو عمل القلب(٢).

فكل فعل فعله النبيّ ﷺ على وجه العبادة شُرع لنا أن نفعله على وجه العبادة، وإذا قصد تخصيص مكان أو زمان بالعبادة شُرع لنا أن نخصصه بذلك، فعلى هذا فليس من السنة تتبع الأماكن التي لم يقصدها الرسول بالعبادة وزيارتها والبناء عليها قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما زيارة المساجد التي بنيت بمكة غير المسجد الحرام، كالمسجد الذي تحت الصفا وما في سفح أبي قبيس(٣) ونحو ذلك من المساجد التي بنيت على آثار النبيّ ﷺ وأصحابه كمسجد المولد وغيره فليس قصْدُ شيء من ذلك من السنة، ولا استحبّه أحد من الأئمة، وإنما المشروع إتيان المسجد الحرام خاصة والمشاعر: عرفة ومزدلفة والصفا والمروة، وكذلك قصد الجبال والبقاع التي حول مكة غير المشاعر عرفة ومزدلفة ومنى مثل جبل حراء والجبل الذي عند منى الذي يقال إنه كان فيه قبة الفداء ونحو ذلك، فإنه ليس من سنّة رسول الله ﷺ زيارة شيء من ذلك، بل هو بدعة، وكذلك ما يوجد في الطرقات من المساجد المبنية على الآثار والبقاع التي يقال أنها من الآثار، لم يشرع النبيّ ﷺ زيارة شيء من ذلك بخصوصه ولا زيارة شيء من ذلك"(٤).

وقد أورد العلامة سليمان بن عبد الله آثار عمر كقطع الشجرة والنهي عن الصلاة في مقام الرسول في شرحه لكتاب التوحيد تحت "باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين

---

(١) انظر ص ٦٤٠.

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٤٩٩ وكتابه قاعدة جليلة في التوسّل ص ١٦١.

(٣) أبو قبيس: هو من أشهر جبال مكة وليس من أكبرها، تراه يشرف على الكعبة من مطلع الشمس. انظر معجم المعالم الجغرافية للبلادي ص ٢.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٤٤/٢٦.

يصيرها أوثاناً تُعبد من دون الله"(١) لبيان عدم مشروعية تتبع آثار الأنبياء والصالحين كقبورهم ومجالسهم ومواضع صلاتهم للصلاة والدعاء عندها، فقرّر الشيخ أن كل ذلك من الابتداع في الدين لم يفعله السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم(٢).

فالحاصل أنه لا يجوز للأمة تتبع آثار الأنبياء وتعظيم تلك الأماكن التي وقعت فيها الأحداث العظيمة، فهذا ليس من الإسلام في شيء، فالغلو في هذه الآثار قد يفضي إلى الشرك والهلاك والاعتقاد الفاسد المضاد للتوحيد.

٢/ إرشاد الأمة إلى محاربة الشرك وقطع الوسائل المفضية إلى الشرك تحقيقاً لحماية التوحيد وصيانة للمجتمع الإسلامي من الانحراف والضلال، فيُستفاد من قطع عمر الشجرة وجوب القضاء على موارد الفتن وإزالتها كالمشاهد والقباب المبنية على القبور وغير ذلك مما عُبد من دون الله قال الإمام ابن القيم في ذكر مكايد الشيطان: "إن الناس قد ابتُلوا بالأنصاب والأزلام، فالأنصاب للشرك والعبادة والأزلام للتكهّن وطلب علم ما استأثر الله به، هذه للعلم وتلك للعمل، ودين الله سبحانه وتعالى مضاد لهذا وهذا، والذي جاء به رسول الله ﷺ إبطالهما وكسر الأنصاب والأزلام. فمن الأنصاب ما قد نصبه الشيطان للمشركين: من شجرة أو عمود أو وثن أو قبر أو خشبة أو عين ونحو ذلك، والواجب هدم ذلك كله ومحو أثره كما أمر النبيّ ﷺ علياً ﷺ بهدم القبور المشرفة وتسويتها، وعمّى الصحابة بأمر عمر ﷺ قبر دانيال وأخفوه عن الناس، ولما بلغه ﷺ أن الناس ينتابون الشجرة التي بايع تحتها رسول الله ﷺ أصحابه أرسل فقطعها، فإذا كان هذا فعل عمر ﷺ بالشجرة التي ذكرها الله تعالى في القرآن وبايع تحتها الصحابة رسول الله ﷺ فماذا حكمه فيما عداها من هذه الأنصاب والأوثان التي قد عظمت الفتنة بها واشتدت البلية بها؟ وأبلغ من ذلك: أن رسول الله ﷺ هدم مسجد الضرار ففي هذا دليل على هدم ما هو أعظم فسادا منه كالمساجد المبنية على القبور، فإن حكم الإسلام فيها: أن تُهدم كلّها حتى تُسوَّى بالأرض، وهي أولى بالهدم من مسجد الضرار، وكذلك القباب التي على القبور يجب هدمها كلّها لأنها أُسّستْ على معصية الرسول لأنه قد نهى عن البناء على القبور كما تقدم، فبناءٌ أُسّس على

---

(١) انظر كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ضمن مجموع مؤلفاته) ٦٤/١.

(٢) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٢٢٦.

معصيته ومخالفته بناءٌ محرَّم، وهو أولى بالهدم من بناء الغاصب قطعاً، وقد أمر رسول الله ﷺ بهدم القبور المشرفة كما تقدم، فهدم القباب والبناء والمساجد التي بنيت عليها أولى وأحرى لأنه لعن متخذي المساجد عليها ونهى عن البناء عليه، فيجب المبادرة والمساعدة إلى هدم ما لعن رسول الله ﷺ فاعله ونهى عنه، والله ﷻ يقيم لدينه وسنة رسوله من ينصرهما ويذبّ عنهما، فهو أشدّ غيرة وأسرع تغييراً، وكذلك يجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر وطَفْيُه، فإن فاعل ذلك ملعون بلعنة رسول الله ﷺ ولا يصح هذا الوقف ولا يحل إثباته وتنفيذه قال الإمام أبو بكر الطرطوشي[(١)]: "انظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البُرْء والشفاء من قبلها، ويضربون بها المسامير والخِرَق فهي ذات أنواط فاقطعوها"[(٢)]"[(٣)].

فينبغي لمن له القدرة المبادرة إلى سدّ الذرائع المفضية إلى الشرك والقضاء على أسباب الفتن، والسير على ما كان عليه الخلفاء الراشدون وسائر الصحابة ﷺ في العناية بهذا الأمر والاهتمام بالتوحيد ومنافحته.

٣/ إبطال الدعوات الشركية والمعتقدات الفاسدة في آثار الأنبياء والصالحين وكشف سوء عاقبة تتبّعها، ففي هذه الجهود الجليلة إبطال القول بمشروعية التبرّك بمقامات النبيّ ﷺ والرد على الدعاة إلى إحياء آثار النبوّة والحثّ على تتبعها، وبعضهم لم يقفوا عند هذا الحد، بل أفتوا بوجوب المحافظة عليها وجواز التبرّك بها، فلمّا كثرت هذه الدعوات الباطلة في هذا العصر ممن يجهل منهج السلف الصالح بذل أهل العلم جهداً عظيمة ومباركة في الرد عليهم مستدلّين بجهود عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة الأبرار ﷺ في الإنكار على تتبع الآثار

---

(١) محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الفهري الأندلسي، أبو بكر الطرطوشي نسبة إلى مدينة طرطوشة، فقيه حافظ إمام محدث ثقة زاهد فاضل عالم عامل، رحل إلى العراق وقد تفقه بالأندلس وصحب أبا الوليد الباجي مدة. من علماء المالكية، الحفاظ، توفي عام ٥٢٠هـ. انظر بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس لأبي جعفر أحمد الضبي ص ١٣٥.

(٢) الحوادث والبدع ص ٣٩.

(٣) إغاثة اللهفان ٣٧٩/١.

والتحذير من التعلّق والتبرّك بها وتعظيم الأماكن من غير دليل، ومن هذه الردود المباركة النافعة ما يلي:

- ردّ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله على صاحب المقالة بعنوان: "الآثار الإسلامية"، وتتبيّن خطورة مقالته من خلال الاقتراحات التي ذكرها كاتبها لصيانة آثار النبيّ ﷺ وأصحابه وهي:

* كتابة تاريخ هذه الآثار بأسلوب عصري معبر عما تحمله هذه الآثار من ذكريات الإسلام ومجده عبر القرون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

* رسم خريطة أو خرائط لمواقع الآثار في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة.

* إعادة بناء ما تهدم من هذه الآثار على شكل يغاير الأشكال القديمة، وتحلية البناء بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية على لوحة كبرى يسجل بها تاريخ موجز للأثر وذكرياته بمختلف اللغات.

* إصلاح الطرق إلى هذه الآثار، وخاصة منها الجبلية كغار ثور وغار حراء، وتسهيل الصعود إليها بمصاعد كهربائية كالتي يصعد بها إلى جبال الأرز في لبنان مثلا مقابل أجر معقول.

* تعيين قيم أو مرشد لكل أثر من طلبة العلم يتولى شرح تاريخ الأثر للزائرين، والمعاني السامية التي يمكن استلهامها منه بعيداً عن الخرافات والبدع، أو الاستعانة بتسجيل ذلك على شريط يدار كلما لزمت الحاجة إليه.

* إدراج تاريخ هذه الآثار ضمن المقررات المدرسية على مختلف المراحل.

ثم بعد ذكر هذه الاقتراحات الباطلة قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في ردّه: "لما كان تعظيم الآثار الإسلامية بالوسائل التي ذكرها الكاتب يخالف الأدلة الشرعية وما درج عليه سلف الأمة وأئمتها من عهد الصحابة ﷺ إلى أن مضت القرون المفضلة، ويترتب عليه مشابهة الكفّار في تعظيم آثار عظمائهم، وغلو الجهّال في هذه الآثار، وإنفاق الأموال في غير وجهها ظناً من المنفق أن زيارة هذه الآثار من الأمور الشرعية، وهي في الحقيقة من البدع المحدثة، ومن وسائل الشرك، ومن مشابهة اليهود والنصارى في تعظيم آثار أنبيائهم وصالحيهم واتخاذها معابد ومزارات، رأيت أن أعلّق على هذا المقال بما يوضّح الحق

ويكشف اللبس بالأدلة الشرعية والآثار السلفية، وأن أفضل القول فيما يحتاج إلى تفصيل، لأن التفصيل في مقام الاشتباه من أهم المهمّات، ومن خير الوسائل لإيضاح الحق، عملاً بقول الرسول ﷺ: "الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"(١)"(٢). ثم شرع في إبطال هذه الدعوة الفاسدة مستدلاً بمواقف عمر كنهيه عن تتبع الآثار وأمره بقطع شجرة الرضوان.

- وكذلك من تلك الردود النافعة المسددة كتاب الشيخ عبد المحسن العبّاد "التحذير من تعظيم الآثار غير المشروعة"، فردّ الشيخ على صاحب المقال بعنوان: "لا خوف على بلاد الحرمين من الشرك والوثنية، وهل في إحياء آثار النبوّة ومواطئ الرسالة ما يدعو إلى التخوف من الشرك؟ وهل الاهتمام بتلك الآثار يؤدّي بالضرورة إلى عبادتها من دون الله؟"(٣).

فأجاد وأفاد الشيخ عبد المحسن حفظه الله في ردّه بأسلوب حسن، فأبطل ما قرره الكاتب من عدم عودة الشرك في مهد الإسلام وجواز تتبع الآثار.

- وأيضاً من الردود العلمية في هذا العصر في الإنكار على من يدعو إلى العناية بالآثار كتاب الشيخ الدكتور ربيع بن هادي المدخلي "براءة الصحابة الأخيار من التبرّك بالأماكن والآثار"، وهو ردّ على صاحب كتاب الآثار النبوية بالمدينة المنورة ووجوب المحافظة عليها وجواز التبرّك بها. وغير ذلك من الردود التي تبيّن خطورة تتبع الآثار وعدم إباحة التبرّك بها.

٤/ بيان للأمة عدم مشروعية تخصيص أوقات معيّنة لزيارة بعض الأماكن التي يُشرع إتيانها في الأصل أو زيارتها بنية الحج إليها أو قصد أداء عبادة عندها لم يسنّها الرسول ﷺ كالسفر إلى بيت المقدس بنية الحج أو إتيانه في أيام الحج أو غيره من المواسم العظيمة أو غير

---

(١) رواه الترمذي في سننه في كتاب البر باب ما جاء في النصيحة ص ٤٤٠ برقم ١٩٢٦. وصححه الألباني.

(٢) مجموع الفتاوى ١/٤٠١.

(٣) التحذير من تعظيم الآثار غير المشروعة للشيخ عبد المحسن العباد ص ٣.

ذلك من البدع في تعظيم الأماكن والتعلّق بها واتتخاذها عيداً كما هو مفهوم في موقف عمر مع الرجلين الذين قدما من سفر[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقد يحدث في اليوم الفاضل، مع العيد العملي المحدث، العيد المكاني، فيغلظ قبح هذا، ويصير خروجاً عن الشريعة، فمن ذلك: ما يفعل يوم عرفة، مما لا أعلم بين المسلمين خلافاً في النهي عنه، وهو قصد قبر بعض من يحسن به الظنّ يوم عرفة، والاجتماع العظيم عند قبره، كما يفعل في بعض أرض المشرق والمغرب، والتعريف هناك، كما يفعل بعرفات، فإن هذا نوع من الحج المبتدع الذي لم يشرعه الله، ومضاهاة للحج الذي شرعه الله، واتخاذ القبور أعياداً. وكذلك السفر إلى بيت المقدس، للتعريف فيه، فإن هذا أيضاً ضلال بيّن، فإن زيارة بيت المقدس مستحبة مشروعة للصلاة فيه والاعتكاف، وهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، لكن قصد إتيانه في أيام الحج هو المكروه، فإن ذلك تخصيص وقت معيّن بزيارة بيت المقدس، ولا خصوص لزيارته في هذا الوقت على غيره. ثم فيه أيضاً مضاهاة للحجّ إلى المسجد الحرام، وتشبيه له بالكعبة، ولهذا قد أفضى إلى ما لا يشكّ مسلم في أنه شريعة أخرى، غير شريعة الإسلام، وهو ما قد يفعله بعض الضُلال من الطواف بالصخرة، أو من حلق الرأس هناك، أو من قصد النسك هناك. وكذلك ما يفعله بعض الضلال من الطواف بالقبة[٢] التي بجبل الرحمة بعرفة كما يطاف بالكعبة. فأما الاجتماع في هذا الموسم لإنشاد الغناء أو الضرب بالدف بالمسجد الأقصى ونحوه، فمن أقبح المنكرات من جهات أخرى. منها: فعل ذلك في المسجد، فإن ذلك فيه ما نهي عنه خارج المساجد فكيف بالمسجد الأقصى؟! ومنها: اتخاذ الباطل ديناً. ومنها فعله في الموسم"[٣].

٥/ إرشاد الأمة الإسلامية إلى مخالفة هدي المشركين في الظاهر والباطن وعدم التشبه بالأمم من قبلنا في تتبع آثار الأنبياء والصالحين واتخاذها مساجد وشد الرحال إليها، فمن لم يكفّ نفسه عن ذلك فقد سلك مسلك الغلو والتنطّع والهلاك، وتشبّه بأهل الكتاب اليهود

---

(١) انظر ٦٤٠.

(٢) الآن بحمد الله لا توجد هذه القبة بجبل عرفات، وذلك بفضل الله ثم بفضل دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب. انظر تحقيق كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لناصر العقل ص ٤٢٠.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٢٠.

والنصارى ونهج منهج أهل البدع من الرافضة والصوفية الذين جعلوا بناء المشاهد على قبور الصالحين وتعظيمها وتحرّي الصلاة والدعاء عندها، بل دعاء الأموات من دون الله أصلاً في عقيدتهم وركناً في الدين. فيجب على المسلم مخالفة هؤلاء بترك هديهم في الأقوال والأعتقادات والأفعال حتى لا يفتح على نفسه باب الفتن والهلاك. فينبغي في هذا المقام الاتعاظ والتذكر بقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: "إنما هلك من كان قبلكم أنهم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً"(١).

٦/ إرشاد الأمة إلى اتباع هدي الرسول ﷺ وحثّها على التمسّك بما كان عليه ﷺ وترك الابتداع على اختلاف أنواعه، بل يجب أن يكون العمل مبنيّاً على السنّة لأن العبادة توقيفية، فلا يُشرع شيء منها إلا ما شرّعه النبيّ ﷺ، ولهذا نهى عمرُ يعلى بن أمية عن استلام الركن الذي يلي الباب مما يلي الحجر فقال عمر ﷺ له: "أما طفت مع رسول الله ﷺ فقال: بلى فقال: فهل رأيته يستلمه قال: لا، قال ﷺ: فانفُذ عندك فإن لك في رسول الله أسوة حسنة"(٢).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في قول الله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ﴾ [الأحزاب: ٢١]: "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله"(٣).

ففي هذا الموقف العظيم بيان للأمة أهمية السير على نهج النبيّ ﷺ واقتفاء آثاره، ولا شكّ أن اتباع أقوال الرسول ﷺ وأفعاله، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه من أهم أسس الشريعة وأصول الإسلام، فهو معنى شهادة أن محمداً رسول الله.

وعلى هذا فيجب العناية باقتداء النبيّ ﷺ والحثّ على العمل بالسنة، ومجانبة الابتداع، خصوصاً تتبع آثار الأنبياء والصالحين وتعظيم الأماكن والتبرّك بها من غير دليل كتقبيل واستلام جدران الكعبة كلّها أو مسح جدار القبور والتعلّق بها وغير ذلك من المنكرات المخالفة للسنة النبوية.

---

(١) تقدم تخريجه ص ٦٤٢.

(٢) تقدم تخريجه ص ٦٤٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣/٦٢١.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه في تقرير وجوب المتابعة والتأسي بالنبيّ ﷺ مستدلاً بجهود عمر ﷺ: "وكان عمر بن الخطاب إذا رآهم يتناوبون مكاناً يصلون فيه لكونه موضع نبيّ ينهاهم عن ذلك ويقول: إنما هلك من كان قبلكم باتخاذ آثار أنبيائهم مساجد، من أدركته الصلاة فيه فليصل وإلا فليذهب، فهذا وأمثاله مما كانوا يحققون به التوحيد الذي أرسل الله به الرسول إليهم، ويتبعون في ذلك سنته ﷺ، والإسلام مبني على أصلين: أن لا نعبد إلا الله وأن نعبده بما شرع، لا نعبده بالبدع، فالنصارى خرجوا عن الأصلين وكذلك المبتدعون من هذه الأمة من الرافضة وغيرهم"(١).

وقال العلامة عبد المحسن العبّاد حفظه الله: "ولا يستلم من جدران الكعبة وأركانها إلا الركنين اليمانيين، لأثر يعلى بن أمية: طفت مع عمر بن الخطاب...الأثر، وكما لا تُقبَّل جدران الكعبة وبقية أركانها ولا تُستلَم، فلا يُفعل مثل ذلك في غيرها من الحجارة والبنيان في كل مكان، بل الواجب الاقتصار على ما جاءت به السنّة من تقبيل الحجر الأسود واستلامه واستلام الركن اليماني، ولهذا قال عمر في شأن الحجر الأسود: "ولو لا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك ما قبّلتك"(٢)"(٣).

والاقتداء بالرسول ﷺ والعمل بسنّته إنما يكون بما ثبت وصحّ عنه من أقوال أو أفعال أو تقريرات، فهذا هو الصراط المستقيم وإن قلّ سالكوه، ولا يغتر الإنسان بكثرة الهالكين، الواقعين في البدع والمحدثات، وقد عمّت البلوى في هذا العصر بتتبع آثار النبيّ ومقامات الصالحين المزعومة وشدّ الرحال إليها والتبرّك بها، بل جُعل لبعض هذه الآثار أعياد وأوقات معلومة يتردّدون إليها، ولا شكّ أن كل ذلك مخالف للسنة ومناف للاقتداء به.

فمن تأمل هذه الأدلة الواضحة وعقل هذه النقولات العظيمة علم يقيناً أن الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون ﷺ ما كانوا يتتبعون آثار الأنبياء ويجتهدون في البحث عنها للتبرك بها أو ببناء المساجد عليها، لم يُعرف منهم تعظيم الأماكن من غير دليل والتعلّق بها، بل كانوا ينهون عن هذا الصنيع لما فيه من التشبه بأهل الكتاب والغلو، يوصل صاحبه إلى

(١) منهاج السنة ١/٣٤٤.

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٠٠.

(٣) تبصير الناسك بأحكام المناسك ص ١٠٢ باختصار.

الهلاك، فلا حاجة لنا إلى المحافظة على الآثار غير المشروعة والعناية بها، وإنما الواجب علينا التأسي بالنبيّ ﷺ والاقتداء به والبعد عن التبرّك بالقبور والأشجار والأحجار وأبواب بعض مساجد وغير ذلك مما لا أصل له في دين الإسلام، والله أعلم.

.

المبحث التاسع:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في التحذير من الردّة ومحاربة المرتدين.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالردة وما يتعلّق بها .

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في التحذير من الردّة ومحاربة المرتدين.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المطلب الأول: التعريف بالردّة وما يتعلّق بها.

الردّة لغة:الرجوع عن الشيء، ومنه الرجوع عن الإسلام، والمرتد هو الراجع(١) قال الله تعالى:﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ ﴾ [المائدة: ٢١] أي: لا ترجعوا إلى ورائكم، بل امضوا قُدُمًا لأمر الله الذي أمركم به(٢)، وقيل: لا ترجعوا عن طاعتي وما أمرتكم به من قتال الجبارين(٣).

شرعاً: قال ابن قدامة: "المرتد هو الراجع عن دين الإسلام إلى الكفر"(٤)، فالمرتد هو الذي يكفر بعد الإسلام طوعاً بنطق أو اعتقاد أو فعل أو شكّ قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

قال الإمام الطبري رحمه الله: "من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه اليوم فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر، إما في النصرانية أو اليهودية أو غير ذلك من صنوف الكفر، فلن يضر الله شيئاً، وسيأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه"(٥).

وهناك بعض الآيات في القرآن -إضافة إلى ما سبق- قد أشارت إلى الردّة على سبيل الذم والتحذير منها، وذكرت سوء عاقبة أمر أصحابها كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٩]قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: "يعني بذلك تعالى ذكره: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله في وعد الله ووعيده وأمره ونهيه ﴿ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ يعني: الذين جحدوا نبوة نبيّكم محمد ﷺ من اليهود والنصارى -فيما يأمرونكم به وفيما ينهونكم عنه- فتقبلوا رأيهم في ذلك وتنْتصِحوهم فيما يزعمون أنهم لكم فيه ناصحون ﴿ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾ يقول: يحملوكم على الردّة بعد الإيمان، والكفر بالله وآياته وبرسوله بعد الإسلام ﴿ فَتَنقَلِبُوا۟

(١) انظر لسان العرب لابن منظور ١٣٣/٦ ومقاييس اللغة لابن فارس ٣٨٦/٢.
(٢) انظر جامع البيان للطبري ١٧٠/١٠.
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٩٧/٧.
(٤) المغني ٢٦٤/١٢.
(٥) جامع البيان ١٠/١٤.

خَسِرِينَ ﴾ يقول: فترجعوا عن إيمانكم ودينكم الذي هداكم الله له ﴿خَسِرِينَ ﴾ يعني: هالكين، قد خسرتم أنفسكم، وضللتم عن دينكم، وذهبت دنياكم وآخرتكم"(١).

وقال الإمام البغوي رحمه الله: "﴿ يَرُدُّوكُم عَلَىٰٓ أَعۡقَـٰبِكُمۡ ﴾ يُرجعوكم إلى أوّل أمركم الشرك بالله ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَسِرِينَ ﴾ مغبونين"(٢).

وقال الله تعالى: ﴿ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَـٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٦] قال قتادة رحمه الله: "هي في المرتدين"(٣).

حكم المرتد: أجمع أهل العلم على قتل المرتد من الرجال(٤) لقول النبيّ ﷺ: "من بدّل دينه فاقتلوه"(٥).

وقد شُرع القتل للمرتد حماية لدين الإسلام والأمة، لأن الردّة فيها تعريض بالدين واستخفاف به وفيها أيضاً تمهيد طريق لمن يريد الخروج من هذا الدين وذلك يفضي إلى انحلال جماعة المسلمين(٦) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما المرتد فالمبيح عنده – أي: المبيح للقتل عند الإمام أحمد– هو الكفر بعد الإيمان وهو نوع خاص من الكفر، فإنه لو لم يقتل ذلك لكان الداخل في الدين يخرج منه، فقتله حفظ لأهل الدين وللدين، فإن ذلك يمنع من النقص ويمنعهم من الخروج عنه بخلاف من لم يدخل فيه"(٧).

فالحكم بقتل المرتد من أعظم الزواجر التي تمنع الناس من ارتكاب هذه الجريمة، وتُصرف من يريد الدخول في الإسلام مصانعة أو نفاقاً أو استهزاء(٨).

---

(١) جامع البيان ٢٧٦/٧.

(٢) معالم التنزيل ١١٧/٢.

(٣) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٥٦/٥.

(٤) انظر المغني لابن قدامة ٢٦٤/١٢. وسيأتي ذكر أحكام أخرى في المرتد في المطلب الثالث إن شاء الله.

(٥) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد باب لا يُعذب بعذاب الله ص ٦١/٤ برقم ٣٠١٧.

(٦) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور ٣١٩/٢.

(٧) مجوع الفتاوى لابن تيمية ١٠٢/٢.

(٨) انظر مجموع فتاوى اللجنة الدائمة ٢٣٢/٢١.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في التحذير من الردّة ومحاربة المرتدين.

٢١٦- عن أبي هريرة قال: "لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر رضي الله عنه بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: "أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله". فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لأُقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حقّ المال، والله لو منعوني عقالاً(١) كانوا يؤدّونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتُهم على منعه. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق"(٢).

٢١٧- قال أبو بكر رضي الله عنه في كتابه لأمرائه وقد أمرهم أن يقرؤوه على الناس: "إني بعثت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأمرته ألا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقرّ وكفّ وعمل صالحاً قَبِل منه وأعانه عليه، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك ثم لا يبقي على أحد منهم قَدَر عليه وأن يحرّقهم بالنار ويقتلهم كل قِتْلة وأن يسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن اتبعه فهو خير له ومن تركه فلن يعجز الله، وقد أمرتُ رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم"(٣).

---

(١) عقال: اسم مشترك يقع على الذي يشد به البعير فإن أراد ذلك فهو للمبالغة ويقع العقال على صدقة عام. انظر كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ١٣/١. وقال السيوطي: "هو بكسر العين الحبل الذي يعقل به البعير وليس من الصدقة فلا يحل له القتال، فقيل أراد المبالغة بأنهم لو منعوا من الصدقة ما يساوي هذا القدر لحل قتالهم، فكيف إذا منعوا الزكاة كلّها، وقيل قد يطلق العقال على صدقة عام وهو المراد هاهنا". حاشية السيوطي على سنن النسائي ١٥/٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة ١٠٥/٢ برقم ١٣٩٩.

(٣) رواه الطبري في تاريخ الأمم والملوك ٢٥٧/٢ ابن كثير في البداية والنهاية ٣٤٨/٦. وذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مختصر سيرة الرسول ﷺ ص ٢٥٨.

فبعد وفاة النبيّ ﷺ ظهرت فتنة عظيمة في الدولة الإسلامية، وهذه الفتنة هي التي عُرفت في التاريخ بحركة الردّة(١)، وقد صوّرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مبلغ خطر هذه الفتنة ووضع الدولة الإسلامية وبناتها من الصحابة بقولها: "توفي رسول الله ﷺ فنزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال لهاضها، اشْرَأَبّ(٢) النفاق بالمدينة، وارتدت العرب"(٣). وقالت رضي الله عنها: "كأنهم معزى في حش في ليلة مطيرة بأرض مسبعة"(٤) وهو تصوير دقيق لحالة الخطر القصوى لإحاطة الأعداء بالمسلمين من كل جانب. فكان الخليفة الراشد أبو بكر ﷺ وأصحابه في أصعب الأحوال وأشدّها(٥).

ومن المعلوم أن هذه الحركة بدت نذرها في أواخر حياة النبيّ ﷺ بظهور عدد من مدّعي النبوّة، ولكن بوفاة النبيّ ﷺ اتسع نطاق الردّة واشتدّ أوارها وانتشر لهيبها في بقاع جزيرة العرب كلّها، إذ رجع بعض الناس إلى عبادة الأوثان وأعلنت كثير من القبائل العربية الخروج على طاعة دولة الإسلام، وذلك بمظاهر مختلفة كطرد العمال والامتناع عن دفع الزكاة واتباع المتنبئين والتجهز لغزو المسلمين، ولم يثبت على الإسلام إلا أهل مدينة ومكة والطائف(٦).

---

(١) ذكر أهل العلم عدة أسباب لحركة الردّة منها: عدم نفاذ سلطان الإسلام في كافة نواحي الجزيرة، العصبية القبلية القوية لدى القبائل العربية، الإعجاب بالنبيّ ﷺ وتقمص بعض الأشخاص شخصيته ومحاكاة أسلوبه بالدعوة والعمل للوصول إلى مكانته وسلطانه (الطمع في الحكم)، وعدم تغلغل الإيمان في القلوب لتأخر إسلامهم وضعف فقه تعاليم الدين وغير ذلك من الأسباب. انظر تاريخ الخلفاء الراشدين لمحمد بن إبراهيم أبا الخيل ص ٦١ وعصر الخلافة الراشدة لأكرم بن ضياء العمري ٣٩٢/١.

(٢) اشرأب: ارتفع وعلا. انظر لسان العرب لابن منظور ٤٧/٨.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥٧٢/١٤.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ٣٣٦/٦.

(٥) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٣٣٦/٦ وعصر الخلافة الراشدة لأكرم العمري ٤٠٢/١ وتاريخ الخلفاء الراشدين لمحمد بن إبراهيم أبا الخيل ص ٥٧.

(٦) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٣٣٥/٦ والثابتون على الإسلام أيام فتنة الردّة لمهدي رزق الله ص ٢٠-٧٢ وتاريخ الخلفاء الراشدين لمحمد بن إبراهيم أبا الخيل ص ٥٨.

والمتأمل فيما نُقل إلينا من أخبار في هذه الفتنة وكلام أهل العلم يجد أن أصناف المرتدين أربعة(١):

١/ صنف عادوا إلى عبادة الأوثان والأصنام.

٢/ صنف اتبعوا المتنبّئين وصدّقوهم أو تنبّؤوا مثل مسيلمة الكذاب وطليحة الأسدي(٢).

٣/ صنف أنكروا وجوب الزكاة وجحدوها.

٤/ صنف لم ينكروا وجوبها ولكنهم أبوا أن يدفعوها إلى أبي بكر(٣).

وقد اتّسمت وقفة الصديق ﷺ أمام حركات الردّة بالحزم وعدم التفريط بمصلحة العقيدة والدولة، فلم يتأخّر الخليفة الراشد ﷺ في حشد الجيوش واتخاذ القرارات الواجبة للقضاء على هذه الفتنة، فمن خلال سياسة أبي بكر ﷺ في هذه المحنة تجلّى فهمه الدقيق للنصوص الشرعية وشدّة غيرته على هذا الدين، فلم يقبل الخليفة الراشد ﷺ أن يُعبد غير الله في جزيرة العرب بعد ما كانت بلاد التوحيد، ورفض ﷺ تعطيل أي حكم من أحكام الشرعية كإخراج الزكاة(٤)، واتبعه على ذلك جميع الصحابة.

قال ابن بطال رحمه الله: "وهذا كله يشهد لتقدم أبي بكر الصديق ﷺ في العلم ورسوخه فيه، وأن مكانه من العلم ونصرة الإسلام لا يوازيه فيه أحد، ألا ترى رجوع جماعة الصحابة إلى رأيه في قتال أهل الردّة، ولا يجوز عليهم اتباعه تقليداً له دون تبيين الحق لهم، وذلك أنه احتج عليهم أن الزكاة قرينة الصلاة، وأنها من حق المال، وأن من جحد فريضة فقد كفر، ولم يعصم دمه ولا ماله، وأنه لا يعصم ذلك إلا بالوفاء بشرائع الإسلام(٥)،

---

(١) انظر معالم السنن ٢/٣-٦ وفتح الباري لابن حجر ١٢/٢٧٦.

(٢) سيأتي الكلام عليهما وبقية المتنبئين وترجمتهم في المبحث المقبل إن شاء الله.

(٣) انظر معالم السنن ٢/٦.

(٤) انظر عصر الخلافة الراشدة لأكرم بن ضياء العمري ١/٤٠١.

(٥) وقد دل الكتاب على صحة ما ذهب إليه أبو بكر من قتال مانعي الزكاة قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]. وكذلك السنة قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا الاستنباط من صديق الأمة قد جاء مصرحا به ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضى الله

ولذلك قال عمر رضي الله عنه: "فوالله ما هو إلا أن رأيت أن الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق"(١)، أي: عرفت أنه على الحق بما بيّنه أبو بكر من استدلاله على ذلك، فبان لعمر وللجماعة الحق في قوله، فلذلك اتبعوه"(٢).

فالحاصل أن أبا بكر رضي الله عنه وبقية أصحابه بادروا إلى محاربة المرتدّين والقضاء على تلك الفتنة العظيمة التي كادت أن تعصف بدولة الإسلام في المدينة، فبعد ما رجع أكثر الناس في جزيرة العرب إلى عبادة الأوثان استطاع -بتوفيق الله- الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأصحابه القضاء على هذه الحركات الخطيرة التي كانت إعلاناً لمحاربة الله ورسوله ﷺ ونبذ الدين، فجهود الخلفاء الراشدين في محاربة الردّة تُعدّ من أعظم أعمالهم في حماية التوحيد وحفظ الدين وأهله.

٢١٨- عن أنس رضي الله عنه قال: "بعثني أبو موسى بفتح تستر إلى عمر رضي الله عنه فسألني عمر وكان ستة نفر من بني بكر بن وائل(٣) قد ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بالمشركين، فقال: ما فعل النفر من بكر بن وائل؟ قال: فأخذت في حديث آخر لأشغله عنهم، فقال: ما فعل النفر من بكر بن وائل؟ قلت: يا أمير المؤمنين قوم ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بالمشركين ما سبيلهم إلا القتل، فقال عمر: لأن أكون أخذتهم سلماً أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس من صفراء أو بيضاء قال: قلت يا أمير المؤمنين وما كنت صانعاً بهم لو

عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها" (تقدم تخريجه ص ١٠٩) فأخبر أنه أمر بقتالهم حتى يؤدوا هذه الواجبات وهذا مطابق لكتاب الله". مجموع فتاواه ٤٧٢/٢٨.

(١) تقدم تخريجه ص ٦٥٨.

(٢) شرح صحيح البخاري ٤٣٨/٥.

(٣) بنو بكر: بطن من عذرة بن زيد اللات بن كلب من ابن وائل بن قاسط، وهم في ديار بكر. انظر نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب للقلقشندي ص ١٧٨.

أخذتهم؟ قال: كنت عارضاً عليهم الباب الذي خرجوا منه أن يدخلوا فيه، فإن فعلوا ذلك قبلت منهم وإلا استودعتهم السجن"(١).

٢١٩- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: "كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب أن رجلاً تبدل بالكفر بعد الإيمان، فكتب إليه عمر: استتبه، فإن تاب فاقبل منه، وإلا فاضرب عنقه"(٢).

٢٢٠- عن عبد الله بن عمر أن أبا بكر بن أمية بن خلف(٣) غُرِّب في الخمر إلى خيبر فلحق بهرقل(٤) قال: فتنَصّر، فقال عمر: "لا أغرّب مسلماً بعده أبداً"(٥).

ففي هذا الأثر أراد عمر ﷺ إبعاد ربيعة بن أمية بن خلف من المدينة حتى لا يفتتن الناس به، فغرّبه إلى خيبر وكان ذلك اجتهاداً منه ﷺ، فلمّا سمع عمر ﷺ أن ربيعة تنصّر بسبب هذه العقوبة عزم ألّا يغرّب أحداً من المسلمين بعد ذلك وأن يصبر على بقاء الشارب الخمر بين الرعية محاولاً تربيته وتهذيبه، خير من أن يرتد من الإسلام بسبب ضعف إيمانه وتضييق الأمر عليه. فكان درء مفسدة ردة المسلمين مقدَّم على مصلحة التغريب. ففي قرار عمر بن الخطاب ﷺ بعدم تغريب الناس سد للذريعة المفضية إلى الشرك والكفر تحقيقاً لحماية التوحيد(٦).

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه ١٦٥/١٠ وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٦٦/١٢. قال عبد الرزاق: "عن الثوري عن داود عن الشعبي عن أنس. . . الأثر".

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٦٩/١٢ قال: "حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن حجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كتب عمرو بن العاص. . . الأثر".

(٣) ربيعة بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي أبو كان من رؤوس الكفر، أسلم يوم الفتح وكان شهد حجة الوداع. انظر الإصابة لابن حجر ٥٨٤/٣.

(٤) ملك الروم وهرقل اسمه وهو بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف ولقبه قيصر كما يلقب ملك الفرس كسرى. انظر فتح الباري لابن حجر ٣٣/١.

(٥) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٣١٤/٧ و٢٣٠/٩ وابن شبه في تاريخ المدينة ٣٨٢/١. قال عبد الرزاق: "عن معمر عن الزهري عن بن المسيب. . . الأثر". هذا السند رجاله ثقات انظر دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب لعبد السلام بن محسن آل عيسى ٩٥٠/٢.

(٦) انظر كتاب سد الذرائع في الفقه الإسلامي لهشام قريسة ص ١٥٥.

٢٢١- عبد الله بن عتبة(١) عن أبيه قال: "أخذ ابن مسعود قوماً ارتدوا عن الإسلام من أهل العراق فكتب فيهم إلى عمر فكتب إليه أن اعرض عليهم دين الحق وشهادة أن لا إله إلا الله، فإن قبلوها فخلّ عنهم، وإن لم يقبلوها فاقتلهم، فقبلها بعضهم فتركه ولم يقبلها بعضهم فقتله"(٢).

٢٢٢- عن عبيد الله بن عتبة قال: "كان ناس من بني حنيفة ممن كانوا مع مسيلمة الكذاب(٣) يفشون أحاديثه ويتلونه، فأخذهم ابن مسعود، فكتب ابن مسعود إلى عثمان فكتب إليه عثمان أن ادعهم إلى الإسلام فمن شهد منهم أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ واختار الإيمان على الكفر فاقبل ذلك منهم وخلّ سبيلهم، فإن أبوا فاضرب أعناقهم، فاستتابهم، فتاب بعضهم وأبى بعضهم، فضرب أعناق الذين أبوا"(٤).

٢٢٣- سليمان بن موسى(٥) أنه بلغه عن عثمان بن عفان ﷺ أنه كفر إنسان بعد إيمانه فدعاه إلى الإسلام ثلاثاً فأبى فقتله(٦).

---

(١) عبد الله بن عتبة الذكواني أبو قيس الأنصاري وهو صحابي جليل. انظر الإصابة لابن حجر ٢٦٦/٦.

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه ١٦٨/١٠ قال: "عن معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبيه. . . الاثر". رجاله ثقات وإسناده صحيح انظر جامع الآثار القولية والفعلية الصحيحة للخليفة الراشد عثمان بن عفان لعاطف بن عبد الوهاب حماد ص ٢١٥ ودراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب لعبد السلام آل عيسى ٩٣٩/٢.

(٣) ستأتي ترجمته في المبحث المقبل إن شاء الله.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٧٢/١٢ والبيهقي في سننه ٢٠١/٨ والطحاوي في شرح معاني الآثار ٣/. ٢١١ قال ابن أبي شيبة: "حدثنا شبابة قال: ثنا ابن أبي ذئب، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة. . . الأثر".

(٥) سليمان بن موسى الإمام الكبير مفتي دمشق، أبو أيوب، مولى آل معاوية بن أبي سفيان، توفي ١١٥هـ. انظر السير للذهبي ٤٣٧/٥.

(٦) رواه عبد الرزاق في مصنفه ١٦٤/١٠ والبيهقي في سننه ٢٠٦/٨. قال عبد الرزاق: "عن ابن جريج قال: أخبرني سليمان بن موسى. . . الأثر".

٢٢٤- عن أبي عثمان النهدي أن علياً استتاب رجلاً كفر بعد إسلامه شهراً فأبى فقتله[١].

٢٢٥- عن أبي عمرو الشيباني[٢] قال: "أتي علي بشيخ كان نصرانياً فأسلم ثم ارتد عن الإسلام فقال له علي: لعلك إنما ارتددت لأن تصيب ميراثاً ثم ترجع إلى الإسلام قال: لا، قال: فلعلك خطبت امرأة فأبوا أن يُزوّجوكها فأردت أن تزوجها ثم تعود إلى الإسلام قال: لا، قال: فارجع إلى الإسلام قال: لا أما حتى ألقى المسيح، قال: فأمر به فضربت عنقه ودفع ميراثه إلى ولده المسلمين"[٣].

٢٢٦- عن ابن عبيد بن الأبرص[٤] أن علياً استتاب مستورد العجلي وكان ارتد عن الإسلام فأبى فضربه برجله فقتله الناس. [٥]

٢٢٧- عن أبي عمرو الشيباني أن المستورد العجلي[٦] تنَصّر بعد إسلامه فبعث به عتبة بن فرقد[٧] إلى علي فاستتابه فلم يتب فقتله، فطلبت النصارى جيفتة بثلاثين ألفاً، فأبى علي وأحرقه"[١].

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه ١٦٤/١٠. قال: "عن عثمان عن سعيد بن أبي عروبة عن أبي العلاء عن أبي عثمان النهدي. . . الأثر".

(٢) أبو عمرو الشيباني ويقال البكري من بني شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل صاحب ابن مسعود أدرك النبيّ ﷺ. انظر الاستيعاب لابن عبد البر ٨٥٣/٢.

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه ١٠٤/٦. قال: "أخبرنا معمر عن الأعمش عن أبي عمرو الشيباني...الأثر".

(٤) دثار بن عبيد بن الأبرص الأسدي الشاعر يعد فمن الكوفيين. انظر التاريخ الكبير للبخاري ٢٥٠/٣.

(٥) رواه عبد الرزاق في مصنفه ١٧٠/١٠ قال: "عن الثوري عن سماك بن حرب عن بن عبيد بن الأبرص. . . الأثر".

(٦) لم أجد ترجمته.

(٧) عتبة بن فرقد بن يربوع بن حبيب بن مالك بن أسعد بن رفاعة السلمي أبو عبد الله، له صحبة، مات بالكوفة. انظر الإصابة لابن حجر ٧٧/٧.

٢٢٨- عن محمد بن أبي بكر[٢] أنه كتب إلى علي يسأله عن مسلمَين تزندقا، فكتب إليه إن تابا وإلا فاضرب أعناقهما"[٣].

٢٢٩- عن قابوس بن مخارق[٤] عن أبيه قال: "بعث علي محمد بن أبي بكر أميراً على مصر، فكتب محمد إلى علي يسأله عن زنادقة، منهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد غير ذلك، ومنهم من يدّعي للإسلام؟ فكتب علي وأمره بالزنادقة أن يقتل من كان يدّعي للإسلام، ويترك سائرهم يعبدون ما شاؤوا"[٥].

٢٣٠- عن أبي الطفيل قال: "كنت في الجيش الذين بعثه علي بن أبي طالب إلى بني ناجية[٦]، قال: فانتهينا إليهم فوجدناهم على ثلاث فرق قال: فقال أميرنا لفرقة منهم: ما أنتم؟ قالوا: نحن قوم من النصارى لم نر دينا أفضل من ديننا، فثبتنا عليه فقال: اعتزلوا ثم قال لفرقة أخرى: ما أنتم؟ قالوا: نحن قوم كنا نصارى فأسلمنا فثبتنا على الإسلام فقال: اعتزلوا ثم قال للثالثة: ما أنتم؟ قالوا: نحن قوم كنا نصارى فأسلمنا ثم رجعنا فلم نر ديناً أفضل من ديننا الأوّل فتنصرنا فقال لهم: أسلموا، فأبوا، فقال لأصحابه: إذا مسحت رأسي ثلاث مرات، فشدوا عليهم، ففعلوا، فقتلوا المقاتلة، وسبوا الذرية"[٧].

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه ١٠/١٧٠ قال: "عن بن عيينة عن سليمان الشامي عن أبي عمرو الشيباني. . . الأثر".

(٢) محمد بن أبي بكر الصديق خليفة رسول الله وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية ولدته في طريق المدينة إلى مكة في حجة الوداع. انظر الإصابة لابن حجر ١٠/٣٧١.

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه ١٠/١٧٠ قال: "عن الثوري عن سماك بن حرب عن قابوس بن مخارق أن محمد بن أبي بكر. . . الأثر".

(٤) قابوس بن المخارق أو بن أبي المخارق الكوفي تابعي مشهور. انظر الإصابة لابن حجر ٩/٢٠٧.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/٢٦٨ قال: "أبو الأحوص عن سماك عن قابوس بن المخارق عن أبيه. . . الأثر".

(٦) بنو ناجية: بطن من الأشعريين من القحطانية، وهم بنو ناجية بن الجماهر بن الأشعر. انظر نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب القلقشندي ص ٤٢٩.

(٧) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٠/١٤٤ قال: "عبد الرحيم بن سليمان، عن عبد الملك بن سعيد بن حيان، عن عمار الدهني، قال: حدثني أبو الطفيل. . . الأثر".

.

ففي هذه الآثار العظيمة دلالة واضحة على معاقبة الخلفاء الراشدين ﭫ المرتدّين وعدم التهاون في هذا الأمر لما يؤدّي إلى إفساد المجتمع وافتتان الناس به والخروج من الدين، ولهذا عمل الخلفاء الراشدون ﭫ على إقامة الأحكام الشرعية بكل دقّة وحزم في أنحاء الدولة الإسلامية، ففي هذه المواقف تحقيق لحماية التوحيد.

.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

إن جهود الخلفاء الراشدين ﷺ في التحذير من الردّة ومحاربة المرتدين من أجل أعمالهم في حماية التوحيد ومحاربة الشرك، ولا شكّ أن في هذه الجهود المباركة آثاراً عظيمة على الأمة الإسلامية، أنبلها ما يلي:

١/ ثبات الأمة على الدين وحفظها من خطر الردّة، فكانت جهود الخلفاء الراشدين ﷺ من أعظم العوامل التي منعت الناس من ارتكاب جريمة الردّة، فكان جهادهم للمرتدّين سبباً كبيراً لسلامة عقيدة التوحيد ونصرة الدين وبقاء الإسلام على نقائه وصفائه، وزجراً لمن يريد ترك عبادة الله وحده والرجوع إلى عبادة الأوثان والطواغيت، فأبو بكر ﷺ بهذه الأعمال الجليلة سدّ الباب من ظهور الشرك والدعوة إليه ونشره، وخلّص بإذن الله الأمة ومجتمعها من هذا الخطر والضلال، وأعاد وحدة الدولة الإسلامية قال الإمام المديني(١) رحمه الله: "إن الله أعزّ هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث: أبو بكر الصديق ﷺ يوم الردّة وأحمد بن حنبل يوم المحنة(٢)"(٣).

فلا شكّ أن في الردّة صد الناس عن التوحيد وإضلالهم عن الصراط المستقيم وإفساد المجتمع الإسلامي، فحفظ الله بقتال الخلفاء الراشدين ﷺ المرتدّين الدين وأهله.

٢/ إرشاد الأمة (خصوصاً ولاة الأمور) إلى محاربة الردّة وحثّها على مقاومة المنحرفين، فموقف أبي بكر ﷺ من المرتدين فيه دلالة على أن من أعظم الواجبات على حكّام المسلمين الأخذ على يد السفهاء ومانعي حقوق المسلمين والتصدي للحملات الشركية الكفرية من العلمانية(٤) والنصرانية واليهودية وغيرهم وإقامة الحدود على المارقين وتطبيق العقوبة على المرتدّين، فليس لأحد في الدولة الإسلامية أن يدعو إلى الشرك ويُظهر شعائر

---

(١) علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن بكر بن سعد السعدي أبو الحسن، المعروف بابن المديني الشيخ الإمام الحجة، أمير المؤمنين في الحديث توفي ١٧٨هـ. انظر السير للذهبي ١١/٤١.

(٢) أي: فتنة القول بخلق القرآن وقد سبق ذكر هذه الفتنة ص ٣٣٨.

(٣) رواه الإمام خطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٤/٤١٨.

(٤) مذهب فكري يدعو إلى فصل الدين عن الدولة. انظر الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها لجمعة الخولي ص٩١.

الكفر، كل ذلك صيانة للتوحيد وأهله. ففي هذه الجهود المباركة بيان للأمة وجوب قتال المرتدّين وكل من صد الناس عن سبيل الله.

٣/ استدل بعض أهل العلم بما رُوي عن بعض الخلفاء الراشدين ﷺ من استتابة المرتدين على أنه لا يقتل المرتد حتى يستتاب، وهذا قول أكثر أهل العلم منهم: عمر وعلي وعطاء ومالك والأوزاعي ورُوي عن أحمد(١).

وقد اختلف أهل العلم في هذه المسألة، فمنهم من قال: لا تجب استتابته ولكن تستحب وهو أحد قولي الشافعي، ويُروى عن أحمد(٢).

ومنهم من قال: يجب قتله في الحال، وهذا القول مروي عن الحسن البصري ونُقل عن معاذ بن جبل رضي الله عنه(٣).

٤/ استدل بعض أهل العلم بقتال أبي بكر رضي الله عنه مانعي الزكاة على تكفير تارك الزكاة إذا قاتل الإمام عليها -مع الإقرار بوجوب الأركان الخمسة-، وهذا القول مروي عن الإمام أحمد(٤)، فهناك خلاف بين السلف رحمه الله في تكفير من ترك أركان الإسلام الأربعة بعد اتفاقهم على تكفير من ترك الشهادتين، ومجمل أقوالهم في هذه المسألة خمسة أقوال(٥):

القول الأول: أنه يَكْفر بترك واحد من الأربعة حتى الحج وإن كان في جواز تأخيره نزاع بين العلماء، فمتى عزم على تركه بالكلية كفر، وهذا قول طائفة من السلف وهي إحدى الروايات عن أحمد اختارها أبو بكر الخلال(٦).

---

(١) انظر المغني لابن قدامة ١٢/٢٦٦.

(٢) المصدر نفسه ١٢/ ٢٦٦.

(٣) المصدر نفسه ١٢/٢٦٦.

(٤) المصدر نفسه ٤/٨.

(٥) ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية انظر مجموع فتاواه ٧/٦١٠.

(٦) أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الخلال الإمام العلامة الحافظ الفقيه، شيخ الحنابلة وعالمهم ولد في سنة ٢٣٤هـ، أو في التي تليها، فيجوز أن يكون رأى الإمام أحمد، ولكنه أخذ الفقه عن خلق كثير من أصحابه، وتلمذ لابي بكر المروذي. توفي عام ٣١١هـ. انظر السير للذهبي ١٤/٣٩٧.

القول الثاني: أنه لا يكفر بترك شيء من ذلك مع الإقرار بالوجوب وهذا هو المشهور عند كثير من الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وهو إحدى الروايات عن أحمد اختارها ابن بطة وغيره.

القول الثالث: لا يكفر إلا بترك الصلاة وهي الرواية الثالثة عن أحمد وقول كثير من السلف وطائفة من أصحاب مالك والشافعي وطائفة من أصحاب أحمد.

القول الرابع: يكفر بترك الصلاة والزكاة فقط.

القول الخامس: يكفر بترك الصلاة وترك الزكاة إذا قاتل الإمام عليها دون ترك الصيام والحج.

٥/ توضيح للأمة أن لكلمة لا إله إلا الله مدلولات ولوازم يجب العمل بها، فيُستفاد من قتال أبي بكر ﷺ مانعي الزكاة أن شهادة أن لا إله إلا الله ليست مجرّد كلمة تقال باللسان دون فهم معناها ولا العمل بها، بل لها مدلولات ومقتضيات يجب على كل ناطق بها معرفتها والعمل بها ظاهراً وباطناً، والبعد عن ما يضادها أو ينقضها أو ينقصها من الشرك وجحد الأحكام الشرعية وترك الواجبات. فينبغي أن يعلم كل ذي لب أنه لو كان مجرد النطق بهذه كلمة دون العمل بها كافياً لتحقيق ما أوجب الله علينا من العبودية له لما قاتل أبو بكر وأصحابه مانعي الزكاة، بل لسارع الطواغيت من قريش إلى التلفظ بالشهادة ليتخلّصوا من الخلاف والحرب بينهم وبين النبيّ ﷺ ويعصموا منه دماءهم وأموالهم قال العلامة سليمان بن عبد الله رحمه الله تعليقاً على قول أبي بكر رضي الله عنه: "والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه"[(١)]: "فانظر كيف فهم صديق الأمة أن النبيّ ﷺ لم يُرد مجرد اللفظ بها من غير إلزام لمعناها وأحكامها، فكان ذلك هو الصواب، واتفق عليه الصحابة ولم يختلف فيه منهم اثنان إلا ما كان من عمر حتى رجع إلى الحق، وكان فهم الصديق هو الموافق لنصوص القرآن والسنة، وفي الصحيحين أيضاً عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا

---

(١) تقدم تخريجه ص ٦٥٨.

الزكاة فإذا فعلوه عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله"(١). فهذا الحديث كآية برآءة(٢) بينٌ فيه ما يُقاتَل عليه الناس ابتداءً، فإذا فعلوه وجب الكف عنهم إلا بحقه، فإن فعلوا بعد ذلك ما يناقض هذا الإقرار والدخول في الإسلام وجب القتال ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. بل لو أقرّوا بالأركان الخمسة وفعلوها وأبوا عن فعل الوضوء للصلاة ونحوه أو عن تحريم بعض محرمات الإسلام كالربّا أو الزنا أو نحو ذلك وجب قتالهم إجماعاً، ولم تعصمهم لا إله إلا الله ولا ما فعلوه من الأركان، وهذا من أعظم ما يبيّن معنى لا إله إلا الله، وأنه ليس المراد منها مجرد النطق، فإذا كانت لا تعصم من استباح محرَّماً أو أبى عن فعل الوضوء مثلاً -بل يُقاتل على ذلك حتى يفعله-، فكيف تعصم من دان بالشرك وفعَله، وأحبّه ومدحه وأثنى على أهله ووالى عليه وعادى عليه، وأبغض التوحيد الذي هو إخلاص العبادة لله وتبرأ منه وحارب أهله وكفّرهم وصدّ عن سبيل الله كما هو شأن عبّاد القبور؟! وقد أجمع العلماء على أن من قال: لا إله إلا الله وهو مشرك أنه يُقاتل حتى يأتي بالتوحيد"(٣).

٦/ إبطال احتجاج عبّاد القبور بتلفظهم الشهادتين على جواز ما هم عليه من تعظيم الأموات وصرف العبادات لهم، مدّعين أنهم لو فعلوا ما فعلوا من الدعاء والاستغاثة بغير الله لم يكن ذلك شركاً ولم يكفروا، ولا يُقاتَلون ما داموا يشهدون أن لا إله إلا الله، ولا شكّ أن مثل هذا الاحتجاج من أفسد الاستدلالات ومن أخطرها، وهذا القول شبهة قديمة قد ردّ عليها جمع كبير من أهل العلم في مصنفاتهم، ومن ذلك المجدد العلامة محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في إبطال شبهات المشركين في كتابه كشف الشبهات فقال: "وللمشركين شبهة

---

(١) تقدم تخريجه ١٠٩.

(٢) قال الله: ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٥].

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٩٥.

أخرى يقولون: إن النبيّ ﷺ أنكر على أسامة(١) قتل من قال: لا إله إلا الله(٢). وكذلك قوله: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله"(٣) وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها. ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر، ولا يُقتل ولو فعل ما فعل.

فيقال لهؤلاء المشركين الجهّال: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون: لا إله إلا الله، وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلّون ويدّعون الإسلام، وكذلك الذين حرّقهم علي بن أبي طالب بالنار(٤)، وهؤلاء الجهلة مقرّون أن من أنكر البعث كَفَر وقُتل ولو قال: لا إله إلا الله! وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقُتل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعاً من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه؟! ، ولكن أعداء الله مّا فهموا معنى الأحاديث. فأما حديث أسامة: فإنه قتل رجلاً ادّعى الإسلام – بسبب أنه ظنّ أنه ما ادّعى الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله-. والرجل إذا أظهر الإسلام، وجب الكف عنه حتى يتبيّن منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ [النساء: ٩٤]، أي: فتثبّتوا. فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإن تبيّن منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام، قُتل لقوله تعالى: ﴿ فَتَبَيَّنُواْ ﴾، ولو كان لا يُقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى. وكذلك الحديث الآخر وأمثاله، معناه ما ذكرناه أن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه، إلا إنْ تبيّن منه ما يُناقِض ذلك.

(١) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن امرئ القيس، المولى الأمير الكبير، استعمله النبيّ ﷺ على جيش لغزو الشام، كان شديد السواد، خفيف الروح، شاطرا، شجاعا، رباه النبيّ ﷺ وأحبه كثيرا، ولما توفي رسول الله ﷺ رحل أسامة إلى وادي القرى فسكنه، ثم انتقل إلى دمشق في أيام معاوية، فسكن، المزة، وعاد بعد إلى المدينة فأقام إلى أن مات بالجرف، في آخر خلافة معاوية سنة ٥٤هـ. انظر السير للذهبي ٢/٤٩٦.

(٢) انظر صحيح البخاري في كتاب المغازي باب بعث النبيّ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة ٥/١٤٤ برقم ٤٢٦٩.

(٣) تقدم تخريجه ص ١٠٩.

(٤) تقدم تخريجه ص ٥٨٨.

والدليل على هذا: أن رسول الله ﷺ الذي قال: "أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله"(١) وقال ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله"(٢) هو الذي قال في الخوارج: "أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتهم لأقتلنّهم قتل عاد"(٣) مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً وتسبيحاً، حتى أن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم! ، وهم تعلّموا العلم من الصحابة. فلم تنفعهم لا إله إلا الله، ولا كثرة العبادة، ولا ادّعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة. وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقتال الصحابة بني حنيفة، وكذلك أراد النبيّ ﷺ أن يغزو بني المصطلق(٤) لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ٦] وكان الرجل كاذباً عليهم. وكل هذا يدل على أن مراد النبيّ ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه"(٥).

٧/ استدل بعض العلماء بقتال أبي بكر المرتدين على صحة خلافته ﷺ قال الإمام ابن حزم معلّقاً على قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾[الفتح: ١٦] فقال: "وما دعا أولئك الأعراب أحد بعد رسول الله ﷺ إلى قوم يقاتلونهم أو يسلمون إلا أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فإن أبا بكر رضي الله عنه دعاهم إلى قتال مرتدي العرب بني حنيفة وأصحاب الأسود وسجاح وطليحة والروم والفرس وغيرهم، ودعاهم عمر إلى قتال الروم والفرس، وعثمان دعاهم إلى قتال الروم والفرس والترك، فوجب طاعة أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ بنصّ القرآن الذي لا يحتمل تأويلاً، وإذ قد وجبت طاعتهم فرضاً فقد صحت إمامتهم وخلافتهم ﷺ"(٦).

---

(١) تقدم تخريجه ص ٦٧١.

(٢) تقدم تخريجه ص ١٠٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء باب قول تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [الأعراف: ٦٥] ١٣٧/٤ برقم ٣٣٤٤.

(٤) بنو المصطلق جماعة من خزاعة، وهم قبيلة من الزد من القحطانية، وهم بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقيا. انظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ص ٢٤٤.

(٥) كشف الشبهات ص ٩٧.

(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٨٩/٤.

٨/ بيان للأمة وجوب التمسّك بسنّة النبيّ ﷺ وإجلالها بتطبيقها، ففي حادثة قتال المرتدين درس عظيم وموعظة بليغة للأمة الإسلامية في وجوب تعظيم السنّة والعمل بها، فالخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه حرص على تطبيق الشرع أشدّ الحرص في وقت ارتدّ أكثر العرب في جزيرة العرب، ولم يبق على الإسلام سوى أهل المدينة ومكة والطائف، فلم يلتفت إلى قلّة عدد السالكين الثابتين على الحق، بل أصرّ على ما عزم من قتال المرتدين ولو مُنع عقالاً، وقد تابعه الصحابة الكرام رضي الله عنهم في موقفه ذلك، فهكذا ينبغي لكل مسلم أن يتمسّك بما كان عليه النبيّ ﷺ ويُعظّم حرمات الله في جميع الأحوال. فلا شكّ أن موقف أبي بكر ضرب المثل في الثبات على الحق وقوة الفقه في الدين والتمسّك بما كان عليه النبيّ ﷺ.

وبهذا يتبيّن أن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم حفظوا المجتمع الإسلامي وأفراده من خطر الردّة لما فيها من تنفير القلوب من الإسلام وصدّ الناس عن التوحيد، فسدّ الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم هذا الباب الخطير الموصل إلى الكفر بإقامة الأحكام الشرعية على كل من استبدل الشرك بالتوحيد والكفر بالإيمان تحقيقاً لحماية التوحيد ولأهله وصيانة للدين من تشويه الأفّاكين، وحفظاً لإيمان المنتمين إليه، وإماطة للأذى عن طريق الداخلين الراغبين فيه(١). فقتال الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم المرتدين كان من أعظم الزواجر التي منعت الرعية من ارتكاب هذه الجريمة.

---

(١) انظر فتاوى اللجنة الدائمة ٢٢/٢٣٢.

المبحث العاشر:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في محاربة المتنبئين.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالنبيّ وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في محاربة المتنبئين

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المطلب الأول: التعريف بالنبيّ وما يتعلّق به.

النبيّ لغة: النبيّ في اللغة مشتق من النبأ وهو الخبر قال الله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١ – ٢] فسمّي النبيّ نبيّاً لأنه مُخبَر من الله، ويُخبِر عن الله، فهو مخبَر لأن الله أخبره وأوحى إليه قال الله: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[التحريم: ٣]. وهو مخبِر عن الله أمره ووحيه قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[الحجر: ٤٩] وقال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحجر: ٥١].

وقيل النبيّ مشتق من النباوة: وهي الشيء المرتفع، وعلى هذا سُمي النبيّ نبيّاً لأنه ذو رفعة وقدر قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧](١).

النبيّ في الشرع: هو من نبأه الله بأمره ونهيه وخبره ليخاطب المؤمنين بذلك، ولا يخاطب الكفّار ولا يرسل إليهم(٢).

والنبوّة منّة من الله على عبد من عباده، يصطفيه ويختاره لتبليغ الوحي قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤] وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥].

قال الحافظ ابن كثير: "يخبر تعالى أنه يختار من الملائكة رسلاً فيما يشاء من شرعه وقَدَره، ومن الناس لإبلاغ رسالاته، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ أي: سميع لأقوال عباده، بصير بهم، عليم بمن يستحق ذلك منهم كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]"(٣).

وبناء على ذلك فالنبوّة فضل من الله على عبده، فلا يمكن أن تُنال باكتساب ومجاهدة، ولهذا قال أهل العلم: من ادّعى النبوّة –كذباً– كفر وارتدّ من الإسلام قال الإمام

(١) انظر لسان العرب لابن منظور ١٦٩/١٤ وبصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ١٤/٥.
(٢) انظر النبوة لابن تيمية ٧١٧/٢.
(٣) تفسير القرآن العظيم ٣١٤/٣.

ابن قدامة رحمه الله: "ومن ادّعى النبوّة أو صدّق من ادّعاها فقد ارتد لأن مسيلمة(١) لما ادّعى النبوّة فصدّقه قومُه صاروا بذلك مرتدين، وكذلك طليحة الأسدي(٢) ومصدقوه"(٣).

ومعلوم أن محمد ﷺ خاتم الأنبياء عليهم السلام، فلا نبي بعده بنص القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى والأحرى، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوّة، فإن كل رسول نبي، ولا ينعكس"(٤).

وقال الرسول ﷺ: "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء"(٥).

فادّعاء النبوّة من أظلم الظلم وأعظم الافتراء وتكذيب صريح لكتاب الله وسنة الرسول ﷺ، فهو كفر مخرج من الملة.

---

(١) ستأتي ترجمته.

(٢) ستأتي ترجمته.

(٣) المغني ١٢/٢٩٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣/٦٤٥.

(٥) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٤/١٦٨ برقم ٣٤٥٠.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في محاربة المتنبئين.

لما كان ادّعاء النبوّة أو تصديق مدّعي النبوّة ردّة(١) كان قتال الخلفاء الراشدين المتنبّئين تابعاً لجهودهم في محاربة الردّة، وعلى هذا سبق إيراد بعض جهود الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم في محاربة المتنبّئين عند ذكر أعمالهم في محاربة الردّة في المبحث السابق.

وفي هذا المقام ينبغي أن يعلم "أن شخصية الرسول ﷺ فرضت على العرب الإعجاب به والمهابة له، وأصبح ما وصل إليه من نفوذ وسلطان موضع تقدير وإجلال واحترام، وفي الوقت نفسه مثار غيرة وحسد لكثير من أصحاب الطموح في أنحاء الجزيرة العربية ممن كانوا يحسون بأن وراءهم عصبيات قوية يستطيعون الاعتماد على قوتها، وقد سعى هؤلاء للوصول إلى شيء مما وصل إليه، فتوهّموا في سذاجة أنهم يستطيعون انتحال الصفة التي أوصلت النبيّ ﷺ إلى تلك المكانة الرفيعة، فأعلن عدد من الأشخاص أنهم أنبياء مثل محمد ﷺ، وأنه يتنزّل عليهم الوحي مثل ما يتنزل عليه، ولم يقتصر الأمر على الرجال، وإنما شارك في هذا بعض النساء"(٢).

وقد بذل الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأصحابه جهداً عظيماً في قتال هؤلاء المتنبّئين وهم كما يلي بذكر بعض الأحداث:

١/ قتال مسيلمة الكذاب: هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة، ولد ونشأ باليمامة في نجد، وتلقب في الجاهلية بالرحمن، وعرف برحمن اليمامة(٣). وكان له معرفة بالسحر، ادّعى النبوّة قبل وفاة النبيّ ﷺ سنة عشر(٤).

وقد قدم مسيلمة الكذاب المدينة على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: "إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعتُه". وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه

(١) سبق ذكر أصناف المرتدين ص ٦٤٤.

(٢) تاريخ الخلفاء الراشدين لمحمد بن إبراهيم أبا الخيل ص ٦٣.

(٣) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٥/٥٩ والأعلام للزركلي ٧/٢٢٦.

(٤) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٥/٣٠٣ والبداية والنهاية لابن كثير ٥/٦٠.

ثابت بن قيس بن شمَّاس[(١)] وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: "لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتُكها ولن تعدو أمر الله فيك ولئن أدبرتَ ليَعقِرنَّك الله وإني لأراك الذي أُريت فيك ما رأيت"[(٢)].

وثبت عن النبيّ ﷺ أن الله بشّره عن طريق الرؤيا بزوال أمر مسيلمة فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "بينما أنا نائم رأيت في يديَّ سوارَين من ذهب فأهمَّني شأنهما، فأُوحي إليَّ في المنام أنِ انفُخهما فنفختُهما فطارا فأوّلتهما كذّابَين يخرجان بعدي أحدهما العَنْسِيّ[(٣)] والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة "[(٤)].

وفي الرواية قال ﷺ: "فأوّلتهما الكذّابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة"[(٥)].

قال النووي رحمه الله: "ونفخه ﷺ فطارا دليل لانمحاقهما واضمحلال أمرهما وكان كذلك وهو من المعجزات"[(٦)].

(١) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن الخزرج، أبو محمد، خطيب الأنصار، كان من نجباء أصحاب محمد ﷺ، ولم يشهد بدرا، شهد أحدا، وبيعة الرضوان. توفي عام ١٥هـ. انظر السير للذهبي ٣٠٨/١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي باب وفد بني حنيفة ١٧٠/٥ برقم ٤٣٧٣.

(٣) هو عيهلة بن كعب بن عوف العنسي المذحجي، ذو الخمار: متنبئ مشعوذ، من أهل اليمن. كان بطاشا جبارا. أسلم لما أسلمت اليمن، وارتد في أيام النبيّ ﷺ فكان أول مرتد في الاسلام. وادعى النبوّة، وأرى قومه أعاجيب استهواهم بها، فاتبعته مذحج. وتغلب على نجران وصنعاء، واتسع سلطانه حتى غلب على مابين مفازة حضرموت إلى الطائف إلى البحرين والأحساء إلى عدن. وجاءت كتب رسول الله ﷺ إلى من بقي على الإسلام في اليمن، بالتحريض على قتله، فاغتاله أحدهم في خبر طويل أورده ابن الأثير. وكان مقتله قبل وفاة النبيّ ﷺ بشهر واحد. انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٩٦/٢ والأعلام للزركلي ١١١/٥.

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي باب وفد بني حنيفة ١٧٠/٥ برقم ٤٣٧٤.

(٥) المصدر نفسه ١٧٠/٥ برقم ٤٣٧٥.

(٦) شرح صحيح مسلم ٣٦/١٥.

وكتب مسيلمة الكذاب رسالة إلى النبيّ ﷺ فقال: "من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك أما بعد، فإني قد أشركت في الأمر معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشاً قوم يعتدون"(١).

وأجاب الرسول ﷺ: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب السلام على من ابتع الهدى أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين"(٢).

وبعد وفاة النبيّ ﷺ أرسل الخليفة الراشد أبو بكر ﷺ عكرمة بن أبي جهل(٣) ﷺ إلى مسيلمة لقتاله، ولكن عكرمة استعجل فهزمه مسيلمةُ، فقرعه أبو بكر ﷺ وكتب إليه: "لا أرينّك ولا تراني على حالها، لا ترجع فتوهن الناس"(٤). ثم أرسل أبو بكر خالداً لقتال مسيلمة، فكتب الله النصر لخالد وجيشه، وقُتل مسيلمة في حديقته التي سماها حديقة الرحمن(٥)، فأراح أبو بكر بإذن الله الأمة من هذا الدجّال.

٢/ طليحة الأسدي: هو طليحة بن خويلد بن نوفل الأسدي. البطل الكرّار صاحب رسول الله، ومن يضرب بشجاعته المثل، أسلم سنة تسع، ثم ارتد وظلم نفسه، وتنبّأ بنجد، وتمت له حروب مع المسلمين، ثم انهزم، ثم ارعوى، وأسلم، وحسن إسلامه لما توفي الصديق، وأحرم بالحج، ثم شهد القادسية(٦). وكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص: أن شاور طليحة في

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣٠٣/٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) عكرمة بن أبي جهل بن عمرو بن هشام بن المغيرة أبو عثمان القرشي المخزومي المكي. لما قتل أبوه، تحولت رئاسة بني مخزوم إلى عكرمة، ثم إنه أسلم وحسن إسلامه بالمرة، كان عكرمة إذا اجتهد في اليمين قال: لا والذي نجاني يوم بدر، واستشهد في اليرموك عام ١٣هـ. انظر السير للذهبي ٣٢٨/١.

(٤) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢٧٥/٢.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) القادسية: فكان يوم القادسية أعظم يوم انهزم فيه الفرس وزالت دولتهم. كانت القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص سنة ١٦ للهجرة، فكانت من أعظم وقائع المسلمين، وكانت أربعة أيام: يوم أرماث، ويوم أغواث، ويوم عماس، وليلة الهرير، ثم يوم القادسية وفيه هزيمة الفرس وقتل رستم قائدهم. تقع

.

أمر الحرب، ولا تولّه شيئاً[(١)].

وادّعى طليحة النبوّة في آخر حياة النبيّ ﷺ، التفت على طليحة السدي خلق كثير من قبيلته وغيرهم فأخذ أمره يشتد شيئاً فشيئاً[(٢)].

وقد أرسل الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه خالداً رضي الله عنه لقتال طليحة، ووقعت المعركة بينهم في مكان يُقال له: بزاخة[(٣)]، فانتصر جيش خالد، فركب طليحة على فرس كان قد أعدها له، وأركب امرأته النوار على بعير له، ثم انهزم بها إلى الشام وتفرق جمعه، وقد قتل الله طائفة ممن كان معه[(٤)].

٣/ ذو التاج: هو لقيط بن مالك الأزدي[(٥)] وكان يُسمى في الجاهلية الجلندي ملك عمان، فادّعى النبوّة أيضاً، وتابعه الجهلة من أهل عمان، فتغلب عليها واجتمع له جمع كثير من الناس، فأرسل خليفة رسول الله أبو بكر الصديق حذيفة بن محصن[(٦)] وعرفجة البارقي[(٧)] إلى عمان ثم أرسل على إثرهما عكرمة بن أبي جهل لمساعدتهما، ولما علم ذو تاج بهم استعد بجيشه وعسكر في دبا[(٨)]، فتقابل الجيشان بها، وتقاتلا قتالاً شديداً، وابتلى المسلمون وكادوا

القادسية بين النجف والحيرة إلى الشمال الغربي من الكوفة، وإلى الجنوب من كربلاء. انظر معجم المعالم الجغرافية للبلادي ص ١٦١.

(١) انظر السير للذهبي ١/٣١٦.

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٦/٣٤٢.

(٣) بزاخة: ماء لطيء بأرض نجد. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ١/٤٠٨.

(٤) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٦/٣٤٩.

(٥) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٦/٣٦٣.

(٦) حذيفة بن محصن القلعاني (وضبطه الطبري الغلفاني) استعمله أبو بكر على عمان بعد عزل عكرمة، فلم يزل عليها إلى أن مات، قيل أنه دعا أهل عمان إلى الإسلام فأسلموا كلهم إلا أهل دبا. انظر الإصابة لابن حجر ٢/٤٩٥.

(٧) عرفجة بن هرثمة بن عبد العزي بن زهير البارقي أحد الأمراء في الفتوح. انظر الإصابة لابن حجر ٧/١٤٧.

(٨) مدينة قديمة مشهورة في عمان كان فيها سوق من أسواق العرب. انظر معجم البلدان ٢/٤٣٥ لياقوت الحموي.

أن يولّوا، فمنّ الله بكرمه ولطفه أن بعث إليهم مدداً، في الساعة الراهنة من بني ناجية[(١)] وعبد القيس، فانتصر المسلمون على أعدائهم وغنموا مغانم كثيراً، وبعثوا بالخمس إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه[(٢)].

٤/ سجاح بنت الحارث: هي سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان، التميمية، كانت شاعرة أديبة عارفة بالأخبار، رفيعة الشأن في قومها وكان لها علم بالكتاب أخذته عن نصارى تغلب[(٣)]. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "هي امرأة من بني تميم ادّعت النبوّة أيضاً فتابعها جماعة من قومها ثم بلغها أمر مسيلمة فخادعها إلى أن تزوّجها واجتمع قومها وقومه على طاعة مسيلمة"[(٤)].

انطفأت فتنة سجاح بسبب قتال أبي بكر مسيلمة، فيقال أنها أقامت مع مسيلمة قليلاً، وأدركت صعوبة الإقدام على قتال المسلمين، فانصرفت راجعة إلى أخوالها بالجزيرة. ثم بلغها مقتل مسيلمة، فقيل أنها أسلمت وهاجرت إلى البصرة وتوفيت فيها[(٥)].

فبهذه الجهود العظيمة حقّق الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم حماية التوحيد وصانوا الدولة الإسلامية من شرّهم .

---

(١) بنو ناجية من قريش، ابن سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، وهي قبيلة كبيرة. انظر اللباب في تهذيب الأنساب للشيباني ٢٨٧/٣.

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٣٦٣/٦.

(٣) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢١٠/٢ والبداية والنهاية لابن كثير ٣٥٢/٦ والأعلام للزركلي ٧٨/٣.

(٤) فتح الباري لابن حجر ٩١/٨.

(٥) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢١٢/٢.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

إن محاربة المتنبّئين تعدّ من أعظم جهود الخلفاء الراشدين ﭫ ومن أجل مواقفهم في حماية التوحيد ونصرة الدين، وقد ترتّب على هذه الأعمال الجسيمة عوائد نبيلة وآثار جليلة على الأمة الإسلامية، أهمها ما يلي:

١/ صيانة الأمة من فتنة المتنبّئين وحماية المجتمع الإسلامي من الضلال ومحافظة الدين، أسسه وتعاليمه من التبديل والتحريف، لأن المتنبّئ من أكذب الناس ومقوّل على الله، يُشرِّع في الإسلام ما لم ينزل الله به من سلطان، فيُخرج المسلمين عن دينهم قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[الأنعام: ٩٣].

قال الإمام السعدي رحمه الله: "يقول تعالى: لا أحد أعظم ظلماً، ولا أكبر جرماً، ممن كذب على الله، بأن نسب إلى الله قولاً أو حكماً وهو تعالى بريء منه، وإنما كان هذا أظلم الخلق، لأن فيه من الكذب، وتغيير الأديان أصولها، وفروعها، ونسبة ذلك إلى الله ما هو من أكبر المفاسد. ويدخل في ذلك، ادّعاء النبوّة، وأن الله يوحي إليه، وهو كاذب في ذلك، فإنه -مع كذبه على الله، وجرأته على عظمته وسلطانه- يوجب على الخلق أن يتبعوه، ويجاهدهم على ذلك، ويستحل دماء من خالفه وأموالهم. ويدخل في هذه الآية، كل من ادّعى النبوّة، كمسيلمة الكذاب والأسود العنسي والمختار(١)، وغيرهم ممن اتصف بهذا الوصف"(٢).

فكان قتال الخلفاء الراشدين ﭫ المتنبّئين صيانة لأصل الدين من إدخال الشبه والشكوك ومما يطرأ عليه من أفكار هدّامة التي تؤثر تأثيراً عظيماً في فهم العقيدة الصحيحة ونصوص الشرعية، فلا شكّ أن مثل هؤلاء المتنبّئين خطر كبير على المسلمين وسبب في إضلال الأمة عن الصراط المستقيم، ولهذا بادر الخلفاء الراشدون ﭫ إلى قتالهم.

---

(١) المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، كان أبوه (أبو عبيد) من أجلة الصحابة، ونشأ المختار، فكان من كبراء ثقيف، وذوي الرأي، والفصاحة، والشجاعة، والدهاء، وقلة الدين. ادّعى أن الوحي يأتيه، وأنه يعلم الغيب فادّعى المختار النبوّة وقُتل عام ٦٧هـ على يد مصعب بن الزبير. انظر السير للذهبي ٣/٥٣٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٢٦٥.

٢/ بيان للأمة خطر المتنبّئين ووجوب محاربتهم ومقاومة المنحرفين والمبتدعين والمفسدين في الأرض الذين يصدّون الناس عن سبيل الله، ففي جهود الخلفاء الراشدين ﷺ إرشاد الأمة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإزالة العوائق والحواجز المانعة لتبليغ الدين.

٣/ توضيح للأمة أن ادّعاء النبوّة أو الإقرار بنبوّة من لا يجعله الله نبيّاً ردّة وكفر مخرج من الملة ولو أتى بالشهادتين، فلم تنفعه كلمة لا إله إلا الله، كما أنها لا تنفع من جعل مخلوقاً إلهاً من دون الله كعبّاد القبور قال الإمام الصنعاني رحمه الله: "القبوريون لم يفردوا الإلهية والعبادة، فلم تنفعهم كلمة الشهادة، فإنها لا تنفع إلا مع التزام معناها، كما لم ينفع اليهود قولُها لإنكارهم بعض الأنبياء. وكذلك من جعل غير من أرسله الله نبيّاً، لم تنفعه كلمة الشهادة، ألا ترى أن بني حنيفة كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلّون ولكنهم قالوا: إن مسيلمة نبي، فقاتلهم الصحابة وسبَوْهم، فكيف بمن يجعل للولي خاصة الإلهية ويناديه للمهمات؟ وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ حرّق أصحاب عبد الله بن سبأ، وكانوا يقولون نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولكنهم غلوا في علي ﷺ واعتقدوا فيه ما يعتقد القبوريون وأشباههم، فعاقبهم عقوبة لم يعاقب بها أحداً من العصاة، فإنه حفر لهم الحفائر وأجَّجَ لهم ناراً وألقاهم فيها[(١)]"[(٢)].

وبهذا يتبيّن بكل وضوح أن الخلفاء الراشدين ﷺ حقّقوا حماية التوحيد في محاربة المتنبّئين وصانوا بتوفيق الله هذا الدين من التغيير والتبديل وحفظوا الأمة من الضلال والكفر والشرك.

---

(١) سبق ذكر القصة ص ٥٧٥.

(٢) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد ص ٧١.

المبحث الحادي عشر:

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في التحذير من التشبه بالمشركين ومشاركتهم في عاداتهم وعباداتهم وغير ذلك.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالتشبه وما يتعلّق به.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في التحذير من التشبه بالمشركين ومشاركتهم في عاداتهم وعباداتهم وغير ذلك

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

المطلب الأول: التعريف بالتشبّه وما يتعلّق به.

التشبه لغة: قال ابن فارس: "الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً. يقال شِبْه وشَبَه وشَبيه. والشبَهُ من الجواهر: الذي يشبه الذهب. والمشبهات من الأمور: المشكلات. واشتبه الأمران، إذا أشكلا"(١).

التشبه بالكفّار اصطلاحاً:

قال المناوي: "تزيّا في ظاهره بزيهم وفي تعرفه بفعلهم وفي تخلقه بخلقهم وسار بسيرتهم وهديهم في ملبسهم وبعض أفعالهم، أي: وكان التشبه بحق قد طابق فيه الظاهر الباطن"(٢).

وقال الدكتور ناصر العقل: "هو مماثلة الكافرين بشتى أصنافهم، في عقائدهم، أو عباداتهم، أو عاداتهم، أو في أنماط السلوك التي هي من خصائصهم"(٣).

ولا شكّ أن التشبه بالكفّار حرام، منهي عنه في الشرع لما يترتّب عليه من مفاسد(٤)، سواء كان ذلك في عاداتهم أو عباداتهم، وقد دلت نصوص القرآن والسنة على وجوب مخالفة الكفّار والمشركين وعدم التشبه بهم قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "نهى الله المؤمنين أن يتشبّهوا بالذين حملوا الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى، لما تطاول عليهم الأمد بدّلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمناً قليلاً ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المؤتفكة، وقلّدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد، ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبّهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية"(٥).

---

(١) مقاييس اللغة ٣/٢٤٣.

(٢) فيض القدير ٦/١٣٥.

(٣) كتاب من تشبه بقوم فهو منهم ص ٧.

(٤) سيأتي بيان ذلك إن شاء الله.

(٥) تفسير القرآن الكريم ٤/٣٩٦ باختصار.

وقال النبيّ ﷺ في ذمّ التشبه بالكفّار: "ومن تشبّه بقوم فهو منهم"[(١)]. قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فقد يحمل هذا على التشبه المطلق، فإنه يوجب الكفر ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل على أنه صار منهم في القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفراً أو معصية أو شعاراً للكفر أو للمعصية كان حكمه كذلك"[(٢)].

وقال ابن كثير رحمه الله: "وفيه (أي: في الحديث) النهي الشديد والتهديد والوعيد، على التشبه بالكفّار في أقوالهم وأفعالهم، ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم، وغير ذلك مما لم يشرع لنا ولم نقر عليه"[(٣)].

وليعلم المسلم أن النهي عن التشبه بالكفّار ليس مقيَّداً بالقصد، فلا يُقال أنه يُشترط قصد التشبه بالكفّار ليكون فاعل التشبه متشبّهاً بهم، بل متى علم المسلم أن الفعل الذي يريد أن يقوم به من خصائص الكفّار وجب عليه تركه سواء قصد التشبه بهم أم لا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ما أمر به من مخالفتهم مشروع، سواء كان ذلك الفعل مما قصد فاعله التشبه بهم، أو لم يقصد، وكذلك ما نهي عنه من مشابهتهم يعم ما إذا قصدْتَ مشابهتهم، أو لم تقصد، فإن عامّة هذه الأعمال لم يكن المسلمون يقصدون المشابهة فيها، وفيها ما لا يُتصور قصد المشابهة فيه، كبياض الشعر، وطول الشارب، ونحو ذلك"[(٤)].

---

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب اللباس باب في لبس الشهرة ص ٧٢١ برقم ٤٠٣١. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "هذا إسناد جيد". انظر كتاب اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٦٣.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٦٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/١٩٧.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٨٤.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في التحذير من التشبه بالمشركين ومشاركتهم في عاداتهم وعباداتهم وأعيادهم وغير ذلك.

٢٣١- عن قيس بن أبي حازم(١) قال: "دخل أبو بكر على امرأة من أحمس(٢) يقال لها زينب فرآها لا تكلّم، فقال: ما لها لا تكلّم؟ قالوا: حجت مصمتة، قال لها: تكلّمي فإن هذا لا يحلّ، هذا من عمل الجاهلية، فتكلّمت فقالت: من أنت؟ قال: امرؤ من المهاجرين، قالت: أي المهاجرين، قال: من قريش. قالت: من أي قريش أنت؟ قال: إنكِ لسَؤُول أنا أبو بكر. قالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ قال: بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم. قالت: وما الأئمة؟ قال: أما كان لقومك رؤوسٌ وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم؟ قالت: بلى قال: فهم أولئكِ على الناس"(٣).

ففي هذا الأثر، إنما نهى أبو بكر رضي الله عنه تلك المرأة عن الصمت في عبادتها لأن ذلك الفعل من خصائص أهل الجاهلية، فيقع التشبه بهم قال شيخ الإسلام: "فأخبر أبو بكر رضي الله عنه: أن الصمت المطلق لا يحلّ، وعقب ذلك بقوله: هذا من عمل الجاهلية، قاصداً بذلك عيب هذا العمل، وذمّه. وتعقيب الحكم بالوصف: دليل على أن الوصف علّة، ولم يشرع في الإسلام. فيدخل في هذا: كل ما اتخذ من عبادة، مما كان أهل الجاهلية يتعبّدون به، ولم يشرع الله التعبّد به في الإسلام، وإن لم ينوه عنه بعينه، كالمكاء والتصدية، فإن الله تعالى قال عن الكافرين: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾[الأنفال: ٣٥].

والمكاء: الصفير ونحوه، والتصدية: التصفيق. فاتخاذ هذا قربة وطاعة من عمل الجاهلية، الذي لم يشرع في الإسلام"(٤).

---

(١) قيس بن أبي حازم أبو عبد الله البجلي، العالم، الثقة، الحافظ، أبو عبد الله البجلي، الأحمسي، الكوفي. انظر السير للذهبي ١٩٩/٤.

(٢) بنو أحمس: بطن من بني أنمار بن أراش من القحطانية، وغلب عليهم اسم أبيهم فقيل له أحمس، وهم بنو أحمس بن غوث بن أنمار. انظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ص ٣٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب مناقب الأنصار باب أيام الجاهلية ٤١/٥ برقم ٣٨٣٤.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٢١.

٢٣٢- عن خالد بن عرفطة[١] قال: كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى الأمصار أن تُجَزّ نواصيهم -يعني النصارى- ولا يلبسوا ألبسة المسلمين حتى يُعرفوا[٢].

٢٣٣- عن عبد الرحمن بن غنم قال: "كتبت لعمر بن الخطاب ﷺ حين صالح أهل الشام: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا... -إلى أن قال-: "ولا نتشبّه بهم في شيء من لباسهم من قَلَنسُوَة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نتكلّم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم، وأن نلزم زينا حيث ما كنا وأن نشد الزنانير[٣] على أوساطنا... إلى آخر العهد"[٤].

ففي هذين الاثرين دلالة على أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ اشترط على النصارى أن يتركوا زي المسلمين، فهذا أمر منه ﷺ ألّا يتشبّهوا بأحد من المسلمين في لباسهم وهيئتهم، فعمر ﷺ قصد المفارقة بين أمة الإسلام وملة الكفر والشرك، فإذا كان عمر قد نهى الكفّار أن يتشبّهوا بالمسلمين فمن باب أولى ألّا يتشبّه مسلم بهم قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فاتفق عمر والمسلمون معه، ومن وفقه الله تعالى من ولاة الأمور على

---

(١) خالد بن عرفطة بن أبرهة بن سنان الليثي ويقال البكري وهو صحابي جليل، روى عن الرسول ﷺ وعمر، توفي بالكوفة عام ٦١هـ. انظر الاستيعاب لابن عبد البر ٢/٤٣٤.

(٢) رواه الحافظ عبد الله بن محمد الأصبهاني في شروط أهل الذمة، وذكره ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢١٨ وابن القيم في أحكام أهل الذمة ٣/١٢٧٥ قال: "حدثنا أبو يعلى عن ابن مسهر حدثنا عبد الله بن إدريس عن عبدالرحمن بن إسحاق عن خليفة بن قيس عن خالد بن عرفطة. . . الأثر".

(٣) الزنار: ما يلبسه الذمي يشده على وسطه. انظر لسان العرب لابن منظور ٧/٦٤.

(٤) رواه البيهقي في سننه ٩/٢٠٢ قال: "أخبرنا أبو طاهر الفقيه أنبأ أبو الحسن علي بن محمد بن سختويه ثنا أبو بكر بن يعقوب بن يوسف المطوعي ثنا الربّيع بن ثعلب ثنا يحيى بن عقبة بن أبي العيزار عن سفيان الثوري والوليد بن نوح والسري بن مصرف يذكرون عن طلحة بن مصرف عن مسروق عن عبد الرحمن بن غنم... الأثر". قال ابن تيمية: "رواه حرب (حرب بن إسماعيل الكرماني من أتباع الإمام أحمد) بإسناد جيد". انظر اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢١٧، وقال ابن القيم: "وشهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها فإن الأئمة تلقوها بالقبول وذكروها في كتبهم واحتجوا بها ولم يزل ذكر الشروط العمرية على ألسنتهم وفي كتبهم وقد أنفذها بعده الخلفاء وعملوا بموجبها". انظر أحكام أهل الذمة ٣/١١٦٤.

منعهم من أن يظهروا في دار الإسلام شيئاً مما يختصون به، مبالغة في أن لا يظهروا في دار الإسلام خصائص المشركين، فكيف إذا عملها المسلمون وأظهروها؟ "(١).

وقال رحمه الله في مقصود هذه الشروط: "التمييز عن المسلمين، في الشعور واللباس والأسماء والمراكب والكلام، ونحوها، ليتميز المسلم عن الكافر، ولا يتشبه أحدهما بالآخر في الظاهر، ولم يرض عمر ﷺ والمسلمون بأصل التمييز، بل بالتميز في عامة الهدي، على تفاصيل معروفة في غير هذا الموضع. وذلك يقتضي: إجماع المسلمين على التمييز عن الكفّار ظاهراً، وترك التشبه بهم، ولقد كان أمراء الهدى، مثل العمرين(٢) وغيرهما، يبالغون في تحقيق ذلك بما يتم به المقصود"(٣).

ففي هذه الجهود دلالة على نهي عمر الرعية عن التشبه بالمشركين وقطع الوسائل المفضية إلى ذلك حماية للتوحيد.

٢٣٤- عن عبيد بن آدم(٤) قال: "سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب(٥): أين ترى أن أصلي؟ فقال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة، فكانت القدس كلّها بين يديك،

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٢٠.

(٢) قال محقق الكتاب الشيخ د. ناصر العقل: "العمران: عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، أو عمر بن الخطاب وأبو بكر الصديق، سماهما العمرين من باب التغليب، كما يقال: القمران للشمس والقمر، والأول أرجح لأمرين:

الأول: أن ما أُثر عن عمر بن عبد العزيز من أحكام أهل الذمة أكثر مما أثر عن أبي بكر.

الثاني: أن أهل الذمة في عهد عمر بن العزيز أكثر منهم في عهد أبي بكر والله أعلم" ص ٢١٧.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢١٧.

(٤) عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني صدوق، شيخ الطبري، توفي عام ٢٥٨هـ. انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤٠٢/٥ وتهذيب الكمال للمزي ١٨٥/١٩.

(٥) كعب بن ماتع الحميري اليماني العلامة الحبر، الذي كان يهوديا فأسلم بعد وفاة النبيّ ﷺ، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر ﷺ، فجالس أصحاب محمد ﷺ، فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب، ويأخذ السنن عن الصحابة. وكان حسن الإسلام، مات بها في خلافة عثمان. انظر السير للذهبي ٤٨٩/٣.

فقال عمر ضاهيت اليهودية، لا، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ، فتقدم إلى القبلة فصلى، ثم جاء فبسط رداءه فكنس الكناسة في ردائه وكنس الناس"(١).

فهذا الأثر فيه دلالة على إبعاد عمر رضي الله عنه الأمة عن مشابهة اليهود في العبادة، فهؤلاء كانوا يعظّمون هذه الصخرة ويصلّون إليها قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فعمر رضي الله عنه عاب على كعب مضاهاة اليهودية، أي: مشابهتها في مجرد استقبال الصخرة، لما فيه من مشابهة من يعتقدها قبلة باقية، وإن كان المسلم لا يقصد أن يصلي إليها"(٢).

٢٣٥- عن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: "لا تحرّوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها، فإن الشيطان يطلع قرناه مع طلوع الشمس ويغربان مع غروبها"، وكان يضرب الناس على تلك الصلاة(٣).

٢٣٦- عن السائب بن يزيد أنه رأى عمر بن الخطاب يضرب المنكدر(٤) في الصلاة بعد العصر(٥).

٢٣٧- عن قال ابن عباس أنه قال: "وكنت أضرب الناس مع عمر بن الخطاب عنهما"(٦).

فهنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينهى الرعية عن الصلاة في أوقات معيّنة خصوصاً وقتي طلوع الشمس وغروبها لما فيهما من مشابهة بأهل الشرك في العبادة إذ يسجدون للشمس في هذه الأوقات. وقد نهى النبيّ ﷺ عن ذلك حماية لجناب التوحيد(٧).

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٣٧٠/١ وابن كثير في البداية والنهاية ٦٨/٧ قال: "حدثنا أسود بن عامر، ثنا حماد بن سلمة، عن أبي سنان، عن عبيد بن آدم. . . الأثر". قال ابن كثير: "هذا إسناد جيد".

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٢٤.

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ ٢٢١/١ قال: "عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر. . . الأثر".

(٤) المنكدر بن عبد الله بن الهدير القرشي التيمي. لا يثبت له صحبة ولكنه ولد على عهد رسول الله ﷺ. انظر الاستيعاب لابن عبد البر ١٤٨٦/٤.

(٥) رواه الإمام مالك في الموطأ ٢٢١/١ قال: عن بن شهاب عن السائب بن يزيد. . . الأثر.

(٦) رواه البخاري في صحيحه في كتاب السهو باب إذا كلم وهو يصلي فأشار بيده واستمع ٦٩/٢ برقم ١٢٣٣.

(٧) سبق بيان ذلك ص ٣٧.

٢٣٨- عن عمرو بن ميمون يقول شهدت عمرﷺ صلى بجمع الصبح(١) ثم وقف فقال: "إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون: أشرقْ ثبير(٢)، وأن النبيّ ﷺ خالفهم ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس"(٣).

فهنا عمر ﷺ يعلّم الناس من خلال أداء الحجّ أن الحكمة من الإفاضة قبل طلوع الشمس هي عدم مشابهة المشركين الذين كانوا لا يفيضون إلا بعد طلوع الشمس.

٢٣٩- عن أبي سلمة أنه سمع عمر بن الخطاب ﷺ يقول: "اجتنبوا أعداء الله اليهود والنصارى في عيدهم يوم جمعهم، فإن السُخط ينزل عليهم، فأخشى أن يصيبكم، ولا تعلّموا رَطانتهم(٤) فتخلقوا بخُلُقهم"(٥).

وفي رواية: "لا تعلّموا رطانة الأعاجم، ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم، فإن السخطة تنزل عليهم"(٦).

فهذا الأثر فيه دلالة على نهي عمر ﷺ المسلمين عن حضور أعياد المشركين من اليهود والنصارى اجتناباً لغضب الله ووعيده، ولما فيه من المشاركة في عباداتهم وعاداتهم.

---

(١) أي: صبح يوم النحر في الحج، العاشر من ذي الحجة.

(٢) أشرق بلفظ الأمر أي: لتطلع عليك الشمس، وثبير: بفتح الثاء: هو جبل عظيم بالمزدلفة على يسار الذاهب منها إلى منى. انظر فتح الباري لابن حجر ٥٣١/٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الحج باب متى يدفع من جمع ١٦٦/٢ برقم ١٦٨٤.

(٤) يقال كلمه بالرطانة بالكلام الأعجمي. انظر القاموس المحيط للفيروزابادي ص ١٢٠٠.

(٥) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٤١١/١ والبيهقي في شعب الإيمان ١٨/١٢ قال: "أخبرنا أبو بكر الفارسي أنا أبو إسحاق الأصبهاني نا أبو أحمد بن فارس، نا محمد بن إسماعيل البخاري، قال ابن أبي مريم: نا نافع بن يزيد، سمع سليمان بن أبي زينب، وعمرو بن الحارث، سمع سعيد بن أبي سلمة، سمع أباه، سمع عمر بن الخطاب. . . الأثر". قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إسناد صحيح" انظر اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٠٦.

(٦) رواه البيهقي في سننه ٢٣٤/٩ قال: "أخبرنا أبو طاهر الفقيه أنبأ أبو بكر القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن ثور بن يزيد عن عطاء بن دينار".

٢٤٠- عن الحارث بن معاوية[(١)] أنه قدم على عمر بن الخطاب ﷺ فقال له: "كيف تركت أهل الشام؟ فأخبره عن حالهم فحمد الله ثم قال: لعلكم تجالسون أهل الشرك؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين، قال: إنكم إن جالستموهم أكلتم وشربتم معهم ولن تزالوا بخير ما لم تفعلوا ذلك"[(٢)].

٢٤١- عن عياض الأشعري[(٣)] عن أبي موسى ﷺ أن عمر ﷺ أمره أن يرفع إليه ما أخذ وما أعطى في أديم واحد، وكان لأبي موسى كاتب نصراني يرفع إليه ذلك، فعجب عمر ﷺ وقال: إن هذا لحافظ، وقال: إن لنا كتاباً في المسجد وكان جاء من الشام فادعه فليقرأ، قال أبو موسى: إنه لا يستطيع أن يدخل المسجد، فقال عمر ﷺ: أجنب هو؟ قال: لا بل نصراني، قال: فانتهرني وضرب فخذي وقال: أخرجه، وقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، قال أبو موسى: والله ما توليته إنما كان يكتب، قال: أما وجدت في أهل الإسلام من يكتب لك، لا تدنهم إذ أقصاهم الله ولا تأمنهم إذ خانهم الله ولا تعزّهم بعد إذ أذلّهم الله فأخْرجه"[(٤)].

ففي هذين الأثرين نهي عمر بن الخطاب ﷺ الرعية عن مخالطة أهل الشرك ومُوادّتهم صيانة من مشاركتهم والتأثر بهم في عاداتهم وعباداتهم، ومن المعلوم أن السلف كانوا يحذّرون الأمة من مصاحبة المبتدعين ومجالستهم لما يُخشى على العوام والنفوس الضعيفة من التأثر

(١) الحارث بن معاوية بن زمعة الكندي، مختلف في صحبته. انظر الإصابة لابن حجر ٦٠٠/١.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١٤/١٢ قال: "أخبرنا أبو الحسين بن الفضل، أنا عبد الله بن جعفر، نا يعقوب بن سفيان، نا أبو اليمان، نا جرير، عن سليمان، عن الحارث بن معاوية. . . الأثر".

(٣) عياض بن عمرو الأشعري قال بن حبان: "له صحبة" وقال: البغوي "يشكّ في صحبته" سكن الكوفة. انظر الإصابة لابن حجر ٥٧٩/٧.

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى ١٢٧/١٠ من طريق أبي القاسم زيد بن أبى هاشم العلوى وأبو القاسم عبد الواحد بن محمد بن النجار المقرئ بالكوفة قالا: "أنبأنا أبو جعفر بن دحيم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا عمرو بن حماد عن أسباط عن سماك عن عياض الأشعرى. . . الأثر". قال الشيخ الألباني: "هذا إسناد حسن" إرواء الغليل ٢٥٦/٨.

بهؤلاء[١]، فإذا كان السلف قد أمروا بمجانبة أناس من ملة الإسلام خوفاً من الضرر بهم فكيف بمرافقة أهل الشرك والكفر؟!

٢٤٢- عن خالد بن عرفطة قال: "كنت جالساً عند عمر رضي الله عنه إذْ أُتي برجل من عبد القيس، مسكنه بالسوس[٢]، فقال له عمر رضي الله عنه: أنت فلان بن فلان العبدي؟ ، قال: نعم، فضربه بعصى معه، فقال الرجل: مالي يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: اجلس، فجلس، فقرأ عليه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف: ١ – ٣]، فقرأها عليه ثلاثاً، وضربه ثلاثاً، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين. فقال: لأنت الذي نسخت كتاب دانيال. فقال: مرني بأمرك أتبعه، قال: انطلق فامحه بالحميم والصوف الأبيض، ثم لا تقرأه أنت، ولا تُقريه أحداً من المسلمين، فلأن بلغني عنك أنك قرأته أو أقْرأته أحداً من المسلمين لأُهلكنّك عقوبة. "[٣]

ففي هذا الموقف العظيم نهي عمر الرعية عن مشاركة أهل الكتاب في قراءة كتبهم خشية التأثر بهم.

(١) قال الإمام الصابوني رحمه الله: "واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع، وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم واقصائهم، والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم، والتقرب إلى الله عز وجل بمجانبتهم ومهاجرتهم" وقال: "ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان وقرت في القلوب ضرت، وجرّت إليها الوساوس والخطرات الفاسدة، وفيه أنزل الله عز وجل قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾[الأنعام: ٦٨]. انظر عقيدة السلف ص ١٤٤- ١٤٨.

(٢) السُّوس: بلدة بخوزستان. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ٣/٢٨٠.

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٦/١١٤ والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١/٢٢٢ قال عبد الرزاق: "أخبرنا إسماعيل بن عبد الله عن بن عون عن إبراهيم النخعي. . . الأثر". قال الهيثمي: "رواه أبو يعلى وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي ضعفه أحمد وجماعة".

٢٤٣- عن قتادة أن عمر بن الخطاب ﷺ رأى رجلاً قد حلق قفاه ولبس حريراً فقال: "من تشبّه بقوم فهو منهم"(١).

ففي هذا الأثر نهي صريح عن التشبه بالكفّار، ومن ذلك حلق المسلم قفاه ولبس الحرير، أما حلق القفا فقد رُوي عن النبيّ ﷺ أنه قال: "حلق القفا من غير حجامة مجوسية"(٢).

وقال المروذي(٣): سألت أبا عبد الله -يعني أحمد بن حنبل رحمه الله- عن حلق القفا فقال: "هو من فعل المجوس، ومن تشبه بقوم فهو منهم"(٤)، فقول الإمام أحمد يدل على أن السلف فهموا من النصوص تحريم التشبه بالكفّار بأي حال ما دام الفعل من خصائصهم وإن لم يرد التنصيص على تحريمه.

وحلق القفا هو نوع من أنواع القزع الذي نهى رسول الله ﷺ عنه(٥)، والقزع هو: أن يحلق بعض الرأس ويترك بعضاً(٦).

وأما لبس الحرير فقال الرسول ﷺ: "لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تلبسوا الحرير والديباج(٧)، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة"(٨).

٢٤٤- عن سويد بن غفلة قال: "شهدنا اليرموك(١)، قال: فاستقبلنا عمر ﷺ وعلينا الديباج والحرير، فأمر برمينا بالحجارة، قال: فقلنا: ما بلغه عنا؟ قال: فنزعناه وقلنا: كره زينا،

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٤٥٣/١١ قال: عن معمر عن قتادة. . . الأثر.

(٢) رواه ابن الأعرابي في معجمه ٣٣٦/١ وضعفه الشيخ الألباني انظر السلسلة الضعيفة ٥٠٠/٧.

(٣) أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروذي الإمام، القدوة، الفقيه، المحدث، شيخ الاسلام، ولد في حدود المئتين، وحدث عن: أحمد بن حنبل، ولازمه، وكان أجل أصحابه، توفي عام ٢٧٥. انظر السير للذهبي ١٧٣/١٣.

(٤) ذكره ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٢٨.

(٥) رواه البخاري في صحيحه في كتاب اللباس باب القزع ١٦٣/٧ برقم ٥٩٢٠.

(٦) انظر شرح صحيح مسلم للنووي ٣٢٦/١٤.

(٧) الديباج: ضرب من الثياب سداه ولحمته حرير. المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات ٢٦٨/١.

(٨) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الأشربة باب آنية الفضة ١١٣/٧ برقم ٥٦٣٣.

فلما استقبلناه رحب بنا، وقال: "إنكم جئتموني في زي أهل الشرك، إن الله لم يرض لمن قبلكم الديباج، ولا الحرير"(٢).

٢٤٥- عن أبي عثمان قال: "كتب إلينا عمر ونحن بأذربيجان: يا عتبة بن فرقد إنه ليس من كَدِّك(٣) ولا من كد أبيك ولا من كد أمّك فأشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلك، وإياكم والتنعم وزي أهل الشرك ولبوس الحرير"(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلقاً على هذا الأثر: "وهذا النهي منه ﷺ للمسلمين عن كل ما كان من زي المشركين"(٥).

٢٤٦- عن الزهري أن عمر بن الخطاب ﷺ رأى رجلاً يصلّي في ثوب واحد ملحتفاً به فقال: "لا تشبّهوا باليهود إذا لم يجد أحدكم إلا ثوباً واحداً فليتزره. "(٦)

---

(١) اليرموك: نهر اليرموك: طوله ٥٧ كيلا، منهم سبعة عشر كيلا في فلسطين وهو الحد الفاصل بين سورية والأردن على طول ثلاثين كيلا: يعدّ من أكبر روافد نهر الأردن وينبع من مرتفعات حوران، ويلتقي مع الأردن في جنوبي بحيرة طبرية. انظر المعالم الأثيرة في السنة والسيرة لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب ص ٢٩٧.

(٢) رواه ابن أبي شيبة ١٦٩/٨ وابن الجعد في مسنده ١٠٨/١ قال: "أنا شعبة أنا عبد الله بن أبي السفر قال: سمعت الشعبي، يحدث عن سويد بن غفلة. . . الأثر".

(٣) قال النووي: "من كدك فالكد: التعب والمشقة والمراد هنا أن هذا المال الذي عندك ليس هو من كسبك ومما تعبت فيه ولحقتك الشدّة والمشقة في كده وتحصيله ولا هو من كد أبيك وأمك فورثته منهما بل هو مال المسلمين فشاركهم فيه ولا تختص عنهم بشيء بل أشبعهم منه". شرح صحيح مسلم ٢٧٢/١٤.

(٤) رواه مسلم في صحيحه في كتاب اللباس باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير على الرجل ١٦٤٢/٣ برقم ٢٠٦٩.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٢٢.

(٦) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٣٥٢/١ والطحاوي في شرح معاني الآثار ٣٧٨/١ قال: "حدثنا ابن أبي داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني الليث، قال: حدثني عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني سالم بن عبد الله، أن عبد الله بن عمر. . . الأثر".

٢٤٧- عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ أو قال قال عمر ﷺ: "إذا كان لأحدكم ثوبان فليصل فيهما، فإن لم يكن إلا ثوب واحد فليتزر به ولا يشتمل اشتمال اليهود"[(١)].

فهذا نهي عمر ﷺ عن الاشتمال في الصلاة، قال الإمام الخطابي رحمه الله: "اشتمال اليهود المنهي عنه هو أن يجلل بدنه الثوب ويسبله من غير أن يشيل طرفه، فأما اشتمال الصماء الذي جاء في الحديث فهو أن يجلل بدنه الثوب ثم يرفع طرفيه على عاتقه الأيسر"[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلّلاً النهي: "وإنما الغرض: أنه قال: "لا يشتمل اشتمال اليهود" فإن إضافة المنهي عنه إلى اليهود، دليل على أن لهذه الإضافة تأثيراً في النهي، وأيضاً فمما نهانا الله سبحانه فيه عن مشابهة أهل الكتاب"[(٣)].

٢٤٨- عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب[(٤)] عن أبيه عن علي ﷺ أنه خرج فرأى قوماً يصلّون قد سدلوا ثيابهم فقال: "كأنهم اليهود خرجوا من فُهرهم[(٥)]"[(٦)].

هذا الأثر يدلّ على أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ كان ينهى عن السدل تحذيراً من مشابهة اليهود لأن ذلك الفعل منهم.

والسدل كما قال شيخ الإشلام ابن تيمية رحمه الله: "هو أن يطرح الثوب على أحد

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة باب من قال يتزر به إذا كان ضيقا ص ١١٦برقم ٦٣٥ وصححه الشيخ الألباني.

(٢) معالم السنن ١٧٨/١.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٧٤.

(٤) عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني، وأبوه من أصحاب عبد الله بن مسعود. انظر التاريخ الكبير للبخاري ٢٨٨/٥ والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢٣٩/٥.

(٥) الفهر: كنائسهم. انظر مصنف عبد الرزاق ٣٦٤/١. وقيل معنى الفهر: المدارس وأصلها: البهر وهي عبرانية فعربت. انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٢٢٩.

(٦) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٣٦٤/١ وابن أبي شيبة في مصنفه ٢٥٩/٢ والبيهقي في سننه ٢٤٣/٢ قال: "أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي أنبأ أبو الحسن الكارزي ثنا علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد ثنا هشيم عن خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن أبيه عن علي. . . الأثر".

كتفيه، ولا يرد أحد طرفيه على كتفه الآخر"(١).

وقد ورد النهي عن السدل في السنة فعن أبي هريرة أن النبيّ ﷺ نهى عن السدل في الصلاة وأن يُغطّي الرجل فاه(٢). قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأكثر العلماء يكرهون السدل مطلقاً، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي والمشهور عن أحمد"(٣).

وقال رحمه الله معلّلاً هذا النهي: "وإنما الغرض أن علياً ﷺ شبّه السادلين باليهود، مبيّناً بذلك كراهة فعلهم، فعلم أن مشابهة اليهود: أمر كان قد استقر عندهم كراهته"(٤) ونقل علّة النهي عن أحمد بأنه فعل اليهود"(٥).

فكل هذه الآثار العظيمة تدل دلالة واضحة على أن الخلفاء الراشدين ﷺ كانوا يأمرون الرعية بترك زي أهل الشرك، أي: عدم موافقتهم في هديهم الظاهر في عاداتهم أو عباداتهم.

ولا شكّ أن في هذه الجهود المباركة في النهي عن مشابهة المشركين في عاداتهم وعباداتهم وموافقتهم ومشاركتهم في هديهم الظاهر تحقيقاً لحماية التوحيد وصيانة للأمة من الوقوع في الشرك، وبيان ذلك: أن مشابهة المشركين ومشاركتهم في عاداتهم أو عباداتهم ذريعة إلى الشرك بالله، فمشابهة المشركين في أعمالهم الظاهرة وسيلة إلى مشابهة أعمالهم الباطنة كالنيّة والقصد والاعتقاد الشركي قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس، فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة مثلاً يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضياً لذلك إلا أن يمنعه مانع"(٦).

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٢٨.

(٢) رواه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة باب ما جاء في السدل ص ١١٧ برقم ٦٤٣. وقال الشيخ الألباني: "حسن".

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٢٨.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٢٩.

(٥) المصدر نفسه ص ٢٢٨.

(٦) المصدر نفسه ص ٦٤.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله -مقرراً قاعدة سد الذرائع- بعد ما ذكر بعض أمثلة في النهي عن التشبه بأهل الكتاب: "وسرّ ذلك أن المشابهة في الهدي الظاهر ذريعة الى الموافقة في القصد والعمل"(١).

ولهذا لم يأذن النبيّ ﷺ لثابت بن الضحاك الذبح ببوانة إلا بعد ما تحقق أن في هذا المكان لم يُذبح لغير الله أو أنه لم يكن فيه عيد من أعياد المشركين(٢) قطعاً لمواد الشرك بالله.

قال الإمام السعدي رحمه الله: "فإن المكان الذي يذبح فيه المشركون لآلهتهم تقرباً إليها وشركاً بالله قد صار مشعراً من مشاعر الشرك، فإذا ذبح فيه المسلم ذبيحة ولو قصدها لله، فقد تشبّه بالمشركين وشاركهم في مشعرهم، والموافقة الظاهرة تدعو إلى الموافقة الباطنة والميل إليهم. ومن هذا السبب نهى الشارع عن مشابهة الكفّار في شعارهم وأعيادهم وهيئاتهم ولباسهم وجميع ما يختصّ بهم إبعاداً للمسلمين عن الموافقة لهم في الظاهر التي هي وسيلة قريبة للميل والركون إليهم، حتى إنه نهى عن الصلاة النافلة في أوقات النهي التي يسجد المشركون فيها لغير الله خوفاً من التشبه المحذور"(٣).

ولهذا قال ابن مسعود ﷺ: "لا يشبه الزي الزي حتى تشتبه القلوب القلوب"(٤).

---

(١) إعلام الموقعين ١٣/٥.

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٦.

(٣) القول السديد ص ٤٢.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢١٢/٢.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

إن جهود الخلفاء الراشدين ﭫ في التحذير من التشبه بالمشركين جهود نافعة، فيها دلائل واضحة وفوائد جمة، وقد كان لهذه الأعمال الجليلة آثار عظيمة على الأمة، أجلّها ما يلي:

١/ بيان للأمة تحريم التشبه بالمشركين ومشاركتهم في عاداتهم وعباداتهم وأعيادهم وآثاره السيّئة على المسلم، فوضّح الخلفاء الراشدون ﭫ للمؤمنين عقيدة التوحيد وما تستلزمه من الولاء والبراء وعدم موافقة المشركين في هديهم الظاهر، وعلّموا الأمة الإسلامية وجوب مفارقة الأمم المشركة والملل الكافرة في العبادات والهيئات والشعائر وكل ما يختصّ بهم قطعاً للذرائع المفضية إلى موافقتهم في العمل والنية والقصد وحسماً لمادة الشرك.

فبيّن الخلفاء الراشدون ﭫ للمسلمين أن مخالفة المشركين من اليهود والنصارى وغيرهم من الكفّار أصل من أصول عقيدة التوحيد ومقصد من مقاصد الشرع الذي يجب تحقيقه قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فقد تبيّن أن نفس مخالفتهم أمر مقصود للشارع في الجملة"(١).

وقال رحمه الله: "وهذا نص(٢) في أن ظهور الدين الحاصل بتعجيل الفطر لأجل مخالفة اليهود والنصارى، وإذا كان مخالفتهم سبباً لظهور الدين فإنما المقصود بإرسال الرسل أن يظهر دين الله على الدين كله، فيكون نفس مخالفتهم من أكبر مقاصد البعثة"(٣).

ومن هنا تظهر قوة فهم عمر للنصوص الشرعية ومعرفته لأسباب الشرك في نهيه الأمة عن حضور أعياد اليهود والنصارى التي ينزل السخط فيها وتعلّم رطانتهم قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معلّقاً على أثر عمر: "وهذا عمر نهى عن تعلّم لسانهم، وعن مجرد دخول الكنيسة عليهم يوم عيدهم، فكيف بفعل بعض أفعالهم؟ أو بفعل ما هو من مقتضيات

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٢٥.

(٢) أي: قول الرسول ﷺ: "لا يزال الدين ظاهرا ما عجل الناس الفطر لأن اليهود والنصارى يؤخرون". رواه أبو داود في سننه في كتاب الصيام باب ما يستحب من تعجيل الفطر ص ٤١٣ برقم ٢٣٥٣. وحسنه الشيخ الألباني.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٣١.

دينهم؟. أليست موافقتهم في العمل أعظم من الموافقة في اللغة؟ أو ليس عمل بعض أعمال عيدهم أعظم من مجرد الدخول عليهم في عيدهم؟ وإذا كان السخط ينزل عليهم يوم عيدهم بسبب عملهم، فمن يشركهم في العمل أو بعضه: أليس قد تعرض لعقوبة ذلك؟ ثم قوله: "واجتنبوا أعداء الله في عيدهم" أليس نهياً عن لقائهم والاجتماع بهم فيه؟ فكيف بمن عمل عيدهم؟ "(١).

ويستفاد في الأثر من قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁: "ولا تعلّموا رطانتهم" أن تعلّم المسلم لغة الكفّار يدخل في معنى المشاركة والتشبّه بهم، فهذا الكلام من عمر الملهَم غاية في فقه النفس، فإنّنا لا نزال نرى المتشبِّعين بلسان الكفّار، المقلّدين والمعجَبين بهم قد استعجمت عليهم أخلاقُهم الأصيلة، واستولى عليهم من أخلاق الكفّار رديئُها، وعاشوا عيشتهم الغريبة عن الإسلام، وأما تعلّم لغتهم لحاجة فهو غير داخل فيما نحن بصدده ما كان صادقاً، كمن يتعلّمها للدعوة أو ليأمن مكر العدو(٢).

وقد أورد الإمام البيهقي أثر عمر هذا تحت "باب كراهية الدخول على أهل الذمة في كنائسهم والتشبّه بهم يوم نيروزهم ومهرجانهم"(٣). وقد فسّر بعض أهل العلم قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ [الفرقان: ٧٢] بالنهي عن حضور أعياد المشركين(٤)، فهذا التفسير يؤيد قول عمر بن الخطاب ﵁.

فالحاصل أنه لا يجوز للأمة التشبه بالمشركين ومشاركتهم في عاداتهم وعباداتهم وأعيادهم، ففي هذه الجهود المباركة تربية الخلفاء الراشدين الأمة على التوحيد وغرس عقيدة الولاء والبراء في نفوس أبناء الأمة.

٢/ تبصير الأمة الإسلامية بخطورة مخالطة أهل الشرك ومودّتهم لما فيها من المدعاة للتأثر بهم في عادتهم وعبادتهم والتشبّه بهم واتباع سننهم، فمصاحبة المشركين من أعظم العوامل لفشو العقيدة الفاسدة في المجتمعات الإسلامية ومحو السنن النبويّة وهدم الدين كما

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٠٨.

(٢) انظر رفع الذل والصغار عن المفتونين بخلق الكفّار للشيخ عبد المالك بن أحمد رمضاني ص ٣٤.

(٣) انظر السنن الكبرى للبيهقي ٩/٢٣٤.

(٤) انظر القرآن العظيم لابن كثير ٣/٤٣٥.

يشهد الواقع لذلك، وكلّنا نعلم أن المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى ومصاحبتهم هم أقل إيماناً من غيرهم ممن جرد الإسلام، كما أن المشركين الذين عاشوا المسلمين هم أقل كفراً من غيرهم[١].

وكم من المسلمين قد تأثّروا تأثيراً عظيماً بسبب مخالطة المشركين ومعاشرتهم حتى آل أمرهم إلى الردّة -العياذ بالله-، ومن أكبر الأمثلة على آثار مصاحبة أهل الشرك السيّئة ومشابهتم جهم بن صفوان وما ذهب إليه من اعتقاد التعطيل للصفات بسبب تأثر الجعد بن درهم عليه، فقد أخذ مقالة التعطيل لصفات الربّ منه، والجعد أخذ بدعته عن أبان بن سمعان، وأبان أخذها عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم الذي أخذها عن لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبيّ ﷺ، فتكون بدعة التعطيل أصلها من اليهود[٢].

ومن الأمثلة كذلك اتخاذ أعياد زمانية كالاحتفال بالمولد النبوي تشبّهاً بالنصارى في احتفال مولد عيسى عليه السلام، أو اتخاذ أعياد مكانية كزيارة المقابر ودعاء أصحابها من دون الله تشبّها وتأثراً بعقيدة أهل الكتاب الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

وأيضاً من آثار التشبه بالكفّار ومخالطتهم ترك الشريعة الإسلامية للتحاكم بالقوانين الوضعية، الحكم بالطاغوت وغير ذلك من الأمثلة -والله المستعان! -.

ففي تحذير الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم الأمة من مخالطة المشركين حفظ لأهل الإيمان من الوقوع في الشرك والضلال وصيانة من شبهات أعداء الدين.

٣/ إرشاد الأمة الإسلامية إلى عدم الاشتغال بالكتب السابقة كالتوراة ولما يخشى من التأثر والافتتان بها، خصوصاً من ليس له علم راسخ يدفع به الشبهات، وقد مرّ عمر رضي الله عنه بهذه المرحلة مع النبيّ ﷺ فعن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبيّ ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه على النبيّ ﷺ فغضب وقال: "أمُتهوِّكون[٣] فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٣٢٩.

(٢) انظر الحماوية لابن تيمية ص ١٣.

(٣) متهوّكون: متحيرون. انظر تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي ٢٧/٤١٠.

فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيّاً، ما وسعه إلا أن يتبعني"(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "والذي يظهر أن كراهية ذلك للتنزيه لا للتحريم، والأولى في هذه المسألة التفرقة بين من لم يتمكّن ويصر من الراسخين في الإيمان، فلا يجوز له النظر في شيء من ذلك بخلاف الراسخ فيجوز له ولاسيّماً عند الاحتياج إلى الرد على المخالف، ويدل على ذلك نقل الأئمة قديماً وحديثاً من التوراة وإلزامهم اليهود بالتصديق بمحمد ﷺ بما يستخرجونه من كتابهم ولو لا اعتقادهم جواز النظر فيه لما فعلوه وتواردوا عليه"(٢).

٤/ تعليم الأمة النهي عن تتبع آثار الأنبياء وتعظيم الأماكن من غير دليل كما هو ظاهر في أثر عمر بن الخطاب ﷺ لما دخل بيت المقدس، فعمر ﷺ لم يبحث عن المقامات التي صلى فيها النبيّ ﷺ ليتبرّك بها، ولم يُرو عنه ولا عن عثمان ولا علي ولا بقية الصحابة ﷺ أنهم تحرّوا الصلاة عند الصخرة المعظَّمة وتمسّحوا بها وقبّلوها، فلم يخصّوها بعبادة ولا اعتقدوا فيها النفع والضر، بل كلّهم تجنبوها عند الصلاة علماً أن تلك الصخرة كانت مكشوفة(٣) قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "فلم يعظّم عمر الصخرة تعظيماً يصلّي وراءها وهي بين يديه ﷺ، كما أشار كعب الأحبار وهو من قوم يعظمونها حتى جعلوها قبلتهم. ولكن منّ الله عليه بالإسلام، فهُدي إلى الحق، ولهذا لما أشار بذلك قال له أمير المؤمنين ﷺ: "ضاهيت اليهودية"، ولا أهانها إهانة النصارى الذين كانوا قد جعلوها مزبلة من أجل أنها قبلة اليهود، ولكن أماط الأذى، وكنس عنها الكناس بردائه. وهذا شبيه بما جاء في صحيح مسلم عن أبي

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٢٣/٢٤٩. قال ابن حجر: "رجاله موثوقون إلا أن في مجالد ضعفا". انظر فتح الباري ١٣/٣٣٤.

(٢) فتح الباري ١٣/٥٢٥.

(٣) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ص ٥٤١.

مرثد الغَنَوي[(١)] قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها"[(٢)]"[(٣)].
وقد سبق بيان هذا الموضوع[(٤)].

٥/ إرشاد ولاة أمور المسلمين ومن له قدرة إلى إنكار المنكرات والأخذ على أيدي المخالفين ومعاقبتهم إن اقتضى الحال مثل ضرب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من يصلي في الأوقات المنهية، قال النووي رحمه الله معلّقاً على موقف عمر رضي الله عنه: "وفيه احتياط الإمام لرعيته ومنعهم من البدع والمنهيات الشرعية وتعزيرهم عليها"[(٥)] والله أعلم.

وبعد هذا العرض يتبيّن تحريم التشبه بالمشركين في عاداتهم وعباداتهم وأعيادهم وموافقة الكفّار في هديهم الظاهر لما فيه من المنافاة للتوحيد وما يترتّب على ذلك من الآثار السيّئة على الأمة والمفاسد العظيمة في المجتمع الإسلامي.

---

(١) أبي مرثد الغنوي، اسمه كناز بن حصين، من الصحابة الكرام الأبرار، وهو ممن شهد بدرا. انظر الاستيعاب لابن عبد البر ١٣٨٣/٣.

(٢) صحيح مسلم كتاب الجنائز باب النهي عن الجلوس على القبر ٦٦٨/٢ برقم ٩٧٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٦/٣.

(٤) انظر المبحث الثامن: حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في النهي عن تتبع آثار الأنبياء وتعظيم الأماكن من غير دليل ص ٦٢٤.

(٥) شرح صحيح مسلم ٣٥٩/٦.

المبحث الثاني عشر

حماية الخلفاء الراشدين لجناب التوحيد في إجلاء المشركين من الجزيرة العربية ومنعهم من إظهار شعائر دينهم .

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالإجلاء وما يتعلّق به .

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في إجلاء المشركين من الجزيرة العربية ومنعهم من إظهار شعائر دينهم

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة .

المطلب الأول: التعريف بالإجلاء وما يتعلّق به.

الإجلاء لغة: قال ابن منظور: "أجلى يجلي إجلاء إذا أخلى موطنه، وجل القوم من البلد يجلون بالضم جلولاً أي: جلوا وخرجوا إلى بلد آخر فهم جالة"(١).

وقال ابن الأثير: "أجلى يُجْلي إجلاء: إذا خرج مفارقا. وجلوته أنا وأجليته. وكلامهما لازم متعد، ومنه حديث الحوض: "يرد علي رهط من أصحابي فيُجلون عن الحوض"(٢): أي: يُنفون ويُطردون"(٣).

الإجلاء شرعاً: هو إخراج المشركين من جزيرة العرب.

وقد دلت السنة على وجوب إخراج المشركين من جزيرة العرب فقال الرسول ﷺ: "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم"(٤). وقال: "لأخرجنَّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً"(٥).

فإن هذين الحديثين دلّا دلالة واضحة على أن المشرك لا يجوز له الإقامة والقرار في جزيرة العرب إلا لمدة وجيزة لقضاء حاجة كالتجارة واستيفاء دينه أو غير ذلك مما يُسمح له به المرور بهذه الأرض المباركة، وهذا الحكم عام في كل مشرك سواء أكان وثنياً أم يهودياً أم نصرانياً.

وهذا الحكم الربّاني بإخراج كل مشرك من جزيرة العرب يتناسب مع منزلة هذه البلدة وشرفها، فمعلوم أن جزيرة العرب لها خصائص ما ليس لغيرها، ومن ذلك: فيها أم القرى مكة المكرمة ومدينة الرسول ﷺ، والجزيرة هي مهبط الوحي وعاصمة الإسلام، بل هي أصل

---

(١) لسان العرب ١٨٣/٣.

(٢) انظر صحيح البخاري في كتاب الرقاق باب في الحوض ١٢٠/٨ برقم ٦٥٨٦ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٥٧/٥.

(٣) النهاية ٢٨٤/١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد باب هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم ٦٩/٤ برقم ٣٠٥٣.

(٥) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ١٣٨٨/٣ برقم ١٧٦٧.

الإسلام ومنتهاه، لأن هذا الدين العظيم انبعث من هذه الأرض ثم انتشر في أرجاء العالم، والإيمان ليأرز[١] إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها كما ثبت ذلك عن الرسول ﷺ[٢]، فصار من هذه الجزيرة بدء الإسلام وإليها يعود[٣]، فلما كانت منزلة الجزيرة بهذه المنزلة الرفيعة لم يكن لائقاً أن يدخلها كافر خبيث بشركه، فبهذا تظهر الحكمة من منع المشرك من دخولها، ثم يقال -إضافة إلى هذا- أن في إقامة المشرك بين المسلمين ضرراً كبيراً وخطراً جسيماً مما يترتّب على ذلك مفاسد وفتن وشرور، من أعظمها أنه يسهل على المشركين نشر ونصر معتقداتهم وعاداتهم بين المسلمين والتأثير فيهم، كما أنه يُخشى أن تؤدّي مخالطتهم إلى محبتهم، وذهاب الغيرة الدينية والرضا عما هم عليه من الشرك والكفر، وغير ذلك من الأمور التي لا تُحمد عاقبتها[٤].

---

(١) يأرز: يرجع، ينضم ويجتمع. انظر فتح الباري لابن حجر ١/٧٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل المدينة باب الإيمان يأرز إلى المدينة ٣/٢١ برقم ١٨٧٦.

(٣) انظر مجموع الفتاوى للشيخ العثيمين ١٨/٤٣٠.

(٤) انظر مجموع الفتاوى للجنة الدائمة ١٤/٣٨٨.

المطلب الثاني: جهود الخلفاء الراشدين لحماية جناب التوحيد في إجلاء المشركين من الجزيرة العربية ومنعهم من إظهار شعائر دينهم.

٢٤٩- عن الله بن عمر ﵁ أن عمر بن الخطاب ﵁ أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز، وكان رسول الله ﷺ لما ظهر على أهل خيبر أراد أن يُخرج اليهود منها وكانت الأرض لما ظهر عليها لليهود وللرسول وللمسلمين، فسأل اليهود رسول الله ﷺ أن يتركهم على أن يَكْفوا العمل ولهم نصف الثمر، فقال رسول الله ﷺ: "نُقرّكم على ذلك ما شئنا". فأُقِرّوا حتى أجلاهم عمر ﵁ في إمارته إلى تيماء[(١)] وأريحا[(٢)]"[(٣)].

٢٥٠- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "لما فدع أهلُ خيبر عبد الله بن عمر قام عمر ﵁ خطيباً فقال: إن رسول الله ﷺكان عامل يهود خيبر على أموالهم وقال: نُقِرّكم ما أقَرّكم الله". وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك فعُدِي عليه من الليل، ففُدِعتْ يداه ورجلاه، وليس لنا هناك عدوّ غيرهم، هم عدونا وتُهَمتنا، وقد رأيت إجلاءهم، فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بني أُبي الحقيق[(٤)] فقال: يا أمير المؤمنين أتُخرجنا وقد أقرّنا محمد ﷺ وعاملنا على الأموال وشرط ذلك لنا؟ فقال عمر ﵁: أظننت أني نسيت قول رسول الله ﷺ كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوصك[(٥)] ليلة بعد

(١) تيماء: موضع قريب بادية الحجاز وهي حاضرة شاطئ يخرج منها إلى الشام على البلقاء. انظر معجم البلدان لياقوت ٦٧/٢ وفتح الباري لابن حجر ٩٤/١.

(٢) أريحا: هي مدينة في الغور من أرض الأردن بالشام بينها وبين بيت المقدس. انظر معجم البلدان لياقوت ١٦٥/١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب فرض الخمس باب ما كان النبيّ ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ٩٥/٤ برقم ٣١٥٢.

(٤) قال ابن حجر: "هو رأس يهود خيبر ولم أقف على اسمه". فتح الباري ٣٢٨/٥.

(٥) قال ابن حجر: "الناقة الصابرة على السير وقيل الشابة وقيل أول ما يركب من إناث الإبل وقيل الطويلة القوائم". فتح الباري ٣٢٨/٥.

ليلة، فقال: كانت هذه هزيلة من أبي القاسم، قال: كذبت يا عدو الله، فأجلاهم عمر رضي الله عنه وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالاً وإبلاً وعروضاً من أقتاب وحبال وغير ذلك"(١).

٢٥١- عن أبي إسحاق السبيعي أن أهل نجران أتوا علياً رضي الله عنه فقالوا: ننشدك الله إلا أرجعتنا إلى أرضنا فإن عمر أجلانا منها، فقال علي رضي الله عنه: "إن عمر كان رشيد الأمر لا أرد قضاء قضاه عمر"(٢).

ففي هذه الآثار دلالة واضحة على أن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجلوا المشركين من جزيرة العرب ولم يمكّنوهم من الإقامة أو الرجوع فيها بعد ما أُخرجوا منها حماية للتوحيد، ففي هذه الجهود المباركة تنفيذ وتحقيق لأمر رسول الله: ﷺ "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب"(٣).

وكذلك لقوله ﷺ: "أخرجوا يهودَ أهل الحجاز، وأهل نجران من جزيرة العرب، واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"(٤).

ففي هذا الحديث إشارة إلى صلة وثيقة بين الأمر بإخراج اليهود من جزيرة العرب والشرك بالله، فكأن مناسبة الإخبار بأن اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد عقيب الأمر بإخراجهم من جزيرة العرب: أن وجودهم فيها سبب لوجود الشرك ومواده، فمتى طُرِد اليهود وأمثالهم من هذه الأرض الشريفة ومُنعوا من الاستيطان فيها ومخالطة سكّانها سلِم المسلمون من شركهم والتأثر بهم وقُطعت الذرائع المفضية إلى التشبه بالمشركين، فكان في إخراج أهل الشرك من جزيرة العرب صيانة للتوحيد ومحافظة على أهله.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الشروط باب إذا اشترط في المزارعة إذا شئت أخرجتك ١٩٢/٣ برقم ٢٧٣٠.

(٢) رواه ابن أبي شيبة ٣٢/١٢ في مصنفه وأحمد في فضائل الصحابة ٤٤٧/١ والدارقطني فضائل الصحابة ٢١ وأبو القاسم التيمي في الحجة في بيان المحجة ٣٨٤/٢ قال: "أخبرنا أبو المظفر، أخبرنا عبد الصمد العباسي، حدثنا الدراقطني حدثنا أحمد بن نصر بن حبشويه البندار، حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا أبو أسامة، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن أبي إسحاق السبيعي. . . الأثر". قال الشيخ وصي الله بن عباس: "صحيح من طريق أبي يوسف في الخراج في قصة نجران ص ٨٠". انظر تحقيق فضائل الصحابة له ٤٤٧/١.

(٣) تقدم تخريجه ص ٧٠٥.

(٤) رواه أحمد في مسنده ٢٢١/٣. قال محقق المسند الشيخ شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح".

وبهذا تنجلي هذه الجهود المباركة في إجلاء المشركين من جزيرة العرب في تحقيق حماية التوحيد. ولا شكّ أن هؤلاء المشركين من اليهود والنصارى وغيرهم لم يدخلوا بلدة إلا أفسدوها وأحلّوا الشرك مكان التوحيد، وروّجوا الشبهات وأشاعوا البدع وبثّوا المنكرات بين المسلمين.

٢٥٢- عن أسلم مولى عمر بن الخطاب: أن عمر بن الخطاب ﷺ ضرب لليهود والنصارى والمجوس بالمدينة إقامة ثلاثة أيام يتسوقون بها ويقضون حوائجهم ولا يقيم أحد منهم فوق ثلاث ليال(١).

٢٥٣- عن عبد الله بن عمر عن عمر ﷺ أنه قال: "لا تتركوا اليهود والنصارى بالمدينة فوق ثلاث قدر ما يبيعون سلعتهم، وقال: لا يجتمع دينان في جزيرة العرب"(٢).

فهذان الأثران يكشفان لنا بعض الضوابط التي ألزم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ الرعية بها في كيفية التعامل مع المشركين إنْ دخلوا المدينة لحاجة مثل بيع البضاعة أو غير ذلك مما فيه مصلحة للمسلمين، وهذه المعاملة تدل على حرص عمر بن الخطاب ﷺ على عدم تمكين المشركين من الاستيطان في جزيرة العرب، وهذا من صيانته للتوحيد وتعظيمه ﷺ لهذه الأرض المباركة.

٢٥٤- عن عبد الرحمن بن غنم قال: "كتبت لعمر بن الخطاب ﷺ حين صالح أهل الشام: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا..: إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا

---

(١) رواه البيهقي في سننه ٢٠٩/٩ قال: "أخبرنا أبو نصر عمر بن عبد العزيز بن عمر بن قتادة أنبأ أبو عمرو إسماعيل بن نجيد ثنا محمد بن إبراهيم البوشنجي ثنا بن بكير ثنا مالك عن نافع عن أسلم مولى عمر. . . الأثر".

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٤٥/١٢ قال: "حدثنا عبدة بن سليمان، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر. . . الأثر".

لكم على أنفسنا أن لا نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديراً[(١)] ولا كنيسة ولا قلّاية[(٢)] ولا صومعة[(٣)] راهب ولا نجدد ما خرب منها ولا نحيي ما كان منها في خطط المسلمين... وأن لا نؤمن في كنائسنا ولا منازلنا جاسوساً ولا نكتم غشاً للمسلمين ولا نعلّم أولادنا القرآن ولا نُظهر شركاً ولا ندعو إليه أحداً ولا نمنع أحداً من قرابتنا الدخول في الإسلام إن أراده وأن نوقر المسلمين وأن نقوم لهم من مجالسنا إن أرادوا جلوساً... ولا نتقلد السيوف ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله معنا... وأن لا نُظهر صلبنا وكتبنا في شيء من طريق المسلمين ولا أسواقهم وأن لا نظهر الصليب على كنائسنا وأن لا نضرب بناقوس في كنائسنا بين حضرة المسلمين وأن لا نخرج سعانيناً[(٤)] ولا باعوثاً[(٥)] ولا نرفع أصواتنا مع أمواتنا ولا نُظهر النيران معهم في شيء من طريق المسلمين ولا نجاوزهم موتانا... إلى آخر العهد"[(٦)].

٢٥٥- عن زرعة بن النعمان أو النعمان بن زرعة أنه سأل عمر بن الخطاب ﷺ، وكلّمه في نصارى بني تغلب، فصالحهم عمر على أن ضعّف عليهم الصدقة، واشترط أن لا يُنصِّروا أولادهم[(٧)].

---

(١) الدير: دير النصارى أصله الواو والجمع أديار أي: دار الرهبان. انظر لسان العرب لابن منظور ٣٢٦/٥.

(٢) القلاية: بيت من بيوت عبادات النصارى. انظر النهاية لابن الأثير ٤٨٧/٢.

(٣) الصومعة: منار الراهب. انظر لسان العرب ٢٨٢/٨.

(٤) سعانين: عيد معروف للنصارى قبل عيدهم الكبير بأسبوع. انظر لسان العرب لابن منظور ١٩٢/٧.

(٥) الباعوث للنصارى كالاستسقاء للمسلمين وهو اسم سرياني. انظر النهاية لابن الأثير ١٤٤/١.

(٦) تقدم تخريجه ص ٦٨٨.

(٧) رواه أبو عبيد في كتاب الأموال ص ٦٥٠ قال: "حدثنا سعيد بن سليمان، عن هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن السفاح، عن ابن المثنى، عن زرعة بن النعمان أو النعمان بن زرعة. . . الأثر". وذكره ابن القيم في أحكام أهل الذمة ٢٠٩/١.

٢٥٦- عن حرام بن معاوية[١] قال: "كتب إلينا عمر بن الخطاب لا يجاورنّكم خنزير ولا يرفع فيكم صليب ولا تأكلوا على مائدة يشرب عليها الخمر وأدبوا الخيل وامشوا بين الغرضين"[٢].

٢٥٧- عن أبي الخير أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: "لا كنيسة في الإسلام ولا خصاء[٣]"[٤].

فهذه الآثار العظيمة تدل على أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ حرص أشدّ الحرص ألا تجتمع قبلتان في بلاد الإسلام، فلم يسمح عمر ﷺ للمشرك يهودياً كان أو نصرانياً أو مجوسياً أو غيره أن يظهر فيها شيئاً من شعائر دينه، ومن ذلك الصنم ورفع الصليب أو ضرب الناقوس أو إقامة العيد أو بناء معابد شركية كفرية كالكنائس تحقيقاً لحماية التوحيد وصيانة لأهله.

---

(١) حرام بن معاوية الأنصاري وقيل العبسي نزيل دمشق أرسل حديثا فذكره عبدان في الصحابة قال بن أبي حاتم والبخاري والدار قطني وابن حبان: "أحاديثه مراسيل". انظر الإصابة لابن حجر ٢٠٨/٢.

(٢) رواه عبد الرزاق مصنفه ٦١/٦ والبيهقي في شعب الإيمان ١٥٠/٦ قال: "أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو عبد الله الصنعاني، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عمن سمع حرام بن معاوية. . . الأثر". قال الحافظ ابن كثير: "إسناده جيد" انظر مسند الفاروق ٤٩٢/٢.

(٣) الاختصاء: من الخصي والخصية، من أعضاء التناسل وهاتان خصيتان وخصيان، والجمع: خصى. يقال: خصاه خصاء: أي: سل خُصييه فهو خَصِي ومَخصي. انظر القاموس المحيط ص ١٢٧٩. وقد جاء في السنة النهي عن الخصاء فعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: جاء شاب إلى رسول الله ﷺ فقال: أتأذن لي في الخصاء؟ فقال: صم، وسل الله من فضله. رواه أحمد في مسنده ٢٨٣/٢٣ قال محقق المسند الشيخ شعيب الأرنؤوط: "صحيح لغيره". قال الحافظ ابن حجر: "الحكمة في منعهم من الاختصاء إرادة تكثير النسل ليستمر جهاد الكفّار وإلا لو أذن في ذلك لأوشك تواردهم عليه فينقطع النسل فيقل المسلمون بانقطاعه ويكثر الكفّار فهو خلاف المقصود من البعثة المحمدية". انظر فتح الباري ١١٨/٩.

(٤) رواه أبو عبيد في كتاب الأموال ص ١٢٣ قال: "حدثني أبو الأسود عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير. . . الأثر". وذكره ابن القيم في أحكام أهل الذمة ١١٨٠/٣.

ولا شكّ أن في منع المشركين من إظهار شعائر دينهم محاربة للشرك ومحافظة للمسلمين من التأثر بعباداتهم، فجهود عمر بن الخطاب في منع المشركين من إظهار شعائر دينهم فيها امتثال لقول رسول الله ﷺ: "لا يجتمع دينان في جزيرة العرب"[١]. أي: لا تُقام شعائر الكفر في جزيرة العرب، قالت اللجنة الدائمة: "أجمع العلماء على تحريم بناء المعابد الكفرية مثل: الكنائس في بلاد المسلمين وأنه لا يجوز اجتماع قبلتين في بلد واحد من بلاد الإسلام، وأن لا يكون فيها شيء من شعائر الكفّار لا كنائس ولا غيرها، وأجمعوا على وجوب هدم الكنائس[٢] وغيرها من المعابد الكفرية إذا أحدثت في أرض الإسلام، ولا تجوز معارضة ولي الأمر في هدمها، بل تجب طاعته، وأجمع العلماء رحمهم الله تعالى على أن بناء المعابد الكفرية ومنها الكنائس في جزيرة العرب أشدّ إثماً وأعظم جرماً للأحاديث الصحيحة الصريحة بخصوص النهي عن اجتماع دينين في جزيرة العرب"[٣].

---

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ ٢٩٢/٨.

(٢) انظر فتاوى السبكي ٣٧٢/٢ وحكم بناء الكنائس والمعابد الشركية في بلاد المسلمين لإسماعيل الأنصاري ص ٤٩.

(٣) مجموع الفتاوى للجنة الدائمة (المجموعة الثانية) ٤٧٩/١.

المطلب الثالث: أثر ذلك على الأمة.

تعدّ هذه الجهود المباركة من أعظم حسنات الخلفاء الراشدين ﵃ ومن أجمل مناقبهم ومن أجل أعمالهم في نصرة الدين وخدمة أهله، ولا شكّ أن لجهود الخلفاء الراشدين ﵃ آثاراً بليغة على الأمة الإسلامية، أعظمها ما يلي:

١/ بيان للأمة وجوب إخراج المشركين(١) من جزيرة العرب، فوضّح الخلفاء الراشدون ﵃ للمسلمين أنه لا يجوز أن يمكَّن المشركون من الاستيطان في جزيرة العرب لما لها من الخصائص الشريفة والمنزلة السامية التي تقتضي منع عبّاد الأوثان والصليب والطواغيت من الإقامة فيها، فيجب تعظيم هذه البقعة وإجلالها بتطهيرها من نجاسة الشرك والكفر.

٢/ صيانة الأمة من معاشرة المشركين وحفظ جزيرة العرب من فشو الشرك والكفر فيها، لأن تمكين المشركين من سكنى الجزيرة مدعاة كبيرة للتأثر بهم عقيدة وعبادة وخلقاً، فلا شكّ أن مخالطة أهل التوحيد المشركين سبب للتشبه بهم وجلب موالاتهم ومودتهم التي نهى الله عنها قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]، وقال الله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ ﴾[المجادلة: ٢٢].

فالحاصل أن في مخالطة المشركين مفاسد دينية عظيمة وفتح الباب لافتتان المسلمين بهم والتأثر بما هم عليه من الكفر والشرك والفسق مما يترتّب على ذلك انحراف وإضلال المسلمين ونشر الفساد في المجتمع الإسلامي وغير ذلك من المفاسد الدينية، وهذا كلّه لا يليق بمكانة هذه الأرض المباركة وسكّانها.

---

(١) معنى إخراج المشركين من جزيرة العرب يشمل أمرين:

- منع المشركين من الاستيطان والقرار في الجزيرة.
- منع المشركين من إظهار شعائر دينهم.

انظر خصائص جزيرة العرب للشيخ بكر بو زيد ص ٣٥ وفتوى الشيخ الفوزان من كتاب فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة ص ٣٧٣.

٣/ تعليم الأمة وجوب منع المشركين من إظهار شعائر دينهم كمنع عمر بن الخطاب ﷺ النصارى بناء كنائس أو دير أو قلاية أو صومعة أو تجديد ما خرب منها، ومنعهم من رفع الصليب والضرب بالناقوس وإظهار الشرك وأعيادهم.

وقد كان لمنع عمر المشركين من إظهار شعائر دينهم أثر بليغ في نفوس علماء الأمة وولاة أمورها الذين جاؤوا من بعده، فقد نهجوا منهج عمر ﷺ وساروا على طريقته في معاملة المشركين:

- فعن عكرمة مولى بن عباس قال: "سئل بن عباس ﷺ هل للمشركين أن يتخذوا الكنائس في أرض العرب؟ فقال بن عباس: أما ما مصر المسلمون فلا ترفع فيه كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار ولا صليب ولا ينفخ فيه بوق ولا يضرب فيه ناقوس، ولا يدخل فيه خمر ولا خنزير، وما كان من أرض صولحت صلحاً فعلى المسلمين أن يَفوا لهم بصلحهم"(١).

- وعن الحسن البصري أنه قال: "من السنة أن تهدم الكنائس التي بالأمصار القديمة والحديثة"(٢).

- وعن وهب بن نافع(٣) قال: "كتب عمر بن عبد العزيز إلى عروة بن محمد(٤) أن يهدم الكنائس التي في أمصار المسلمين، قال فشهدت عروة بن محمد ركب حتى وقف عليها ثم دعاني فشهدت على كتاب عمر وهدم عروة إيّاها فهدمها"(٥).

- وكذلك هارون الرشيد(٦) في خلافته أمر بهدم ما كان في سواد بغداد، وكذلك

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٦/٦٠.

(٢) المصدر نفسه ٦/٦٠.

(٣) وهب بن نافع الصنعاني، عم عبد الرزاق بن همام. انظر الثقات لابن حبان ٧/٥٥٦.

(٤) عروة بن محمد بن عطية بن عروة من بنى سعد بن بكر، كان من خيار الناس ولي اليمن عشرين سنة. انظر المصدر نفسه ٧/٢٨٧.

(٥) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٦/٥٩.

(٦) الرشيد الخليفة، أبو جعفر هارون، بن المهدي محمد بن المنصور، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، وأشهرهم. ولد بالري، لما كان أبوه أميرا عليها وعلى خراسان. ونشأ في دار الخلافة ببغداد، وكان من أنبل الخلفاء، وأحشم الملوك، ذا حج وجهاد، وغزو وشجاعة، ورأي. توفي ١٩٣هـ. انظر السير للذهبي ٩/٢٨٦.

المتوكّل(١) لما ألزم أهل الكتاب بشروط عمر استفتى علماء وقته في هدم الكنائس والبيع فأجابوه فبعث بأجوبتهم إلى الإمام أحمد فأجابه بهدم كنائس سواد العراق(٢).

- وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: "أما في الجزيرة العربية فالواجب أن يُمنعوا من دخولها، وأن لا يُبقوا فيها، لأن الرسول ﷺ نهى عن بقائهم فيها وأمر أن لا يبقى فيها إلا الإسلام، وأن لا يجتمع فيها دينان، وأمر بإخراج اليهود والنصارى وغيرهم من الجزيرة، فلا يدخلوها إلا لحاجة عارضة ثم يخرجون، كما أذن عمر للتجّار أن يدخلوا في مُدد محدّدة ثم يرجعوا إلى بلادهم، وكما أقرّ النبيّ ﷺ اليهود على العمل في خيبر لما احتيج إليهم ثم أجلاهم عمر رضي الله عنه.

فالحاصل أن الجزيرة العربية لا يجوز أن يقر فيها دينان، لأنها معقل الإسلام ومنبع الإسلام فلا يجوز أن يقر فيها المشركون إلا بصفة مؤقتة لحاجة يراها ولي الأمر، كما فعل عمر في التجار، وكما فعل النبيّ ﷺ مع أهل خيبر حتى استغنى عنهم المسلمون فأجلاهم عمر رضي الله عنه"(٣).

٤/ توضيح للأمة المراد من جزيرة العرب في قول الرسول ﷺ: "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب"، لقد كان لإجلاء عمر اليهود إلى تيماء وأريحا أثر بليغ في الاستدلال ومن ذلك تحديد المراد من جزيرة العرب في حديث النبيّ ﷺ.

وقد اختلف أهل العلم في تحديد المراد بجزيرة العرب إلا أنهم متفقون على أنها ليست هي جزيرة العرب التي في اصطلاح الجغرافيين(٤) كما فهمه أهل الغلو(١)، وإنما المراد بجزيرة

---

(١) المتوكل على الله الخليفة، أبو الفضل، جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد هارون بن المهدي بن المنصور، القرشي العباسي البغدادي. ولد سنة ٢٠٥هـ. استخلف المتوكل، فأظهر السنة، وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة، وبسط السنة، ونصر أهلها، وكان جوادا ممدحا محبا للعمران. انظر المصدر نفسه ٣١/١٢.

(٢) انظر جواب شيخ الإسلام لما سئل عن أمر الكنائس، أورده الإمام ابن القيم في كتابه أحكام أهل الذمة ١١٩٤/٣.

(٣) مجموع الفتاوى ٤٥٠/٢.

(٤) انظر شرح صحيح مسلم للنووي ٩٥/١١.

العرب: بعضها، قال النووي رحمه الله معلّقاً على إجلاء عمر اليهود إلى تيماء وأريحا: "وفي هذا دليل على أن مراد النبيّ ﷺ بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب إخراجهم من بعضها وهو الحجاز خاصة لأن تيماء من جزيرة العرب لكنها ليست من الحجاز والله أعلم"(٢).

وقال رحمه الله: "ولكن الشافعي خصّ هذا الحكم(٣) ببعض جزيرة العرب وهو الحجاز وهو عنده مكة والمدينة واليمامة وأعمالها دون اليمن وغيره مما هو من جزيرة العرب"(٤).

وقد حكى الحافظ ابن حجر رحمه الله أن ما ذهب إليه الإمام الشافعي من تحديد هو قول الجمهور فقال: "الذي يمنع المشركون من سكناه منها الحجاز خاصة وهو مكة والمدينة واليمامة وما والاها لا فيما سوى ذلك مما يطلق عليه اسم جزيرة العرب لاتفاق الجميع على أن اليمن لا يمنعون منها مع أنها من جملة جزيرة العرب هذا مذهب الجمهور"(٥).

٥/ تعليم الأمة بعض الضوابط في معاملة المشركين، فيستفاد من جهود عمر رضي الله عنه في معاملة المشركين أن ترددهم ومرورهم أو إقامتهم في الجزيرة بعض الأيام للمصلحة وقضاء حاجاتهم مثل سماع القرآن أو التسوق وبيع السلعة وعقود الصناعة أو استفاء الدين وغير ذلك من المصالح العائدة على المسلمين، كل ذلك لا يدخل في الأمر بإخراج المشركين من جزيرة العرب قال النووي رحمه الله: "قال العلماء ولا يمنع الكفّار من التردد مسافرين في الحجاز، ولا يمكّنون من الإقامة فيه أكثر من ثلاثة أيام، قال الشافعي وموافقوه إلا مكة وحرمها فلا يجوز تمكين كافر من دخوله بحال، فإن دخله في خفية وجب إخراجه، فإن مات ودفن فيه نُبش وأُخرج ما لم يتغير، هذا مذهب الشافعي وجماهير الفقهاء"(٦).

---

(١) سيأتي الكلام عليهم إن شاء الله.

(٢) شرح صحيح مسلم ٤٥٧/١٠.

(٣) أي: إخراج المشركين من جزيرة العرب.

(٤) المصدر نفسه ٩٥/١١.

(٥) فتح الباري ١٧١/٦.

(٦) شرح صحيح مسلم ٩٥/١١.

وقال الشيخ بكر بو زيد رحمه الله: "وليس للكافر المرور والإقامة المؤقتة بها إلا لعدة ليال لمصلحة كاستيفاء دين، وبيع بضاعة ونحوهما"(١).

٦/ في هذه الجهود المباركة وما دلت عليه إبطال لشبهة يروّجها أهل الغلو في المسلمين، ألا وهي القول بأن الحكّام أدخلوا المشركين في جزيرة العرب وقد أمر النبيّ ﷺ بإخراجهم، فاتخذوا هؤلاء حديث النبيّ ﷺ سبيلاً للطعن في الحكّام والخروج عليهم والدعوة إلى إسقاط أحقيتهم في الحكم والتعدي على صلاحياتهم حتى وصل الأمر إلى قتل المستأمنين والمعاهدين بغير حق، بل كان المسلمون من ضحاياهم، فخوارج هذا العصر ومن سار على منهجهم جهلوا أن المراد -في الحديث- بجزيرة العرب: أي: بعضها وليس كلّها(٢)، ولم يفهموا أن المقصود بإخراج المشركين من جزيرة العرب هو منعهم من الاستيطان فيها وإظهار شعائر دينهم، لا الإقامة المؤقتة بما تدعو الحاجة وفقاً للضوابط الشرعية كما دلت على ذلك جهود الخلفاء الراشدين ﷺ، فالخوارج لم يفقهوا النصوص الشرعية ولم يرجعوا إلى فهم السلف الصالح كالخلفاء الراشدين وبقية الصحابة ﷺ فضلّوا وأضلّوا.

ثم يُقال أنه لو فرضنا أن هناك مشركاً دخل خفية أو أُدخل خطأ أو بلا حاجة أو دخل بإذن ثم ظهر منه مخالفة، فليس لكل أحد أن يقوم بإخراجه أو يتعدّى عليه، وإنما السبيل أن يُرفع الأمر إلى الحاكم، وإذا حصل تقصير من وليّ الأمر، فالواجب نصحه وتوجيهه بالطرق الشرعية لا بإيثار الفتن أو القتل أو الخروج على الدولة(٣).

وبهذا يظهر جلياً أن الخلفاء الراشدين ﷺ حققوا حماية التوحيد في إجلاء المشركين من جزيرة العرب ومنعهم من إظهار شعائر دينهم في البلاد الإسلامية خصوصاً عاصمة الإسلام ومهبط الوحي.

---

(١) خصائص جزيرة العرب لبكر بو زيد ص ١٧.

(٢) سبق بيان ذلك ص ٧٠٧.

(٣) انظر مجموع الفتاوى لابن باز ٨/٢٣٩ وكتاب وجادلهم بالتي هي أحسن لبندر بن نايف العتيبي ص ٣٥.

الخاتمة

وتتضمن أهم النتائج

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، أشكر الله ﷻ على توفيقه لي في إنجاز هذا البحث وعونه لي على إتمامه، فلا حول ولا قوة إلا بالله سبحانه وتعالى، وأختم بحثي هذا بعرض أهم النتائج التي توصلت إليها باقتضاب، وذلك على النقاط التالية:

١- يجب على المسلم العناية بأمر التوحيد لأنه هو أصل الدين وأساسه، فهو أعظم المقاصد وأجل الغايات وأسمى الأهداف، وأكبر المطالب إذْ خلق الله الخلق وأوجدهم وأرسل الرسل وأنزل الكتب لتحقيق العبادة له وحده لا شريك له، ومن هنا يتعيّن على كل مسلم دراسة مسائل التوحيد وعدم التفريط في هذا الأمر العظيم، فحياة المسلم كلّها تابعة له، حركاته وسكونه، عليه تتوقف سعادته في الدارين. فحاجته لهذا الأمر أعظم من حاجته إلى الأكل والشرب، فلا يمكن أن يستغني عنه.

٢- إن الشرك بالله هو أعظم ما يجب أن يخاف العبد منه لأنه ذنب ينقض التوحيد، ولهذا كان أظلم الظلم، وأقبح القبائح، وأنكر المنكرات، وأبغض الأشياء إلى الله تعالى، فهو خطير على العبد أشدّ الخطورات لما يترتب على هذا الذنب من آثار سيئة ومفاسد عظيمة وعقوبات شديدة في حياته الدنيوية والأخروية.

٣- من خلال هذا البحث تأكّد بطلان دعوة العلمانيين الذين يدعون إلى فصل الدين عن الدولة، يريدون إقامة الحياة على غير الدين في جميع مجالاتها: السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الجهات، لأنهم يزعمون أن الإسلام سبب تأخر بلاد المسلمين وأن الشريعة الإسلامية لا تصلح لتنظيم الدولة، ولا شكّ أن هذه الدعوة فاسدة، فاشلة، ومن أكبر البراهين في التاريخ على بطلان الدعوة العلمانية عصر الخلفاء الراشدين ﭫ وما كتب الله لهم من التمكين والعز في الأرض بسبب تطبيق الدين والتمسّك بشريعة الإسلام، فتح الله لهم الآفاق، فكانوا رعاة الغنام فأصبحوا قادة الشعوب وساسة الأمم، فجمعوا بين الدين والدنيا، فالخلفاء الراشدون ﭫ وما قاموا به من الأعمال في مختلف المجالات دليل واضح على أن الإسلام دين يجمع بين العقيدة والشريعة والسلوك والمعاملة وشؤون الدولة،

فهو دين شامل، وضع نظاماً كاملاً ومحدداً لكل شأن من شؤون الحياة، ولهذا لم يفصل الخلفاء الراشدون ﷺ بين الدين ومجالات الحياة مهما كانت.

٤- إن من أعظم أهداف الدولة الإسلامية ومن أكبر واجبات الحكّام الدعوة إلى التوحيد وحمايته ومحاربة الشرك ومقاومة الطواغيت من السحرة والكهّان وغيرهم من المشركين كما سنّه لنا الخلفاء الراشدون ﷺ، وقد امتثلت المملكة العربية السعودية بهذا الأمر على أفضل وجه، فنصر الله بها الدين والتوحيد والسنة.

٥- يجب على المسلم التمسّك بهدي النبيّ ﷺ والتأسي به في الأقوال والاعتقادات والأفعال، فالخير كله في اتباع السنة، والسير على ما كان عليه ﷺ في العبادات والمعاملات، وقد كان الخلفاء الراشدون ﷺ وسائر الصحابة من أشدّ الناس تمسّكاً بهدي النبيّ ﷺ ومنهجه القويم.

٦- إن طاعة الله ورسوله ﷺ والتحاكم إليهما من أعظم أصول هذا الدين ومن أوجب الواجبات، فلا يمكن أن تتحقق الشهادتان إلا بهذا الأساس، وتندرج تحت هذا الأمر لوازم ومقتضيات منها: وجوب الرجوع إلى كتاب الله وسنة الرسول ﷺ والتمسّك بهما في جميع القضايات، عند الاختلاف والمنازعات بين الجماعات والأفراد، وتقديم النقل على العقل، وألا تكون طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فلا يطاع العلماء ولا الأمراء في تحريم الحلال وتحليل الحرام، فهذا هو المسلك الربّاني والمنهج القويم لتحقيق طاعة الله ورسوله ﷺ والتحاكم إليهما.

٧- في جهود الخلفاء الراشدين ﷺ برهان قاطع على سلامة عقيدة الصحابة وبراءتهم من الدعوات الشركية كتتبع آثار الأنبياء والتبرّك بالأماكن من غير دليل والغلو في الصالحين واتخاذ القبور مساجد، فظهر جليّاً من خلال هذا البحث أن الصحابة أبعد الناس عن هذه الأعمال الشركية.

٨- جهود الخلفاء الراشدين ﷺ في حماية جناب التوحيد منهج قويم مستمد من فقه عظيم لرسالة الإسلام ومقاصدها ومعرفة المصالح والمفاسد والذرائع المفضية إلى الشرك، فمنهجهم في حماية الدين ليس صادراً عن مجرد رأي، وإنما هو مستقى من قواعد الشرع الحكيم ومن المسلك النبوي في محاربة الشرك ووسائله والتحذير من التنطع والغلو، وهذا كله

يدل على منزلتهم العلمية السامية وقوة فهمهم للنصوص الشرعية مما يؤكّد على أهمية التمسّك بسنة الخلفاء الراشدين ﷺ والسير على ما كانوا عليه.

٩- إن ضعف المسلمين اليوم ليس راجعاً إلى الإسلام، وإنما راجع لتفريط المسلمين في الدين والبعد عنه وعدم تطبيقهم للشريعة الإسلامية والتمسّك بما كان عليه النبيّ ﷺ، فالمسلمون اليوم حُرموا التمكين والنصر بما قدّمت أيديهم وما هم واقعون فيه من الشرك والبدع ومعصية الرسول ﷺ، فالواجب على الأمة الإسلامية العودة إلى الدين، بأن يتمسّكوا بالكتاب والسنة، وأن يعتقدوا أن النصر من الله، يوالوا في الله ويعادوا فيه، ولا يعجبوا بأهل الكفر ولا يقلّدوهم، فمتى حققوا التوحيد واقتدوا بنبيّهم ﷺ كتب الله لهم النصر على الأعداء والرفعة والتمكين في الأرض، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أوّلها، فإذا ابتغى المسلمون العزة والنصر بما ابتغاهما سلفهم الصالح وسلكوا طريقتهم كشف الله عنهم ضرهم إن شاء الله.

١٠- إن أولياء الله لهم كرامات حقيقية، يُكرمها الله على عباده المؤمنين، وهي أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد ولي من أوليائه تأييداً له أو إعانة أو تثبيتاً أو نصراً للدين، وسببها الإيمان والتقوى. والكرمات هي آية من آيات الله على كمال ربوبية الله.

١١- إن العبادات مبناها على التوقيف، فلا دين إلا ما شرعه الله ورسوله ﷺ، فكل عبادة لم يأت بها النبيّ ﷺ ولم يعلّمها للأمة لا يسوغ لأحد أن يتعبّد بها.

١٢- إن الهداية والإضلال من قدر الله، فهو الله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء من عباده بتوفيقه وإعانته، ويضلّ من يشاء منهم بحكمته وعدله لا بظلم.

١٣- على المسلم أن يدافع القدر بالقدر حسب ما أمكان وألّا يستسلم لقدر الله بحيث يتخذ الأسباب المشروعة مع كمال توكّله على الله، فلا يجوز الاتكال على أقدار الله.

١٤- بطلان الاحتجاج بالقدر على المعاصي، فلا يجوز الإقدام على الذنوب والفعل المخالف للشرع بحجة أن جميع الخلق صائرون إلى القدر وأنه لا يخرج شيء عنه.

١٥- إن من مقتضى الإيمان بالقدر وجوب الإمساك عن الخوض بالباطل في القدر، فلا يجوز التنقير في القدر والدخول في تفاصيله والسؤال عن كيفيته، بل يجب على المسلم

التوقّف عن الخوض فيه، لأن القدر سر من أسرار الله، فلا سبيل للعبد ولا مجال له لمعرفته عن طريق العقل والتفكّر والقياس.

١٦- أن أسماء الله ليست أعلاماً محضة وألفاظاً مجردة، لا تتضمن معاني ولا تدل على صفات قائمة بالربّ، فهذا خلاف ما فهمه الصحابة، بل أسماء الربّ تبارك وتعالى دالة على صفات كماله، فهي أسماء وأوصاف، وبذلك كانت حسنى، إذ لو كانت ألفاظاً لا معاني فيها لم تكن حسنى ولا كانت دالة على مدح ولا كمال.

١٧- من أعظم الأصول والقواعد في باب توحيد الأسماء والصفات عدم السؤال عن كيفية صفات الله والخوض فيها، فلا يجوز البحث عن كنه ذات الربّ وصفاته لأنه لا يمكن للإنسان الوصول إلى معرفة كيفية صفات الله ولا حاجة له إلى ذلك إذ لم يطق هذا الأمر ولم يُكلَّف به.

١٨- وجوب الاعتقاد أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن المراد بالقرآن هو جميع صوره وآياته وكلماته وألفاظه وحروفه ومعانيه، كل ذلك داخل في مسمى القرآن، ومن هنا يجب تعظيم كتاب الله وإجلاله والعمل به.

١٩- إن من أعظم أسباب الضلال والانحراف اتباع المتشابه من القرآن وترك المحكم ابتغاء الفتنة، والتنطّع والتكلّف وكثرة السؤال والبحث عن ما لا حاجة إليه، وتأويل القرآن بلا علم.

٢٠- إن للدعاء منزلة عظيمة وأهمية كبيرة في الدين، فهو من أجل العبادات وأعظم القربات التي شرعها الله لعباده، فهو صميم الاعتقاد وتوحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ودليل على علاقة العبد القوية بالله، وعنوان التذلل والخضوع والانكسار بين يدي الربّ، وإظهار الافتقار إليه، وعلى هذا فلا يجوز صرف الدعاء لغير الله كدعاء الأموات وغيرهم من المخلوقات.

٢١- إن الابتداع في الدين وعدم التمسّك بالسنة النبوية باب من أبواب الضلال ووسيلة من وسائل الشرك ولهذا يجب الحذر من ذلك والابتعاد عنه.

٢٢- إن التوسّل الشرعي ثلاثة أنواع: التوسّل بأسماء الله وصفاته والتوسّل بالأعمال الصالحات والتوسّل بدعاء الصالحين الأحياء، فهذه هي الطرق المشروعة التي يتقرب بها إلى الله، أما غير ذلك فلا يشرع التوسّل به.

٢٣- إن الرقى أقسام: منها ما هي جائزة وهي التي تكون وفقاً للشرع، ومنها ما هي بدعية محرّمة كالرقى الشركية.

٢٤- إن الرياء خطير على العبد وآثاره سيئة على المسلم، فهو من أعظم الأمور التي تتنافى بالإخلاص وتضاد التوحيد، فلا يجوز أن يُعمل لحظ النفس أو لحبّ المدح والثناء أو لطلب المنزلة والرفعة والجاه عند الخلق.

٢٥- إن لجميع العبادات شرطين أساسيَين لابد منهما لتكون الأعمال مقبولة عند الله، فكل الأوامر والنواهي والعبادات القولية والفعلية، والطاعات الظاهرة والباطنة كلّها مبنية على ركنين عظيمين وهما: الإخلاص والمتابعة.

٢٦- إن التوكّل الشرعي مبني على ركنين: الاعتماد على الله وحده بالقلب وأخذ الأسباب المشروعة، فلا يتم توكّل العبد إلا بهذين الركنين، وعلى هذا فالأخذ بالأسباب لا ينافي التوكّل.

٢٧- يجب على المسلم عبادة الله بالخوف والرجاء والمحبة، فعلى العبد أن يجمع بين الرغبة والرهبة في عباداته وألا يقنط من رحمة الله، ولا ييأس من روحه. فهذه المقامات الثلاثة أركان العبادة وركائز الإيمان، بكمالها يكمل التوحيد وبنقصانها ينقص التوحيد.

٢٨- إن السحر حقيقي، فهو عمل يؤثر في قلب المسحور أو بدنه بالمرض أو القتل أو بالإخلال بعقله وغير ذلك من الإضرار.

٢٩- إن التنجيم قسمان: الأوّل: علم التأثير، وهو الاعتقاد أن الكواكب فاعلة مختارة، تؤثر بنفسها في العالم السفلي أو هي سبب في الحوادث أو الاستدلال بها على الحوادث المستقبَلة، وهذا من ادّعاء علم الغيب.

أما القسم الثاني: هو علم التسيير، وهو أن يتعلّم منازل النجوم وحركاتها، لأجل أن يعلم القبلة، والأوقات، وما يصلح من الأوقات للزرع وما لا يصلح غير ذلك من المصالح الدنيوية.

٣٠- إن القول بأن جميع أنواع التمائم محرمة هو أصح الأقوال في هذه المسألة وذلك لوجوه:

- عموم النهي، فلم يرد دليل من الكتاب ولا من السنة يخصص نوعاً من التمائم بل جاء المنع دون تفصيل، لو كان هناك نوع من التمائم جائزاً لبيّنه النبيّ ﷺ.

-أن في منع تلك التمائم سد للذرائع المفضية إلى الشرك، لأن في القول بجواز تعليق هذه التمائم فتح الباب للتمائم المحرمة.

-القول بجواز هذه التمائم قد يترتب عليه مفسدة عظيمة وهي: امتهان القرآن، خصوصاً في تعليقها على الأولاد، لأنهم يدخلون بها في الأماكن القذرة أو دورات المياه، فوجب منعها تعظيماً لكتاب الله.

٣١- إن الغلو أصل لكل شر وهو من أعظم الوسائل المفضية إلى الشرك، فالزيادة على الحد المشروع أمر مذموم وخطير على المسلم في دينه، وقد أهلك الغلو أمماً من قبلنا، ولهذا يجب وجوباً شرعياً على كل مسلم ترك الغلو بجميع أنواعه وما يلحق به كالإطراء والتنطّع والتكلّف لما تؤدّي هذه الأمور إلى الخروج عن الصراط المستقيم، مع العلم أن النهي عن الغلو يشمل العقيدة والعبادة والمعاملة وسائر أمور الدين.

٣٢- إن رفع القبور بالتراب أو البناء أو الكتابة عليها أو تجصيصها أو إسراجها أو تزيينها بالألوان المزخرفة، كل ذلك من الأمور المفضية إلى الشرك، ولهذا تجب تسوية القبور.

٣٣- لا يجوز للمسلم التشبه بالمشركين ومشاركتهم في عاداتهم وعباداتهم وأعيادهم لأن ذلك يؤدّي إلى الشرك وموافقتهم في العمل والنية والقصد، فمخالفة المشركين من اليهود والنصارى وغيرهم من الكفّار أصل من أصول عقيدة التوحيد ومقصد من مقاصد الشرع الذي يجب تحقيقه.

٣٤- لا يجوز أن يمكَّن المشركون من الاستيطان في جزيرة العرب لما لها من الخصائص الشريفة والمنزلة السامية التي تقتضي منع عبّاد الأوثان والصليب والطواغيت من الإقامة فيها، فيجب تعظيم هذه البقاع وإجلالها بتطهيرها من نجاسة الشرك والكفر، مع العلم أن مخالطة أهل التوحيد المشركين سبب للتشبه بهم وجلب موالاتهم ومودتهم.

٣٥- يجب منع المشركين على اختلاف أصنافهم من إظهار شعائر دينهم في بلاد المسلمين، كمنع النصارى بناء كنائس أو دير أو قلاية أو صومعة أو تجديد ما خرب منها، ومنعهم من رفع الصليب والضرب بالناقوس وإظهار الشرك وأعيادهم.

٣٦- أن المقصود بإخراج المشركين من جزيرة العرب هو منعهم من الاستيطان فيها وإظهار شعائر دينهم، لا الإقامة المؤقتة بما تدعو الحاجة وفقاً الضوابط الشرعية.

هذه أهم النتائج التي انتهيت إليها في بحثي، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده لا شريك له، لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، وما كان فيه من خطأ أو تقصير فمنّي ومن الشيطان وأستغفر الله وأتوب إليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والحمد لله رب العالمين

.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
ٱنظُرۡنَا ﴾			
﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾	١٩٣	البقرة	٧٦
﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾	١٣٦	البقرة	٧٧-٨٠
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾	٢٥٥	البقرة	١٠٠-٢٩٤
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾	١٤٣	البقرة	١٦٨- ٥٧٩
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾	٢٠٢	البقرة	١٩٧
﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴾	١٠٧	البقرة	٢١٦
﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾]	٢١٣	البقرة	٢٥١
﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ ﴾	٢٥٥	البقرة	٢٦٦
﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾	٣١	البقرة	٢٧٦
﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا ﴾	٢٤٥	البقرة	٢٩٩
﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ ﴾	١٠٦	البقرة	٣١٧
﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا ﴾	٢٣٤	البقرة	٣٣٥
﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ	١٠٢	البقرة	٥٣٦
﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾	٢٥٣	البقرة	٣٦٧
﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ ﴾	٦١	البقرة	٣٧٨
﴿ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾	٢٣	البقرة	٣٧٨
﴿ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾	١١٢	البقرة	٤٤٤
﴿ قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾	٩٤	البقرة	٤٢٩

.

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾	١٩٧	البقرة	٤٥٢
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾	٢١٨	البقرة	٤٦٥
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾	١٨٦	البقرة	٣٨٥
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾	١٦٥	البقرة	٤٦٦
﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾	٢١٧	البقرة	٦٥٢
﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾	٢٤٥	البقرة	٢٩٧
﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾	١٦٠	آل عمران	٢١٦-٤٥٤
﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	١٠٥	آل عمران	٣٦٠
﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾	١٢٦	آل عمران	٢١٦
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	١١٠	آل عمران	١٥١-٦٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾	١٠٢	آل عمران	٣
﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾	١٦٤	آل عمران	٣٢
﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾	٥٣	آل عمران	٨٣
﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾	١٠٣	آل عمران	٥١٦
﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾	٦١	آل عمران	١٤٦
﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾	٣٠	آل عمران	١٩١
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾	٣١	آل عمران	٢٠٥- ٤٠٥

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	٢٠٠	آل عمران	٢١٩
﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	١٢٣	آل عمران	٢٢٤
﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾	٢٦	آل عمران	٢٢٦-٣٧٢
﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾	٨	آل عمران	٢٥٢
﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ ﴾	١٨١	آل عمران	٢٩٧
﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾	١٨٦	آل عمران	٢٩٧
﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾	٥٥	آل عمران	٣٠٧
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾	٧	آل عمران	٣٢٥
﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾	٤٧	آل عمران	٣٦٧
﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾	٣٨	آل عمران	٣٧٨
﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾	١٩٣	آل عمران	٤٠٥
﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾	١٧٥	آل عمران	٤٦٢
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾	١٤٤	آل عمران	٥٨٠
﴿ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ	٥٩-٦٠	آل عمران	٥٨٣
﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾	١٠٦	آل عمران	٦٥٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾	١٤٩	آل عمران	٦٥٢
﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ ﴾	١١٥	النساء	٤١٥

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾	٥٩	النساء	٣٦٠-٤٩٢-٥١٦-٥٢٦
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾	٦٠	النساء	٥٠١-٥١٧
﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾	٣٦	النساء	١٠٢-١٠٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾	١	النساء	٣
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾	١٥٠	النساء	٣٩
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ ﴾	٦٣	النساء	٥٨
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾	٤٨	النساء	١١٠
﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾	٦٩	النساء	١٢٨
﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ ﴾	١١٥	النساء	١٥٣-١٦٢
﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾	١٣٦	النساء	١٩٠
﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ ... ﴾	٩٥	النساء	٢٠٠
﴿ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴾ [	١٣٩	النساء	٢٢٦
﴿ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ ﴾	٨٨	النساء	٢٥١
﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ ﴾	١٦٦	النساء	٢٦٨
﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾	٨٠	النساء	٤١٠
﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ ﴾	٦٤	النساء	٤١٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾	٩٤	النساء	٦٦٧
﴿ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾	١٤٢	النساء	٤٣٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾	٧١	النساء	٤٤٩-٤٥٨

.

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾	٦٥	النساء	٤٩٣
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾	١٢٥	النساء	٤٤٤
﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾	٥١	النساء	٥٣٩
﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾	١٥٨	النساء	٢٢٨
﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾	١٠٥	النساء	٤٩١-٥٠٩
﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾	٧٩	النساء	٤٧٣
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ﴾	٥١	المائدة	٦٨٨-٧٠٩
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾	٣٥	المائدة	٤٠٤-٤١٠
﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾	٧٧	المائدة	٣٩-٥٨٢
﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ﴾	٥	المائدة	٨٣
﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾	٧٣	المائدة	٨٧
﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ ﴾	٩٧	المائدة	١٠٣
﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾	٧٢	المائدة	٣٩-١١١
﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾	٧٦	المائدة	٢٠١
﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾	٤١	المائدة	٨١
﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾	٦٤	المائدة	٢٦٤
﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾	٦٧	المائدة	٣٢٢
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ	١٠١	المائدة	٣٥٥

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
تَسُؤْكُمْ ﴾			
﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾	٥٣	المائدة	٣٩٣
﴿ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ ﴾	٨٩	المائدة	٤٠١
﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	٢٣	المائدة	٤٥٠-٤٥٧
﴿ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ ﴾	٢١	المائدة	٦٥٢
﴿ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾	٣	المائدة	٤٨٧
﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾	٤٤	المائدة	٤٩٢
﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾	٣١	المائدة	٦١٤
﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾	٧٩	المائدة	٥٥٣
﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾	١٧	المائدة	٥٨٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾	٩٠-٩١	المائدة	٦١٠
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٦٢-١٦٣	الأنعام	١٠٢-٤٧٩
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾	٨٢	الأنعام	٩٨-٤٦٩-٤٧٧
﴿ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾	٦٢	الأنعام	١١٧-١٩٧
﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	١٠٨	الانعام	٧٢-٧٤-٧٣
﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾	١٠٣	الانعام	١٠١-٥١٩
﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾	٨٨	الأنعام	١١١
﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾	٣٠	الأنعام	١١٧
﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ	٥٠	الأنعام	١٨٧

.

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾			
﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾	١٤٨	الأنعام	٢٤٤
﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ	١٦٥	الأنعام	٢٧٥
﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾	١٤٤	الانعام	٣٥٩
﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾	١٥٩	الأنعام	٣٦٠
﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾	٥٧	الانعام	٤٩٢
﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾	٢٣	الأنعام	٣٩٣
﴿ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا	٨٠-٨١	الأنعام	٤٦٣
﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾	٥٩	الأنعام	٢٣٤
﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾	٥٩	الانعام	٥٤٥
﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾	٩٧	الأنعام	٥٦٧
﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾	١٢٤	الأنعام	٦٧١
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ ﴾	٩٣	الانعام	٦٧٨
﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾	١١٤	الانعام	٢٦٥
﴿ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾	١٤٥	الانعام	٤٨٧
﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ﴾	١٣٨-١٤٠	الاعراف	٩٢
﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾	١٤٣	الاعراف	٣٠٧
﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾	٥٤	الأعراف	٣٢١
﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾	١٣٨	الاعراف	٢٢٦-٦٣٧
﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾	١٨٠	الاعراف	١٠١-٢٦٢ - ٢٦٣-٤٠٥
﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾	٥٧	الاعراف	٤١-١٧٩

.

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾	٧٣	الاعراف	٩٢
﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴾	١٨٨	الاعراف	٥٥٢
﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾	١٧٨	الأعراف	٢٤٠
﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾	١٧٩	الأعراف	٢٥٦
﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾	٣٣	الاعراف	٣٥٩-٢٦٣
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾	١٩٤	الأعراف	٣٧٨
﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾	٥٤	الاعراف	٥٥٨ -٤٩٢
﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾	٥٥	الأعراف	٣٨٠
﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾	١٩٩	الأعراف	٤٩٧
﴿ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ	١١٦	الأعراف	٥٣٤
﴿ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾	١٤٤	الأعراف	٦٧١
﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾	٦٠	الأنفال	٤٥٨-٤٤٩
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾	٢-٤	الانفال	٨١
﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾	٣٥	الأنفال	٦٨٣
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾	٣٠	التوبة	٥٩٩-٢٨٣
﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾	١٠٠	التوبة	١٥٢-١٥١-٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ ﴾	١١١	التوبة	٧٧
﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾	١٠٠	التوبة	١٥٢-٤
﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾	٤١	التوبة	٧٧

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	١٩	التوبة	١٤٧
﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾	٢٥	التوبة	٢٢٣
﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾	٥	التوبة	٢٨٨
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾	٦	التوبة	٣٢٠
﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾	١٢٨	التوبة	٣٣٣-٣٨
﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾	٣١	التوبة	٥٢٨
﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾	١٢	يونس	٣٨٩-١٩٩
﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	٦٢	يونس	٤٦٧-٣٥٥
﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾	٣١	يونس	١٧٨-٩٩
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾	١٠٥-١٠٤	يونس	١٠٧
﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾	١٤	يونس	١٢١
﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾	٦٢ – ٦٣	يونس	١٨٤
﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾	١٨	يونس	٣٥٥
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾	٢٦-٢٥	هود	٩٢
﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾	٥٢	هود	٥٦١-٤١٢
﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	١٨	هود	١٩٢

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
﴿ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾:	١٤	هود	٢٦٨
﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ﴾	٥٤-٥٥	هود	٤٦٣
﴿ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾	٥٢	هود	٥٦٧
﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي ﴾	٨٠	يوسف	٢٦٥-٤٩١
﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾	١٠٦	يوسف	١٠٠-١١٥
﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾	٣٧-٤٠	يوسف	٩١
﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾	٣٦ - ٤٠	يوسف	٥٦-٩٣
﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (١) إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾	١-٢	يوسف	٦٨٩
﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾	١٦	الرعد	٧٨
﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾	٧	إبراهيم	٢٣
﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾	٣٥	إبراهيم	٤٤٣
﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾	١٤	إبراهيم	٤٦٤
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	٩	الحجر	٣٣٥-٣٦٢
﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾	٨٥	الحجر	١٠٣
﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾	١٨	الحجر	٥٤٦
﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	٤٩	الحجر	٦٧١
﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾	٥١	الحجر	٦٧١
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾	٣٦	النحل	٦-٩٢-٤٤٢
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾	١٢٥	النحل	٥٣-٦٠
﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾	١٨	النحل	٤٤
﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾	٥٠	النحل	٢٢٨

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾	٣٥	النحل	٢٥٤
﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾	٦٠	النحل	٢٧١
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾	٤٤	النحل	٣٢٣
﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾	٣٨	النحل	٣٩٤
﴿مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾	١٢٨	النحل	٤٣٥
﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾	١٦	النحل	٥٥٧
﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾	٧٤	النحل	٢٧١
﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾	١٥-١٦	النحل	٥٦٧
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾	٢٣	الإسراء	١٠٢-٣٨٠
﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ﴾	٣٦	الاسراء	٣٥٩-٥١٤
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾	٥٧	الإسراء	٤٠٥-٤٧٣
﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾	٣٢	الإسراء	٧١
﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾	٩٠	الإسراء	١٨٧
﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾	٥٦	الإسراء	٢٠١
﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾	٨١	الإسراء	٦٠٩
﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾	٢٢	الاسراء	١٠٧
﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ﴾	١١٠	الكهف	٨٨-٩٣-٤٤٤
﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾	٤٨	الكهف	١١٧
﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾	٨	الكهف	١٨٣
﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾	٢١	الكهف	٦٣٠
﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى	٤١ — ٤٥	مريم	٥٨-٢٧١

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾	٥١-٥٢	الأنبياء	٦٠٥
﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾	٤٠-٤١	الحج	٦٥
﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ ﴾	١٩	الحج	١٤٦
﴿ وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ ﴾	٣٦	الحج	٤٨١
﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾	٧٥	الحج	٦٧١
﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴾	١١٥	المؤمنون	٩١
﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ ﴾	٤٠	الاحزاب	٦٧٦
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٥٥	النور	٩٨-١٢٦-٢٢١
﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾	٥٤	النور	٤٠٥
﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا ﴾	٥١	النور	٤٩٣
﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾	٧	الفرقان	١٨٧
﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ﴾	٢	الفرقان	١٧٩-٢٥٦
﴿ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ﴾	٢٤	الفرقان	٤٤٥
﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾	٧٢	الفرقان	٦٩٦
﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾	٩٧	الشعراء	٣٩٣
﴿ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴾	٥٧	الشعراء	١٨٣
﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	١٩٢-١٩٥	الشعراء	٣٢٢
﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾	١٠٥	الشعراء	٣٢٣
﴿ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾	٢٢٧	الشعراء	١٣٠-٥٥٢
﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ	٦٢	النمل	٣٨٧

.

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾			
﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾	٦٥	النمل	٥٤٥
﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ﴾	٣٠-٣١	القصص	٣٠٨-٣٢٠
﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾	٢١	القصص	٤٦٤
﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾	٤٦	العنكبوت	٥٣-٥٩
﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾	٣٠	العنكبوت	٢٢٤
﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾	٢	الروم	٣١٩-٣٤٧
﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٤٧	الروم	٢١٦
﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾	٣٤	لقمان	٥٤٥-٥٦٣
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ ﴾	٣٠	لقمان	٩٤
﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾	٢٨	لقمان	١٩٣
﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ	٧-٩	السجدة	٢٨٤-٥٩٩
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ﴾	٢٧	السجدة	٤٤-١٨٣
﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾	١٢	السجدة	١١٧
﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾	٥	السجدة	١٧٨
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾	٢١	الاحزاب	٥٠-٦٤٨
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾	٧٠-٧١	الأحزاب	٣
﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾	٤٥ – ٤٦	الأحزاب	٢٠٨
﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾	٣٨	الأحزاب	١٧٩-٢٣٣ - ٢٤٨

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ ﴾	٢٣	الأحزاب	٣٣٣
﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾	٦	الأحزاب	٥٣٠
﴿ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ ﴾	٥١	الأحزاب	٤٦٤
﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	٢٢	سبأ	٢٧١
﴿ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ ﴾	٢٣	سبأ	٥٤٦
﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾:	١٠	فاطر	٢٢٨-٢٦٨
﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾	٢٨	فاطر	٤٦٢
﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾	٨٢	يس	٢٣٥-٣٢١
﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا ﴾	٩	يس	٦٦
﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾	٩٦	الصافات	٢٤٥
﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴾	٦	الصافات	٥٦٦
﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٢٦	ص	٢٧٦-٤٩٣
﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾	٢٧	ص	٢٤٧
﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾	٦٥	الزمر	١١١-٤٤٥
﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾	٩	الزمر	١٤٣-٤٧٠
﴿ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	٣٨	الزمر	٣٧-٢٠٤-٥٦٩
﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ ﴾	٥	الزمر	١٧٩
﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾	٦٢	الزمر	٢٣٥
﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ ﴾	٣	الزمر	٤٣٠
﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾	١١	الزمر	٤٣١
﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾	٣٦	الزمر	٤٦٣
﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ	٥٣	الزمر	٤٧٢

.

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾			
﴿ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴾	١٢	غافر	٤٩١
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾	٦٠	غافر	٣٧٩-٣٨٩
﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ﴾	٦٥	غافر	٣٨٦
﴿ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ ﴾	١١	غافر	٥١٩
﴿ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾	١٧	غافر	١٩٧
﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾	٤٦	فصلت	٢٥٦
﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ	٣٧	فصلت	٥٥٨
﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ ﴾	١٢	فصلت	٢٣١
﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾	١١	الشورى	١٠١-٢٧٢
﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾	٢١	الشورى	٢٠٨
﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾	٣٠	الشورى	٤٧٣
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ ﴾	٨٤	الزخرف	٢٧٧
﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾	٥ – ٦	الأحقاف	٣٨٠
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾	١٣	الأحقاف	٤٦٨ - ٤٧٦
﴿ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾	٤	الأحقاف	٦٣٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾	٧	محمد	٢١٦
﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ	٣٥	محمد	٢١٧

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾	١٩	محمد	٢٦١
﴿ قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ ﴾	١٦	الفتح	١٢٦-٦٦٨
﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾	١٨	الفتح	١٥٢-٦٣٦
﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ ﴾	٦	الفتح	١١٠
﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ ﴾	٢٩	الفتح	١٥٣
﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾	٩	الفتح	٥٣٠
﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ ﴾	١٤	الحجرات	٨١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾:	٦	الحجرات	٦٦٨
﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾.	٥٦	الذاريات	٤-٩١-١٠٣-٦٠٦
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾	٥٨	الذاريات	٢٦٨
﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ﴾	١	الذاريات	٣٢٤
﴿ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ﴾	٢	الذاريات	٣٢٧
﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴾	٢٦	الطور	٤٦٤
﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾	١٩-٢٠	النجم	٦٠٩
﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾	٤٩	القمر	١٧٧-٢٣٣ - ٢٥٦
﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾	٦٠	الرحمن	٩٦
﴿ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴾	٢٩	الرحمن	٢٧٧
﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾	٤٦	الرحمن	٤٦٤
﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ﴾	٦٨ — ٦٩	الواقعة	٤٤
﴿ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	٨٠	الواقعة	٢٢٨
﴿ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ ﴾	١٠	الحديد	١٥٢
﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ ﴾	٢٠	الحديد	٢١٩

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
﴿ وَأَقْرَضُواْ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾	١٨	الحديد	٢٩٩
﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾	١٦	الحديد	٦٨١
﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾	٦	المجادلة	١٩١
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾	١٤	المجادلة	٤٠٠
﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾	٢٢	المجادلة	٧٠٩
﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾	٧	الحشر	٤٠٥-٦٣٣
﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾	٢٣	الحشر	١١٤
﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ﴾	٨-١٠	الحشر	١٥٥-١٥٦
﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾	١٠	الممتحنة	٦٩-٤٩١
﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾:	١٠	الجمعة	٤٥٣-٤٥٥-٤٥٨
﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴾	١١	الجمعة	٦١
﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٢	المنافقون	٤٠١
﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾	٧	التغابن	١٧٩
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾	١٢	الطلاق	١٠٣-٢٣٤
﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾	٣	الطلاق	٥٧٠
﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ﴾	٥	الطلاق	٣٢١
﴿ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾	٣	التحريم	٦٧١
﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾	٢	الملك	٩١-٤٤٤
﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾	٥	الملك	٥٤٦-٥٦٦

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾	١٤	الملك	٩١
﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴾	١٦	الملك	٢٢٨
﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾	١٥	الملك	٤٥٦
﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾	١٠	القلم	٤٠٠
﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾	٦-٧	الحاقة	٤١
﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ﴾	١٧	الحاقة	٤٦٤
﴿ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾	١٨	الحاقة	٥٠٥
﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾	٤	المعارج	٢٢٨
﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾	١٠ — ١٢	نوح	٤١٢-٥٦٧
﴿ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾	١١ — ١٢	نوح	١٨٣
﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾	١٣	نوح	٤٦٤
﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾	١٠ - ١١	نوح	٥٦١
﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ ﴾	٢٣	نوح	٥٧٨-٦٠٣
﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾	٩	الجن	٥٤٦-٥٦٧
﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾	١٨	الجن	٣٨٠
﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾	٢٦ — ٢٧	الجن	٥٥٨-٥٦٦
﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾	٣١	المدثر	٢٤٠
﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾	٥٦	المدثر	٣٧٠
﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾	٢٢-٢٣	القيامة	٥١٩
﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾	٢	الإنسان	٩١
﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾	٧	الإنسان	٤٦٤

الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾	٣ – ٤	الإخلاص	٢٩٥

فهرس الأحاديث

.

.

فهرس الآثار

.

فهرس الأعلام

.

فهرس الكلمات الغريبة

فهرس الفرق والطوائف

فهرس الأماكن والبلدان والقبائل

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- الإبانة عن أصول الديانة للإمام أبي الحسن الأشعري، تحقيق: صالح التميمي، دار الفضيلة الرياض ١٤٣٢هـ.
- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية للإمام عبيد الله بن بطة، تحقيق: عثمان الأثيوبي، يوسف الوابل، رضا معطي، حمد التويجري، دار الراية الرياض ١٤١٨هـ.
- ابن العثيمين الإمام الزاهد للشيخ ناصر الزهراني، دار ابن الجوزي الرياض ١٤٢٢هـ.
- ابن رجب الحنبلي وأثره في توضيح عقيدة السلف لعبد الله الغفيلي، دار المسير الرياض ١٤١٨هـ.
- الاتجهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها لجمعة الخولي، الجامعة الإسلامية بالمدينة ١٤٠٧هـ.
- إتحاف الخيرة المهرة لأحمد بن أبي بكر البوصيري، دار الوطن الرياض ١٤٢٠هـ.
- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، دار الثراث القاهرة.
- آثار البلاد وأخبار العباد لزكريا بن محمد القزويني، دار صادر بيروت.
- الأثر المشهور عن الإمام مالك في صفة الاستواء للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار ابن الأثير الرياض ١٤٢٣هـ.
- اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد الرياض ١٤٣١هـ.
- الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة لصالح الفوزان، دار المنهاج القاهرة ١٤٢٦هـ.
- الآحاد والمثاني لأبي بكر بن أبي عاصم، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية الرياض ١٤١١هـ.
- الأحكام السلطانية لأبي يعلى محمد بن الحسين البغدادي، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢١هـ.

- الأحكام السلطانية لعلي بن محمد المارودي، دار الكتاب العربي بيروت.
- أحكام القرآن لابن العربي، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٤هـ.
- أحكام أهل الذمة للإمام ابن القيم، دار رمادى الدمام ١٤١٨هـ.
- إحياء المقبور لأحمد بن محمد الغماري، مكتبة القاهرة ١٤٢٩هـ.
- إحياء علوم الدين للغزالي دار المعرفة بيروت ١٤٠٢هـ.
- أخبار المدينة عمر بن شبة، تحقيق: علي محمد دندل وياسين سعد الدين، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٧هـ.
- أخبار مكة لمحمد بن إسحاق الفاكهي، دار خضر بيروت ١٤١٤هـ.
- الإخلاص والنية لعبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، تحقيق: إياد خالد الطباع، دار البشائر ١٤١٣هـ.
- الآداب الشرعية لمحمد بن مفلح المقدسي، دار عالم الكتب بيروت.
- أدب الدنيا والدين لعلي بن محمد الماوردي، دار المنهاج جدة ١٤٣٤هـ.
- الأذكار للنووي، دار الفيحاء بدمشق ١٤٢٤هـ.
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٥هـ.
- إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء للدهلوي، دار القلم دمشق ١٤٣٤هـ.
- أساس البلاغة لمحمود الزمخشري، تحقيق: محمد السود دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٩هـ.
- الاستغاثة في الرد على البكري لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الله السهلي، مكتبة المنهاج الرياض ١٤٢٦هـ.
- الاستيعاب لابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجبل بيروت ١٤١٦هـ.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة لعلي بن أبي الكرم بن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ.
- أسس منهج السلف في الدعوة لفواز السحيمي، دار ابن عفّان القاهرة ١٤٢٣هـ.

- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الله التركي، القاهرة ١٤٢٩هـ.
- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة لنخبة من العلماء (الشيخ الدكتور صالح بن سعد السحيمي، والشيخ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، والشيخ الدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي)، وزارة الشؤون الإسلامية المدينة ١٤٢١هـ.
- أصول السنة للأمام أبي بكر الحميدي، دار الاستقامة القاهرة ١٤٣٠هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، دار الفكر بيروت، ١٤١٥هـ.
- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٢٦هـ.
- الاعتصام للإمام إبراهيم الشاطبي، مكتبة التوحيد المنامة ١٤٢١هـ.
- اعتقاد أهل السنة للحافظ أبي بكر الإسماعيلي، تحقيق: جمال عزون، مكتبة دار المنهاج الرياض ١٤٣١هـ.
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لمحمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢هـ.
- أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، مكتبة سوادي جدة ١٤١٨هـ.
- إعلام الموقعين للإمام ابن القيم، دار ابن الجوزي الدمام ١٤٢٣هـ.
- الأعلام لخير الدين بن محمود الزركلي دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٠م
- إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان للإمام ابن القيم، تحقيق: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد مكة ١٤٣٢هـ.
- اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: ناصر العقل، دار الفضيلة الرياض ١٤٢٤هـ.
- الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل لموسى بن أحمد الحجاوي، تحقيق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، دار المعرفة بيروت لبنان.

- الأم للشافعي، دار المعرفة بيروت ١٣٩٣هـ.
- الإمام المجدد العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني لعمر أبي بكر، بيت الأفكار الدولية.
- إمتاع الفضلاء بتراجم القرّاء لإلياس البرماوي، دار الندوة العالمية ١٤٢١هـ.
- أنباه الرواة لجمال الدين القفطي، دار الفكر العربي بيروت ١٤٢٠هـ.
- الانتصار ليحيي بن أبي الخير العمراني، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء البيان الرياض ١٤١٩هـ.
- الإنصاف في حقيقة الأولياء للشوكاني، تحقيق: الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن العبّاد، الجامعة الإسلامية بالمدينة ١٤٢١هـ.
- أهمية دراسة التوحيد للشيخ أ. د. محمد أبي سيف الجهني، المدينة ١٤٣١هـ. **ب**
- البداية والنهاية لابن كثير، دار إحياء التراث ١٤٠٨هـ.
- بدائع الفوائد للإمام ابن القيم، دار المعالي عمان ١٤٢٠هـ.
- البدع والنهي عنها لمحمد بن وضاح القرطبي، تحقيق: محمد أحمد دهمان، دار الصفا القاهرة ١٤١١هـ.
- البدعة ضوابطها وأثرها السيء في الأمة، علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الجامعة الإسلامية المدينة ١٤١٤هـ.
- البردة للبوصيري مكتبة صفا القاهرة.
- البريلوية عقائد وتاريخ لإحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة لاهور ١٤٠٣هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة ١٣٩٣هـ.
- بغية الطلب في تاريخ الحلب لابن العديم، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر بيروت.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس لأحمد بن يحيي الضبي، دار الكاتب العربي القاهرة ١٩٦٧م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، المكتبة العصرية صيدا.

- بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد لزَّبيدي، دار الهداية الكويت ١٤١٣هـ.
- تاريخ أبي زرعة الدمشقي، تحقيق: شكّر الله نعمة الله القوجاني، مجمع اللغة العربية دمشق.
- تاريخ أصبهان لأبي نعيم، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٠هـ.
- تاريخ الخلفاء الراشدين لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة مصر ١٣٧١هـ.
- تاريخ الخلفاء الراشدين لمحمد بن إبراهيم أبا الخيل، ١٤٢٧هـ.
- تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري، دار التراث بيروت ١٣٨٧هـ.
- التاريخ الكبير للإمام البخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد.
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٧هـ.
- تاريخ دمشق لعلي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر بيروت ١٤١٥هـ.
- تبصير الناسك في أحكام المناسك للشيخ عبد المحسن العبّاد، المدينة ١٤٣٣هـ.
- التبصير في الدين للإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب بيروت ١٤٠٣هـ.
- التبيان في آداب حملة القرآن ليحيى بن شرف النووي، تحقيق: محمد الحجار ١٤١٤هـ.
- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٣هـ.
- التحذير من تعظيم الآثار غير المشروعة للعلامة عبد المحسن العبّاد، دار الحديثة مصر ١٤٢٥هـ.
- تحرير الأحكام لابن جماعة، تحقيق: عبد الله العبيد، دار المنهاج الرياض ١٤٣٣هـ.
- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عشور، مؤسسة التاريخ العربي بيروت.

- تحريم النرد والشطرنج للآجري، طباعة إدارة البحوث العلمية الافتاء والدعوة والإرشاد ١٤٠٢هـ.
- تحفة الأحوذي للمباركفوري، دار إحياء التراث بيروت ١٤٣٠هـ.
- التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد السعوي، مكتبة العبيكان الرياض ١٤٢٤هـ.
- تذكرة الحفاظ للذهبي لمحمد بن أحمد، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٩هـ.
- تصحيح الدعاء للشيخ بكر بو زيد، دار العاصمة الرياض ١٤١٩هـ.
- تصحيح الفروع علي بن سليمان الماردوي (مع كتاب الفروع)، تحقيق: عبد الله التركي موسسة الرسالة بيروت ١٤٢٤هـ.
- تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد للإمام الشوكاني، اعتنى به الشيخ عبد المحسن العبّاد، المدينة ١٤٢٤هـ.
- التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية لبنان ١٤٠٣هـ.
- تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، دار المكتبة العصرية صيدا.
- تفسير القرآن الكريم للإمام السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، دار الوطن الرياض
- تفسير القرآن الكريم للحافظ ابن كثير، مؤسسة الريان.
- تفسير القرآن الكريم للعثيمين، دار ابن الجوزي الدمام ١٤٣١هـ.
- تفسير القرآن لمحمد بن إبراهيم بن المنذر، تحقيق: سعد بن محمد السعد، دار المآثر المدينة النبوية ١٤٢٣هـ.
- تكملة معجم المؤلفين لمحمد خير يوسف، دار ابن حزم بيروت لبنان ١٤١٨هـ.
- تلبيس إبليس لعبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية صيدا ١٤٢٤هـ.
- تلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٩هـ.
- التمهيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار التوحيد الرياض ١٤٢٣هـ.

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، مؤسسة القرطبة ١٤٠٦هـ.
- التنبيهات السنية على شرح العقيدة الواسطية للشيخ عبد العزيز الرشيد، دار الرشيد الرياض ١٤٢٥هـ.
- تهذيب التهذيب لابن حجر، مطبعة دائرة المعارف النظامية الهند ١٣٢٦هـ.
- تهذيب الكمال ليوسف بن الزكي المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٠هـ.
- تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت ٢٠٠١م.
- التوسّل أنواعه وأحكامه لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٦هـ.
- توضيح الأحكام للعلامة عبد الله البسام، مكتبة الأثري مكة ١٤٢٣هـ.
- التوكّل على الله لابن أبي الدنيا، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ١٤١٣هـ.
- تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ، دار ابن حزم بيروت ١٤٢٤هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن العسدي، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٢٢هـ.
- الثابتون على الإسلام أيام فتنة الردّة لمهدي رزق الله، دار طيبة الرياض ١٤١٧هـ.
- الثقات لمحمد بن حبان، تحقيق: السيد شرف الدين، دار الفكر بيروت ١٣٩٥هـ.
- جامع الآثار القولية والفعلية الصحيحة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب لعاطف بن عبد الوهاب حماد، دار الفضيلة الرياض ١٤٢٩هـ.
- جامع الأحاديث للسيوطى، طبع على نفقة حسن عباس زكى.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول للمبارك بن محمد بن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط مكتبة الحلواني ١٣٨٩هـ.

● جامع البيان للطبري، تخريج الأحاديث: الشيخ أحمد شاكر، دار بن جوزي القاهرة ١٤٣٠هـ.

● جامع العلوم والحكم لابن رجب، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، مؤسسة الأميرة العنود الرياض.

● جامع المسائل لابن تيمية، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد الرياض ١٤٣٢هـ.

● جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨هـ.

● الجامع لأحكام القرآن لمحمد القرطبي، تحقيق: ماهر حبوش، دار الرسالة العالمية دمشق ١٤٣٣هـ.

● الجامع لأخلاق الراوي الخطيب البغدادي، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٣هـ.

● الجرح والتعديل للإمام الحافظ لعبد الرحمن بن ابى حاتم، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٧١هـ.

● جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة لعلي بن سليمان العبيد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

● جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين لفهد بن عبد الرحمن الرومي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

● جمهرة أشعار العرب لمحمد بن أبي الخطاب، دار نهضة مصر.

● الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي للإمام ابن القيم، مؤسسة الأميرة العنود الرياض.

● حاشية السندي على سنن ابن ماجة، دار الجيل بيروت.

● حاشية السيوطي على سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب ١٤٠٦هـ.

● الحثّ على اتباع السنة والتحذير من البدع وبيان خطرها لعبد المحسن بن حمد العباد البدر، مطبعة سفير ١٤٢٥هـ.

- الحثّ على التجارة للإمام الخلال، دار العاصمة الرياض ١٤٠٧هـ.
- الحجة في بيان المحجة للإمام إسماعيل الأصبهاني، تحقيق: محمد المدخلي ومحمد بن محمود دار الراية الرياض ١٤١٩هـ.
- حسن المحاضرة للسيوطي، دار إحياء الكتب العربية مصر ١٣٨٧هـ.
- حق اليقين لعبد الله بن محمد الكاظفي الرافضي، مؤسسة الأعلمي بيروت ١٤١٨هـ.
- حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة لابن قدامة، تحقيق: عبد الله يوسف الجديع، مكتبة الرشد الرياض ١٤١٧هـ.
- الحكم الجديرة بالإذاعة لابن رجب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط دار المأمون دمشق ١٩٩٠م.
- حكم بناء الكنائس والمعابد الشركية في بلاد المسلمين للشيخ إسماعيل الأنصاري، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ١٤٢٦هـ.
- حكم تصوير ذوات الأرواح للشيخ مقبل بن هادي الوادعي، دار الآثار صنعاء ١٤٢٥هـ.
- الحكومة الإسلامية للخميني الرافضي.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي بيروت، ١٤٠٥هـ.
- الحوادث والبدع لمحمد بن الوليد الطرطوشى، تحقيق: علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي ١٤١٩هـ.
- خصائص جزيرة العرب للشيخ بكر بو زيد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة الرياض ١٤٢٠هـ.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر لمحمد أمين الحموي، دار صادر بيروت.
- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية لسعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف الرياض ١٤٢٧هـ.

- دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية لعبد السلام بن محسن آل عيسى، الجامعة الإسلامية المدينة ١٤٢٣هـ.
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية علماء النجد، جمع لعبد الرحمن بن قاسم ١٤٢٥هـ.
- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين محمد علي بن محمد الصديقي، دار المعرفة بيروت ١٤٢٥هـ.
- الديباج لابن فرحون، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث القاهرة.
- ديوان الراعي، درا فرنتس راينهرت فايبرت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقيّة بيروت ١٤٠١هـ.
- ذيل طبقات الحفاظ للسيوطي، دار الكتب العلمية.
- ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب، مكتبة العبيكان الرياض ١٤٢٥هـ.
- الربوبيّة للشيخ محمد بن عبد الرحمن الجهني، المدينة ١٤٣٣هـ.
- الرد على الأخنائي قاضي المالكية لابن تيمية، تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، المكتبة العصرية بيروت ١٤٢٣هـ.
- الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد، تحقيق: دغش العجمي، دار الإمام البخاري الدوحة ١٤٢٩هـ.
- رسالة في الدعوة إلى الله للشيخ العثيمين، دار الوطن الرياض ١٤٢٨هـ.
- رعاية العهود الوفاء بالعقود لما للا إله إلا الله من الشروط (شرح شروط لا إله إلا الله) لخالد الغامدي، دار أطلس الرياض ١٤٣١هـ.
- رفع الذل والصغار عن المفتونين بخلق الكفّار للشيخ عبد المالك بن أحمد رمضاني، المدينة ١٤٢٦هـ.
- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة للإمام ابن القيم، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٥هـ.
- روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة، دار الزاحم.

- الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة، شؤون الدينية وزارة التربية والتعليم.
- زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين بن عبد الرحمن بن الجوزي، دار الكتاب العربي بيروت ١٤٢٢هـ.
- زاد المعاد لابن القيم، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٢٥هـ.
- الزهد للإمام أبي داود، دار المشكّاة حلوان ١٤١٤هـ.
- الزهد لهناد بن السري، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت ١٤٠٦هـ.
- الزهد والرقائق لعبد الله بن المبارك، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية بيروت.
- السبيل إلى العز والتمكين للشيخ عبد المالك رمضاني، المدين ١٤٢٧هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف الرياض ١٤١٥هـ.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين، دار المعارف الرياض ١٤١٢هـ.
- سنن ابن ماجه القزويني مع حكم الشيخ الألباني على الأحاديث، مكتبة المعارف الرياض ١٤٢٩هـ.
- سنن أبي داود السجستاني مع حكم الشيخ الألباني على الأحاديث، مكتبة المعارف الرياض ١٤٢٧هـ.
- سنن الترمذي مع حكم الشيخ الألباني على الأحاديث، مكتبة المعارف الرياض ١٤٢٩هـ.
- سنن الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٢٤هـ.
- سنن الدارمي دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٧هـ.
- سنن الكبرى للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الباز مكة المكرمة ١٤١٤هـ.

- السنن الكبرى للنسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٢١هـ.
- سنن النسائي مع حكم الشيخ الألباني على الأحاديث، مكتبة المعارف الرياض ١٤٢٩هـ.
- سنن سعيد بن منصور، دار العصيمي الرياض ١٤١٤هـ.
- سؤالات أبي داود لأحمد، تحقيق: زياد منصور، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ١٤١٤هـ.
- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٢٢هـ.
- السيرة النبوية الصحيحة لأكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان الرياض ١٤٢٦هـ.
- السيرة لابن هشام، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل بيروت ١٤١١هـ.
- شأن الدعاء للخطابي، دار الثقافة العربية دمشق ١٤١٢هـ.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث القاهرة ١٤٠٠هـ.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام اللالكائي، تحقيق: أحمد الغامدي، دار الطيبة الرياض ١٤٢٣هـ.
- شرح الأربعين النووية للشيخ محمد العثيمين، دار الثريا عنيزة ١٤٢٤هـ.
- شرح الأربعين النووية للنووي، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٢هـ.
- شرح التلقين محمد بن علي المازري، تحقيق: محمَّد المختار السّلامي، دار الغرب الإسلامي بيروت ١٩٩٧م.
- شرح الزركشي على المختصر الخرقي لمحمد بن عبد الله الزركشي، دار العبيكان الرياض ١٤١٣هـ.
- شرح السنة للإمام البربهاري، تحقيق: خالد الردادي، دار السلف الرياض ١٤٢١هـ.
- شرح السنة للإمام البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤط، المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٣هـ.

- شرح الصدور بتحريم رفع القبور للإمام محمد الشوكاني، اعتنى به الشيخ عبد المحسن العباد، المدينة ١٤٢٤هـ.
- شرح العقيدة التدمرية للشيخ عبد الرحمن البراك، دار التدمرية الرياض ١٤٣٢هـ.
- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، تحقيق: شعيب الأناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٢٤هـ
- شرح العقيدة الواسطية للشيخ العثيمين، دار ابن الجوزي الدمام ١٤٢٣هـ.
- شرح العقيدة الواسطية للشيخ لصالح بن فوزان الفوزان، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض ١٤٢٢هـ.
- الشرح الكبير لابن قدامة، دار الكتاب العربي بيروت.
- شرح الموطأ لمحمد الزرقاني، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١هـ.
- شرح تنقيح الفصول للقرافي، الفنية المتحدة ١٣٩٣هـ.
- شرح رياض الصالحين لمحمد العثيمين، دار البصيرة الإسكندرية.
- شرح صحيح البخارى علي بن خلف بن بطال، دار الرشد الرياض ١٤٢٠هـ.
- شرح صحيح مسلم للنووي، دار المعرفة ١٤٢٣هـ.
- شرح عمدة الفقه لابن تيمية، تحقيق: خالد بن علي بن محمد المشيقح، دار العاصمة الرياض ١٤١٨هـ.
- شرح كشف الشبهات للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار الحجاز الإسكندرية ١٤٣٣هـ.
- شرح كشف الشبهات لمحمد بن إبراهيم آل الشيخ، ١٤٢٨هـ.
- شرح معاني الآثار أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق: محمد زهري النجار ومحمد سيد جاد الحق، عالم الكتب ١٤١٤هـ.
- الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة للإمام عبيد الله بن بطة، تحقيق: عادل آل حمدان، دار الأمر الأول الرياض ١٤٣٢هـ.
- الشريعة للإمام محمد الآجري، تحقيق: عبد الله الديمجي، دار الوطن الرياض ١٤٣٢هـ.

.

- شعب الإيمان لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد الرياض ١٤٢٣هـ.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض بن موسى السبتي، دار الفيحاء عمان ١٤٠٧هـ.
- شفاء العليل للإمام ابن القيم، دار الصميعي الرياض ١٤٢٩هـ.
- الشمائل المحمدية لمحمد بن عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الشيخ عبد العزيز بن باز نموذج من الرعيل الأول للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد دار ابن القيم الرياض ١٤٢١هـ.
- الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي ١٤٠٣هـ.
- الصارم المنكي شمس الدين بن عبد الهادي مؤسسة الريان بيروت ١٤٢٤هـ.
- صبح الأعشى أحمد بن علي القلقشندي دار الفكر دمشق ١٩٨٧هـ.
- الصحاح تاج اللغة لإسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي دار العلم للملايين بيروت ١٤٠٧هـ.
- صحيح ابن خزيمة، المكتب الإسلامي بيروت ١٣٩٠هـ.
- صحيح البخاري دار طوق النجاة بيروت ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم دار إحياء التراث العربي بيروت.
- الصفات الإلهية للشيخ محمد الجامي، مكتبة الفرقان عجمان ١٤٢٣هـ.
- الصمت وآداب اللسان لعبد الله بن محمد بن أبي الدنيا، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي بيروت ١٤١٠هـ.
- الصواعق المحرقة لأحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧٨م.
- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة لابن القيم، تحقيق: علي بن محمد الرخيل، دار العاصمة الرياض ١٤١٨هـ.

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الخيل بيروت.
- طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها لسليمان الحلبي، دار السلفية الكويت ١٤٠٤هـ.
- طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى، دار المعرفة بيروت.
- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي دار هجر.
- طبقات الشافعية لأبي بكر شهبة، دار عالم الكتب بيروت ١٤٠٧هـ.
- الطبقات الكبرى محمد بن سعد، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت ١٩٦٨م. ١٤١٣هـ.
- طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٢هـ.
- طبقات المفسرين محمد بن علي الداوودي، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ.
- الطرق الحكمية لابن القيم، تحقيق: نايف بن أحمد بن الحمد، دار عالم الفوائد الرياض ١٤٣٢هـ.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين للإمام ابن القيم، دار ابن حزم بيروت ١٤٢٤هـ.
- الطيوريات المبارك الطيوري، تحقيق: دسمان يحيى معالي، عباس صخر الحسن، مكتبة أضواء السلف الرياض ١٤٢٥هـ.
- العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: علي حسن، دار المغني الرياض ١٤٣٠هـ.
- العظمة لعبد الله بن محمد الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة الرياض ١٤٠٨هـ.
- عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني، تحقيق: ناصر الجديع، دار العاصمة الرياض ١٤١٩هـ.
- العقيدة الواسطية لابن تيمية، تحقيق: علوي السقاف، مؤسسة الدرر السنية الظهران ١٤٣٣هـ.

.

- عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة للشيخ ناصر حسن الشيخ، مكتبة الرشد الرياض ١٤١٣هـ.
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لعبد الرحمن بن علي الجوزي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٣هـ.
- العلو للعلي الغفار لشمس الدين محمد الذهبي، مكتبة أضواء السلف الرياض ١٤١٦هـ.
- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني الحنفي، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢١هـ.
- عمل اليوم والليلة للنسائي، تحقيق: فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٦هـ.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود لمحمد شمس الحق العظيم، دار المعارف الرياض ١٤٢٨هـ.
- فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة، دار الأوفياء الرياض ١٤٢٤هـ. ٢٤١- الفتاوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٩هـ.
- فتاوى نور على الدرب لعبد العزيز بن باز، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء الرياض ١٤٢٣هـ.
- فتح الباب في الكنى والألقاب للإمام محمد بن إسحق بن منده، مكتبة الكوثر الرياض ١٤١٧هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر، دار المعرفة بيروت، ١٣٧٩هـ.
- الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، تحقيق: محمد صبحي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء.
- فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد للشيخ عبد الرحمن السعدي، دار ابن الجوزي دمام ١٤٢١هـ.
- فتح القدير محمد بن علي الشوكاني دار المعرفة بيروت ١٤٢٨هـ.
- فتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، دار السلام الرياض ١٤٢١هـ.

.

- الفرق بين الفرق عبد القاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق: محمد بن محيي الدين الحميد، مكتبة دار التراث القاهرة ١٤٢٨هـ.
- فرق معاصرة لغالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية جدة ١٤٢٦هـ.
- الفروع لمحمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٢٤هـ.
- الفروق اللغوية لحسن بن عبد الله العسكري، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٤هـ.
- الفروق لشهاب الدين القرافي، تحقيق: عمر بن حسن القيّام، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٢٩هـ.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل لمحمد بن علب بن حزم، مكتبة الخانجي القاهرة.
- الفصول في الأصول لأحمد بن علي الرازي، وزارة الأوقاف الكويتية ١٤١٤هـ.
- فضائل الصحابة للإمام الدارقطني، مكتبة الغرباء الأثرية الرياض ١٤١٩هـ.
- فقه الأدعياء والأذكار للشيخ عبد الرزاق البدر، طبعة على نفقة إبراهيم الوقيصي الرياض ١٤٢٤هـ.
- فن الخطابة للشيخ أحمد محمد الحوفي، دار العلوم القاهرة.
- الفوائد العلمية من الدروس البازية للشخ عبد العزيز بن باز، الرسالة العلمية دمشق ١٤٣٠هـ.
- فيض القدير للمناوي، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ.
- قاعدة جليلة في التوسّل والوسيلة لابن تيمية، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء الرياض ١٤٢٢هـ.
- القاموس المحيط للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٣٣هـ.
- القصيدة النونية لابن القيم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ١٤١٧هـ.
- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان لأحمد بن علي القلقشندي، دار الكتاب اللبناني بيروت ١٤٠٢هـ.
- القواعد المثلى للشيخ محمد العثيمين، دار الوطن عنيزة ١٤٢٤هـ.

- القول السديد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن السعدي، دار ابن الأثير بيروت ١٤٢٩هـ.
- القول السديد على من أنكر تقسيم التوحيد للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار ابن عفان القاهرة ١٤٢٢هـ.
- القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد العثيمين، دار ابن الجوزي دمام ١٤٢٤هـ.
- القول في علم النجوم للبغدادي، دار أطلس الرياض ١٤٢٠هـ.
- الكافي لابن قدامة، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢١هـ. ٢٧١- الكافي للكليني الرافضي، دار منشورات الفجر بيروت ١٤٢٨هـ.
- الكامل في التاريخ لابن الأثير، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٤هـ.
- الكبائر للذهبي، إحياء العلوم بيروت ١٤١٠هـ.
- كتاب الأسماء والصفات للإمام البيهقي، تحقيق: عبد الله الحاشدي، مكتبة السوادي جدة ١٤١٣هـ.
- كتاب الأفعال لابن القطاع، دار عالم الكتب ١٤٠٣هـ.
- كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر بيروت.
- كتاب الإيمان لابن مندة، تحقيق: علي بن ناصر الفقيهي، الجامعة الإسلاية المدينة ١٤٠١هـ.
- كتاب التوحيد إسحاق بن خزيمة، تحقيق: محمد هراس، دار الإمام أحمد القاهرة ١٤٣٠هـ.
- كتاب الرد على الجهمية للإمام الدارمي، تحقيق: أحمد القفيلي، مؤسسة الريان بيروت ١٤٣١هـ.
- كتاب السنة للإمام أحمد بن أبي عاصم، تحقيق: الشيخ ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت ١٤٢٦هـ.

.

- كتاب السنة للإمام أحمد بن محمد الخلال، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية الرياض ١٤١٠هـ.
- كتاب السنة للإمام عبد الله الشيباني، تحقيق: محمد القحطاني، دار رمادي دمام ١٤١٦هـ.
- كتاب فضائل الصحابة للإمام أحمد، تحقيق: الشيخ وصي الله عباس، دار ابن الجوزي الدمام ١٤٢٦هـ.
- كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب، تحقيق: علي بن حسن، مكتبة ابن القيم الفحيحيل ١٤٢٣هـ.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٢٢هـ.
- الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبدالله السورقي، المكتبة العلمية المدينة المنورة.
- الكليات لأيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: محمد المصري، مؤسسة الرسالة دمشق ١٤٢٢هـ.
- الكنى والأسماء للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم، تحقيق: عبد الرحيم بن محمد القشقري، الجامعة الإسلامية المدينة النبوية، ١٤٠٤هـ.
- اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار العاصمة الرياض ١٤٣١هـ.
- اللباب في تهذيب الأنساب لعلي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، دار صادر ١٤٠٠هـ
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت ١٤٣٢هـ.
- لسان الميزان لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ١٣٩٠هـ.
- لطائف المعارف لابن رجب، دار ابن كثير دمشق ١٤١٣هـ.

- لمعة الاعتقاد لابن قدامة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الرياض ١٤٢٠هـ.
- لوامع الأنوار البهية محمد بن أحمد السفاريني، مؤسسة الخافتين دمشق ١٤٠٢هـ.
- المباحث العقدية في حديث افتراق الأمة لأحمد سردار محمد، الجامعة الإسلامية بالمدينة ١٤٣٠هـ.
- المتنبئون في الإسلام لغالب بن علي عواجي، دار النصيحة المدينة ١٤٣٣هـ.
- المجالسة وجواهر العلم لأحمد بن مروان الدينوري، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم بيروت ١٤١٩هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي، طبعة دار الفكر بيروت ١٤١٢هـ
- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، مجمع الملك الفهد المدينة ١٤٢٤هـ.
- مجموع الفتاوى للجنة الدائمة (المجموعة الأولى)، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء الرياض ١٤٢٥هـ.
- مجموع الفتاوى للشيخ ربيع بن هادي المدخلي، دار الإمام أحمد القاهرة ١٤٣١هـ.
- مجموع الفتاوى للشيخ عبد العزيز بن باز، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء الرياض ١٤٢٧هـ.
- مجموع الفتاوى للشيخ محمد العثيمين، دار الثريا الرياض ١٤٢٣هـ.
- مجموع الفتاوى للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مطبعة الحكومة مكة ١٣٩٩هـ.
- المجموع ليحيي النووي، دار الفكر.
- مجموع مؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي، مركز صالح بن صالح الثقفي، عنيزة ١٤١٢هـ.
- مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، جامعة الأمام محمد بن سعود، الرياض.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق بن عطية، الكتب العلمية بيروت ١٤١٣هـ.

- المحلى بالآثار علي بن أحمد بن حزم، دار الفكر، بيروت.
- مختصر العلو للحافظ شمس الدين الذهبي، تحقيق: الشيخ ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت ١٤١٢هـ.
- مدارج السالكين للإمام ابن القيم، دار الكتب العلمية.
- المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي، دار الخلفاء الكويت. ٣١٣- المسائل العقدية المتعلقة بالذبائح للشيخ محمد بن عبد الوهاب العقيل (مجلة الدراسات العقدية) جمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة المدينة ١٤٣٢هـ.
- المستدرك على الصحيحين محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٢هـ.
- مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث دمشق ١٤٠٤هـ.
- مسند الإمام أحمد تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث القاهرة ١٤١٦هـ.
- مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.
- مسند البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ١٩٨٨م.
- مسند الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٧٠هـ.
- مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للإمام ابن كثير، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الوفاء المنصورة ١٤١١هـ.
- مسنده ابن الجعد، الكتب العلمية بيروت ١٤١٧هـ.
- مشاهير علماء نجد وغيرهم لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، دار اليمامة الرياض ١٣٩٢هـ.
- مشكاة الأنوار لمحمد بن محمد الغزالي، تحقيق: أبو العلا عفيفي، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة.
- المصاحف لعبد الله بن سليمان بن أبي داود، تحقيق: محمد بن عبده، دار الفاروق الحديثة القاهرة، ١٤٢٣هـ.

- مصباح الزجاجة لأحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي دار العربية بيروت، ١٤٠٣هـ.
- المصباح المنير لأحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية بيروت.
- المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة، دار القبلة بيروت ١٤٢٧هـ. ٣٢٨- المصنف لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٣هـ.
- معارج القبول لحافظ الحكمي، تحقيق: محمد حلاق، دار ابن الجوزي دمام ١٤٢٤هـ.
- المعالم الأثيرة في السنة والسيرة لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب، دار القلم، الدار الشامية دمشق، بيروت ١٤١١هـ.
- معالم التنزيل للإمام البغوي، دار السلام الرياض ١٤١٦هـ.
- معالم السنن للخطابي، المطبعة العلمية حلب ١٣٥١هـ.
- معاني القرآن ليحي بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد بن يوسف بن نجاتى ومحمد بن علي بن نجار وعبدالفتاح بن إسماعيل شلبي، دار المصرية.
- معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات للشيخ محمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف الرياض ١٤١٩هـ.
- معجم ابن الأعرابي، دار ابن الجوزي الرياض ١٤١٨هـ.
- معجم ابن المقرئ، مكتبة الرشد الرياض ١٤١٩هـ.
- المعجم الأوسط لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين القاهرة ١٤١٥هـ.
- معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر بيروت.
- المعجم الكبير الطبراني، مكتبة ابن تيمية القاهرة.
- المعجم الكبير لسليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية القاهرة ١٤١٥هـ.
- معجم المعالم الجغرافية لعاتق البلادي الحربي، دار مكة. ١٤٠٢هـ.

- معرفة السنن والآثار لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الوعي دمشق ١٤١٢هـ.
- معرفة الصحابة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن الرياض ١٤١٩هـ.
- المعلم بفوائد مسلم لمحمد بن علي المازري، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، بيت الحكمة تونس ١٩٨٧هـ.
- المغني في أبواب العدل والتوحيد لبعد الجبار الهمداني، دار الثقافة والإرشاد ١٣٨٠هـ.
- المغني للإمام ابن قدامة، تحقيق: عبد الله التركي، دار عالم الكتب الرياض ١٤٢٨هـ.
- مفاتيح الغيب لمحمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٥هـ.
- مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيم، تحقيق: علي بن حسن، درا ابن عفان القاهرة ١٤١٦هـ.
- المفردات في غريب القرآن الحسين الراغب الأصفهاني، دار القلم دمشق ١٤١٢هـ.
- المفهم شرح صحيح مسلم لأحمد بن عمر القرطبي، دار بن كثير بيروت ١٤١٧هـ.
- المفيد في مهمات التوحيد للشيخ عبد القادر عطا صوفي، أضواء السلف الرياض ١٤٢٨هـ.
- مقالات الإسلاميين لأبي حسن الأشعري مكتبة العصرية، صيدا ١٤٢٨هـ.
- مقاييس اللغة لابن فارس، دار الفكر بيروت ١٣٩٩هـ.
- مقدمة لابن خلدون، دار القلم بيروت ١٩٨٤م.
- الملخَّص الفقهي للشيخ صالح الفوزان، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء الرياض ١٤٢٣هـ.
- الملل والنحل لمحمد الشهرستاني، مؤسسة الرسالة دمشق ١٤٣٢هـ.
- من تشبه بقوم فهو منهم لناصر العقل، مؤسسة جريسي الرياض ١٤١١هـ.
- مناسك الحج والعمرة للشيخ الألباني، مكتبة المعارف الرياض ١٤٢٠هـ.

- مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- المنتخب من مسند عبد بن حميد، عبد الحميد بن حميد، تحقيق: صبحي البدري السامرائي ومحمود محمد خليل الصعيدي مكتبة السنة القاهرة ١٤٠٨هـ.
- المنتقى شرح الموطأ لسليمان الباجي، مطبعة السعادة مصر ١٣٣٢هـ.
- المنتقى للعلامة مجد الدين بن تيمية، تحقيق طارق بن محمد، دار ابن الجوزي الدمام ١٤٢٩هـ.
- منهاج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل للشيخ ربيع بن هادي المدخلي، مكتبة الفرقان عجمان ١٤٢١هـ.
- منهاج السنة النبوية لابن تيمية تحقيق: محمد رشاد، مؤسسة قرطبة.
- منهاج القاصدين لابن قدامة، تحقيق: الشيخ فلاح السعيدي، مؤسسة غراس كويت ١٤٢٧هـ.
- المنهاج في شعب الإيمان للحليمي دار الفكر ١٣٩٩هـ.
- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشيخ محمد الأمين الشنقيطي تحقيق: عطية محمد سالم، دار السلفية الكويت الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ.
- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ليوسف بن تغري الظاهري الحنفي، تحقيق: محمد بن محمد بن أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م.
- المهذَّب للدكتور عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد الرياض ١٤٢٤هـ.
- الموافقات للإمام الشاطبي، طباعة وزارة الشؤون الإسلامية السعودية.
- الموطأ للإمام مالك، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٦هـ.
- موقف الخليفة الراشد علي بن أبي طالب من مخالفيه لسامي الظفيري، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية سنة ١٤٢٥هـ.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة بيروت ١٣٨٢هـ.
- النبوات لابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان، أضواء السلف الرياض ١٤٢٠هـ.

● النفي في باب صفات الله محمد أرزقي سعيداني، مكتبة دار المنهج الرياض ١٤٢٦هـ.
● نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيد، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، مكتبة الرشد ١٤١٨هـ.
● نهاية الأرب لأحمد بن علي القلقشندي، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٤٠٠هـ.
● نهاية المبتدئين لأحمد بن حمدان، تحقيق: ناصر السلامة، مكتبة الرشد الرياض ١٤٢٥هـ.
● النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، دار المعرفة بيروت ١٤٣٢هـ.
● النور السافر عن أخبار القرن العاشر لعبد القادر العيدروس، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥هـ.
● نيل الأوطار لمحمد الشوكاني، دار الإمام مالك الجزائر ١٤٢٦هـ.
● الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية لمحمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي، ١٣٩٣هـ.
● الوافي بالوفيات للصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث بيروت ١٤٢٠هـ.
● وجادلهم بالتي هي أحسن لبندر بن نايف العتيبي، الرياض ١٤٢٥هـ.
● وسائل الدعوة لعبد الرحيم بن محمد المغذوي، دار إشبيليا الرياض ١٤٢٠هـ.
● وسطية أهل السنة بين الفرق لمحمد باكريم، مكتبة العلوم والحكم المدينة ١٤٢٩هـ.
● وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان شمس الدين بن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت ١٣٩٨هـ.
● الوقف والابتداء لأبي بكر بن الأنباري، دار المكتبة العلمية بيروت ١٤٣١هـ.